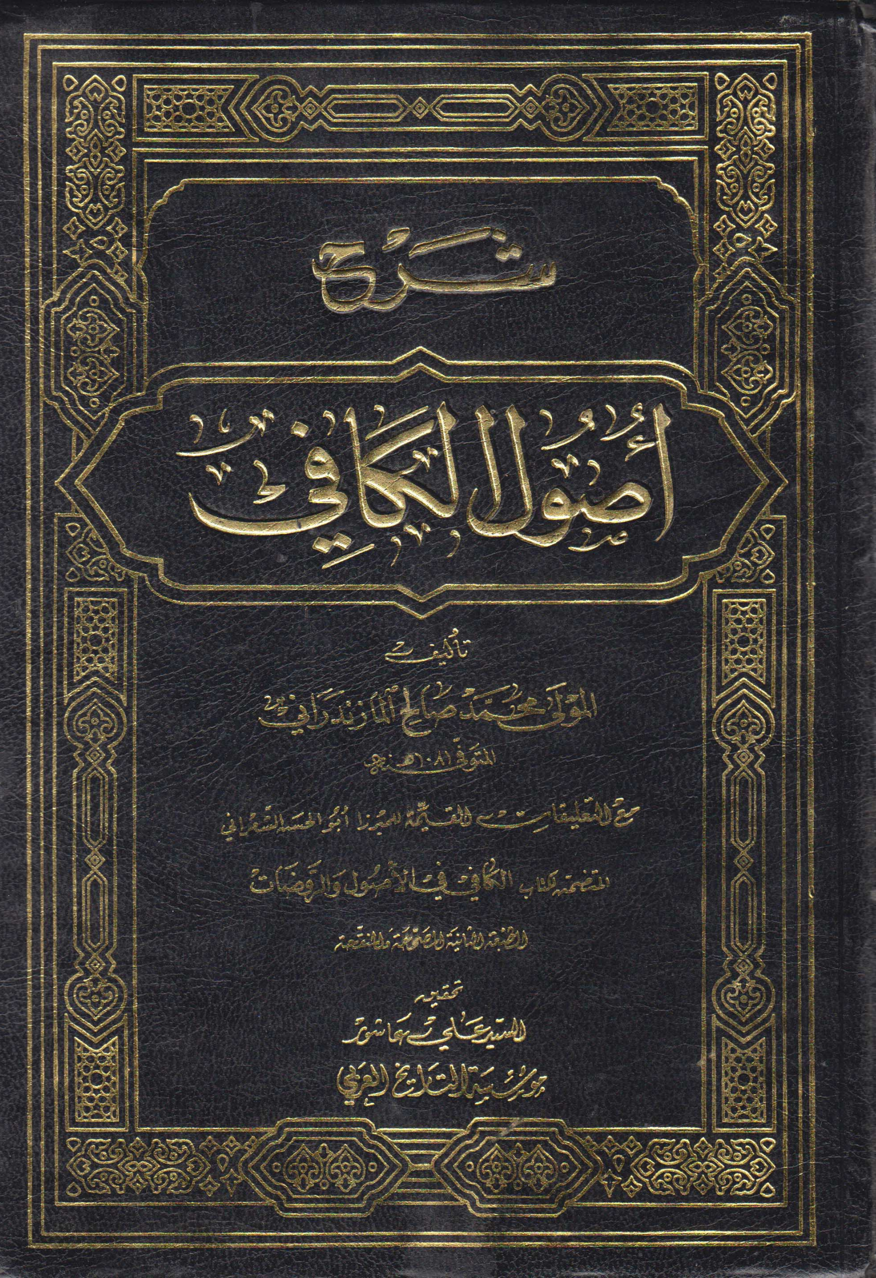

شرح
أصول الكافي
تأليف
المولى محمد صالح المازندراني
المتوفى ١٠٨١ هـ
مع التعليقات القيّمة للميرزا أبو الحسن الشعراني
المتضمنة لكتاب الكافي في الأصول والروضات
الطبعة الثانية المصححة والمنقحة
تحقيق
السيد علي عاشور
مؤسسة التاريخ العربي



شبكة الفكر
alfeker.net

الطبعة الثانية المصححة والمنقحة

شرح
أصول الكافي

تأليف

المولى محمد صالح المازندراني

المتوفى ١٠٨١ هجري

مع التعليقات القيمة

للميرزا أبو الحسن الشعراني

المتضمن لكتاب

الكافي في الأصول والروضات

الطبعة الثانية المصححة والمنقحة

تحقيق

السيد علي عاشور

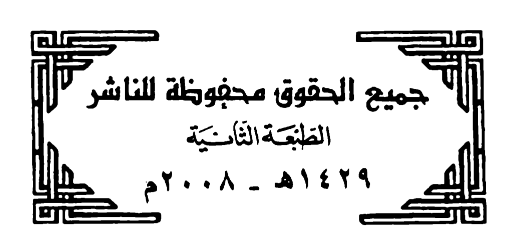
الجزء الثاني عشر

مؤسسة التاريخ العربي

بيروت ـ لبنان

دار احياء التراث العربي

بيروت ـ لبنان



الطبعة الثانية المصححة والمنقحة

بيروت – لبنان طريق المطار- خلف غولدن بلازا تلفون: ٠١/٤٥٥٥٥٩ – ٠١/٥٤٠٠٠٠ – فاكس: ٨٥٠٧١٧

Beyrout – Liban – Rue Airport Tel: 01/455559 – 01/540000 – fax: 850717

Email:info@dartourath.com www:dartourath.com

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الرياح

*** الأصل:**

١ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، وهشام بن سالم، عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام، عن الرّياح الأربع: الشمال والجنوب والصبا والدّبور وقلت: إنّ الناس يذكرون(١) أنّ الشمال من الجنّة والجنوب من النار؟

فقال: **إنّ لله عزّ وجل جنوداً من رياح يعذّب بها من يشاء ممّن عصاه ولكلّ ريح منها ملك**

---

(١) قوله «إن الناس يذكرون». هذا حديث صحيح من جهة الإسناد قريب من جهة الإعتبار منبه على طريقتهم عليهم السلام في أمثال هذه المسائل الكونية. والمعلوم من سؤال السائل وقول الناس أن ذهنهم متوجه إلى السبب الطبيعي الموجب لوجود الرياح ومنشأها وعلة اختلافها في البرودة والحرارة وغيرها، وغاية ما وصل إليه فكرهم أن الشمال لبرودتها من الجنة والجنوب لحرارتها من النار فصرف الإمام ذهنهم عن التحقيق لهذا الغرض إذ ليس المقصود من بعث الأنبياء والرسل وإنزال الكتب كشف الأمور الطبيعية، ولو كان المقصود ذلك لبيّن ما يحتاج إليه الناس من أدوية الأمراض كالسل والسرطان وخواص المركبات والمواليد، ولذكر في القرآن مكرراً علة الكسوف والخسوف كما تكرر ذكر الزكاة والصلاة وتوحيد الله تعالى ورسالة الرسل، ولورد ذكر الحوت في الروايات متواتراً كما ورد ذكر الإمامة والولاية والمعاد والجنة والنار وكذلك ما تستقر عليه الأرض وما خلق منه الماء مع أنا لا نرى من أمثال ذلك شيئاً في الكتاب والسنة المتواترة إلاّ بعض أحاديث ضعيفة غير معتبرة أو بوجه يحتمل التحريف والسهو والمعهود في كل ما هو مهم في الشرع ويجب على الناس معرفته أن يصير الإمام بل النبي صلى الله عليه وآله على تثبيته وتسجيله وبيانه بطرق عديدة غير محتملة للتأويل حتى لا يغفل عنه أحد.

وبالجملة لما رأى الإمام عليه السلام اعتناء الناس بالجهة الطبيعية صرفهم بأن الواجب على الناظر في أمر الرياح والمتفكر فيها أن يعتني بالجهة الإلٰهية وكيفية الإعتبار بها والاتعاظ بما يترتب عليها من الخير والشر سواء كانت من الجنة أو من الشام أو من أفريقية واليمن فأول ما يجب أن يعترف بأن جميع العوامل الطبيعية مسخرة بأمر الله تعالى وعلى كل شيءٍ ملك موكل به وأن الجسم الملكي تحت سيطرة المجرد الملكوتي المفارق عن الماديات كما ثبت في محله أنّ المادة قائمة بالصورة والصورة قائمة بالعقل المفارق وهذا أهم ما يدل عليه هذا الحديث الذي يلوح عليه أثر الصدق وصحة النسبة إلى المعصوم عليه السلام.

ثم بعد هذا الاعتراف يجب الاعتبار بما وقع من العذاب على الأمم السالفة بهذه الرياح وما يترتب من المنافع على جريانها وهذا هو الواجب على المسلم من جهة الدين إذا نظر إلى الأمور الطبيعية. (ش)

موكّل بها فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يعذّب قوماً بنوع من العذاب أوحى إلى الملك الموكّل بذلك النوع من الريح التي يريد أن يعذّبهم بها قال: فيأمرها الملك فيهيج كما يهيج الأسد المغضب، قال: لكلّ ريح منهنّ اسم أما تسمع قوله تعالى: ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر * إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يومِ نحس مستمر﴾[١] وقال: ﴿الريح العقيم﴾ وقال: ﴿ريحٌ فيها عذابٌ أليم﴾[٢] وقال:﴿فأصابها إعصار فيه نارٌ فاحترقت﴾[٣] وما ذكر من الرياح التي يعذّب الله بها من عصاه، قال: ولله عزّ ذكره رياح رحمة لواقح وغير ذلك ينشرها بين يدي رحمته، منها ما يهيج السحاب للمطر ومنها رياح تحبس السحاب بين السماء والأرض، ورياح تعصر السحاب فتمطره بإذن الله، ومنها رياح ممّا عدّد الله في الكتاب.

فأمّا الرياح الأربع: الشمال والجنوب والصبا والدبور فإنّما هي أسماء الملائكة الموكّلين بها فإذا أراد الله أن يهبّ شمالاً أمر الملك الذي اسمه الشمال فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرّقت ريح الشمال حيث يريد الله من البرّ والبحر وإذا أراد الله أن يبعث جنوباً أمر الملك الذي اسمه الجنوب فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرّقت ريح ـ الجنوب في البر والبحر حيث يريد الله وإذا أراد الله أن يبعث ريح الصبا أمر الملك الذي اسمه الصبا فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرّقت ريح الصبا حيث يريد الله جلّ وعزّ في البرّ والبحر وإذا أراد الله أن يبعث دبوراً أمر الملك الذي اسمه الدّبور فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرّقت ريح الدبور حيث يريد الله من البرّ والبحر، ثمّ قال أبو جعفر: أما تسمع لقوله: ريح الشمال وريح الجنوب وريح الدّبور وريح الصبا، إنما تضاف إلى الملائكة الموكّلين بها[٤].

*** الشرح :**

قوله (حديث الرياح) الريح الهواء المسخر بين الأرض والسماء من حيث أنه متحرك وهو مؤنث على الأكثر فيقال هي الريح وقد يذكر بمعنى الهواء فيقال هو الريح، نقله أبو زيد، وقال ابن الأنباري: الريح مؤنثة لا علامة فيها وكذلك سائر أسمائها إلاّ الاعصار فإنه مذكر، كذا في المصباح (قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرياح الأربع الشمال) ومهبها الجدى إلى مغرب الاعتدال وفي المصباح وفيها خمس لغات الأكثر بوزن سلام ونقل عياض عن صاحب العين أنه قال: الشمال بفتح

---

(١) سورة القمر : ١٩ . (٢) سورة الأحقاف : ٢٤ . (٣) سورة البقرة: ٢٦٦ .

(٤) الكافي: ٨ / ٧٧.

الشين والميم والشمأل بسكون الميم وفتح الهمزة والشأمل بتقديم الهمز والشمل بفتح الميم من غير همز والشمول بفتح الشين وضم الميم (والجنوب) من القطب الجنوبي إلى مشرق الاعتدال تقابل الشمال وهو مراد من قال: من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا.

(والصبا) بوزن العصا من مشرق الاعتدال إلى الجدي وهو مراد من قال من مطلع الثريا إلى بنات النعش (والدبور) بوزن الرسول من مغرب الاعتدال إلى القطب الجنوبي (فتهيج كما يهيج الأسد المغضب) هاج الشي يهيج إذا ثار ووثب والمغضب بفتح الضاد من أغضبته فهو مغضب **﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾** أي إنذاري لهم قبل نزول العذاب أو لمن بعدهم في تعذيبهم **﴿إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾** أي شديدة الصوت أو البرد **﴿في يومِ نحس مستمر﴾** أي يوم شوم استمر شومه أو استمر عليهم حتى هلكوا أو على جميعهم كبيرهم وصغيرهم ذكورهم وإناثهم فلم يبق منهم أحداً واشتدت مرارته وكان يوم الأربعاء آخر الشهر كذا ذكره المفسرون (والريح العقيم) ريح لا تلقح كريح الخريف وقال: **﴿وأصابها إعصارٌ فيه نار فاحترقت﴾** في المصباح: الإعصار: ترتفع بتراب بين السماء والأرض وتستدير كأنها عمود وفي القاموس أو التي فيها نار، وقيل: هي ريح تثير سحاباً ذات رعد وبرق فيها نار (**ولله تعالى رياح رحمة لواقح وغير ذلك**) الإضافة لامية كما يدل عليه قوله (**ينشرها بين يدي رحمته**) لما كان نشر الرياح شيئاً عظيماً من أسباب بقاء الحيوان والنبات واستعداد الامزجة وللصحة والنمو وغيرهما، حتى قال كثير من الاطباء أنها تستحيل روحاً حيوانياً وكانت عناية الله ورحمته شاملة للعالم وهي مستند كل موجود لا جرم نشرها برحمته ومن أظهر آثار الرحمة بنشر الرياح حملها للسحاب المترع بالماء وأثارتها على وفق الحكمة ليصيب الأرض الميتة فينبت بها الزرع وتملأ الضرع كما قال عز وجل **﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه﴾** .

والمراد تنبيه الغافلين على ضروب نعم الله بذكر هذه النعمة الجليلة ليستديموها بدوام شكره والمواظبة على طاعته (**فإنما هي أسماء الملائكة الموكلين بها**) فالإضافة بتقدير اللام لا بيانية وما قد تذكر الشمال أو أخواته ويراد بها الريح فمن باب الاتساع قوله (**إن لله عز وجل رياح رحمة ورياح عذاب**) دل على بطلان ما قيل من أن العرب يستعمل الرياح في الرحمة والريح في العذاب وأيده بقوله تعالى **﴿بريح صرصر عاتية﴾** وقوله تعالى **﴿يرسل الرياح مبشرات﴾** وفي معارج النبوة أن كل واحدة من رياح الرحمة ورياح العذاب أربعة أما رياح الرحمة فأولها باشرات قال الله تعالى

﴿وهو الذي يُرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته﴾(١) وثانيها مبشرات: **(ومن آياته أن يُرسل الرياح مُبشرات)**.

وثالثها ناشرات **﴿والناشرات نشراً﴾** ورابعها ذاريات **﴿والذاريات ذرواً﴾** وأما رياح العذاب فأولها صرصر **﴿وأما عادٌ فأهلكوا بريحٍ صرصر﴾**(٢) وثانيها عقيم **﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾** وثالثها قاصف **﴿فيرسل عليكم قاصفاً من الريح﴾** ورابعها عاصف **﴿جاءتها ريح عاصف﴾** وكذا توجد الرياح الثمانية في ذات العبد أما رياح الرحمة ومهبها السعادة فأولها ريح المحبة وهي في التائبين **﴿إن الله يحبّ التوابين﴾** وريح المودة وهي للصالحين **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾**(٣) وريح القربة وهي للسابقين **﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾**(٤) وريح الوصلة وهي للمشتاقين، وأما رياح العذاب ومهبها الشقاوة فريح الغفلة **﴿وهُم في غفلةٍ مُعرضون﴾** وريح الفرقة **﴿إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً﴾** وريح السخط **﴿سخط الله عليهم﴾** وريح القطيعة **﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾**.

* **الأصل:**

٢ ـ عنه، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن معروف بن خرّبوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **إن لله عزّ وجلّ رياح رحمة ورياح عذاب فإن شاء الله**(٥) **أن يجعل العذاب من الرّياح رحمة فعل**، قال: **ولن يجعل الرحمة من الرّيح عذاباً**، قال: **وذلك أنّه لم يرحم قوماً قطّ أطاعوه و كانت طاعتهم إيّاه وبالاً عليهم إلاّ من بعد تحوُّلهم عن طاعته** قال: **وكذلك فعل بقوم يونس لمّا آمنوا رحمهم الله بعد ما كان قدّر عليهم العذاب وقضاه ثمّ تداركهم برحمته فجعل العذاب المقدّر عليهم رحمة فصرفه عنهم وقد أنزله عليهم وغشيهم وذلك لمّا آمنوا به وتضرّعوا إليه**. قال: **وأمّا الريح العقيم فإنّها ريح عذاب لا تلقح شيئاً من الأرحام ولا شيئاً من النبات وهي ريح تخرج من تحت الأرضين السبع وما خرجت منها ريح قطُّ إلاّ على قوم عاد حين غضب الله**

---

(١) سورة الأعراف: ٥٧. (٢) سورة الذاريات: ٤١. (٣) سورة مريم: ٩٦.

(٤) سورة الواقعة: ١٠.

(٥) قوله «رياح رحمة» هذا حديث صحيح من جهة الإسناد وليس فيه ضعف من جهة المعنى إلاّ قوله فعتت على خزانها فخرج على مقدار منخر الثور لأن ضعف الملائكة المأمورين من جانب الله على ما شاء من المصلحة عن ضبط الطبائع المقهورة المسخرة غير معقول عندنا ولا نعتقد في الطبائع قوة أشد من الملائكة الموكلين بها ولا نرى أن يأمر الله تعالى ملائكته بأمر يعلم عجزهم، وعلى كل حال فالظاهر من الرواية أن الريح التي أهلكت قوم عاد كانت من البخارات المحتبسة في أعماق الأرض خرجت دفعة من ثقبة حدثت في قشر الأرض بدفعها كما يخرج من البراكين والله أعلم. (ش)

عليهم فأمر الخزّان يخرجوا منها على مقدار سعة الخاتم، قال: فعتت على الخزّان فخرج منها على مقدار منخر الثور تغيّظاً منها على قوم عاد، قال: فضجّ الخزّان إلى الله عزّ وجلّ من ذلك فقالوا ربّنا إنّها قد عتت عن أمرنا إنّا نخاف أن تهلك من لم يعصك من خلقك وعمّار بلادك، قال، فبعث الله عزّ وجلّ إليها جبرئيل عليه السلام فاستقبلها بجناحيه فردّها إلى موضعها وقال لها: اخرجي على ما اُمرت به، قال: فخرجت على ماأمر به، وأهلكت قوم عاد ومن كانت بحضرتهم.[1]

* **الشرح:**

(فإن شاء الله عز وجلّ أن يجعل العذاب من الرياح رحمة فعل ولن يجعل الرحمة من الريح عذاباً) لعلّ المراد أن من استحق العذاب بسبب خصلة قبيحة ربما يستحق الرحمة بإزالة تلك الخصلة وكسب خصلة حسنة فلا يصل إليه العذاب بخلاف من استحق الرحمة والإحسان بسبب خصلة حسنة فإنه تصل إليه الرحمة وإن زالت عنه تلك الخصلة لأن الله لا يضيع عمل عامل، أو المراد أنه إذا أرسل ريح العذاب يجعله رحمة بزوال سبب العقاب وأمّا إذا أرسل ريح الرحمة فلا يجعلها عذاباً بزوال سبب الرحمة وحدوث سبب العذاب، ومنه يظهر سر سبق رحمته على غضبه.

(وذلك أنه لم يرحم قوماً قطّ أطاعوه وكانت طاعتهم إياه وبالاً عليهم إلاّ من بعد تحولهم من طاعته) ذلك إشارة إلى المذكور وهو جعل العذاب رحمة وأطاعوه صفة لقوماً والواو في قوله «وكانت» للحال بتقدير «قد»، والوبال الشدة والمصيبة وسوء العاقبة والعمل السيىء والطاعة لاعلى وجه مطلوب وبال على صاحبه كطاعة أهل الخلاف، وفيه دلالة على أن هذه الطاعة وإن كانت معصية استحقوا بها العذاب إلاّ أنهم لو تحولوا عنها أدركتهم الرحمة ولم يعذبهم بها، وإنما ذكر هذه المعصية ليقاس عليها غيرها.

(بعد ماقد كان قدر عليهم العذاب وقضاه) أي قضاه قضاء غير محتوم ولم يبلغ حد الإمضاء إذ لا دافع بعده.

(فجعل العذاب المقدر عليهم رحمة فصرفه عنهم وقد أنزله عليهم وغشيهم آه) قال بعض المفسرين روي أن يونس عليه السلام بعث إلى أهل نينوى وهي ـ بكسر الأول ـ قرية بالموصل فكذبوه وأصروا عليه فوعدهم العذاب إلى ثلاث وقيل إلى أربعين فذهب عنهم مغاضباً فلما دنا الوعد غامت السماء غيماً أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم وتسود سطوحهم فهابوا

---

(١) الكافي: ٨ / ٧٨.

فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحنّ بعضها إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وأخلصوا وتضرعوا إلى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة.

(فإنها ريح عذاب لاتلقح شيئاً من الحيوان ولا شيئاً من النبات) فلا ينتفع منها النفس الحيوانية والنفس النباتية لشدة حرارتها من فيح جهنم واشتمالها على النار المهلكة لهما **(فأمر الخزان أن يخرجوا منها على مقدار سعة الخاتم)** لعل هذا أعلى المقادير المقدرة لخروج الريح المهلكة لعاد وأدناها مثل خرق الأبرة ثم خرجت بعد العتو على مقدار الأدنى فلا ينافي ما في الفقيه حيث قال: قال عليه السلام **«ماخرجت ريح قط إلاّ بمكيال إلا زمن عاد فإنها عتت على خزانها فخرجت في مثل خرق الأبرة فأهلكت قوم عاد». (فخرج على مقدار منخر الثور)** المنخر بفتح الميم والخاء وتكسر وضمهما وكمجلس الأنف وخرقه **(تغيظاً منها على قوم عاد)** دلّ على أن لها شعوراً وإدراكاً ولا يبعد من قدرة الله تعالى أن يجعل لها مشاعر ومدارك فلا حاجة إلى التأويل في نسبة التغيظ والعتو إليها ولا في نسبة الخطاب والأمر إليها باعتبار أنها جماد والجماد لا يتصف بهذه الصفات ولا يؤمر بشيء كما زعمه بعض الناس وقال، التغيظ والعتو لأهلها والأمر للدلالة على التسخير، ومما يؤيد ما قلناه ما رواه في الفقيه من أن للريح وجهاً وجناحين.

(وأهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم) أي في فنائهم وقربهم وهذه الريح سخرها الله تعالى عليهم سبع ليالٍ أو ثمانية أيام حسوماً أي دائمة متتابعة فلمّا رأوها جمعوا نساءهم وصبيانهم وأموالهم في شعب وأحاطوا حولهم آخذين بأيديهم وقد كانوا عظيم الجثة، طويل القامة، عريض البدن كثير القوة، شديد البطش كان أطولهم ثلاثمائة ذراع وأقصرهم مائة ذرع فقالوا ما تفعل هذه الرياح بنا فأخذت الريح أولاً محصوريهم وأطارتهم في الهواء وأهلكتهم ثم أخذتهم ورفعتهم وأهلكتهم ومن لم يخرج منهم إلى الشعب وتحصنوا في بيوتهم هدمت الريح بيوتهم عليهم وأخرجت بعضهم من البيت ورفعته وأهلكته.

*** الأصل:**

٣ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من ظهرت عليه النعمة فليكثر ذكر «الحمد لله» ومن كثرت همومه فعليه بالاستغفار ومن ألحّ عليه الفقر فليكثر من قول: «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم» ينفي عنه الفقر، وقال: فقد النبي صلى الله عليه وآله رجلاً من الأنصار، فقال ما غيّبك عنّا؟ فقال: الفقر يارسول الله وطول السقم، فقال له**

رسول الله ﷺ ألا أُعلمك كلاماً إذا قلته ذهب عنك الفقر والسقم ؟

فقال: بلى يارسول الله، فقال: إذا أصبحت وأمسيت فقل: «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله [العليّ العظيم] توكّلت على الحيّ الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخّذ ولداً ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له وليّ من الذُّلّ وكبّره تكبيراً» فقال الرجل: فوالله ماقلته إلاّ ثلاثة أيّام حتى ذهب عنّي الفقر والسقم.(١)

*** الشرح :**

قوله (**من ظهرت عليه النعمة فليكثر ذكر الحمد الله**) وهو قيد للواصل وجذب لغير الحاصل مع ما فيه من الفضل المذكور في كتاب الدعاء (**ومن كثرت همومه فعليه بالاستغفار**) بأن يقول أستغفر الله أو أستغفر الله ربي وأتوب إليه وكلاهما مروي.

(**ومن ألح عليه الفقر فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم**) روي عن الباقر عليه السلام أن الحول هنا بمعنى التحول والانتقال، أي لا حول لنا عن المعاصي إلاّ بعون الله ولا قوة لنا على الطاعات إلاّ بتوفيقه، وفيه إظهار كمال الخضوع والمسكنة والحاجة إليه تعالى في طلب الخيرات ودفع المكاره ومعنى العلي العظيم أنه العلي عن الأشباه والأنداد الرفيع عن التشابه بالممكنات، العظيم المفتقر إليه كل من عداه المستحقر لديه كل من سواه.

(**توكلت على الحي الذي لا يموت**) أي توكلت على المدرك الدايم بلا زوال وفيه تفويض الأمور كلها إليه وإظهار العجز بأنه ليس له قدرة على تحصيل أمر من أموره ورمز لطيف بأنه يتوقع منه تعالى جلب النفع وسلب الفقر والسقم وساير المكاره عنه.

(**والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً**) تنزيه له تعالى عن الصاحبة والشهوة الحيوانية وردّ على اليهود والنصارى.

(**ولم يكن له شريكٌ في الملك**) فيه إقرار بالتوحيد وتنزيه له عن النقص.

(**ولم يكن له وليٌّ من الذلِّ**) أي ناصر مانع له من الذل لكونه عزيزاً على الإطلاق، أو لم يوال أحداً من أجل ذل به ليدفعه بموالاته.

(**وكبره تكبيراً**) أي قل هذا اللفظ بعينه ونقل عن بعض الأفاضل أنه قال قل الله أكبر الله أكبر، وهذا غريب.

٤ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن إسماعيل ابن

---

(١) الكافي: ٨ / ٧٩.

عبد الخالق قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأبي جعفر الأحول وأنا أسمع: **أتيت البصرة ؟** فقال: نعم قال: **كيف رأيت مسارعة النّاس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه ؟** قال والله إنّهم لقليلٌ ولقد فعلوا وإنّ ذلك لقليلٌ، فقال: **عليك بالأحداث فإنّهم أسرعُ إلى كلِّ خير،** ثم قال: **ما يقول أهل البصرة في هذه الآية، ﴿قل لا أسألكُم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾**[1] قلت: جعلت فداك إنّهم يقولون: إنّها لأقارب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **كذبوا إنّما نزلت فينا خاصّة في أهل البيت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء عليهم السلام**.[2]

*** الشرح :**

قوله (**فقال عليك بالأحداث**) أي ألزمهم في الدعاء إلى هذا الأمر والأحداث الشبان الذين لم يطعنوا في السن فإنهم أسرع إلى كل خير لرقة قلوبهم وصفاء أذهانهم في الجملة وعدم تمكن الجهل المركب في نفوسهم بعد كما تمكن في نفوس الشيوخ.

(**إنهم يقولون إنها لأقارب رسول الله صلى الله عليه وآله**) قد مرّ آنفاً أنّ جماعة منهم يقولون المراد بهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب كلهم وجماعة يقولون بنو هاشم وحدهم وجماعة يقولون قريش كلهم.

---

(١) سورة الشورى: ٢٣ . (٢) الكافي: ٨ / ٧٩ .

حديث أهل الشام

*** الأصل:**

٥ ـ عنه، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن داود، عن محمد بن عطيّة قال: جاء رجلٌ إلى أبي جعفر عليه السلام من أهل الشام من علمائهم فقال: يا أبا جعفر جئت أسألك عن مسألة قد أعيت عليّ أن أجد أحداً يفسّرها وقد سألت عنها ثلاثة أصناف من الناس فقال كلّ صنف منهم شيئاً غير الذي قال الصنف الآخر فقال له أبو جعفر عليه السلام: **ما ذاك؟** قال: فإني أسألك عن أوّل ما خلق الله من خلقه[1] فإنّ بعض من سألته قال: القدر وقال بعضهم: القلم وقال بعضهم الرُّوح فقال أبو جعفر عليه السلام: **ما قالوا شيئاً، أُخبرك أنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره. وكان عزيزاً ولا أحد كان قبل عزّه وذلك قوله ﴿سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون﴾[2] وكان الخالق قبل المخلوق ولو كان أوّل ما خلق من خلقه الشيء من الشيء إذاً لم يكن له انقطاع أبداً ولم يزل الله إذاً ومعه شيءٌ**

---

(١) قوله «عن أول ما خلق الله من خلقه» المستفاد من جواب الإمام المعصوم العالم بأدواء النفوس وعلاجها والمطلع على أسرار الضمائر وكوامن القلوب أنّ هذا السائل كان مبتلى كساير العوام بالعجز عن بيان ما يختلج بباله من الإشكال وأن أصل اضطراب قلبه وتردده في كيفية خلق الأشياء المادية من العدم والراسخ في ذهنه أن كل مصنوع لابدّ أن يصنع من مادة سابقة عليه فسأل عن المادة الأولى التي خلق كل شيء منها، وكان الجواب الذي سمعه ممن سمعه غير مقنع له إذ لا معنى لكون المصنوعات جميعاً مخلوقة من القضاء والقدر ولا من القلم ولا من الروح إذ لا يكون شيء من هذه الأمور مادة لصنع الأشياء، ولم يكن سؤاله عن العلل الفاعلية بل عن العلل المادية التي لابدّ أن تكون مقدمة على صنعة الصانع على ما كان يراه من عمل أمثال النجار والبناء حيث يعملون ما يعملون في الخشب والطين والحجر فابتدأ عليه السلام بإزالة وهمه وبيّن أن الله تعالى لا يجوز أن يصنع الأشياء من شيء موجود قبله أو معه وإنما يحتاج إلى المواد، الفاعل الصانع البشري والله تعالى هو خالق المواد ولو كان إيجاد كل مصنوع متوقفاً على شيء سابق عليه وذلك على شيء آخر وهكذا ذهب الأمر إلى غير النهاية ووجب إثبات شيء غير مخلوق مع الله أزلي بأزليته والإمام عليه السلام رأى أنه لم يبدأ بإزالة وهمه هذا واكتفى بأن المخلوق الأول هو الماء لسأل السائل عن الماء مم خلق فإن قيل خلق من جوهرة خضراء لسأل السائل ممّ خلق الجوهرة الخضراء وهكذا ثم أجاب بما أجاب.

ومراده عليه السلام من تضعيف قول من قال إنّ أول ما خلق الله الروح أو القلم أو القدر أنه لم يقع موقعه من السؤال وإلاّ فجميع هذه أيضاً مروية وقد سبق في أول الكتاب أنّ أول ما خلق الله العقل وروي أنّ أول ما خلق نور رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن لم يكن سؤال السائل إلاّ عن المادة الأولى للأجسام وكم من كلام صحيح لا يمكن أن يقع جواب سائل، مثل قوله ﴿قل هو الله أحد﴾ في جواب من سأل عن نصاب الزكاة. (ش).

(٢) سورة الصافات: ١٨٠.

ليس هو يتقدّمه ولكنّه كان إذ لا شيء غيره وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء الذي خلق الأشياء منه فجعل نسب كلّ شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه وخلق الرّيح من الماء ثمّ سلّط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتّى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور فخلق من ذلك الزّبد أرضاً بيضاء نقيّة ليس فيها صدع ولا نقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة، ثمّ طواها فوضعها فوق الماء، ثمّ خلق الله النار من الماء فشققت النار متن الماء حتّى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور فخلق من ذلك الدُّخان سماء صافية نقّية ليس فيها صدع ولا نقب وذلك قوله: ﴿والسماء بناها * رفع سمكها فسوّيها * وأغطش ليلها وأخرج ضحيٰها﴾[١].

قال: ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب، ثمّ طواها فوضعها فوق الأرض ثمّ نسب الخليقتين فرفع السماء قبل الأرض فذلك قوله عزّ ذكره: ﴿والأرض بعد ذلك دحيها﴾[٢] يقول: بسطها، فقال له الشامي: يا أبا جعفر قول الله تعالى: **﴿أولم ير الذين كفروا أنّ السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾[٣]** فقال له أبو جعفر عليه السلام: **فلعلك تزعم أنّهما كانتا رتقاً ملتزقتين ملتصقتين ففتقت إحداهما من الأخرى ؟** فقال: نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: **استغفر ربّك فإن قول الله جلّ وعزّ: ﴿كانتا رتقاً﴾ يقول كانت السماء رتقاً لا تنزل المطر وكانت الأرض رتقاً لا تنبت الحبّ فلمّا خلق الله تبارك وتعالى الخلق وبثّ فيها من كلّ دابّة فتق السماء بالمطر والأرض بنبات الحبّ،** فقال الشاميُّ: أشهد أنّك من ولد الأنبياء وأنّ علمك من علمهم.[٤]

* **الشرح :**

(حديث أهل الشام عنه عن أحمد بن محمد) في مرجع الضمير خفاء وعوده إلى محمد بن يحيى خلاف المتعارف وكأنه يعود إلى أحمد بن محمد بن عيسى ويكون المراد بأحمد بن محمد أبو جعفر البرقي (قد أعيت عليّ أن أجد) أعيته أعجزته ووصف المسألة بالإعياء من جهة إشكالها وعسر جوابها.

(وقد سألت عنها ثلاثة أصناف) لعل المراد بهم أهل الإسلام والحكماء والمتكلمون أو أهل الإسلام واليهود والنصارى.

(فإني أسألك عن أول ما خلق الله من خلقه) رده عليه السلام الأجوبة المذكورة بقوله ما قالوا شيئاً

---

(١) سورة النازعات: ٤٦ . (٢) سورة النازعات : ٣٠. (٣) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٤) الكافي: ٨ / ٨٠.

أخبرك إلى آخره دلّ على أن «من» ابتدائية وأن مراد السايل بخلقه المثال أو المهية النوعية القديمة أو المادة القديمة الأزلية وقد ذهب إلى الأول من قال أنه تعالى لم يخلق إلاّ باحتذاء مثال، وإلى الثاني من قال إن الأشياء محدثة بعضها من بعض على سبيل التعاقب والتسلسل مع قدم النوع وإلى الثالث من قال إن خلق الأشياء من أصل قديم، وقد مرّ بطلان هذه الأقوال في باب جوامع التوحيد وغيره وأوضحناه هناك.

(فإن بعض من سألته قال: القدر، وقال بعضهم: القلم وقال بعضهم: الروح) القدر عبارة عما قضاه الله تعالى وحكم به من الأمور وقد يراد به تقدير الأشياء والقلم يُطلق تارة على كلما يكتسب به وتارة على ماكتب به اللوح المحفوظ وهو المراد هنا، قال بعض العامة: أوّل ما خلقه الله القلم ثم النون وهو الدواة ثم قال اكتب ما هو كاين وماكان إلى يوم القيامة ثم ختم على القلم فلا ينطق إلى يوم القيامة، واختلفوا في المأمور بالكتابة فقيل: هو صاحب القلم بعد خلقه، وقيل: القلم نفسه لإجرائه مجرى أولي العلم وإقامته مقامه، وأشار القاضي أيضاً إلى هذين الوجهين في تفسير قوله تعالى **﴿ن والقلمِ وما يسطرون﴾**(١) والروح ما يقوم به الجسد وتكون به الحياة وقد يطلق على القرآن وعلى جبرئيل عليه السلام إذا عرفت هذا أقول لعل القائل الأول نظر إلى أن القضاء والتقدير مقدم على وجودات الأشياء فحكم بأنه الأول، والقائل الثالث نظر إلى أن الروح أشرف الأشياء ويتوقف عليه الكتابة في اللوح فحكم بأنه الأول، والكل معترف بأن ما ذهبوا إليه نشأ من مثال سابق وهذا باطل.

(فقال أبو جعفر عليه السلام ما قالوا شيئاً) لأنهم أخطأوا في تعيين الأول وتسليم قول السايل بأن الأول مخلوق من شيء أما الأول فلأنّ الثلاثة المذكورة متوقفة على العزم المتوقف على الإرادة كما مرّ في كتاب التوحيد وأمّا الثاني فلما أشار إليه عليه السلام بقوله **(أخبرك أن الله تبارك وتعالى كان)** في الأزل **(ولا غيره شيء وكان عزيزاً)** غالباً على جميع الأشياء **(ولا أحد كان قبل عزه)** فلو كان أول ما خلقه من أصل قديم فإن كان ذلك الأصل منه تعالى لزم أن يكون معه شيء وإن كان من غيره لزم أن يكون قبل عزه أحد أعز منه وهو تعالى يتبع أثره وكلاهما باطل وذلك قوله **﴿سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون﴾**(٢) إضافة الرب إلى العزة المطلقة تفيد اختصاصها به وعدم حصولها لغيره، وتنزيهه عن كل وصف لا يليق به يفيد ثبوت كل كمال له وسلب كل نقص عنه تعالى، وكل واحد منهما يستلزم توحيده وعدم مشاركة الغير معه في القدم والعزة المطلقة.

---

(١) سورة القلم: ١. (٢) سورة الصافات: ١٨٠.

(وكان الخالق قبل المخلوق) قبلية زمانية متوهمة وإلاّ لزمت المشاركة المذكورة الموجبة للنقص وفيه تنبيه على أنه أنشأ الخلق على سبيل القدرة والاختيار لا على سبيل الإيجاب والاضطرار لأنه قديم وخلقه حادث وصدور الحادث عن القديم إنما يتصور بطريق القدرة والاختيار دون الإيجاب والاضطرار وإلاّ لزم تخلف المعلول عن تمام علته حيث وجدت العلة في الأزل دون المعلول.

وبعد تمهيد هذه المقدمات الحقة أشار إلى جواب السايل بقوله: **(ولو كان أول ما خلق الله من خلقه الشيء من الشيء)** المتوقف عليه خلق ذلك الشيء **(إذا لم يكن له انقطاع أبداً)** إذ يعود الكلام إلى الشيء الأول فيحتاج هو أيضاً إلى مثال متقدم **(ولم يزل الله إذاً ومعه شيء ليس هو يتقدمه)** سواء كان ذلك الشيء من صنعه أو من صنع غيره وإن كان المفروض هو الأول لعدم القائل بالثاني والتالي باطل كما أشار إليه بقوله **(ولكنه كان إذ لا شيء غيره)** تحقيقاً لمعنى القدرة والإختيار ورفعاً لمعنى النقص والإيجاب والاضطرار ثم بين أن الأول في عالم الخلق وهو عالم الجسم والجسمانيات خلق من باب الإختراع لا من شيء سابق ومثال متقدم وإذا ثبت ذلك ثبت أن الأول في عالم الأمر وهو عالم الروح والروحانيات خلق كذلك لأن الصانع إذا كان قادراً مختاراً عالماً بوجوه المصالح يحيل الأشياء إلى أوقاتها باختياره ويوجد كلاً في وقته من غير حاجة إلى شيء سابق ومثال متقدم فقال **(وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه)** في عالم الأجسام.

(وهو الماء الذي خلق الأشياء منه فجعل نسب كل شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسباً يُضاف إليه).

هذا وغيره من الروايات صريح في أن الماء أول صنع في عالم الخلق وأنه لم يخلق من شيء فبطل ما ذهب إليه علماء العامة مثل القرطبي وغيره ونطقت به رواياتهم من أن الأول جوهرة أو ياقوتة خضراء فنظر إليها الجبار بالهيبة فانذابت وصارت ماء وتسخنت فارتفع منه دخان وزبد فخلق من الدخان السماء ومن الزبد الأرض، لا يُقال الماء محتاج إلى المكان فكيف يكون هو الأول لأنا نقول المكان عدمي وهو البعد الموهوم كما صرّح به بعض المحققين ثم حصل له تميز عن مطلق الموهومات وتعين بسبب خلق الماء فكان تميزه تعينه تابعاً لخلق الماء، وبما ذكرنا في أول هذا الحديث ظهر أنه لا ينافي ما مر في كتاب الأصول في باب مولد النبي ﷺ عن أبي عبد الله عليه السلام قال «**قال الله تعالى يا محمد إني خلقتك وعلياً نوراً** (يعني روحاً) **بلا بدن قبل أن أخلق سمواتي وأرضي وعرشي وبحري فلم تزل تهللني وتمجدني** ـ الحديث» ما روي عنه ﷺ قال «**أول ما خلق الله روحي**» وعنه أيضاً «**أول ما خلق الله العقل**» ولا منافاة بين هذه الروايات لأن هذه الثلاثة

متحدة بالذات مختلفة بالحيثيات إذ هذا المخلوق الأول من حيث إنه ظاهر بذاته ومظهر لظهوره[١] وجودات غيره وفيضان الكمالات من المبدأ عليها سمي نوراً، ومن حيث إنه حي وبسببه حياة كل موجود سمي روحاً، ومن حيث إنه عاقل لذاته وصفاته وذوات سائر الموجودات وصفاتها سمي عقلا، نعم هذه الروايات ظاهراً تنافي ما روي «أن أول ما خلق الله القلم» ويمكن أن يُقال القلم أيضاً عبارة عمّا ذكره من حيث أن نقوش العلوم والكائنات في اللوح المحفوظ بتوسطه فهو بهذا الاعتبار سمي قلماً فالمعنى في الجميع واحدٌ والعبارات مختلفة وهذا التوجيه مذكور في

---

(١) قوله «من حيث أنه ظاهر بذاته ومظهر لظهوره» كلام دقيق مبني على أصول عقلية ونقلية وحاصله أن أول صادر من الواجب تعالى في السلسلة الطولية أعني العلل والمعلولات أشرف المخلوقات مطلقاً لكونه أقرب إلى الواجب تعالى وليس إلاّ روح خاتم الأنبياء ﷺ وهو نور لتحقق معناه فيه وكونه ظاهراً بذاته ومظهراً لغيره وهو عقل لتقدم العقل على الجسم في مذهب الالهيين بخلاف الماديين فإن العقل عندهم فرع الجسم إذ ليس الإدراك والشعور عندهم إلاّ عرضاً من عوارض المادة وتركيب العناصر فلابدّ عندهم من وجود الجمادات مقدماً على العقل ولولا تركيب الأبدان ووجود الدماغ لم يكن فكر ولا عقل عندهم وأما عند الالهيين فالموجودات العاقلة مستقلة عن الجسم قائمة بذاتها والجسم مركب محتاج إلى موجود عاقل غير جسماني يحفظ أجزاءه ويقيمها كما ثبت في محله، وأما كون الماء أول المخلوقات فالمراد منه أول موجود جسماني لا أول الموجودات مطلقاً كما علم مما مرَّ، واعلم أن الإمام عليه السلام جرى هاهنا على اصطلاح الناس في ذلك العصر فإن العناصر عندهم كانت منحصرة في أربعة: الماء والهواء أي الريح، والنار، والأرض وبيّن عليه السلام أن الأصل هو الماء والثلاثة الأخرى مولدة منه وهو رأي ثاليس الملطي من قدماء اليونانيين وقال بعضهم: إن الأصل هو الهواء وبعض أنه النار وبعض أنه الأرض، ومقتضى كلام غيرهم أنّ العناصر الأربعة كل أصل بنفسه لم يكن أحد منها مشتقاً من الآخر لمناسبات واستحسانات رأوها أحسن ولم يدع أحد منهم الظفر بما يوجب اليقين وسلكوا في عددها مسلك الفقهاء حيث ينفون ما لم يثبت دليل على وجوده بأصالة العدم واستصحاب العدم الأزلي مثلاً قالوا لم يتبين لنا كون الماء مركباً من عناصر مختلفة فالأصل عدمها فيكون الماء عنصراً بسيطاً ولم يتبين لنا وجود عنصر بسيط غير الأربعة فالأصل عدم بسيط غيرها وكذلك في زماننا يعدون عناصر كثيرة لم يظهر لهم تركيبها فالتزموا ببساطتها وعددها نحو من مائة عنصر كلما ظفروا بعنصر جديد زادوه عليها ولا فائدة دينية في تحقيق ذلك وتشخيصها إلاّ أن يعلم بوجه كلي أن كل شيء إنما يوجد بتأثير مشيئة الله وقدرته وكون العنصر الأصلي أوسط في القوام أظهر في العقل لأن الجامد كالأرض لا يسهل تشكله بالصور المختلفة والفلزات لا يصنع إلاّ بعد الذوب والريح مايلة إلى الحركة والتفرق ولا يقبل التشكل والضبط، والأولى بقبول التغير وحفظ الشكل في الجملة هو المايع، وهذا المقدار يكفي في تصور تغيير الأشياء من صورة إلى صورة وليس المقام لتحقيق الأمور الطبيعية حتى يحتاج إلى تفصيل أكثر، والإنسان مفطور على إرجاع الكثرات إلى الواحد ليكون أول صادر من الواجب واحداً كما قالوا: الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد يعني في المرة الأولى، لذلك اطمأن السائل لما سمع من الإمام إرجاع كل المواليد إلى واحد هو الماء (ش).

كتاب معارج النبوة وكتاب شواهد النبوة.

(وخلق الريح من الماء) لتحركه حركة عنيفة واضطرابه اضطراباً شديداً فحدثت منه الريح.

(ثم سلط الريح على الماء) فحركت ذلك الماء وأثارت أمواجاً كأمواج البحار **(فشققت الريح متن الماء)** وحركته تحريكاً كتحريك مافي القربة والسقاء حتى جعلت أسفله أعلاه وأعلاه أسفله **(حتى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور)** واقتضت الحكمة في كمية الأرض وإيجادها على الحجم والبسط المعروفين **(فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ليس فيها صدع)** أي شق **(ولا نقب)** بالنون وفي بعض النسخ بالثاء المثلثة **(ولا صعود ولا هبوط)** الصعود بالفتح العقبة، والهبوط بالفتح الخدود **(ولا شجرة)** أراد بالشجرة مطلق النباتات وإنما حدثت هذه الأشياء بعد ذلك بالإرادة والأسباب المقتضية لها.

(ثم طواها فوضعها فوق الماء) تحت الكعبة كما دل عليه بعض الروايات.

(ثم خلق الله النار من الماء) لا يبعد من القدرة القاهرة أن تحدث النار من حركات الماء وصدماته كما يحدث البرق من صدمات السحاب الماطر عند بعض، وكما تحدث من الشجر الأخضر قال الله تعالى **﴿الذي جعل لكُم من الشجرِ الأخضرِ ناراً فإذا أنتُم منهُ توقدون﴾**(١) فمن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها كان قادراً على إحداث النار من الماء فلا تنظر إلى من استبعد ذلك وقال لا نار هنالك.

(فشققت النار متن الماء) وسخنته تسخيناً شديداً حتى ثار من الماء دخان وارتفع في جو متوهم وخلاء متسع ارتفاعاً تقتضيه الحكمة البالغة **(على قدر ما شاء الله أن يثور)** ويصلح لخلق السماوات من غير زيادة ونقصان **(فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية)** وبسط ذلك الدخان بسطاً مخصوصاً وركبه تركيباً معلوماً وضم إليه الجزء الصوري الحافظ لذلك التركيب إلى ماشاء الله.

(ليس فيها صدع ولا نقب) بالنون أو الثاء المثلثة واعلم أن ظاهر هذا الحديث والذي يأتي بعده وظاهر قوله تعالى **﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾**(٢) ناطق بأن السماء مخلوقة من دخان وأن المراد بالنار والدخان معناهما الحقيقي وقيل المراد بالدخان هنا البخار المتصاعد عن وجه الماء الحادث بسبب حركته بتحريك الريح له وليس محمولاً على حقيقته لأنه إنما يكون عن النار ولا نار هنالك وإنما سمي البخار دخاناً من باب الاستعارة للتشابه بينهما في الصورة لأنّ البخار أجزاء مائية خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما أن الدخان أجزاء مائية انفصلت عن جرم

---

(١) سورة يس: ٨٠. (٢) سورة فصلت: ١١.

المحترق بسبب لطافتها عن حرارة النار وذلك قوله:

﴿والسماء بناها * رفع سمكها﴾[١] أي رفع سقفها عن الأرض على قدر تقتضيه الحكمة وقد ذكر الصادق عليه السلام بعض تلك الحكمة في توحيد المفضل.

(فسوّيها) تسوية موجبة لكمالها من غير نقص فيها.

(وأغطش ليلها) أي أظلمه (وأخرج ضحيٰها) أي ضوءها وهو النهار وإنما أضافهما إليها لأنهما يحدثان بحركتها.

(قال ولا شمس ولا نجوم ولا سحاب) حين خلق السماء من الدخان وإنما حدثت هذه الأشياء بعده لمصالح الخلق ومنافعهم.

(ثم طواها ووضعها فوق الأرض) على مقدار من الارتفاع المحسوس ثم نسب الخليقتين أي جاء بواحدة منهما في أثر الآخر **(فرفع السماء قبل الأرض)** أي رفعها بالبسط المعلوم قبل بسط الأرض **(فذلك قوله عز ذكره ﴿والأرض بعد ذلك دحيها﴾ يقول بسطها)** على قدر معلوم لتكون مهداً للإنسان ومرعى للحيوان.

واعلم أنّ ظاهر هذا الخبر وغيره وظاهر القرآن لما دل على كون الماء أصلاً تكونت منه السماوات والأرض، وثبت أن الترتيب المذكور أمر ممكن في نفسه، وثبت أن الباري تعالى فاعل مختار قادر على جميع الممكنات، ثم لم يقم دليل عقلي يمنع من إجراء هذه الظواهر على ما دلت عليه بظاهرها وجب علينا القول بمقتضاها ولا حاجة بنا إلى التأويل الذي ذكره بعض الناس ونحن تركناه لطوله ولا يضرنا ما ذهب إليه الحكماء من تأخر وجود العناصر عن وجود السماوات لأنّ أدلتهم مدخولة.

(فقال الشامي يا أبا جعفر قول الله تعالى ﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات كانتا رتقاً﴾)[٢] أي ذات رتق أو مرتوقتين **﴿ففتقناهما﴾** الرتق ضد الفتق وهو الشق، فالرتق الضم والالتحام، والمراد بالرؤية الرؤية القلبية وهي العلم، والكفرة وإن لم يعلموا ذلك لكنهم كانوا متمكنين من العلم به نظراً ومن الاستدلال به على وجود الصانع.

(فقال أبو جعفر عليه السلام فلعلك تزعم أنهما كانتا رتقاً ملتزقتان ملتصقتان إحداهما من الأخرى[٣] **فقال نعم)** فسّره بذلك بعض مفسري العامة وقال بعضهم كانت الأفلاك واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكاً وكانت الأرضون واحدة ففتقت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات

---

(١) سورة النازعات: ٢٧. (٢) سورة الأنبياء: ٣٠. (٣) كذا.

وأقاليم.

(**فقال أبو جعفر ﷺ استغفر ربك**) هذا صريح في أن ما زعمه ليس بمراد من الآية، فإن قول الله عز وجل ﴿**كانتا رتقاً**﴾.. إلى آخره بذلك فسره أيضاً بعض المفسرين قال القاضي فيكون المراد بالسماوات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق أو السماوات بأسرها على أن لها مدخلاً ما في الأمطار.

(**فقال الشامي أشهد أنّك من ولد الأنبياء وأن علمك من علمهم**) الظاهر أنه آمن به والقول بأن لفظ الشهادة ليس نصاً في الإيمان حتى يعتقد ويستسلم وليس ذلك بمعلوم، بعيد.

* **الأصل**:

٦ ـ محمدٌ، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم والحجّال، عن العلاء، عن محمد بن مسلم قال: قال لي أبو جعفر ﷺ: **كان كلّ شيء ماء وكان عرشه على الماء فأمر الله عزّ ذكره الماء فاضطرم ناراً ثمّ أمر النّار فخمدت فارتفع من خمودها دخانٌ فخلق الله السماوات من ذلك الدُّخان وخلق الأرض من الرّماد ثم اختصم الماء والنار والرّيح فقال الماء: أنا جند الله الأكبر، وقالت الريح: أنا جند الله الأكبر، وقالت النّار: أنا جند الله الأكبر، فأوحى الله عزّ وجل إلى الريح: أنت جندي الأكبر**[1].

* **الشرح**:

قوله (**كان كل شيءٍ ماء**) أي نسب كلّ شيءٍ إلى الماء وليس للماء نسب يضاف إليه لأنه أول حادث من أجرام هذا العالم (**وكان عرشه على الماء**) قيل كان فوقه لا على أن يكون موضوعاً على متنه واستدل به على إمكان الخلاء، وقال ابن عباس «فوقه» وقوله يحتمل الأمرين وقال الأبى في كتاب إكمال الإكمال أقوال المفسرين فيه كثيرة والله أعلم بحقيقة ذلك، والمقطوع به أنه سبحانه وتعالى قديم بصفاته ليس بجسم وجسماني ولا أول لوجوده وكان ولا شيء معه انتهى.

أقول يحتمل أن يُراد بالعرش هنا العلم وقد جاء تفسيره به في كثير من الأخبار وكان علمه المتعلق بالموجود من الأجرام على الماء فقط إذ لم يكن غيره موجوداً والله يعلم.

(**فأمر الله عز وجل الماء فاضطرم ناراً**) اضطرمت النار اشتعلت وأضرمها أوقدها فاضطرمت أي توقدت واشتعلت.

(**وخلق الأرض من الرماد**) هذا لا ينافي ما مرَّ من أنها خلقت من زبد الماء لأنّ الرماد زبد سمي

---

(١) الكافي: ٨ / ٨١.

رماداً باعتبار أنه بقي بعد تأثير النار فيه وخروج أجزاء مائيته وتصاعدها من تأثير النار.

(فأوحى الله إلى الريح أنت جندي الأكبر) كل ناصر لدين الله وغالب على عدوه ونافع لخلقه فهو جند لله كما قال عز وجل **﴿ولله جنود السماوات والأرض﴾**(١) وقال **﴿وأيّده بجنودٍ لم تروها﴾**(٢) أيده بالملائكة والريح فهزموا الأحزاب وقال **﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾**(٣) ومن البين أن الأكبرية باعتبار القوة والغلبة والضر والنفع وأنّ لكل واحد من الماء والنار والريح هذه الأوصاف إلّا أنها في الريح أقوى وأشد من الماء والنار إذ طبعهما لا يقتضي إلاّ أمراً واحداً بخلاف الريح فإنها مع اتحاد جوهرها مصدر لآثار مختلفة كإيقاد النار وإخمادها وإثارة السحاب وجمعها وتفريقها وتنقية الحبوب وتزويج النفوس وتلقيح الأزهار وتربية الثمار وتلطيف الأهوية وتكثيفها وتحريك السفن وتسكينها بالإحاطة عليها وسرعة السير إلى جهات مختلفة وقوة الحركة إلى أمكنة متباعدة إلى غير ذلك من خصالها التي لا تحصى ويكفي في ذلك أنه انفتحت السماء بماء منهمر وانفجرت العيون وجرت المياه من كل جانب لإهلاك قوم نوح وخرجت الريح على مقدار حلقة خاتم أو خرقة أبرة لإهلاك قوم عاد ولو خرجت على مقدار منخر ثور لأهلكت البلاد كلها.

---

(١) سورة الفتح : ٧ . (٢) سورة التوبة : ٤٠ . (٣) سورة الصافات : ١٧٣.

حديث الجنان والنوق

*** الأصل :**

٧ - عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن محمد بن إسحاق المدني عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عن قول الله عز وجل **﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾**(١) فقال: **ياعليُّ إنّ الوفد لا يكونون إلاّ ركباناً أُولئك رجالٌ اتّقوا الله فأحبّهم الله واختصهم ورضي أعمالهم فسمّاهم المتقين، ثمّ قال له: ياعليُّ أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّهم ليخرجون من قبورهم وإنّ الملائكة لتستقبلهم بنوق من نوق العزِّ عليها رحال الذّهب مكلّلة بالدُّرّ والياقوت وجلائلها الاستبرق والسندس وخطمها جدل الأرجوان، تطير بهم إلى المحشر مع كلِّ رجل منهم ألف ملك من قدّامه وعن يمينه وعن شماله يزفّونهم زفّاً حتّى ينتهوا بهم إلى باب الجنّة الأعظم وعلى باب الجنّة شجرة إنّ الورقة منها ليستظلُّ تحتها ألف رجل من الناس وعن يمين الشجرة عين مطهّرة مزكيّة. قال: فيسقون منها شربة فيطهّر الله بها قلوبهم من الحسد ويسقط من أبشارهم الشعر وذلك قول الله عزّ وجل: ﴿وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً﴾(٢) من تلك العين المطهرة.**

قال: **ثمّ ينصرفون إلى عين أُخرى عن يسار الشجرة فيغتسلون فيها وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً، ثمّ يوقف بهم قدّام العرش وقد سلموا من الآفات والأسقام والحرّ والبرد أبداً، قال: فيقول الجبّار جلّ ذكره للملائكة الذين معهم احشروا أوليائى إلى الجنة ولا توقفوهم مع الخلائق فقد سبق رضاي عنهم ووجبت رحمتي لهم وكيف أُريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات والسّيئات، قال: فتسوقهم الملائكة إلى الجنّة، فإذا انتهوا بهم إلى باب الجنّة الأعظم ضرب الملائكة الحلقة ضربة فتصرّ صريراً يبلغ صوت صريرها كلّ حوراء أعدّها الله عزّ وجل لأوليائه في الجنان فيتباشرون بهم إذا سمعوا صرير الحلقة فيقول بعضهنّ لبعض: قد جاءنا أولياء الله. فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنّة وتشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميين فيقلن: مرحباً بكُم فما كان أشدّ شوقنا إليكم ويقول لهنّ أولياء الله مثل ذلك .**

فقال عليّ عليه السلام: **يارسول الله أخبرنا عن قول الله جلّ وعزّ: ﴿غرفٌ من فوقها غرف مبنية﴾**(٣)

---

(١) سورة مريم : ٨٥. (٢) سورة الإنسان : ٢١ . (٣) سورة الزمر: ٢٠

بماذا بنيت يارسول الله؟ فقال: ياعليّ تلك غرف بناها الله عزّ وجل لأوليائه بـالدرّ واليـاقوت والزّبرجد، سقوفها الذّهب محبوكة بالفضّة، لكلّ غرفة منها ألف باب من ذهب، على كلّ باب منها ملكٌ موكّل به فيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحـرير والدّيـباج بألوان مـختلفة وحشوها المسك والكافور والعنبر وذلك قول الله عزّ وجـلّ ﴿وفـرشٌ مـرفوعة﴾[1] إذا اُدخـل المؤمن إلى منازله في الجنّة، وضع على رأسه تاج الملك والكرامة واُلبس حلل الذّهب والفضّة والياقوت والدرّ المنظوم في الأكاليل تحت التاج. قال: واُلبس سبعين حلّة حرير بألوان مختلفة وضروب مختلفة منسوجة بالذّهب والفضّة واللّؤلؤ والياقوت الأحمر فـذلك قـوله عـزّ وجـلّ ﴿يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾[2].

فإذا جلس المؤمن على سريره اهتزّ سريره فرحاً فإذا استقر لوليّ الله جلّ وعزّ مـنازله فـي الجنان استأذن عليه الملك الموكّل بجنانه ليهنّئه بكرامة الله عزّ وجلّ إياه فيقول له خدّام المؤمن من الوصفاء والوصائف: مكانك فإنّ وليّ الله قد اتّكأ على أريكته وزوجته الحوراء تهيّأ له فاصبر لولي الله.

قال: فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمة لها تمشي مقبلة وحولها وصائفها وعليها سبعون حلّة منسوجة بالياقوت واللّؤلؤ والزّبرجد وهي من مسك وعنبر وعلى رأسها تاج الكرامة وعليها نعلان من ذهب مكلّلتان بالياقوت واللّؤلؤ، شراكهما ياقوت أحمر، فإذا دنت من وليّ الله فهمّ أن يقوم إليها شوقاً فتقول له: ياوليّ الله ليس هذا يوم تعب ولا نصب فلا تقم أنا لك وأنت لي.

قال: فيعتنقان مقدار خمسمائة عام من أعوام الدّنيا لا يملّها ولا تملّه، قال: فإذا فتر بـعض الفتور من غير ملالة نظر إلى عنقها فإذا عليها قلائد من قصب من ياقوت أحمر وسـطها لوح صفحته درّة مكتوب فيها: أنت ياولي الله حبيبي وأنا الحوراء حبيبتك، إليك تناهت نفسي وإليّ تناهت نفسك، ثمّ يبعث الله إليه ألف ملك يهنّئونه بالجنّة ويزوّجونه بالحوراء.

قال: فينتهون إلى أوّل باب من جنانه فيقولون للملك الموكّل بأبواب جنانه استأذن لنا على وليّ الله فإنّ الله بعثنا إليه نهنّئه، فيقول لهم الملك: حتّى أقول للحاجب فيعلمه بمكانكم. قـال: فيدخل الملك إلى الحاجب وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان حتّى ينتهي إلى أوّل باب فيقول للحاجب: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربُّ العالمين تبارك وتعالى ليهنّئوا وليّ الله وقد سألوني أن آذن لهم عليه فيقول الحاجب إنّه ليعظم عليّ أن أستأذن لأحد على وليّ الله وهو مع

---

(١) سورة الواقعة: ٣٤. (٢) سورة الكهف: ٣١.

زوجته الحوراء قال: وبين الحاجب وبين وليّ الله جنّتان.

قال: فيدخل الحاجب إلى القيّم فيقول له: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربُّ العزة يهنئون وليّ الله فاستأذن لهم فيتقدّم القيّم إلى الخدّام فيقول لهم: إنّ رسل الجبّار على باب العرصة وهم ألف ملك أرسلهم الله يهنّئون وليّ الله فأعلموه بمكانهم قال: فيعلمونه فيؤذن للملائكة فيدخلون على ولي الله وهو في الغرفة ولها ألف باب وعلى كلّ باب من أبوابها ملكٌ موكّل به فإذا أذن للملائكة بالدخول على ولي الله فتح كلُّ ملك بابه الموكّل به قال: فيدخل القيّم كل ملك من باب من أبواب الغرفة قال: فيبلّغونه رسالة الجبّار عزّ وجلّ وذلك قول الله تعالى ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كلِّ باب (من أبواب الغرفة) سلامٌ عليكم..﴾ إلى آخر الآية قال: وذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿وإذا رأيت ثَمَ رأيت نعيماً ومُلكاً كبيراً﴾ يعني بذلك وليّ الله وما هو فيه من الكرامة والنعيم والملك العظيم الكبير، إن الملائكة من رسل الله عزّ ذكره يستأذنون [في الدخول] عليه فلا يدخلون عليه إلاّ بإذنه فلذلك الملك العظيم الكبير، قال: والأنهار تجري من تحت مساكنهم وذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ والثمار دانية منهم وهو قوله عزّ وجلّ:﴿ودانية عليهم ظلالها وذلّلت قطوفها تذليلاً﴾[1] من قربها منهم يتناول المؤمن من النوع الذي يشتهيه من الثمار بفيه وهو متكىء وإنّ الأنواع من الفاكهة ليقلن لوليّ الله: ياوليّ الله كلني قبل أن تأكل هذا قبلي.

قال: وليس من مؤمن في الجنة إلاّ وله جنان كثيرة معروشات وغير معروشات وأنهار من خمر وأنهار من ماء وأنهار من لبن وأنهار من عسل فإذا دعا وليٌّ بغذائه أُتي بما تشتهي نفسه عند طلبه الغذاء من غير أن يسمّي شهوته قال: ثمّ يتخلّى مع إخوانه ويزور بعضهم بعضاً ويتنعمون في حياتهم في ظلّ ممدود في مثل ما بين طلوع الشمس وأطيب مع ذلك لكلّ مؤمن سبعون زوجة حوراء، وأربع نسوة من الآدميين والمؤمن ساعة مع الحوراء وساعة مع الآدمية وساعة يخلو بنفسه على الأرائك متّكئاً، ينظر بعضهم إلى بعض، وإنّ المؤمن ليغشاه شعاع نور وهو على أريكته ويقول لخدّامه: ما هذا الشعاع اللامع ؟ لعلّ الجبّار لحظني، فيقول له خدّامه: قدّوس قدّوس جلّ جلال الله بل هذه حوراء من نسائك ممّن لم تدخل بها بعدُ رأتك متّكئاً على سريرك تبسّمت نحوك شوقاً إليك فالشعاع الذي رأيت والنّور الذي غشيك هو من بياض ثغرها، وصفائه ونقائه ورقّته.

---

(١) سورة الإنسان : ١٤ .

قال: فيقول وليّ الله: ائذنوا لها فتنزل إليّ فيبتدر إليها ألف وصيف وألف وصيفة يبشّرونها بذلك فتنزل إليه من خيمتها وعليها سبعون حلّة منسوجة بالذّهب والفضّة، مكلّلة بالدرّ والياقوت والزّبرجد صبغهنّ المسك والعنبر بألوان مختلفة، يرى مخّ ساقها من وراء سبعين حلّة طولها سبعون ذراعاً وعرض ما بين منكبيها عشرة أذرع فإذا دنت من وليّ الله أقبل الخدّام بصحائف الذّهب والفضّة فيها الدُّر والياقوت والزّبرجد فينثرونها عليها ثمّ يعانقها وتعانقه فلا يملّ ولا تملّ.

قال: ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: أما الجنان المذكورة في الكتاب فإنّهن جنّة عدن وجنّة الفردوس وجنّة نعيم وجنّة المأوى، قال: وإنّ لله عزّ وجلّ جناناً محفوفة بهذه الجنان وإنّ المؤمن ليكون له من الجنان ما أحبّ واشتهى، يتنعمّ فيهنّ كيف [يـ]شاء وإذا أراد المؤمن شيئاً أو اشتهى إنّما دعواه فيها إذا أراد أن يقول (سبحانك اللهمَّ) فإذا قالها تبادرت إليه الخدم بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم أو أمر به وذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهمّ وتحيّتهم فيها سلام﴾[1] يعني الخدّام. قال: ﴿وآخر دعواهم أن الحمدُ لله ربّ العالمين﴾[2] يعني بذلك عندما يقضون من لذّاتهم من الجماع والطعام والشراب. يحمدون الله عزّ وجلّ عند فراغهم وأمّا قوله: ﴿أولئك لهم رزقٌ معلومٌ﴾[3] قال: يعلمه الخدّام فيأتون به أولياء الله قبل أن يسألوهم إيّاه وأمّا قوله عزّ وجلّ: ﴿فواكه وهم مكرمون﴾ قال: فإنّهم لا يشتهون شيئاً في الجنّة إلاّ أكرموا به.[4]

* **الشرح:**

قوله (**حديث الجنان والنوق**) الجنان ككتاب جمع الجنة وهي الحديقة ذات النخل والشجر، ثم غلب إطلاقها على الجنة التي أعدت للمتقين، والنوق جمع الناقة.

(**يوم نحشر المتقين**) هم الذين حبسوا أنفسهم على الحق ورفضوا عنهم الميل إلى الباطل وطهروا ظاهرهم وباطنهم عن الرذائل.

(**إلى الرحمن وفداً**) جمع وافد أي وافدين عليه كما يفد الوافدون على الملوك الكرام منتظرين للإحسان والانعام، وإنما ذكر الرحمن هنا لأنه أنسب بالمقام لكونه مشعراً بصدور أنواع من الرحمة والإكرام.

(**إن الوفد لا يكونون إلاّ ركباناً**) الركبان جمع الراكب للبعير خاصة وقد يكون للخيل والركوب

(١) سورة ابراهيم: ٢٣. (٢) سورة يونس: ١٠. (٣) سورة الصافات: ٤١.
(٤) الكافي: ٨ / ٨٢.

معتبر في الوفد غزواً.

(واختصهم) اختصهم بالشيء أي خصهم به فاختصوا به لازم ومتعد، والمعنى خصهم بذاته المقدسة فاختصوا به وصرفوا وجوه قلوبهم إليه وعكفوا على مافيه رضاه بين يديه ورفضوا ما يشغلهم عنه بغيره **(بنوق من نوق العز عليها رحال الذهب)** إضافة النوق إلى العز لامية باعتبار أنها معدة لمن أراد الله تعالى عزته في ذلك اليوم، والرحال جمع رحل وهو مركب للبعير كالسرج للفرس.

(مكللة بالدر والياقوت) في الفايق: تكليلها أن يحوطها كالأكاليل للرأس ومنه جفنة مكللة وروضة مكللة.

(وجلايلها الاستبرق والسندس) جلائل جمع جلال جمع جل وهو بالضم والفتح ما تلبسه الدابة لتصان به، والسندس مارق من الديباج، والاستبرق ما غلظ منه معرب أو هو استفعل من البريق.

(وخطمها جدل الأرجوان) الخطم جمع الخطام كالكتب جمع الكتاب والجدل كالكتب جمع الجديل وهو الزمام المجدول أي المفتول للبعير، والأرجوان معرب أرغوان وهو شجر له نور أحمر وكل نور يشبهه فهو أرجوان، وقيل هذه الكلمة عربية والألف والنون زائدتان.

(يطير بهم إلى المحشر) شبّه سيرها بالطيران في السرعة ففيه استعارة تبعية مع احتمال إرادة الحقيقة.

(حتى ينتهوا بهم إلى باب الجنة الأعظم وعلى باب الجنة شجرة) لعل المراد إلى قريب من باب الجنة وعلى قرب منه شجرة فلا ينافي ما سيجيء من قوله **(فيسوقهم الملائكة إلى الجنة إذا انتهوا بهم إلى باب الجنة)** فليتأمل **(فيسقون منها شربة فيطهر الله بها قلوبهم من الحسد)** لئلا يحسد بعضهم بعضاً في درجات الجنة ويحتمل أن يُراد به الحسد الذي كان بينهم في الدنيا لأنّ الجنة لا يدخلها إلا طاهر من جميع الرذائل.

(ولا توقفوهم مع الخلائق) الظاهر أن الخلائق في المحشر للحساب لا في مقامهم فلعل المراد لا توقفوهم مع وقوف الخلائق انتظاراً لفراغتهم من الحساب.

(تصر صريراً) صر يصر صراً وصريراً صوت وصياح شديد.

(وتشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميين) أي تشرف عليهم من الغرف مِن «أشرف عليه» إذا اطلع من فوق أو ترفع عليهم أبصارهن للنظر إليهم أو تخرج من قولهم استشرفوك إذا خرجوا إلى لقائك، وفيه دلالة على أن النساء الصالحات يدخلن الجنة قبل الرجال الصالحين

(محبوكة بالفضة) الحبك الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب ونحوه، والتحبيك التوثيق والتخليط.

(فيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض) الظاهر أنه تفسير لمرفوعة ويحتمل أن يكون وصفاً آخر لفرش، وحينئذٍ يمكن أن يُراد بمرفوعة أنها رفيعة القدر كما قيل، وقيل: الفرش النساء وهي مرفوعة على الأرائك، وأيده بقوله تعالى **﴿إنّا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهنّ أبكاراً﴾**(١) وهذا القول على التفسير المذكور منقطع عن السابق لبيان وصف نساء أهل الجنة، ومرجع الضمير معلوم بحسب المقام مع إمكان الاتصال أيضاً بأن يُراد بقوله ﷺ **﴿بعضها فوق بعض﴾** أن كل واحدة عند الناظر أحسن من الأخرى للمبالغة في عدم وجود النقص فيهن، والله يعلم.

(والدر منظوم في الأكاليل تحت التاج) الأكاليل التاج وشبه عصابة تزين بالجوهر ولعل المراد به الثاني وإن أُريد به الأول كان المراد بتحت التاج حواشيه **﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾**(٢) من الأولى ابتدائية والثانية للبيان، وأساور جمع أسورة جمع سوار بكسر السين وضمها وهو حلي معروف.

(فإذا جلس المؤمن على سريره اهتز سريره فرحاً) بصعود المؤمن عليه وحمله وكل من خف لأمر وارتاح عنه فقد اهتز له.

(فيقول له خدام المؤمن من الوصفاء والوصائف مكانك) في النهاية: الوصيف العبد، والأمة وصيفة، وجمعهما وصائف ووصايف وفي القاموس: الوصيف الخادم والخادمة والجمع وصفاء كالوصيفة وجمع الجمع وصائف **(فإن ولي الله قد اتكأ على أريكته)** كهيئة المتنعم قال الله تعالى **﴿متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب﴾** أي الجنة ونعيمها **﴿وحسنت مرتفقاً﴾** أي حسنت الأرائك متكأ، والأريكة سرير مزين في قبة أو بيت والجمع أرائك **(وزوجته الحوراء تهنأ له فاصبر لولي الله)** تهنأ في بعض النسخ بالنون بعد الهاء من التهنية وفي بعضها بالياء بعدها من التهيئة، واعلم أنه لم يذكر الإذن في الدخول لهذا الملك العظيم الشأن ولا يبعد أن يكون إذنه عند إذن ألف ملك يأتي ذكرهم.

(قال فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمة لها) وجود الخيمة في الجنة ثبت من طرق العامة أيضاً ففي كتاب مسلم عن النبي ﷺ **«قال إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»** وفيه روايات

(١) سورة الواقعة : ٣٦.   (٢) سورة الكهف : ٣١ .

أخرى كلها بهذا المعنى، قال عياض: الخيمة بيت مستدير كبيوت الأعراب وإنما لا يرون لبعدها وطول أقطارها؛ وقال المازري إذا كان طولها في السماء ستين ميلاً فما ظنك بطولها وعرضها في الأرض إلاّ أن في الرواية الأخرى: وعرضها ستون ميلاً، فطولها وعرضها متساويان، انتهى.

(نظر إلى عنقها فإذا عليها قلايد من قصب من ياقوت أحمر) القصب محركة ما كان مستطيلاً من الجوهر.

(فيبلغونه رسالة الجبار) ذكر الجبار هنا لأنه أنسب لدلالته على أنه جبر نقائص الخلائق حتى بلغوا هذه المراتب.

(سلام عليكم) أي قايلين **﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾** فهو حال عن فاعل يدخلون والباء متعلق بعليكم أو بمحذوف، أي هذا بما صبرتم، والباء للسببية أو البدلية.

(وذلك قوله عز وجل) ذلك إشارة إلى ما ذكر من منازل المؤمن في الجنّة وحالاته فيها وإذن الملائكة المدخول عليه.

(وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً) قال القاضي ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لأنه عام والمعنى أن بصرك أينما وقع رأيت نعيماً **(وملكاً كبيراً)** واسعاً وفي الحديث **(إن لأهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه)**.

«وهو قوله عز وجل: **﴿ودانية عليهم ظلالها﴾**» لتوسطها بين غاية الارتفاع والانخفاض وهو دليل على دنو الأثمار وسهولة تناولها، وضمير التأنيث راجع إلى الجنة.

﴿وذللت قطوفها تذليلاً﴾ قطف العنب يقطفه جناه وقطفه، والقِطف بالكسر: العنقود، والجمع القطوف.

(يتناول المؤمن من النوع الذي يشتهيه من الثمار بفيه) حقيقة أو هو كناية عن نهاية قربها وكونها بحذاء الوجه وقد أجمع أهل الإسلام على أن أهل الجنة يتنعمون فيها كتنعمهم في الدنيا فيأكلون ويشربون ويتناكحون ولا يتغوطون ولا يبولون.

(وأن الأنواع من الفاكهة ليقلن لولي الله ياولي الله كلني قبل أن تأكل هذا قبلي) يمكن أن يكون ذلك القول بإيجاد النطق المعروف فيها وأن يكون بلسان الحال، ويفهم ذلك ولي الله بالإلهام.

(وليس من مؤمن في الجنة إلاّ وله جنان كثيرة معروشات وغير معروشات) قال القاضي جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الأرض **(ويتنعمون في جناتهم في ظل ممدود)** غير منقطع أبداً **(في مثل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس)** في اللطافة والرقة والاعتدال لا حار محم ولا بارد مؤذٍ، وهو قوله عز وجل **﴿لا يرون فيها**

شمساً ولا زمهريراً﴾، والظاهر أن «**ذلك**» في قوله «**وأطيب من ذلك**» إشارة إلى تفصيل ذلك الظل على ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وتعلقه بما بعده بعيد.

(لكل مؤمن سبعون زوجة حوراء وأربع نسوة من الآدميين) لعل هذا أقل المراتب لما رواه في الفقيه من أن لكل مؤمن ألف نسوة من الآدميين، وقبل فيه دلالة على أن صنف النساء في الجنة أكثر من صنف الرجال وأنه ينافي ما دل عليه بعض الأخبار من أن أكثر أهل النار النساء.

أقول: المنافاة إنما يتم لو ثبت أن عدد النساء مساو لعدد الرجال أو أنقص وأنه ممنوع لجواز أن يكون أزيد، ولو سلم فنقول أكثريتهن في الجملة لا يستلزم أكثريتهن دائماً لجواز الخروج من النار بالشفاعة ونحوها فيكون للمؤمن هذا العدد من الآدميين بعد الخروج لا ابتداء.

(ويقول لخدامه ما هذا الشعاع اللامع لعل الجبار لحظني) لحظه ولحظ إليه أي نظر إليه بمؤخر عينه واللحاظ بالفتح مؤخر العين وأمثال هذه الأفعال إذا نسبت إليه تعالى يراد بها المعاني المجازية المناسبة بها فيراد هنا التجلي كما تجلى لموسى على نبينا وعليه السلام فإن قلت قول الخدام قدوس قدوس جل جلال الله دل على أن المراد هنا هو المعنى الحقيقي لأنه الذي وجب تنزيهه عنه دون المعنى المجازي، قلت لا دلالة له على ذلك بل قالوا ذلك لأنهم لما سمعوا اسم الجبار جل شأنه نزهوه تنزيهاً وهذا كما يقول أحدنا يا الله فيقول الحاضرون: جل جلاله وعظم شأنه. نعم لفظة «له» يشعر بما ذكر، والأمر فيه ـ بعد وضوح المقصود ـ هين.

(فيقول له خدامه قدوس قدوس جل جلال الله) قيل يجوز في القاف الضم والفتح، ونقل المازري عن ثعلب أن كل اسم على (وزن) فعول فهو مفتوح الأول إلاّ سبوحاً وقدوساً فالضم فيهما أكثر، وهو مرفوع على الخبر أي هو قدوس، وبناؤه للمبالغة من التقديس، والمعنى أن الجبار ـ تعالى شأنه ـ مطهر منزّه عن صفات المخلوقين، وقد يقع منصوباً بإضمار فعل أي أقدسه قدوساً، وقال بعض الأفاضل إنه اسم بمعنى المقدس كما هو مذكور في الأسماء.

(هو من بياض ثغرها) الثغر الأسنان أو مقدمها أو ما دامت في منابتها.

(ثم يعانقها وتعانقه فلا يمل ولا تمل) مللته ومنه بالكسر ملاً وملة وملالة سئمته **(ثم قال أبو جعفر ﷺ: أما الجنان المذكورة في الكتاب فإنهن جنة عدن)** قال الله تعالى **﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾**[1] قال القاضي أي وعدها إياهم وهي غايبة عنهم أو وهم غائبون عنها أو وعدهم بإيمانهم الغيب، قيل جنة عدن اسم لمدينة الجنة وهي مسكن الأنبياء والعلماء والشهداء

---

(١) سورة الرعد: ٢٣ .

ليست دار تكليف ولا مشقة عليهم فيه لأنّ النفس من الضروريات للإنسان ولا مشقة عليه فيه فكذلك تسبيحه تعالى في الجنة لا مشقة فيه أصلاً بل هو من أعظم اللذات وسر ذلك أن قلوبهم قد تنورت بمعرفته ومحبته وأبصارهم برؤية جلاله وعظمته ومن أحب شيئاً وجد في نفسه لذة بذكره فهو تسبيح تنعم والتذاذ.

*** الأصل:**

٨ـ الحسين بن محمد الأشعري، عن معلّى بن محمد، عن الوشّاء، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير قال: قيل لأبي جعفر عليه السلام وأنا عنده: إنّ سالم بن أبي حفصة وأصحابه يروون عنك أنّك تكلّم على سبعين وجهاً لك منها المخرج؟ فقال: **مايريد سالم منّي أيريد أن أجيء بالملائكة والله ماجاءت بهذا النبيّون ولقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إني سقيم﴾ وماكان سقيماً وما كذب ولقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ وما فعله وما كذب، ولقد قال يوسف عليه السلام: ﴿أيّتها العير إنّكم لسارقون﴾**[1] **والله ما كانوا سارقين وما كذب.**[2]

*** الشرح:**

قوله (إن سالم بن أبي حفصة وأصحابه) زيدي بتري من رؤسائهم لعنه الصادق عليه السلام وكذبه وكفّره مات سنة سبع وثلاثين ومائة في حياته عليه السلام (يروون عنك أنك تكلم على سبعين وجهاً لك منها المخرج) يعني يقولون إنّك تكذب في مطلب واحد كثيراً وكان ذكر هذا العدد للمبالغة في كثرة الخلاف.

(فقال مايريد سالم مني أيريد أن أجي بالملائكة) ليشهدوا على أني لا أكذب.

(والله ما جاءت بهذا النبيون) لإثبات صدقهم فيما يقولون، وما رووه عني لا يقدح فيَّ لأن للكلام وجوهاً مختلفة، منها أن يقصد المتكلم الأخبار عن الواقع ومنها أن ينوي التقية ومنها أن ينوي التورية ومنها أن ينوي التعريض ومنها أن ينوي إصلاح ذات البين إلى غير ذلك من الوجوه التي لا يعلمها إلاّ العالم الكامل الماهر ولا يستعملها في مواردها إلاّ الفاضل البارع الماهر، ثم استشهد لذلك بقول الأنبياء فقال:

(ولقد قال إبراهيم عليه السلام إني سقيم وما كان سقيماً وما كذب) اعتذر عليه السلام حين دعوه للخروج معهم لعيدهم فقال إني سقيم وماكان معه سقم معروف عند الناس وماكذب لأنه ورى بهذا القول وأراد خلاف ما فهموا منه ليتخلف منهم ويخلو بأصنامهم ويكسرها كما فعل.

---

(١) سورة يوسف: ٧٠. (٢) الكافي: ٨ / ٨٦.

وأئمة العدل والناس سواهم في جنات حواليها، وقيل هي اسم مركب إضافي فالجنة البستان واختلف في عدن فقيل قصر لا يدخله إلاّ نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عدل، وقيل هو نهر على حافتيه جنات وبساتين، وقيل عدن اسم للإقامة من عدن بالمكان إذا أقام به، وربما يرجح ذلك بأن الله تعالى وعدها المؤمنين والمؤمنات بقوله **﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوانٍ من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾**[١].

(وجنة الفردوس) قال الله تعالى **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جناتُ الفردوس نُزلاً﴾**[٢] قال القاضي: الفردوس أعلى درجات الجنة وأصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل، وفي القاموس: الفردوس الأودية التي تنبت ضروباً من النبت، والبستان يجمع كل ما يكون في البساتين تكون فيه الكروم وقد يؤنث، عربية أو رومية أو سريانية. وفي الفائق عن الفراء: الفردوس هو البستان الذي فيه الكرم بلغة العرب.

(وجنة نعيم) قال الله تعالى **﴿أيطمع كل امرىء منهم أن يُدخل جنة نعيم﴾**[٣] إنكاراً لقولهم لو صح ما تقوله لتكون فيها أفضل حظاً منهم كما في الدُّنيا كذا في تفسير القاضي.

(وجنة المأوى) قال الله تعالى **﴿وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي المأوى﴾**[٤] فهي منزل من خاف المقام بين يدي الرب وصرف النفس عن هواها وزجرها عن مقتضاها.

(سبحانك اللهم) أي اللهم إنّا نسبحك تسبيحاً وننزهك تنزيهاً من كل ما لا يليق بك.

(من غير أن يكون طلبه منهم أو أمر به) لأن الطلب ولو من الخدم نقص، والله سبحانه أكرمهم ونزههم منه وفهمهم من هذه الكلمة الشريفة مقصده إما بتكرارها أو بالإلهام أو لدلالة تنزيه الرب إلى حاجته إلى الطعام.

(تحيتهم فيها سلام يعني الخدام) أشار إلى أن ضمير الجمع راجع إلى الخدام أي يحيونهم بهذا القول وهو السلامة من الآفات والفوز بالسعادات والأمن من الزوال والفناء، والبشارة بالدوام والبقاء، والتحية تفعلة من الحياة أدغمت الياء في الياء والهاء لازمة والتاء زائدة و«أن» في قولهم **(أن الحمد لله)** مخففة من المثقلة وينبغي أن يعلم أن تسبيح أهل الجنة مما أجمع عليه الأمة ودلت عليه الآيات والروايات من طرق الخاصة والعامة وهذا التسبيح ليس عن تكليف لأنّ الجنة

---

(١) سورة التوبة: ٧٢. (٢) سورة الكهف: ١٠٧. (٣) سورة المعارج: ٣٨.
(٤) سورة النازعات: ٤١.

(**ولقد قال يوسف عليه السلام أيتها العير إنكم لسارقون**) العير: بالكسر القافلة مؤنثة وهذا القول وإن كان من مناديه عليه السلام إلاّ أنه لما كان بأمره نسب إليه.

(**والله ما كانوا سارقين وما كذب**) **لأنه قال ذلك لإرادة الإصلاح هكذا قالوا**، ودلت عليه الرواية عن أبي جعفر عليه السلام ويمكن أن يكون من باب التورية بأن يُراد بالسارق ضعيف العقل أو الذي خفي عن البصر من سرقت مفاصله كفرح إذا ضعفت أو من سرق الشيء كفرح إذا خفي لا يُقال قوله عليه السلام: (**ما كذب**) في المواضع الثلاثة ينافي ما مرّ في باب الكذب من قول الصادق عليه السلام: (**إن الله أحب اثنين وأبغض اثنين أحب الخطر فيما بين الصفين وأحب الكذب في الإصلاح وأبغض الخطر في الطرقات وأبغض الكذب في غير الإصلاح، إن إبراهيم عليه السلام قال بل فعله كبيرهم هذا إرادة الإصلاح ودلالة على أنهم لا يفعلون وقال يوسف عليه السلام إرادة الإصلاح يعني قال يوسف عليه السلام أيتها العير إنكم لسارقون لإرادة الإصلاح**) ووجه المنافاة نفي الكذب في أحدهما وإثباته في الآخر إلاّ أنه بيّن أن هذا النحو من الكذب لا يضر لأنا نقول إطلاق الكذب عليه إنما هو بحسب الظاهر من الكلام لغة ونفيه باعتبار أن له غرضاً صحيحاً غير ظاهر يتوجه القصد إليه.

حديث أبي بصير مع المرأة

* **الأصل:**

٩ ـ أبان، عن أبي بصير قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخلت علينا أمُّ خالد التي كان قطعها يوسف بن عمر تستأذن عليه فقال أبو عبد الله عليه السلام: **أيسرك أن تسمع كلامها**؟ قال: قلت: نعم، قال: فأذن لها، قال: وأجلسني معه على الطنفسة قال: ثمّ دخلت فتكلّمت فإذا امرأة بليغة فسألته عنهما، فقال لها: **تولّيهما!** قالت: فأقول لربّي إذا لقيته: إنّك أمرتني بولايتهما؟ قال: **نعم،** قالت: فإنّ هذا الذي معك على الطنفسة يأمرني بالبراءة منهما وكثير النوى يأمرني بولايتهما فأيّهما خيرٌ وأحبُّ إليك؟ قال: **هذا والله أحبُّ إليّ من كثير النوى وأصحابه، إنّ هذا يخاصم فيقول: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الكافرون﴾[1] ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الظّالمون﴾[2] ﴿ومن لم يحكم بما أنزلَ الله فأُولئك هم الفاسقون﴾**[3].

* **الشرح:**

قوله (التي قطعها يوسف بن عمر) هو كان والي العراق بعد الحجاج وقاتل زيد بن علي عليه السلام.

(فقال أبو عبد الله عليه السلام أيسرك أن تسمع كلامها) رغبة في سماع كلامها لأن فيه مصلحة عظيمة كما تظهر في آخر الحديث.

(وأجلسني معه على الطنفسة) ليظهر على أم خالد أنه معظم موقر عنده عليه السلام والطنفسة بكسر الطاء والفاء وبفتحهما وضمهما وبكسر الطاء وفتح الفاء وبالعكس: البسط والثياب، وحصير من سعف عرضه ذراع وفي كنز اللغة: «گرد بالش كه بر أو نشينند».

(فسألته عنهما) عن الأول والثاني **(فقال لها توليهما)** قال ذلك تقية منها لكونها فصيحة متكلمة مع أهل العلم من الخاصة والعامة **(وكثير النوى يأمرني بولايتهما)** قيل إنه عامي وقيل زيدي وينسب إليه الفرقة البترية من الزيدية لكونه أبتر اليد فسمي التابعون له بترية وهم قائلون بخلافة الثلاثة.

(إن هذا يخاصم فيقول ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) يعني يخاصم أبو بصير علماء العامة بأن منطوق الآيات المذكورة دل على أن من حكم حكماً ما في قضية من

---

(١) سورة المائدة: ٤٤. (٢) سورة الظالمون: ٤٥. (٣) الكافي: ٨ / ٨٧.

القضايا بغير ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق فكيف من حكم بغيره في وقايع متكثرة وأفتى بالأهواء والآراء كالشيوخ والخلفاء وتابعيهم من العلماء، ومفهومها دل على أنه وجب أن يكون بين الخلق دائماً عالم بجميع ما أنزل الله، حاكم به في كل واقعة، غني عن الاجتهاد وأسبابه وليس ذلك بالاتفاق غير علي عليه السلام.

*** الأصل:**

١٠ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن عليّ بن فضّال عن عليّ ابن عقبة، عن عمر بن أبان، عن عبد الحميد الوابشيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إنّ لنا جاراً ينتهك المحارم كلّها حتّى إنّه ليترك الصلاة فضلاً عن غيرها؟ فقال: **سبحان الله وأعظم ذلك ألا أُخبركم بمن هو شرٌّ منه؟** قلت: بلى قال: **الناصب لنا شرٌّ منه، أما إنّه ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فيرقُّ لذكرنا إلاّ مسحت الملائكة ظهره وغفر له ذنوبه كلّها إلاّ أن يجيء بذنب يخرجه من الإيمان، وإنّ الشفاعة لمقبولة وما تقبل في ناصب وإنّ المؤمن ليشفع لجاره وماله حسنة فيقول: ياربِّ جاري كان يكفّ عنّي الأذى فيشفّع فيه فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربّك وأنا أحقُّ من كافأ عنك فيدخله الجنّة وماله من حسنة وإنّ أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النار: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديقٍ حميم﴾.**[1]

*** الشرح:**

قوله (فقال سبحان الله وأعظم ذلك) سبحان الله مصدر فعل محذوف وكثيراً ما يُقال للتعجب من استماع أمر عظيم وأعظم فعل ماض يُقال عظمه وأعظمه إذا فخمه أي عد ترك الصلاة وغيرها أمراً عظيماً شنيعاً وحمله على اسم التفضيل غير مناسب كما لا يخفى.

(**وإن الشفاعة لمقبولة وما تقبل في ناصب**) شفاعة الإخراج من النار جائزة عقلاً ودلت عليه الأحاديث والآيات مثل قوله تعالى **﴿ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى﴾**[2] وغيرها ومنعها الخوارج وحكموا بخلود العاصين في النار لأن المعصية عندهم كفر واحتجوا عليه بقوله تعالى **﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾** وبقوله تعالى **﴿وما للظالمين من حميم﴾** الآية وحملوا الآيات والأحاديث الدالة على الشفاعة على أنها في رفع الدرجات ولا دلالة فيها على ما ذكروه، والآيتان عندنا في الكفار، والمعصية ليست بكفر، وقد دلت عليه تصريح الآيات والروايات. واعلم أنّ الشفاعات على ما نقله بعضهم خمس:

---

(١) الكافي: ٨ / ٨٧. (٢) سورة الأنبياء: ٢٨ .

الأولى لتعجيل الحساب، **الثانية** للإدخال في الجنة بغير حساب، **الثالثة** لمنع قوم من النار بعد أن استوجبوها، **الرابعة** لإخراج العاصي من النار، **الخامسة** لرفع الدرجات، والظاهر من رواياتنا أنه يجوز للمؤمن الشفاعة في جميع تلك المراتب ولا دلالة في آخر هذا الحديث على تخصيصها بالقسم الرابع، وقال بعض العامة: الأوليان خاصتان بالنبي صلى الله عليه وآله.

(فعند ذلك يقول أهل النار فما لنا من شافعين) يقولون ذلك تحسراً وتحزناً.

*** الأصل:**

١١ ـ محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن أبي هارون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لنفر عنده وأنا حاضرٌ: **ما لكُم تستخفّون بنا؟** قال: فقام إليه رجل من خراسان فقال: معاذ لوجه الله أن نستخفّ بك أو بشيء من أمرك فقال: **بلى إنك أحد من استخفّ بي**، فقال معاذ لوجه الله أن أستخفّ بك، فقال له: **ويحك أولم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملني قدر ميل فقد والله أعييت، والله ما رفعت به رأساً ولقد استخففت به ومن استخفّ بمؤمن فبنا استخفّ وضيّع حرمة الله عزّ وجلّ.**(١)

*** الشرح:**

قوله **(مالكم تستخفون بنا)** هذا من حسن عشرته عليه السلام ورفقه بالأصحاب في أنه لم يواجه ابتداءً أحداً باللوم والعيب فقال مالكم، وأما تصريحه ثانياً فلأن الخراساني عرض نفسه في معرض اللوم وفيه تغيير المنكر والحث على الإحسان بالمؤمن، وإن الاستخفاف به استخفاف بالأئمة عليهم السلام والاستخفاف بهم استخفاف بالله تعالى.

(فقام إليه رجل من خراسان فقال معاذ لوجه الله أن نستخف بك) معاذ مصدر بمعنى الالتجاء وهو في أكثر النسخ مرفوع واللام بمعنى «إلى» وفي بعضها منصوب واللام بمعنى الباء أي لنا إلتجاء إلى وجه الله وذاته أو أعوذ بوجه الله معاذاً من أن نستخف بك.

(ومن استخفّ بمؤمن فبنا استخفّ) قال الفاضل الاسترابادي: لا يُقال يلزم من ذلك أن يستخف بالله فيلزم الكفر. لأنا نقول: المراد بالإستخفاف أن لا يعده عظيماً كما يعد شرب الخمر عظيماً، والمتقي هو الذي يعدّ الكل عظيماً لأنّ حاكم الكل هو الله تعالى.

*** الأصل:**

١٢ ـ الحسين بن محمد الأشعري، عن معلّى بن محمد، عن الوشّاء، عن أبان بن عثمان عن عبد

---

(١) الكافي: ٨ / ٨٨.

الرحمن بن أبي عبد الله قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ منّ علينا بأن عرّفنا توحيده، ثمّ منّ علينا بأن أقررنا بمحمد صلى الله عليه وآله بالرّسالة ثمّ اختصّنا بحبّكم أهل البيت نتولاكم ونتبرّأ من عدوّكم وإنما نريد بذلك خلاص أنفسنا من النّار، قال: ورقّقت فبكيت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **سلني فوالله لا تسألني عن شيء إلاّ أخبرتك به،** قال فقال له عبد الملك بن أعين: ما سمعته قالها لمخلوق قبلك. قال: قلت: خبّرني عن الرّجلين ؟ قال: **ظلمانا حقّنا في كتاب الله عزّ وجلّ ومنعا فاطمة صلوات الله عليها ميراثها من أبيها وجرى ظلمهما إلى اليوم، قال ـ وأشار إلى خلفه ـ ونبذا كتاب الله وراء ظهورهما.**[1]

*** الشرح :**

قوله (**فقال أبو عبد الله عليه السلام سلني فوالله لا تسألني عن شيءٍ إلاّ أخبرتك به**) فيه إشارة إلى كمال علمه عليه السلام وتكرمه لعبد الرحمن. قال الفاضل المذكور: لما علم عليه السلام أن قصده من إظهار الإخلاص ظهور الإذن منه بالسؤال وأن يجيبه من غير تقية قال عليه السلام سلني.

(**ونبذا كتاب الله وراء ظهورهما**) لا يبعد أن يكون هذا كناية عن بعدهما من كتاب الله وعدم العمل بما فيه والتوجه إليه لأن من جعل شيئاً وراء ظهره يلزمه أن لا يكون متوجهاً إليه وأن يبعد عنه.

*** الأصل :**

١٣ ـ وبهذا الإسناد، عن أبان، عن عقبة بن بشير الأسدي، عن الكميت بن زيد الأسدي قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقال: **والله يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك منه ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لحسّان بن ثابت لن يزال معك روح القدس ما ذببت عنّا.**

قال: قلت: خبّرني عن الرجلين قال: فأخذ الوسادة فكسرها في صدره، ثمّ قال: **والله يا كميت ما أهريق محجمة من دم ولا أُخذ مال من غير حلّه ولا قُلب حجر عن حجر إلاّ ذاك في أعناقهما**[2].

*** الشرح :**

قوله (**ولكن لك ماقال رسول الله صلى الله عليه وآله لحسان بن ثابت لن يزال معك روح القدس ما ذببت عنا**) ظاهره أن روح القدس قد ينبعث في بعض الأوقات في روع غير الأئمة عليهم السلام وكان كميت شاعراً فصيحاً مادحاً للأئمة عليهم السلام كما كان حسان مادحاً للنبي صلى الله عليه وآله وهو حسان بن ثابت بن المنذر ابن عمرو بن النجار الأنصاري يكنى أبا الوليد وقيل أبا عبد الرحمن وقيل أبا الحسام.

---

(١) الكافي: ٨ / ٨٨. (٢) الكافي: ٨ / ٨٨.

قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر رسول الله في النبوة، وشاعر العرب كلها في الإسلام. وقال أيضاً: اجتمعت العرب كلها على أنه أشعر أهل المدن.

وقال الأصمعي: حسان أشعر أهل الحضر، وقيل لحسان: لان شعرك في الإسلام، يا أبا الحسام. فقال: إن الإسلام يحجز عن الكذب، يعني أن الشعر لا يحسنه إلاّ الإفراط في الكذب والتزيين به، والإسلام يمنع من ذلك. وقال أيضاً: ما يجود شعر من يتقي الكذب.

توفى سنة أربعين في خلافة علي عليه السلام، وقيل: سنة خمسين، وقيل: أربع وخمسين، ولم يختلفوا أنه عاش مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام، وكذلك عاش أبوه وجده، وأدرك النابغة الجعدي والأعشى، وأنشدهما من شعره وكلاهما استجادا شعره.

ومعنى الذب: الدفع، وقد كان نفر من قريش يهجون النبي صلى الله عليه وآله كابن الزبعرى وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن العاص وضرار بن الخطاب وكان حسان يدفعهم ويرد عليهم فتركوا هجوه خوفاً منه، فكان هو ناصر النبي صلى الله عليه وآله بالسنان واللسان، والمراد بروح القدس جبرئيل عليه السلام والمراد بكونه معه ما دام الذب على سبيل الإمداد بالإلهام والتذكير والإعانة.

(والله ياكميت ما أهريق محجمة من دم..) المحجم والمحجمة بكسرهما ما يحجم به، وحرفته: الحجامة بالكسر، ولعل المراد إهراق مقدارها من الدم ظلماً، وتغليب حجر عن حجر كناية عن الشدائد، أو عن إزالة الحق عن مركزه، والمقصود أن جميع المفاسد إلى يوم القيامة في أعناقهما لأنهما منشأ لها، ولولا فسادهما في الدين لشاع العدل وارتفع الجور واستقام نظام الخلق.

*** الأصل:**

١٤ ـ وبهذا الإسناد، عن أبان، عن عبد الرّحمن بن أبي عبد الله، عن أبي العباس المكّي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **إن عمر لقي عليّاً صلوات الله عليه فقال له: أنت الذي تقرأ هذه الآية ﴿بأيّكم المفتون﴾** وتعرّض بي وبصاحبي ؟ قال: فقال له: **أفلا أُخبرك بآية نزلت في بني أميّة: ﴿فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم﴾**(١) فقال: كذبت، بنو أمية أوصل للرّحم منك ولكنّك أبيت إلاّ عداوة لبني تيم وبني عدي وبني أمية.(٢)

*** الشرح:**

قوله **(إن عمر لقي علياً عليه السلام فقال له: أنت الذي تقرأ هذه الآية ﴿فستبصر ويبصرون * بأيكم**

---

(١) سورة ابراهيم: ٢٨. (٢) الكافي: ٨ / ٨٩.

المفتون﴾[١]) أي بأيكم فتن بالسفاهة والجهالة وإنكار الحق. قال القاضي: أيكم فتن بالجنون، والباء زائدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمقتول والمجلود، أو بأي الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم.

(**تعرض بي وبصاحبي**) التعريض خلاف التصريح، تقول: عرضت لفلان وبفلان، إذا قلت قولاً وأنت تعنيه، فكأنك أشرت إلى جانب وتريد جانباً آخر.

(**فقال أفلا أخبرك بآية نزلت في بني أمية**) أي في ذم أعمالهم وأفعالهم وتقبيح عقايدهم وأحوالهم صريحاً **﴿فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾** «عسى» للترجي، وإلحاق الضمير به جايز عند أهل الحجاز، و «أن تفسدوا» خبره.

(**وإن توليتم**) اعتراض أي فهل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم أو إن توليتم وأعرضتم عن الإسلام أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم تشاجراً على الولاية وتجاذباً لها أو رجوعاً إلى ماكنتم في الجاهلية من مقاتلة الأقارب وغيرها، والمعنى: أنكم لضعفكم في الدين وحرصكم على الدنيا أحقاء بأن يتوقع ذلك منكم من عرف حالكم، كذا ذكره القاضي وغيره.

(**فقال كذبت، بنو أمية أوصل للرحم منك**) تكذيب الفاسق له باعتبار أنه عليه السلام قتل كثيراً من أقاربه في الجهاد.

*** الأصل:**

١٥ ـ وبهذا الإسناد، عن أبان بن عثمان، عن الحرث النصريّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ **﴿الذين بدّلوا نعمة الله كفراً﴾** قال: ما تقولون في ذلك؟ قلت: نقول: هم الأفجران من قريش بنو أمّية وبنو المغيرة، قال: ثم قال: **هي والله قريش قاطبة إنّ الله تبارك وتعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال إني فضّلت قريشاً على العرب وأتممت عليهم نعمتي وبعثت إليهم رسولي فبدّلوا نعمتي كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار.**[٢]

*** الشرح:**

قوله (قلت تقول هم الأفجران من قريش) الظاهر أن المراد بهما الأول والثاني (وأن قوله بني أمية وبنو المغيرة) خبر بعد خبر بلا عاطف، وكونه بدلاً بعيد.

(**ثم قيل هي والله قريش قاطبة**) أي جميعهم، ونصبها على المصدر أو الحال، والمراد بقريش من لم يؤمن منهم.

---

(١) سورة القلم: ٩. (٢) الكافي: ٨ / ٨٩.

(فقال إني فضلت قريشاً على العرب) ومما يؤيد ذلك ما رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال «**الناس تبع لقريش في الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم**» وعنه أيضاً «**الناس تبع لقريش في الخير والشر**» قال بعضهم: إنهم كانوا في الجاهلية رؤساء العرب وأصحاب حرم الله، وكانت الجاهلية تنتظر إسلامهم كلما أسلموا اتبعهم الناس وجاء وفود العرب من كل جهة، وكذلك حكمهم في الإسلام في تقديمهم للخلافة، وهذا هو الحكم ما بقي من الدنيا وبقي من الناس ومن قريش اثنان هذا كلامه.

أقول يدل على هذا أيضاً ما رواه مسلم عنه صلى الله عليه وآله «**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان**» ثم عين رسول الله صلى الله عليه وآله أن علي بن أبي طالب عليه السلام وصيه وخليفته والأحاديث الدالة على ذلك من الطرفين أكثر من أن تحصى وهم مع ذلك ﴿**بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم**﴾ لما أحدثوا يوم السقيفة، كما أشار إليه بقوله.

(فبدلوا نعمتي كفراً) النعمة الرسالة والولاية، وتبديل كل واحدة منهما بالكفر مستلزم لتبديل الأخرى به.

(وأحلوا قومهم دار البوار) بار الشي يبور بوراً بالضم: هلك، والبوار: الهلاك.

*** الأصل:**

١٦ ـ وبهذا الإسناد، عن أبان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنّهما قالا: **إنّ الناس لمّا كذبوا برسول الله صلى الله عليه وآله همّ الله تبارك وتعالى بهلاك أهل الأرض إلاّ عليّاً فما سواه بقوله ﴿فتولّ عنهم فما أنت بملوم﴾ ثم بدا له فرحم المؤمنين، ثم قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وذكّر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين﴾**.(١)

*** الشرح:**

قوله **(قالا إنّ الناس لما كذبوا برسول الله صلى الله عليه وآله)** أي بما جاء به، أو الباء زائدة، يُقال كذب بالأمر تكذيباً: أنكره، وكذب فلاناً جعله كاذباً.

(همّ الله تبارك وتعالى) أي أراد إرادة غير حتمية **(بهلاك أهل الأرض)** ممن بلغت إليه الدعوة أو مطلقاً **(إلاّ علياً فما سواه)** ممن آمن كخديجة حيث لم يؤمن غيرهما قريباً من خمس سنين. وجعل ما سواه تفسيراً للمستثنى منه مبالغة في شمول الهلاك لغير علي عليه السلام بعيد لفظاً ومعنىً بقوله **(فتولّ عنهم)** أي فأعرض عنهم بعد ما بلغت وأصروا على الإنكار **(فما أنت بملوم)** على

---

(١) الكافي: ٨ / ٨٩.

الإعراض عنهم بعد بذل الجهد في التبليغ، والأمر بالإعراض ليس إلاّ للغضب عليهم وإرادة هلاكهم **(ثم بدا له فرحم المؤمنين)** الذين علم الله تعالى أنهم يؤمنون به، والبداء في حقه تعالى عبارة عن إرادة حادثة وفي حق غيره عبارة عن ظهور الشيء بعد الخفاء، وبالجملة: المنكرون استحقوا الهلاك بسبب الإصرار على الإنكار، واستحقوا البقاء لمن في أصلابهم ممن قدر الله تعالى إيمانه، فرجح الثاني ترحماً على المؤمنين **(ثم قال لنبيه ﷺ فذكر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين)** الذين علم الله تعالى إيمانهم إلى قيام الساعة.

*** الأصل:**

١٧ ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي عبيدة الحذّاء، عن ثوير بن أبي فاختة قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يحدِّث في مسجد رسول الله ﷺ قال: **وحدّثني أبي أنه سمع أباه عليّ ابن أبي طالب عليه السلام يحدِّث الناس قال: إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حفرهم غرلا بهماً جرداً مرداً في صعيد واحد يسوقهم النور وتجمعهم الظلمة حتّى يقفوا على عقبة المحشر فيركب بعضهم بعضاً ويزدحمون دونها فيمنعون من المضيّ، فتشتدُّ أنفاسهم ويكثر عرقهم وتضيق بهم أُمورهم ويشتدُّ ضجيجهم وترتفع أصواتهم قال: وهو أوّل هول من أهوال يوم القيامة، قال: فيشرف الجبّار تبارك وتعالى عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة فيأمر ملكاً من الملائكة فينادي فيهم: يامعشر الخلائق أنصتوا واستمعوا منادي الجبّار، قال: فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم قال: فتنكسر أصواتهم عند ذلك وتخشع أبصارهم وتضطرب فرائصهم وتفزع قلوبهم ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت ﴿مهطعين إلى الدّاع﴾ قال: فعند ذلك ﴿يقول الكافر هذا يوم عسر﴾ قال: فيشرف الجبّار عزّ وجلّ الحكمُ العدلُ عليهم فيقول: أنا الله لا إله إلاّ أنا الحكَم العدل الذي لا يجور، اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي، لا يظلم اليوم عندي أحد، اليوم آخذ للضعيف من القويّ بحقّه ولصاحب المظلمة بالمظلمة بالقصاص من الحسنات والسيئات وأثيب على الهبات ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ولأحد عنده مظلمة إلاّ مظلمة يهبها صاحبها وأثيبه عليها وآخذ له بها عند الحساب، فتلازموا أيّها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدُّنيا وأنا شاهد لكم عليهم وكفى بي شهيداً.**

قال: فيتعارفون ويتلازمون فلا يبقى أحدٌ له عند أحد مظلمة أو حقٌّ إلاّ لزمه بها، قال: فيمكثون ما شاء الله فيشتدّ حالهم ويكثر عرقهم ويشتدّ غمّهم وترتفع أصواتهم بضجيج شديد فيتمنّون المخلص منه بترك مظالمهم لأهلها، قال: ويطلع الله عزّ وجل على جهدهم فيُنادي مناد من عند

الله تبارك وتعالى ـ يسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم ـ: يامعشر الخلائق أنصتوا لداعي الله تبارك وتعالى واسمعوا إنّ الله تبارك وتعالى يقول [لكم]: أنا الوهّاب إن أحببتم أن تواهبوا فتواهبوا وإن لم تواهبوا أخذت لكم بمظالمكم قال: فيفرحون بذلك لشدّة جهدهم وضيق مسلكهم وتزاحمهم قال: فيهب بعضهم مظالمهم رجاء أن يتخلّصوا ممّا هم فيه ويبقى بعضهم فيقول: ياربّ مظالمنا أعظم من أن نهبها قال: فيُنادي منادٍ من تلقاء العرش أين رضوان خازن الجنان ـ جنان الفردوس ـ قال: فيأمره الله عزّ وجلّ أن يطلع من الفردوس قصراً من فضّة بما فيه من الأبنية والخدم. قال: فيطلعه عليهم وفي حفافة القصر الوصائف والخدم قال: فينادي منادٍ من عند الله تبارك وتعالى: يا معشر الخلائق ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر، قال فيرفعون رؤوسهم فكلّهم يتمنّاه. قال فيُنادي مناد من عند الله تعالى: يا معشر الخلائق هذا لكلّ من عفا عن مؤمن؟ قال: فيعفون كلّهم إلاّ القليل، قال: فيقول الله عزّ وجلّ لا يجوز إلى جنّتي اليوم ظالمٌ ولا يجوز إلى ناري اليوم ظالم ولأحد من المسلمين عنده مظلمة حتّى يأخذها منه عند الحساب، أيّها الخلائق استعدُّوا للحساب.

قال: ثمّ يخلّي سبيلهم فينطلقون إلى العقبة يكرد بعضهم بعضاً حتى ينتهوا إلى العرصة والجبّار تبارك وتعالى على العرش قد نشرت الدواوين ونصبت الموازين وأحضر النبّيون والشهداء وهم الأئمة يشهد كلُّ إمام على أهل عالمه بأنّه قد قام فيهم بأمر الله عزّ وجلّ ودعاهم إلى سبيل الله قال: فقال له رجل من قريش يا ابن رسول الله إذا كان للرّجل المؤمن عند الرّجل الكافر مظلمة، أي شيء يأخذ من الكافر وهو من أهل النّار؟ قال: فقال له عليُّ بن الحسين عليهما السلام: يطرح عن المسلم من سيئاته بقدر ما له على الكافر فيعذّب الكافر بها مع عذابه بكفره عذاباً بقدر ما للمسلم قبله من مظلمة قال: فقال له القرشيُّ: فإذا كانت المظلمة للمسلم عند مسلم كيف تؤخذ مظلمته من المسلم؟ قال: يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حقّ المظلوم فتزاد على حسنات المظلوم، قال: فقال له القرشيُّ: فإن لم يكن للظالم حسنات؟ قال إن لم يكن للظالم حسنات فإنّ للمظلوم سيئات يؤخذ من سيئات المظلوم فتزاد على سيّئات الظالم.[1]

* **الشرح:**

قوله (قال إذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الناس من حفرهم غرلاً بهماً جرداً مرداً) روي من طريق العامة عنه صلى الله عليه وآله أيضاً «أنه يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهماً جرداً مرداً» قال

---

(١) الكافي: ٨ / ٨٩.

الأبي في كتاب إكمال الإكمال الأظهر أن مقام التكرمة يقتضي عدم حشر الأنبياء كذلك، انتهى، وقد ذكر عليه السلام هنا لأهل المحشر أربع صفات الأولى أنهم غرل بالراء المهملة بعد الغين المعجمة المضمومة جمع أغرل، قال عياض بن الأثير: الأغرل الأغلف، والغرلة الغلفة، وقال المازري: الأغلف غير المختون، والغلفة الجلدة التي تزال في الختان، والمعنى أنهم يحشرون غير مختونين، والقصد أنهم يحشرون كما خلقوا أولاً لا يفقدون شيئاً حتى الغلفة تكون معهم، انتهى.

ويمكن أن يقرأ عزلاً بالزاي المعجمة بعد العين المهملة جمع أعزل وهو المنفرد المنقطع، والقصد أنهم يحشرون فريداً وحيداً.

الثانية أنهم بهم، قال ابن الأثير فيه: «يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة بهماً» البهم جمع بهيم، وهو في الأصل الذي لا يخالط لونه لون سواء يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض التي تكون في الدُّنيا كالعمى والعور والعرج وغير ذلك وإنما هي أجساد مصححة لخلود الأبد في الجنة أو النار، وقال بعضهم: روي في تمام الحديث.

(قيل: وما البهم؟ قال ليس معهم شيء) يعني من أعراض الدنيا وهذا يخالف الأول من حيث المعنى، الثالث والرابعة أنهم جرد مرد جمع أجرد وأمرد، والأجرد الذي لا شعر على بدنه، والأمرد الذي لا شعر على وجهه.

(في صعيد واحد) قيل: الصعيد ما استوى من الأرض، وعن الفراء: هو التراب، وعن ثعلب: هو وجه الأرض، والمراد به هنا الأرض المستوية التي لا عوج فيها ولا أمتاً.

(يسوقهم النور ويجمعهم الظلمة) كأن المراد بالنور الإيمان وتوابعه من العبادات لأنها أنوار تسعى بين يدي صاحبها يوم القيامة وهم يمشون على أثرها، وبالظلمة الكفر والشرك ولواحقهما من المعاصي، ونسب الجمع إلى الظلمة لأنها سبب لحيرتهم واجتماعهم فكأنها جمعتهم كما هو شأن الضالين عن الطريق يتحيرون ويجتمعون، ويمكن أن يُراد بالنور معناه الحقيقي، وبالظلمة زوال النور، فإذا ظهر النور مشوا، وإذا زال اجتمعوا وسكنوا.

(حتى يقفوا على عقبة المحشر) في المحشر عقبات مخوفة ومنازل مهولة هي عقبات الفرائض ومنازل الأخلاق سمي عقبة لشدة المرور عليها والتخلص من شدايدها، وإليها أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: **(وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد فإن أمامكم عقبة كؤداً** - أي شاقة - **ومنازل مخوفة لابد من الورود عليها والوقوف عندها)** أراد بها عليه السلام منازل الآخرة ومقامات النفوس في السعادة والشقاوة والأهوال الأخروية، وظاهر أنه لابد من ورود تلك المنازل والوقوف عندها إلى حين عبورها خصوصاً أصحاب الأعمال القبيحة والملكات الردية والعلائق البدنية فإن

وقوفهم بها أطول وشدايدهم فيها أهول ومرورهم عليها أشق وأشكل، ولعل المراد بتلك العقبة عقبة الإيمان ومظالم الخلق، كما يرشد إليه قوله فيما بعد: **﴿يقول الكافر هذا يوم عسر﴾** وقوله **(ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ولأحد عنده مظلمة)** فالكفار في هذه العقبة يسلكون طريق جهنم ومن عنده من المسلمين مظلمة لأحد ولم يقع العفو من المظلوم لم يدخل الجنة حتى يخرج من عهدتها عند الحساب كما سيصرح به ومنه يظهر سر ما مرَّ من أن نشر الدواوين ونصب الموازين إنما هو لأهل الإسلام دون المشركين **(فيركب بعضهم بعضاً)** لكثرتهم وضيق مسلكهم **(ويزدحمون دونها)** أي يدفع بعضهم بعضاً. يقال: زحمه الناس إذا دفعوه في مضيق.

(فيمنعون من المضي) لازدحامهم عما هو المطلوب منهم في تلك العقبة فيمنعون **(فتشتد أنفاسهم ويكثر عرقهم)** في كتاب مسلم عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق كمقدار ميل فيكون للناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً» وأشار رسول الله ﷺ إلى فيه**. وفي رواية أخرى قال: «**إن العرق ليذهب في الأرض سبعين باعاً وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو إلى آذانهم**». قال عياض: يحتمل أنه عرق نفسه بقدر خوفه لما شاهد من الأهوال ويحتمل أنه عرق نفسه وعرق غيره يختلط ويصير لكل بقدر عمله، وهذا الازدحام وانضمام بعضهم إلى بعض حتى يصير العرق بينهم سايحاً على وجه الأرض.

وقال القرطبي: العرق للزحام ودنو الشمس حتى تغلى منها الرؤوس وحرارة الأنفاس. فإن قيل: لزم أن يسبح الجميع فيه سبحاً واحداً ولا يتفاضلون في القدر، قيل يزول هذا الاستبعاد بأن يخلق الله تعالى في الأرض التي تحت كل أحد ارتفاعاً بقدر عمله فيرتفع العرق بقدر ذلك.

وجواب ثان وهو أن يحشر الناس جماعات متفرقة فتحشر من بلغ كعبيه إلى جهة ومن بلغ حقويه في جهة، انتهى.

(قال فيشرف الجبار تبارك وتعالى عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة) العرش يطلق على معان ولعل المراد منه الجسم المحيط أو العرش الذي هو مطاف الملائكة، والظلال جمع الظل وهو من كل شيء شخصه ومن بيان لها، والإشراف على الشيء الاطلاع عليه من فوق وهو يستلزم العلم به على وجه الكمال، وإذا نسب إليه تعالى يُراد به هذا اللازم أو هو تمثيل، وكونه فوق العرش وفي ظلال من الملائكة صحيح لأنه فوق كل شيء بالعلية والشرف والرتبة والاستيلاء، وفي كلّ شيء بالعلم المحيط به لا كدخول غيره في شيءٍ، وخصهما بالذكر لشرفهما ودلالتهما على

العلو وإشعارهما بأن أمره تعالى جاء من الأعلى إلى الأسفل كما هو مقتضى العادة.

(وتخشع أبصارهم) بغضها وإرخاء أجفانها **(وتضطرب فرايصهم)** في النهاية: الفريصة اللحمة التي بين جنب الدابة وكتفها لا تزال ترعد، وأراد بها أصل الرقبة وعروقها لأنها هي التي تثور عند الغضب والخوف وفي الفايق الفريصة لحمة عند منبض القلب ترتعد وتثور عند الفزع والخوف والغضب.

(مهطعين إلى الداع) الإهطاع: الإسراع في العدو، وأهطع أيضاً: إذا مد عنقه وصوب رأسه أي نكسه **﴿يقول الكافر هذا يوم عسر﴾ ﴿على الكافرين غير يسير﴾**[1] **(فيقول أنا الله لا إله إلاّ أنا الحكم العدل الذي لا يجور)** الموصول صفة للكشف والإيضاح مع احتمال الاحتراز لأن العدل من الناس قد يجور، ولعل الغرض من هذا القول مع وضوحه في ذلك اليوم هو التصريح بأنه لا حكم فيه إلاّ هو والتنبيه بزهوق الهة اتخذوها في الدنيا وقطع طمعهم عن ملجأ سواه وبه يحصل زيادة انبساط للمؤمن وزيادة اغتمام للكافر.

(اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي) القسط بالكسر: العدل، فالعطف للتأكيد والتقرير، والإضافة للدلالة على كمال المضاف، وتخصيص اليوم بالذكر مع أنه سبحانه حاكم عادل أزلاً وأبداً لزيادة الاعتناء بإظهار العدل فيه ولأن آثار العدل في ذلك اليوم أظهر وأقوى من آثاره في غيره إذ ربما يخطر في قلب بعض الظلمة والفسقة انتفاء عدله في الأحكام الدنيوية لعدم علمهم بالمصالح الكلية والجزئية بخلاف الحكم الأخروي فإنه في الظهور إلى حد يعرف كل أحد أنه حق.

(ولصاحب المظلمة بالمظلمة بالقصاص من الحسنات والسيئات) ينتقل حسنات الظالم إلى المظلوم وسيئات المظلوم إلى الظالم حتى يتمّ الوفاء كما سيجيء. والمظلمة بكسر اللام: ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما أخذ منك.

(وأثيب على الهبات) فيه ترغيب في الهبة والتجاوز عن جرائم صاحبه وفيه رجاء تام لمن قصر في حقوقه تعالى.

(ولا حدّ عنده مظلمة) لظاهر أنه حال عن ظالم وجعله وصفاً له، والواو لزيادة الارتباط والاتصال، بعيد.

(إلاّ مظلمة يهبها صاحبها وأثيبه عليها) أي أُثيب الصاحب على الهبة.

(وآخذ له بها عند الحساب) الظاهر أن قوله «وآخذ» عطف على «يهبها» لا على أُثيبه إذ لا أخذ

---

(١) «يقول الكافر هذا يوم عسر» في سورة القمر: ٨ و «على الكافرين غير يسير» في سورة المدثر: ١٠.

بعد الهبة، ولعل المراد أنه لا يجوز هذه العقبة ظالم إلاّ إذا وهب له المظلوم أو استحق دخول الجنة بعد الأخذ منه عند الحساب وأما غيرهما فيسلك هناك مسلك النار.

(فيتعارفون ويتلازمون) أما لأنهم متقاربون في ذلك المكان فيحصل التعارف والتلازم بسهولة أو لأن التباعد في ذلك اليوم لا يمنع منهما **(فلا يبقى أحد له أحد مظلمة أو حق إلا لزمه بها)** هكذا في بعض النسخ وفي أكثرها «فلا يبقى لأحد» والظاهر أن اللام زائدة أو أن مظلمة فاعل لقوله «فلا يبقى» على سبيل التنازع بينه وبين الابتداء فليتأمل.

(إن الله تبارك وتعالى يقول أنا الوهاب) في وصف نفسه بهذه الصفة تنبيه على كمالها وترغيب للناس في اختيارها ليتصفوا بها ويتوقعوا أهبته عما قصروه في حقه.

(قال فيأمره الله عز وجل أن يطلع من الفردوس قصراً) أي يظهره من أشراف إلى انحدار من طلع الكوكب والشمس إذا ظهر، وحفافة القصر بالكسر جانبه **(حتى يأخذها منه عند الحساب)** فإذا بقى بعده حسنات دخل الجنة.

(أيها الخلائق استعدوا للحساب) يحتمل أن يكون من كلامه ـ عز وجل ـ في ذلك المقام وأن يكون من كلامه عليه السلام. أمر بالاستعداد في الدُّنيا لحساب الآخرة فإن ذلك يوجب سلب المفاسد وجلب المنافع حتى يرد على القيامة ولا حساب عليه إذ أدى حسابه في الدُّنيا **(فينطلقون في العقبة)** الظاهر أنها العقبة المذكورة **(يكرد بعضهم بعضاً)** الكرد: السوق والطرد، وفي النهاية كرد القوم: صرفهم وردّهم، وفي الكنز «كرد راندن» **(حتى ينتهوا إلى العرصة)** عرصة الدار: ساحتها وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء، والجمع عرصات والمراد بها هنا عرصة القيامة وهي عرصة يجتمع فيها الخلائق للحساب.

(والجبار تبارك وتعالى على العرش) قد مرّ تفسيره سابقاً، ويمكن أن يُراد به هنا العلم بجميع الموجودات، سمّي عرشاً لاستقرارها فيه، والغرض من ذكره هو الإشعار بأنه تعالى عالم بجميع الأشياء لا يخفى عليه شيء منها وإنما نشر الدواوين ونصب الموازين وشهادة الأنبياء والأوصياء ليظهر على الخلق حالاتهم التي كانوا عليها حتى لا يكون لهم حجة ولا معذرة ولا محل إنكار، ومر أيضاً تفسير الدواوين والموازين سابقاً.

(فيعذب الكافر بها) دلّ على أن الكافر معذب بالفروع أيضاً.

(قال يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حق المظلوم فتزاد على حسنات المظلوم) هذا الظالم على نفسه وعلى غيره هو المفلس والفقير في الحقيقة كما دلت عليه الرواية، وفيه دلالة على عدم الإحباط لأنه أثبت أن له حسنات مع اقترافه المظالم والمعاصي، اللهم إلاّ أن يُقال

أحبطت سيئاته من حسناته بقدر ما يُقابلها فبقى الباقي من الحسنات بلا معارض.

لا يُقال قوله «تؤخذ من سيئات المظلوم فتزاد على سيئات الظالم» مناف لقوله تعالى **﴿ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى﴾** *.

لأنا نقول هذا غلط وجهالة بينة لأنه إنما عوقب بفعله ووزره لأن العدل يقتضي وقوع المقابلة والموازنة بين الظالم والمظلوم، فأخذ الحسنات وطرح السيئات نوع من الموازنة ونحو من المعاوضة والعقوبات للظالمين وزيادة في ثواب المظلومين وليس من باب أنه مأخوذ ومعذب بذنب لم يعمله من ذنوب غيره ولم يكن مستحقاً له أصلاً ويقرب ما روي من أن **«من ابتدع بدعة فعليه وزرها ووزر من عمل بها»** وقوله تعالى حكاية **﴿إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك﴾**[1] فليتأمل.

(*) سورة الأنعام: ١٦٤ .

(١) سورة المائدة : ٢٩ .

[في حبّ الأئمة]

*** الأصل :**

١٨ ـ أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبّار، عن الحسن بن عليٍّ بن فضال، عن ثعلبة بن ميمون، عن أبي أميّة يوسف بن ثابت بن أبي سعيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّهم قالوا حين دخلوا عليه: إنّما أحببناكم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله ولما أوجب الله عزّ وجلّ من حقّكم، ما أحببناكم للدُّنيا نصيبها منكم إلاّ لوجه الله والدّار الآخرة وليصلح لامرىءٍ منّا دينه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: **صدقتم صدقتم**، ثم قال: **من أحبّنا كان معنا أو جاء معنا يوم القيامة هكذا ـ ثم جمع بين السبّابتين ـ ثمّ قال: والله لو أنّ رجلاً صام النهار وقام اللّيل ثم لقي الله عزّ وجلّ بغير ولايتنا أهل البيت للقيه وهو عنه غير راض أو ساخط عليه.** ثم قال: **وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وما منعهم أن تُقبل منهم نفقاتهم إلاّ أنّهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلاّ وهم كسالى ولا يُنفقون إلاّ وهم كارهون * فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يُريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدُّنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾** ثم قال: **وكذلك الإيمان لا يضرُّ معه العمل وكذلك الكفر لا ينفع معه العمل** ثمّ قال: **إن تكونوا وحدانّيين فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وحدانيّاً يدعو الناس فلا يستجيبون له وكان أوّل من استجاب له عليُّ بن أبي طالب عليه السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي».**[١]

*** الشرح :**

قوله (في حبّ الأئمة عليهم السلام) [عنوان و] ليس هذا في أكثر النسخ.

(**ثم قال وذلك**) أي عدم قبول العمل والسخط على العامل وعدم الرضا عنه إذا لم يكن من أهل الولاية والإيمان (**قول الله عز وجل**) حيث دل على أن كل من دخل في الدين وكفر بالله وبرسوله بإنكار أمر من أمور الدين وحكم من أحكامه كان مسخوطاً وعمله غير مقبول وأعظم ذلك الأمر هو الأمر بالولاية.

(**وما منعهم أن تُقبل منهم نفقاتهم إلاّ أنهم كفروا بالله وبرسوله**) دلّ على أن كفرهم بهما مانع من قبول نفقاتهم (**ولا يأتون الصلاة إلاّ وهم كسالى**) أي متثاقلين في فعلها لعدم اعتقادهم بفضلها

---

(١) الكافي: ٨ / ٩٢.

(ولا ينفقون إلاّ وهم كارهون) لأنهم يعدونه بمنزلة الإتلاف ولا يعتقدون بفضل الإنفاق فلا يرجون بفعله ثواباً ولا يخافون بتركه عقاباً **(فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم)** فإنها وبال عليهم واختبار واستدراج ليكمل بها عقولهم عن الآخرة فيأخذهم بغتة كما قال **(إنما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا)** بسبب ما يتحملون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدايد والمصائب **(وتزهق أنفسهم وهم كافرون)** بالله ورسوله واليوم الآخر. والزهوق: الخروج بصعوبة، كذا ذكر القاضي وغيره.

(وكذلك الإيمان لا يضر معه العمل، وكذلك الكفر لا ينفع معه العمل) مرّ تفسير هذا بعينه في آخر كتاب الإيمان والكفر، ولعل المراد بالعمل الأول العمل الحقير القليل وبالعمل الثاني العمل العظيم الكثير فإن قليل العمل مع الإيمان مقبول وكثير العمل مع الكفر غير مقبول، ويحتمل أن يُراد بالضرر الضرر الموجب للخلود في النار، وبالنفع النفع الموجب للدخول في الجنّة.

ومما يدلّ على أنه لابدّ في هذا الخبر من التأويل ما روي عن محمد بن مارد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام حديث روى لنا أنك قلت إذا عرفت «يعني الولاية» فاعمل ما شئت، فقال: «قد قلت ذلك» قال: قلت: وإن زنوا وسرقوا أو شربوا الخمر، فقال: **إنا لله وإنا إليه راجعون ما أنصفونا أن يكون أخذنا بالعمل ووضع عنهم إنما قلت إذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير وكثيره فإنه يقبل منك)**.

(ثم قال: إن تكونوا وحدانيين فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وحدانياً يدعو الناس فلا يستجيبون له) في النهاية الوحداني: المفارق للجماعة المنفرد بنفسه وهو منسوب إلى الوحدة، الانفراد بزيادة الألف والنون أي أن تكونوا منفردين قليلين فاصبروا ولا تحزنوا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله مع شرف ذاته وكمال صفاته كان وحدانياً يدعو الناس إلى الحق بالبراهين الساطعة والمعجزات اللامعة فلا يستجيبون له جهالة أو حسداً أو حباً للدنيا، وفيه تسلية للشيعة في قلتهم ودفع لتوهم من ضعف عقله أن الحق مع الكثرة لعدم تفطنه بأن أكثر الناس في أكثر الأزمنة كانوا كافرين خارجين عن دين الحق، وقد مرّ التصريح بذلك في أول كتاب الأصول.

(وكان أول من استجاب له علي بن أبي طالب عليه السلام) أشار إلى أنه عليه السلام أول من أسلم من الذكور، والروايات عندنا وعندهم في ذلك متظافرة، والظاهر أنه لا ينكره أحد إلاّ أن بعض النواصب قال: إسلامه لم يكن معتبراً لكونه قبل البلوغ.

وأُجيب عنه: أولاً بأنا لا نُسلم ذلك، ومستنده وجوه، منها: رواية شداد بن أوس، قال: سألت خباب بن الأرت عن سن علي بن أبي طالب يوم أسلم؟ قال: أسلم وهو ابن خمسة عشر سنة وهو

يومئذ بالغ مستحكم البلوغ، ومنها مارواه أبو قتادة عن الحسن أن أول من أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن خمسة عشر سنة، ولو سلم فلا يتصور الكفر في حقه إذ كان مولوداً على الفطرة فمعنى الإسلام إذن دخوله في طاعة الله ورسوله والاستسلام لأوامرهما، فالإيمان الحاصل له وارد على نفس قدسية لم يتدنس بأدناس جاهلية وعبادة الأصنام والعقائد الباطلة المتضادة للحق التي صارت ملكات في نفس من أسلم بعد علو السن وشرب الخمر والشرك بالله، فكان إسلامه أشرف وأكمل من إسلام غيره، وكانت غاية حال الغير أن يمحوا بالرياضة من نفوسهم الآثار الباطلة والملكات الردية فأين أحدهما من الآخر.

(**وقد قال رسول الله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي**) دل على أنه عليه السلام وزيره وخليفته بلا فصل في حياته وبعد وفاته وأن له جميع خصال هارون بالنسبة إلى موسى بقرينة استثناء خصلة واحدة وهي النبوة، فالقول بالفصل وتخصيص خلافته بحال حياة النبي صلى الله عليه وآله لا وجه له وقد مرّ توضيح ذلك آنفاً.

* **الأصل:**

١٩ ـ علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لعباد بن كثير البصري الصوفّي: **ويحك يا عباد غرَّك أن عفَّ بطنك وفرجك إنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿يأيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم﴾ اعلم أنه لا يتقبّل الله منك شيئاً حتّى تقول قولاً عدلاً.**[1]

* **الشرح:**

قوله (**ويحك يا عباد غرك أن عف بطنك وفرجك**) فظننت أنك من أهل النجاة، وعفتهما هي التحرز عن الحرام أو الاكتفاء بقدر الضرورة أو مادونه من الحلال وهي لا تنفع إلاّ مع الإقرار بالولاية لأهلها كما أشار إليه بقوله (**إن الله عز وجل يقول في كتابه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله**) في فعل المنهيات كلها (**وقولوا قولاً سديداً**) هو القول الحق المعرى عن الباطل (**يصلح لكم أعمالكم**) بقبولها والإثابة عليها.

(**اعلم أنه لا يتقبل الله عز وجل منك شيئاً**) من الأعمال وإن اشتملت على جهات الكمال (**حتى تقول قولاً عدلاً**) لما كانت لفظات لسان العباد وأغلاط أقواله كثيرة، منها إنكار الولاية للأئمة الطاهرين عليهم السلام نبهه عليه السلام بأن تزهده وأعماله لا تنفعه بدون أن يستقيم لسانه ويقول قولاً عدلاً

---

(١) الكافي: ٨ / ٩٢.

مستقيماً وهو الإقرار بالولاية.

* **الأصل:**

٢٠ ـ يونس، عن عليّ بن شجرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **لله عزّ وجلّ في بلاده خمس حرم: حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وحرمة آل رسول الله صلى الله عليهم وحرمة كتاب الله عزّ وجلّ وحرمة كعبة الله وحرمة المؤمن.**(١)

* **الشرح:**

قوله (**قال: لله عز وجل في بلاده خمس حرم.. الخ**) الحرمة بالضم وبضمتين وكهمزة: ما لا يحل انتهاكه والذمة والمهابة والنصيب ومن يعظم حرمات الله أي ما وجب القيام به وهي الحقوق المتررة شرعاً، ومن حقوق الرسول على الأمة هو التصديق به وبما جاء به، والحب له إلى غير ذلك، ومن حقوق آل الرسول أن يؤمن بهم وبولايتهم والاتباع لهم في العقائد والأعمال والأقوال وأن يحبهم، وقس عليه البواقي فإن تفصيل الحرمات والحقوق يوجب الإطناب.

* **الأصل:**

٢١ ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي نجران، عن محمد بن القاسم، عن عليّ بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: **إذا بلغ المؤمن أربعين سنة آمنه الله من الأدواء الثلاثة: البرص والجذام والجنون، فإذا بلغ الخمسين خفّف الله عزّ وجلّ حسابه، فإذا بلغ ستّين سنة رزقه الله الإنابة، فإذا بلغ السبعين أحبّه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين أمر الله عزّ وجلّ باثبات حسناته وإلقاء سيّئاته فإذا بلغ التسعين غفر الله تبارك وتعالى له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر وكتب أسير الله في أرضه، وفي رواية أُخرى: فإذا بلغ المائة فذلك أرذل العمر.**(٢)

* **الشرح:**

قوله (**إذا بلغ المؤمن أربعين سنة آمنه الله**) أي غالباً (**من الأدواء الثلاثة البرص والجذام والجنون**) البرص بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد المزاج، والجذام كغراب: علة تحدث من انتشار السوداء في البدن كله فتفسد مزاج الأعضاء أو هيئاتها وربما انتهى إلى أكلها وسقوطها، والجنون معروف سمي به لأنه يستر العقل ويزيله (**فإذا بلغ الخمسين خفف الله تعالى حسابه**) أي يسامحه في حساب يوم القيامة ويساهله في كثير من أموره ولا يشدد عليه (**فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة**) أي الرجوع إلى الله فيرغب في الطاعة ويندم من المعصية ويداوم ذكر الله تعالى.

---

(١) الكافي: ٨ / ٩٣. (٢) الكافي: ٨ / ٩٣.

قال أمير المؤمنين عليه السلام «**العمر الذي أعذر الله تعالى فيه ابن آدم ستون سنة**» يقال أعذر إليه أي بلغ به أقصى العذر قيل: معناه من عمّره الله تعالى ستين سنة لم يبق له عذر في الرجوع إلى الله سبحانه بطاعته في مدة هذه المهلة وما يشاهد فيها من الآيات والعبرة مع ما أرسل إليه من الإنذار والتذكير، وقد روي عنه صلى الله عليه وآله أنه «**ليُنادي مناد من قبل الله عز وجل أبناء الستين أولم يعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير**» (**فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء**) فيذكرون له بالخير ويدعون له ويستغفرون لذنوبه.

(**فإذا بلغ الثمانين أمر الله تعالى بإثبات حسناته وإلقاء سيئاته**) لا يخفى أن الإتيان في هذا السن بالسيئات أشنع والمخالفة للرب أقبح وأفظع ولكنه تعالى يرحمه لضعفه وعجزه فيأمر بإلقاء سيئاته لئلا يخجله على رؤوس الأشهاد ولا يشهره عند المقربين تفضلاً عليه، ولعل هذا في بعض الأشخاص أو في بعض السيئات وإلاّ فقد مرَّ في كتاب الأصول «**إن الله تعالى لا ينظر يوم القيامة إلى شيخ زان**».

(**فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر**) كان المراد بالذنوب الصغائر من حق الله تعالى مع احتمال الكبائر أيضاً، وبالمتأخر الذنب الذي يفعله في هذا السن.

(**وكتب أسير الله في أرضه**) سمي أسيراً لأنه أسره قضاء الله فأخرجه من موطنه الأصلي وحبسه في دار الغربة مدة طويلة وعذبه بهواء النفس وإغواء الشيطان فهو محل الترحم (**وفي رواية أخرى فإذا بلغ المائة فذلك أرذل العمر**) للعمر - وهو زمان بقاء كل شخص - مراتب في القوة والضعف والتوسط، وأضعف المراتب وأرذلها مائة سنة فصاعداً لأن العمر حال الطفولية وإن كان ضعيفاً لكنه في مقام الترقي لقبول الكمال بخلاف مائة سنة فإنه في غاية الضعف ومقام التنزل حتى تبلغ حداً لا يدري ما يقول وما يفعل.

*** الأصل:**

٢٢ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم عن داود، عن سيف، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **إن العبد لفي فسحة من أمره ما بينه وبين أربعين سنة فإذا بلغ أربعين سنة أوحى الله عزّ وجلّ إلى ملكيه قد عمّرت عبدي هذا عمراً فغلظا وشدّدا وتحفّظا واكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره.**[١]

*** الشرح:**

(١) الكافي: ٨ / ٩٣.

قوله (**إن العبد لفي فسحة من أمره..**) الفسحة بالضم: السعة، أي هو في سعة من أمره التكليفي أو في فعله للمساهلة في كثير من أموره لشدة شهوته وكمال قوته المقتضية للطغيان وضعف عقله المانع من العصيان وليس فيه ما ينافي الحديث السابق إذ ليس في السابق حكم ما دون الأربعين وأما ما في السابق من رفع الأدواء الثلاثة عن صاحب الأربعين فلا ينافي التشديد عليه في أمره ولكن لابدّ من تقييد التشديد بالبلوغ إلى الخمسين لأن الخمسين يوجب التخفيف كمار مرّ أو القول بأن التخفيف من باب التفضل لمن يشاء الله فقد يخفف لصاحب الخمسين وقد يشدد عليه.

*** الأصل:**

٢٣ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد بن عثمان، عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوباء يكون في ناحية المصر فيتحوّل الرّجل إلى ناحية أُخرى أو يكون في مصر فيخرج منه إلى غيره فقال: **لا بأس إنّما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك لمكان ربئة كانت بحيال العدوّ، فوقع فيهم الوباء فهربوا منه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الفارُّ منه كالفارِّ من الزّحفِ كراهية أن يخلو مراكزهم.**(١)

*** الشرح:**

قوله (**سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوباء..**) الوباء يقصر ويمد وجمع المقصور أوباء وجمع الممدود أوبية، وقد وبئت الأرض توبأ وباء فهي موبوءة إذا كثر مرضها، وكذلك وبئت توبأً وباءة فهي وبئة ووبيئة على فعلة وفعيلة وفيه لغة ثالثة أوبأت وهي موئبة وهو مرض عام يكون عند الموت العام وقد سمي بالطاعون وهما بمعنى واحد وقال الجوهري: الطاعون الموت المسبب من الوباء فيفهم منه أن الطاعون نفس الموت المسبب من الوباء، وقيل: مرض مخصوص وهو غدة كغدة البعير تخرج في المراق والاباط غالباً وقد تخرج في الأيدي والأصابع وغيرها من الأعضاء حيث شاء الله تعالى، فعلى هذا كل طاعون وباء ولا ينعكس.

وقال القرطبي: هو نقمة يرسلها الله على من شاء من عصاة عبيده وكفرتهم، ورحمة وشهادة للصالحين من عباده، وقال عياض: إنه عذاب يبعثه الله تعالى على من شاء ثم يجعله رحمة للمؤمنين، وفيه جواز الفرار منه والخروج من الأرض الموبوءة إلى غيرها لأن في المقام فيها إيقاع النفس إلى التهلكة والأوهام المشوشة لها، وسر ذلك ـ على ما أشار إليه الغزالي في آخر كتاب التوكل من الإحياء ـ أن سبب الوباء عند الأطباء هو عفونة الهواء، والهواء لا يؤثر بأول ملاقاة الجسد

---

(١) الكافي: ٨ / ٩٣.

بل حتى يدوم الاستنشاق فإذا دام استنشاقه وصل إلى الرية والقلب وباطن الأحشاء فيؤثر فيها، فإذا خرج سلم إلاّ إذا تعلق المشيئة بموته.

ومن طرق العامة روايات متكثرة للمنع من الدخول في أرض الوباء والخروج منها، روى مسلم منها خمسة عشر، منها مارواه عن اُسامة بن زيد قال: قال النبي صلى الله عليه وآله **«الطاعون رجز اُرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»**.

والبواقي كلها بهذا المضمون وهم قد اختلفوا فأخذ أكثرهم بتلك الروايات فمنعوا الفرار منه والقدوم عليه حتى قال بعضهم: الفرار منه كالفرار من الزحف، وبعضهم أجاز الأمرين، وقال بعضهم: لم ينه عن الخروج خوف أن يهلك قبل أجله ولا عن الدخول خوف أن يصيبه غير ما كتب الله له ولكن خوف فتنة الحي بظن أن هلاك من دخل لدخوله ونجاة من خرج لخروجه، ونقل عن ابن مسعود أن الطاعون فتنة على المقيم والفار، يقول المقيم أقمت فمت، ويقول الفار فررت فنجوت، وإنما فرّ من لم يحضر أجله وأقام من جاء أجله فمات.

(**إنما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك لمكان ربئة**) هي بفتح الراء وكسر الباء الموحدة وفتح الهمزة طليعة يُقال ربئهم ولهم كمنع صار ربئة لهم أي طليعة. والمركز موضع الرحل ومحله وحيث أمر الجند أن يلزموه.

*** الأصل:**

٢٤ـ علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي مالك الحضرميّ، عن حمزة ابن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **ثلاثة لم ينج منها نبيّ فمن دونه، التفكّر في الوسوسة في الخلق والطيرة والحسد إلاّ أنّ المؤمن لا يستعمل حسده**[1].

*** الشرح:**

قوله (قال ثلاثة لم ينج منها نبي فمن دونه: التفكر في الوسوسة في الخلق والطيرة والحسد) الوسوسة بالفتح والوسواس بالكسر مصدران بمعنى الأفكار وحديث النفس والشيطان بما لا نفع ولا خير فيه، ورجل موسوس على صيغة المفعول إذا غلب عليه الوسوسة، والوسواس بالفتح الاسم وهو ما خطر في القلب من شر ومرض يحدث من غلبة السوداء ولا يضر إذا لم يتمكن فيه سواء كان متعلقاً بالأصول أم بغيرها مثل أن يخطر بقلب رجل كيف خلق الله الأشياء بلا مادة أو لم

---

(١) الكافي: ٨ / ٩٣.

خلق بعضها أو كيف يكون هو موجوداً بلا موجد وأمثال ذلك، وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يارسول الله هلكت، فقال له: أتاك الخبيث فقال لك من خلقك ؟ فقلت الله، فقال لك: الله من خلقه فقال: إي والذي بعثك بالحق لكان كذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذلك والله محض الإيمان، قال أبو عبد الله عليه السلام إنه إنما قال هذا والله محض الإيمان خوفه أن يكون قد هلك حيث عرض ذلك في قلبه) وروي «أنكم إذا وجدتم مثل ذلك قولوا لا إله إلاّ الله» وروي أيضاً «قولوا آمنا بالله وبرسوله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله». والطيرة بفتح الياء كعنبة: التشؤم وهي مصدر يطير طيرة كيخير خيرة، قال عياض: لم يأت من المصادر على هذا الوزن غيرهما، وبعضهم يقول طيرة بسكون الياء، وقال الزجاج: اشتقاق الطيرة أما من الطيران لأن الإنسان إذا تشأم بشيء كرهه تباعد عنه فشبه سرعة إعراضه عنه بالطيران، وإما من الطير لأنهم كانوا يستعملونه من زجر الطير ويتشأمون ببعضها وقال صاحب المصباح: الطيرة وزان عنبة هي التشؤم، وكانت العرب إذا أرادت المضي لمهم مرت بمجائم الطير وأثارتها ليستفيد هل تمضي أو ترجع فنهى الشارع عن ذلك. **«وقال: لا هام ولا طيرة»** وقال: «وأقروا الطير في وكناتها» أي على مجاثمها، وقال المازري: كانوا يتطيرون بالسوارح والبوارح وكانوا ينشرون الطير والظباء فإذا أخذ ذات اليمين تبركوا ومضوا لحاجتهم وإذا أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحوائجهم فكان ذلك يطردهم في كثير من الأوقات عن مقاصدهم، وهذا أمر وهمي أبطله الشرع بقوله: ولا طيرة، وأخبر أن ذلك لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضراً وسيجيء نفي الطيرة إن شاء الله تعالى، والحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول ولا تزول عنه وتكون له دونه أو تزول عنه مطلقاً **(إلا أن المؤمن لا يستعمل حسده)** أي لا يستعمله قولاً وفعلاً وقلباً بالتفكر في كيفية اجرائه على المحسود وإزالة نعمه، وفيه دلالة على أن هذه الأمور لا إثم بها، وقد مرَّ توضيح ذلك في آخر كتاب الأصول.

*** الأصل:**

٢٥ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد الجوهريّ، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: قال لي: **إني لموعوك منذ سبعة أشهر ولقد وعك ابني اثني عشر شهراً وهي تضاعف علينا أشعرت أنّها لا تأخذ في الجسد كله وربّما أخذت في أعلى الجسد ولم تأخذ في أسفله وربّما أخذت في أسفله ولم تأخذ في أعلى الجسد كلّه** ؟ قلت: جعلت فداك إن أذنت لي حدّثتك بحديث عن أبي بصير، عن جدّك عليه السلام أنّه كان إذا وعك استعان بالماء البارد فيكون له ثوبان: ثوب في الماء البارد وثوب على جسده يراوح بينهما ثمّ ينادي حتّى يسمع صوته على باب الدار: يا فاطمة بنت محمد، فقال: صدقت، قلت:

جعلت فداك فما وجدتم للحمّى عندكم دواء ؟ فقال: **ما وجدنا لها عندنا دواء إلاّ الدُّعاء والماء البارد، إنّي اشتكيت فأرسل إليّ محمد بن إبراهيم بطبيب له فجاءني بدواء فيه قيّ فأبيت أن أشربه لأني إذا قييت زال كلّ مفصل مني.**(١)

*** الشرح :**

قوله **(إني لموعوك)** الوعك الحمى، وقيل: المها، وقد وعكه المرض وعكاً ووعك فهو موعوك.

(أشعرت أنها لا تأخذ في الجسد كله) من الشعور وهو العلم يُقال شعر به كنصر وكرم شعوراً: علم به وفطن له وعقله **(أنه إذا كان وعك استعان بالماء البارد)** نظيره كثير من طرق العامة، روى مسلم تسعة. منها ما رواه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال **«الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»**، ومنها ما رواه أن أسماء كانت تؤتى بالمرأة الموعوكة فتدعو بالماء فتصبها في جيبها وتقول إن النبي ﷺ قال **«أبردوها بالماء وقال إنها من فيح جهنم»** والفيح شدة حرها، قال محيي الدين البغوي: بعض من في قلبه مرض من جهلة الأطباء يتلاعب ويكثر من ذكر هذه الأحاديث استهزاءً ثم يشنع ويقول: الأطباء مجمعون على أن اغتسال المحموم بالماء البارد مهلك لأنه يجمع المسام ويحقن البخار المتحلل فتنعكس الحرارة إلى داخل الجسم فتهلك، وهذا تعيير فيما لم يقله عليه السلام فإنه عليه السلام قال «أبردوها» فمن أين لهم أنه أراد الانغماس فيحمل على أنه أراد بالإبراد أدنى استعمال الماء البارد على وجه ينفع ولا يبعد أن يراد به أن يرش بعض الجسد بالماء كما دل عليه حديث أسماء فلا يبقى للملحد مطعن، وأيضاً الأطباء يسقون صاحب الحمى الصفراوية الماء الشديد البرد ويسقونه الثلج ويغسلون أطرافه بالماء البارد فغير بعيد أن يكون عليه السلام أراد هذا النوع من الحمى وهذا النحو من الغسل على ما قالوه أو قريباً منه، وقال القرطبي: إن صدر هذا الطعن عمن ارتاب في صدقه عليه السلام أقيم عليه الدليل الدال على صدقه في جميع ما يخبر به من المعجزات وغيرها فإن أناب وإلاّ فيفعل بالسيف ما لا يفعل بالبرهان وإن صدر من فهمه بالإيراد الانغماس فليس هو الذي أراد وإنما أراد استعمال الماء على وجه ينفع فيجب أن يبحث عنه ولا يبعد أنه أراد أن يرش بعض بدنه أو يفعل به ما كانت أسماء تفعل.

(إني اشتكيت) أي مرضت، اشتكى فلان إذا مرض.

(فأرسل إليّ محمد بن إبراهيم ...) كأنه العباس الهاشمي المدني الملقب بابن الإمام وهو

---

(١) الكافي: ٨ / ٩٤.

محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

*** الأصل:**

٢٦ ـ الحسين بن محمد الأشعري، عن محمد بن إسحاق الأشعري، عن بكر بن محمد الأزدي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام **حمّ رسول الله صلى الله عليه وآله فأتاه جبرئيل عليه السلام فعوّذه فقال: بسم الله أرقيك يامحمد، وبسم الله أشفيك، وبسم الله من كلِّ داء يعنيك، بسم الله والله شافيك، بسم الله خذها فلتهنّيك، بسم الله الرّحمن الرّحيم فلا أُقسم بمواقع النجوم لتبرأنّ بإذن الله**، قال بكر: وسألته عن رقية الحمّى فحدّثني بهذا.(١)

*** الشرح:**

• قوله (**فأتاه جبرئيل عليه السلام فعوذه فقال بسم الله أرقيك يامحمد**) رقاه الراقي رقية ورقياً: عوذه ونفث في عوذته من باب ضرب كذا في المغرب.

(**بسم الله أرقيك**) معناه بسم الله أعوذك لا بغيره، والمراد بالاسم هنا المسمى كما قال: ﴿**سبح اسم ربك**﴾ والاسم هو الكلمة الدالة على المسمى إلاّ أنه قد يتسع فيوضع الاسم موضع المسمى مسامحة ويحتمل حمله على ظاهره أيضاً لأن اسم الله تبارك وتعالى مبارك وله فضيلة عظيمة وخاصية جزيلة لا يحيط العقل بكنهها وفضائل الاسم الأعظم أكثر من أن تعد وتحصى، وفيه دلالة على استحباب الرقية بأسماء الله تعالى، والتعوذ بالقرآن العظيم وبعض سوره وآياته مشهورة وفي الأخبار ومؤلفات القوم مذكور ولا خلاف في شيءٍ من ذلك بين العامة والخاصة، ولا ينافي ذلك التوكل، وماورد في النهي عن الرقية فإنما هي الرقية بغير ما مرَّ من الأسماء التي لا يعرف معناها خوف أن يكون كفراً أو قريباً منه، وأما رقية أهل الكتاب مثل اليهود والنصارى فلم يحضرني من الأخبار وأقوال الأصحاب ما يدل على تجويزها أو منعها، وأما العامة فقد اختلفوا فيها فجوزها بعضهم ومنعها مالك خوف أن يكون بما بدلوه وأجيب عنه بأنه يبعد أن يكون مما بدلوه لأنه لا غرض لهم في تبديلها، ثم إنه لا خلاف بيننا وبينهم في جواز المسح باليد على المرقى، والروايات من طرقنا وطرقهم متكثرة وأما النفث والتفل والنفخ فلم أجد من رواياتنا ما يدل عليها وهي مذكورة في رواياتهم.

قال القرطبي: التفل والنفث سنة في الرقي عند المالك والطبري وجماعة من الصحابة والتابعين وأنكره بعضهم وأجازوا فيه النفخ واختلف في التفل والنفث، وقيل هما بمعنى واحد وهما نفخ

---

(١) الكافي: ٨ / ٩٤.

يسير معه يسير ريق، قال أبو عبيد الله: الريق مع التفل لا مع النفث، وقيل بالعكس، وقال بعضهم التفل بالفتح البصاق نفسه.

(**وبسم الله أشفيك**) أي أبرئك من المرض أو أعالجك بهذا الاسم فوضع الشفاء موضع العلاج والمداواة.

(**وبسم الله من كل داء يعنيك**) أي يقصدك يقال عنيت فلاناً عيناً إذا قصدته، وقيل معناه من كل داء يشغلك، يقال هذا الأمر لا يعنيني أي لا يشغلني.

(**بسم الله خذها فلتهنيك**) هناني الطعام يهنئني ويهنأني من باب ضرب ومنع وكل أمر يأتيك بلا تعب ولا مشقة وهو حسن العاقبة فهي هنيء لك، ولعل ضمير التأنيث راجع إلى هذه الكلمات الشريفة أو العوذة.

*** الأصل:**

٢٧ ـ أبو علي الأشعري، عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قال: (بسم الله الرّحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم) ثلاث مرّات كفاه الله عزّ وجلّ تسعة وتسعين نوعاً من أنواع البلايا أيسرهنّ الخنق.**[1]

*** الشرح:**

قوله (**أيسرهن الخنق**) خنقه يخنقه من باب قتل خنقاً ككتف إذا عصر حلقه حتى يموت فهو خانق ومخنوق، والخناق ككتاب الحبل يخنق به وكغراب داء يمتنع معه نفوذ النفس إلى الرية والقلب.

*** الأصل:**

٢٨ ـ حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد الكندي، عن أحمد بن الحسن الميثمي، عن أبان بن عثمان، عن نعمان الرّازي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **انهزم النّاس يوم أُحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله فغضب غضباً شديداً، قال: وكان إذا غضب انحدر عن جبينيه مثل اللّؤلؤ من العرق، قال: فنظر فإذا عليٌّ عليه السلام إلى جنبه فقال له: الحق ببني أبيك مع من انهزم عن رسول الله، فقال: يارسول الله لي بك أُسوةٌ قال: فاكفني هؤلاء، فحمل فضرب أوّل من لقي منهم فقال جبرئيل عليه السلام: إن هذه لهي المواساة يا محمد فقال: إنّه مني وأنا منه، فقال جبرئيل عليه السلام وأنا منكما يا محمد، فقال أبو عبد**

(١) الكافي: ٨ / ٩٤.

الله عليه السلام: فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرئيل عليه السلام على كرسيّ من ذهب بين السّماء والأرض وهو يقول: لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي.(١)

٭ الشرح :

قوله **(فقال له الحق ببني أبيك)** هذا الأمر إما للرخصة أو للاختبار.

(فقال يارسول الله لي بك أسوة) هي بضم الهمزة وكسرها القدوة، وتأسيت به: اقتديت **(فقال فاكفني هؤلاء)** إشارة إلى جماعة حملوا عليه، قال شارح النهج: إنه لما هزمت الصحابة يوم أُحد ونادى الناس «قتل محمد» وكان حيّاً صريعاً بين القتلى حملت عليه فرق من المشركين فقال صلى الله عليه وآله اكفني هذه فحمل عليها وهزمها وقتل رئيسها ثم صمدت إليه أُخرى فقال: ياعلي أكفني هذه، فحمل عليها فهزمها وقتل رئيسها ثم صمدت إليه أخرى فقال يا علي أكفني هذه فحمل عليها فهزمها وقتل رئيسها ثم صمدت إليه ثالثة وكذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك يقول: قال لي جبرئيل: يا محمد هذه المواساة، فقلت: وما يمنعه هو مني وأنا منه. فقال جبرئيل وأنا منكما.

وروى المحدثون أيضاً أن المسلمون سمعوا ذلك اليوم هاتفاً من قبل السماء ينادي: لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا تسمعون؟ هذا صوت جبرئيل وكذلك ثبت معه حنين في نفر يسير من بني هاشم بعد أن ولى المسلمين الأدبار وحمى عنه، أقول: وفي قول جبرئيل: وأنا منكما دلالة على أنهما أشرف منه حيث طلب أن يكون له منزلة من الله مثل منزلتهما.

٭ الأصل :

٢٩ ـ حميد بن زياد، عن عبيد الله بن أحمد الدّهقان، عن علي بن الحسن الطاطري، عن محمد بن زياد بن عيسى بيّاع السابري، عن أبان بن عثمان قال: حدّثني فضيل البرجمي قال: كنت بمكّة وخالد بن عبد الله أمير وكان في المسجد عند زمزم فقال أُدعوا لي قتادة. قال: فجاء شيخ أحمر الرّأس واللّحية فدنوت لأسمع، فقال خالد: يا قتادة أخبرني بأكرم وقعة كانت في العرب وأعزّ وقعة كانت في العرب وأذلّ وقعة كانت في العرب، فقال: أصلح الله الأمير أُخبرك بأكرم وقعة كانت في العرب وأعزّ وقعة كانت في العرب، وأذلّ وقعة كانت في العرب، واحدة. قال خالد: ويحك واحدة! قال: نعم أصلح الله الأمير قال: أخبرني ؟ قال: بدر، قال وكيف ذا ؟ قال: إنّ بدراً أكرم وقعة كانت في العرب بها أكرم الله عزّ وجلّ الإسلام وأهله وهي أعزُّ وقعة كانت في العرب بها أعزّ الله الإسلام وأهله وهي أذلُّ وقعة كانت في العرب، فلمّا قتلت قريش يومئذ ذلّت العرب.

---

(١) الكافي: ٨ / ٩٥.

فقال له خالد: كذبت لعمر الله إن كان في العرب يومئذ من هو أعزّ منهم، ويلك يا قتادة أخبرني ببعض أشعارهم؟ قال: خرج أبو جهل يومئذ وقد أعلم ليرى مكانه وعليه عمامة حمراء وبيده ترس مذهّب وهو يقول:

ما تنقم الحرب الشموس منّي بازل عامين حديث السنّ

لمثل هذا ولدتني أمّي

فقال: كذب عدوُّ الله إن كان ابن أختي لأفرس منه يعني خالد بن الوليد ـ وكانت أمّه قسريّة ـ ويلك يا قتادة من الذي يقول: «أوفي بميعادي وأحمي عن حسب»! فقال: أصلح الله الأمير ليس هذا يومئذ، هذا يوم أُحد، خرج طلحة بن أبي طلحة وهو ينادي: من يُبارز؟ فلم يخرج إليه أحدٌ، فقال: إنّكم تزعمون أنّكم تجهّزونا بأسيافكم إلى النار ونحن نجهّزكم بأسيافنا إلى الجنّة فليبرزنّ إليّ رجل يجهزني بسيفه إلى النار وأجهّزه بسيفي إلى الجنة، فخرج إليه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول:

أنا ابن ذي الحوضين عبد المطّلب وهاشم المطعم في اليوم السغب

أوفي بميعادي وأحمي عن نسب

فقال خالد لعنه الله: كذب لعمري والله أبو تراب ما كان كذلك، فقال الشيخ: أيّها الأمير ائذن لي في الانصراف، قال: فقام الشيخ يفرج الناس بيده وخرج وهو يقول: زنديق وربِّ الكعبة[(١)](٢).

*** الشرح:**

قوله (حدثني فضيل البرجمي) بالضم منسوب إلى البراجم وهم قوم من أولاد حنظلة بن مالك (فقال ادعوا لي قتادة) كأنه قتادة بن النعمان من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله.

(فلما قتلت قريش يومئذ ذلت العرب) لذهاب رؤسائهم وشرفائهم.

(فقال له خالد كذبت لعمر الله) أي لبقاء الله قسمى (إن كان في العرب) إن مخففة من المثقلة (يومئذ من هو أعزّ منهم) زعم أن قبيلة القسرية أعز من قريش تعصباً وحمية.

(وقد أعلم ليرى مكانه) أي أعلم فرسه بأن علق على عنقه ثوباً ملوناً أو أعلم نفسه بأن وسمها

---

(١) «زنديق ورب الكعبة» يعني خالد بن عبد الله القسري زنديق لأنه لو كان مسلماً لاستبشر بذكر بدر وغلبة المسلمين على قريش وذل قريش بهم ولم يتبجح بشعر أبي جهل ولم يستحسنه، وهكذا في كل زمان إذا رأينا من يتأسف من ظفر العرب على العجم وزوال ملكهم بجنود العرب ويستبشر بعود الجاهلية على ما كان علم أن صاحبه غير مسلم وإلاّ لكان مسروراً بزوال ملك المجوس وانتقال ملكهم إلى الإسلام. (ش)

(٢) الكافي: ٨ / ٩٥.

بسيماء الحرب وزينها بآلاته ليرى مكانه ومنزلته بين الأبطال والشجعان.

(وهو يقول ما تنقم الحرب الشموس مني) النقمة بالكسر والفتح وكفرحة المكافاة بالعقوبة ومنه الانتقام، والنقمة أيضاً: العيب والكراهة، نقمت عليه أمره ونقمت منه من باب ضرب: إذا عتبه وكرهه أشد الكراهة لسوء فعله، والشموس بالضم مصدر معناه بالفارسية «بيقرار وبد خوشدن اسب»، وبالفتح صفة يعني «بدخو» يقال شمس الفرس شموساً وشماساً منع ظهره فهو شامس وشموس، ووصف الحرب به من باب التشبيه في الإهلاك أو الاضطراب أو الشدة أو عدم أمن صاحبه من المكاره.

(بازل عامين حديث السن) الظاهر أن بازل عامين بالجر بدل عن ضمير المتكلم في «مني» ونصبه على الحال محتمل والبازل من الإبل الذي تم له ثماني سنين ودخل في التاسعة وحينئذ تطلع نابه وتكمل قوته يُقال له بعد ذلك بازل عام وبازل عامين يقول أنا مجتمع الشباب مستكمل القوة.

(فقال كذب عدو الله إن كان ابني أختي لأفرس منه) فلان أفرس من فلان أشجع منه، من «فرس الأسد فريسته» إذا دق عنقها، وجعله للمبالغة والزيادة في الفارس بمعنى راكب الفرس فيرجع مآله إلى ماذكر بعيد، كما يبعد جهله للمبالغة في الفراسة بالكسر وهي تعرف أحوال الشخص والأمور بالظن الصائب والرأي الثاقب ليكون إشارة إلى كمال معرفته بأحوال الأبطال وأمور الحرب فليتأمل (يعني خالد بن الوليد) وهو كان مشركاً حاضراً مع المشركين في حرب بدر ونجا بالفرار منها وأسلم بعد فتح مكة (وكانت أمه قسرية) قال الجوهري قسر بطن من بجيلة وهم رهط خالد بن عبد الله القسري وهو بتلك النسبة تفاخر بخالد، وفي بعض النسخ «قشرية» بالشين المعجمة منسوبة إلى قشير بوزن رجيل أبو قبيلة وهو قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن والظاهر أنها تصحيف.

(خرج طلحة بن أبي طلحة وهو ينادي من يبارز) قيل هو طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبد الدار قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم أُحد والمبارزة في القتال الظهور من الصف.

(فقال إنكم تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار) ترغيب لهم في المبارزة أو توبيخ على تركها وجهاز الميت والعروس والمسافر ما يحتاجون إليه، تقول جهزت فلاناً تجهيزاً إذا هيأت جهاز سفره.

(وهو يقول أنا ابن ذي الحوضين عبد المطلب) في القاموس: الحوض معروف، وذي الحوضين عبد المطلب واسمه شيبة أو عامر بن هاشم فقوله عبد المطلب بدل من ذي الحوضين،

وقوله «وهاشم المطعم في العام السغب» عطف على ذي الحوضين، والسغب: المجاعة، سغب كفرح ونصر سغباً وسغباً جاع، أو لا يكون إلاّ مع تعب فهو ساغب وسغبان وسغِب، وفي وصف العام به مبالغة في شيوع الجوع والقحط فيه. وفي معارج النبوة كان اسم هاشم بن عبد مناف عبد الأعلى أو عمرو ثم لقب بهاشم لأنه كان يهشم الخبز ويكسره ويجعله ثريداً للفقراء، بيان ذلك أنه وقع في مكة قحط عظيم وكان لهاشم دقيق كثير فخبزه وذبح في كل صباح وفي كل مساء إبلاً وطبخه وأطعم المحتاجين في كل يوم خبزاً ولحماً وثريداً فاشتهر بهاشم.

(أوفي بميعادي وأحمي عن حسب) الموعد والميعاد محل أو وقت وعد إيقاع الفعل فيه كالحضور والقتال ونحوهما فكأنه عليه السلام قدر في نفسه الحضور والقتال في كل مكان أو وقت طلب فيه البطل مبارزاً وألزم على نفسه القدسية والوفاء به، والمراد بالحسب إما الدين أو القدر والشرف أو ما يعد من مفاخر الآباء، وحماية كل واحد بدفع النقص والعار عنه لازمة على ذمة العقلاء وأهل الكمال.

حديث آدم عليه السلام مع الشجرة

* **الأصل:**

٣٠ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **إن الله تبارك وتعالى عهد إلى آدم عليه السلام أن لا يقرب هذه الشجرة فلمّا بلغ الوقت الذي كان في علم الله أن يأكل منها نسي فأكل منها وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿ولقد عهدنا إلى آدم ومن قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾(١) فلمّا أكل آدم عليه السلام من الشجرة أهبط إلى الأرض فولد له هابيل وأخته توأم وولد له قابيل وأخته توأم، ثم إنّ آدم عليه السلام أمر هابيل وقابيل أن يقرّبا قرباناً، وكان هابيل صاحب غنم وكان قابيل صاحب زرع فقرّب هابيل كبشاً من أفاضل غنمه وقرّب قابيل من زرعه ما لم ينق فتقبّل قربان هابيل ولم يتقبّل قربان قابيل وهو قول الله عز وجلّ ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر..﴾(٢) إلى آخر الآية وكان القربان تأكله النّار فعمد قابيل إلى النّار فبنى لها بيتاً ـ وهو أوّل من بنى بيوت النّار ـ فقال: لأعبدنّ هذه النّار حتّى تتقبّل منّي قرباني، ثمّ إنّ إبليس لعنه الله أتاه ـ وهو يجري من ابن آدم مجرى الدّم في العروق ـ فقال له: يا قابيل قد تقبّل قربان هابيل ولم يتقبّل قربانك وإنّك إن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك ويقولون نحن أبناء الذي تقبّل قربانه فاقتله كيلا يكون له عقب يفتخرون على عقبك فقتله فلمّا رجع قابيل إلى آدم عليه السلام قال له: ياقابيل أين هابيل؟ فقال: اطلبه حيث قرّبنا القربان فانطلق آدم عليه السلام فوجد هابيل قتيلاً فقال آدم عليه السلام: لعنت من أرض كما قبلت دم هابيل وبكى آدم عليه السلام على هابيل أربعين ليلة ثم إنّ آدم سأل ربه ولداً فولد له غلامٌ فسمّاه هبة الله لأنّ الله عزّ وجلّ وهبه له وأخته توأم.**

فلمّا انقضت نبوّة آدم عليه السلام واستكمل أيّامه أوحى الله عزّ وجلّ إليه أن يا آدم قد انقضت نبوّتك واستكملت أيّامك فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة في العقب من ذرّيتك عند هبة الله فإنّي لن أقطع العلم والإيمان والإسم الأكبر وآثار النبوّة من العقب من ذرّيتك إلى يوم القيامة ولن أدع الأرض إلاّ وفيها عالم يعرف به ديني ويعرف به طاعتي ويكون نجاة لمن يولد فيما بينك وبين نوح وبشّر آدم بنوح عليه السلام فقال: إن الله تبارك وتعالى

---

(١) سورة طه: ١١٥. (٢) سورة المائدة: ٢٧.

باعث نبيّاً اسمه نوح وإنه يدعو إلى الله عزّ ذكره ويكذّبه قومه، فيهلكم الله بالطّوفان، وكان بين آدم وبين نوح عليهم السلام عشرة آباء أنبياء وأوصياء كلّهم، وأوصى آدم عليه السلام إلى هبة الله أنّ من أدركه منكم فليؤمن به وليتبعه وليصدق به فإنّه ينجو من الغرق، ثمّ إنّ آدم عليه السلام مرض المرضة التي مات فيها فأرسل هبة الله وقال له: إن لقيت جبرئيل أو من لقيت من الملائكة فاقرأه منّي السلام وقل له: ياجبرئيل إنّ أبي يستهديك من ثمار الجنّة فقال له جبرئيل: يا هبة الله إنّ أباك قد قبض وإنّا نزلنا للصلاة عليه فارجع فرجع فوجد آدم عليه السلام قد قبض فأراه جبرئيل كيف يغسّله فغسّله حتّى إذا بلغ الصلاة عليه قال هبة الله: يا جبرئيل تقدّم فصلّ على آدم فقال له جبرئيل: إن الله عز وجلّ أمرنا أن نسجد لأبيك آدم وهو في الجنّة فليس لنا أن نؤمّ شيئاً من ولده، فتقدّم هبة الله فصلّى على أبيه وجبرئيل خلفه وجنود الملائكة وكبّر عليه ثلاثين تكبيرة فأمر جبرئيل عليه السلام فرفع خمساً وعشرين تكبيرة ـ والسنّة اليوم فينا خمس تكبيرات وقد كان يكبّر على أهل بدر تسعاً وسبعاً ـ ثم إنّ هبة الله لمّا دفن أباه أتاه قابيل فقال: يا هبة الله إنّي قد رأيت أبي آدم قد خصّك من العلم بما لم أخصّ به أنا وهو العلم الذي دعا به أخوك هابيل فتقبّل قربانه وإنما قتلته لكيلا يكون له عقب فيفتخرون على عقبي فيقولون: نحن أبناء الذي تقبّل قربانه وأنتم أبناء الذي ترك قربانه فإنك إن أظهرت من العلم الذي اختصّك به أبوك شيئاً قتلتك كما قتلت أخاك هابيل، فلبث هبة الله والعقب منه مستخفين بما عندهم من العلم والإيمان والاسم الاكبر وميراث النبوّة وآثار علم النبوّة حتّى بعث الله نوحاً عليه السلام وظهرت وصيّة هبة الله حين نظروا في وصيّة آدم عليه السلام فوجدوا نوحاً عليه السلام نبيّاً قد بشّر به آدم عليه السلام فآمنوا به واتّبعوه وصدّقوه وقد كان آدم عليه السلام وصّى هبة الله أن يتعاهد هذه الوصيّة عند رأس كلّ سنة فيكون يوم عيدهم فيتعاهدون نوحاً وزمانه الذي يخرج فيه وكذلك جاء في وصية كلّ نبيّ حتّى بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وإنما عرفوا نوحاً بالعلم الذي عندهم وهو قول الله عز وجلّ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه.. ﴾(١) إلى آخر الآية، وكان من بين آدم ونوح من الأنبياء مستخفين ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسمّوا كما سمّي من استعلن من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾(٢) يعني لم أُسم المستخفين كما سمّيت المستعلنين من الأنبياء عليهم السلام.

فمكث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، لم يشاركه في نبوّته أحدٌ ولكنّه قدم على قوم مكذّبين للأنبياء عليهم السلام الذين كانوا بينه وبين آدم عليه السلام وذلك قول الله عز وجلّ: ﴿كذبت قبلهم قوم

---

(١) سورة الأعراف: ٥٩. (٢) سورة النساء: ١٦٤.

نوح المرسلين﴾ يعني من كان بينه وبين آدم عليه السلام إلى أن انتهى إلى قوله عزّ وجل ﴿وإنّ ربك لهو العزيز الرّحيم﴾ ثمّ إن نوحاً عليه السلام لمّا انقضت نبوّته واستكملت أيامه أوحى الله عز وجلّ إليه أن يا نوح قد قضيت نبوّتك واستكملت أيّامك فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في العقب من ذريّتك، فإني لن أقطعها كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء عليهم السلام التي بينك وبين آدم عليه السلام ولن أدع الأرض إلاّ وفيها عالمٌ يعرف به ديني وتعرف به طاعتي ويكون نجاة لمن يولد فيما بين قبض النبي إلى خروج النبي الآخر وبشّر نوح ساماً بهود عليه السلام وكان فيما بين نوح وهود من الأنبياء عليهم السلام وقال نوح: إن الله باعث نبياً يُقال له: هود إنه يدعو قومه إلى الله عزّ وجلّ فيكذّبونه والله عزّ وجلّ مهلكهم بالرّيح فمن أدركه منكم فليؤمن به وليتبعه فإنّ الله عز وجلّ ينجيه من عذاب الرّيح وأمر نوح عليه السلام ابنه ساماً أن يتعاهد هذه الوصيّة عند رأس كلّ سنة فيكون يومئذ عيداً لهم، فيتعاهدون فيه ما عندهم من العلم والإيمان والاسم الأكبر ومواريث العلم وآثار علم النبوّة فوجدوا هوداً نبياً عليه السلام وقد بشّر به أبوهم نوح عليه السلام فآمنوا به واتّبعوه وصدّقوه فنجوا من عذاب الريح وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾[1] وقوله عز وجلّ: ﴿كذّبت عاد المرسلين * إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون﴾[2] وقال تبارك وتعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ وقوله: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاًّ هدينا (لنجعلها في أهل بيته) ونوحاً هدينا من قبل﴾[3] لنجعلها في أهل بيته، وأمر العقب من ذُرّيته الأنبياء عليهم السلام من كان قبل إبراهيم لإبراهيم عليهم السلام وكان بين إبراهيم وهود من الأنبياء صلوات الله عليهم وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾[4] وقوله عزّ ذكره: ﴿فآمن له لوط وقال إنـي مهاجرٌ إلى ربّي﴾[5] وقوله عز وجلّ ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ فجرى بين كلّ نبيين عشرة أنبياء وتسعة وثمانية أنبياء كلهم أنبياء وجرى لكل نبي ما جرى لنوح صلى الله عليه وكما جرى لآدم وهود وصالح وشعيب وإبراهيم صلوات الله عليهم حتّى انتهت إلى يوسف بن يعقوب عليهما السلام، ثم صارت من بعد يوسف في أسباط إخوته حتّى انتهت إلى موسى عليه السلام فكان بين يوسف وبين موسى من الأنبياء عليهم السلام فأرسل الله موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وهامان وقارون ثم أرسل الرسل تترى ﴿كلما جاء أمّة رسولهم كذّبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث﴾ وكانت بنو إسرائيل تقتل نبياً واثنان قائمان ويقتلون اثنين وأربعة قيام حتّى

(١) سورة الأعراف: ٦٥. (٢) سورة البقرة: ١٣٢. (٣) سورة الانعام: ٨٤.
(٤) سورة هود: ٨٩. (٥) سورة العنكبوت: ٢٦.

أنه كان ربما قتلوا في اليوم الواحد سبعين نبيّاً ويقوم سوق قتلهم آخر النهار فلمّا نزلت التوراة على موسى عليه السلام بشّر بمحمد صلى الله عليه وآله وكان بين يوسف وموسى من الأنبياء.

وكان وصيّ موسى يوشع بن نون عليه السلام وهو فتاه الذي ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه، فلم تـزل الأنبياء تبشّر بمحمد صلى الله عليه وآله حتى بعث الله تبارك وتعالى المسيح عيسى بن مريم فبشّر بمحمد صلى الله عليه وآله وذلك قوله تعالى: ﴿يجدونه (يعني اليهود والنصارى) مكتوباً (يعني صفة محمد صلى الله عليه وآله) عندهم (يعني) في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر﴾ وهو قول الله عز وجل يخبر عن عيسى: ﴿ومبشّراً برسولٍ يأتيمن بعدي اسمه أحـمد﴾[1] وبشّر موسى وعيسى بمحمد صلى الله عليه وآله كما بشّر الأنبياء عليهم السلام بعضهم ببعض حتّى بلغت محمداً صلى الله عليه وآله.

فلمّا قضى محمد صلى الله عليه وآله نبوّته واستكملت أيّامه أوحى الله تبارك وتعالى إليه يا محمد قد قضيت نبوّتك واستكملت أيّامك فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في أهل بيتك عند علي بن أبي طالب عليه السلام فإني لم أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة من العقب من ذريّتك كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم وذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذريةً بعضها من بعض والله سميع عليم﴾[2].

وإن الله تبارك وتعالى لم يجعل العلم جهلاً ولم يكل أمره إلى أحد من خلقه لا إلى ملك مقرّب ولا نبيٍ مرسل ولكنه أرسل رسولاً من ملائكته فقال له: قل كذا وكذا فأمرهم بما يحبّ ونهاهم عمّا يكره فقص إليهم أمر خلقه بعلم فعلم ذلك العلم وعـلّم أنـبياءه وأصـفياءه مـن الأنـبياء والإخوان والذرية التي بعضها من بعض فذلك قوله جل وعز: ﴿ولقد آتينا آل إبـراهـيم الكـتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾.

فأمّا الكتاب فهو النبوّة وأما الحكمة فهم الحكماء من الأنبياء من الصفوة وأما الملك العظيم فهم الأئمة [الهداة] من الصفوة وكلُّ هؤلاء من الذرية التي بعضها من بعض، والعلماء الذين جعل الله فيهم البقية وفيهم العاقبة وحفظ الميثاق حتى تنقضي الدُّنيا والعلماء، ولولاة الأمر استنباط العلم وللهداة فهذا شأن الفضل من الصفوة والرُّسل والأنبياء والحكماء وأئمة الهدى والخلفاء الذين هم ولاة أمر الله عز وجلّ واستنباط علم الله وأهل آثار علم الله من الذُّرية التي بعضها من بعض من الصفوة بعد الأنبياء عليهم السلام من الآباء والإخوان والذّرية من الأنبياء.

---

(١) سورة الصف: ٦٠. (٢) سورة آل عمران: ٣٣.

فمن اعتصم بالفضل انتهى بعلمهم ونجا بنصرتهم ومن وضع ولاة أمر الله عز وجلّ وأهل استنباط علمه في غير الصفوة من بيوتات الأنبياء عليهم السلام فقد خالف أمر الله عزّ وجلّ وجعل الجهّال ولاة أمر الله والمتكلّفين بغير هدىً من الله عزّ وجلّ وزعموا أنّهم أهل استنباط علم الله فقد كذبوا على الله ورسوله ورغبوا عن وصيته وطاعته ولم يضعوا فضل الله حيث وضعه الله تبارك وتعالى فضلّوا وأضلّوا أتباعهم ولم يكن لهم حجّة يوم القيامة إنما الحجة في آل إبراهيم عليهم السلام لقول الله عز وجلّ: ﴿ولقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة والنبوة وآتيناهم مُلكاً عظيماً﴾.

فالحجّة الأنبياء عليهم السلام وأهل بيوتات الأنبياء عليهم السلام حتى تقوم الساعة لأنّ كتاب الله ينطق بذلك، وصية الله بعضها من بعض التي وضعها على الناس فقال عز وجلّ: ﴿في بيوتٍ أذن الله أن ترفع﴾ وهي بيو[تا]ت الأنبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدى فهذا بيان عروة الإيمان التي نجا بها من نجا قبلكم وبها ينجو من يتّبع الأئمة وقال الله عز وجل في كتابه ﴿ونوحاً هدينا من قبل ومن ذرّيته داود وسليمان وأيّوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريّا ويحيى وعيسى و إلياس كلٌ من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرّياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراطٍ مستقيم * أُولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين﴾[(١)].

فإنه وكّل بالفضل من أهل بيته والإخوان والذرّية وهو قول الله تبارك وتعالى: إن تكفر به أمتك فقد وكّلت أهل بيتك بالإيمان الذي أرسلتك به فلا يكفرون به أبداً ولا أُضيع الإيمان الذي أرسلتك به من أهل بيتك من بعدك علماء أُمّتك وولاة أمري بعدك وأهل استنباط العلم الذي ليس فيه كذب ولا إثم ولا زور ولا بطر ولا رياء فهذا بيان ما ينتهي إليه أمر هذه الأمة.

إن الله جلّ وعزّ طهّر أهل بيت نبيّه عليهم السلام وسألهم أجر المودة وأجرى لهم الولاية وجعله أوصياءه وأحبّاءه ثابتة بعده في أمّته، فاعتبروا يا أيها النّاس فيما قلت حيث وضع الله عز وجلّ ولايته وطاعته ومودّته واستنباط علمه وحججه، فإيّاه فتقبلوا وبه فاستمسكوا تنجوا به وتكون لكم الحجّة يوم القيامة وطريق ربّكم جلّ وعزّ ولا تصل ولاية إلى الله عز وجلّ إلاّ بهم فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يكرمه ولا يعذّبه ومن يأت الله عز وجل بغير ما أمره كان حقّاً على الله عز وجلّ أن يذلّه وأن يعذّبه.[(٢)]

* **الشرح** : قوله (حديث آدم عليه السلام مع الشجرة) قال القاضي وغيره: الشجرة هي الحنطة أو

---

(١) سورة الأنعام: ٨٦ ـ ٨٩. (٢) الكافي: ٨ / ٩٧.

الكرمة أو التينة أو شجرة من أكل منها أحدث، والأولى أن لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه.

(قال إن الله تعالى عهد إلى آدم أن لا يقرب هذه الشجرة) نهى عن القرب للمبالغة في ترك التناول منها وللتنبيه على أن القرب من المنهي عنه قد يوجب الدخول فيه واختلفت الأُمة في هذا النهي فقال علماؤنا أنه نهي تنزيه فيكون لتناوله منها فاعلاً لما يكون تركه أولى، ولا ينافيه نسبة العصيان والغواية إليه بقوله عز وجلّ ﴿**عصى آدم ربه فغوى**﴾ بناء على أن المتصف بهما من فعل كبيرة أو صغيرة بدليل قوله تعالى ﴿**ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم**﴾ وقوله تعالى ﴿**إلاّ من اتبعك من الغاوين**﴾[(١)] فإن متابعة الشيطان كبيرة أو صغيرة لأن حصر العصيان والغواية في الكبيرة والصغيرة ممنوع إذ كما أنهما يتحققان بفعل القبيح والحرام كذلك يتحققان بترك الأولى والمندوب وأما العصيان والغواية في الآية فإنما يُراد بهما ما حصل بفعل محرم ألاترى أنك إذا قلت لرجل على سبيل التنزيه لا تفعل كذا فإن الخير في خلافه ففعله، صح لك أن تقول عصاني وخالفني فغوى أي خاب عن ذلك الخير. وقال بعض أصحابنا: إن الغواية المنسوبة إلى آدم بمعنى الخيبة عن الثواب العظيم المترتب على ترك التناول.

(فلما بلغ الوقت الذي كان في علم الله أن يأكل منها نسي فأكل منها)[(٢)] قد تقرر في كتاب التوحيد أن علمه تعالى بأفعال العباد تابع للمعلوم لا علة له نعم لما علم أكله أراد أكله ليطابق علمه بالمعلوم إرادة تخيير واختيار لا إرادة حتم وإجبار، وقد ذكرنا توضيحه في الكتاب المذكور في باب الاستطاعة وبه يظهر سر ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام «**أنه تعالى نهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها ولو لم يشأ لم يأكل**» ويندفع أيضاً التنافي بين إرادة الأكل والنهي عنه المتضمن لإرادة تركه وهذا التوجيه جار في كل ما يفعل العبد من المناهي فليتأمل **(وهو قول الله: ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً)** النسيان هنا كناية عن الترك لأنه مستلزم للترك، وقد روي تفسير النسيان في هذه الآية بالترك في كتاب الحجة فلا يرد أن حكم النسيان مرفوع عن الإنسان فلا يرد عليه اللوم به والعزم المنفي هو العزم القوي إذ لو كان له عزم قوي لم يأكل من الشجرة، ولم

---

(١) سورة الحجر: ٤٢.

(٢) «نسي فأكل منها» النسيان هنا بمعنى الترك وإن كان ظاهر الرواية أنه بالمعنى المعروف وأن آدم كان معذوراً بنسيانه. ولو كان معذوراً لم يعاتب على الأكل من الشجرة ولا يجوز عندنا النسيان والسهو على الأنبياء بحيث يوجب ترك الواجب وفعل الحرام سهواً والأمر سهل فإن الرواية قاصرة عن الحجية. لا يعتمد في أمثالها إلاّ على ما علم صحته من دليل آخر عقلي أو نقلي. (ش)

يفعل ما كان تركه أولى، وفيه تصريح بأن المراد بالعهد في الآية العهد إلى آدم بأن لا يأكل من الشجرة وقد مرّ في الباب الثالث من كتاب الإيمان والكفر عن أبي جعفر عليه السلام أيضاً أن المراد به العهد إلى آدم بخلافة المهدي صاحب الزمان وإن شئت أن تعرفه فارجع إلى ماذكرناه في شرحه، ولا منافاة بينهما لأنّ العهد مفهوم كلي يندرج فيه هذان الفردان وما روي من «**أن في القرآن كل شيء ولا يعلمه إلاّ المعصوم**» أكثره من هذا القبيل.

(فلما أكل آدم من الشجرة أهبط إلى الأرض) قيل في لفظ الهبوط دلالة على أنه كان في جنة السماء لا في جنة الدنيا لأن الهبوط هو النزول من الأعلى إلى الأسفل ومنع ذلك بأن الهبوط أعم مما ذكر إذ يصدق على النزول من المقام الأشرف إلى المقام الأخس أيضاً، وللكلام في هذا المقام مجال واسع لا يسع المقام ذكره.

(ثم آن آدم عليه السلام أمر هابيل وقابيل أن يقربا قرباناً) اختلف في سبب هذا الأمر فقال بعض العلماء إن آدم عليه السلام قال لهابيل وقابيل: إن ربي عهد إليّ أنه يكون من يقرب القربان فتقربا قرباناً فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل، وقال بعض العامة: السبب أن حواء كانت تلد في كل بطن اثنتين ذكراً وأنثى فولدت في أول بطن قابيل وأخته ثم مكثت سنتين فولدت هابيل وأخته فلما كبروا وأمر الله تعالى آدم أن ينكح قابيل أخت هابيل وينكح هابيل أخت قابيل فرضي هابيل بذلك ولم يرض قابيل لأن أخته كانت أحسنهما فقال آدم: قربا قرباناً فأيكما يقبل قربانه زوجتها منه، وهذا القول مدفوع بأن تحريم الأخوات على الإخوة كان ثابتاً في جميع الأديان وأنه تعالى لما أراد أن يبدأ بالنسل على ما ترون أنزل حوراء من الجنة اسمها نزلة فأمره أن يزوجها من إحدى ابنيه ثم أنزل حوراء من الجنة اسمها منزلة فأمره أن يزوجها من ابنه الآخر فولد للأول غلام وللآخر جارية فأمر الله تعالى آدم حين أدركا أن يزوج ابنة الابن من ابن الابن ففعل فولد الصفوة من النبيين والمرسلين وغيرهم من نسلهما، ويدل عليه ما رواه الصدوق في أول كتاب النكاح عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام.

(فقرب هابيل من أفاضل غنمه) أي خيارها وجيدها **(وقرب قابيل من زرعه ما لم ينق)** في المصباح: نقى الشي من باب علم نقاء بالفتح والمد: نظف فهو نقي على فعيل ويعدى بالهمزة.

(فقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل) واختلفا في سبب القبول وعدمه، فقيل: لأن هابيل تقرب بأحسن غنم عنده، وتقرب قابيل بأردأ قمح عنده، ووضعا قربانهما على جبل فنزلت نار بيضاء من السماء ووقعت على قربان هابيل دون قابيل، وقيل: لأن نية هابيل كانت خالصة ونية قابيل كانت غير خالصة، وقيل: لإن قابيل كان مصراً على كبيرة لا يقبل الله معها طاعة كما يرشد إليه

قول هابيل **﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾**[١].

(ثم إن إبليس لعنه الله أتاه وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم) مثله مروي من طرق العامة أيضاً قال الأزهري: معناه أن الشيطان لا يفارق ابن آدم ما دام حيّاً كما لا يفارقه دمه، وقال: هذا على طريق ضرب المثل، والأكثر أجروه على ظاهره وقالوا: إن الشيطان جعل له هذا المقدار من التطرق إلى باطن الآدمي بلطافة هيئته فيجري في العروق التي هي مجاري الدم من الآدمي إلى أن يصل إلى قلبه فيوسوسه على حسب ضعف إيمان العبد وقلة ذكره وكثرة غفلته، ويبعد عنه ويقل تسلطه وسلوكه إلى باطنه بمقدار قوته ويقظته ودوام ذكره وإخلاص توحيده ويشهد لذلك ظواهر الكتاب والسنة ويذعن لجوازه في القدرة الربانية العقول السليمة وقد ذكرناه مفصلاً في شرح الأصول.

(فانطلق آدم عليه السلام فوجد هابيل قتيلاً) الظاهر أنه وجد مدفوناً لأنّ الظاهر أن قابيل بعد قتله دفنه في الأرض بتعليم غراب بعثه الله يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه فقال يـاويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب.

(فقال آدم لعنت من أرض) وقبلت اللعن **(كما قبلت دم هابيل)** لعنت بكسر التاء خطاب مع القطعة التي قتل فيها هابيل وبسكونها مسند إلى ضميرها و «من» على التقديرين للتفسير والبيان لها أو للتبعيض للدلالة على أن الملعونة يعني البعيدة عن الخير ونزول الرحمة هي تلك القطعة من الأرض لا جميعها إذ للأرض قطع هي مجال للخير والفيض والبركة والرحمة وقد شاع ذم الزمان والمكان باعتبار وقوع الفعل فيهما.

(فولد له غلام فسماه هبة الله لأنّ الله عز وجلّ وهبه له) دلّ على أنه عليه السلام كان يعرف لغة العرب ويتكلم بها وقيل اسمه في السريانية شيث والتسمية بهبة الله من العرب.

(وأخته توأم) عطف على غلام، وفيه رد لما ذكره بعض العامة من أنه تولد من حواء منفرداً بخلاف سائر الإخوة.

(فاجعل العلم الذي عندك ...) لعل المراد بالعلم العلم بـالأحكام وغـيرها مـما أوحـى إليـه وبالإيمان أصول الدين وأركانه كالتوحيد ونحوه، وبالاسم الأكبر الإسم الأعظم أو الكتاب، روى المصنف في باب ما نص الله ورسوله على الأئمة عن أبي عبد الله عليه السلام قال «الاسم الأكبر هو الكتاب الذي يعلم به علم كل شيء الذي كان مع الأنبياء عليهم السلام وبميراث العلم الإرشاد والتعليم والهداية والخلافة وبآثار علم النبوة الصلاح والكرامات والأسرار التي لا يجوز للنبي إظهاره لغير

---

(١) سورة المائدة: ٢٧.

الوصي وفي كتاب معارج النبوة أن آدم عليه السلام عند وصيته إلى شيث أخرج صندوقاً أبيض وفتح قفله وأخرج منه صحيفة بيضاء ونشرها وبلغ نورها شرقاً وغرباً وكانت فيها أسامي جميع الأنبياء والأوصياء وصفاتهم وعلاماتهم ومعجزاتهم وأزمنتهم وأيام عمرهم وما يرد عليهم من العطاء والبلاء أولهم آدم عليه السلام وآخرهم خاتم الأنبياء وسايرهم على الترتيب فعرضهم على شيث ثم وضعها في الصندوق ودفعه إلى شيث وأمره بحفظه» واعلم أن المقصود من هذا الحديث أن الرسالة والنبوة والوصاية والولاية من لدن آدم عليه السلام إلى آخر الدهر إنما كانت بنص الله تعالى وأمره ولم يفوضها إلى الرسل والأنبياء والأوصياء مع كمال عقولهم وهكذا كانت سنة الله دائماً فكيف يفوضها إلى الجهلة من هذه الأمة ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

• **(ويكون نجاة لمن يولد فيما بينك وبين نوح)** أُريد بالنجاة النجاة الاخروية لمن تبعه والنجاة من العقوبة الدنيوية للجميع إذ العالم المذكور سبب لبقاء الخلق ولولا وجوده لساخت الأرض بأهلها، كما دل عليه صريح بعض الروايات.

(وبشّر آدم) هبة الله وخيار أولاده **(بنوح صلى الله عليه فقال إن الله تعالى باعث نبياً اسمه نوح)** في معارج النبوة اسمه في السريانية يشكر، وسماه العرب نوحاً وآدماً ثانياً ولقبوه بشيخ الأنبياء ونجيّ الله، وذكر لتسميته بنوح ثلاثة أوجه أحدها أنه مريوماً بكلب أجرب فقال: اخسأ يا قبيح، فتكلم الكلب وقال: اخلق أحسن مني إن قدرت، أو قال: أنت تعيب النقاش دون النقش، أو قال: احفظ لسانك إنما أجريب أنت اسم آدم ووصف النبوة على نفسك فاضطرب نوح وبكى سنين كثيرة سمي لذلك بنوح، وإنما سموه آدم الثاني لأن سلسلة أنساب الخلائق كلهم بعد الطوفان تنتهي إليه **(وأوصى آدم عليه السلام إلى هبة الله ...)** أي أمره أو عهده أو فرضه والظاهر أنه عليه السلام كتب هذه الوصية وكتب اسم نوح ونعته وأمر هبة الله أن يحفظها أو يعمل بما فيها بقرينة ما يأتي من أنه وصّى هبة الله أن يتعاهد هذه الوصية عند رأس كل سنة **(فأرسل آدم هبة الله وقال له إن لقيت جبرئيل)** دل على أنه كان للملائكة مقام معلوم يراهم آدم وصيه فيه وإلاّ لما احتاج إلى الإرسال.

(فليس لنا أن نؤم شيئاً من ولده) في الفقيه «قال جبرئيل عليه السلام فلسنا نتقدم على أبرار ولده وأنت من إبرارهم» وفيه دلالة على أن أبرار ولده أفضل من الملائكة وأنه لا يجوز للمفضول التقدم على الأفضل في أمر الصلاة فضلاً عن غيره من الرياسة الدينية عموماً.

(وكبر عليه ثلاثين تكبيرة) في صلاة واحدة على الظاهر أو ست صلوات على احتمال، قال بعض العامة: كبر عليه ثلاث تكبيرات، وقال بعضهم: أربع تكبيرات كما هو المعروف عندهم اليوم.

(وقد كان يكبّر على أهل بدر تسعاً وسبعاً) في صلاة ميت واحد أو ميتين بأن كان حضور

الثاني بعد التكبير الثاني أو بعد التكبير الرابع، والأول أظهر.

(ثم إن هبة الله لما دفن أباه) في معارج النبوة دفنه في كنز وهو في غار جبل أبي قبيس، ثم نقله نوح معه في السفينة ودفنه بعد النزول منها في سرنديب **(فلبث هبة الله والعقب منه مستخفين أه)** دل على أن التقية كانت في شرع السابقين أيضاً وهي في دين الله الذي قرره لعباده الصالحين حفظاً لهم عن ضرر الفاسقين.

(وظهرت وصية هبة الله) أي ظهرت وصيته بأنه يبعث نبي اسمه نوح أو بأنه يبعث بعده أنبياء إلى نوح أو ظهر كونه وصياً لآدم لأنه كان يخفيه من الأشرار **(حين نظروا في وصية آدم)** دل على أن الوصية كانت مكتوبة عند هبة الله كما دل عليه قوله **(وقد كان آدم عليه السلام وصى هبة الله أن يتعاهد هذه الوصية)** تعاهده تفقده وطلبه عند غيبته أي أمره أن يطلب هذه الوصية ويتجدد العهد بها وينظر ما فيها من نوح وصفته ويطلبوه هل وجد أم لا.

(وكذلك جاء في وصية كل نبي ...) أي مثل ما ذكر من وصية آدم إلى هبة الله وتبشيره بنوح وذكر نعته وأمر من يدركه بمتابعته وتصديقه جاء في وصية كل نبي إلى وصيه وإلى نبي يأتي بعده وذكر اسمه ونعته وأمر من يدركه بمتابعته وتصديقه حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله فإنه دفع الوصية إلى وصيه وانقطعت الوصية إلى النبي إذ لا نبي بعده.

(وإنما عرفوا نوحاً بالعلم الذي عندهم) الذي حصل لهم بوصية آدم وهبة الله فعلموا بذلك العلم أنه نبي من عند الله تعالى، ولم يكن لهم التعيين والحكم بأنه نبي من قبل أنفسهم فكذلك الوصي.

(وهو قول الله عز وجل) أي كون نوح رسولاً بأمر الله تعالى ومن عنده لا بأمر الخلق **﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾** فإنه صريح في أنه تعالى أرسله ولا مدخل للخلق في إرساله.

(وكان من بين آدم ونوح من الأنبياء مستخفين) خوفاً من ذرية قابيل ومن تبعهم من الأشرار ولعل المراد أن أكثرهم كانوا مستخفين وإلاّ فإدريس كان بين آدم ونوح وكان نبياً وسماه تعالى في القرآن ورفعه مكاناً علياً **(ولذلك خفي ذكرهم في القرآن)** إذ لو ذكروا فيه كان المعاند العارف بأحوال الماضين ينسب الكذب إليه **(فمكث نوح في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً بعد البعث، قال القاضي: روى إنه بعث على رأس أربعين ودعا قومه تسعمائه وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين لم يشاركه في نبوته أحد)** فكان نبياً وحده ولم يكن غيره في عصره نبياً بخلاف سائر الأعصار فإنه كان في عصر واحد أنبياء **(وذلك قول الله عز وجل: كذبت قوم نوح المرسلين)** قال القاضي وغيره: القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة.

(**يعني من كان بينه وبين آدم** ﷺ) يعني كذبوا نوحاً ومن قبله من الرسل بعد إظهار نوح رسالتهم وبهذا التفسير أيضاً صرح بعض المفسرين وقيل كذبوا نوحاً وحده الا أن تكذيب واحد من الرسل لمّا كان كتكذيب الكل صح أنهم كذبوا الكل فأهلكهم الله تعالى بالطوفان.

(**إلى أن انتهى إلى قوله عز وجل وان ربك لهو العزيز الرحيم**) أي العزيز المنتقم من أعدائه الرحيم لأوليائه، والآية في سورة الشعراء (**وهو قول الله عز وجل ﴿وإلى عاد﴾** أي وأرسلنا إلى عاد **﴿أخاهم هوداً﴾**) أخاهم مفعول وهوداً عطف بيان له (**وقوله عز وجل كذبت عاد المرسلين**) يعني كذبوا من كان بين هود وآدم ﷺ أو هوداً وحده، وتكذيبه تكذيب الكل وأريد بعاد القبيلة ولذلك أنّث الفعل وهو في الأصل اسم أبيهم (**إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون**) عقاب الله بالإيمان به وبرسوله وباليوم الآخر وترك الشرك وقالوا **﴿سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين * إن هذا إلاّ خلق الأولين * وما نحن بمعذبين﴾** وأهلكهم الله تعالى بريح صرصر كما هو مذكور في الكتاب المبين.

(**وقال الله تبارك وتعالى ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب**) إذ وصى هذان النبيان الكريمان بنيهما بالملة المعينة من عند الله تعالى وقالا **﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون﴾** ظهر أن الخلافة بالوصاية بأمر الله تعالى كما أن النبوة بأمره تعالى وكذلك قال إبراهيم ﷺ **﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾** وقوله **﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا﴾ لنجعلها في أهل بيته**) دل على أن النبوة والهداية من صنعه تعالى يضعها في أهل بيت النبي فكيف يتخلف هذا عن أهل بيت خاتم الأنبياء (**وآمن العقب من ذرية الأنبياء من كان قبل إبراهيم لإبراهيم** ﷺ) دل على أن سنة الله في خلافة اللاحق أن تكون بوصاية السابق دائماً وأنها لم تكن مختصة ببعض فلا ينبغي التخلف في بعض المواد وفي بعض النسخ وأمر بالراء (**وكان بين إبراهيم وهود من الأنبياء**) كلهم يبشرون أمته بخلافة إبراهيم ﷺ ويوصونهم بمتابعته وهذه السنة كانت مستمرة لا ينكرها إلاّ الجاهلون ومن للتبعيض ثم أراد ﷺ أن يبين ما ذكره من أن نبياً من ذرية الأنبياء آمن لإبراهيم ﷺ وأن إبراهيم ﷺ نبي فقال لبيان الأول (**وهو قول الله عز وجل وما قوم لوط منكم ببعيد**) خوّف شعيب ﷺ قومه المعاندين المشركين بمثل ما أصاب أقوام الأنبياء السابقين فقال **﴿وياقوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾** بحسب الزمان والمكان فإن لم يعتبروا بمن قبلهم لبعدهم فاعتبروا بهم لقربهم، وفيه دلالة واضحة على أن لوطاً وهو من ذرية الأنبياء نبي.

وقال لبيان الثاني (**وقوله عز وجل فآمن له لوط وقال إني مهاجر**) من قومي (**إلى ربي**) وهو ابن خالته كما سيجيء وأول من آمن به وقيل آمن به حين رأى أن النار لم تحرقه (**وقوله عز وجل وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه**) إبراهيم منصوب وإذ ظرف للناصب أي وأرسلنا إبراهيم حين كمل عقلاً وعرف الحق وأمر الناس به (ذلكم خير لكم) أي ماذكر من العبادة والتقوى خير لكم مما أنتم عليه (**إن كنتم تعلمون**) الخير والشر وتفرقون بينهما، واسم التفضيل هنا لأصل الفعل أو لفرضه في المفضل عليه وإلاّ فلا خير فيه أصلاً (**فجرى بين كل نبيين**) معروفين (**عشرة أنبياء وتسعة وثمانية أنبياء**) كلهم يبشرون بمن يأتي بعدهم (**وجرى لكل نبي ما جرى لنوح** عليه السلام **من وصيته**) إلى ابنه سام وبشارته بهود، وهذا تأكيد لقوله سابقاً «**وكذلك جاء في وصية كل نبي**».

(**وكما جرى لآدم من وصيته**) إلى ابنه هبة الله وبشارته بنوح وهكذا في البواقي.

(**ثم أرسل الرسل تترى**) اقتباس لقوله تعالى ﴿**ثم أرسلنا رسلنا تترى**﴾ أي متواترين واحداً بعد واحد من الوتر وهو الفرد، فالتاء بدل من الواو والأصل «وترى» والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة، كذا ذكره المفسرون (**كلما جاء أمة رسولها كذبوه**) فلا بعد في تكذيب هذه الأمة خاتم الأنبياء وسيد الأوصياء لأنه شنشنة أعرفها من أخزم (**فأتبعنا بعضهم بعضاً**) في الهلاك بأنواع متعددة كالغرق والخسف والريح والصاعقة والصيحة ونحوها (**وجعلناهم أحاديث**) جمع حديث أو أحدوثة وهي ما يحدث به تلهفاً أي لم يبق منهم إلاّ حكايات لمن بعدهم يتحدثون بها ويذكرون أمرهم وشأنهم.

(**وكانت بنو إسرائيل تقتل نبياً واثنان قائمان**) قال الفاضل الإسترابادي: يعني شاهدان حاضران ساكتان من باب التقية، ومقصوده عليه السلام أن تقية الأوصياء عليهم السلام مما جرت به عادة الله تعالى في الأولين والآخرين وليست مخصوصة بأوصياء محمد صلى الله عليه وآله (**ويقوم سوق قتلهم آخر النهار**) وآخر النهار ظرف لقيام السوق وهو رواجه مع احتمال أن يكون غاية له.

(**وكان بين يوسف وموسى من الأنبياء كلهم**) يبشرون به وبخاتم الأنبياء، وهذا تأكيد لما مرَّ من قوله «**فكان بين يوسف وموسى من الأنبياء** عليهم السلام».

(**وكان وصي موسى يوشع بن نون** عليه السلام) هذا كالتأكيد للسوابق من أنه لم يمض نبي إلاّ وصى إلى غيره بأمر الله وهذه كانت عادة مستمرة من الله تعالى إلى خاتم الأنبياء فكيف يجوز أن تخرق العادة ويمضي هو صلى الله عليه وآله ولا ينص بوصي كما زعمه الفجرة.

(**فلم تزل الأنبياء تبشر بمحمد** صلى الله عليه وآله) أشار إلى أن جميع الأنبياء بشروا أمتهم بمحمد صلى الله عليه وآله وذكروا نعته ليصدقه كل من أدركه للتنبيه على أن الخليفة لا تكون إلاّ منصوباً من قبل الله تعالى فلا

يجوز أن ينصبه الجهلة بعقولهم الناقصة.

(حتى بلغت محمداً ﷺ) أي النبوة والبشارة والوصية.

(وذلك) أي كون العلم والرسالة والولاية والوصاية في السابقين واللاحقين بوحي منه تعالى وأمره.

(قول الله عز وجل إن الله اصطفى) بالكمالات الجسمانية والنفسانية والفضايل العقلية والروحانية والرسالة والولاية **(آدم ونوحاً وآل إبراهيم)** إسماعيل وإسحاق وأولادهما وقد دخل فيهم وفي الذرية الرسول ﷺ وأولاده المعصومون عليهم السلام **(وآل عمران على العالمين)** قيل: آل عمران إما موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر ونسبهما إلى لاوي بن يعقوب وهو جد رابع لهما، أو عيسى ومريم ابنة عمران بن ماتان، ونسبهما إلى يهودا ابن يعقوب وهو الجد الثاني والثلاثين لعيسى عليه السلام، وسليمان عليه السلام جد العشرين له وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة.

(ذريةً بعضها من بعض) حال أو بدل من الأولين أو منهما ومن نوح يعني أنهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض، وقيل: بعضها من بعض في الدين، والذرية: الولد يقع على الواحد والجمع، فعلية من الذر أو فعولة من الذرء أبدلت همزتها ياء ثم قلبت واواً وأدغمت **(والله سميع عليم)** بأقوال الناس وأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل، كذا في تفسير القاضي.

(وإن الله تبارك وتعالى لم يجعل العلم جهلاً) أي لم يجعل العلم قط بمنزلة الجهل ولا العالم بمنزلة الجاهل في وجوب الاتباع بل أمر باتباع العلم والعالم في جميع الأزمنة والأعصار دون الجهل والجاهل فكيف يجوز لهذه الأمة تقديم الجاهل على العالم؟ وفيه رد على الثلاثة واتباعهم إلى يوم القيامة، وقال الفاضل الإسترابادي: فيه رد على من قال بأن الله تعالى بيّن بعض أحكامه على لسان نبيه ﷺ وفوّض الباقي إلى ظنون المجتهدين وأفكارهم واجتهاداتهم الظنية وأمر من لم يبلغ درجة الاجتهاد الظني باتباع ظنون المجتهدين، وملخص الكلام أن الظن قد يكون باطلاً فيكون جهلاً لعدم مطابقة الواقع وأمر عباده باتباع العلم وهو اليقين المطابق للواقع.

(ولم يكل أمره إلى أحد من خلقه ..) أي لم يكل أمره الذي هو تعيين الخليفة وتقرير الأحكام قط إلى ملك مقرب ونبي مرسل فضلاً عن غيره ولكن الله تعالى قررهما وأرسل ملكاً إلى رسله فقال لذلك الملك قل لهم كذا وكذا فأمرهم الملك بما يحب الله ونهاهم عما يكرهه من الأمور المختصة بهم **(فقص عليهم أمر خلقه بعلم)** قص الخبر قصاً من باب قتل حدثه على وجهه، والاسم القصص بفتحتين، ولعل المراد بأمر الخلق كل مطلوب منهم من الأوامر والنواهي وغيرهما مما فيه صلاحهم أو الأعم منه ومما يصدر منهم ظاهراً وباطناً وقوله «بعلم» حال عن الفاعل والغرض منه

أن تحديثه كان مقروناً بعلم من الله تعالى لا برأيه فإذا لم يفوض شيئاً من أمر الخلق برأي ملك عظيم الشأن كيف يفوضه إلى الجاهلين **(فعلم ذلك العلم)** الذي علمه الله إياه وأفاضه عليه **(وعلم أنبياءه وأصفياءه)** كأن المراد بالأنبياء المعنى العام الشامل للرسل أيضاً وبالأصفياء والأوصياء مطلقاً لصدقها على الرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام فبينهما عموم مطلق لأن كل نبي صفي دون العكس، وحمل العطف على التفسير بعيد.

(من الأباء والإخوان والذرية التي بعضها من بعض) بيان للأصفياء يعني أن بعضهم آباء لبعض وبعضهم إخوان في النسب أو في الدين كمحمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم، وكموسى ويوشع ويوسف وأسباط أخوته عليهم السلام وبعضهم ذرية من بعض وقد اجتمعت الثلاثة في كثير منهم باختلاف الإضافة والاعتبار، وفي بعض النسخ: من الأنبياء.

ثم استشهد لما أشار إليه من أن النبوة والرياسة والعلم في الذرية التي بعضها من بعض من قبله تعالى **(وقال فذلك قوله عز وجل ولقد آتينا إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً)** مندرج في آله عليهم السلام نبينا صلى الله عليه وآله وأوصياؤه عليهم السلام أيضاً **(فأما الكتاب فهو النبوة وأما الحكمة فهم الحكماء من الأنبياء من الصفوة)** في بعض النسخ « والصفوة» (وأما الملك العظيم فهم الأئمة الهداة من الصفوة) الظاهر أن «من» في المواضع الثلاثة بيانية ويحتمل أن يكون ابتدائية، ولعل المراد أنه أشار بذكر الكتاب إلى النبوة والأنبياء وبذكر الحكمة إلى الحكماء والعلماء لأنهم إذا أتاهم الحكمة وهي العلم بالشرايع وأسرار التوحيد ومصالح الدنيا والآخرة فهم الحكماء العارفون بالمنافع والمضار كلها المحترزون عن المقابح وبذكر الملك العظيم إلى الأئمة الهداة ووجوب طاعتهم إذ بطاعتهم وعونهم ينتظم الملك العظيم وهو رياسة الدارين، وقد أوّل الصادق عليه السلام في باب «أن الأئمة عليهم السلام ولاة الأمر» أيضاً الكتاب في هذه الآية بالنبوة والحكمة بالفهم والقضا والملك العظيم بالطاعة.

(وكل هؤلاء الأنبياء) والحكماء والأصفياء والأئمة من الذرية التي بعضها من بعض في النسب أو الدين أو الوصاية.

(والعلماء) عطف على الذرية **(الذين جعل الله فيهم البقية)** أي من ينتظر وجوده ويترقب ظهوره من قولك بقيت الرجل أبقيه إذا انتظرته ورقبته **(وفيهم العاقبة)** أي عاقبة أمر النبوة والولاية والوصاية، والعاقبة أيضاً آخر كل شيء، وكأن المراد بها نبينا صلى الله عليه وآله وهو آخر الأنبياء عليهم السلام أو المهدي المنتظر وهو آخر الأوصياء عليهم السلام ويمكن أن يُراد بها مجيء واحد بعد آخر على أن يكون مصدراً ومنه العاقب وهو الذي يخلف من قبله، وفي الخبر: ومن أسماء نبينا صلى الله عليه وآله

العاقب لأنه آخر الأنبياء عليهم السلام.

(وحفظ الميثاق حتى ينقضي الدنيا) وهم عليهم السلام يحفظون العهد الذي أخذه الله تعالى عليهم وعلى غيرهم وأمرهم بالوفاء به من غير زيادة أو نقصان.

(وللعلماء ولولاة الأمر استنباط العلم وللهداة) أي لهم لا لغيرهم استنباط علم الكتاب من الحكمة الإلٰهية وأسرار التوحيد وعلم الأحكام والأخلاق والسياسات وغير ذلك مما لا يصل إليه إلاّ عقولهم الشريفة المؤيدة بتأييدات ربانية وتوفيقات إلهية، فإن الكتاب بحر لا يستخرج لئالي أسراره إلاّ المؤيدون من عند الله والغواصون في بحر عصمته وهم أهل البيت عليهم السلام وقد نص بهم الله عز وجل بقوله **﴿ولو ردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾** فرد أمر الناس إلى أولي الأمر منهم الذين أمر بطاعتهم بقوله **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**[1] وفيه إشارة إلى أن كل من ليست له قدرة الاستنباط لا يجوز له تولي أمر الخلافة.

(فهذا شأن الفضل من الصفوة والرسل والأنبياء والحكماء والأئمة الهداة والحلماء) «من» للبيان أي حفظ الميثاق واستنباط العلم شأن الفضل وأمرهم، والفضل جمع فاضل مثل كمل جمع كامل، ووصفهم بالأوصاف المذكورة باعتبار تعدد الجهات الذين هم ولاة أمر الله عز وجل أي دين الله أو حكمه وهي صفة للمفضل.

(واستنباط علم الله) من الكتب الإلٰهية وهو عطف على أمر الله **(وأهل آثار علم الله)** وهي السلاح والمعجزات والأخبار بالمغيبات وتطهير الظاهر والباطن عن الرذايل وتزيينها بالفضايل وتحذير الخلق عن المنهيات وإرشادهم إلى الخيرات والظاهر أن عطفه على أمر الله غير صحيح وعلى الولاة غير مناسب للعطف السابق والأولى أنه مبتدأ وقوله **(من الذرية التي بعضها من بعض)** خبر له وقوله **(من الصفوة بعد الأنبياء عليهم السلام)** خبر بعد خبر وقوله **(من الآباء والإخوان والذرية من الأنبياء)** بيان للأنبياء يعني أن أهل آثار علم الله من الصفوة بعد الأنبياء كلهم في الزمان لا في الرتبة والأنبياء آباؤهم وإخوانهم في الدين وذرية الأنبياء **(فمن اعتصم بالفضل)** الموصوفين بالصفات المذكورة وهم أهل البيت عليهم السلام **(انتهى بعلمهم)** إلى الدرجة القصوى والمرتبة العليا المطلوبة من الإنسان **(ونجا بنصرتهم)** من العقوبات الأُخروية.

(ولم يكن لهم حجة يوم القيامة) أي لم يكن لهم إمام يدفع عنهم العذاب ويشفع لهم أو برهان

---

(١) سورة النساء: ٨٣ .

«ودلّيل يوم القيامة حين سئلوا لم جعلتم الجهال وغير آل إبراهيم من أهل بيت نبيكم وذريته خلفاء أُمناء في دين الله إنما الحجة في آل إبراهيم ليس لهم أن يقولوا من جعلناهم خلفاء أيضاً آل إبراهيم لأن المراد بالحجة من آل إبراهيم من جعله الله تعالى حجة بدليل قوله تعالى **﴿وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾** والملك العظيم هو الإمامة.

(وصية الله بعضها من بعض التي وضعها على الناس) الظاهر أنها خبر مبتدأ محذوف وهو هذه وإن ما بعدها صفة لها وأن ضمير التأنيث راجع إليها يعني هذه «أي النبوة والخلافة» وصية الله على الأنبياء، أمر المتقدم منهم أن يوصي للمتأخر، وأوجب على غيرهم قبولها أو متابعتها.

وأشار إلى تفصيل هذا الإجمال بقوله **(فقال عز وجل: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع﴾ وهي بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدى)** ولم تزل فيهم وفي ذريتهم يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً بأمر الله تعالى حتى ورثها الله تعالى النبي ﷺ ووضعها النبي في أهل بيته وذريته بأمر الله تعالى.

(فهذا بيان عروة الإيمان) أي الكلام المذكور بيان عروة الإيمان والمراد من الإيمان إما المعنى المعروف أو الدين الذي شرع الله تعالى لعباده، والمراد بالعروة الرسول ووصيه على سبيل الإستعارة لأن من تمسك بها فهو حامل للإيمان وناج من الهلاك الدنيوي والأُخروي، والعقوبات اللاحقة لمن لم يتمسك بها **(وبها ينجو من يتبع الأئمة)** الأنسب أن يقول: وبها ينجو من ينجو منكم وإنما عدل عنه للتصريح بالمقصود وهو أن نجاة هذه الأمة باتباع الأئمة من آل محمد ﷺ وقد قال الله عز وجل في كتابه **(ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا)** أي إلى العلم والحكمة والنبوة وآثارهما **(ونوحاً هدينا)** إليها **(من قبل)** أي من قبل إبراهيم **(ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون)** قال القاضي: الضمير لإبراهيم، إذ الكلام فيه، وقيل لنوح لأنه أقرب ولأن يونس ولوطاً ليس من ذرية إبراهيم فلو كان لإبراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها، والمذكورون في الآية الثالثة عطف على «نوحاً» وفيه أن سياق التعاطف يقتضي أن يكون المعطوف عليه واحداً فالأولى أن الضمير لنوح.

(وكذلك نجزي المحسنين) أي مثل ماجزينا إبراهيم برفع الدرجات وإعطاء العلم والحجة والنبوة نجزي المحسنين الكاملين في الإحسان.

(كل من الصالحين) العاملين بما ينبغي التاركين لما لا ينبغي.

(وكلاً فضلنا على العالمين) بالحكمة والنبوة والخلافة.

(ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم) قال القاضي: هو عطف على كلاًّ أو نوحاً أي فضلنا كلاً منهم

أو هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم فإن منهم من لم يكن نبياً ولا مهدياً **(واجتبيناهم وهديناهم إلى صراطٍ مستقيم)** عطف على فضلنا **(ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده أي ما دانوا به)** وماكانوا عليه من الحكمة والنبوة والخلافة، وفيه دلالة على أن ذلك من صنع الله تعالى وليس لأحد مدخل فيه.

(ولو أشركوا) أي هؤلاء الأنبياء الكرام مع كمال فضلهم وقوة عقلهم بتغيير حكم الله وتبديل وصية لله **(لحبط عنهم ماكانوا يعملون)** فكيف غيرهم من الجهلة الذين لا يعلمون حقائق الإيمان ولا مراتب كمال الإنسان.

(أُولئك الذين آتيناهم الكتاب) أراد به الجنس الصادق على المتعدد. **(فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين)** قال القاضي وغيره: ضمير بها للثلاثة أي الكتاب والحكم والنبوة وهؤلاء إشارة إلى قريش وقومهم الأنبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الأنصار وأصحاب النبي أوكل من آمن به أو الفرس وقيل الملائكة وفسر عليه السلام هؤلاء بالأمة جميعاً وهي أعم من قريش وفسر القوم بالفضل من أهل بيت النبي ﷺ والمدح شامل لكل من تبعهم إلى يوم القيامة، ولعل المراد بالإيمان الولاية والخلافة أو الأعم منها ومن جميع ما جاء به النبي ﷺ ويعبر عنه بالدين، وقوله «علماء أمتك» بدل أو بيان لأهل بيتك، وأهل استنباط العلم الذي ليس فيه كذب **(ولا إثم ولا زور ولا بطر ولا رياء)** الرياء معروف وقد ذكرنا تفسيره وأحكامه في شرح كتاب الأصول، والبطر الطغيان عند النعمة وطول الفناء والتكبر عن قبول الحق والكذب من القول والفعل ما لا يطابق الواقع، والزور بالضم الكذب مطلقاً أو الكذب المقرون بالقصد أو الميل عن الحق أو الشرك بالله أو ما يعبد من دون الله، فعلى الأول لا فرق بينه وبين الكذب فذكره تأكيد وعلى الثاني بينهما عموم وخصوص مطلق، وعلى الثلاثة الأخيرة بينهما مباينة، أما على الأخيرين فظاهر وأما على السابق منهما فلأن القول من حيث إنه غير مطابق للواقع كذب، ومن حيث إنه مايل عن الحق زور، والإثم بالكسر الذنب وقد يطلق على العمل بما لا يحل وفيه تعريض بمن فيه جميع ذلك. وقال الفاضل الأمين الإسترابادي: فيه إشارة إلى أن الاستنباطات الظنية من الأصل والاستصحاب وإطلاق الآية أو قياس أو نحو ذلك غير جايزة.

(فهذا بيان ما ينتهي إليه أمر هذه الأمة) وهو أن أمر الخلافة والولاية في العقب من أهل بيته وذريته بأمر الله تعالى كما كانت في أعقاب الأنبياء وذرياتهم بأمره تعالى هذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً فمن تمسك بهم فهو ناج ومن تخلف عنهم فهو هالك «إن الله تعالى طهر أهل بيت

نبيه ﷺ قال الله عز وجل **﴿إنما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**[١] وقد نزلت فيهم بالاتفاق كما مرَّ في كتاب الأصول **(وسألهم أجر المودة)** قال عز وجل **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى﴾**[٢] ولم يقبل أموالهم حين عرضوا عليه ثلثها، وفي جعل أجر نعمة الرسالة ـ التي لا نعمة أعظم منها ـ مودة ذوي القربى دلالة واضحة على وجوب متابعتهم وكمال حبهم وتعظيمهم.

(وأجرى لهم الولاية) قال عز وجل **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا..﴾ الآية**، وقال **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**[٣] وقال: **﴿ولو ردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم.﴾**.الآية

(وجعلهم أوصياءه وأحباءه ثابتة بعده في أمته) الظاهر أن فاعل «جعلهم» ضمير له تعالى بقرينة العطف، وكونه للرسول بعيد، وثابتة حال عن الأوصياء والأحباء، والتأنيث باعتبار الجماعة أو الوصاية والمحبة، والمراد بثبوتها استمرارها إلى آخر الدهر.

(فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يكرمه ولا يعذبه) الإكرام إشارة إلى إيصال أنواع الخير، ونفي التعذيب إلى دفع أنواع الشر.

* **الأصل:**

٣١ ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة ثابت ابن دينار الثمالي، وأبو منصور، عن أبي الربيع قالا: حججنا مع أبي جعفر عليه السلام في السنّة التي كان حجّ فيها هشام بن عبد الملك وكان معه نافع مولى عمر بن الخطّاب فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الناس فقال نافع: ياأمير المؤمنين من هذا الذي قد تداك عليه النّاس فقال: هذا نبيُّ أهل الكوفة هذا محمد بن علي، فقال: أشهد لآتينه فلأسألنه عن مسائل لا يجيبني فيها إلاّ نبي أو ابن نبيّ أو وصي نبي قال: فاذهب إليه وسله لعلّك تخجله.

فجاء نافع حتّى اتّكأ على الناس ثم أشرف على أبي جعفر عليه السلام فقال: يامحمد بن علي إني قرأت التوراة والإنجيل والزّبور والفرقان وقد عرفت حلالها وحرامها وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيب فيها إلاّ نبي أو وصيّ نبي أو ابن نبيّ، قال: فرفع أبو جعفر عليه السلام رأسه فقل: **سل عمّا بدا لك**. فقال: أخبرني كم بين عيسى وبين محمد عليه السلام من سنة ؟ قال: **أُخبرك بقولي أو بقولك** ؟ قال: أخبرني بالقولين جميعاً، قال: **أما في قولي فخمسمائة سنة وأمّا في قولك فستمائة سنة**.

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣. (٢) سورة الشورى: ٢٣. (٣) سورة النساء: ٨٣.

قال: فأخبرني عن قول الله عز وجلّ لنبيه **﴿وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون﴾** من الذي سأل محمد ﷺ وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة ؟

قال: فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾**(١) **فكان من الآيات التي أراها الله تبارك وتعالى محمداً ﷺ حيث أسرى به إلى بيت المقدس أن حشر الله عز ذكره الأوّلين والآخرين من النبيين والمرسلين ثمّ أمر جبرئيل عليه السلام فأذن شفعاً وأقام شفعاً وقال في أذانه: حي على خير العمل، ثم تقدم محمد ﷺ فصلّى بالقوم فلما انصرف قال لهم: على ما تشهدون وما كنتم تعبدون ؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّك رسول الله، أخذ على ذلك عهودنا ومواثيقنا.**

• فقال نافع: صدقت ياأبا جعفر، فأخبرني عن قول الله عز وجل: **﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾**(٢) قال: **إن الله تبارك وتعالى لمّا أهبط آدم إلى الأرض وكانت السماوات رتقاً لا تمطر شيئاً وكانت الأرض رتقاً لا تنبت شيئاً فلمّا أن تاب الله عز وجلّ على آدم عليه السلام أمر السّماء فتفطرت بالغمام ثم أمرها فأرخت عزاليها ثمّ أمر الأرض فأنبتت الأشجار وأثمرت الثمار وتفهقت بالأنهار فكان ذلك رتقها وهذا فتقها.**

قال نافع: صدقت يا ابن رسول الله، فأخبرني عن قول الله عز وجلّ **﴿يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسماوات﴾**(٣) أيّ أرض تبدّل يومئذ ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **أرض تبقى خبزة يأكلون منها حتّى يفرغ الله عزّ وجلّ من الحساب،** فقال نافع: إنهم عن الأكل لمشغولون! فقال أبو جعفر عليه السلام: **أهم يومئذ أشغل أم إذ هم في النّار ؟**

فقال نافع: بل إذ هم في النّار.

قال: **فوالله ما شغلهم إذ دعوا بالطعام فأطعموا الزقوم ودعوا بالشراب فسقوا الحميم.**

قال: صدقت يا ابن رسول الله، ولقد بقيت مسألة واحدة، قال: وماهي ؟ قال: أخبرني عن الله تبارك وتعالى متى كان ؟ قال: **ويلك متى لم يكن حتّى أُخبرك متى كان، سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً، ثمّ قال: يانافع أخبرني عمّا أسألك عنه،** قال: وماهو ؟ قال **ما تقول في أصحاب النهروان فإن قلت: إن أمير المؤمنين قتلهم بحقّ فقد ارتددت، وإن قلت: إنه قتلهم باطلاً فقد كفرت،** قال: فولّى من عنده وهو يقول: أنت والله أعلم الناس حقّا حقّا، فأتى هشاماً فقال له: ماصنعت ؟ قال: دعني من كلامك، هذا والله أعلم النّاس حقّاً حقّاً وهو ابن رسول

---

(١) سورة الإسراء: ١ . (٢) سورة الأنبياء: ٣٠ . (٣) سورة ابراهيم: ٤٨ .

الله ﷺ حقّاً ويحقّ لأصحابه أن يتّخذوه نبيّاً. (١)

* **الشرح :**

قوله (وكان معه نافع مولى عمر بن الخطاب) هو نافع بن الأرزق كما مرَّ في باب الكون والمكان من كتاب التوحيد، وفي جامع الأصول: نافع مولى عمر، وهو أبو عبد الله نافع بن سرجس على وزن نرجس مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب كان ديلمياً تابعياً.

(من هذا الذي تداك عليه الناس) أي ازدحموا وأصل الدك الدق والكسر.

(من الذي سأله محمد وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة) زعم نافع أن بعد الزمان والمسافة مانع من الملاقاة والسؤال، وأجاب عليه السلام بأنه وقع الملاقاة والسؤال ليلة الإسراء، وإنما أجاب به لأنه لا يقدر المخاطب المتعنت على إنكاره وإلاّ فهو ﷺ قادر على السؤال في كل وقت أراد إذ لا مسافة في العالم الروحاني.

(ثم تقدم محمد ﷺ فصلى بالقوم) قيل كيف يصلون وهم في دار الآخرة وليست دار عمل؟ وأجيب عنه بوجوه: الأول أنه إذا كان الشهداء أحياء فهؤلاء أولى وإذ كانوا أحياء صح أن يصلوا ويعملوا ساير القربات ويتقربوا بذلك إلى الله تعالى وهم وإن كانوا في الآخرة فالدنيا لم ينقطع بعد فإذا فنيت وعقبتها الآخرة دار الجزاء انقطع العمل.

الثاني أن الصلاة ذكر ودعاء، والآخرة دار الذكر والدعاء، قال الله تعالى **﴿تحيتهم فيها سلام..﴾**.الآية

الثالث أن الموت يمنع التكليف لا العمل.

(فلما أن تاب الله تعالى على آدم عليه السلام) أي قبل توبته وغفر له وأنقذه من خوف ما صنع أمر السماء **(فتقطرت بالغمام)** أي أحدثت القطرات بالغمام، وفي بعض النسخ: تفطرت بالفاء أي تشققت. والغمام السحاب، سمي لأنه يغم أي يغطي ويستر وجه السماء أو وجه الشمس.

(ثم أمرها فأرخت عزاليها) بفتح العين المهملة والزاي المعجمة واللام المكسورة أو المفتوحة جمع عزلا، وهو فم المزادة شبه اتساع الماء واندفاقه بالذي يخرج من فم الراوية **(وتفهقت بالأنهار)** أي تفتحت واتسعت، ومنه المتفيهقون وهم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم، مأخوذ من الفهق، وهو الامتلاء، وفي بعض النسخ: تفيهقت أي تفتحت.

(فقال أبو جعفر عليه السلام أرض تبقى خبزة يأكلون منها حتى يفرغ الله عز وجل من الحساب) وفي

---

(١) الكافي: ٨ / ١٠٥.

كتاب مسلم عن النبي ﷺ قال **«تكون الأرض خبزة واحدة نزلاً لأهل الجنة»** والمراد بقوله **«نزلاً لأهل الجنة»** أنها صارت خبزة لأجلهم، ولا ينافي ذلك أكل الكافر منها أيضاً وليست من طعام الجنة.

ثم تأويله عليه السلام هذا لا ينافي ما ورد في بعض الأحاديث من أن الأرض المبدلة أرض بيضاء نقية لا جبال فيها ولا تلال ولا وهاد.

(فقال نافع إنهم عن الأكل لمشغولون) أنكر نافع قوله عليه السلام بأنهم مشغولون عن الأكل بأهوال القيامة ولا يخطر من الهم والغم والخوف الأكل ببالهم.

(قال أخبرني عن الله تبارك وتعالى متى كان فقال: **ويلك متى لم يكن حتى أخبرك متى كان**) متى كان زيد سؤال عن أول زمان كونه ووجوده وهو يستلزم جواز السؤال عن عدمه قبله، ومن ثم قالوا كل ماصح أن يُسأل عن وجوده بمتى صح أن يُسأل عن عدمه بمتى، واللازم فيما نحن فيه باطل إذ ليس وجوده تعالى مسبوقاً بالعدم، فأشار عليه السلام إلى أن مقولة متى لا تجري في الواجب لا وجوداً ولا عدماً وإنما تجري في الوجودات الحادثة.

(**سبحان من لم يزل ولا يزال**) أي أنزه تنزيهاً لمن لا يكون له زوال وانتقال من العدم إلى الوجود ولا من الوجود إلى العدم لأن قدم وجوده يتأبى عن العدم وقتاً ما.

(**فرداً صمداً**) حال عن فاعل لم يزل وحجة لعدم كون وجوده مسبوقاً بالعدم إذ لو كان كذلك لاحتاج إلى الموجد ضرورة أن الشي لا يوجد نفسه فلا يكون فرداً صمداً على الإطلاق لكونه مع موجده واحتياجه إليه (**لم يتخذ صاحبة ولا ولداً**) لتنزهه عن الشهوة والتماثل والتعاون والفناء والحاجة إلى الولد وغير ذلك من توابع الحدوث ولواحق الإمكان.

(**قال ما تقول في أصحاب النهروان فإن قلت إنّ أمير المؤمنين قتلهم بحق فقد ارتددت وإن قلت أنه قتلهم باطلاً فقد كفرت**) كأن نافعاً كان يعتقد بأن علياً عليه السلام كان إماماً مفترض الطاعة بعد الثلاثة وبأن أهل النهروان كانوا محقين في مخالفته فأورد عليه السلام بأن هذين الإعتقادين متنافيان لا يجتمعان معاً وذلك لأنك إن قلت إنّ علياً عليه السلام قاتلهم بحق ارتددت بتصديقك أهل النهروان كما ارتدوا وإن قلت أنه قاتلهم باطلاً فقد كفرت عند الأمة بنسبة الباطل إليه عليه السلام والظاهر أن هذا إلزام لا مفر له عنه والله أعلم.

حديث نصراني الشام مع الباقر عليه السلام

* **الأصل :**

٣٢ـعنه، عن إسماعيل بن أبان، عن عمر بن عبد الله الثقفي قال: أخرج هشام ابن عبد الملك أبا جعفر عليه السلام من المدينة إلى الشام فأنزله منه وكان يقعد مع الناس في مجالسهم فبينا هو قاعد وعنده جماعة من النّاس يسألونه إذ نظر إلى النصارى يدخلون في جبل هناك فقال: **مالهؤلاء ؟ ألهم عيدٌ اليوم** ؟ فقالوا: لا ياابن رسول الله ولكنّهم يأتون عالماً لهم في هذا الجبل في كلّ سنة في هذا اليوم فيخرجونه فيسألونه عمّا يريدونه وعمّا يكون في عامهم، فقال أبو جعفر عليه السلام: **وله علم** ؟ فقالوا: هو من أعلم الناس قد أدرك أصحاب الحواريين من أصحاب عيسى عليه السلام قال: **فهل نذهب إليه** ؟ قالوا: ذاك إليك يا ابن رسول الله.

قال: فقنّع أبو جعفر رأسه بثوبه ومضى هو وأصحابه فاختلطوا بالناس حتى أتو الجبل فقعد أبو جفعر عليه السلام وسط النصارى هو وأصحابه وأخرج النصارى بساطاً ثمّ وضعوا الوسائد ثمّ دخلوا فأخرجوه ثمّ ربطوا عينيه. فقلب عينيه كأنّهما عينا أفعى ثم قصد إلى أبي جعفر عليه السلام فقال: ياشيخ أمنّا أنت أم من الأمة المرحومة ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **بل من الأُمة المرحومة** فقال: أفمن علمائهم أنت أم من جهّالهم ؟ فقال: **لستُ من جهالهم** فقال النصرانيّ: أسألك أم تسألني ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام **سلني**.

فقال النصراني: يا معشر النصارى رجل من أمّة محمد يقول: سلني إن هذا لمليء بالمسائل ثم قال: ياعبد الله أخبرني عن ساعة ما هي من الليل ولا من النهار أيُّ ساعة هي ؟ فقال أبو جعفر: **ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس،** فقال النصراني: فإذا لم تكن من ساعات اللّيل ولا من ساعات النهار فمن أي الساعات هي ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **من ساعات الجنة وفيها تفيق مرضانا** فقال النصراني: فأسألك أم تسألني ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **سلني**: فقال النصراني: يا معشر النصارى إنّ هذا لمليء بالمسائل، أخبرني عن أهل الجنة كيف صاروا يأكلون ولا يتغوّطون أعطني مثلهم في الدّنيا ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: **هذا الجنين في بطن أمّه يأكل مما تأكل أمّه ولا يتغوّط،** فقال النصراني: ألم تقل: ما أنا من علمائهم ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **إنما قلت لك: ما أنا من جهّالهم.**

فقال النصراني: فأسألك أو تسألني ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **سلني.**

فقال: يا معشر النصارى والله لأسألنه عن مسألة يرتطم فيهاكما يرتطم الحمار في الوحل فقال له: سل، فقال: أخبرني عن رجل دنا من امرأته فحملت باثنين حملتهما جميعاً في ساعة واحدة وولدتهما في ساعة واحدة وماتا في ساعة واحدة ودفنا في قبر واحد عاش أحدهما خمسين ومائة سنة وعاش الآخر خمسين سنة من هما ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **عُزيرٌ وعزرة كانا حملت أمّهما بهما على ما وصفت ووضعتهما على ما وصفت وعاش عُزير وعزرة كذا وكذا سنة ثم أمات الله تبارك وتعالى عُزيراً مائة سنة ثم بعث وعاش مع عزرة هذه الخمسين سنة وماتا كلاهما في ساعة واحدة.**

فقال النصراني: يا معشر الأنصار ما رأيت بعيني قطُّ أعلم من هذا الرجل، لا تسألوني عن حرف وهذا بالشام ردُّوني، قال: فردّوه إلى كهفه ورجع النصارى مع أبي جعفر عليه السلام.[1]

*** الشرح:**

قوله (حديث نصراني الشام مع الباقر عليه السلام) رأيت في بعض الكتب بعد نقل هذه الحكاية أنه آمن به ولم يحضرني الآن اسمه (ثم ربطوا عينيه) كأنهم ربطوا حاجبيه لطوله المانع من الرؤية أو لئلا تضر من شعاع الشمس بعد خروجه من ظلمة الغار وذلك كما توضع اليد فوق الحاجبين عند مواجهة الشمس لأجل رؤية ما يقابله وتعلق الربط بالعين لأدنى ملابسة ومقاربة.

(من ساعات الجنة) على سبيل التشبيه في الشرف والاعتدال كما مرَّ أو هي من ساعاتها وضعت بينهما.

(أخبرني عن أهل الجنة كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون أعطني مثلهم في الدّنيا) في كتاب مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أول زمرة يدخلون الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك على منازل لا يتغوطون ولا يبولون ولا يمتخطون ولا يبزقون أمشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على طول أبيهم آدم ستون ذراعاً يعني لا تباغض بينهم ولا تحاسد قلوبهم كقلب واحد وأخلاقهم كخلق واحد» . قال عياض: الرشح العرق والالوة بفتح الهمزة وضم اللام العود الهندي ثم قال: مذهب أئمة المسلمين أن تنعم أهل الجنة حسّي كتنعم أهل الدنيا إلاّ ما بينهم من التفاوت الذي لا شركة فيه إلاّ بحسب الاسم وأنه دايم لا ينقطع خلافاً للفلاسفة والنصارى من قولهم إن تنعم الآخرة إنما هو لذات عقلية وانتقال من هذا العالم إلى الملأ الأعلى، وهذا المعنى هو

---

(١) الكافي: ٨ / ١٠٥.

المعبر عندهم بالجنة، وخلافاً لبعض المعتزلة في أن نعيم الجنة غير دائم وإنما هو لأجل، وقالوا مثله في عذاب جهنم، إلاّ أنهم عندهم يفنون، وهذا كله خلاف ملة الإسلام وسخافة عقل وخلاف في كتاب الله تعالى وأحاديث نبيه صلى الله عليه وآله.

حديث أبي الحسن موسى عليه السلام

*** الأصل:**

٣٣ ـ عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن إسماعيل بن مهران، عن محمد بن منصور الخزاعي، عن عليّ بن سويد، ومحمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن عمّه حمزة بن بزيع، عن عليّ بن سويد، والحسن بن محمد، عن محمد بن أحمد النهدي، عن إسماعيل بن مهران: عن محمد بن منصور، عن عليّ بن سويد، قال: كتبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس كتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة فاحتبس الجواب عليّ أشهر ثم أجابني بجواب هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الحمد لله العلي العظيم الذي بعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات ومن في الأرض إليه الوسيلة، بالأعمال المختلفة والأديان المتضادّة، فمصيبٌ ومخطىء، وضالّ ومهتد، وسميعٌ وأصمّ، وبصير وأعمى حيران، فالحمد لله الذي عرف ووصف دينه محمد صلى الله عليه وآله.

أمّا بعد فإنّك امرؤٌ أنزلك الله من آل محمد بمنزلة خاصة وحفظ مودّة ما استرعاك من دينه وما ألهمك من رشدك وبصّرك من أمر دينك بتفضيلك إياهم وبردّك الأمور إليهم. كتبت تسألني عن أمور كنت منها في تقية ومن كتمانها في سعة.

فلمّا انقضى سلطان الجبابرة وجاء سلطان ذي السّلطان العظيم بفراق الدُّنيا المذمومة إلى أهلها العتاة على خالقهم رأيت أن أُفسّر لك ما سألتني عنه مخافة أن يدخل الحيرة على ضعفاء شيعتنا من قبل جهالتهم: فاتّق الله عزّ ذكره وخصّ بذلك الأمر أهله واحذر أن تكون سبب بليّة على الأوصياء أو حارشاً عليهم بإفشاء ما استودعتك وإظهار ما استكتمتك ولن تفعل إن شاء الله.

إنّ أوّل ما أنهى إليك أنّي أنعي إليك نفسي في لياليّ هذه غير جازع ولا نادم ولا شاكّ فيما هو كائن ممّا قد قضى الله عز وجلّ وحتم فاستمسك بعروة الدين: آل محمد والعروة الوثقى: الوصيّ بعد الوصي والمسالمة لهم والرّضا بما قالوا ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك ولا تحبّنّ دينهم فإنّهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم. وتدري ما خانوا أماناتهم؟ أئتمنوا على كتاب الله فحرّفوه وبدّلو ودُلّوا على ولاة الأمر منهم فانصرفوا عنهم: فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.

وسألت عن رجلين اغتصبا رجلاً مالاً ينفقه على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وفي سبيل الله فلمّا اغتصباه ذلك لم يرضيا حيث غصباه حتّى حملاه إيّاه كرهاً فوق رقبته إلى منازلهما فلمّا أحرزاه تولّيا إنفاقه أيبلغان بذلك كفراً، فلعمري لقد نافقا قبل ذلك وردّا على الله عز وجلّ كلامه وهزءاً برسوله صلى الله عليه وآله وهما الكافران عليهما لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين.

والله ما دخل قلب أحد منهما شيء من الإيمان منذ خروجهما من حالتيهما وما ازدادا إلاّ شكّاً كانا خدّاعين مرتابين منافقين حتّى توفتّهما ملائكة العذاب إلى محلّ الخزي في دار المقام.

وسألت عمّا حضر ذلك الرّجل وهو يغصب ماله ويوضع على رقبته منهم عارف ومنكر فأُولئك أهل الردة الأولى من هذه الأمة فعليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين.

وسألت عن مبلغ علمنا وهو على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث فأمّا الماضي فمفسّر وأمّا الغابر فمزبور وأمّا الحادث فقذف في القلوب ونقرٌ في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبيّ بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله.

وسألت عن أُمهات أولادهم وعن نكاحهم وعن طلاقهم فأمّا أُمّهات أولادهم فهنّ عواهر إلى يوم القيامة، نكاح بغير وليّ وطلاق في غير عدّة وأمّا من دخل في دعوتنا فقد هدم إيمانه ضلاله ويقينه شكّه، وسألت عن الزكاة فيهم فما كان من الزكاة فأنتم أحقّ به لأنا قد أحللنا ذلك لكم من كان منكم وأين كان.

وسألت عن الضعفاء فالضعيف من لم يرفع إليه حجّة ولم يعرف الاختلاف فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف، وسألت عن الشهادات لهم فأقم الشهادة لله عزّ وجلّ ولو على نفسك والوالدين والأقربين فيما بينك وبينهم فإن خفت على أخيك ضيماً فلا وادع إلى شرائط الله عزّ ذكره بمعرفتنا من رجوت إجابته ولا تحصّن بحصن رياء ووال آل محمد ولا تقل لما بلغك عنّا ونسب إلينا هذا باطلٌ وإن كنت تعرف منّا خلافه فإنّك لا تدري لما قلناه؟ وعلى أيّ وجه وصفناه؟ آمن بما أُخبرك ولا تفش ما استكتمناك من خبرك. إنّ من واجب حقّ أخيك أن لا تكتمه شيئاً تنفعه به لأمر دنياه وآخرته ولا تحقد عليه وإن أساء وأجب دعوته إذا دعاك ولا تخلّ بينه وبين عدّوه من الناس وإن كان أقرب إليه منك. وعده في مرضه.

ليس من أخلاق المؤمنين الغشّ ولا الأذى ولا الخيانة ولا الكبر ولا الخنا ولا الفحش ولا الأمر به فإذا رأيت المشوّه الأعرابي في جحفل جرّار فانتظر فرجك ولشيعتك المؤمنين وإذا انكسفت الشمس فارفع بصرك إلى السماء وانظر ما فعل الله عزّ وجلّ بالمجرمين فقد فسّرت لك جملاً

مجملاً وصلّى الله على محمدٍ وآله الأخيار.[١]

*** الشرح :**

(حديث أبي الحسن موسى عليه السلام) في عهد هارون الرشيد حين كان محبوساً بأمره عند السندي ابن شاهك في بغداد (**الحمد لله العلي العظيم**) أي العلي عن المشابهة بالمخلوقين والإحاطة به وصف الواصفين، العظيم بذاته وصفاته فذاته في أعلى مراتب الجلال وصفاته في أقصى مراتب الكمال وكل ما سواه بالإضافة إليه حقير صغير محتاج فقير (**الذي بعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين...**) الظاهر أن الباء للسببية إذ الإبصار والمعاداة والابتغاء وقعت بسببهما بيان ذلك أن عظمته المطلقة وكبرياءه تقتضي معرفة جميع ما سواه إياه وانقيادهم له في أوامره ونواهيه وابتهالهم في ذل الحاجة إليه، ولا يتحقق ذلك إلّا بوضع علم بجميع ما يحتاجون إليه في صدر رسول ومن ينوب منابه وهذا العلم يسمى تارة بالنور لاهتداء الخلق به وتارة بالعرش لاستقرار العظمة وجميع المخلوقات فيه فبسبب نوره وعظمته المقتضية له أبصر قلوب المؤمنين سبل الحق وطرق الخيرات وكيفية سلوكها.

(**وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون**) بإنكاره أو إنكار رسوله أو إنكار وليه ووصيّ رسوله حتى توقفوا وتحيروا في سبيله الحق ولو لم يكن العظمة والنور لم يتصور الإبصار والمعاداة والابتغاء .

وقد أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «ومضيت بنور الله حين وقفوا» أرد عليه السلام أن سلوكه لسبيل الله على وفق العلم وهو نور الله الذي لا يضل من اهتدى به وذلك حين وقفوا حائرين مترددين جاهلين بالقصد وكيفية سلوك الطريق وكان غرضه عليه السلام هو التنبيه على أن هذه الفضيلة كانت فيه لا في غيره فلا يجوز تقديم الغير عليه، وكذلك بعظمته ونوره ابتغى الخلق كلهم الوسيلة والتقرب إليه بالأعمال المختلفة والأديان المتضادة حيث علموا أنه مستحق للتقرب به، فمنهم من اقتفى نوره واتخذ ديناً حقاً وعمل عملاً على وفقه، ومنهم من مزجه بظلمة الجهل وحصلت له شبهة واتخذ ديناً باطلاً وعمل عملاً باطلاً فظن أنه وسيلة التقرب به.

كما فرع عليه ذلك بقوله (**فمصيب**) في العقد والعمل (**ومخطىء**) فيهما (**وضال**) في الدين (**ومهتد**) فيه (**وسميع**) يسمع نداء الحق وآياته الداعية إليه وإلى رسوله وولاة الأمر (**وأصم**) لا يسمع شيئاً من ذلك ولا يعمل به (**وبصير**) يدرك مراد الله تعالى والمطالب الحقيقية والأسرار الإلٰهية وما نطق به القرآن الكريم والرسول العظيم (**وأعمى حيران**) لا يدرك شيئاً منها فهو حيران

---

(١) الكافي: ٨ / ١٠٧ .

في أمر الدين لا يهتدي إلى الأئمة الهداة دليلاً ولا إلى مطالب الشرع سبيلاً.

(فالحمد لله عرف) في بعض النسخ «عز» **(ووصف دينه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم)** أي بيّنه وأوضحه. والدين الطريقة الإلٰهية التي شرعها لعباده واستعبدهم بها.

(أما بعد فإنك امرؤ أنزلك الله من آل محمد بمنزلة خاصة) هي بمنزلة المحبة والقرب والطاعة والانقياد والتسليم لهم، وفيه مدح عظيم لعلي بن سويد، والسند الثاني صحيح إلاّ أن فيه شهادة لنفسه ففي إثبات مدحه بذلك نظر، فضلاً عن توثيقه كما صرح به الفاضل الإسترابادي في حاشية على كتاب رجاله المتوسط نقلاً عن الشهيد الثاني (ره) ثم قال فالاعتماد على توثيق الشيخ وهذا الخبر كالمؤيد والله أعلم.

(فلما انقضى سلطان الجبابرة) ويقال لها سلطان الباطل وسلطان الشيطان أيضاً لأن أطوار الجبابرة أطوار باطلة مردية وأفعالهم أفعال شيطانية مغوية وهم لتمكن رذائل الأخلاق في نفوسهم الشريرة يفسدون في الأرض ويذلون أهل الحق ويقتلون أولياء الله، وجنودهم جنود الشيطان وأولياؤه، والسلطان بضم السين وسكون اللام وضمها للإتباع لغة ولا نظير له قدرة الملك، والمراد بانقضاء سلطانهم انتهاء قدرتهم لأن قدرتهم على أذى الناس وهتك حرمتهم متصورة على الأحياء منهم، وأما إذا جاء الموت وهو المراد بقوله **(وجاء سلطان ذي السلطان العظيم..)** فقد انقضى سلطانهم وبطلت قدرتهم عليه لأنه خرج عن ملكه.

(مخافة أن تدخل الحيرة على ضعفاء شيعتنا) وهم الجهال كما صرح به، وأما الأقوياء فيعلمون أن الأرض لا تخلو من حجة بعده عليه السلام فلا تدخل الحيرة عليهم.

(فاتق الله جل ذكره..) أمر أولاً بالاتقاء عما يوجب عقوبة الله تعالى لأنه المقصود الأصلي من كل أحد والمحرك له إلى حفظ نفسه في جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله عما لا يليق بالأحرار، وأمر ثانياً بأن يخص بذلك الأمر وهو أمر الخلافة أهله وهذا يحتمل وجهين أحدهما أن يعتقد الإمامة بعده لأهلها لا غير أهلها، وثانيها أن يظهرها لمن يقبل منه لا لغيره، وأمر ثالثاً بالحذر عن أن يظهرها للمعاندين فإن إظهارها لهم سبب للبلية على الأوصياء.

(أني أنعى إليك نفسي) نعيت الميت نعياً من باب نفع أخبرت بموته فهو منعى والفاعل نعى على فعيل يُقال جاء نعيته بكسر العين وشد الباء وهو الذي يخبر بموته.

(غير جازع ولا نادم ولا شاك) نفى أولاً عن نفسه القدسية الجزع لأن الجزع وهو ضد الصبر إما لضعفه عن حمله ما نزل به أو لشدة خوفه عما يرد عليه بعد الموت أو لشدة حرصه في الدنيا وخوف فواتها، ونفسه الطاهرة كانت منزهة عن جميع ذلك، ونفى ثانياً عنها الندامة لأن الندامة إما

عن فعل ما لا ينبغي فعله أو عن ترك ما لا ينبغي تركه وكانت ذاته المقدسة منزهة عنهما. ونفي ثالثاً عنها الشك لأن الشك من لوازم الجهل وهو عليه السلام معدن العلم والأسرار ومنبع الحكمة وكان عالماً بما كان وما يكون وما هو كاين إلى يوم القيامة.

(فاستمسك بعروة الدين آل محمد) بدل عن العروة **(والعروة الوثقى الوصي بعد الوصي)** من آل محمد شبّه آل محمد والوصي منهم بالعروة في أن التمسك بهم حامل للدين شارب من زلاله، ووصفه بالوثقى على سبيل التوشيح للتنبيه على أحكامها وصحة الإيتمان بها حيث لا يعتريها القصم والكسر والقطع.

(والمسالمة لهم) عطف على العروة، والمسالمة المصالحة يُقال: سالمه مسالمة وسلاماً إذا صالحه من السلم بكسر السين وفتحها وهو الصلح، والمراد الانقياد لهم في جميع الأمور وعدم مخالفتهم في شيء منها، ولماكان ذلك قد يتحقق مع الكراهة نبّه بقوله **(والرضا بما قالوا)** على أنه ينبغي أن يكون ذلك مقروناً بالرضا أو أن لم يعرف وجه الصحة أو ثقل ذلك على النفس.

(ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك) نهى عن طلب دينهم على وجه الأخذ والعمل به، وأما طلبه للعلم بمواضع فساده ومواقع شبهاتهم لمناظرتهم وكسرهم عند الحاجة فالظاهر أنه جايز بل قد يكون واجباً كفائياً كما صرح به بعض الأصحاب.

(ولا تحبّن دينهم...) لما كان عدم التمسك بدينهم غير مستلزم لعدم محبته نهى بعده عن محبته وعلل بأنهم خائنون وفعلهم خيانة ودينهم باطل ولا يجوز محبة الباطل كما لا يجوز التمسك به. وفي كنز اللغة: «خيانت باكسى دغلي وناراستي كردن» وفي المصباح: الخاين هو الذي خان من جعل عليه أميناً.

(وتدري ما خانوا أماناتهم) التي وضعهم الله تعالى عندهم وائتمنهم عليها **(أيتمنوا على كتاب الله)** الايتمان: «أمين داشتن كسى را بر چيزى» أمنته على الشي وائتمنته عليه فهو أمين يعني اتخذهم الرسول أميناً على كتابه وأمرهم بحفظه.

(فحرفوه) لفظاً ومعنى **(وبدلوه)** أصلاً وحكماً فغيروا معانيه وحدوده وبدلوا أصوله وأحكامه.

(ودلوا على ولاة الأمر منهم) أي دلهم الرسول على ولاة الأمر من آل محمد في مواضع عديدة فانصرفوا عنهم تكذيباً لهم ولمن نصبهم وحباً للدنيا ورياستها، وهذا نوع آخر من الخيانة **(فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)** اقتباس للآية الكريمة ولأصحاب العربية في تفسير لباس الجوع أقوال: قال صاحب الكشاف: إنه استعارة حقيقية عقلية أو حسية لأنه شبه الضرر والألم الحاصل لهم من الجوع أو شبه انتقاع اللون وتغيره ورثاثة الهيئة الحاصلة لهم منه باللباس لاشتماله

عليهم واستعير له لفظ اللباس فجاءت الاستعارة حقيقية عقلية على الأول وحسية على الثاني، وقيل: إنه على المكنية والتخييلية لأنه شبه الجوع بإنسان لابس قاصداً للتأثير والضرر واخترع للجوع صورة وهمية خيالية شبيهة باللباس واستعير له لفظ اللباس، وقيل إنه تشبيه بليغ شبه الجوع باللباس في الشمول والإحاطة والملابسة التامة فصار التركيب من باب لجين الماء.

وهذا القول رده جماعة من المحققين، وأقرب الاحتمالات هو الأول لأن تعلق الإذاقة بالمستعار له وهو الضرر والألم أظهر، يُقال إذاقة الضرر والبؤس كما صرح به الشريف في حاشيته على المطول.

(وسألت عن رجلين اغتصبا رجلاً مالاً) أُريد برجلين الأول والثاني وبرجل على بن أبي طالب عليه السلام وبمالٍ: الخلافة وما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وبإنفاقه على الفقراء تعليمهم وإرشادهم وهدايتهم ورعاية حقوقهم وإجراء الأحكام عليهم كما أمر الله تعالى به.

(وقوله حتى حملاه كرهاً فوق رقبته إلى منازلهما) إشارة إلى ما فعلا بعلي عليه السلام من حمله على المبايعة والمتابعة لهما جبراً، والكره بالضم: ما أكرهت نفسك عليه، وبالفتح ما أكرهك غيرك عليه، والأخير هو المراد هنا. وقوله **(فلما أحرزاه توليا انفاقه)** إشارة إلى توليهما سياسة الخلق وإنفاق ذلك المال على حسب إرادتهما من غير أن يكون موافقاً لمراد الله تعالى، وقوله عليه السلام **(فلعمري لقد نافقا قبل ذلك)** إشارة إلى نفاقهما في حياة الرسول صلى الله عليه وآله حيث أظهرا الإيمان به وأبطنا الكفر وعهدهما مع أصحابهما حال حياة النبي صلى الله عليه وآله على رد الخلافة عن أهل بيته الطاهرين مشهور، وفي بعض الروايات مذكور، وقوله **(ورداً على الله عز وجل كلامه)** إشارة إلى ردهما الآيات الدالة على أن الولاية والخلافة لأهل البيت عليهم السلام. وقوله **(وهزءاً برسول الله صلى الله عليه وآله)** إشارة إلى استهزائهما به صلى الله عليه وآله في مواضع عديدة منها في غدير خم حيث قال أحدهما لصاحبه انظر إلى عينيه تدوران كما تدور عينا مجنون ومنها في صلح الحديبية ومنها في حديث الدواة والقلم، وبسط ذلك وبيان تفاصيله يوجب الإطناب.

وقوله **(والله ما دخل في قلب أحد منهما شيء من الإيمان منذ خروجهما من حالتيهما)** أي من الشرك وعبادة الأصنام وفي بعض النسخ «عن جاهليتهما» تأكيد لما سبق من أنهما كانا منافقين قبل ذلك.

وقوله **(وما ازدادا إلاّ شكا)** أي ما ازدادا بعد الدخول في الإسلام ظاهراً إلاّ شكاً فيه، إشارة إلى أنهم لم يقروا بشيء مما جاء به النبي صلى الله عليه وآله، وإنكار الثاني عليه مذكور في مواضع من كتب العامة أيضاً وقد نقلنا جملة منها في شرح كتاب الأُصول إلاّ أنهم قالوا كان خلافه مستنداً إلى اجتهاده وهو

جائز.

(وسألت عمن حضر ذلك الرجل وهو يغصب ماله ويوضع على رقبة منهم عارف بحقه ومنهم منكر له) مع معرفته ولم يعينوه ولم ينصروه بل نصروهما وأمدوهما فأُولئك أهل الردة الأُولى من هذه الأُمة وكل من تبعهم إلى يوم القيامة أهل الردة الثانية أو المراد بالردة الثانية ردة اثنين وسبعين فرقة من هذه الأُمة كما نطق به بعض الروايات ويمكن أن يكون تعريضاً بأنهم أهل الردة الأُولى لا هما لأنهما لم يدخلا في الدين أصلاً، والردة بالكسر اسم من الارتداد، ولا يتحقق الارتداد إلاّ بالخروج بعد الدخول.

(وسألت عن مبلغ علمنا) أي غايته ومقداره وهو **(على ثلاثة وجوه ماض وغابر وحادث)** تقسيمه بها باعتبار المعلوم إذ بعضه متعلق بالأمور الماضية وهو مفسر له في الكتب المنزلة أو بتفسير الأنبياء وبعضه متعلق بالغابر أي بالأمور المستقبلية الحتمية وهو مزبور في الصحف التي عندهم، وبعضه متعلق بأمر حادث في الليل والنهار آناً فآناً وشيئاً فشيئاً وهو قذف في القلوب ونقر في الأسماع، أما القذف فلأن قلوبهم صافية بالأنوار الإلٰهية فإذا توجهوا إلى العوالم اللاهوتية وتجردوا عن الطبايع البشرية إلى الطبايع الملكية بل إلى فوقها ظهرت لهم من العلوم والحوادث ماشاء الله، ويعبر عن ظهور هذه العلوم تارة بالقذف في القلوب وتارة بالإلهامات الغيبية، وأما النقر في الأسماع فهو يتصور على وجهين أحدهما أن يسمع من الملك صوتاً منقطعاً متميزاً بالحروف والكلمات كما هو المعروف في سماعنا كلام الناس وثانيهما أن يسمع صوتاً وهمهمة ودوياً ولا يفهم منه مادام باقياً شيئاً فإذا زالت الهمهمة وجد قولاً منزلاً ملقى في الروع واقعاً موقع المسموع إلاّ أن كيفية ذلك وصورته مما لا يعلمه إلاّ الله أو من يطلعه الله عليه، وهذا الحديث وأمثاله محمولة على ظواهرها، والإيمان بها واجب لا دليل عقلاً ونقلاً على استحالته، فلا يحملها على خلاف الظاهر إلاّ ضعيف النظر أعمى القلب، وقد نقل الآبي أن رجلاً صالحاً كان ساكناً في تونس في زاوية مسجدها وكان يقول للمؤذن أذن للصبح فإني أعرف طلوعه بنزول الملائكة ودويهم وقد نقله في مقام مدحه وذكر فضائله لا على سبيل الرد والطعن فإذا جوزوا مثل ذلك في آحاد الناس فلم ينكرون من عترة نبينا وأهل بيت العصمة عليهم السلام.

(وهو أفضل علمنا) لكثرته ولحصوله بلا واسطة بشر ولأنه لا يطلع عليه غيرهم بخلاف المفسر والمزبور فإنه كثيراً ماكان يطلع عليه خواص شيعتهم.

(ولا نبي بعد نبينا محمد ﷺ) هذا يحتمل أمرين أحدهما أن يكون دفعاً لتوهم النبوة، ووجه الدفع يظهر بالتأمل في النبي والمحدث والفرق بينهما وقد مرَّ ذلك في صدر الكتاب، وثانيهما أن

يكون وجهاً لتخصيص القذف والنقر بالذكر وبياناً لعدم احتمال السماع من الملك عياناً ومشاهدة لأن ذلك مختص بالنبي ولا نبي بعد نبينا ﷺ فليتأمل.

فأما أمهات أولادهم **(فهن عواهر إلى يوم القيامة)** العواهر جمع عاهر وهي الزانية، وذلك لأن كلهن مال الإمام عليه السلام على المشهور بين الأصحاب أو خمسهن على قول.

(نكاح بغير ولي) وهو الإمام لأنه ولي المسلمين والمسلمات، وأولى بهم من أنفسهم فإذا لم يرض بنكاحهم بسخطه عليهم كان نكاحهم باطلاً، ومن ثم ورد في بعض الأخبار أن كلهم من أولاد الزنا.

(وطلاق في غير عدة) كأنه أشار بنفي ثبوت العدة في نفس الأمر إلى عدم صحة الطلاق فيها لأن نفي اللازم دليل على نفي الملزوم، والمقصود أن طلاقهم غير صحيح لعدم اقترانه بشرايط صحته في الشريعة كما يظهر لمن رجع إلى أصولهم وفروعهم فيه **(وأما من دخل في دعوتنا وأقر بولايتنا فقد هدم إيمانه ضلاله)** وهو نكاح أمهات الأولاد والإماء المسبيات في الحروب بدون أذنهم عليهم السلام ونكاحهن أعظم أفراد ضلالة لهؤلاء ورخصته للشيعة كما نطق بها بعض الروايات.

(ويقينه شكه) في جواز نكاح مطلقاتهم فإنه يجوز للشيعة نكاحهم بناء على إعتقاد هؤلاء صحة طلاقهم وإن لم يكن صحيحاً في مذهب الشيعة وقد وقعت الرخصة به أيضاً في بعض الروايات والله أعلم.

(وسألت عن الزكاة فيهم فما كان من الزكوات فأنتم أحق به لأنا قد أحللنا ذلك لكم من كان منكم وأين كان) كأنه سأل هل يجوز أن نشتري منهم وفي مالهم زكاة أو خمس فأجاب عليه السلام بأنه يجوز، وهذا ما ذكره الأصحاب من إباحة المتاجر، أو سأل أنهم إذا أخذوا الزكاة منا هل يجب علينا إخراجها مرة أخرى فأجاب عليه السلام بأنهم إذا أخذوا الزكاة منكم وإن لم يكونوا أهلها ولم يعطوا أهلها لا يجب عليكم أن تزكوا مرة أخرى، وقد دل عليه بعض الأخبار أيضاً، وقال بعض المعاصرين سأل هل يجوز لنا صرف الزكاة فيهم وإعطاؤهم إياها فأجاب عليه السلام: بأنه لا يجوز ذلك ولا يجوز إعطاؤها غير أهل الولاية.

(وسألت عن الضعفاء فالضعيف من لم ترفع إليه حجة ولم يعرف الاختلاف فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف) كأنه سأل عن المستضعفين المذكورين في سورة النساء **﴿إلاّ**

المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾[١] فأجاب عليه السلام بأن المستضعف من لم يعرف الإمام ولم ينكره إذا لم ترفع إليه حجة دالة على حقية الإمام ولم يعرف إختلاف الناس، فيه وأما من دفعت إليه حجة أو عرف اختلاف الناس فليس بمستضعف لأنه مكلف بالإيمان وطلب الحق فلا يكون معذوراً ومن هاهنا يعلم أنه ليس اليوم مستضعف لشيوع الحق والاختلاف، فمن قبله فهو مؤمن، ومن رده فهو كافر، كما مرَّ في باب المستضعف من الأُصول.

(وسألت عن الشهادات لهم فأقم الشهادة لله عز وجل...) كما قال الله عز وجل **﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دُعوا﴾ ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبه والله بما تعملون عليم﴾**[٢] وهو بعمومه شامل لما نحن فيه.

(فإن خفت على أخيك ضيماً فلا) أي فإن خفت على أخيك ظلماً فلا تقم عليه الشهادة وذلك إذا علمت أنه لا يقدر على أداء الدَّين وعلمت أنك إذا شهدت عليه به يؤخذ أو يحبس ظلماً فيجوز لك ترك الشهادة عليه إلى ميسرة، وكذا إن خفت على نفسك ضرراً غير مستحق كما صرحوا به **(وادع إلى شرائط الله عز ذكره بمعرفتنا من رجوت إجابته)** الشرط والشريطة بمعنى، ويجمع الأول على الشروط، والثاني على الشرائط، ولعل المراد بشرائط الله ما شرط عليهم الإتيان به ولهم بالثواب عليه من النواميس الإلٰهية والشرايع النبوية، والباء في قوله بمعرفتنا للسببية أو صلة للدعاء أي ادع بمعرفتنا إلى شرائط الله، وفيه تنبيه على أنه لا يمكن الوصول إلى تلك الشرايط بدون معرفتهم، وفي بعض النسخ «إلى صراط الله».

(ولا تحضر حضن زنا) الحضور معروف وقد يأتي بمعنى النزول والسكون ومنه الحاضر وهو من نزل على ماء يقيم به ولا يرحل عنه، والحضن بكسر الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة: الجانب والناحية، وإضافته إلى زنا لكثرة وقوعه فيه، وإنما نهى عن حضور ناحيتهم وسكونه فيها لأنه يستلزم مشاهدة منكراتهم الثقيلة على المؤمن وميل الطبع إلى طباعهم الشريرة وهي أثقل وأشد عليه، وفي بعض النسخ «ولا تحصن بحصن رياء» الحصن بكسر الحاء وسكون الصاد المهملتين، والرياء معروفان، وتحصن فلان إذا دخل في حصن، والمعنى قريب مما ذكر، هذا الذي ذكرنا من باب الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال.

(ووال آل محمد صلى الله عليه وآله) لا بد في تحقق موالاتهم من التبرؤ من أعدائهم.

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٢. (٢) سورة البقرة: ٢٨٣.

(**ولا تقل لما بلغك عنا ونسب إلينا هذا باطل** ..) فإن للكلام كما أشار إليه عليه السلام وجوهاً وظهراً وبطناً لا تصل إليها عقول السامعين فلا يجوز إنكاره ووجب التوقف فيه إلى أن يوجد من يفسره، ومما يؤيد ذلك ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال «إن الله خص عباده بآيتين من كتابه أن لا يقولوا حتى يعلموا ولا يرووا مالم يعلموا» وقال ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله**﴾[1].

(**وعلى أي وجه وصفناه**) من الوضع أو من الوصف على اختلاف النسخ.

(**آمن بما أخبرك**) في بعض النسخ «بما أخبرتك» أمر بالإيمان به لأنه الأصل، والعمل بما يطلب منه العمل تابع له بل هو من جملته فلذلك لم يذكره.

(**ولا تفش ما استكتمناك من خبرك**) في بعض النسخ من خيرك بالياء المثناة التحتانية وإنما أمر بكتمانه لئلا يلحق الضرر به أو بأحد من الشيعة.

ثم أشار من باب الاستيناف إلى أن الكتمان مطلوب بالنسبة إلى الأشرار لا بالنسبة إلى أهل الإيمان بقوله (**إن من واجب حق أخيك**) في الدين (**أن لا تكتمه شيئاً تنفعه به لأمر دنياه وآخرته**) سواء سألك عنه أم لم يسألك فإن حق الأُخوة يقتضي أن ترشده إلى مافيه صلاحه في الدنيا والآخرة (**ولا تحقد عليه وإن أساء**) الحقد إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها وهو من الطغيان في القوة الغضبية، وفي ذكر الإساءة تنبيه على أن عدم الحقد مطلوب مع الإساءة فكيف مع عدمها.

(**وأجب دعوته إذا دعاك**) إلى طعام أو جلب نفع أو دفع ضرر (**ولا تخل بينه وبين عدوه من الناس**) بل ادفعه عنده على أي وجه يمكن (**وإن كان**) أي العدو (**أقرب إليه منك**) فكيف إن كنت أقرب إليه منه لأن ذلك الدفع من مقتضى الإيمان ورعاية الأُخوة الدينية ولا مدخل للقرب والبعد فيه (**وعده في مرضه**) قيل بعد ثلاثة أيام فإذا مضت فيوم بعد يوم أو يومين مع عدم إطالة الجلوس إلاّ أن يحب المريض.

(**ليس من أخلاق المؤمنين الغش**) غشه غشاً من باب قتل، والاسم الغش بالكسر: لم ينصحه وزين غير المصلحة (**ولا الأذى**) وهو مايؤذي الغير وأصله مصدر وهو شامل للخصال المؤذية المذمومة كلها مثل الضرب والشتم والهجو والغيبة وغيرها، وقد مرَّ مضار الأذى ومنافع تركه في كتاب الأصول (**ولا الخيانة**) هي ترك ما يجب حفظه ورعايته من حقوق الله تعالى وحقوق الناس وهي كما تجري في أفعال الجوارح كذلك تجري في أفعال القلوب أيضاً فإن على كل عضو حقاً

---

(١) سورة يونس: ٣٩.

وتركه خيانة، وقد مرّ تفصيل ذلك وتوضيحه في كتاب الأصول **(ولا الكبر)** كبر «بزرگی بر خود گرفتن» وهو من صفاته تعالى فلا يجوز للمؤمن أن يعتقده لنفسه، وقد مرَّ توضيح ذلك أيضاً في كتاب الأُصول **(ولا الخنا ولا الفحش)** الظاهر أن الخنا أخص من الفحش ففي كنز اللغة: «خنا نا سزا وفحش گفتن»، وفي النهاية: الخنا الفحش في القول، والفحش يكون في القول والفعل، وهو القبيح مطلقاً أوكلما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي والخصال القبيحة من الأقوال والأفعال، وفيه تنبيه على أن من أخلاق المؤمن وصفاته المختصة به أن يعتقد أنه تعالى لا يأمر بالفحشاء كما نطق به القرآن الكريم للرد على من نسب ذلك إليه عز وجل وقد مرَّ توضيحه في شرح الأصول.

(فإذا رأيت المشوه الأعرابي) وهو المسيح الدجال صاحب الفتنة العظيمة وسمي مشوهاً لقبح منظره، قال ابن الفارس: سمي الدجال مسيحاً لأنه مسح أحد شقي وجهه ولا عين له ولا حاجب وقيل كلتا عينيه معيوبة إحداهما مطموسة مغمورة والأخرى بارزة كبروز حبة العنب عن صواحبها **(في جحفل جرار)** الجحفل كجعفر الجيش الكبير وجيش جرار ثقيل السير لكثرتهم **(فانتظر فرجك ولشيعتك المؤمنين)** فإنه أقرب علامات ظهور صاحب الأمر عليه السلام **(وإذا انكسفت الشمس)** لعل المراد به كسوف الشمس للنصف من شهر رمضان لما سيجيء من رواية المصنف بإسناده إلى بدر بن الخليل قال «كنت جالساً عند أبي جعفر عليه السلام قال آيتان تكونان قبل قيام القايم عليه السلام لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض **انكساف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره** فقال رجل ياابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر من الشهر والقمر في النصف.

فقال أبو جعفر عليه السلام **إني أعلم ما تقول لكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام**» وسيجيء توضيحه إن شاء الله تعالى.

(فارفع بصرك إلى السماء وانظر ما فعل الله عز وجل بالمجرمين) قد مرَّ في باب تفسير **﴿إنا أنزلناه﴾** في حديث الياس مع الباقر عليه السلام ما يناسب هذا المقام وهو قول الباقر عليه السلام له «**فوددت أن عينك تكون مع مهدي هذه الأمة والملائكة بسيوف آل داود بين السماء والأرض تعذب أرواح الكفرة من الأموات وتلحق بهم أرواح أشباههم من الأحياء** ثم أخرج يعني الياس سيفاً ثم قالها ان هذا منها، قال عليه السلام **أي والذي اصطفى محمدا على البشر ولعل عيون المؤمنين ترى يومئذ عذاب المشركين بين السماء والأرض بكشف الحجاب**». وقد مرّ شرحه.

حديث نادر

*** الأصل :**

٣٤ـحميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن محمد بن أيّوب، وعليّ ابن إبراهيم عن أبيه جميعاً، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى أبو ذرّ رسول الله عليه السلام فقال: يارسول الله إنّي قد اجتويت المدينة أفتأذن لي أن أخرج أنا وابن أخي إلى مزينة فنكون بها ؟ فقال: **إني أخشى أن يغير عليك خيل من العرب فيقتل ابن أخيك فتأتيني شعثاً فتقوم بين يدي متّكئاً على عصاك فتقول: قتل ابن أخي وأخذ السرح** فقال: يارسول الله بل لا يكون إلاّ خيراً إن شاء الله، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله.

فخرج هو وابن أخيه وامرأته فلم يلبث هناك إلاّ يسيراً حتّى غارت خيل لبني فزارة فيها عيينة ابن حصن فأخذت السرح وقتل ابن أخيه وأخذت امرأته من بني غفّار وأقبل أبو ذرّ يشتدُّ حتى وقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وبه طعنة جائفة فاعتمد على عصاه وقال: صدق الله ورسوله أخذ السرح وقتل ابن أخي وقمت بين يديك على عصاي! فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله في المسلمين فخرجوا في الطلب فردّوا السرح وقتلوا نفراً من المشركين.[١]

*** الشرح :**

(حديث نادر) لأنه شاذ، مضمونه غريب، أو لأنه متعلق بشخص معين.

(فقال يارسول الله إني قد اجتويت المدينة) قال أبو عبيد: تقول اجتويت البلد إذا كرهت المقام فيه وإن وافقك في بدنك، وقال ابن الأثير: اجتووا المدينة أي أصابهم الجوى وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها ويُقال: اجتويت البلد إذا كرهت المقام فيه وإن كنت في نعمة.

(أفتأذن لي أن أخرج أنا وابن أخي إلى مزينة) في القاموس مزينة كجهينة قبيلة وفي المصباح المزن السحاب الواحدة مزنة وتصغيرها مزينة وبها سميت امرأة ثم غلب على ولدها وسميت بها القبيلة، والنسبة إليها مزني بحذف التصغير.

(**إني أخشى أن تغير عليك خيل من العرب**) أغار عليهم يغير إغارة إذا أسرع في السير والعدو

---

(١) الكافي: ٨ / ١١٠.

وهجم عليهم ديارهم وأوقع بهم ونهبهم، والاسم من الإغارة الغارة مثل أطاع يطيع إطاعة، والإسم منها الطاعة، ثم تطلق الغارة على الخيل المغيرة يُقال: شنوا الغارة أي فرقوا الخيل، كذا في المصباح، وقد يأتي غار بمعنى أغار، كما سيجيء.

(**فيقتل ابن أخيك فتأتيني شعثاً**) الشعث محركة مصدر وهو انتشار الأمر واغبرار الرأس وفي كنز اللغة: شعث «پريشان وغبار آلود شدن».

(وأخذ السرح) هو المال السائم، وفي المصباح: سرحت الإبل سرحاً من باب نفع رعت بنفسها وسرحتها يتعدى ولا يتعدى، وسرحتها بالثقيل مبالغة وتكثير، ويُقال للمال الراعي سرح تسمية بالمصدر.

(فقال يارسول الله بل لا يكون إلاّ خيراً) قال ذلك لظنه أن خشية النبي ﷺ من باب الاحتمال فلما وقع ما خشيه علم أنه كان من باب الإخبار فلذلك قال: صدق الله ورسوله.

(حتى غارت خيل لبني فزارة) بني فزارة حي من غطفان وفي القاموس والمصباح: فزرت الثوب شققته فتفزر وانفزر أي انشق وفزرت الكوز ونحوه كسرته وفزرت فلاناً بالعصا ضربته على ظهره والفزارة بالفتح انثى النمر، وبلا لام قبيلة من غطفان سميت بها لشدتها.

(وأخذت امرأته من بني غفار) في المصباح: غفار ككتاب حي من العرب ومنه أبو ذر الغفاري.

(وأقبل أبو ذر يشتد) أي يعدو والشد والاشتداد هنا العدو والإسراع.

* **الأصل:**

٣٥ ـ أبان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرّقاع تحت شجرة على شفير واد، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه فرآه رجلٌ من المشركين والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمّداً فجاء وشدّ على رسول الله ﷺ بالسيف: ثمّ قال: من ينيجك مني يامحمد؟ فقال: ربي وربّك فنسفه جبرئيل عليه السلام عن فرسه فسقط على ظهره، فقام رسول الله ﷺ وأخذ السيف وجلس على صدره وقال: **من ينجيك منّي ياغورث** فقال: جودك وكرمك يامحمد، فتركه فقام وهو يقول: والله لأنت خيرٌ منّي وأكرم.[1]

* **الشرح:**

(فنسفه جبرئيل عليه السلام) أي قلعه، يُقال: نسف البناء ينسفه إذا قلعه من أصله.

---

(١) الكافي: ٨ / ١١٠.

(فقال من يُنجيك مني ياغورث) في القاموس: غورث بن الحارث سل سيف رسول الله ﷺ ليقتله به فرماه الله بزلخة بين كتفيه والزلخة كقبرة وجع يأخذ في الظهر فيغلظ حتى لا يتحرك معه الإنسان.

(فقال جودك وكرمك يا محمد فتركه وقام) كان ﷺ شديداً في المؤاخذة بحق الله تعالى وسليماً وصبوراً حليماً في المؤاخذة بحق نفسه، وهذا هو الخلق الحسن المحمود لأنه لو ترك القيام في حق الله تعالى كان ذلك مهانة ولو انتقم لنفسه لم يكن ثمة صبر وكان هذا الخلق بطشاً فانتفى عنه الطرفان وبقى في الوسط وهو العدل وخير الأمور أوسطها.

(وهو يقول: والله لأنت خيرٌ مني وأكرم) يحتمل أن يكون ذلك القول منه إيماناً به ﷺ وتصديقاً له بالنبوة ويحتمل أن يكون لاحتمال عدم اعتقاده بذلك والأول أقرب.

*** الأصل:**

٣٦ - عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد [وعليّ بن محمد عن القاسم بن محمد] عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قال: إن قدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا وما عليك إن لم يثن النّاس عليك وما عليك أن تكون مذموماً عند النّاس إذا كنت محموداً عند الله تبارك وتعالى إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «لا خير في الدّنيا إلاّ لأحد رجلين: رجل يزداد فيها كلّ يوم إحساناً ورجل يتدارك منّيته بالتوبة» وأنّى له بالتوبة فوالله أن لو سجد حتّى ينقطع عنقه ما قبل الله عزّ وجلّ منه عملاً إلاّ بولايتنا أهل البيت.**

ألا ومن عرف حقّنا أو رجا الثواب بنا، رضي بقوته نصف مدّ كلّ يوم وما يستر به عورته وما أكنّ به رأسه وهم مع ذلك والله خائفون وجلون ودُّوا أنّه حظّهم من الدنيا وكذلك وصفهم الله عزّ وجلّ حيث يقول: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾[(١)] ماالذي آتوا به؟ آتوا والله بالطاعة مع المحبّة والولاية وهم في ذلك خائفون أن لا يقبل منهم وليس والله خوفهم شكّ فيما هم فيه من إصابة الدّين ولكنّهم خافوا أن يكونوا مقصرين في محبّتنا وطاعتنا.

ثمّ قال: إن قدرت أن لا تخرج من بيتك فافعل فإنّ عليك في خروجك أن لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسد ولا ترائي ولا تتصنّع ولا تداهن.

ثمّ قال: نعم صومعة المسلم بيته يكفّ فيه بصره ولسانه ونفسه وفرجه، إنّ من عرف نعمة الله بقلبه استوجب المزيد من الله عزّ وجلّ قبل أن يظهر شكرها على لسانه ومن ذهب يرى أنّ له على

---

(١) سورة المؤمنون: ٦٠.

الآخر فضلاً فهو من المستكبرين، فقلت له: إنّما يرى أنّ له عليه فضلاً بالعافية إذا رآه مرتكباً للمعاصي ؟ فقال: هيهات هيهات فلعلّه أن يكون قد غفر له ما أتى وأنت موقوف محاسب أما تلوت قصّة سحرة موسى عليه السلام ثم قال: كم من مغرور بما قد أنعم الله عليه وكم من مستدرج بستر الله عليه وكم من مفتون بثناء الناس عليه، ثمّ قال: إنّي لأرجو النجاة لمن عرف حقّنا من هذه الأمة إلاّ لأحد ثلاثة: صاحب سلطان جائر وصاحب هوى والفاسق المعلن.

ثمّ تلا: ﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾[1] ثم قال: ياحفص الحبُّ أفضل من الخوف، ثمّ قال: والله ما أحبَّ الله من أحبَّ الدُّنيا ووالى غيرنا، ومن عرف حقّنا وأحبّنا فقد أحب الله تبارك وتعالى، فبكى رجلٌ فقال: أتبكي ؟ لو أنّ أهل السماوات والأرض كلّهم اجتمعوا يتضرّعون إلى الله عزّ وجلّ أن يُنجيك من النّار ويدخلك الجنّة لم يشفّعوا فيك [ثمّ إن كان لك قلبٌ حيٌ لكنت أخوف النّاس لله عزّ وجلّ في تلك الحال] ثمّ قال له: ياحفص كن ذنباً ولا تكن رأساً، يا حفص قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من خاف الله كلّ لسانه ثم قال: بينا موسى بن عمران عليه السلام يعظ أصحابه إذ قام رجل فشقّ قميصه فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى! قل له: لا تشق قميصك ولكن اشرح لي عن قلبك. ثم قال: مرّ موسى بن عمران عليه السلام برجل من أصحابه وهو ساجدٌ فانصرف من حاجته وهو ساجد على حاله فقال له موسى عليه السلام لو كانت حاجتك بيدي لقضيتها لك فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبلته حتّى يتحوّل عمّا أكره إلى ما أُحبُّ.[2]

* **الشرح:**

(إن قدرتم أن لا تُعرفوا) بأشخاصكم أو بأعمالكم الصالحة وأخلاقكم الفاضلة **(فافعلوا)** فإن فيه نجاة من الآفات والبليات الواردة من أبناء الزمان وزيادة تقرب من الرحمن **(وما عليك إن لم يثن الناس عليك)** العاقل اللبيب لا يرضى بثناء الناس عليه لعلمه بأنه قد يوجب الفخر والكبر والغفلة عن التقصير والرضا بالعمل والغرة وكل ذلك من المهلكات، ولو فرض طهارة نفسه عن قبول أمثال ذلك فيعلم أن الثناء لا يليق إلاّ بالله عز وجل فلا يريده لنفسه تعظيماً له.

(وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس) المراد بالناس أهل الدنيا والمخالفون والفجار لأنهم الذين يذمون الفقراء والعلماء والصلحاء من أهل الدين لكون أطوارهم الحسنة خلاف ما نشأوا هؤلاء عليه، وقوانينهم الشرعية والعقلية خلاف قوانينهم الموضوعة بينهم، وفيه ترغيب في اختيار

---

(١) سورة آل عمران: ٣١. (٢) الكافي: ٨ / ١١١.

ما يوجب الحمد عند الله تعالى وإن كان ذلك ما يوجب الذم عند الناس.

(إذا كنت محموداً عند الله تبارك وتعالى) بفعل مايوجب رضاه وترك ما يوجب سخطه.

(إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: لا خير في الدنيا إلاّ لأحد رجلين) حصر الخير في فعل رجلين **(رجل يزداد فيها)** أي في الدنيا **(كل يوم إحساناً)** إلى نفسه بالعلم والعمل وإلى الغير بالتعليم والإرشاد إلى مافيه صلاحه في الدُّنيا والآخرة حتى روي أن من ساوى يوماه فهو مغبون **(ورجل يتدارك منيته بالتوبة)** والرجوع إليه تعالى: الندم على ما فعل والعزم الثابت على عدم العود إليه، والمنية إما بفتح الميم وكسر النون وشد الياء وهي الموت وجمعها المنايا من «مناه الله عليك» إذا قدره، وسمي بها لأنه مقدر بوقت مخصوص، أو بسكون النون وضم الميم أو كسرها ما أرادته نفسك من الأباطيل وإنما حصر الخير فيهما لأن كل خير غيرهما فهو باطل زائل والزائل لا عبرة به **(ورضي بقوته نصف مد كل يوم)** من أي جنس وجده والمؤمن الخالص يحترز عن كثرة الأكل لما يتصور في البطنة من ذهاب الفطنة وزوال الرقة وحدوث القسوة والكسالة وسائر ما يترتب عليها من المفاسد **(وما يستر به عورته)** من أي جنس وجده **(وما أكنّ به رأسه)** من العمامة ونحوها أو البيت.

(وهم مع ذلك والله خائفون وجلون) أفرد ضمير الموصول سابقاً وجمعه هنا نظراً إلى اللفظ والمعنى، والوجل: الفزع، وهو في الأصل الخوف ثم كثر إطلاقه على اضطراب القلب التابع للخوف وعلى الاستغاثة وطلب الناصر الدافع له وهو هنا أنسب لأن التأسيس خير من التأكيد.

(ودوا أنه حظهم من الدنيا) خبر للموصول والضمير المنصوب راجع إلى عرفان حقهم وما عطف عليهم، وتخصيصه بالقوت المذكور وما بعده بعيد.

(أتوا والله بالطاعة مع المحبة والولاية) أي بطاعة الله أو بطاعتنا مع محبتنا وولايتنا **(وهم في ذلك خائفون أن لا يقبل منهم)** لاحتمال تقصيرهم في القدر اللائق بهم وكذلك خوف العابدين من التقصير في العبادة **(وليس والله خوفهم خوف شك..)** أي ليس خوفهم من أجل شكهم في كون دينهم حقاً.

(ثم قال إن قدرت أن لا تخرج من بيتك فافعل فإن عليك في خروجك أن لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسد ولا ترائي) من باب المفاعلة أو التفاعل من الرؤية حذفت إحدى التائين تخفيفاً أي لا تعمل عملاً رياءً وسمعة ليراه الناس ويمدحوك، وقد يأتي المرائي بمعنى المجادل.

(ولا تتصنع) التصنع: تكلف حسن السمت والتزين **(ولا تداهن)** أي لا تساهل في الدين أو لا تظهر بخلاف ما تضمر وقد أفاد عليه السلام أن الأفضل أن لا تخرج من بيتك وبيّن أن في الخروج

والمخالطة مع الناس مفاسد ستة قلما ينفك الخارج منها أو من بعضها، وبيّن أنه وجب عليك أن تحفظ نفسك عند الخروج عنها.

ثم قال على سبيل التأكيد والترغيب في الاعتزال بذكر منافعه: **(نِعْمَ صومعة المسلم بيته...)** اختلفوا في أن العزلة أفضل أم الخلطة فذهب جماعة إلى الأول وطائفة إلى الثاني وأورد كل من الفريقين أدلة من الكتاب والسنة على مطلوبهم، والحق أن كلاً من الاحتجاجين صحيح، ولكن ليس العزلة أفضل مطلقاً ولا المخالطة أفضل مطلقاً بل كل في حق بعض الناس بحسب مصلحته وفي بعض الأوقات لوجود المصلحة فيها إذ لكل واحد منهما فوائد ومصالح وشرائط متفاوتة بحسب تفاوت الأشخاص والأوقات، وإن شئت معرفة ذلك تفصيلاً فارجع إلى ما ذكرنا في أوايل كتاب العقل.

(أن من عرف نعمة الله بقلبه استوجب المزيد من الله عز وجل قبل أن يظهر شكرها على لسانه) رغّب في معرفة نعمائه وآلائه بالقلب وتذكيره وتعظيمه والاعتقاد باستحقاقه الثناء، وعد ذلك شكراً موجباً للمزيد كما قال عز وجل **﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم﴾**[1] ثم عد إظهار تلك النعمة باللسان فرداً آخر من الشكر وهو أيضاً موجب للزيادة بمقتضى الآية فيحصل حينئذ زيادة على الزيادة لتحقق علتها **(ومن ذهب يرى أن له على الآخر فضلاً فهو من المستكبرين)** إشارة إلى أنه ينبغي للعابد العارف الكامل أن يعد نفسه مقصرة في الطاعة وطلب الكمال وطاعته ناقصة بذاتها وبالنظر إلى عظمة المعبود بل يعد نفسه أحقر من كل أحد وعبادته أنقص من كل عبادة، وهذا معنى التواضع، فإذا رأى أن له فضلاً عن الآخر فقد رأى لنفسه منزلة وحالاً ولعلمه فضلاً وكمالاً وأنه بتلك الحال والكمال أفضل وأشرف من الآخر فهو من المستكبرين الذين ذمهم الله تعالى في مواضع من القرآن الكريم.

(فلعله أن يكون قد غفر له ما أتى وأنت موقوف ومحاسب) أشار إلى أن الفضل والقرب واستحقاق الرحمة وحسن العاقبة والارتباط بينه تعالى وبين العبد أمر معنوي ليس لك علم ولا يعلمه إلاّ هو فلعله غفر له بالتوبة أو العفو وأنت موقوف يوم القيامة محاسب بالمعصية وغيرها فكيف يجوز لك أن ترى نفسك أفضل منه، وقد مرَّ في أول كتاب العقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال «**ماتم عقل امرىء حتى يكون فيه خصال شتى وعد منها أن يرى الناس كلهم خيراً منه وأنه شرهم في نفسه**» نعم لو رأى في نفسه فضلاً وخيراً من علم وطاعة وغيرهما وعده نعمة من الله

---

(١) سورة إبراهيم: ٧.

تعالى ونسبه إليه وحمده به من حيث أنه منه ومن توفيقه فالظاهر أنه لا يضر كما قال سليمان عليه السلام **﴿الحمد لله الذي فضلنا على كثيرٍ من عباده﴾**.

(أما تلوت قصة سحرة موسى عليه السلام) فتعرف أن كفرهم بدل بإيمان يوجب نعمة الأبد، وأن معصيتهم بدلت بطاعة توجب ثواب الأبد، وأنه تعالى غفر لهم ما مضى من ذنوبهم، وفيه دلالة على أنه ينبغي تفضيل النفس على الكافر لما مرَّ ولأنه يوجب العجب لا على أنه لا يجوز لعنه أو ذمه لكفره.

(وكم من مغرور بما قد أنعم الله عليه) من النعم الظاهرة والباطنة والجليلة والخفية، وليس القصد منه مجرد الأخبار بكثرتها بل القصد هو الحث على الشكر والتواضع والتنزه عن رذيلة الغرور الموجب للشرور، وقس عليه ما بعده.

(ثم قال إني لأرجو النجاة لمن عرف حقنا من هذه الأمة إلّا لأحد ثلاثة صاحب سلطان جائر وصاحب هوى والفاسق المعلن) لعل المراد بالنجاة النجاة من دخول النار، والثلاثة المذكورة يدخلونها لا محالة لكن الشفاعة تلحقهم بعد مدة، وإنما حملناه على ذلك لدلالة الروايات على أن هذه الفسوق ليست بكفر وعلى أن العصاة من أهل المعرفة يخرجون من النار بالشفاعة، ثم لا يبعد تخصيص صاحب السلطان الجائر بمن كان معيناً له في جوره أو ساكتاً لا يعينه ولا يمنعه لأن صاحبه المانع له عن الجور ربما وقع مدحه في بعض الروايات، والمراد بصاحب الهوى من اتّخذ الباطل من القول والفعل وصفاً له فإنه قد أوقع نفسه في المهلكات، والمراد بالفاسق المعلن الفاسق الذي يذكر فسقه عند الناس أو المشهور به.

(ثم تلا قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الظاهر أن الآية استشهاد لقوله **«إني لأرجو النجاة لمن عرف حقنا»** لا للمستثنى وإن احتمل ووجه الاستشهاد أن الاتباع يجلب محبة الله تعالى ومن يحبه الله فهو ناج قطعاً، فإن قلت: الآية دلت على أن متابعة الرسول يجلب ذلك لا متابعتهم.

قلت: المخاطبون بهذا الحديث هم العارفون بحقهم عليهم السلام كما دل عليه قوله **«إن قدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا»** والعارفون بحقهم لا يفرقون بينه وبينهم عليهم السلام في وجوب الاتباع فالآية عندهم دلت على أن متابعتهم أيضاً تجلب المحبة، والله أعلم.

(ثم قال يا حفص الحب أفضل من الخوف) كأن الوجه له أن الخوف يقتضي الإتيان بالمأمور به والاجتناب من المنهي عنه للتحرز عن العقوبة ودفع الضرر عن النفس بخلاف الحب فإنه يقتضي ما ذكر لمجرد رضائه تعالى وطلب التقرب منه والفضل بينهما ظاهر، أو أن حقيقة الحب

تقتضي الميل إليه والتوصل به، وحقيقة الخوف وإن كان درجة عظيمة تقتضي الوحشة والفرار وبينهما بون بعيد وإن مقام المحبة أعلى من مقام الخوف لأن الخوف حالة نفسانية تحصل من معرفته تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وكبريائه وغنائه عن الخلق ومعرفة قهره وغضبه وكمال قدرته عليهم وعدم مبالاته بتعذيبهم وتأديبهم وإهلاكهم ومعرفة عيوب نفسه وتقصيره في الطاعات والأخلاق والآداب ومعرفة أمر الآخرة وشدائدها وكلما زادت تلك المعارف زاد الخوف فيؤثر ذلك في القلب والجوارح تأثيراً عظيماً فيميل القلب إلى ترك الشهوات والندامة على الزلات والعزم على الخيرات ويحترز من الرذائل كلها ويشتغل الجوارح بوظايفها فيحصل بترك الشهوات العفة والزهد وبترك المحرمات التقوى وبترك مالا يعني الورع والصدق والإخلاص ودوام الذكر والفكر حتى يترقى منها إلى مقام المحبة فلا يرى لنفسه إرادة ولا مراد أو يحب كل ما يرد عليه منه ولا يراه ثقيلاً على نفسه بل يراه محبوباً مرغوباً يلتذ به أشد التذاذ لمجيئه من جانب المحبوب ويعده تحفة وهدية منه.

(ثم قال والله ما أحب الله من أحب الدنيا ووالى غيرنا) لعل السر فيه أن حبه تعالى يستلزم الميل إليه والتوصل به والتقرب منه بكل القربات وحب الدُّنيا والميل إليها والركون إلى زهراتها وغفلاتها والتولي بغير أئمة الهداة الهادية إلى القربات الداعية إلى الخيرات تنافي جميع ما يستلزم الحب، وما ينافي لازم الشي ينافي ذلك الشي بالضرورة فلا يجامع حب الدُّنيا وولاية غير الأئمة حب الله أبداً.

(ومن عرف حقنا) وهو الولاية والإمامة ووجوب الطاعة. **(وأحبنا فقد أحب الله تعالى)** كما نطق به صدر الآية المذكورة ولأن ذلك يوجب الإقرار بجميع ما أراده الله تعالى من عباده وأنزله إلى رسوله وهو أصل المحبة وأساسها بخلاف إنكار شيء منها خصوصاً أعظمها وهو الولاية فإنه يوجب هدم أساس المحبة.

(فبكى رجل) كأنه كان من المنافقين.

(لم يشفعوا فيك) على صيغة المجهول من التشفيع أي لم تقبل شفاعتهم وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرايم.

(ثم قال يا حفص كن ذنباً ولا تكن رأساً) أي كُن مرؤوساً تابعاً ولا تكن رئيساً متبوعاً شبههما بذنب الحيوان ورأسه، وقد روي عن أبي الحسن عليه السلام قال «**ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاؤها بأضر في دين المسلم من الرياسة**».

(ياحفص قال رسول الله صلى الله عليه وآله من خاف الله كل لسانه) أي يحفظه عما لا يعني، ولا ينطق إلّا

بالحق، وإن شئت أن تعرف مفاسد الكلام فارجع إلى ما ذكرناه في باب الصمت من كتاب الكفر والإيمان.

(ثم قال: بينا موسى بن عمران يعظ أصحابه إذ قام رجل فشق قميصه) أصل «بينا» بين فأشبعت الفتحة فصارت ألفاً.

(فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى قل له لا تشق قميصك ولكن اشرح لي عن قلبك) شرح زيد صدره للحق أي فسحه ووسعه لقبوله وتعديته بعن لتضمين معنى الكشف أي كاشفاً عن قلبك برفع ما يواريه ويغطيه من موانع دخول الحق فيه، وفي القاموس شرح كمنع: كشف، وحينئذ لا حاجة إلى التضمين وفيه تنبيه على أنه ينبغي من تطهير القلب وتنزيهه عن الرذائل ليستعد بذلك لقبول الحق وتحصيل الفضائل وإلاّ فلا ينفع الصياح والبكاء وأعمال الجوارح وشق القميص ونحو ذلك كما قيل بالفارسية:

جان پار ساز جامه دريدن چه فايده ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ از خود ببر زغير بريدن چه فائده

(حتى يتحول عما أكره إلى ما أحب) الموصول الثاني عبارة عن المحبة أو تطهير القلب أو تطهير الظاهر والباطن جميعاً أو الأعم وكأن ذلك الساجد كان منافقاً في دين موسى عليه السلام وهكذا يفعل الله تعالى ببعض عباده إما من باب اللطف والتنبيه ليرجع ويتوب أو من باب الغضب وليس المراد أنه يفعله بالجميع كذلك، فلا ينافي ما مرَّ في باب الدعاء من أنه تعالى قد يقبل دعاء الفسقة سريعاً لكراهة سماع صوته.

حديث رسول الله صلى الله عليه وآله

* **الأصل:**

٣٧ ـ عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم وغيره؛ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **ما كان شيء أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أن يظلّ جائعاً خائفاً في الله.**(١)

* **الشرح:**

قوله (**حديث رسول الله صلى الله عليه وآله**) يذكر فيه شيء من آدابه وتواضعه لله تعالى (**ما كان شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أن يظل**) أي يصير (**جايعاً خائفاً في الله**) مثله في باب ذم الدُّنيا بسند آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال «**ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وآله شيء من الدُّنيا إلاّ أن يكون فيها جايعاً خائفاً**» واعلم أن في الجوع فوائد منها ما روي عن الصادق عليه السلام «**أن البطن ليطغى من أكله وأقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل إذا خف بطنه، وأبغض ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا امتلأ بطنه**» ومنها صفاء القلب ورقته وقلة النوم وكثرة الحفظ وصحة البدن وقلة الاحتياج إلى كسب الأموال إلى غيرها مما ذكرنا في الباب المذكور.

وللخوف أيضاً فوائد، منها التزام الخيرات، وينبغي أن يعلم أن خوفه ليس كخوفنا من المعصية والعقوبة والتقصير في الطاعة وسوء الخاتمة وأمثال ذلك فإنه كان منزهاً عنها بل خوفه من التنزلات عن المقامات العالية لإصلاح الخلق أو من خوضه في هيبة العظمة الإلٰهية.

* **الأصل:**

٣٨ ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وأبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبّار جميعاً، عن ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة؛ عن سعيد بن عمرو الجعفي، عن محمد بن مسلم، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ذات يوم وهو يأكل متّكئاً قال: وقد كان يبلغنا أنّ ذلك يكره فجعلت أنظر إليه فدعاني إلى طعامه فلمّا فرغ قال: **يامحمّد لعلّك ترى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ما رأته عين وهو يأكل وهو متّكىء من أن بعثه الله إلى أن قبضه** ؟ قال: ثم ردّ على نفسه: **لا والله ما رأته عين يأكل وهو متكّىء من أن بعثه الله إلى أن قبضه** ثم قال: **يامحمد لعلك ترى أنّه شبع من خبز البرِّ ثلاثة أيّام متوالية من أن بعثه الله إلى أن قبضه**، ثمّ ردّ على نفسه ثمّ قال: **لا والله ما شبع من خبز البرّ ثلاثة أيّام متوالية منذ**

---

(١) الكافي: ٨ / ١١٣.

بعثه الله إلى أن قبضه، أما إنّي لا أقول: إنّه كان لا يجد، لقد كان يجيز الرّجل الواحد بالمائة من الإبل فلو أراد أن يأكل لأكل.

ولقد أتاه جبرئيل عليه السلام بمفاتيح خزائن الأرض ثلاث مرّات يخيّره من غير أن ينقصه الله تبارك وتعالى ممّا أعدّ الله له يوم القيامة فيختار التواضع لربّه عزّ وجلّ وما سئل شيئاً قطُّ فيقول: لا، إن كان أعطى، وإن لم يكن قال: يكون، وما أعطى على الله شيئاً قطُّ إلاّ سلّم ذلك إليه حتّى أن كان ليعطي الرّجل الجنّة فيسلم الله ذلك له، ثمّ تناولني بيده وقال: وإن كان صاحبكم ليجلس جلسة العبد ويأكل أكلة العبد ويطعم النّاس خبز البرّ واللّحم ويرجع إلى أهله فيأكل الخبز والزّيت وإن كان ليشتري القميص السنبلاني ثمّ يخيّر غلامه خيرهما، ثمّ يلبس الباقي فإذا جاز أصابعه قطعة وإذا أجاز كعبه حذفه.

وما ورد عليه أمران قطُّ كلاهما لله رضى إلاّ أخذ بأشدّهما على بدنه ولقد ولي الناس خمس سنين فما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا أقطع قطيعة ولا أورث بيضاء ولا حمراء إلاّ سبعمائة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يبتاع لأهله بها خادماً وما أطاق أحدٌ عمله وإن كان عليُّ بن الحسين عليهما السلام لينظر في الكتاب من كتب عليّ عليه السلام فيضرب به الأرض ويقول: من يطيق هذا؟[1]

* **الشرح:**

قوله (**لا والله ما رأته عين وهو يأكل وهو متكىء**) فعله عليه السلام مع أنه صلى الله عليه وآله لم يفعله لبيان الجواز (**فقال لا والله ما شبع من خبز البر ثلاثة أيام متوالية**) هذا متفق عليه بين الأمة، روى مسلم بإسناده أنه «**ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام تباعاً من خبر بر حتى مضى لسبيله**» وفيه دلالة على أنه شبع من خبز البر دون ثلاثة، ويؤيده ما سيجيء من قوله صلى الله عليه وآله «**أشبع يوماً وأجوع يوماً**» وبالجملة أمثال هذه الأحاديث دلت على أنه صلى الله عليه وآله لم يكن يديم الشبع والترفه بل كان يأكل الخشن ويقتصر من الأكل على ما يُقيم الرمق معرضاً عن متاع الدّنيا مؤثراً ما ينبغي على ما يفني مع إقبال الدّنيا عليه ووفورها لديه، وإنما لم يشبع لئلا يشبع هو ويجوع أحد من المسلمين، ولأن في كثرة الأكل مفاسد روحانية وعللاً جسمانية، وليست القوة على العبادة والشجاعة من كثرة الأكل كما زعمه بعض الناس وسمعته من بعض عباد البطن وإنما القوة عليهما قوة إلهية وقدرة روحانية، والحكم بأن القوة من كثرة الغذاء من أحكام الوهم، والعقل الخالص يحكم بأن الله تعالى إذا أراد أن يلبس أحداً حلة

---

(١) الكافي: ٨ / ١١٣.

القوة من غير أن يأكل غذاء أرباب الترفه يلبسها ولا مانع عنه، ألاترى أن النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام مع كمال اتصافهما بقلة الأكل ونهاية الرياضة كانا أشجع الناس وأعبدهم وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا بقوله «**وكأني بقائلكم يقول إذاكان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان**» ثم شبه نفسه الزكية بالشجرة البرية في أنها أشد قوة من الحضرية مع أنه لا شراب لها مثل الحضرية فقال «**ألا وأن الشجرة البرية أصلبُ عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً والنباتات العذية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً**» فقد أشار عليه السلام إلى أن من سلك سبيل المجاهدة وشرب زلال المشاهدة يأكل قليلاً من خشن الطعام ويقدر على ما لم يقدر عليه شجعان الأيام وماهو إلاّ بقوة الله تعالى، والروائع: العجائب، والعذية بكسر العين وفتحها وسكون الذال والياء المثناة التحتانية: زرع لا يسقيه إلاّ المطر.

ثم أشار عليه السلام تأكيداً لما مرَّ مصدراً بالقسم «**والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها**» وذلك لأنه عليه السلام كان شديد القلب عند البأس والانهزام إنما يكون بالجبن وهو كان منزهاً عنه.

(**أما أني لا أقول أنه كان لا يجد لقد كان يجيز الرجل الواحد**) أي يعطيه، من «أجازه» إذا أعطاه (**بالمائة من الإبل**) روي أنه ﷺ «**ما سئل شيئاً قط فقال لا**» وحكاية جوده مشهورة، ومن طريق العامة عن أنس قال «**ما سئل عن رسول الله ﷺ شيئاً على الإسلام إلاّ أعطاه قال فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة**».

قال المازري: معنى فأعطاه غنماً بين جبلين أي غنما يملأ ما بين جبلين.

(**ولقد أتاه جبرئيل عليه السلام بمفاتيح خزائن الأرض ثلاث مرات...**) لعله كناية عن بقائه في الدّنيا وتملكه ما فيها وسلطنته على أهلها فاختار الفقر والموت تواضعاً لله عز وجل، وسيجيء توضيحه في حديث ابن المغيرة.

(**ثم تناولني بيده**) هكذا في أكثر النسخ وفي بعضها «من يناوله» وهو مرتبط بما قبله والأصل بما بعده (**وقال وإن كان صاحبكم ليجلس جلسة العبد**) إن مخففة، والصاحب علي عليه السلام والجلسة بالكسر مصدر للنوع، والمقصود أنه عليه السلام كان يجلس على التراب والجلود ولم يكن له بساط وفروش مزينة لا لأنه لم يجدها بل للتواضع لله عز وجل.

(**ويأكل أكلة العبد**) الأكلة بالضم اللقمة والقرصة والطعمة وهي ما يطعم ويؤكل والمقصود أن طعامه كان خشناً غليظاً أو بلا إدام.

(**وإن كان ليشتري القميص السنبلاني**) وفي القاموس: قميص سنبلاني: سابغ الطول، أو

منسوب إلى البلد بالروم، وسنبل ثوبه: جره من خلفه وأمامه، وسنبلان وسنبل بلدان بالروم بينهما عشرون فرسخاً.

(فإذا جاز أصابعه قطعه وإذا جاز كعبه حذفه) فراراً من عادة المختالين المتكبرين ومخالفة شعار المؤمنين حيث أن قميصهم كما روي إلى نصف الساق أو إلى الكعب، ومن الإسراف في الثوب بما لا حاجة إليه ومن النجاسة فإن الثوب بجره على الأرض يتلوث غالباً ومن سرعة بلاه وخرقه بجره على التراب.

(وما ورد عليه أمران قط كلاهما لله رضا) احترز به عما إذا لم يكن في أحدهما لله رضا فإنه لا يجوز تعذيب النفس به سواء كان أشق أم أخف **(إلا أخذ بأشدهما على بدنه)** حملاً لنفسه القدسية على الرياضة، والانحراف عن الكسل والراحة، وطلباً للأفضل كما تقرر «**أفضل الأعمال أحمزها**» وروي «**أفضل الأعمال ما أكرهت عليه نفسك**» وفيه تنبيه على أنه لابد من تذليل النفس المائلة إلى الراحة بحمل الأشق من الطاعات عليها لتعتاد في الخيرات ويسهل لها سلوك سبيل الطاعات حتى ترتقي إلى غاية الكمالات وتدرك أرفع درجة المثوبات **(فما وضع آجرة على آجرة)** في المصباح: الآجر اللبن إذا طبخ، بمد الهمزة، والتشديد أشهر من التخفيف، الواحد آجرة وهو معرب **(ولا لبنة على لبنة)** اللبن ككتف: المضروب من الطيب مربعاً للبناء ويُقال فيه بالكسر وبكسرتين فكابل لغة والواحدة لبنة بفتح اللام وكسر الباء ويُقال بكسر اللام وسكون الباء، ولبنه تلبيناً اتخذه، والمقصود أنه عليه السلام ما اشتغل بعمارة الدنيا ولم ينفق بالهوى في عمارتها لأنها مبغوضة لله منذ خلقها إذ هي سبب انقطاع عباده عن عبادته، ولهذا لما بنى النبي صلى الله عليه وآله مسجده اقتصر فيه وقال «**عريش كعريش موسى**» ولم يشتغل فيه بالتشييد وزخرف الدنيا مع كونه مسجداً فما ظنك بغيره وروى من طرق العامة أنه صلى الله عليه وآله مرّ يوماً بقبة مرتفعة فقال: لمن هذه؟ فقيل: لفلان، رجل كان يدخل عليه ويقربه ويقبل عليه فدخل عليه الرجل بعد ذلك اليوم فلم يلتفت إليه فسأل عن سبب إعراضه عنه فقبل أنه رأى قبتك فذهب الرجل فهدمها وسواها بالأرض، فلما علم النبي صلى الله عليه وآله بصنيعه عاد فأقبل عليه.

(ولا أقطع قطيعة) لنفسه مع أن ذلك كان جايزاً له ولم يفعل لزهده في الدنيا. يقال: أقطعه الإمام الأرض إقطاعاً إذا جعل له غلتها رزقاً، واسم تلك الأرض التي تقطع قطيعة.

(فيضرب به الأرض) أي يضعه عليها.

(ويقول من يطيق هذا) إذا قال سيد العابدين ذلك فغيره أولى بالاعتراف بالعجز فعلم منه أنه لم يكن أحد من الأولين والآخرين في قوة العمل مثل أمير المؤمنين عليه السلام مع كمال زهده في الدنيا

فإن لم يكن لك قوة مثل قوته فتشبه به ولا تترك الميسور بالمعسور.

* **الأصل :**

٣٩ـعدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن حمّاد بن عثمان قال: حدّثني عليُّ بن المغيرة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **إنّ جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فخيّره وأشار عليه بالتواضع وكان له ناصحاً، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد تواضعاً لله تبارك وتعالى، ثمّ أتاه عند الموت بمفاتيح خزائن الدُّنيا فقال: هذه مفاتيح خزائن الدّنيا بعث بها إليك ليكون لك ما أقلّت الأرض من غير أن ينقصك شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: في الرّفيق الأعلى.**(١)

* **الشرح :**

(إن جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله) فخيّره بين قبول ملك الدنيا وخزائنها وتركها **(وأشار عليه بالتواضع لله تعالى)** بترك قبولها وقد مرّ ذلك مع شرحه في باب التواضع من الأصول **(وكان له ناصحاً)** فلم يصدر الإشارة منه بالتواضع والترك من باب الغش بل صدر لمحض النصيحة الخالصة لعلمه بأن ذلك خيرٌ له في الدُّنيا والآخرة **(ثم أتاه عند الموت بمفاتيح خزائن الدنيا..)** قال الفاضل الأمين الاسترابادي: كان العلة في إتيانه عند الموت بهذا أن النبي صلى الله عليه وآله عسى أن يتقبلها لذريته الطاهرة صلوات الله عليهم فإن معظم قصد الناس أن لا يكون ذريتهم فقراء بعده.

أقول: ويمكن أن يكون العلة فيه عسى أن يتقبل طول العمر والبقاء في الدُّنيا مع السلطنة كما يشعر به آخر الحديث **(ليكون لك ما أقلت الأرض)** أي ما حملته ورفعته **(من غير أن ينقصك شيئاً في الآخرة)** من قربك ومنزلتك عنده تعالى ونقص لازم متعد **(فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في الرفيق الأعلى)** الجار متعلق بأكون، قيل: المراد بالرفيق الأعلى الملائكة المقربون، وقيل: الأنبياء المرسلون الذين يسكنون أعلى عليين وهو اسم جاء على فعيل ومعناه الجماعة كالصديق، والخليط يقع على الواحد والجمع ومنه قوله تعالى **﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾** والرفيق المرافق في الطريق، قيل المراد به الله تعالى لأنه رفيق بعباده من الرفق والرأفة وفيه أن لفظ في يأباه في الجملة إلاّ أن يكون بمعنى الباء أو إلى أو يقدر بعده الجوار أو الرحمة.

* **الأصل :**

٤٠ـسهل بن زياد، عن ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن عبد المؤمن الأنصاري، عن أبي عبد

---

(١) الكافي: ٨ / ١١٤.

-الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **عرضت عليّ بطحاء مكة ذهباً فقلت: ياربّ لا ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا شبعت حمدتك وشكرتك وإذا جعتُ دعوتك وذكرتك.**(١)

*** الشرح:**

(عرضت عليّ بطحاء مكة ذهباً) البطحاء والأبطح مسيل واسع فيه دقائق الحصى وقد يطلق على تلك الدقاق.

(فقلت يارب لا) أي لا أريد **(ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً)** أي أفطر يوماً وأصوم يوماً أو أشبع يوماً ولا أشبع يوماً.

(فإذا شبعت حمدتك) فيه إرشاد إلى الحمد والشكر بعد النعمة والدعاء والذكر عند الجوع والحاجة إلى الغذاء، ومنه يظهر بعض فوائد الجوع، وقد ذكرنا كثيراً منها في الأصول.

---

(١) الكافي: ٨ / ١١٤.

حديث عيسى ابن مريم عليه السلام

*** الأصل:**

٤١ ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليٍّ بن أسباط عنهم عليهم السلام قال: فيما وعظ الله عز وجلّ به عيسى عليه السلام:

يا عيسى أنا ربّك وربُّ آبائك، اسمي واحد وأنا الأحد المتفرّد بخلق كلِّ شيء، وكلُّ شيء من صنعي وكلٌّ إليَّ راجعون.

يا عيسى أنت المسيح بأمري وأنت تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني وأنت تحيي الموتى بكلامي فكن إليَّ راغباً ومنّي راهباً ولن تجد منّي ملجأً إلاّ إليَّ.

يا عيسى أُوصيك وصية المتحنّن عليك بالرحمة حتّى حقت لك منّي الولاية بتحرّيك منّي المسرّة، فبوركت كبيراً وبوركت صغيراً حيث ما كنت، أشهد أنّك عبدي، ابن أمتي أنزلني من نفسك كهمّك، واجعل ذكري لمعادك وتقرّب إليّ بالنّوافل وتوكّل عليّ أكفك ولا توكّل على غيري فأخذلك.

يا عيسى اصبر على البلاء وارض بالقضاء، وكن كمسرّتي فيك فإنّ مسرّتي أن أُطاع فلا أُعصى، يا عيسى أحي ذكري بلسانك وليكن ودّي في قلبك، يا عيسى تيقّظ في ساعات الغفلة واحكم لي لطيف الحكمة، يا عيسى كن راغباً راهباً وأمت قلبك بالخشية. يا عيسى راع اللّيل لتحرّي مسرّتي واظمأ نهارك ليوم حاجتك عندي. يا عيسى نافس في الخير جهدك تعرف بالخير حيثما توجّهت. يا عيسى احكم في عبادي بنصحي وقم فيهم بعدلي، فقد أنزلت عليك شفاء لما في الصدور من مرض الشيطان. يا عيسى لا تكن جليساً لكلّ مفتون، يا عيسى حقّاً أقول. ما آمنت بي خليقةٌ إلاّ خشعت لي ولا خشعت لي إلاّ رجت ثوابي فأشهد أنّها آمنة من عقابي ما لم تبدّل أو تغيّر سنّتي.

يا عيسى ابن البكر البتول! ابكِ على نفسك بكاء من ودّع الأهل وقلى الدُّنيا وتركها لأهلها وصارت رغبته فيما عند إلهه.

يا عيسى كن مع ذلك تلين الكلام وتفشي السلام. يقظان إذا نامت عيون الأبرار، حذراً للمعاد، والزلازل الشداد، وأهوال يوم القيامة حيث لا ينفع أهل ولا ولد ولا مال، يا عيسى اكحل عينك بميل الحزن إذا ضحك البطّالون.

يا عيسى كن خاشعاً صابراً، فطوبى لك إن نالك ما وعد الصابرون.

يا عيسى رح من الدّنيا يوماً فيوماً، وذق لما قد ذهب طعمه، فحقّا أقول: ما أنت إلاّ بساعتك ويومك، فرح من الدّنيا ببلغة وليكفك الخشن الجشب فقد رأيت إلى ما تصير ومكتوب ما أخذت وكيف أتلفت.

يا عيسى إنّك مسؤول فارحم الضعيف كرحمتي إياك ولا تقهر اليتيم.

يا عيسى ابك على نفسك في الخلوات وانقل قدميك إلى مواقيت الصلوات وأسمعني لذاذة نطقك بذكري فإنّ صنيعي إليك حسن.

يا عيسى كم من أُمة قد أهلكتها بسالف ذنوب قد عصمتك منها.

يا عيسى ارفق بالضعيف وارفع طرفك الكليل إلى السماء وادعني منك فإني منك قريب ولا تدعني إلاّ متضرّعاً إليّ وهمّك همّا واحداً فإنك متى تدعني كذلك أجبك.

يا عيسى إني لم أرض بالدّنيا ثواباً لمن كان قبلك ولا عقاباً لمن انتقمت منه.

يا عيسى إنّك تفنى وأنا أبقى، ومنّي رزقك وعندي ميقات أجلك وإليّ إيابك وعليّ حسابك فسلني ولا تسأل غيري، فيحسن منك الدّعاء ومنّي الإجابة.

يا عيسى ما أكثر البشر وأقلّ عدد من صبر، الأشجار كثيرة وطيّبها قليل، فلا يغرّنك حسن شجرة حتّى تذوق ثمرها.

يا عيسى لا يغرّنك المتمرّد عليّ بالعصيان: يأكل رزقي ويعبد غيري ثم يدعوني عند الكرب فأُجيبه، ثمّ يرجع إلى ما كان عليه، فعليّ يتمرّد؟ أم بسخطي يتعرّض ؟ فبي حلفت لآخذنّه أخذة ليس له منها منجاً ولا دوني ملجأ، أين يهرب من سمائي وأرضي.

يا عيسى قل لظلَمة بني إسرائيل: لا تدعوني والسحت تحت أحضانكم والأصنام في بيوتكم فإني آليت أن أُجيب من دعاني وأن أجعل إجابتي إيّاهم لعناً عليهم حتّى يتفرّقوا، يا عيسى كم أُطيل النظر وأُحسن الطلب والقوم في غفلة لا يرجعون ؟ تخرج الكلمة من أفواههم، لا تعيها قلوبهم، يتعرّضون لمقتي ويتحببون بقربي إلى المؤمنين. يا عيسى ليكن لسانك في السرّ والعلانية واحداً وكذلك فليكن قلبك وبصرك واطو قلبك ولسانك عن المحارم وكفّ بصرك عمّا لا خير فيه، فكم من ناظر نظرة قد زرعت في قلبه شهوة ووردت به موارد حياض الهلكة.

يا عيسى كن رحيماً مترحّماً وكن كما تشاء أن يكون العباد لك وأكثر ذكر الموت ومفارقة الأهلين ولا تله فإنّ اللهو يفسد صاحبه ولا تغفل فإنّ الغافل منّي بعيد واذكرني بالصالحات حتّى أذكرك.

يا عيسى تب إليّ بعد الذّنب وذكّر بي الأوّابين وآمن بي وتقرّب إلى المؤمنين ومرهم يدعوني معك وإياك ودعوة المظلوم فإنّي آليت على نفسي أن أفتح لها باباً من السماء بالقبول وأن أُجيبه ولو بعد حين.

يا عيسى اعلم أنّ صاحب السوء يعدي وقرين السوء يردي، واعلم من تقارن واختر لنفسك إخواناً من المؤمنين.

يا عيسى تب إليّ فإنّي لا يتعاظمني ذنب أن أغفره وأنا أرحم الرّاحمين، اعمل لنفسك في مهلة من أجلك قبل أن لا يعمل لها غيرك واعبدني ليوم كألف سنة ممّا تعدُّون، فيه أُجزي بالحسنة أضعافها وإنّ السيئة توبق صاحبها، فامهد لنفسك في مهلة ونافس في العمل الصّالح، فكم من مجلس قد نهض أهله وهم مجارون من النّار.

يا عيسى ازهد في الفاني المنقطع وطأ رسوم منازل من كان قبلك فادعهم وناجهم هل تحسُّ منهم من أحد وخذ موعظتك منهم، واعلم أنّك ستلحقهم في اللاحقين.

يا عيسى قل لمن تمرّد عليّ بالعصيان وعمل بالادِّهان ليتوقع عقوبتي وينتظر إهلاكي إياه سيصطلم مع الهالكين، طوبى لك يا ابن مريم، ثمّ طوبى لك إن أخذت بأدب إلهك الذي يتحنن عليك ترحماً وبدأك بالنعم منه تكرُّماً وكان لك في الشدائد، لا تعصه يا عيسى فإنّه لا يحل لك عصيانه قد عهدت إليك كما عهدت إلى من كان قبلك وأنا على ذلك من الشاهدين.

يا عيسى ما أكرمت خليقة بمثل ديني ولا أنعمت عليها بمثل رحمتي.

يا عيسى اغسل بالماء منك ما ظهر، وداو بالحسنات منك ما بطن فإنّك إليّ راجع.

يا عيسى أعطيتك ما أنعمت به عليك فيضاً من غير تكدير وطلبت منك قرضاً لنفسك فبخلت به عليها لتكون من الهالكين.

يا عيسى تزيّن بالدِّين وحبِّ المساكين وامش على الأرض هوناً وصلِّ على البقاع فكلّها طاهر.

يا عيسى شمّر فكلُّ ما هو آت قريب، واقرأ كتابي وأنت طاهر، وأسمعني منك صوتاً حزيناً.

يا عيسى لا خير في لذاذة لا تدوم، وعيش من صاحبه يزول، يا ابن مريم لو رأت عينك ما أعددت لأوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك شوقاً إليه، فليس كدار الآخرة دار تجاور فيها الطّيبون ويدخل عليهم فيها الملائكة المقرّبون وهم ممّا يأتي يوم القيامة من أهوالها آمنون، دار لا يتغيّر فيها النعيم ولا يزول عن أهلها، يا ابن مريم نافس فيها مع المتنافسين فإنّها أمنية المتمنين، حسنة المنظر، طوبى لك يا ابن مريم إن كنت لها من العاملين مع آبائك آدم وإبراهيم،

في جنّات النعيم، لا تبغي بها بدلاً ولا تحويلاً كذلك أفعل بالمتّقين.

يا عيسى اهرب إليّ مع من يهرب من نار ذات لهب ونار ذات أغلال وأنكال لا يدخلها روحٌ ولا يخرج منها غمٌّ أبداً، قطع كقطع اللّيل المظلم من ينج منها يفز ولن ينجو منها من كان من الهالكين، هي دار الجبّارين والعتاة الظالمين وكلّ فظٍّ غليظ وكل مختال فخور.

يا عيسى بئست الدّارين لمن ركن إليها وبئس القرار دار الظالمين إنّي أحذرّك نفسك فكن بي خبيراً.

يا عيسى كن حيث ما كنت مراقباً لي واشهد على أني خلقتك وأنت عبدي وأني صورّتك وإلى الأرض أهبطتك.

يا عيسى لا يصلح لسانان في فم واحد ولا قلبان في صدر واحد وكذلك الأذهان.

يا عيسى لا تستيقظنّ عاصياً ولا تستنبهنّ لاهيّاً وأفطم نفسك عن الشهوات الموبقات وكلُّ شهوة تباعدك مني فاهجرها، واعلم أنّك منّي بمكان الرّسول الأمين فكن مني على حذر واعلم أنّك دنياك مؤدّيتك إليّ وأنّي آخذك بعلمي فكن ذليل النّفس عند ذكري، خاشع القلب حين تذكرني، يقظاناً عند نوم الغافلين.

يا عيسى هذه نصيحتي إيّاك وموعظتيى لك فخذها منّي وإنّي ربُّ العالمين.

يا عيسى إذا صبر عبدي في جنبي كان ثواب عمله عليّ وكنت عنده حين يدعوني، وكفى بي منتقماً ممّن عصاني، أين يهرب مني الظالمون.

يا عيسى أطب الكلام وكن حيثما كنت عالماً متعلّماً. يا عيسى افض بالحسنات إليّ حتى يكون لك ذكرها عندي وتمسّك بوصيتي فإنّ فيها شفاءً للقلوب.

يا عيسى لا تأمن إذا مكرت مكري ولا تنس عند خلوات الدّنيا ذكري.

يا عيسى حاسب نفسك بالرُّجوع إليّ حتّى تتنجز ثواب ما عمله العاملون أولئك يؤتون أجرهم وأنا خير المؤتين.

يا عيسى كنت خلقاً بكلامي، ولدتك مريم بأمري المرسل إليها روحي جبرئيل الأمين من ملائكتي حتّى قمت على الأرض حيّاً تمشي، كلُّ ذلك في سابق علمي.

يا عيسى زكريّا بمنزلة أبيك وكفيل أمّك إذ يدخل عليها المحراب فيجد عندها رزقاً ونظيرك يحيى من خلقي وهبته لأمّه بعد الكبر من غير قوّة بها أردت بذلك أن يظهر لها سلطاني ويظهر فيك قدرتي، أحبّكم إليّ أطوعكم لي وأشدكم خوفاً منّي.

يا عيسى تيقّظ ولا تيأس من روحي وسبحني مع من يسبحني وبطيب الكلام فقدسني. يا

عيسى كيف يكفر العباد بي ونواصيهم في قبضتي وتقلّبهم في أرضي، يجهلون نعمتي ويتولّون عدّوي وكذلك يهلك الكافرون.

يا عيسى إنّ الدّنيا سجن منتن الريح وحسن فيها ماقد ترى ممّا قد تذابح عليه الجبّارون وإيّاك والدُّنيا فكلُّ نعيمها يزول وما نعيمها إلاّ قليل.

يا عيسى أبغني عند وسادك تجدني وادعني وأنت لي محبٌّ فإني أسمع السامعين أستجيب للدّاعين إذا دعوني. يا عيسى خفني وخوّف بي عبادي لعلّ المذنبين أن يمسكوا عمّا هم عاملون به فلا يهلكوا إلا وهم يعلمون.

يا عيسى ارهبني رهبتك من السبع والموت الذي أنت لاقيه فكلّ هذا أنا خلقته فإيايّ •نارهبون. يا عيسى إنّ الملك لي وبيدي وأنا الملك فإن تطعني أدخلتك جنتي في جوار الصالحين.

يا عيسى انّي إذا غضبت عليك لم ينفعك رضى من رضي عنك وإن رضيت عنك لم يضرّك غضب المغضبين.

يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي واذكرني في ملائك أذكرك في ملاء خير من ملاء الآدميين، يا عيسى ادعني دعاء الغريق الحزين الذي ليس له مغيث.

يا عيسى لا تحلف بي كاذباً فيهتزّ عرشي غضباً، الدُّنيا قصيرة العمر، طويلة الأمل وعندي دار خير ممّا تجمعون. يا عيسى كيف أنتم صانعون إذا أخرجت لكم كتاباً ينطق بالحق وأنتم تشهدون بسرائر قد كتمتموها وأعمال كنتم بها عاملين.

يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل غسلتم وجوهكم ودّنستم قلوبكم، أبي تغترّون أم عليّ تجترون، تطيبون بالطيب لأهل الدّنيا وأجوافكم عندي بمنزلة الجيف المنتنة كأنّكم أقوام ميتون.

يا عيسى قل لهم: قلّموا أظفاركم من كسب الحرام وأصمّوا أسماعكم عن ذكر الخنا وأقبلوا عليّ بقلوبكم فإني لست أُريد صوركم.

يا عيسى افرح بالحسنة فإنّها لي رضى، وابك على السّيئة فإنّها شين، وما لا تحبُّ أن يصنع بك فلا تصنعه بغيرك وإن لطم خدّك الأيمن فأعطه الأيسر وتقرّب إليّ بالمودة جهدك، وأعرض عن الجاهلين.

يا عيسى ذلّ لأهل الحسنة وشاركهم فيها وكن عليهم شهيداً وقل لظلمة بني إسرائيل: يا أخدان السوء والجلساء عليه إن لم تنتهوا أمسخكم قردة وخنازير.

يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل: الحكمة تبكي فرقاً منّي وأنتم بالضحك تهجرون، أتتكم

براءتي أم لديكم أمانٌ من عذابي أم تعرّضون لعقوبتي ؟ فبي حلفت لأتركنكم مثلاً للغابرين.

ثمّ أوصيك يا ابن مريم البكر البتول بسيّد المرسلين وحبيبي فهو أحمد صاحب الجمل الأحمر والوجه الأقمر، المشرق بالنور، الطاهر القلب، الشديد البأس، الحييّ المتكرّم، فإنّه رحمة للعالمين وسيّد ولد آدم يوم يلقاني، أكرم السابقين عليّ وأقرب المرسلين منّي، العربيّ الأمين الدّيان بديني، الصابر في ذاتي، المجاهد المشركين بيده عن ديني، أن تخبر به بني إسرائيل وتأمرهم أن يصدّقوا به وأن يؤمنوا به وأن يتّبعوه وأن ينصروه.

قال عيسى عليه السلام: إلهي من هو حتّى أرضيه ؟ فلك الرضا. قال: هو محمّد رسول الله إلى الناس كافّة أقربهم منّي منزلة وأحضرهم شفاعة وطوبى له من نبيّ وطوبى لأمّته إن هم لقوني على سبيله، يحمده أهل الأرض ويستغفر له أهل السماء، أمينٌ ميمونٌ طيّب مطيب، خير الباقين عندي، يكون في آخر الزمان إذا خرج أرخت السماء عزاليها وأخرجت الأرض زهرتها حتّى يروا البركة وأُبارك لهم فيما وضع يده عليه، كثير الأزواج، قليل الأولاد، يسكن بكة موضع أساس إبراهيم.

يا عيسى دينه الحنيفية وقبلته يمانية وهو من حزبي وأنا معه، فطوبى له ثمّ طوبى له، له الكوثر والمقام الأكبر في جنات عدن، يعيش أكرم من عاش ويقبض شهيداً، له حوض أكبر من بكّة إلى مطلع الشمس من رحيق مختوم، فيه آنية مثل نجوم السماء وأكواب مثل مدر الأرض، عذب فيه من كلِّ شراب وطعم كلِّ ثمار في الجنة، من شرب منه شربة لم يظمأ أبداً وذلك من قسمي له وتفضيلي إيّاه على فترة بينك وبينه، يوافق سرّه علانيته وقوله فعله، لا يأمر النّاس إلاّ بما يبدأهم به، دينه الجهاد في عسر ويسر تنقاد له البلاد ويخضع له صاحب الرُّوم على دين إبراهيم، يسمّي عند الطعام، ويفشي السلام، ويصلّي والناس نيام، له كلُّ يوم خمس صلوات متواليات، ينادي إلى الصلاة كنداء الجيش بالشعار ويفتتح بالتكبير ويختتم بالتسليم ويصفّ قدميه في الصلاة كما تصفّ الملائكة أقدامها ويخشع لي قلبه ورأسه.

النور في صدره والحقُّ على لسانه وهو على الحق حيثما كان، أصله يتيم ضالٌّ برهة من زمانه عمّا يراد به، تنام عيناه ولا ينام قلبه، له الشفاعة وعلى أمّته تقوم السّاعة، ويدي فوق أيديهم. فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه أوفيت له بالجنّة، فمر ظلمة بني إسرائيل ألاّ يدرسوا كتبه، ولا يحرّفوا سنّته، وأن يقرئوه السلام فإنّ له في المقام شأناً من الشان.

يا عيسى كلُّ ما يقرّبك منّي فقد دللتك عليه، وكلُّ ما يباعدك منّي فقد نهيتك عنه فارتد لنفسك. يا عيسى إنّ الدّنيا حلوة وإنّما استعملتك فيها، فجانب منها ما حذّرتك وخذ منها ما

أعطيتك عفواً، يا عيسى انظر في عملك نظر العبد المذنب الخاطىء ولا تنظر في عمل غيرك بمنزلة الريب كن فيها زاهداً ولا ترغب فيها فتعطب.

يا عيسى اعقل وتفكّر وانظر في نواحي الأرض كيف كان عاقبة الظالمين. يا عيسى كلُّ وصفي لك نصيحة وكلُّ قولي لك حق وأنا الحقّ المبين، فحقّاً أقول: لئن أنت عصيتني بعد أن أنبأتك، مالك من دوني من وليّ ولا نصير.

يا عيسى أذلّ قلبك بالخشية وانظر إلى من هو أسفل منك ولا تنظر إلى من هو فوقك واعلم أنّ رأس كلّ خطيئة وذنب هو حبُّ الدنيا فلا تحبّها فإنّي لا أحبّها.

يا عيسى أطب لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات واعلم أنّ سروري أن تبصبص إليّ، كن في ذلك حيّاً ولا تكن ميتاً.

يا عيسى لا تشرك بي شيئاً وكن منّي على حذر ولا تغترّ بالصحّة وتغبط نفسك فإنّ الدنيا كفيء زائل وما أقبل منها كما أدبر، فنافس في الصالحات جهدك وكن مع الحقّ حيثما كان وإن قطعت وأُحرقت بالنار، فلا تكفر بي بعد المعرفة فلا تكونن من الجاهلين، فإنّ الشيء يكون مع الشيء.

يا عيسى صبّ لي الدُّموع من عينيك واخشع لي بقلبك.

يا عيسى استغث بي في حالات الشدّة فإني أُغيث المكروبين وأُجيب المضطرين وأنا أرحم الراحمين.(١)

*** الشرح :**

(حديث عيسى بن مريم عليهما السلام) ذكر فيه من فضائل الأخلاق وجلائل الأوصاف وشرائف الصفات ولطايف الحالات ما يعجز عن ذكر وصفه الواصفون وعن إدراك كنهه العارفون (قال فيما وعظ الله تعالى به عيسى عليه السلام) أي أوصاه به وأمره بحفظه، والوعظ تذكير مشتمل على زجر وتخويف وحمل على طاعة الله تعالى بلفظ يرقّ له القلب (**يا عيسى أنا ربك ورب آبائك**) الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء من حد النقص إلى حد الكمال على سبيل التدريج، ثم أطلق على المالك والسيد وهو منكر بلا إضافة مختص بالواجب، وكذا المعرف باللام إذاكان بمعنى المالك لأن اللام للعموم، والمخلوق لا يملك جميع المخلوقات. وقدم هذا الوصف لدلالته على أفضل النعماء وهو الإيجاد والتربية وفيه ترغيب على أداء حقوق الربوبية.

---

(١) الكافي: ٨ / ١١٥.

(اسمي واحد) إذ لا تركيب فيه أصلاً لا ذاتاً ولا صفة، وكل ما سواه وإن كان بسيطاً فهو مركب إمّا بحسب الصفات ومن ثم قيل لا وحدة في عالم الإمكان.

(وأنا الأحد) إذ لا شريك له في ذاته وصفاته والوجوب والقدم وغيرها.

(المتفرد بخلق كل شيء) إذ لا شريك له في فعله. ويستثنى منه ذاته تعالى وأفعال العباد، وفيه رد على من زعم أنه واحد لا يصدر عنه إلاّ واحد وأن خلق البواقي مستند إلى العقول[1] ومن زعم أن صفاته الذاتية على ذاته إذ هو حينئذ مستعين في الخلق والإيجاد بصفاته المغايرة له.

(وكل شيء من صنعي) هذا تأكيد لما قبله لأن إضافة الصنع إليه عز وجل يقتضي التفرد به.

(وكل إليّ راجعون) بالحاجة في الوجود والبقاء أو بالزوال والفناء **﴿ولله ميراث السماوات والأرض﴾**[2] وفيه وعد بالثواب ووعيد بالعقاب ودلالة على التسخير، وقال الفاضل المذكور: المقصود أن كل شيء من صنعي بلا واسطة أو بواسطة كأفعال العباد وهذا معنى قوله **﴿كلٌ إلينا راجعون﴾** وفيه أنه يصدق على مذهب صدور الواحد عنه فقط، وهو باطل عندنا، فالأصوب حمله على الصدور بلا واسطة واستثناء أفعال العباد بدليل خارج.

(يا عيسى أنت المسيح بأمري) سمّي مسيحاً لأنه كان ذو بركة خلقة خلقه الله تعالى مباركاً، أو لأنه سائح في الأرض للعبادة وهداية الناس، أو لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلاّ بريء، أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، أو لأنه كان صديقاً.

---

(١) قوله «وأن خلق البواقي مستند إلى العقول». شبهة راسخة في أذهان بعض الناس لا يكتنه العلماء غورها لبعد أذهانهم عن أذهان الناس فرب أمر يتمسكون به ويبنون عليه من غير أن يعثر أحد على وجهه ولا ريب أن لا مؤثر في الوجود إلاّ الله تعالى وأن سلسلة الأسباب ينتهي إلى واجب الوجود بالذات لامتناع التسلسل ولم يتردد فيه أحد إلاّ الملاحدة المنكرون للعقول ولكل موجود غير جسماني، فنسبة الفعل والتدبير إلى العقول كنسبة الخلق إلى عيسى عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتكون طيراً باذني﴾ فكما أن نسبة الخلق إلى عيسى عليه السلام ليست مردودة باطلة بقوله «المتفرد بخلق كل شيء» لأن كل فاعل واسطة في إيصال الفيض من الله تعالى إلى سائر الممكنات كذلك نسبة الفعل إلى العقل أو إلى الملائكة الموكلين كنسبة إثارة السحاب إلى الريح في قوله تعالى ﴿يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ ليست مردودة بخلق كل شيء، ولا أدري كيف يكون نسبة الأفعال إلى الأسباب الطبيعية كالحرارة إلى النار والضوء إلى الشمس والشفاء إلى الدواء غير مخالفة للتوحيد ويكون نسبة الفعل إلى العقول مخالفة، إلاّ أن يكون الرجل مادياً ينكر وجود المجردات أو وهابياً ينكر تأثير غير الأسباب الطبيعية كالقبور والأرواح والتربة المقدسة والخواتيم المنقوشة وليس ذلك كله مما يخفى على الشارح رحمه الله وكأنه أراد بذلك بعض المبتدئين في الفلسفة وكانوا كثيرين في عصره يأخذون بأصل ويتركون أصولاً، يبينون فعل القول بياناً يظهر منه التفويض ويغفلون عن قول الحكماء «لا مؤثر في الوجود إلاّ الله تعالى» والله الهادي. (ش)

(٢) سورة آل عمران: ٨٠.

(وأنت تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني) قيل معناه أنت تقدر لهم من الطين مثل هيئة الطير فتنفخ فيه **(فيكون طيراً)** أي حيّاً طياراً **(بإذني)** ولما كان الإحياء من أخص صفاته تعالى ذكر الإذن دفعاً لتوهم الألوهية له، والظاهر أنه كان تعالى يخلق الحياة في ذلك الجسم عند نفخ عيسى عليه السلام إظهاراً لمعجزته لأن الإحياء والإماتة من صفاته تعالى كما نطق به القرآن، وقيل: إنه أودع في نفس عيسى عليه السلام خاصية بحيث أنه متى نفخ في شيء كان نفخه موجباً لصيرورة ذلك الشيء حياً.

(وأنت تحيي الموتى بكلامي) لعل المراد بالكلام الاسم الأعظم، وإحياؤه الموتى مذكور في الكتاب والسنة والسير، وقد روي من طرق الخاصة والعامة أنه كان ابن ميت لعجوزة فأحياه وبقي مدة وولد له ثم مات، وإنما ذكر هذه النعم لأنها من جلايل نعم الله تعالى عليه وهي تقتضي دوام الشكر والذكر وعدم الغفلة عنه ساعة.

(فكن إليّ راغباً ومني راهباً) الفاء للتفريع، وتقديم الظرف للحصر لأن وجوده وحوائجه وجميع كمالاته وتربيته من الابتداء إلى الانتهاء إذا كان منه تعالى وجب أن تكون رغبته في جميع المقاصد ورهبته من العقوبة وفوات شيء من مقاصده إليه تعالى لا إلى غيره.

وإلى ما ذكرنا أشار بقوله **(ولن تجد مني ملجأ إلاّ إليّ)** لجلب المنافع ودفع المضار، وإذا كان كذلك وجب صرف الرغبة والرهبة إليه لا إلى غيره.

(يا عيسى أُوصيك وصية المتحنن عليك بالرحمة) التحنن التلطف والرأفة والإشفاق وفي كنز اللغة: «تحنن مهرباني كردن» وفيه تنبيه على أن تلك الوصية نصيحة خالصة وتحريض على قبولها لأن العاقل لا يترك نصح الناصح الأمين.

ثم أشار إلى غاية الوصية وأقصى مراتب التحنن والرحمة وأعلاها بقوله **(حتى حقت)** أي ثبتت **(لك مني الولاية)** أي ولايتي لك أو ولايتك لي وهي بالفتح والكسر: المحبة والنصرة، أو ولايتك في الناس وهي النصرة والإمارة والسلطنة، وفي لفظ «مني» إشعار بأن ثبوت الولاية له من عونه تعالى وتوفيقه.

(بتحرِّيك مني المسرة) الباء للسببية، والتحري: طلب أحرى الأمرين وأولاهما، وإضافته إلى الكاف إضافة المصدر إلى الفاعل، والمسرة مفعوله وهي اسم لكل ما يوجب السرور، والجمع المسارة، يعني ثبوت الولاية لك بسبب طلبك ما يوجب سروري أو سرورك وهو الموصى به وغيره، وفي لفظ «مني» إشعار بما ذكرناه، وفي بعض النسخ «تنجز لك» فاعل «تنجز» ضمير راجع إلى الولاية، والمفعول بحاله يعني أن الولاية ينجز لك من عوني أو من لدني ما يوجب سرورك وهو القرب والسعادة والجنة ونعيمها الباقية والله أعلم.

(فبوركت كبيراً وبوركت صغيراً حيثما كنت) أي جعلت مباركاً ميموناً سبباً لزيادة الخير والبركة نفاعاً معلماً للخير بعد البلوغ وقبله حيثما كنت من الأماكن الحسية والعقلية والمراتب الروحانية كما قال عز وجل حكاية عنه في التنزيل **﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾**.

(أشهد أنك عبدي ابن أمتي أنزلني من نفسك كهمك) النزول من علو إلى الأسفل ويتعدى بالهمزة يُقال أنزلته فنزل وأنزلت الضيف فهو نزيل، والنزل بضمتين ما يهيأ للضيف، و «من» بمعنى في، والهم المراد والمقصود، قال ابن فارس: الهم ما هممت به وأردته، والكلام من باب التمثيل والتشبيه أي اجعلني في نفسك ومرادك ومقصودك واجعل لي نزلاً وهو القيام بوظائف الطاعات في جميع الحالات. وفي قوله «أشهد» أمر له باليقين وفي قوله «عبدي وابن أمتي» ترغيب له في الإتيان بحق العبودية والخضوع والابتهال بين يديه تعالى.

(واجعل ذكري لمعادك) أمره بجعل ذكره تعالى قلباً ولساناً خالصاً لوجهه لتنفعه بعد العود إليه **(وتقرب إليّ بالنوافلُ)** قد يتقرب العبد إليه عز وجل بالنوافل والقيام بها والثبات عليها تقرباً معنوياً ويتصل به اتصالاً روحانياً حتى يصير قوله كقوله وفعله كفعله وأمره كأمره فيصدر عنه حينئذ أمور غريبة وأفعال عجيبة، وفيه تشبيه لقربه بالقرب المكاني للإيضاح **(وتوكل عليّ أكفك)** أمره بالتوكل وضمن له الكفاية فإنه إذا توكل العبد عليه وصرف قلبه إليه وسكن سره واستقرّ أمره وأعرض عن أمور الدنيا وعكف بين يديه وقام بامتثال أوامره وترك نواهيه كفاه الله تعالى مهمات دنياه وأخراه كما قال في التنزيل **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**.

(ولا تولّ غيري فأخذلك) أي لا تتخذ غيري ولياً ناصراً فأخذلك وأترك نصرتك وعونك وأكلك إلى ذلك الغير وهو لا يقدر على شيء.

(يا عيسى اصبر على البلاء) الصبر على البلاء أمر العقلاء، إذ العاقل يعلم أن البلاء جار لا يدفعه الجزع فيصبر، وإن الجزع والاضطراب بلاء على بلاء فيصبر ويحترز عن تضعيفه وإن البلاء يوجب رفع الدرجات على تفاوت مراتبها والصبر يقتضي الوصول إلى أعلاها فيختار الصبر للوصول إليه وأن الصبر مفتاح الفرج فيصبر طلباً له ولما لم يكن الصبر على البلاء موجباً للرضاء به أمره به فقال: **(وارض بالقضاء)** القضاء الأمر والحكم والخلق على وفق التقدير الأزلي فالقدر بمنزلة الأساس والقضاء بمنزلة البناء وهو إقبال القلب إلى الواردات من الحق وتلقيها بالقبول والسرور بها لكونه هدية منه تعالى ثم الرضاء والسرور بالواردات المحبوبة للنفس مثل الصحة والسعة سهل عليها لأنها موافقة لطبعها وأما الرضا بالواردات المكروهة فمشكل، ويمكن دفعه بأن الرضاء ثمرة المحبة البالغة، ومحبة العبد للرب إذا بلغت حد الكمال يمكن أن يرجح إرادته على

إرادة نفسه بل يمكن أن لا يرى لنفسه مراداً غيره تعالى لاستغراقه في بحر المحبة.

(وكن كمسرتي فيك فإن مسرتي أن أُطاع فلا أُعصى) أمره بكونه دائماً لما يوجب سروره تعالى فيه، ثم بيّن ما يوجبه بأنه الطاعة مطلقاً بجميع أنواعها من غير اقتراف معصية.

(يا عيسى أحي ذكري بلسانك) تشبيه الذكر بالميت في سقوطه وسكونه وعدم اعتباره عند أكثر الخلق مكنية وتعلق الإحياء به تخييلية، وذكر اللسان تجريد.

(وليكن ودي في قلبك) كأنه إشارة إلى أن ذكر اللسان ليس ذكراً حقيقة ما لم يكن القلب متيقظاً ولم يكن المذكور ووده فيه فإن الذكر اللساني عبادة وكون المذكور وحبه في القلب روح لها وسبب لحياتها وحياة القلب وبه يبلغ العبد مقام القرب، ولا خير في عبادة لا روح لها.

• **(يا عيسى تيقظ في ساعات الغفلة)** هي ساعات النوم وساعات الاشتغال بالضروريات من الدُّنيا وبأمور الخلق، والمراد بالتيقظ في هذه الساعات ذكره تعالى والإتيان بوظايف الطاعات وغيرها مما يوجب القرب بالحق والحذر مما يوجب البعد منه **(واحكم لي لطيف الحكمة)** أي أحكم لأجلي أو لرضاي في قلبك الحكمة اللطيفة الدقيقة وهي العلم بما ينفع في الآخرة والأسرار الإلٰهية وأتقنها وأمنعها عن الزوال والفساد بالتذكر والتفكر والتعليم والعمل بمقتضاها.

(يا عيسى كن راغباً راهباً) أمره بالخوف والرجاء إذ بالخوف يترك موجبات البعد، وبالرجاء يطلب موجبات القرب، وإن شئت زيادة تفصيل فيهما فارجع إلى ما ذكرناه في باب الخوف والرجاء من كتاب الأصول.

(وأمت قلبك بالخشية) إنما جعل الخشية موت النفس لأنها توجب ذبولها وهو موتها وموت الجسد أيضاً وإنما أمر بهذه الإماتة لأنها مع كونها مطلوبة لتطويع النفس الأمارة وحفظها عن المهلكات مستلزمة لمطلوب آخر وهو إحياؤها بالعلوم والفضائل النفسانية والجسمانية وهي حياة أبدية ومنه يظهر سر «موتوا قبل أن تموتوا» وسر «موتكم في حياتكم وحياتكم في موتكم» هذا أيضاً أحد الوجوه في قول أمير المؤمنين عليه السلام **«الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»**.

(يا عيسى راع الليل لتحري مسرتي) رعاية الليل حفظ ساعاته للقيام بوظائف طاعاته وإنما خص الليل بالذكر مع أن الطاعات مطلوبة في جميع الأوقات لأن الشغل في الليل أقل والقلب فيه أفرغ والعبادة فيه أخلص **(واظمأ نهارك ليوم حاجتك عندي)** أمر من ظمأ مهموز اللام كفرح إذا عطش، نهارك مفعول فيه وهو كناية عن الصوم، لا من أظمأه غيره ونهارك مفعول به والتعلق مجاز عقلي، فإنه بعيد.

(يا عيسى نافس في الخير جهدك تعرف بالخير حيث ما توجهت) الخير اسم جامع لكل ما

هو مطلوب شرعاً وقد أمره به على سبيل المنافسة والمغالبة بقدر الطاقة والإمكان وأشار إلى أن غايته المترتبة عليه غير الثواب الأُخروي معرفة الخلق إياه به وذلك من فضل الله عليه ليذكروه به ويتأسوا به كما دل عليه بعض الروايات ولا دلالة فيه على جواز قصد ذلك من عمل الخير أن الظاهر جوازه لا للسمعة والرياء بل لما ذكر أو لإرادة ظهور نعمته تعالى وفعل الخير والتوفيق عليه من أجل نعمائه ولذلك قال خليل الرحمن **﴿واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين﴾**.

(يا عيسى احكم في عبادي بنصحي) أي ينصح لي، من باب الحذف والإيصال، والنصح: الخلوص، ولعل المراد به نصيحتهم لوجه الله وأمرهم بما فيه صلاحهم في الدّنيا والآخرة وهذا الحكم أفضل الأعمال، قال أبو عبد الله عليه السلام: عليكم بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل أفضل منه وقم فيهم بعدلي لدفع الظلم والجور بينهم وبهذا الحكم والقيام يتم نظامهم في الدارين فقد أنزلت عليك شفاء لما في الصدور من مرض الشيطان لأن مرض الشيطان ووسواسه في صدور المؤمنين إما في أمر الدنيا أو في أمر المبدأ والمعاد وأمر الآخرة وقد أنزل الله تعالى عليه من العلوم الدينية والقوانين الشرعية والأسرار الحكمية والمواعظ الربانية والنصايح الإلٰهية ما يعالج به جميع ذلك.

(يا عيسى لا تكن جليساً لكل مفتون بالدنيا) أو المعصية لئلا تتشبه بهم ومن تشبه بقوم فهو منهم ولئلا يميل طبعك إلى طبعهم فإن الفتنة علة مسرية ولئلا يصيبك عذاب إن نزل بهم.

(يا عيسى حقاً أقول) «حقاً» منصوب بفعل مذكور أي: أقول قولاً حقاً، أو بفعل مقدر قبله لوجود المفسر له، وهذا القول الحق هو قوله **(ما آمنت بي خليقة إلاّ خشعت لي)** الخليقة الناس والخشوع «فروتنى كردن» وهو ضد التطاول والترفع، ومبدؤه العلم بأن كل موجود مقهور في تصريف قدرته تعالى ومربوط بربقة الحاجة إليه فإن هذا العلم يوجب تخشعه وتخضعه في الأفعال القلبية والبدنية وإقباله إليه تعالى، وهذا صريح في أنّ الإيمان الذي ليس معه خشوع ليس بإيمان حقيقة.

(ولا خشعت لي إلاّ رجت ثوابي) لأن رجاء ثوابه يوجب الإقبال إلى ما يوجبه بقلب خاشع له تعالى فلولا رجاء الثواب لم يحصل الخشوع، ألاترى أنك إذا لم ترج من زيد شيئاً لا تخشع له أصلاً، ومن هاتين المقدمتين ظهر أن الإيمان لا يتحقق بدون رجاء الثواب والعمل له.

(فأشهد أنها آمنة من عذابي ما لم تبدل أو تغير سنتي) أشهد إمّا متكلم أو أمر، وفي التفريع دلالة على أن الأمن من العذاب متوقف على الخشوع والرجاء وأن الأمن منه ثابت لها ما لم تبدل هذه الحالة بحالة التطاول والترفع وما لم تغير شيئاً من السنة **(يا عيسى ابن البكر البتول)** البتل: القطع، سميت بتولاً لكونها عذراء منقطعة عن الأزواج أو عن الدنيا.

(ابك على نفسك بكاء من قد ودع الأهل وقلي الدنيا وتركها لأهلها وصارت رغبته فيما عند إلهه) أشار بذلك إلى أعلى درجات الزهد ورغبته في تحصيله حيث أمره أولاً بوداع الأهل والميل إلى سفر الآخرة وتفويض حالهم إلى ربهم لأن الاشتغال بأمورهم مانع من هذا السفر، وثانياً بقلي الدنيا وبغضها لأن محبتها أيضاً مانعة، وثالثاً بتركها لأهلها الراغبين إليها لأنّ بغضها مع عدم تركها أيضاً مانع، ورابعاً بالرغبة فيما عند الله تعالى من قربه وإحسانه والسعادة الأبدية والنعماء الأُخروية. فإذا حصلت هذه المراتب لأحد دخل في مقام المحبة وهو ما دام في هذه الدار لا يخلو عن فراق ما من المحبوب وكأن شأنه البكاء فلذلك أمره ببكاء من كان على الوصف المذكور فلذلك قيل: العارفون المحبون يبكون شوقاً إلى المحبوب، والمذنبون يبكون من خوف الذنوب.

(يا عيسى كن مع ذلك تلين الكلام وتفشي السلام يقظان إذا نامت عيون الأبرار) لما كان التآلف والتلطف من أسباب تحقق النظام بين الأنام حض على السبب الجالب لها من لين الكلام وإفشاء السلام وقوله «تلين» و «تفشي» و «يقظان» أخبار، والأول مضارع لين بالتشديد أو ألان يُقال لينت الشيء وألنته وألينته على النقصان والتمام مثل أطلته وأطولته أي صيرته ليناً، والثاني من الإفشاء بمعنى الإذاعة والإشهار والثالث مفرد غير منصرف للوصفية والألف والنون المزيدتين وترك العطف فيه لأنه جايز في الأخبار المتعدد مع رعاية عدم التناسب وعدم قصد الاشتراك في الإعراب ويجوز أن يكون الأول والثاني مصدر التفعل المضاف إلى فاعله لكنه بعيد لخلوه عن ضمير الاسم وعدم حمله عليه إلاّ بتأويل، وفي إضافة العيون إلى الأبرار مبالغة في طلب اليقظة منه عليه السلام كما لا يخفى، والظاهر أن «حذراً» مفعول له للخبر الأخير أو للكل على احتمال وأن المراد بالزلازل زلازل الساعة وهي شديدة عظيمة كما قال تعالى: **﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾**.

(يا عيسى اكحل عينك بميل الحزن) من أهوال القيامة وشدائد مقاماتها أو من خوف سوء الخاتمة وانعكاس الأحوال أو من ألم الفراق **(إذا ضحك البطالون)** الغافلون عن جميع ذلك والكحل معروف وفعله من باب منع ونصر وتشبيه الحزن به وهو تشبيه معقول بمحسوس لقصد الإيضاح مكنية وذكر الميل تخييلية، والمراد بالعين عين القلب لأنه مورد الحزن وبميل الحزن أسبابه الموجبة لحصوله فيه وفي بعض النسخ «بملمول الحزن» وهو الميل.

(يا عيسى كن خاشعاً صابراً فطوبى لك إن نالك ما وعد الصابرون) أمره أولاً بالخشوع والتذلل في الظاهر والباطن، وثانياً بالصبر على مشاق الطاعات وترك المنهيات وعند نزول المصايب وتوارد البليات ثم رغب فيه بذكر غايته وهي نيل أجر لا يعلم قدره ألا وهو يوم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.

(يا عيسى رح من الدنيا) إلى الآخرة **(يوماً فيوماً)** كما يروح المسافر من المنزل إلى المقصد كذلك وكل يوم ينقضي ينقطع من عمرك وتقرب إلى الآخرة وهذا.

بيان للواقع وحث على حسن الاستعداد وأخذ الزاد لها **(وذق لما قد ذهب طعمه)** ذاقه ذوقاً اختبر طعمه، واللام ليست في بعض النسخ أمره بذوق طعم ما ذهب من عمره وما عمل فيه من خير وشر فإنه يجد طعم الأول حلواً وطعم الثاني مراً أو يحتمل أن يكون من باب التهكم تنبيهاً على عدم بقاء لذة ما ذهب من المعصية وطعمه والله أعلم.

(فحقاً أقول ما أنت إلاّ بساعتك) التي أنت فيها **(ويومك)** الذي تتقلب فيه لأن الماضي من الساعات والأيام ليس من عمرك ولا يمكن عوده إليك والآتي غير معلوم الوقوع فليس عمرك إلاّ ما أنت فيه فاغتنمه في تحصيل الخيرات.

والظاهر أن الفاء للسببية **(فرح من الدُّنيا ببلغة)** هي بالضم: ما يتبلغ من العيش ويكفي في بقاء الحياة.

(وليكفيك الخشن الجشب) أي الخشن من اللباس والجشب من الطعام وهو الغليظ أو ما لا أدام معه، أمره بالزهد في الدُّنيا ورفض الزيادة عن قدر الضرورة منها **(فقد رأيت إلى ما تصير)** من السعادة والقرب ونعيم الجنة أو من وداع الدُّنيا وأمر الآخرة وأهوالها، والظاهر أن المراد بـالرؤية العقلية وهي العلم وأن الفاء للسببية.

(ومكتوب ما أخذت) في الدُّنيا من رزق أو عمل أو عمر **(وكيف أتلفت)** في وجوه الخير أو الشر فينبغي رعاية المكسب والمصرف وحفظهما عن الفساد.

(يا عيسى إنك مسؤول) عما عملت من عمل فيما بيني وبينك، وفيما بينك وبـين الخـلق **(فارحم الضعيف كرحمتي إياك)** أُريد بالضعيف الضعيف بـحسب الحـال أو المـال أو العـقل، وبرحمته إيصال أنواع الخير بقدر الإمكان.

(ولا تقهر اليتيم) قهره كمنعَه: غلبه، أي لا تغلب اليتيم على حقه وماله لضعف حاله.

(يا عيسى ابكِ على نفسك في الخلوات) أمر بالبكاء على النفس لموتها بألم الفراق والمعاصي واستحقاق العقاب، والبكاء عليها يوجب حياتها بالقرب وغفران الذنوب واستحقاق الثواب وإنما ذكر الخلوات لأن البكاء فيها من الخلوص أكمل وأقرب وتوجه الذهن إلى معرفة حالات النفس فيها أسهل وأنسب **(وانقل قدميك إلى مواقيت الصلوات)** ميقاتها الوقت: المضروب لها أو الوضع المعد لها كالمسجد ونحوه **(أسمعني لذاذة نطقك بذكري)** نطقك مفعول الإسماع حقيقة وإدراج اللذاذة للتنبيه على أن ذكره لذيذ يلتذ بسماعه فلا يرد أن اللذاذة ليست بمسموعة وهذا من باب

التمثيل أو اللذاذة به كناية عن إرادته **(فإن صنيعي إليك حسن)** علة للنقل والإسماع لأن حسن الصنيعة يقتضي مقابلته بحسن الطاعة والعبودية والشكر والذكر وذلك من توابع خلوص المحبة.

(يا عيسى كم من أمة قد أهلكتها بسالفة ذنوب قد عصمتك منها) أمنه على عدم هلاكه بعصمته من الذنوب كما خوفه بذكر الإهلاك بسببها، وكم خبرية لإفادة كثرة الأمة المهلكة وقد ذكر في القرآن الكريم جملة منهم.

(يا عيسى ارفق بالضعيف) الرفق: التسهيل وهو ضد العنف والتشديد والتصعيب والغلظة والجفاوة في الأقوال والأفعال وغيرهما.

(وارفع طرفك الكليل إلى السماء) وصف الطرف بالكليل للتنبيه على أن رفعه ينبغي أن يكون كذلك لا على الحدة والتحديق، أو للإشارة إلى ضعفه الموجب للترحم وإنما أمره برفعه إلى السماء لأنها أشرف الجهات لجريان فيضه تعالى من جهتها عادة **(وادعني فإني منك قريب)** حث بذكر القرب على الدعاء فإن الداعي إذا علم أن المدعو قريب يسمع نداءه يبالغ في الدّعاء.

(ولا تدعُني إلاّ متضرعاً إليّ) التضرع لا يتحقق إلاّ بحضور القلب والتوجه إلى الله تعالى والانقطاع عن الغير وهو روح العبادة، به يرتقي إلى درجة القبول ومحل الاعتبار.

(وهمك هماً واحداً) الهم: الحزن والقصد وما قصدته أيضاً والظاهر أنه عطف على «متضرعاً» وأن «هماً» منصوب على المفعولية وأن المراد بالهم الواحد هو الله تعالى بتفريغ القلب عن الغير وصرفه إليه وإلى ذكره.

(فإنك متى تدعني كذلك أجبك) هذه قضية كلية دالة على أن الدعاء مع شرائطه مقبول وأما بدونها فقد يقبل وقد لا يقبل.

(يا عيسى اني لم أرض بالدنيا ثواباً لمن كان قبلك ولا عقاباً لمن انتقمت منه) إشارة إلى حقارة الدنيا والتنفير عنها حيث إنها ليست ثواباً للمطيع ولا عقاباً للعاصي بل هي دار الامتحان والنماء ودار التكليف والفناء وإنما الثواب والعقاب في الآخرة التي هي دار البقاء **(يا عيسى إنك تفنى وأنا أبقى)** الخطاب لهذا المجموع المركب من الهيكل المخصوص والنفس الناطقة وهو ينتفي بانتفاء الجزء فلا ينافي بقاء النفس كما هو الحق.

(ومني رزقك) فثق به وكل ما يحتاج إليه ذو حياة في حياته وبقائه **(وعندي ميقات أجلك)** أي الوقت أو المكان المقدران لموتك، فالإضافة لامية ولو أريد بالميقات الوقت المضروب للحياة وبالأجل مدة الحياة كانت الإضافة بيانية **(وإليّ إيابك)** أي رجوعك بعد نزولك في الدُّنيا زماناً مقدراً **(وعلى حسابك)** مما فعلت في الدُّنيا من خير أو شر وهذه الفقرات كعلة مستقلة للرجوع

إليه في جميع الأمور وطلب جميع المطالب منه لا من غيره فلذلك قال **(فسلني ولا تسأل غيري)** لأنه لا يملك لك نفعاً ولا ضراً وذلك لإفادة أن جميع الأمور الدنيوية والأخروية بيده وليس شيء منها بيد غيره فوجب السؤال منه لا من غيره.

(فيحسن منك الدعاء ومني الإجابة) نبه على أن الإجابة المقرونة بالدعاء المقترن بالشرائط التي من جملتها تفريغ القلب عن الغير والتوسل به والتضرع إليه.

(يا عيسى ما أكثر البشر وأقل عدد من صبر) أشار على سبيل التعجب إلى أن الصابر من البشر مع كثرتهم قليل والأكثر لا صبر لهم في مقام الطاعة والمعصية ونزول النوائب والمكاره لضعف عقولهم وقلة علومهم وطغيان نفوسهم وفرار طباعهم عن مرارة الصبر.

(الأشجار كثيرة وطيبها قليل) وهو الذي له أثمار نفيسة ورائحة طيبة وهذا من باب التمثيل لتشبيه المعقول بالمحسوس لقصد الإيضاح **(فلا يغرنك حسن شجرة حتى تذوق ثمرها)** نهى عن النظر إلى حسن الصورة حتى ينظر إلى حسن السيرة لأن الكمال إنما هو الثاني دون الأول، ولذلك كان العارفون لا يتخذون صديقاً ولا يؤثرون رفيقاً حتى يمتحنوا ويعرفوا حاله وعقله وعلمه وكماله وخلقه وقوته في الدين وعلموا أن اتخاذ الصديق قبل الاختبار يوجب الفراق منه بالاختيار أو الاضطرار.

(يا عيسى لا يغرنك المتمرد عليّ بالعصيان) التمرد «سركشى كردن» والمتمرد العاتي الشديد، وتغريره خدعته ومكره بفعله أو قوله ليجعل الغير مثله.

(يأكل رزقي ويعبد غيري) فيضع قوته في غير موضعها وهو الظلم الصريح وذلك الغير هو الأصنام أو الشيطان أو النفس الأمارة وهواها والداعي إلى غير سبيل الله لأن كل من اتبع أحداً وسمع قوله وأذعن له فقد عبده كما دل عليه الآيات والروايات.

(ثم يدعوني عند الكرب) الكرب: الحزن يأخذ النفس لشدته كالكربة بالضم والجمع كروب ودعاؤه عند الكرب ونزول البلاء في نفسه أو ماله أو ولده لضعف نفسه الأمارة عن الطغيان وزوال ما يدعوها إلى التمرد والعصيان فيدعوه عقله الصريح إلى الرجوع إليه والتضرع بين يديه **(فأجيبه)** تفضلاً لعله يتذكر أو يخشى أو ليكون حجة عليه **(ثم يرجَع)** بعد الإجابة ورفع الكرب عنه **(إلى ما كان عليه)** من التمرد والعصيان وعبادة الغير لزوال موانع الطغيان وهو الكرب وحصول بواعث العصيان وهي رفاهة الخاطر وقوة النفس الأمارة.

(فعليّ يتمرد أم بسخطي يتعرض) الاستفهام للتعجب وإنما ردد بين الأمرين لأن العاصي لا يخلو من أحدهما إذ عصيانه إن كان من أجل التكبر عليه وعدم الإقرار بعظمته واستحقاقه للطاعة

فهو متمرد عات، وإن كان مع معرفته واستحقاقه للطاعة فهو متعرض لسخطه وعقوبته.

(فبي حلفت لآخذنه أخذة ليس له منجئ ولا دوني ملجأ أين يهرب من سمائي وأرضي) أي فبذاتي وعزتي أحلف لآخذنه في الدُّنيا أو في الآخرة أخذة شديدة ليس له منها منجئ أي محل النجاة منها من التقوى وغيرها ولا ملجأ من الخلق إذ الخلق لا يقدرون على دفع عقوبة الله إلاّ بإذنه ولا مهرب له إذ لا يقدر أحد أن يخرج من ملك الله وسلطانه، وبالجملة الدافع للأخذ منحصر في الثلاثة وليس له شيء منها.

(يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل) تصدق الظلمة على الكفرة والفسقة من أهل الإيمان **(لا تدعوني والسحت تحت أحضانكم)** السحت بالضم وبضمتين: الحرام والرشوة والربا، والإحضان جمع الحضن بالكسر هو الجنب وما دون الإبط إلى الكشح ولعل المراد به.

(والأصنام في بيوتكم) كناية عن عبادتها ويحتمل بعيداً أن يُراد بالبيوت القلوب وبالأصنام الأهواء النفسانية.

(فإني آليت) تعليل لقوله«لا تدعوني» أي أقسمت **(أن أجيب من دعاني)** كائناً من كان **(واجعل إجابتي إياهم لعناً عليهم حتى يتفرقوا)** من مواضع دعائهم أو من الخصلة المذمومة المذكورة و «اجعل» عطف على «آليت» أو على «أجيب» والأول أقرب معنى، والثاني لفظاً.

(يا عيسى كم أطيل النظر) أي الانتظار إلى الرجوع، يُقال: نظرت الشيء وانتظرت بمعنى، وفي التنزيل **﴿ما ينظرون إلاّ صيحة واحدة﴾** أي ما ينتظرون أو المراد به التأمل بالعين تقول نظرته ونظرت إليه إذا تأملته بعينك وهو على الاحتمالين تمثيل أو المراد به التأخير في أخذهم وإهلاكهم ومنه نظرة بالكسر وهو التأخير في الأمور.

(وأحسن الطلب) أي طلب رجوعهم من الباطل إلى الحق بالنصيحة والموعظة الحسنة **(والقوم في غفلة لا يرجعون)** أي في غفلة عما يُراد منهم من ذكر الله ومتابعة دينه ورسوله وأحكامه **(تخرج الكلمة من أفواههم لا تعيها قلوبهم)** إشارة إلى نفاقهم وكون إيمانهم بمجرد اللسان وقلوبهم خالية عنه كما قال في وصف المنافقين من هذه الأمة **﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾** لما كان هنا مظنة أن يُقال ما ثمرة اختلاف ظاهرهم وباطنهم أجاب عنه من باب الاستيناف بقوله **(يتعرضون لمقتي)** أي لعقوبتي أو سلب رحمتي عنهم لفساد قلوبهم **(ويتحببون بقربي إلى المؤمنين)** الظاهر أن « إلى» متعلق بالقرب والتحبب على سبيل التنازع يعني يتحببون إلى المؤمنين ويُظهرون حبهم بسبب قربي إلى المؤمنين فأميل ظاهرهم إلى المؤمنين وأدفع شرهم عنهم، وفيه احتمال آخر أدق فتأمل، وفي بعض النسخ «بي» بدل «بقربي» يعني يظهرون حب

المؤمنين بمعونتي وتوفيقي لهم على ذلك بحفظ المؤمنين عن أذاهم وإضرارهم، كل هذا من باب الاحتمال، والله أعلم.

(يا عيسى ليكن لسانك في السر والعلانية واحداً وكذلك فليكن قلبك وبصرك) أمره بموافقة هذه الجوارح في السر والعلانية بأن يقول ويضمر ويبصر في العلانية ما يقول ويضمر ويبصر في السر ولو وقع الاختلاف كان ذلك خيانة ونفاقاً.

ثم أشار إلى ماهو المقصود من هذا الإجمال على الترتيب بقوله: **(واطوِ قلبك ولسانك عن المحارم وكف بصرك عما لا خير فيه)** حيث أمر باستقامة هذه الجوارح وحفظها عن المحارم في جميع الأحوال وهذا إنما يتحقق لمن طاب خلقه وطهرت سجيته وصلحت سريرته وحسنت علانيته.

ولما كان أكثر ورود الشهوات إلى النفس من جهة النظر وطريق الإبصار بالغ في كف البصر عن النظر إلى ما لا ينبغي وذكر بعض مفاسده تحذيراً عنه بقوله: **(فكم من ناظر نظرة)** واحدة **(قد زرعت)** أي أنبتت وأنمت يُقال زرع الله الحرث إذا أنبته وأنما **(في قلبه شهوة)** هي اشتياق النفس إلى الشيء وذلك الشيء شهي مثل لذيذ وزناً ومعنى، وفيه استعارة تمثيلية متضمنة لتشبيه الأجزاء بالأجزاء حيث شبه الشهوة بالبذر والقلب بالأرض والنظرة بالزراع.

(ووردت به موارد حياض الهلكة) عطف على زرعت صفة أخرى للنظرة تابعة للأولى لأن الزارع يحتاج إلى ماء يسقى به زرعه وضمير به راجع إلى الناظر موافق للسابق أو إلى قلبه والموارد جميع مورد وهو موضع الورود على الماء وبلوغه والحياض بالكسر جمع حوض والمراد به هنا مجتمع الماء الكثير لسقي الزرع ونحوه، والهلكة محركة: الهلاك، والإضافة الأولى لامية، والثانية من باب لجين الماء، وجعلها لامية وحمل الهلكة على أنها جمع هالك وإرادة المعاصي والذنوب من الحياض على سبيل الاستعارة محتمل بعيد.

(يا عيسى كن رحيماً مترحماً) على الخلق، والترحم أخص من الرحمة لدلالته على الزيادة فيها أو على صيرورتها ملكة مع احتمال المباينة بحمله على إظهار الرحمة **(وكُن كما تشاء أن يكون العباد لك)** فارض لهم ما ترضى لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك واصنع لهم ما تريد أن يصنعوا لك من التواضع والإحسان والرفق والتعظيم والتوقير، وهذا هو الإنصاف والعدل **(وأكثر ذكرك الموت)** فإن ذكره يسهل ترك الدُّنيا وزهراتها ويبعث النفس على طلب الآخرة وما يفضي إلى أعلى درجاتها، وفي الخبر أنه «خرج النبي ﷺ فرأى الناس كأنهم يكشرون [الكشر الضحك السهل] قال: **أما أنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى فأكثروا ذكر هادم اللذات**»

(ومفارقة الأهلين) ليسهل مفارقتهم بالاضطرار ولئلا يشغلوك عن الله وأمر الآخرة **(ولا تله فإن اللهو يفسد صاحبه)** ظاهره وباطنه. لهى عنه كرضى: غفل وترك ذكره، واللهو هنا إما مصدر يعني «بازى كردن وغافل شدن ومشغول شدن بباطل وبهرچه ازكار خير باز دارد» أو غير مصدر يعني «بازى وباطل وچيزى كه ازكار خير باز دارد» كذا في كنز اللغة.

(ولا تغفل فإن الغافل مني بعيد) نهاه عن الغفلة عنه تعالى أو عن الشرع وأحكامه وما يقتضيه من الأعمال أو عن اغترار الدُّنيا ومكائد النفس والشيطان أو عن الجميع، وعلله تحذيراً عنه بأنه يوجب البعد منه تعالى وهو عند العارف أشد العذاب **(واذكرني بالصالحات)** من الأذكار والأعمال والأخلاق **(حتى أذكرك)** بالثواب والجزاء والخير عند المقربين وهذا من لطف الله تعالى حيث أنه مع غناه يُقابل ذكرك له بذكره لك **(يا عيسى تب إليَّ بعد الذنب)** الذنب يزول بالتوبة كما يزول الظلمة بالنور والغبار بالمطر **(وذكِّر بي الأوابين)** أي ذكرهم بذاتي وعظمتي أو برحمتي ومغفرتي والأول أولى لأنه تعالى بذاته يستحق الرجوع إليه، والأواب للمبالغة من آب إذا رجع ولعل المراد به كثير التوبة وهو الذي متى أذنب يتذكر ويتوب بعده **(وأمن بي)** أما من الأمن أي آمنهم بقبول التوبة لئلا يقنطوا بكثرة الذنوب من الرحمة أو من الإيمان والمراد به الإيمان الكامل.

(وتقرب إلى المؤمنين) بالنصح وحسن الخلق والمعاشرة والمحبة والتقرب إليهم تقرب إلى الله تعالى **(ومرهم أن يدعوني معك)** أي كما تدعوني أو المراد به الاجتماع وهو مطلوب في الدُّعاء لكونه أقرب إلى الإجابة **(وإياك ودعوة المظلوم)** تنفير عن الظلم وتحذير من دعاء المظلوم فإنه مستجاب كما قال.

(فإني آليت على نفسي أن أفتح لها باباً من السماء بالقبول) يحتمل أن يُراد بالباب ظاهره وأن يُراد به باب سماء الجود والغضب فإن قبول دعاء المظلوم جود بالنسبة إليه وغضب بالنسبة إلى الظالم وقد فسر بذلك بعض المحققين قوله تعالى **﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾**.

(وأن أجيبه ولو بعد حين) لعل تأخير الإجابة لمصلحة كاستدراج الظالم باقتداره أو رجوعه عن الظلم وتبعته بإرضاء المظلوم أو تعظيم أجر المظلوم بالصبر أو غير ذلك.

(يا عيسى اعلم أن صاحب السوء يعدي وقرين السوء يردي) عدى عليه ظلمه كأعدى، وروي بالكسر يردي: هلك وأرداه غيره، والسوء بالفتح مصدر ساء سوءاً ومساءة: فعل به ما يكره ويقبح، وبالضم اسم منه يعني «بد وبدى» وهذا في المعنى نهي عن مصاحبة أصحاب المعاصي وأرباب القبائح لأن صحبتهم مضلة مغوية ومجالستهم مهلكة مردية، ولما كان الإنسان يحتاج في نظام الدُّنيا والدين إلى الناصر والمعين أمر باختياره بعد اختباره بقوله **(فاعلم من تقارن واختر**

لنفسك إخوناً من المؤمنين) المراد بهم من يذكر الله رؤيته ويزيد في العلم منطقه ويرغب في الآخرة عمله.

(يا عيسى تب إليّ فإني لا يتعاظمني ذنب أن أغفره) تعاظمه الأمر عظم عليه وأعجزه أمره بأن يتوب عن الذنب ويرجع إليه ولا يقنط من الرحمة فإن الذنب وإن كان عظيماً في نفسه فهو حقير في جنب رحمته.

(اعمل لنفسك في مهلة من أجلك قبل أن لا يعمل) المهلة: المدة. والتأخير يُقال: في الأمر مهلة أي تأخير أمره بالعمل في مدة العمر قبل حلول الموت فإنه لا عمل بعده **(واعبدني ليوم كألف سنة مما تعدون)** في الدُّنيا أراد به يوم القيامة وطوله بالنسبة إلى الظالمين والكافرين وأما بالنسبة إلى خلّص المؤمنين فقد يكون بمقدار زمان صلاة مكتوبة في الدُّنيا وأمره بالعبادة لذلك اليوم للخلاص من أهواله إذ العبادة الخالصة رأس مال لأرباب النجاة فيه من شدائده وسيجيء إن شاء الله تعالى لهذا زيادة تحقيق بعد هذا الحديث في حديث محاسبة النفس.

(فيه أجزي بالحسنة أضعافها) ضعف الشيء: مثله وضعفاه مثلاه، وأضعافه: أمثاله وليس للزيادة قدر معيّن يضاعف لمن يشاء على ما يشاء أضعافاً مضاعفة كما نطق به بعض الروايات، وفيه حث على العبادة لأن الفاعل إذا علم أنه يعطى بعمله زائداً عما يستحقه يجتهد فيه.

(وإن السيئة توبق صاحبها) أي تهلكه في الدُّنيا والآخرة وتورثه عقوبة شديدة، وفيه حث على تركها لأن العاقل إذا علم أن الشيء يضره أو يُهلكه يجتنبه ويفر منه **(فامهد لنفسك في مهلة من عمرك)** مهده كمنعه: كسب وعمل.

(ونافس في العمل الصالح) وهو الخالص من المفسدات والمنقصات والمنافسة في العمل الرغبة والاجتهاد فيه على وجه الغلبة كما مرَّ **(فكم من مجلس قد نهض أهله وهم مجارون من النار)** أي منقذون منها لاشتغالهم بما يوصلهم إلى رحمة الرب ومقام القرب وهذا في المعنى أمر بحفظ المجلس عما لا يجوز شرعاً والاشتغال فيه بما ينفع في الآخرة.

(يا عيسى ازهد في الفاني المنقطع) وهو الدُّنيا ومتاعها، وعبر عنها به تصريحاً بفنائها وانقطاعها وتنبيهاً على أن العاقل لا ينبغي أن يعلق قلبه بالفاني المنقطع بل ينبغي أن يزهد فيه بحذف كل شاغل عن التوجه إلى الله سبحانه وتنحية كل ما سواه عن سنن الإيثار فإن ذلك أقوى أسباب السلوك إلى العزيز الغفار وأعظم نهج للصعود إلى درجات الأبرار والدخول في مقامات السابقين الذين هم أولياء الله تعالى والواصلون إلى ساحة قربه.

(وطأ رسوم منازل من كان قبلك) الرسوم جمع الرسم وهو الأثر **(وادعهم وناجهم)** المناجي

المخاطب للإنسان المحدث له.

(هل تحس منهم من أحد) الاستفهام للإنكار **(وخذ موعظتك منهم واعلم أنك ستلحقهم في اللاحقين)** أحوال السابقين واعظة بلسان الحال لمن نظر إليها وهي عبرة لأولي الأبصار ومحل العظة والاعتبار ما كانوا فيه من نعيم الدُّنيا ولذاتها والمباهاة من كثرة قنياتها ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت وبقاء منازلهم خربة أو مسكونة لغيرهم وصيرورة نفوسهم ساكنة وألسنتهم صامتة بحيث لا يسمع الداعي لهم جواباً ولا المناجي لهم خطاباً وبقاء الحسرة والندامة للمستكبرين منها حجباً حائلة بينهم وبين الوصول إلى حضرة جلال الله، فإن من تفكر في هذا وعلم أنه سيلحقهم في اللاحقين ويمضى عقب الماضين وتصير حاله كحالهم ومآله كمآلهم حصلت له ملكة الزهد في الدُّنيا وبواعث الرجوع إلى الآخرة والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

(يا عيسى قل لمن تمرد عليّ بالعصيان وعمل بالإدهان) الإدهان مصدر من باب الافعال وهو كالمداهنة إظهار خلاف ما يضمر وبعبارة أخرى إخفاء الحق أو المساهلة فيه أو ترك النصيحة وفي كنز اللغة: «ادهان چيزيرا پنهان كردن وسستى كردن دركارى ونرمى نمودن ودر ساختن باكسى در كارها» كما قال الله عز وجل **﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾** و «ترك نصيحت كردن وفروتنى كردن».

(ليتوقع عقوبتي) في الآخرة **(وينتظر إهلاكي إياه)** في الدُّنيا **(سيصطلم مع الهالكين)** الاصطلام الاستيصال والظرف حال.

(طوبى لك يا ابن مريم) أي طيب العيش والخير كله لك في الدُّنيا **(ثم طوبى لك)** في الآخرة، وفي لفظ ثم إشارة إلى التفاوت بين الحالين مع احتمال الإشارة إلى تفاوت المقامات العالية في الآخرة **(إن أخذت بأدب إلهك)** في كنز اللغة أدب «طور وكار پسنديده» والمراد به ما أمر الله تعالى به من الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة وغيرها.

(الذي يتحنن عليك ترحماً) التحنن التعطف والترحم فقوله «ترحماً» منصوب على أنه مفعول مطلق أو على التميز **(وبدأك بالنعم منه تكرماً)** لأن أكثر نعمائه تعالى على العبد من حيث التكرم والتفضل من غير سبق واستحقاق خصوصاً نعمه تعالى بالنسبة إليه عليه السلام فإنها كثيرة غير محصورة **(وكان لك في الشدايد لا تعصه)** لأن دواء الشدائد البدنية والروحانية كلها بيد الله تعالى وهو الدافع له ووصف الاله بالأوصاف الثلاثة المذكورة للتنبيه على أن الإله المتصف بهذه الصفات بحسب الأخذ بآدابه، ولعل قوله «لا تعصه» استيناف كأن سائلاً سأل بقوله ما الأدب: فأجاب بأنه لا تعصه، فترك العصيان من جميع الوجوه هو الأدب وهو يتوقف على استعمال القوة النظرية والعملية فيما هو مطلوب له تعالى من العقايد والأخلاق والأعمال وصرفهما عما هو مكروه لئلا

يتحقق حقيقة العصيان.

(يا عيسى فإنه لا يحل لك عصيانه قد عهدت إليك) التفات من الغيبة إلى التكلم **(كما عهدت إلى من كان قبلك)** العهد: الوصية، يُقال عهد إليه بعهد من باب علم إذا أوصاه وعهدت إليه بالأمر: قدمته، وفي التنزيل **﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان﴾** والعهد: الأمان والموثق والذمة، وفيه إشارة إلى أن هذا العهد مأخوذ منه ومن جميع الأنبياء والرسل، والوفاء به مطلوب كما قال عز وجل **﴿أوفوا بعدي أوفِ بعهدكم﴾** والوفاء بعهدهم هو الجزاء بالقرب والإحسان والإكرام والإنعام، وفي قوله **(وأنا على ذلك من الشاهدين)** حثّ على الوفاء به لأنه إذا كان هو الشاهد على أمر لا يتصور الحيف والجور لا في الشهادة ولا في المشهود به ولا في المشهود عليه، وفي لفظة «من» إشارة إلى أن عليه شهوداً أخر وهم الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون بعضهم على بعض.

(يا عيسى ما أكرمت خليقة بمثل ديني ولا أنعمت عليهم بمثل رحمتي) في كنز العمال: «اكرام: بزرک کردن وبرداشتن ونواختن وبخشش کردن، وإكرامه وإنعامه تعالى على عباده وإمائه في الكثرة على حد لا يبلغه عقول العارفين ولا يحيط به وهم الحاسبون، وأعظمها إكرامهم بالدين وهدايتهم إليه وتوفيقهم للأخذ به وإنعامهم بالرحمة الواسعة المقتضية للعفو ورفع الذنوب، ويحتمل أن يُراد بالرحمة الرسول وإرساله.

(يا عيسى اغسل بالماء منك ما ظهر) من النجاسات البدنية **(وداو بالحسنات منك ما بطن)** من النجاسات القلبية فإن الحسنات يذهبن السيئات **(فإنك إليّ راجع)** والمنزه عن جميع الرذائل والنقايص لا ينبغي أن يرجع إليه ويتقرب منه أرباب الخبايث.

(يا عيسى أعطيتك بما أنعمت به عليك فيضاً من غير تكدير وطلبت منك قرضاً لنفسك فبخلت به عليها لتكون من الهالكين) في إبهام الموصول دلالة على التفخيم، والمراد به القوى الظاهرة والباطنة والأعم منها ومن النعم الظاهرة والعلم بالشريعة، وفي قوله «فيضاً» دلالة على كثرته من «فاض الماء» إذا كثر حتى سال عن الوادي، وفي قوله «فيضاً» دلالة على كثرته من «فاض الماء» من غير تكدير إشارة إلى صفائه وكماله من غير نقص فيه، يقال: كدر الماء ـ مثلثاً ـ إذا زال صفائه، وكدره تكديراً إذا جعله كدراً وأزال صفاءه، والمراد بالقرض إما الطاعة أو الأعم منها ومن بذل الماء للفقراء، سماها قرضاً على سبيل التشبيه، وقوله «لنفسك» إشارة إلى أن فائدة هذا القرض يعود إليه في يوم الحاجة لا إلى الله تعالى لأنه غني عنها، وضمير «عليها» راجع إلى النفس، وقوله «لتكون من الهالكين» إشارة إلى ثمرة البخل وهي الهلاك الأخروي.

(يا عيسى تزين بالدين) بأصله وهو الإقرار به والعلم بأحكامه وآدابه، وفرعه وهو العمل بما يقصد منه العمل.

(وحبّ المساكين) من المؤمنين، ويندرج فيه مراعاة لوازم الحب مثل بذل الندى لهم وكف الأذى عنهم وغيرهما وينبغي أن يكون الحب في الله لما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال **«قد يكون حب في الله ورسوله وحب في الدنيا فما كان في الله ورسوله فثوابه على الله وما كان في الدُّنيا فليس بشيء»**.

(وامش على الأرض هوناً) قال الله تعالى في التنزيل في وصف أوليائه **﴿ويمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾**[1] والهون هو السكينة والوقار والرفق واللين والتلبث.

(وصل على البقاع فكلها) ظاهر البقاع بالكسر جمع بقعة وهي بالضم وتفتح القطيعة من الأرض وقد منّ الله تعالى عليه بهذه النعمة الجليلة رفقاً به وبأمته حيث كانوا سائحين في الأرض فجعل كلها محلاً لصلاته ولم يجعلهم محصورين على أدائها في البِيَع كما حصر بعض الأمم السابقة على أدائها في محل مخصوص كالكنائس لليهود **(يا عيسى شمِّر)** في العبادة وهو كناية عن الاجتهاد فيها، وفي كنز اللغة «تشمير دامن بر چيدن وچيست شدن دركار وكوشش كردن»، وفي مصباح اللغة التشمير في الأمر السرعة فيه والخفة ومنه قيل شمر في العبادة إذا اجتهد وبالغ وشمر ثوبه رفعه.

(فكل ما هو آت قريب) أراد به قرب الموت ويوم القيامة والحساب والجزاء تقليلاً لمدة الحياة في الدُّنيا وتسهيلاً لارتكاب مشقة العبادة فيها لذلك اليوم.

(واقرأ كتابي وأنت طاهر) أراد به الإنجيل، والظاهر أن الأمر للوجوب وأن الوجوب راجع إلى القيد وكأنه كان في شرعه وأما في شرعنا فالطهارة مندوبة بدون المس، وفيه خلاف.

(وأسمعني منك صوتاً حزيناً) هذا جارٍ في شرعنا أيضاً، روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال **«إن القرآن نزل بالحزن فاقرأه بالحزن»** ووجه قوله عليه السلام «نزل بالحزن» أنه اشتمل على أحوال الحشر والنشر والثواب والعقاب وأحوال الأمم الماضية وإهلاكهم ومسخهم وغير ذلك مما يتطاير عند سماعه قلوب العارفين، والمراد بالحزن إما ضد السرور، أو رقة القلب، وبالصوت الحزين صوت يوجب الحزن وإن اشتمل على نغمة دون الغناء فلا بأس وإنما أمر بذلك لأنه يوجب للنفس خشية وخشوعاً وحسن موقع وميل إلى الآخرة ويؤثر في نفوس السامعين.

---

(١) سورة الفرقان: ٦٣.

(يا عيسى لا خير في لذاذة لا تدوم وعيش من صاحبه يزول) لذا الشيء يلذ من باب علم لذاً ولذاذة بالفتح: صار شهياً فهو لذيذ، والمراد أن لذات الدُّنيا وعيشها وهو الحياة والطعام وكل ما يُعاش به لا خير فيهما لزوالهما وعدم دوامهما فلا ينبغي ميل العاقل إليهما وربط قلبه بـهما وإن فرض عدم ضررهما بأمر الآخرة.

(يا ابن مريم لو رأت عينك ما أعددت لأوليائي الصالحين) مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **(ذاب قلبك)** هذا كالمثل يقول كل من اشتاق شيئاً وكمل إليه ميله ولم ينله ذاب قلبي **(وزهقت نفسك شوقاً إليه)** أي خرجت تقول زهقت نفسه من باب علم زهقاً وزهوقاً إذا أخرجت، وأزهقها الله تعالى أخرجها **(فليس كدار الآخرة دار تجاور فيها الطيبين)** المقصود نفي التشبيه أي ليست دار شبيهة بدار الآخرة لعدم التناسب والتشابه بينهما، وفيه زجر عن دار الدنيا وترغيب في دار الآخرة بأنها دار تجاور فيها الطيبين ـ أو الطيبون على اختلاف النسخ ـ والمراد بهم الفاضلون الطاهرون من أرجاس السيئات وأخباث الأخلاق المنزهون عن الرذائل المتصفون بأنواع الفضائل **(ويدخل عليهم الملائكة المقربون)** كما نطق به القرآن الكريم ودل على بعض تفاصيله حديث الجنان والنوق المذكور سابقاً **(وهم مما يأتي يوم القيامة من أهوالها آمنون)** لرفضهم في الدُّنيا عن نفوسهم القدسية أسباب تلك الأهـوال وتـوجهوا بـحسن الاستعداد إلى ذلك اليـوم، وضمير التأنيث للقيامة أو ليومها باعتبار المضاف إليها **(ولا يتغير فيها النعيم)** بطول الزمان لكونه في حفظ قدرته تعالى، ويدفع الاستبعاد حكاية عزيز عليه السلام **(ولا يزول عـن أهـلها)** لبقائها أبـداً، والغرض من ذكر هذه الدار وجملة من أوصافها هو الترغيب في تحصيل ما يُوجب الدخول فيها.

(يا ابن مريم نافس فيها مع المتنافسين) الأمر بالمنافسة في تلك الدار أمر بـالمنافسة فـيما يوجب الدخول فيها **(فإنها أمنية المتمنين)** وهم الصالحون في الدُّنيا أو أهل المحشر فإن كلهم يومئذ يتمنونها **(حسنة المنظر)** أي الصورة والهيئة لاشتمالها على كل ما له مدخل في حسـنها وكمالها من الحور والقصور والأشجار والأنهار وغيرها، والمنظر والمنظرة ما نظرت إليه فأعجبك لحسنه.

(طوبى لك يا ابن مريم إن كنت لها من العاملين) تقديم الظرف للحصر بالنسبة إلى العاملين للدنيا **(مع آبائك آدم وإبراهيم في جنات النعيم)** الظرف حال عن اسم «كنت» وفيه دلالة على أن ابن البنت ابن لأبيها حقيقة لأن الأصل في الإطلاق الحقيقة ودل عليه أيضاً بعض الأخبار ومـن الأصحاب من قال: إنه ابن له مجازاً.

(لا تبغي بها بدلاً ولا تحويلاً) أي لا تطلب في الآخرة بعد مشاهدتها بدلاً بها أحسن منها ولا

تحويلاً منها إلى ما هو مثلها أو عن موضع منها إلى موضع آخر لعدم وجود الأحسن منها والمساوي لها وكون كل موضع منها في غاية الحسن والإعجاب أو لا تطلب الدُّنيا في الدنيا بدلاً منها ولا تحويلاً عنها فهو على الأول خبر لفظاً ومعنىً، وعلى الثاني نهي معنىً.

(كذلك أفعل بالمتقين) أي مثل ما فعلت بآبائك أفعل بالمتقين الذين ألسنتهم مستقيمة وجوارحهم خاشعة وقلوبهم ذاكرة وملابسهم مقتصدة وجميع حركاتهم وسكناتهم على قوانين شرعية والآخرة بين عيونهم والدُّنيا وراء ظهورهم وخفايا أعمالهم وسرائر أمورهم منزهة عن المكر والخدعة وظواهر أعمالهم معراة عن الرياء والسمعة.

(يا عيسى اهرب إليّ مع من يهرب من نار ذات لهب) لهب النار: اشتعالها إذا خلص من الدخان أو لسانها، والمراد بالهرب إليه سلوك سبيله بفعل الطاعات وترك المنهيات والإتيان بما يوجب التقرب منه من أنواع القربات **(ونار ذات أغلال وأنكال)** الأغلال جمع الغل وهو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه وهو قد يكون من نار وقد يكون من حية، والأنكال جمع النكل بالكسر وهو القيد الشديد أو قيد من نار ووصف النار بهما لكونهما منها أو لتقيد أهلها بهما **(لا يدخلها روح)** الروح بالفتح: الراحة والرحمة ونسيم الريح الذي يستنشق به كل ذي روح ويتروح منه ولا يخرج منها غم أبداً لكون أهلها معذبين مغمومين دائماً **(قطع كقطع الليل المظلم)** إما لأنه لا نور لنارها أو لكمال اختلاط الدخان بنورها أو لأن نورها لا يزيل ظلمتها لكمال شدتها وكثافتها كما أن نور اليراعة لا يزيل ظلمة الليل، وفي ذكر هذه الأوصاف لها ترغيب في الفرار منها وترهيب عن فعل ما يوجب الدخول فيها **(ومن ينج منها يفز)** بالخير والفلاح وفيه حث على عمل ما يوجب النجاة منها كما أن في قوله **(ولن ينجو منها من كان من الهالكين)** من الكفرة والمشركين تحذير عن العمل بما يوجب الدخول فيها **(هي دار الجبارين والعتاة الظالمين)** هم سلاطين الجور وأمراؤهم الذين يكسرون خلق الله ويجبرونهم على ما أرادوا من الأوامر والنواهي الخارجة عن القوانين الشرعية، والعتاة جمع العاتي وهو المستكبر المتجاوز عن الحد **(وكل فظ غليظ وكل مختال فخور)** فظ الرجل من باب علم يفظ فظاظة إذا غلظ جانبه وقسى قلبه وساء خلقه وخشن كلامه، واختال الرجل فهو مختال إذا تكبر وأعجب بنفسه، وفخر إذا ادعى العظم والكبر والشرف في النسب والحسب وغير ذلك من الكمالات الصورية والمعنوية.

(يا عيسى بئست الدار لمن ركن إليها) الظاهر أن المراد بالدار دار جهنم وبالركون إليها الركون إلى ما يوجب الدخول فيها من المعاصي ولذات الدُّنيا، واحتمال إرادة الدنيا بعيد **(وبئس القرار دار الظالمين)** لأن أثاثها لهبات ونزلها كربات وحاصلها حسرات وجيرانها حيات وعذابها شديد

وماؤها صديد.

(إني أحذرك نفسك) لأنها أمارة بالسوء تورد صاحبها موارد العصيان ومواضع الخذلان فتجب مراقبتها في جميع الأوقات ومحافظتها عن التوغل في المشتهيات وأخذ زمامها بيد الورع والتقوى وصرف عنانها إلى الشريعة البيضاء.

(فكن بي خبيراً) أمره بأن يكون عالماً عارفاً بالله وما أمر به وأوصى بحفظه وما نهاه عنه ومنع من فعله فإن ذلك أصل الإيمان ورأس مال الإنسان به يرتقي إلى المقامات العلية والسعادات الأبدية.

(يا عيسى كن حيث ما كنت مراقباً لي) مراقبته تعالى محافظة القلب له ومراعاته إياه في السر والعلانية وهي ثمرة العلم بأنه تعالى مطلع على الضمائر والسرائر والبواطن والظواهر وهذا العلم إذا استقر في القلب يجذبه إلى مراعاته ومراقبته في جميع الأحوال وثمرته التعظيم والإجلال واستغراق القلب بملاحظة الكبرياء والجلال وانكساره تحت الهيبة والعظمة والكمال وترك الالتفات إلى المباحات فضلاً عن المحظورات وحفظ جميع حركاته وسكناته ولحظاته عن كل طور قبيح وأمر شنيع خوفاً منه تعالى وتعظيماً له وتحرزاً من فضيحة يوم القيامة وصرف الظواهر إلى الأعمال الخالصة والأفعال الصالحة وركوب الطريقة الغر أو لزوم المحجة البيضاء وهكذا يراقب ويراعي حتى ينتقل من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية ويفوز بقرب الحق ويتخلص من ألم الفراق وهو غاية المراد من الكمال. اللهم اجعل الصبر عطية نجاتنا والمراقبة لك عدة وفاتنا.

(واشهد على أني خلقتك وأنك عبدي وأني صوّرتك) فيه تنبيه على ذكر هذه النعمة وهي خلقه إياه ولم يك شيئاً، تفضلاً، وتصويره بصورة حسنة تكريماً وعلى الإقرار بالعبودية المتوقفة على الإتيان بالعبادات في غاية الخضوع ونهاية التضرع والتذلل وعلى ترك مخالفته في أمر من الأمور وعلى المراقبة له والانقطاع عن الغير فإن العاقل إذا تفكر في أول خلقه إلى كمال قوته وفي كيفية انقلاباته من حال إلى حال وتحولاته من طور إلى طور وفي خواص قواه وأعضائه الظاهرة والباطنة التي يعجز عن إدراك نبذة منها عقول الأذكياء حصل له معرفة تامة بالخالق المصور المنعم وبعظمته وقدرته وحكمته وهي مقتضية لمراقبته والرجوع إليه والتوسل به في جميع الأمور وقطع تعلقه بالغير **(وإلى الأرض أهبطتك)** بإهباط أبيه آدم أو إهباط روحه والغرض من الإهباط هو التكليف والامتحان والاختبار وفيه تنبيه على نفاذ أمره وجريان حكمه على عبده فكما أهبطه بلا تقصير منه من مقام المقربين إلى الأرض كذلك يهبطه مع التقصير إلى أسفل السافلين وتذكير له بموطنه الأولي ومسكنه الأصلي ليرجع إليه بقدم الاشتياق ويتخلص من ألم الفراق ويظهر مرتبة

محبته ودرجة محبته ودرجة مودته، نعم في حال البعد والفراق يظهر صدق دعوى المحبة والاشتياق.

(يا عيسى لا يصلح لسانان في فم واحد) نهى في المعنى أن يكون أحد ذا لسانين مثل أن يمدح أخاه شاهداً ويعيبه غايباً وأن يتكلم في السر غيرما يتكلم به في العلانية وأن يقول عند قوم غير ما يقول عند آخرين وأن يلقى كلاً من الصديقين غير ما يلقى به الآخر ليفرق بينهما وأن يتردد بين العدوين ليغري بينهما العداوة ويشدَّها وأن يرى كل واحد من الخصمين أنه معه وأمثال ذلك وهذه من خصال المنافقين، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال **«من لقى المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسان من نار»**.

(ولا قلبان في صدر واحد) بأن يميل مثلاً إلى المؤمنين وإلى المنافقين وأن يحب الله ورسوله ويحب الدُّنيا **(وكذلك الأذهان)** أي لا ذهنان في قلب واحد والذهن الفهم والعقل وقوة للنفس معدة للإدراك فيمتنع أن يتوجه إلى إدراك الآخرة وتحصيل الزاد لها وإدراك أمور الدنيا وكيفية تحصيلها وضبطها، وبالجملة هذه الأشياء في الإنسان واحدة فينبغي صرفها إلى ما كلفت به وإلى أمر الآخرة وميلها عن كل ما ينافيها.

(يا عيسى لا تستيقظن عاصياً ولا تستنبهن لاهياً) في المصباح: رجل يقظ بكسر القاف: فطن متنبه للأمور، واليقظة محركة: خلاف النوم، ورجل نبيه: شريف، والنهي راجع إلى القيد، ولعل المقصود النهي عن العصيان في حال الاستيقاظ ومعرفة الأمور والعلم بصحيحها وفاسدها وعن اللهو في حال النباهة والشرف فإن العصيان من الفطن العارف واللهو من النبيه الشريف أقبح وأشنع كما دل عليه صريح بعض الروايات.

(وأفطم نفسك عن الشهوات الموبقات) أي المهلكات يُقال فطمت المرضع الرضيعة من باب ضرب فطماً إذا فصلته عن الرضاع فهي فاطمة والصغير فطيم وفطمت الحبل أي قطعته ومنه فطمت الرجل عن عادته إذا منعته عنها وفي الكلام استعارة تمثيلية **(وكل شهوة تباعدك مني فاهجرها)** أما الشهوة التي لا توجب البعد مثل الضروريات في التناسل والبقاء والعبادة فالهجر منها غير مطلوب شرعاً بل قد يجب تحصيلها وتعد من العبادة **(واعلم أنك مني بمكان الرسول الأمين)** في كنز اللغة: أمين «كسى كه برا واعتماد باشد واز أو ايمن باشند وبى ترس شده».

(فكن مني على حذر) من العقوبة أمر بذلك لأن الأمين قد يصير خائناً بجرائم النفس ووساوس الشيطان **(واعلم أن دنياك مؤديتك إليّ)** نسبة التأدية إلى الدّنيا مجاز باعتبار أن العمر ينقطع وينتهي بمرور الأيام **(وإني آخذك بعلمي)** بأحوالك ظاهراً وباطناً فقد يخطر في السر ما لا يعلم

أحد غيره تعالى وهو يؤخذ عليه ويحاسب به، وفيه تنبيه على وجوب الاستقامة في جميع الأحوال لئلا تتوجه إليه الخيانة والنكال **(وكن ذليل النفس عند ذكري)** باللسان والجنان، والذل مترتب على العلم بالاحتياج إليه من جميع الجهات فإنه يوجب ذل النفس وسلب العز عنها، ويتبعه الخشوع في القلب والصوت والبصر وسائر الجوارح فلذلك قال: **(خاشع القلب حين تذكرني)** خص خشوع القلب بالذكر لأنه إذا خشع خشعت الجوارح كلها كما دل عليه بعض الروايات **(يقظان عند نوم الغافلين)** أمر بالعبادة عنده لأنها أشق عملاً وأكمل درجة وأجزل ثواباً وأفضل قرباً.

(يا عيسى هذه) المذكورات **(نصيحتي إياك)** خالصة من الإطراء والنقصان **(وموعظتي لك)** طاهرة من النقص والطغيان **(فخذها مني)** أخذ القبول والطاعة والانقياد.

(فإني رب العالمين) تعليل لما سبق لأن هذا الوصف يقتضي نصيحتهم وموعظتهم وتربيتهم وإرشادهم إلى ما هو سبب العروج من حد النقص إلى الكمال، فعليه البيان والإرشاد والهداية وعليهم القبول والعمل والدراية.

(يا عيسى إذا صبر عبدي في جنبي) أي في أمري التكليفي مثل الحج والصوم والصلاة والإيجادي مثل الفقر والنوائب والبليات أو في جانبي وسبيلي وهو الدين القويم والصراط المستقيم أو في حفظ أوليائي وتحمل الشدايد في متابعتهم، والجنب يطلق على هذه المعاني كما هو ظاهر لمن تتبع اللغة والاستعمال.

والصبر على هذه الأمور من أعظم العبادات وأفضل القربات وأجره جزيل وثوابه جميل فلذلك قال: **(كان ثواب عمله عليّ)** حيث أحاله على ذاته المقدسة وخصه به إظهاراً لمزيد الاعتناء به مع أن ثواب جميع الأعمال الصالحة عليه **(وكنت عنده حيث يدعوني)** بالقرب المعنوي المخصوص المقتضي لإجابة الدعاء وإفاضة الخير وإنزال الرحمة عليه، فلا يرد أنه تعالى عند كل أحد ولو كان كافراً.

ثم بعدما بشر من إطاعة حذر من عصاه بقوله: **(وكفى بي منتقماً ممن عصاني)** الباء زائدة وياء المتكلم فاعل كما في قوله تعالى **﴿وكفى بالله شهيداً﴾** يُقال كفى الشيء يكفيه كفاية فهو كاف إذا حصل به الاستغناء عن غيره **(والله غالب على كل شيء)** فلا يحتاج في الانتقام من أحد إلى غيره **﴿والله عزيز ذو انتقام﴾** .

ثم حذرهم من الاغترار بالإمهال فقال: **(أين يهرب مني الظالمون)** لأنهم لو فروا فغاية فرارهم الوصول إليه إذ هم لا يخرجون من ملكه وملكه لايخلو منه.

(**يا عيسى أطب الكلام**) أمره بالتكلم بما ينفع ولا يضر وحفظ اللسان عن التسرع بما لا يعني وما يؤذي أحداً والله تعالى عند لسان كل قائل فليتق الله عبد ولينظر ما يقول.

(**وكن حيث ماكنت عالماً متعلماً**) ترغيب في اكتساب فضيلة العلم والتعلم لأن عليهما مدار التكليف والرجوع إلى الله تعالى وتنبيه على أن العالم وإن بلغ حد الكمال في ظنه لابد له من أن يتعلم لأن العلم بحر لا ينزف كما دل عليه قوله تعالى ﴿**وفوق كل ذي علم عليم**﴾[1] ودل عليه أيضاً حكاية موسى مع الخضر عليهما السلام ولذلك أمر الله تعالى سيد المرسلين وهو أعلم العالمين طلب الزيادة في العلم بقوله ﴿**وقل رب زدني علماً**﴾[2].

(**يا عيسى أفض بالحسنات إليّ حتى يكون لك ذكرها عندي**) أي ذكر أجرها وثوابها أو ذكر نفسها وكأنه على الأخير من باب التمثيل لأن أحدنا إذا أرسل هدية إلى صديقه فمتى رآها الصديق يذكرها ويذكر صاحبها وفي الإفاضة إشعار بإكثار الحسنات (**وتمسك بوصيتي فإن فيها شفاء للقلوب**) من أمراض الجهل ورذائل الأخلاق ووساوس الشيطان.

(**يا عيسى لا تأمن إذا مكرت مكري**) مكر مكراً من باب قتل خدع فهو ماكر وأمكر بالألف لغة ومكر الله وأمكر جازى على المكر وسمّي الجزاء مكراً كما سمى جزاء السيئة سيئة مجازاً على سبيل مقابلة اللفظ باللفظ (**ولا تنس عند خلوات الدنيا ذكري**) لماكان أعظم المطالب الدينية ذكر الله تعالى أمر به مراراً مبالغة فيه وهو من أعمال الصالحين، قال الله تعالى في مدحهم ﴿**رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله**﴾[3] وفي الذكر جلاء للقلوب وأنس بالله وهو ثمرة محبته فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره والغرض من جميع العبادات هو الذكر قال الله تعالى ﴿**أقم الصلاة لذكري**﴾ وبالجملة كل عقد وقول وفعل يقصد به الله تعالى فهو ذكره.

(**يا عيسى حاسب نفسك بالرجوع إليّ**) حساب النفس متوقف على الرجوع إلى الله تعالى لأن حسابها عبارة عن ملاحظة طاعتها ومعصيتها له فينبغي أن يعرف كل أحد أنه يرجع إلى الله تعالى وأنه تعالى يثيبه إن أطاع ويعاقبه إن عصى فإذا حصلت له هذه المعرفة اشتغل بنفسه ويحاسبها في كل يوم وفي كل ساعة فينظر إلى خواطرها وأفعالها وقيامها وقعودها وحركاتها وسكناتها وجميع أعمالها الظاهرة والباطنة على سبيل التفصيل فما كان منها موافقاً لإرادة الله تعالى دام عليه وشكر وما كان مخالفاً لإرادته فرّ منه واستغفر وما كان من المباحات رفضه فراراً عما لا ينفعه في الآخرة فإذا دام على ذلك حصلت له ملكة الانقطاع إلى الطاعة والنفرة عن المعصية.

---

(١) سورة يوسف : ٧٦. (٢) سورة طه : ٦. (٣) سورة النور : ٣٧.

ثم أشار إلى غاية حساب النفس وفائدته ترغيباً فيه بقوله: **(حتى تتنجز ثواب ما عمله العاملون)** استنجز حاجته ويستنجزها: استظفر بها أي تجد ثوابه يوم القيامة عند البعث منجزاً بلا تأخير ولا توقيف للحساب لأنك أديت حسابك في الدّنيا، أو تجد ثوابه به منجزاً في الدّنيا وهو السعادة الروحانية الأبدية التي هي قرب الحق وفيضه آناً فآناً وهو عند العارفين أعظم من الثواب الجسماني والله أعلم.

(أولئك يؤتون أجرهم) كاملاً بل أضعافاً مضاعفة **(وأنا خير المؤتين)** إذ لا نقص في إعطائه ولا خوف في نفاد ما عنده به.

(يا عيسى كنت خلقاً بكلامي) الظاهر أن كلمة «كن» وهي إظهار للتسخير والقدرة على إيجاد كل فرد كذلك بل بلا أم أيضاً كآدم وإنما خلقهم على النحو المعهود ليحصل بينهم التعارف بالنسب والقبايل والقرابة والرحمة والرأفة والرقة والاشفاق ونحوها من الفوائد المعلومة وغيرها ومع هذا التناسب تحقق بينهم العداوة والنفرة وانتفت الرحمة والرأفة فكيف إذا كان كل منفرداً في الخلقة، ويحتمل أن يُراد بالكلام الاسم الأعظم تكلم به جبرئيل عليه السلام حين نفخه في مريم عليها السلام.

(ولدتك مريم بأمري) التكويني المتعلق بوجودك بلا أب، وفي التصريح باسمها تنويه وتعظيم لها **(المرسل إليها روحي جبرئيل الأمين من ملائكتي)** **﴿فتمثل لها بشراً سوياً * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾** إلى آخر ما ذكر في القرآن الكريم واختلف في سنها حينئذ فقيل: ثلاث عشر سنة وقيل: عشر سنين وقد حاصت حيضتين، وفي مدة حملها فقيل: ستة أشهر وقيل: سبعة وقيل: ثمانية وقيل: ساعة **(حتى قمت على الأرض حياً تمشي)** إشارة إلى تربيته من طور إلى طور حتى بلغ هذه الحالة التي هي كمال النشوء وتمام القوة **(وكل ذلك في سابق علمي)** أي كان في علمي السابق وهو العلم الأزلي أن يكون خلقك على هذا النحو.

(يا عيسى زكريا بمنزلة أبيك) في الرأفة والمحبة وإرادة الخير، وفيه حث على تعظيمه وتكريمه وبره والدعاء له **(وكفيل أمك)** متكفل لأمورها وضامن لمصالحها قبل هي أخت زوجته **(إذ يدخل عليها المحراب)** قال القاضي: هو الغرفة التي بنيت لها في المسجد أو المسجد أو أشرف مواضعه ومقدمها سمى به لأنه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس.

(فيجد عندها رزقاً) قال القاضي: روى أنه كان لا يدخل عليها غيره وإذا خرج أغلق عليها سبعة

أبواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس.

(نظيرك يحيى من خلقي) في دلالة خلقه على القدرة القاهرة أو في العلم والحكمة والنبوة **(وهبته لأمه بعد الكبر من غير قوة بها)** قيل كان لها نيف وتسعون سنة وكان أبوه أيضاً كبيراً كما قال **﴿رب أنىٰ يكون لي غلامٌ وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر﴾**[١].

(أردت بذلك) أي بإيجادك بلا أب وإيجاد يحيى من كبير وعاقر **(أن يظهر لها)** أي لأم يحيى **(سلطاني ويظهر)** للخلق **(فيك)** أي في إيجادك بلا أب **(قدرتي)** ذكر السلطان دون القدرة مع القدرة تفنن، وذكر الظهور لها في الأول وللخلق في الثاني لأن الثاني أغرب وأعجب، وتخصيص الظهور بها لأن توليد العاقر أبعد من توليد الكبير **(أحبكم إليَّ أطوعكم لي وأشدكم خوفاً مني)** للمحبة والطاعة وللخوف مراتب متفاوتة بعضها فوق بعض وكل من كان طاعته أزيد وأتم وخوفه أكثر وأعظم كانت محبة الله تعالى إياه أكمل وأفخم، وفيه أمر بالطاعة والخوف لتحصيل السعادة الأبدية التي هي المحبة الإلٰهية.

(يا عيسى تيقظ) التيقظ كما يكون للقلب بمعرفته وتذكيره تعالى وتطهير السر عن غيره ومعرفة المضار والمنافع كذلك يكون للسمع والبصر وسائر الجوارح بصرفها إلى الأمور المطلوبة منها.

ثم المتيقظ وإن كان مستعداً لفيض الرب ورحمته والقرب منه إلاّ أنه لما كان مشاهداً لعمله ولا يبرىء نفسه عن التقصير وخوف العاقبة وربما يؤدي ذلك إلى اليأس من روح الله ورحمته نهاه عنه بقوله: **(ولا تيأس من روحي)** فإن اليأس من غير المتيقظ منه كبيرة وكفر فكيف من المتيقظ.

(وسبحني مع من يسبحني) التسبيح: التقديس والتنزيه يُقال سبحت الله أي نزهته عما يقول الجاحدون، وقد يكون بمعنى الذكر والصلاة يُقال: فُلان يسبح الله أي يذكره بإسمائه ويسبح على راحلته أي يصلي ويكون أيضاً بمعنى التحميد **(وبطيب الكلام فقدّسني)** أي طهرني عن النقايص والمعايب، والقدس بالضم وبضمتين: الطهر والتنزه.

(يا عيسى كيف يكفر العباد بي ونواصيهم بيدي وتقلبهم في أرضي) كأنه كناية عن كمال القدرة والاستيلاء عليهم فلا يجدون مهرباً والكفر شامل لكفر الجحود وكفر النعمة وكفر المخالفة، وكيف للإنكار والتوبيخ.

(يجهلون نعمتي) الظاهرة والباطنة **(ويتولون عدوي)** شياطين الجن والإنس والنفس الأمارة **(وكذلك يهلك الكافرون)** إشارة إلى أن جهل نعمته وتولي غيره أمر مشترك بين الكفرة كلهم على

---

(١) سورة مريم: ٨.

تفاوت مللهم واختلاف درجاتهم.

(يا عيسى إن الدنيا سجن ضيق منتن الريح) الظاهر أن الحمل من باب الحقيقة لأن الدنيا محبس لآدم وأولاده خصوصاً للأولياء ضيقة بالنسبة إلى الآخرة منتن الريح يجد ريح نتنه العارفون فلذلك يتنفرون منها كتنفرهم من الميتة، ويحتمل أن يكون من باب التشبيه بحذف أداته مثل زيد أسد، بحمل السجن على المعروف عند الناس.

(وحسن فيها ما قدترى) من نعمائها الرائقة وزهراتها الرائعة وثمراتها الفايقة **(مما قد تذابح عليها الجبارون)** أي ذبح بعضهم بعضاً لأخذ ما في يده من أمتعة الدنيا ونعيمها وإذا كانت حال الدنيا الضيقة المنتنة هذه فكيف حال الجنة التي لا يحيط بوصف نعيمها دائرة البيان ولا يبلغ أدنى أوصافها جواد اللسان، دار بناها رحمة رب العالمين وأعدها للمتقين، هذا بحسب ظاهر النظر وأول الفكر وإلّا فلو نظرت إليهما بعين اليقين وفكرت فيهما بالفكر المتين وجدت أن ليس بين متاع الدّنيا ومتاع الجنة إلا نسبة وهمية.

ولما كان المقصود من هذا البيان الثاني هو التحذير عن الدنيا والتحريك إلى الآخرة قال: **(وإياك والدنيا فكل نعيمها يزول وما نعيمها إلاّ قليل)** تحذير عن الدنيا والركون إليها وصرف العمر في تحصيلها لأن نعيمها قليل يزول والعاقل لا يركن إلاّ القليل الزايل لأجل أنه زايل فكيف إذا كان سبباً لزوال الكثير الباقي.

(يا عيسى ابغني عند وسادك تجدني) إشارة إلى قربه من كل أحد في كل زمان ومكان أو إلى طلب العبادة في زمان الغفلة وحث على ترك النوم **(وادعني وأنت لي محب)** محبته تعالى دون غيره من أصول شرايط الدعاء، ومن لوازم تلك المحبة الإنقطاع من الغير إليه وتعلق القلب به والتضرع بين يديه وطلب القرب منه والاعتماد عليه.

فإني أسمع السامعين **(استجيب للداعين إذا دعوني)** ترغيب في طلب الخيرات والمرغوبات كلها منه تعالى والتيقن بحصولها لأن عدم حصولها إما لعدم سماع الدعوة أو لعدم الاستجابة بعده وكلاهما منتف عنه تعالى.

(يا عيسى خفني وخوف بي عبادي) الخوف من عقابه والحرمان من إكرامه وثوابه يقتضي فعل المأمورات وترك المنهيات لأن من خاف شيئاً هرب منه.

(لعل المذنبين أن يمسكوا عما هم عاملون به فلا يهلكوا إلّا وهم يعلمون) العاملون العارفون يمسكون عن المعصية نظراً إلى كماله وتعظيماً لجلاله ولو لم تكن نار ولا جنة، وأما الجاهلون المذنبون فهم بمنزلة الأطفال ينبغي تطميعهم بالثواب وتخويفهم من العقاب ليرغبوا في الطاعة

وينزجروا عن المعصية فإن هلكوا بعد ذلك هلكوا عن علم وبينة ولم تكن لهم معذرة.

(يا عيسى ارهبني رهبتك من السبع) رهب رهباً من باب علم: خاف والاسم الرهبة فهو راهب من الله والله مرهوب والأصل مرهوب عقابه.

(والموت الذي أنت لاقيه) أهل الدنيا يرهبون من نفس الموت حباً للبقاء الزائل وأهل الحق يرهبون منه خوفاً من الهلاك الأبدي.

(فكل هذا أنا خلقته فإياي فارهبون) لأن الخالق أولى بالرهبة منه من المخلوق لأن إضرار المخلوق بإقداره فينبغي الرهبة منه لا من غيره.

(يا عيسى إن الملك لي وبيدي وأنا الملك فإن تطعني أدخلتك جنتي في جوار الصالحين) أشار إلى أن كل ما سواه ملك له وأنه بقدرته التي لا يتأبى منها شيء وأنه الملك في الدنيا والآخرة لا غيره إذ كل ملك في الدُّنيا فهو ملك بالاعتبار ولا حقيقة له وبالإضافة إلى بعض من هو تحت حكمه في الجملة ليبين أنه يجب طاعته والفزع إليه وحده وأنه يدخلُ المطيع جنته في جوار الصالحين من الأنبياء والرسل والأوصياء بلا مانع ولا مدافع إذ لا شريك له يمنعه من ذلك، وفيه ترغيب في الالتجاء إليه والطاعة والمراقبة له في جميع الأحوال.

(يا عيسى إني إن غضبت عليك لم ينفعك رضاء من رضى عنك وإن رضيت عنك لم يضرك غضب المغضبين) بفتح الضاد على صيغة المفعول من أغضبه فهو مغضب وذلك مغضب، وفيه تنبيه على وجوب ترك ما يوجب رضاء المخلوق إذا كان موجباً لغضب الخالق ووجوب طلب ما يوجب رضاء الخالق وإن كان موجباً لغضب المخلوق لأن المخلوق وجوده وعدمه سواء فكيف غضبه ورضاه وضره ونفعه.

(يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي) أراد به الذكر القلبي وهو عدم الغفلة عنه، وذكره تعالى في نفسه عبارة عن الإكرام وإفاضة الخيرات.

(واذكرني في ملأك إذكرك في ملأ خير من ملأ الآدميين) الملأ كجبل: الأشراف والجماعة والقوم، والمراد بهم ملأ الآدميين، وبالملأ الثاني ملأ الملائكة المقربين، ومثل هذا موجود في كتب العامة أيضاً، استدل به بعضهم على أن الملائكة أفضل من الأنبياء إذ عد ملأ الملائكة خيراً من ملأ الآدميين ولو كان فيهم نبي، والجواب أن تفضيل المجموع على المجموع لا يوجب تفضيل الأجزاء على الأجزاء وقد ذكرناه مفصلاً في شرح الأصول.

(يا عيسى ادعني دعاء الغريق الحزين الذي ليس له مغيث) غيري. من شرائط الدعاء أن يقطع الداعي رجاءه عن غيره تعالى ولا يرى لنفسه ملجأ ومغيثاً إلاّ إياه فإن الدعاء على هذا الوجه مقرون

بالإجابة قطعاً.

(يا عيسى لا تحلف بي كاذباً فيهتز عرشي عضباً) يمكن أن يُراد به العرش الجسماني المحيط بجميع الأجسام والعرش المطاف للملائكة المقربين، وأن يراد به قدرته الشاملة لكل الموجودات وإن لم يشتهر إطلاقه عليها، والعارفون لا يحلفون به صادقاً تعظيماً له فكيف كاذباً، وقد مرَّ أمثال هذه النصايح للأمة.

(الدنيا قصيرة العمر) المراد بالدنيا إما تمامها وعمرها قصير لانقطاعها أو عمر كل شخص وقصره ظاهر فلا ينبغي أن يركن إليها العاقل.

(طويلة الأمل) نسبة طول الأمل إلى الدُّنيا مَجاز كنسبة الفعل إلى الزمان، والأمل هو الطمع والرجاء، وقد يفرق بينه وبين الطمع بأن الأمل كثر استعماله فيما يستبعد حصوله، والطمع فيما يقرب، فمن عزم على سفر إلى بلد بعيد يقول: أملت الوصول إليه، ولا يقول: طمعت، إلاّ إذا قرب منه، وبينه وبين الرجاء بأن الراجي قد يخاف أن لا يحصل مطلوبه فإن قوي الخوف يستعمل الأمل كما صرح به في المصباح، وقد يفصل ما يدخل في القلب بأن ما في القلب مما ينال من الخير أمل ومن الخوف إيجاس ومما لا يكون لصاحبه ولا عليه خطر، ومن الشر وما لا خير فيه وسواس، ولعل الغرض منه هو التعجب لمن أطال أمله في زمان قصير وليس ذلك إلاّ لجهله حيث شغل قلبه بما لا حاجة له فيه ومع ذلك توقع حصوله في زمان قاصر، عنه أو الحث على ترك الدنيا وطول الأمل وتجهيل فاعلهما بالجمع بين الضدين.

(وعندي دار خير مما يجمعون) لكمال زينتها وبقائها وبقاء أهلها ونعيمها أبداً، وفيه ترغيب في طلبها كما في السابق تنفير عن الدنيا.

(يا عيسى كيف إذا أخرجت لكم كتاباً ينطق بالحق وأنتم تشهدون بسراير قد كتمتوها وأعمال كنتم بها عاملين) ترغيب في الطاعة وتحذير عن المعصية بذكر الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها وذكر صعوبة الأحوال والتخلص منها عند مشاهدتها وذلك لأن الإنسان إذا علم أنه يُكتب عليه جليات أموره وخفياتها وأنه يؤخذ بها ويُحاسب عليها وقتاً ما حصلت له ملكة البواعث على الطاعات والزواجر عن المنهيات، ولذلك كرر ذكر الحفظة وكتبها أعمال العباد في القرآن الكريم.

(يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل غسلتم وجوهكم ودنستم قلوبكم) دنس ثوبه وعرضه تدنيساً إذا فعل به ما يشينه، وليس الظلم والذم باعتبار غسل الوجوه فإنه مطلوب بل باعتبار تدنيس القلوب بالعقائد الكاسدة والآمال الفاسدة والمخاطرات القبيحة والأخلاق الذميمة وقد

وجب تطهيرها عن هذه الصفات الرذيلة وتزيينها بالأخلاق الجميلة لأن القلب أشرف أعضاء الإنسان وعرش الرحمن وموضع نوره وسره ومعدن حكمه وذكره وقد أمر سبحانه بذلك فمن بدله بما ذكر فهو مغرور جرى كما أشار إليه بقوله: **(أبي تغترون أم على تجترون؟)** الاغترار «خدعة كردن وفريب دادن ونمودن باطل را بصورت حق» والاجتراء «دليرى كردن» فكأنه بهذه الصفة إما مخادع أو جرى محارب مع ربه، وفيه وعيد عظيم لهم ليذكروا ويرجعوا.

(تطيبون بالطيب لأهل الدنيا وأجوافكم عندي بمنزلة الجيف المنتنة) توبيخ لهم في إزالة نتن أدناس الظواهر بالطيب والعطر للناس وترك إزالة نتن أمراض القلوب بأدويتها لله مع أنه أقرب إليها منهم إلى الظواهر وما ذلك إلاّ لتعظيمهم وتحقيره تعالى كأنكم أقوام ميتون في النتن أو بعدم ١٠ الانتفاع بالزواجر والنصايح.

(يا عيسى قل لهم قلموا أظفاركم من كسب الحرام) قلمت الظفر قلماً من باب ضرب: قطعته وأخذته، وقلمته بالتشديد مبالغة وتكثير في الاجتناب عن كسب الحرام والاحتراز منه لأنه يسوّد القلب ويبعد عن الرب ويورث العقوبة في الدُّنيا والآخرة.

(وأصمّوا أسماعكم عن ذكر الخنا) زجرهم عن استماع الكلام الفاحش لكونه معصية ومانعة عن ذكر الله ومسوداً للقلب مفسداً له، قال الله تعالى في التنزيل في وصف قومٍ صالحين: **﴿وإذا مروا باللغوا مروا كراماً * وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾**.

(وأقبلوا عليّ بقلوبكم) لكل عضو إقبال وادبار إقباله هو الإتيان بما هو مطلوب منه، وادباره هو الإتيان بضده، وإنما خص إقبال القلب بالطلب لأن القلب أشرف الأعضاء وأكمل، فإقباله وهو تذكر الرب وعدم الغفلة عنه أشرف وأفضل لأن إقباله مسلتزم لإقبال غيره من الأعضاء.

(فإني لست أريد ضرركم) ترغيب في قبول النصيحة لأن المنصوح إذا علم شفقة الناصح وبعد نصحه عن الغش والضرر يُقبل على قبوله.

(يا عيسى افرح بالحسنة فإنها إليّ رضاً) دل على أن الفرح والسرور بالحسنة من حيث أنها حسنة موافقة لرضاه تعالى ليس بعجب بل هو أيضاً حسنة ولذلك أمر به وإنما العجب أن يسر بها من حيث أنه عمل بلغ به حد الكمال وخرج عن حد التقصير وفاق العابدين بالمنزلة الرفيعة عنده تعالى.

(وابكِ على السيئة فإنها شين) البكاء على السيئة حسنة رافعة لها وهو أفضل العبادات للمذنبين، وما لا تحب أن يصنع بك فلا تصنعه بغيرك، هذا من لوازم العدل والإنصاف وحسن المخالطة والمعاملة مع الناس وبه يتم نظام العالم ويرتفع الجور في بني آدم.

(وإن لطم خدك الأيمن فاعطه الأيسر) لا تعامله بالانتقام إذ يتولد منه المفاسد العظام، وهذا من آثار ملكة الحلم والعفو **(وتقرب إليّ بالمودة جهدك)** أي بمودتي أو مودة الخلق من أهلها، ففيه على الثاني ترغيب في حسن المعاشرة، وعلى الأول في الترقي إلى مقام محبة الرب، والوصول إليه متوقف على مراقبة النفس ومحاسبتها وتصفية الظاهر والباطن عما ليس من طور الشريعة وتحليتهما بالفضائل اللايقة بهما ودوام الذكر والفكر **(وأعرض عن الجاهلين)** المستقرين في الجهل التابعين لإثارة أحكامه إذ معارضة الجهال جهل وسفه توجب طغيانهم في الجهالة والسفاهة وازديادهم في الأذى والإهانة، وهذا أيضاً من آثار الحلم **(يا عيسى ذل لأهل الحسنة)** قال في القرآن المبين لسيد المرسلين: ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾ وهذا من آثار ملكة التواضع.

(وشاركهم فيها كما هو مقتضى القوة العقلية والعملية وكن عليهم شهيداً) تمنعهم من المهلكات وتبعثهم على الصالحات وتشهد لهم بها في القيامة **(وقل لظلمة بني إسرائيل يا أخدان السوء والجلساء عليه)** الأخدان جمع الخدن بالكسر وهو الصديق وفي كنز اللغة: أخدان «دوستان» والسوء بالفتح خصلة مذمومة من قول وفعل وخلق وقد يُطلق على المتصف بها، وهذان الوصفان أعني محبة السوء وأهله ومحبة الجلساء عليه لا يجتمعان إلاّ في الجري على الله المستحق لعقوبته.

(إن لم تنتهوا أمسخكم قردة وخنازير) وعيدٌ لهم بالعقوبة الحاضرة غير ما مهد لهم من عقوبة الآخرة وقد وقع مسخ من لم ينته، على ما نقل في السير.

(يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل الحكمة تبكي فرقاً مني) الظاهر أن الحكمة بالتحريك: جمع الحاكم وهو صاحب الحكم والقدر والمنزلة من عند الله تعالى كالحفظة جمع الحافظ، ويحتمل أن يكون بكسر الحاء وسكون الكاف على حذف المضاف أي صاحب الحكمة وهي العدل والعلم والحلم والنبوة، وفرقاً مفعول له أي تبكي لأجل الخوف مني وخوفهم لمشاهدة العظمة واحتمال تقصيرهم في الطاعة وانتكاس حالهم في العاقبة أو لغير لذلك **(وأنتم بالضحك تهجرون)** أي تستهزئون، والهجر بالضم والسكون: الفحش والقبيح من الكلام، وهو اسم من «هجر يهجر» من باب قتل، وفي لغة أخرى: أهجر في منطقة إهجاراً: أكثر حتى جاوز ما كان تكلم به قبل ذلك، وأهجر بالرجل استهزأ به وقال فيه قولاً قبيحاً ورماه بالكلمات التي فيها فحش وفضيحة، وهذه من باب لابن وتامر.

(أتتكم براءتي أم لديكم أمان من عذابي أم تعرضون بعقوبتي؟) في كنز اللغة: «براءة: بيزارى

از شيء» يقال: بريء زيد من ذنبه يبرأ ـ مهموز اللام من باب علم ـ براءة: إذا سقط عنه طلبه حتى كأنه لم يحتج إليه فهو بريء منه وبارىء، والاستفهام للتوبيخ، وإنما ردد بين هذه الأمور الثلاثة لأن حالتهم المذكورة توجب أن يكون لهم واحد منها قطعاً. ولكن الواقع لماكان هو الأمر الثالث **(قال: فبي حلفت لأتركنكم مثلاً للغابرين)** أي للباقين إلى يوم الدين، والمثل بالتحريك: الحديث؛ وتفسير الغابرين بالماضين والمثل بالشبه والنظير بعيد.

(ثم أوصيك يا ابن مريم البكر البتول) أي المنقطعة عن الرجال أو عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً أو عن الدنيا إليه تعالى أو عن الحيض.

(بسيد المرسلين) أي رئيسهم وأشرفهم وأكرمهم **(وحبيبي)** بمعنى الفاعل أو بمعنى المفعول، وقد بلغت المحبة بينهما غاية الكمال فلذلك خصه بهذا اللقب **(فهو أحمد)** كما نطق به القرآن الكريم: **﴿ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾** **(صاحب الجمل الأحمر)** وصفه بهذا وغيره من الأوصاف ليعرفوه بها عند ظهوره **(والوجه الأقمر)** أي الأبيض، اسم تفضيل من القمرة بالضم وهي لون إلى الخضرة أو بياض فيه، وفيه تشبيه لوجهه بالقمر في النور والضياء.

(المشرق بالنور) أي بنور الظاهر لكمال حسنه أو الأعم منه ومن نور الباطن وهو العلم والحكمة وقد وجد فيه جميع جهات الحسن، الطاهر القلب لخلو قلبه عن جميع المقابح واتصافه بجميع المحاسن من أول العمر إلى آخره.

(الشديد البأس) على الكافرين والبأس الشدة والقوة والشجاعة **(الحيى المتكرم)** لا يرتكب شيئاً من الرذايل والقبايح حياء ولا يترك شيئاً من المحاسن والمحامد تكرماً ويعفو عن حقه تفضلاً **(فإنه رحمة للعالمين)** باعتبار أنه يرشدهم إلى صراطٍ مستقيم أو أنه سبب لرفع العقوبة الدنيونية عن أمته مثل المسخ وغيره أو أنه سبب لإيجاد العالم كما ورد **«لولاك لما خلقت الأفلاك»** أو أنه سبب لنجاة الخلائق يوم القيامة **(وسيد ولد آدم)** هذا أعم من السابق والسيد الفائق قومه المفزوع إليه في الشدائد وهو صلى الله عليه وآله كذلك في الدُّنيا والآخرة أما في الدُّنيا فلأن أصل وجود الممكنات لوجوده وكل من لحقته فتنة من الأنبياء توسلوا به فرفعها عنهم، وأما في الآخرة فلأن آدم ومن دونه تحت لوائه وله المقام المحمود ومقام الشفاعة ومقام الوسيلة وهذه المنزلة ليست لأحد غيره.

(يوم يلقاني) بالرحمة والرضوان.

(أكرم السابقين عليّ) وهم الأنبياء والمرسلون لنور ذاته وشرف صفاته فله من الإحسان حظ أكثر ومن الإكرام نصيب أوفر **(وأقرب المرسلين مني)** فضلاً عن غيرهم لأن ذاته أكمل وأتم

وصفاته أفضل وأعظم فله من القرب منزلة أرفع وأعلى ومرتبة أدل وأدنى، وقد روي أن جميع الخلائق في طلب المنزلة والإكرام يرجعون إليه وفي دفع الخوف والعقوبة يلوذون بين يديه، ولولا شفاعته لم يدخل أحد دار السلامة ولم ينج من الحسرة والندامة ولم يستحق منزلة القرب والكرامة.

(العربي الأمين) الأول في النسب، يُقال: رجل عربي إذا كان ثابت النسب، والثاني في الشرف والحسب بحسب الذات والصفات فصار أميناً محل الاعتماد عليه في أمور الدين والدنيا وإظهار الحق وإبطال الباطل **(الديان بديني)** الدين: الطريقة الشرعية والصراط المستقيم الذي وضعه الله لعباده، والدين أيضاً مصدر بمعنى التعبد يُقال: دان بالإسلام ديناً ـ بالكسر ـ أي تبعد به وتدين به كذلك، فهو ديّن وديّان للمبالغة.

(الصابر في ذاتي) لصبره على العبادات يحمله للمشقات وما وصل إليه من لئام الأمة وجهالها من النوائب والمصائب في ذات الله تعالى وطلباً لمرضاته **(المجاهد المشركين بيده عن ديني)** جهاده مع المشركين مشهور وفي كتب السير والأخبار مذكور وحروبه معهم كثيرة وقد حضر فيها مع قلة المؤونة والمعين بنفسه المقدسة إلاّ ماشذ، كل ذلك لأجل كشف دين الله تعالى وإظهاره وترويجه **(إن تخبر به بني إسرائيل)** الظاهر أنه بدل من قوله «سيد المرسلين» فهو المقصود بالوصية.

(وتأمرهم أن يصدقوا به وأن يؤمنوا به ويتبعوه وأن ينصروه) عند تشرفهم بملازمته.

(قال عيسى ﷺ: إلهي من هو حتى أرضيه) يحب صحبته والإتيان بخدمته أو يأمر بني إسرائيل إلى نصرته وطاعته أو بالإيمان به في غيبته **(فلك الرضا)** بذلك.

(قال: هو محمد رسول الله إلى الناس كافة) نصب «كافة» على الحال أي جميعاً، أو على المصدر أي يكفيهم عن الغير، أو السؤال في أمور دينهم ودنياهم كافة؛ لأنه يجيء بمقدار حاجتهم من غير نقص.

(أقربهم مني منزلة) لكونه أشرفهم وأكملهم وأعلمهم وأقدمهم حسباً ونسباً، وهذا أعم مما ذكر **(وأحضرهم شفاعة)** يحتمل أن يكون هي الشفاعة الأولى وهي التي لتعجيل الحساب التي يلجأ إليه فيها جميع الخلق، ويحتمل أن تكون شفاعة المغفرة أو شفاعة الإخراج من النار أو الجميع.

(يحمده أهل الأرض) ولذلك سمّي محمداً كما روي **(ويستغفر له أهل السماء)** أي لأمته أو له تبركاً وتقرباً منه، وقد مرَّ توضيح ذلك في باب الاستغفار وغيره من شرح كتاب الأصول.

(أمين ميمون) من اليمن بالضم وهو البركة والخير كالميمنة وفعله من باب علم وعني وجعل وكرم **(طيب)** لطهارته ونزاهته من الأرجاس الكريهة والأفعال القبيحة والأخلاق الذميمة **(مطيب)** بجوهر ذاته ونور صفاته وبالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة **(خير الباقين عندي)** وكذلك خير الماضين كما مرَّ لكونه أكمل ذاتاً وصفاتاً وأكثر علماً وحلماً وأحسن خلقاً ورحمة وأعظم بركة وقوة واتصافه بغاية العبودية وبلوغه نهاية العبادة المطلوبة من الحقيقة الإنسانية.

(يكون في آخر الزمان) إذ الزمان ينقطع بأمته ولا نبي بعده **(إذا خرج أرخت السماء عزاليها)** بفتح اللام وكسرها جمع العزلاء وزان حمراء وهو فم المزادة الأسفل وفيه إشارة إلى شدة وقطع المطر على التشبيه بنزوله من فم المزادة وقد مرَّ في حديث نافع **(وأخرجت الأرض زهرتها)** أي نباتها وزروعها وأشجارها وأثمارها وزينتها وحسنها وبهجتها وخيرها، ومن ثم قل القحط في أمته **(حتى يروا البركة)** أي الزيادة والنماء والخير في العالم **(وأبارك لهم فيما وضع يده عليه)** تكثير قليل الطعام وغيره بوضع يده عليه مشهور في الأخبار والسير **(كثير الأزواج قليل الأولاد)** من صلبه وإلاّ فأولاد أولاده أكثر من أن تحصى **(يسكن بكة موضع أساس إبراهيم)** السكون المطلق يصدق على سكونه في بعض الأوقات وهو زمان تولده إلى وقت الهجرة.

(يا عيسى دينه الحنيفية) أي المائلة من الباطل إلى الحق أو الطاهرة من النواقص والنواص أو ملة إبراهيم عليه السلام، والتأنيث باعتبار إرادة الملة من الدين أو بتقديرها **(قبلته يمانية)** لأن مكة من تهامة وتهامة من أرض اليمن ولهذا يُقال: الكعبة اليمانية، كذا في النهاية **(وهو من حزبي وأنا معه)** معيته بالنصرة والإعانة والتوفيق، وحزب الله من جعلهم أعوناً لدينه ووفقهم للعمل بما فيه رضاه **(فطوبى له ثم طوبى له، له الكوثر)** قيل: هو نهر في الجنة، وقيل الخير: الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين، وقيل: أولاده وعلماء أمته، وقيل: القرآن والمشهور أنه حوض فيها أو في خارجها ويؤيده أن جماعة يطردون منها وهم لا يدخلون الجنة وهو فوعل من الكثرة والواو زائدة ومعناه الخير الكثير **(والمقام الأكبر)** من مقام جميع الرسل **(في جنات عدن)** قيل جنة عدن اسم لمدينة الجنة فيها جنان كثيرة هي مسكن الأنبياء والعلماء والشهداء وأئمة العدل والناس سواهم في جنات حواليها، وقد مرت.

(يعيش أكرم من عاش) لكونه أكمل في القوة النظرية والعملية والأعمال البدنية والقلبية، والكرامة وحسن العيش تتفاوت بحسب تفاوتها **(ويقبض شهيداً)** سمته يهودية بشاة مسمومة وكفاه الله تعالى من ذلك السم وشفاه لكن بقي فيه شيء منه وقتله بعد حين ولذلك قال العلماء إن الله سبحانه قد جمع له بذلك بين كرم النبوة وفضل الشهادة.

(له حوض أكبر من بكة إلى مطلع الشمس) الظاهر أنه الكوثر المذكور مع احتمال أن يكون غيره وأن يراد بالكوثر المعنى الأول أو غيره من المعاني المذكورة، وقد ثبت أن له (صلى الله عليه وآله) حوضاً في الآخرة، من طرق الخاصة والعامة، رواه مسلم عن سبعة عشر صحابياً ورواه غيره عن عشرة غيرهم، عنه (صلى الله عليه وآله) قال عياض: الإيمان به واجب والتصديق به من الإيمان. إذا عرفت هذا فنقول: لم يتبين أن هذا المقدار من جهة الطول أو من جهة العرض ولكن مرَّ في كتاب الحجة في باب فرض الكون مع الأئمة (عليهم السلام) أنه قال رسول الله ﷺ **«عرضه ما بين صنعاء إلى ايلة فيه قدحان فضة وذهب عدد النجوم»** فهذا يدل على أن المراد بالمقدار في هذا الخبر هو الطول، ولو جعل هذا أيضاً تحديداً للعرض وقع الاختلاف بينهما، اللهم إلاّ أن يُقال: المقصود منهما هو الكناية من السعة لا على التقدير المحقق، وجاء في بعض روايات العامة: أن زواياه سواء، قال عياض: قام البرهان على أن تساوي الزوايا ملزوم لتساوي الأضلاع فهو على هذا مربع متساوي الأضلاع، أقول: هذا غلط ظاهر لأن تساوي الزوايا لا يستلزم تساوي الأضلاع كما في المستطيل، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ **«ترد علي أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الناس عن إبله،** وقالوا يا رسول الله تعرفنا قال **نعم لكم سيماء ليست لأحد من الأمم غيركم تردون عليّ غراً محجَّلين من آثار الوضوء ولتُصدن عني طائفة منكم فلا تصلون فأقول: يارب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول: فهل تدري ما أحدثوا بعدك»** انتهى، أقول لعل من خالفنا عموا وصموا فلم يروا ولم يسمعوا أمثال هذا الخبر حتى حكموا بكفر من حكم بكفر واحد من الصحابة ولم يجوزوا أن تكون خلافة الثلاثة مما أحدثوا. يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء إلى سواء السبيل وقد ذكرنا كثيراً من رواياتهم الدالة على كفر كثير من الصحابة في كتاب شرح الأُصول وسنذكر جملة أخرى منها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

(من رحيق مختوم) الرحيق: الخمر، والمراد بها خمر الجنة، والمختوم المصون الذي لم يتبدل لأجل ختامه **(فيه آنية مثل نجوم السماء وأكواب مثل مدر الأرض)**. من طرق العامة عنه صلى الله عليه وآله قال: **«حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً»** وفي الآخر: **«والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من نجوم السماء»** أقول: الكوب كوز لا عروة له أو لا خرطوم له، والآنية جمع الإناء والأواني جمع الآنية، والتشبيه في العدد والصفاء لا في الجرم لأن ما للنجوم من المساحة أكثر من مساحة الحوض، وهذا يحتمل أن يكون كناية عن الكثرة كما قيل في قوله تعالى **﴿وأرسلناه إلى**

مائة ألف أو يزيدون﴾ ومنه قولهم كلمته في هذا ألف مرة وهو من باب المبالغة المعروف لغة ولا يعد كذباً لكن يشترط في جوازه أن يكون المكنى عنه بذلك كثيراً في نفسه ويحتمل الحقيقة أيضاً.

لا يُقال: لا يحتملها لأن مقدار الحوض من بكة إلى مطلع الشمس فلا تسع أطرافه آنية بعدد مدر الأرض.

لأنا نقول: إن ما يشرب به منها يذهب ويخلق غيره فلا يلزم أن يكون هذا العدد موجوداً مجتمعاً في أطرافه، أو نقول: إنها بأيدي الملائكة عليهم السلام، والله أعلم.

(عذب فيه من كل شراب) من أشربة الجنة إما بطريق المزج والتركيب أو بأن يكون في كل ناحية منه شراب خاص، والأول أظهر.

• **(وطعم كل ثمار في الجنة)** يحتمل أن يجده الذايقة منفرداً أو مركباً **(من شرب منه شربة لم يظمأ أبداً)** أي لم يعطش. مثله في طريق العامة قال الأبي في كتاب إكمال الإكمال: هذا يدل على أن الشرب منه بعد الحساب وبعد الدخول في الجنة لأنه الذي لا يعطش، وقيل: لا يشرب منه إلاّ من لا يدخل النار، وقال العياض: الظاهر أن كل الأمة يشرب منه إلاّ المرتد ثم من يدخل النار بعده يحتمل أن لا يعذب فيها بالعطش بل بغيره.

(وذلك من قسمي له وتفضيلي إياه) على ساير الرسل، في القاموس: القسم: العطاء وفي لفظة «من» دلالة على أن هذا بعض من عطاياه الكثيرة وتفضلاته الجزيلة.

(على فترة بينك وبينه) الفترة ما بين الرسولين وهي هٰهنا خمسمائة عام عندنا وستمائة عام عندهم كما مرَّ في حديث نافع **(يوافق سره علانيته)** مع الله ومع الخلق كلهم وهو أعظم أركان الإيمان ينتفي الإيمان بانتفائه رأساً **(وقوله فعله)** التوافق بين القول والفعل دائماً في الأمور الحقة دليل على حد الكمال في القوة النظرية والعلمية، والتخالف بينهما دليل على الفساد في القوة العقلية **(لا يأمر الناس إلاّ بما يبدأهم به)** تأكيداً للسابق ودليل على أن الأمر بالشيء ينبغي أن يكون فاعلاً له لئلا يتوجه إليه التوبيخ والذم والمقت في قوله تعالى **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾** وقوله تعالى **﴿لِمَ تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾** وفيه مفاسد كثيرة ذكرنا بعضها في كتاب العلم **(دينه الجهاد في عسر ويسر)** وان قلوا وكثر الأعداء، وتقديم العسر لتقدمه في الواقع.

(ينقاد له البلاد) أي أهلها، على حذف المضاف أو إطلاق المحل على الحال **(ويخضع له صاحب الروم)** مع كثرة عساكره وهو من باب ذكر الخاص بعد العام **(على دين إبراهيم)** أي على أصول دينه وآدابه المستمرة **(يسمي عند الطعام)** هي سنة مؤكدة روي عن أبي عبد الله عليه السلام: **«إن**

الرجل إذا أراد أن يطعم طعاماً فأهوى بيده فقال: بسم الله والحمد لله رب العالمين، غفر الله عز وجل له قبل أن تصل اللقمة إلى فيه» (ويفشي السلام) كان ﷺ يسلم على كل من لقي من صغير وكبير ووضيع وشريف لحسن خلقه **(ويصلي والناس نيام)** كثرة صلاته حتى تورمت قدماه مشهورة **(له كل يوم خمس صلوات متواليات)** يجيء بعضها بعد بعض بعدية مخصوصة **(ينادي إلى الصلاة كنداء الجيش بالشعار)** المراد به النداء بالأذان والإقامة، والشعار بالكسر: نداء في الحرب يعرف به أهلها ومنه أنه ﷺ جعل شعارهم يوم بدر: يانصر الله اقترب اقترب، ويوم أحد: يانصر الله اقترب، وكانت هذه الكلمة علامة بينهم بها يتعارفون.

(يفتتح بالتكبير ويختم بالتسليم) ظاهره وجوب التسليم وخروج النية **(ويصفّ قدميه في الصلاة كما تصف الملائكة أقدامها)** صف القدمين أمر مطلوب في الصلاة وهو كما يفهم عن بعض الأخبار وضع إحداهما جنب الأخرى بحيث يكون البعد بينهما قدر شبر أو أربع أصابع مضمومة ويكون رؤوس أصابعهما نحو القبلة وقوله «كما تصف الملائكة» تأكيداً في الحض عليه.

(ويخشع لي قلبه ورأسه) أريد بخشوع القلب دوام ذكره وانقياده والاعتقاد بعجزه وحاجته، وبخشوع رأسه تطامنه أو خشوع لسانه ودوام اشتغاله بالدعاء والتضرع وبسط الحاجة ونحو ذلك أو خشوع قواه الباطنة لأنها في الرأس.

(النور في صدره) أي نور العلم والإيمان **(والحق على لسانه)** أي الكلام الحق والصدق لا يكذب قط صغيراً وكبيراً **(وهو على الحق حيث ما كان)** دوامه على جنس الحق أو على جميع أفراده يستلزم دوامها فيه وهو يستلزم عدم تطرق شيء من الباطل في وقت من الأوقات إليه.

(أصله يتيم ضال برهة من زمانه عما يراد به) من إجراء أحكام دينه وحدوده والاشتغال بهداية الناس والجهاد مع الكفار وغير ذلك، والبرهة تضم الزمان الطويل أو أعم وهو مع كونه بياناً للواقع تنبيه على عظم نعمائه تعالى عليه حيث أنه رباه من هذه الحالة الى حالة خضعت له بها قلوب الخلائق وأعناق الجبابرة.

(تنام عيناه ولا ينام قلبه) لكونه محلاً للوحي ومشغولاً بالرب ومحفوظاً عن الحدث. وظاهره أن هذه الحالة كانت له قبل البعثة وبعدها وأمكن تخصيصها بما بعدها، وهذا مذكور في كتاب الحجة أيضاً وشرحناه هناك على وجه يندفع التنافي بينه وبين ما رواه المصنف في كتاب الصلاة في باب من نام عنها من أنه (صلى الله عليه وآله) نام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس.

(له الشفاعة) لأمته وللأمم السابقة (وعلى أمته تقوم الساعة) إذ لا نبي بعده (ويدي فوق أيديهم) عند بيعتهم وعهدهم معه، وهذا من باب التخييل والتمثيل أو المراد باليد يد الرسول ﷺ

أضيفت إليه تعالى للتشريف والتعظيم وهو مروي.

(ومن نكث فإنما ينكث على نفسه) أي من نقض العهد فإنما ينقضه على نفسه لعود ضرره إليه لا إلى غيره. **(ومن أوفى بما عاهد عليه)** من الإيمان به والعمل بما جاء به ونصرته في الحروب بالنفس والمال **(أوفيت له بالجنة)** يُقال وفى بالعهد وأوفى ووفى إذا أتمه وأكمله وأتى به كما هو حقه.

(فمر ظلمة بني إسرائيل أن لا يدرسوا كتبه) درس الرسم عفى، ودرسه الريح لازم متعد، والضمير في كتبه راجع إلى محمد ﷺ، والجمع إما للتعظيم أو لاشتمال كتابه على جميع ما في الكتب السابقة أو أُريد به القرآن وغيره ومما كتبوه سماعاً منه ﷺ **(ولا يحرفوا سنته)** من التحريف لا من الإحراق كما في بعض النسخ **(وأن يقرئوه السلام)** في القاموس: قرأ عليه السلام بلغه كأقرأه، ولا يُقال أقرأه إلاّ إذا كان السلام مكتوباً **(فإن له في المقام شأناً من الشأن)** أي في مقام الشفاعة أو مقام القرب أو مقام القيامة أو مقام ظهوره عليه السلام والشأن: الخطب والأمر والحال، والتنكير للتعظيم.

(يا عيسى كل ما يقربك مني) من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة والحكم البالغة والعلوم النافعة **(فقد دللتك عليه)** وهديتك إليه فخذها إليك **(وكل ما يباعدك مني فقد نهيتك عنه فارتد لنفسك)** أي اطلب لنفسك ما هو خيرٌ لك من هذين الأمرين، وارتد: أمر من الارتياد وهو طلب الشيء بالتفكر فيه مرة بعد أخرى كالرود والرياد، ومنه المراودة.

(يا عيسى إن الدنيا حلو) الحلو بالضم: نقيض المر، إشارة به إلى وجه اغترار الناس بالدنيا وانخداعهم منها لحلاوة متاعها وزهراتها في بادي نظرهم فمالت إليها نفوسهم، وأما عند أولي الأبصار فهي مخلوطة بالأكدار أو آيلة إليها وما من أحد يتعرض لها إلاّ ويجدها متضمنة لمكاره شديدة ويجد في حلاوتها مرارة كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في ذمها.

(وقد أمرّ) أي صار مراً منها ما كان حلواً وكدر منها ما كان صفواً.

(وإنما استعملتك فيها) أي طلبت العمل منك فيها للآخرة **(فجانب منها ما حذرتك منه)** لأنه مع كونه معصية موجبة للبعد عن سبيل الحق والعمل للآخرة **(وخذ منها ما أعطيتك عفواً)** أي بغير مسألة تقول: أعطيته عفواً أي بغير مسألة وهو دليل على كمال العناية والشفقة وترغيب في الأخذ به.

(يا عيسى انظر في عملك نظر العبد المذنب الخاطىء) أي كما أن ذلك العبد ينظر في ذنبه ويتذلل ويتملق عند مولاه لعله يتجاوز عن تقصيره فانظر أنت أيضاً في عملك وعد نفسك مقصرة فيه وتذلل عند مولاك الحق طلباً للتجاوز عن تقصيرك **(ولا تنظر في عمل غيرك بمنزلة الريب)**

أي الشك والتهمة في تقصيره فيه بل ظن أنه أتى به بقدر الإمكان، وفي بعض النسخ: «بمنزلة الرب» أي بمنزلة المربي والمتمم له باعتقاد النقصان فيه، وهذا قريب مما روي «**أن من خصال العاقل أن يرى الناس كلهم خيراً منه وأنه شرهم في نفسه**».

(**فكن فيها زاهداً، ولا ترغب فيها فتعطب**) أصل الرغبة فيها سبب للرغبة عن الآخرة خصوصاً إذا كانت الرغبة مع لوازمها مثل صرف العمر فيما لا يعني، وتشتت القلب وقساوته وطول الأمل والغفلة عن الحق وغيرها من الرذائل اللازمة للدنيا، وكل ذلك يوجب العطب وخسران الأبد.

(**يا عيسى اعقل وتفكر**) العقل: الإدراك، تقول: عقلت الشيء عقلاً من باب ضرب إذا أدركته وتدبرته، ومن باب تعب لغة، ثم أُطلق على المدرِك بالكسر، ولهذا قال بعض الناس: العقل غريزة يتهيأ به الإنسان إلى فهم الخطاب. والتفكر تردد القلب بالنظر والتدبر والرؤية لطلب معرفة الشيء أوله وآخره وحسنه وقبحه ونفعه وضره وخيره وشره.

(**وانظر في نواحي الأرض كيف كان عاقبة الظالمين**) أمر بالعبرة من أحوال الظالمين حيث كانوا في جنات وعيون وزروع ومقام كريم مع أنصار وأولاد وأحفاد واحترام عظيم قد أخذهم الله تعالى بتخريب ديارهم وتقلب أحوالهم وتدمير أدبارهم وتقطيع آثارهم وغير ذلك من بأس الله وصولاته ووقايعه ومثلاته فصاروا بحيث لم يبق منهم إلاّ اسم ولا من ديارهم إلاّ رسم، مأخوذين بأعمالهم مقيدين بسلاسل أفعالهم مغلولين بأغلال أطوارهم مشغولين بالحسرة والندامة محرومين عن الرحمة والكرامة، فإن من تفكر في هذا حصلت له ملكة الانزجار عن حلال الدنيا فضلاً عن حرامها وفضيلة الانقطاع عن خلاف الأولى فضلاً عن الظلم بأهلها.

ثم رغّبه في الأخذ بوصيته وقوله مع الوعيد بالعذاب على تركه بقوله: (**يا عيسى كل وصفي لك نصيحة وكل قولي لك حق**) أي كل ما بينته لك نصيحة خالصة وكل ما قلته لك حق ثابت لا ريب فيه، فوجب عليك الأخذ به (**وأنا الحق المبين**) أبان الشيء: ظهر، وأبانه: أظهره وأوضحه لازم متعد، فعلى الأول أشار إلى ظهور وجوده، وعلى الثاني أشار إلى أنه أظهر جميع ما يحتاج إليه الخلق في كمالهم وبينه لهم، والغرض على التقديرين هو الحث على اتباع قوله و«نصحه».

(**فحقاً أقول لئن أنت عصيتني بعد أن أنبأتك مالك من دوني ولي ولا نصير**) وعيدٌ عظيم للعالم التارك لعلمه بأن عقوبته أشد وأقوى وهو باللوم أجدر وأحرى من الجاهل، وقد دل عليه كثير من الروايات.

(**يا عيسى أذل قلبك بالخشية**) قد مرَّ أنها تابعة للعلم بالله وأنها إذا حصلت لأحد تبعثه على القيام بالعبودية ورعاية الآداب وأداء وظايف الطاعات وترك المنهيات والتقصير في شيء من

الحقوق فهي أصل لقبول النصايح ولذلك أمر بها مراراً **(وانظر إلى من هو أسفل منك ولا تنظر إلى من هو فوقك)** لأن ذلك يسهل أمر الدنيا والصبر على الفايت منها والرضا عن الرب بما أعطاه والحمد والشكر له بخلاف النظر إلى الفوق وقد مرَّ وسيجيء أيضاً، وهذا أصل عظيم لترك الدُّنيا والرضا بالمقدر.

(واعلم أن رأس كل خطيئة أو ذنب هو حب الدُّنيا) الخطايا والذنوب كلها ـ مثل الكبر والحرص والحسد والزنا والرئاسة والعداوة والقتل وترك الأوامر للراحة وفعل المناهي للشهوة وغير ذلك ـ تابعة لحب الدُّنيا منبعثة من الميل إليها والخطيئة أعم من الذنب لأن ترك الأولى وخلاف المروة خطيئة وليس بذنب وفيه زجر عن حب الدُّنيا والركون إليها، وبالغ فيه فقال: **(فلا تحبها فإني لا أحبها)** لأن العاقل المحب لله تعالى لا يحب ما لا يحبه ويبغضه، ومن وجوه عدم حبه تعالى للدُّنيا أنه لا يعصى إلاّ فيها، وأنها تخدع عباده بزهراتها وتمنعهم عما يوجب القرب منه.

(يا عيسى أطب لي قلبك) أمره بتفريغ قلبه عما سواه وتطهيره عن الأخلاق الذميمة وتقويته بالأخلاق الفاضلة **(وأكثر ذكري في الخلوات)** لأنه في الخلوة أقرب إلى القبول والكمال وأبعد من الرياء والسمعة والاختلال وإلاّ فذكره مطلوب في جميع الأحوال، ولما كان الذكر أصلاً لكل ما يتقرب به أمر به وبإكثاره مكرراً.

(واعلم أن سروري أن تبصبص إليّ) التبصبص: التملق يُقال: تبصبص الكلب بذنبه إذا حركه، وإنما يفعل ذلك من خوف أو طمع، ونسبة السرور إليه تعالى باعتبار إرادة لازمة وهو الرضا وإضافة الخيرات **(كن في ذلك حياً ولا تكن ميتاً)** أراد به حياة النفس بالتوجه إليه والاشتغال به عن غيره.

(يا عيسى لا تشرك بي شيئاً) نهاه عن الشرك الجلي والخفي كمتابعة الهوى، إن الشرك لظلمٌ عظيم **(وكن مني على حذر)** أمره بالحذر من عقوبته وخذلانه لأنه تعالى رقيبٌ عليه يعلم سراير قلوبه كما يعلم ظواهر أعماله فوجب الحذر منه والتحرز من مخالفته.

(ولا تغتر بالنصيحة) أي بنصيحتي لك وخطابي إياك كما يغتر جليس السلطان بخطابه أو بالعمل بنصيحتي كما يغتر العامل بعمله ويعجب به فإن ذلك يفسده، وفي بعض النسخ بالصحة.

(ولا تغبط نفسك) أي لا تتمن نفسك ما في يد أهل الدُّنيا من متاعها من الغبطة وهي تمني نعمة لا تتحول عن صاحبها وفعلها من باب ضرب وسمع أو لا تفرح بمتاع الدنيا ومنه الاغتباط وهو الابتهاج بالحال الحسنة والسرور بها **(فإن الدنيا كفيء زايل)** نفّر عن الدنيا بتشبيهها بالفيء في سرعة الزوال أو في أنه ليس بشيء ثابت حقيقة أو في الاستظلال به قليلاً ثم الارتحال عنه كالمسافر أو في أنه يزول بالتدريج ويفنى آناً فآناً ويرى ساكناً والدنيا كذلك.

(وما أقبل منها كما أدبر فنافس في الصالحات جهدك) المراد بما أقبل الزمان المستقبل، شبهه بما أدبر وهو الزمان الماضي في الانقضاء وعدم البقاء أو في عدم الاقتدار على العمل فيه أو في عدم وجودك فيه، فارغب في الأعمال الصالحة بقدر الطاقة والمكنة في الآن الذي أنت فيه وهو عمرك حقيقة أو المراد به الآن المذكور، والوجه هو الأول والعاقل اللبيب إذا نظر في هذا الكلام وعمل بمضمونه وراقب نفسه خلص من آفات الدنيا والآخرة.

(وكُن مع الحق حيثما كان) المراد بالحق إمّا الله تعالى أو الخيرات الدنيوية والأُخروية التي أمر الله عز وجل بها وبالتزامها.

(وإن قطعت وأحرقت بالنار فلا تكفر بي بعد المعرفة) نهى عن الارتداد والكفران بعد المعرفة والإيمان بوعيد المنكرين وتعذيب الكافرين والتقية منهم لأن المعرفة والإيمان أمر قلبي لا تقية فيه، نعم يجوز التقية في الأقوال والأعمال الظاهرة كما هو صريح بعض الروايات مع إمكان اختصاصه عليه السلام بعدم جواز التقية فيها أيضاً.

(ولا تكن مع الجاهلين) الذين ركنوا إلى زهرات الدُّنيا وشهوات النفس والأهواء الباطلة واللذات الزايلة وأحكام الجهالة وطرق الضلالة، وفي بعض النسخ: «ولا تكونن من الجاهلين» والأول أنسب بقوله.

(فإن الشيء يكون مع الشيء) فالصالح مع الفاسق فاسق والعالم مع الجاهل جاهل لأن علة الفسق والجهالة مسرية وصحبة الهالك والضال مردية، ولو فرض تخلصه من ذلك فهو عند الناس مثلهم في الضلالة والغواية، وفي بعض النسخ: «السيء» بالسين المهملة في الموضعين.

(يا عيسى صب لي الدموع من عينيك واخشع لي بقلبك) طلب الجمع بين الأمرين خشوع القلب ودموع العينين إذ به يقطع العبد منازل الاشتياق ويصل إلى مقام القرب ويتخلص من ألم الفراق والخشوع وهو تفريغ القلب عن غيره تعالى، وصرف الهمة إلى جميع ما يتقرب به يوجب التذلل والخوف من التقصير والبقاء في منزل الحرمان وموضع الخسران والبعد عن المحبوب الحقيقي وبذلك يتحرك القلب ويجد ويتحرق ويغلي ويتصاعد الرطوبات وتنصب من العينين.

(يا عيسى استغث بي في حالات الشدة فإني أغيث المكروبين وأُجيب المضطرين) استغاث به طلب منه العون والنصرة في رفع الكرب والشدة فأغاثه إغاثة أي أعانه ونصره وكشف عنه شدته ورفع عنه كربته فهو مغيث **(وأنا أرحم الراحمين)** دل على أن الإغاثة والإجابة بفضل رحمته.

*** الأصل:**

٤٢ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن منصور بن يونس، عن

عنبسة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إذا استقرّ أهل النار في النّار يفقدونكم فلا يرون منكم أحداً فيقول بعضهم لبعض، ﴿مالنا لا نرى رجالاً كُنّا نعدُّهم من الأشرار * أتّخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار﴾**[1] **قال: وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إنّ ذلك لحقٌّ تخاصم أهل النار﴾ يتخاصمون فيكم فيما كانوا يقولون في الدُّنيا.**[2]

*** الشرح :**

قوله (إذا استقر أهل النار في النار يفقدونكم) فقدته فقداً من باب ضرب وقعد: عدمته، فهو مفقود وفقيد وتفقدته طلبته عند غيبته.

(١) سورة ص : ٦٣ .
(٢) الكافي: ٨ / ١٢٤ .

حديث إبليس

*** الأصل :**

٤٣ـأبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبّار. عن صفوان، عن يعقوب ابن شعيب قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: **من أشدّ الناس عليكم ؟** قال: قلت: جعلت فداك كلٌّ، قال: **أتدري ممّ ذاك يا يعقوب ؟** قال: قلت لا أدري جعلت فداك، قال: **إنّ إبليس دعاهم فأجابوه وأمرهم فأطاعوه ودعاكم فلم تجيبوه وأمركم فلم تطيعوه فأغرى بكم النّاس.**(١)

*** الشرح :**

قوله (حديث إبليس) في إغوائه الناس على الشيعة وإرادة إيصال المكروه إليهم (قال قلت جعلت فداك كلّ) أي كل في غاية الشدة وكمالها حتى لا يمكن أن يُقال بعضهم أشد من بعض (قال **إن إبليس دعاهم فأجابوه وأمرهم فأطاعوه**) أي دعاهم إلى ترك ولاية أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين (**فأجابوه وأمرهم**) بطاعة أئمة الجور (**فأطاعوه**) فأغرى بكم الناس، أغراه به إذا أولعه وأغرى بينهم العداوة ألقاها كأنها ألزقها بهم والغراء بالكسر ما يلصق به معمول من الجلد وقد يعمل من السمك.

*** الأصل :**

٤٤ـعليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا رأى الرّجل ما يكره في منامه فليتحوّل عن شقّه الذي كان عليه نائماً وليقل: **﴿إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارّهم شيئاً إلاّ بإذن الله﴾**(٢) ثم ليقل: «**عذت بما عاذت به ملائكة الله المقربون وأنبياؤه المرسلون وعباده الصّالحون من شرّ ما رأيت ومن شرّ الشيطان الرّجيم**».(٣)

*** الشرح :**

قوله (**إذا رأى الرجل ما يكره في منامه فليتحول عن شقه الذي كان عليه نائماً**) أي إذا رأى ما يهوله ويفزعه ويشوشه، وقد مرَّ أن ذلك من الشيطان، ولعل أمره بالتحول ليتم تيقظه وللتفوّل بتحول الرؤيا عن تأويلها المكروه وأنها لا تضر، وقد ورد نظير ذلك من طريق العامة عن النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) الكافي: ٨ / ١٢٤. (٢) سورة المجادلة : ١٠ . (٣) الكافي: ٨ / ١٢٤.

قال: **«الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات وليتعوذ من شرها وليتحول عن جنبه الذي كان عليه»** والنفث والبصق بمعنى واحد ولعل النفث هو طرد للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهه واسترذال له كما يبصق على الشي المستقذر **(وليقل إنما النجوى من الشيطان..)** إذا قال ذلك أذهب الله سبحانه عنه الفزع والتشويش وما دل عليه المنام من الأمر المكروه، كما جاء أن الصدقة تدفع البلاء إذا فعل ذلك مصدقاً متكلاً على الله سبحانه في دفع المكروه.

*** الأصل:**

٤٥ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن محبوب، عن هارون بن منصور العبديّ، عن أبي الورد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام في رؤياها الّتي رأتها: قولي: «أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقربون وأنبياؤه المرسلون وعباده الصالحون من شرّ ما رأيت في ليلتي هذه أن يصيبني منه سوء أو شيء أكرهه» ثمّ انقلبي عن يسارك ثلاث مرّات.**(١)

*** الشرح:**

(ثم انقلبي عن يسارك ثلاث مرات) انقلبي من الانقلاب في النسخ التي رأيناها، وثلاث مرات متعلق بـ«قولي»، وفيه أن الانقلاب إنما هو عن الشق الذي وقع النوم عليه كما مرَّ لا عن اليسار إلاّ إذا ثبت أنها (عليها السلام) كانت تنام على اليسار وهو كماترى، والظاهر أنه تصحيف اتفلي بالتاء المثناة الفوقانية، والفاء من التفل وهو شبيه بالبزق وقد تفل يتفل ويتفل، ويؤيده ما روي من طريق العامة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: **«الرؤيا الصالحة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلاّ من يحب وإذا رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها ولا يحدث بها أحداً فإنها لا تضره»** ولهم روايات متكثرة في هذه المعنى إلاّ أن في بعضها فلينفث ثلاثاً وفي بعضها فليبصق والتفل والنفث والبصق بمعنى واحد، والتفاوت بالقلة والكثرة، كما يفهم من كلام الجوهري وكون ذلك على اليسار لأنها محل الشيطان والأقذار وقيل يحتمل أن يجعل الله تعالى ذلك التفل ما يطرد به الشيطان ويبعده.

(١) الكافي: ٨ / ١٢٥.

حديث محاسبة النفس

*** الأصل :**

٤٦ ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، وعليّ بن محمد جميعاً، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داوُد المنقريّ، عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربّه شيئاً إلاّ أعطاه فلييأس من النّاس كلّهم ولا يكون له رجاء إلاّ من عند الله عز ذكره، فإذا علم الله عز وجلّ ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلاّ أعطاه، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها فإنّ للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقداره ألف سنة، ثمّ تلا: ﴿في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة ممّا تعدّون﴾**[1] .[2]

*** الشرح :**

(حديث محاسبة النفس) بصرفها عن المقابح وحبسها على المحاسن.

(**إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلاّ أعطاه فلييأس من الناس كلهم..**) دلت الروايات المعتبرة على أن من له رجاء إلى مخلوق وجعله معتمداً لحصول رجائه وكله الله إليه فلو دعا الله حينئذ فقد جعله شريكاً له في قضاء الحوائج وكل عمل له ولشريكه يرده إلى شريكه لأنه تعالى لا يقبل إلاّ ما خلص له.

(**فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا عليها**) جعل الله العقل والنفس تاجرين شريكين في التجارة للآخرة والعمر رأس المال والطاعة والقرب ودخول الجنة ربحها، والبعد وخلود النار خسرانها، وجعل العقل لاتصافه بالأمانة أميراً رقيباً حاكماً على النفس الأمارة لاتصافها بالخيانة ولذلك خاطبه بقوله بك أُثيب وبك أُعاقب كما في كتاب العقل.

وجعل النفس تابعة له في تلك التجارة لأنه يستعين بها وبقواها والباطنة والظاهرة التي هي بمنزلة الخدم لها في تلك التجارة، كما يستعين التاجر الدنيوي بشريكه ثم يحاسبه الله تعالى لكونه الشريك الأعظم في مواقف القيامة التي هي موقف المعرفة وموقف الإيمان وموقف الرسالة وموقف الولاية وموقف الصلاة وموقف الزكاة وغيرها من الحقوق والطاعات فوجب على العقل أن يُحاسب النفس في أوان التجارة ليأمن من خيانتها ويجعلها مطمئنة ويسهل له الحساب في مواقف

---

(١) سورة الحج : ٤٧ . (٢) الكافي: ٨ / ١٢٥ .

القيامة أو يتخلص منه، وحقيقة تلك المحاسبة أن يضبط عليها أعمالها وحركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها ولا يغفل عن مراقبتها ويصرفها إلى الخيرات ويزجرها عن المنهيات ويعاتبها ويجاهدها ويعاقبها فإن رأى أنها مالت إلى كسب معصية أو ترك طاعة يوبخها بأن ذلك من الحمق والجهل بالله وبأمر الآخرة وبعقوباتها وخسرانها ويجاهدها حتى ترجع عنه إلى الخير ويعاقبها بترك كثير من المباحات وتحميل كثير من المندوبات ويضيق عليها لينقطع ميلها إلى فعل المنهيات وترك المفروضات وهكذا يفعل بها في حال جميع الاكتسابات حتى تصير منقادة مطمئنة تصلح أن تخاطب بيا **﴿أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾** ويتخلص من حساب يوم القيامة (**فإن للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقداره ألف سنة ثم تلا «في يوم كان مقداره خمسين** [هكذا] **ألف سنةٍ مما تعدون**) يفهم منه أن مدة المواقف يوم وأن مقدار ذلك اليوم خمسين ألف سنة من سني الدنيا، وهذا ينافي ظاهر قوله تعالى **﴿وإن يوماً عند ربك كألفِ سنة مما تعدون﴾** وظاهر قوله فيما سبق «واعبدني ليوم كألف سنة مما تعدون» .

ورفع هذه المنافاة بعض المحققين بأن يوم الآخرة وسنيها أمر موهوم وبينه بأن يوم الآخرة لا يمكن حمله على حقيقته إذ اليوم المعهود عبارة عن زمان طلوع الشمس إلى مغيبها وبعد خراب العالم على ما نطقت به الشريعة لا يبقى ذلك الزمان فتعين حمل اليوم على مجازه وهو الزمان المقدر بحسب الوهم القايس لأحوال الآخرة إلى أحوال الدُّنيا وأيامها إقامة لما بالقوة مقام ما بالفعل وكذلك السنة وحينئذ قوله تعالى **﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾** وفي موضع **﴿كان مقداره ألف سنة﴾** إشارة إلى تلك الأزمنة الموهومة لشدة أهوال أحوال الآخرة وضعفها وطولها وقصرها وسرعة حساب بعضهم وخفة ظهره وثقل أوزار قوم آخرين وطول حسابهم، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى **﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾** قال هو يوم القيامة جعل الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وأراد أن أهل الموقف لشدة أهوالهم يستطيلون بقاءهم فيها وشدتها عليهم حتى تكون في قوة ذلك المقدار، وعن أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله ﷺ: في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة ما طول هذا اليوم؟ قال «**والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة تصليها في الدُّنيا**» وهذا يدل على أنها يوم موهوم وإلاّ لما تفاوت في الطول والقصر إلى هذه الغاية.

*** الأصل:**

٤٧ ـ وبهذا الإسناد، عن حفص، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **من كان مسافراً فليسافر يوم السبت فلو أنّ حجراً أزيل عن جبل يوم السبت لردّه الله عزّ وجلّ إلى موضعه من تعذّرت عليه الحوائج**

فليلتمس طلبها يوم الثلاثاء فإنه اليوم الذي ألان الله فيه الحديد لداوُد عليه السلام.(١)

*** الشرح:**

قوله (**قال من كان مسافراً فليسافر في يوم السبت**) أي من أراد السفر وقد يُراد من الفعل الاختياري مباديه كما في قوله تعالى «**فإذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم**» أي إذا أردتم القيام إليها ويوم الثلاثاء بالمد والضم.

*** الأصل:**

٤٨ ـ وبهذا الإسناد، عن حفص، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **مثل النّاس يوم القيامة إذا قاموا لربّ العالمين مثل السهم في القرب ليس له من الأرض إلاّ موضع قدمه كالسهم في الكنانة لا يقدر أن يزول هاهنا ولا هاهنا.**(٢)

*** الشرح:**

قوله (**مثل الناس يوم القيامة إذا قاموا لرب العالمين مثل السهم في القرب**) أي في قرب بعضهم من بعض وفي بعض النسخ في القرن وهو بالتحريك جعبة من جلود تشق وتحرز وتجعل فيها السهام وإنما تشق كي تصل الريح إلى الريش فلا يفسد (**ليس له من الأرض إلاّ موضع قدمه كالسهم في الكنانة**) الكنانة بالكسر جعبة السهام.

*** الأصل:**

٤٩ ـ وبهذا الإسناد، عن حفص قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام يتخلّل بساتين الكوفة فانتهى إلى نخلة فتوضأ عندها ثمّ ركع وسجد فأحصيت في سجوده خمسمائة تسبيحة. ثمّ استند إلى النخلة فدعا بدعوات، ثم قال: يا [أبا] حفص إنها والله النخلة التي قال الله جل وعزّ لمريم عليها السلام ﴿**وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً**﴾.(٣)

*** الشرح:**

قوله (**يتخلل بساتين الكوفة**) أي يدخل بينها وفي خلالها.

(**وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً**) الهز الإمالة والتحريك بحذب ودفع والباء زائدة للتأكيد، و «تساقط» مجزوم بعد الأمر، وفاعله ضمير النخلة وأصله تتساقط أدغمت التاء الثانية في السين، ورطباً تميز، قال القاضي: روى أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأساً وخوصاً ورطباً، وتسليها بذلك لما فيه من المعجزات

---

(١) الكافي: ٨ / ١٢٦.   (٢) الكافي: ٨ / ١٢٦.   (٣) الكافي: ٨ / ١٢٦.

الدالة على براءة ساحتها وأن مثلها لا يتصور لمن ارتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على أن من قدر أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر أن يحبلها من غير فحل فقال وإنه ليس ببدع من شأنها.

*** الأصل:**

٥٠ ـ حفص، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قال عيسى عليه السلام اشتدّت مؤونة الدُّنيا ومؤونة الآخرة أمّا مؤونة الدُّنيا فإنّك لا تمدّ يدك إلى شيء منها إلاّ وجدت فاجراً قد سبقك إليها وأمّا مؤونة الآخرة فإنّك لا تجد أعواناً يعينونك عليها.**(١)

*** الشرح:**

قوله (**اشتدت مؤونة الدُّنيا ومؤونة الآخرة**) المؤونة الثقل وهي إما على وزن فعولة بفتح الفاء والجمع مؤونات مثل مقولة ومقولات أو على وزن فعلة بضم الفاء والجمع مؤن مثل غرفة وغرف.

*** الأصل:**

٥١ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن يونس بن عمّار قال سمعت: أبا عبد الله عليه السلام يقول: **أيّما مؤمن شكا حاجته وضرّه إلى كافر أو إلى من يخالفه على دينه فكأنّما شكا الله عز وجلّ إلى عدو من أعداء الله، وأيّما رجل مؤمن شكا حاجته وضرّه إلى مؤمن مثله كانت شكواه إلى الله عزّ وجلّ.**(٢)

*** الشرح:**

قوله (**أيما مؤمن شكا حاجته وضره إلى كافر..**) مثله قول أمير المؤمنين (عليه السلام): **«من شكا الحاجة إلى مؤمن فكأنما شكا إلى الله ومن شكاها إلى كافر فكأنما شكا الله»**، قيل: والوجه في ذلك أن المؤمن من حزب الله والشاكي إليه يجعله وسيلة يتوسل به إلى الله سبحانه والكافر من أعداء الله فالشكاية إليه شكاية عن الله حيث أظهر سره إلى عدوه، والأول محمود إلاّ عند المتوكلين، قال الله تعالى حكاية عن يعقوب: **﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾** وقال «تشتكي إلى الله» والثاني مذموم شرعاً وعقلاً.

*** الأصل:**

٥٢ ـ ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إنّ الله عز وجلّ أوحى إلى سليمان بن داوُد عليهما السلام أنّ آية موتك أنّ شجرة تخرج من بيت المقدس يُقال لها: الخرنوبة، قال: فنظر سليمان يوماً فإذا الشجرة الخرنوبة قد طلعت من بيت المقدس فقال لها: ما**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٢٦.

(٢) الكافي: ٨ / ١٢٦.

اسمك ؟ قالت: الخرنوبة، قال: فولّى سليمان مدبراً إلى محرابه فقام فيه متّكئاً على عصاه فقبض روحه من ساعته، قال: فجعلت الجنُّ والإنس يخدمونه ويسعون في أمره كما كانوا وهم يظنّون أنّه حيّ لم يمت، يغدون ويروحون وهو قائمٌ ثابت حتى دبّت الأرضة من عصاه فأكلت منسأته فانكسرت وخرّ سليمان إلى الأرض أفلا تسمع لقوله عز وجلّ: ﴿فلمّا خرّ تبيّنت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾.(١)

*** الشرح :**

قوله (**إن آية موتك أن شجرة تخرج من بيت المقدس يُقال لها الخرنوبة**) الخروب بالتشديد وقد يفتح: شجرة برية ذات شوك وخمل كالتفاح لكنه بشع وشامية ذات خمل كالخيار شنبراً إلاّ أنه عريض وله رب وسويق، والخرنوب بالضم لغة فيه (**وهو قائم ثابت حتى دبت الأرض**) في بعض النسخ: دنت بالنون (**من عصاه فأكلت منسأته فانكسرت وخر سليمان عليه السلام إلى الأرض**) الأرضة بالتحريك دابة معروفة تأكل الخشبة والمنسأة كمكنسة العصا من نسأت البعير إذا طردته لأنه يطرد بها (**أفلا تسمع لقوله عز وجل ﴿فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾**) زعموا أنهم يعلمون الغيب وكانوا يدعونه عند الناس فأظهر الله تعالى كذبهم فإنهم لو علموا الغيب لعلموا موته حين وقوعه فلم يلبثوا بعده حولاً في العذاب المهين.

*** الأصل :**

٥٣ ـ ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **أخبرني جابر بن عبد الله انّ المشركين كانوا إذا مرّوا برسول الله صلى الله عليه وآله حول البيت طأطأ أحدهم ظهره ورأسه هكذا وغطّى رأسه بثوبه لا يراه رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله عز وجل: ﴿ألا أنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرّون وما يعلنون﴾**(٢) .(٣)

*** الشرح :**

قوله (**إن المشركين كانوا إذا مروا برسول الله صلى الله عليه وآله حول البيت طأطأ أحدهم ظهره ورأسه هكذا**) أي حنى ظهره وعطفه وخفض رأسه وهكذا إشارة إلى صورة فعله ولعل صدور هذا الفعل منه لكمال عداوته إن كان قبل النهي عن دخول المشركين في المسجد، أو للخوف من النبي صلى الله عليه وآله إن كان بعده ثم هذا الفعل يمكن أن يكون قبل الهجرة وبعدها في طواف العمرة أو في حجة الوداع، والآية على التقادير مكية، وعلى الأخيرين يمكن أن يُراد بالمشركين المنافقون كما ذهب إليه بعض

---

(١) الكافي: ٨ / ١٢٦. (٢) سورة سبأ : ١٤ . (٣) الكافي: ٨ / ١٢٧.

المفسرين، ولا يرد عليه ما أورده القاضي من أن هذا القول منظور فيه لأن الآية مكية والنفاق إنما حدث في المدينة فليتأمل **(يعلم ما يسرون)** من الشرك والعداوة والنفاق **(وما يعلنون)** من قبايح الأعمال وفضايح الأفعال والأقوال فيجزيهم على كل منهما.

*** الأصل:**

٥٤ ـ ابن محبوب، عن أبي جعفر الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **إن الله عز وجل خلق الجنة قبل أن يخلق النار وخلق الطاعة قبل أن يخلق المعصية وخلق الرّحمة قبل الغضب وخلق الخير قبل الشر[١] وخلق الأرض قبل السماء وخلق الحياة قبل الموت وخلق الشّمس قبل القمر وخلق النور قبل الظلمة.**[٢]

*** الشرح:**

قوله **(إن الله خلق الجنة قبل أن يخلق النار وخلق الطاعة قبل أن يخلق المعصية)** كان المراد بالخلق التقدير دون[٣] الإيجاد والتكوين لأن الإيجاد لا يصح في بعض المذكورات كالطاعة والمعصية عند أرباب العصمة عليهم السلام ولعل تعلق التقدير أولاً بالأمور المقدمة باعتبار أنها أشرف، وهذا ظاهر في غير الأرض والسماء ويمكن أن يُقال الأرض أيضاً أشرف [٤] من حيث إنها مهد

---

(١) قوله «وخلق الخير قبل الشر» إشارة إلى قاعدة معروفة بإمكان الأشرف في فن المعقول. وكل شيء هو أشرف وأكمل لابد أن يكون أقرب إلى الله تعالى ولذلك يقولون أول ما خلق الله العقل لأن العقل أشرف مما ليس بعاقل، والروحانيون خلقوا قبل الجسمانيين لأنهم أشرف وهكذا ثم أن الغضب والمعصية والشر وأمثالها مجعولة بالعرض وما بالعرض مؤخر عما بالذات، والله تعالى خلق الناس وركب فهم أسباب الطاعة، ومنها أنه خلقهم مختاراً وجعل فيهم الشهوة والغضب وهما من أسباب الطاعة أيضاً فصرفهما العبد بمقتضى الاختيار في معصية الله تعالى ولم يجعل الله هذه الطبايع لمعصية الله تعالى بل للطاعة فصرفها إلى المعصية بالعرض.

والاختيار مجعول في جبلة الناس لمصلحة بعناية الله تعالى وهو خير ذاتاً، وصرفه إلى المعصية والشر بالعرض، وهذا مذهب الإلهيين، وأما الماديون والملاحدة فيعتقدون خلاف ذلك وهو أن الحياة متأخرة عن المواد الجامدة وإنما حصلت بتركيب العناصر والعقل متأخر عن الحياة المطلقة وإنما وجد في الإنسان بخاصية ومزاج في دماغه ولو لم يكن تركيب وجسم وعناصر لم يكن عقل، وبالجملة العقل والحياة عند هؤلاء عرض من أعراض الأجسام ولم يكن أول الخلقة عقل ولا حياة وكان الموت قبل الحياة والظلمة قبل النور وهكذا. (ش)

(٢) الكافي: ٨ / ١٢٧.

(٣) قوله «كان المراد بالخلق التقدير» قال المجلسي رحمه الله :خلق الطاعة أي قدّرها قبل المعصية وتقديرها وكذا في الفقرتين بعدها. (ش)

(٤) قوله ويمكن أن يُقال الأرض أيضاً أشرف، وعلى هذا فيعم الكلام خلق الأشرف قبل غيره لأن السماء ليس

للإنسان أحياء وأمواتاً ومعبد للأنبياء والأوصياء والصلحاء وفيها معاشهم والسماء مخلوقة لأجلهم كما دل عليه ظاهر الآيات والروايات ثم الترتيب بين التقديرات المتقدمة وكذا بين التقديرات المتأخرة غير ظاهر ولا مستفاد من هذا الحديث لأن الواو لمطلق الجمع والتقديم الذكري غير مفيد.

*** الأصل:**

٥٥ ـعنه، عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **إنّ الله خلق الخير يوم الأحد وما كان ليخلق الشرّ قبل الخير وفي يوم الأحد والاثنين [١] خلق الأرضين، وخلق أقواتها في يوم**

شراً بل هي أشرف من وجه الأرض أشرف من وجه وقال الله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ ولولا شرفها بالنسبة لم يكن معراج النبي صلى الله عليه وآله فخراً له وشرفاً ولم يكن الجنة في السماء ولم يمنع المعاندون من السماوات كما قال تعالى: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة﴾ ولعل المراد بالسماوات التي هي أشرف غير ما هو مؤخر في الخلق هنا فإن السماوات إطلاقات واختلفت الروايات وظاهر الآيات في خلق السماوات قبل الأرضين أو بعدها، والأمر سهل. (ش)

(١) قال البيضاوي: أي في مقدار يومين أو بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما يكون، ولعل المراد بالأرض ما هو جهة السفل من الأجرام البسيطة ومن خلقهما في يومين أنه خلق لها أصلاً مشتركاً ثم خلق لها صوراً بها صارت أنواعاً، انتهى.

أقول: خلق الأرض والسماء وما فيها في ستة أيام مذكور في التوراة، والمقصود منه بيان حكمة تقسيم الأسبوع والحكم بتشريع يوم للراحة في كل سبعة أيام وكيف اختير هذا العدد في شرايع الأنبياء ولم يكن عند الفرس وغيرهم يوم في ترتيب الأعداد بل كان عيد العجم في كل يوم ينطبق اسمه مع اسم الشهر فقط كيوم فروردين في شهره ويوم خرداد في شهر خرداد. وكان لليهود سبت سنوي يعطلون المزارع والأراضي في كل سبع سنين سنة واحدة فذكر الله تعالى هذه المناسبة بأن الله تعالى خلق ما خلق في ست نوب فاعملوا أنتم في ستة أيام أو في ست سنين ورأى الله المصلحة في إبقاء هذا التقسيم في شريعة عيسى عليه السلام وشريعتنا فبقي الأُسبوع والعمل ستة أيام وأن تغير يوم الراحة. وقال تعالى بعدد ذكر الخلق ستة أيام في سورة السجدة وكون خلق الأرض واقواتها في أربعة أيام ﴿سواء للسائلين﴾ وأن حفظ هذا الإصطلاح صلاح للناس كما في ساير الأمور، والعلماء وأصحاب الفنون متوافقون عليه مثلاً قسموا الدائرة على ستين وثلاثمائة جزءاً وسموه درجة وكان تقسيمه بغير هذا الطريق ممكناً لأنهم استحسنوه وحفظ من جاء بعدهم اصطلاحهم لئلا يتشوش الحسابات في الأدوار المختلفة ويفهم كل واحد ما قاله الآخر ولا يحتاج إلى الحسابات المعضلة في تقدير المقادير كماترى في تطبيق الرطل والمن والصاع والدرهم على المقادير التي غيرها الناس في كل زمان، وقال الله تعالى ﴿سواءً للسائلين﴾ إشارة إلى هذه المصلحة العامة وإلاّ فالذي يقابل الليل في العربي الفصيح الصريح هو النهار، ولذا لاترى في القرآن الكريم في مقابلة الليل إلاّ لفظ النهار ففي كل موضع تجد الليل والنهار ولا تجد اليوم والنهار في موضع البتة وأما، اليوم فكثيراً ما يطلق على الوقت المطلق مثل: ﴿إن يوماً عند ربك كألف سنة﴾ وكذلك يُقال يوم الفجار أي أيام حرب الفجار ويوم داحس أي زمان هذه الحرب ودامت أربعين

الثلاثاء، وخلق السّماوات يوم الأربعاء ويوم الخميس وخلق أقواتها يوم الجمعة وذلك قوله عزّ وجلّ:﴿خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستّة ايام﴾.[١][٢]

*** الشرح :**

قوله (**إن الله خلق الخير يوم الأحد وما كان ليخلق الشر قبل الخير**) يمكن أن يُراد بالخير هنا الجنة وبالشر النار، وقد فسر الخير والشر بهما بعض المحققين كما أشرنا إليه في شرح التوحيد، وأن يُراد بالخلق هنا التكوين إذ لا مانع منه ويؤيده قوله **﴿خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾** إذ الظاهر من الخلق فيه التكوين والإيجاد (**وفي الأحد والاثنين خلق الأرضين وخلق أقواتها في يوم الثلاثاء..**) لعل المراد بالقوت هنا كل ما ينتفع به ذو روح وإن اشتهر إطلاقه على ما يؤكل وبأقوات السماوات أسباب الأقوات المقدرة فيها لأهل الأرض كالمطر ونحوه والإضافة فيهما بتقدير «في» أو لأدنى ملابسة.

لا يُقال: أيام الأسبوع وأسماؤها إنما تحققت بعد خلق السماوات والأرضين فكيف تكون قبلها.

لأنا نقول: هذه الأيام كانت في علم الله تعالى فنزّل العلم منزلة المعلوم أو نُزل الزمان الموهوم بمنزلة الموجود[٣] فأجري عليه حكمه.

سنة وهكذا فسّر ﴿فذكّرهم بأيام الله﴾ أي الأوقات التي أنعم فيها على بني إسرائيل، وهكذا على ما ذكر أهل التفسير، وفي تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى في ستة أيام أي في ستة أوقات وفي يومين أي في وقتين ابتداء الخلق وانقضاؤه. انتهى قوله (ش)

(١) الكافي: ٨ / ١٢٧.

(٢) سورة الأعراف : ٥٤.

(٣) «نزل الزمان الموهوم بمنزلة الموجود». أقول أما الزمان الموجود بمقتضى كلام الشارح فمتفرع على خلق السماوات والأرضين وأما الزمان المقدم عليه فهو موهوم، والمراد بالموهوم في اصطلاح أهل العلم ما ليس له حقيقة في الخارج وإنما يتصوره الإنسان في ذهنه مثل أن يفرض بين جسمين متصلين ألف فرسخ أو يتصور بين آخر النهار وأول الليل بعده ألف سنة وأما الذي لا يتوقف حقيقته على تصور الإنسان وهو ثابت محقق سواء تصوره أم لا فليس موهوماً، مثلاً بين الأرض والقمر ستون ألف فرسخ سواء علمه وتصوره أحد أو لم يتصوره، وهذا أمر حقيقي واقعي وإن كان الفضاء خالياً باعتقاد أهل عصرنا وليس موهوماً، كذلك بين مبدأ تاريخ النصارى والهجرة النبوية الشريفة ٦٢٢ سنة في الواقع سواء تصوره أحد أم لم يتصوره، والموهوم أن يتصور بينهما يوماً واحداً أو ألف سنة خلاف الواقع وإلاّ لم يكن فرق بين الحقيقي والموهوم، هذا وأما أكثر العوام فيعتقدون الزمان شيئاً موجوداً بذاته لا يمكن فرض عدمه عندهم كما يعتقدون الفضاء الخالي كذلك فهم قائلون بنوع من تثليث الواجب: الأول هو الله تعالى الحي القيوم خالق كل شيء. الثاني الفضاء والمكان الخالي فيعتقدون أنه كان موجوداً بذاته وإنما خلق ساير الأشياء وجعلت فيه. الثالث الزمان هو أيضاً كان موجوداً قبل خلق الأشياء وهذا رأي بعض الفلاسفة القدماء وبعض أهل الدين والمتشرعين مع اتفاقهم

* **الأصل:**

٥٦ ـ ابن محبوب، عن حنان، وعلي بن رئاب، عن زرارة قال: قلت له: قوله عزّ وجلّ: **﴿لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾**[١] قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: **يا زرارة إنّه إنّما صمد لك ولأصحابك فأمّا الآخرون فقد فرغ منهم.**[٢]

* **الشرح:**

قوله (**لأقعدن لهم صراطك المستقيم**) أي لأرصد لهم كما يرصد قطاع الطريق، للقافلة، والصراط المستقيم الإيمان ونصبه على الظرف (**ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين**) أي لآتينهم من جميع الجهات الممكنة وهي هذه الأربع لإضلالهم وإغوائهم بأي وجه يمكن من الماليات والفروج والآمال والأعمال والتدليسات وغير ذلك مما لا يحصى من طرق وساوسه كما يأتي قاطع الطريق القافلة من هذه الجهات، وعن ابن عباس من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدُّنيا، أو عن أيمانهم وعن شمائلهم من قبل الحسنات والسيئات، وقيل: لم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لأن الإتيان منه يوحش، والحق أنه لم يقلهما جرياً على المعتاد من إتيان العدو على عدوه. (**فقال أبو جعفر عليه السلام يا زرارة إنما صمد لك ولأصحابك**) يعني أن اللعين قصد بذلك الشيعة ويؤيده قعوده على الصراط المستقيم والمخالفون خارجون عنهم فلا يكون قعوده لهم (**فأما الآخرون فقد فرغ منهم**) لأنه أخرجهم عن الدين فلا يبالي بأعمالهم التي تصير في الآخرة هباءً منثوراً.

* **الأصل:**

٥٧ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، والحسين بن سعيد جميعاً،

معهم في المعنى يعتذرون بأن المكان والزمان موهومان وإذا تكلمت معهم واستخرجت دخلة رأيهم وجدتهم لا يلتزمون بموهوميتهما بل يرونهما أمراً حقيقياً سواء تصور أحد معناهما أم لا ويقدرونهما بالمقادير الحقيقية، وأما الفلاسفة فقد اختلفوا في أمر المكان والزمان جداً ونقل أقوالهم في الشفاء ولا فائدة في نقلها، وقال المجلسي رحمه الله في فوائد الحديث: إن الزمان ليس بمقدار حركة الفلك كما زعمت الفلاسفة وهو أعلم بما قال فإنا لا نعلم من الفلاسفة إلاّ الاختلاف، وما ذكره قول بعضهم، ورد عليه أبو البركات، وهو منهم، بما هو أضعف من كل رأي وقال بعضهم: الوجود بنفسه سائل متحرك وليس هنا موضع تحقيق هذه الأمور (ش).

(١) سورة الأعراف: ١٧.

(٢) الكافي: ٨ / ١٢٧.

عن النضر ابن سويد، عن يحيى بن عمران الحلبي، عن عبد الله بن مسكان، عن بدر بن الوليد الخثعمي قال: دخل يحيى بن سابور على أبي عبد الله عليه السلام ليودّعه فقال له أبو عبد الله عليه السلام: **أما والله إنّكم لعلى الحقّ وإن من خالفكم لعلى غير الحقّ، والله ما أشكّ لكم في الجنّة وإنّي لأرجو أن يقرّ الله لأعينكم عن قريب.**(١)

*** الشرح:**

قوله **(وإني لأرجو أن يقر الله بأعينكم إلى قريب)** أي يبرد الله دمعة أعينكم وهو كناية عن الفرح والسرور لأن دمعتهما باردة، ولعل المراد به ظهور الصاحب أو ظهور منازلهم في الجنّة عند الاحتضار.

*** الأصل:**

٥٨ـ يحيى الحلبيّ، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير قال: قلت: جعلت فداك أرأيت: الرادّ عليّ هذا الأمر فهو كالرادّ عليكم؟ فقال: **يا أبا محمد من ردّ عليك هذا الأمر فهو كالرادّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الله تبارك وتعالى، يا أبا محمد إنّ الميّت** [منكم] **على هذا الأمر شهيدٌ**، قال: قلت: وإن مات على فراشه؟ قال: **أي والله وإن مات على فراشه حيٌّ عند ربّه يرزق.**(٢)

*** الشرح:**

قوله **(يا أبا محمد إن الميت منكم على هذا الأمر شهيد)** أي مشهود له بالجنة وهو أحد الوجوه في تسمية الشهيد شهيداً، أو المراد أن له ثواب الشهداء وهذا هو الأظهر بالنظر إلى قوله **(وإن مات على فراشه)** وإلى قوله **(حي عند ربه يرزق)** فإنه إشارة إلى قوله تعالى **﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون فرحين﴾** لأن هذه الفضيلة مختصة بالشهداء والأحاديث على ذلك كثيرة، منها ما سيأتي، ومنها قول أمير المؤمنين عليه السلام: **«ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم** [يعني الجهاد] **فإن من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً وقع أجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت البينة مقام إسلاله لسيفه»** قال بعض المحققين: هذا بيان لحكمهم في زمان عدم قيام إمام الحق لطلب الأمر وتنبيه لهم على ثمرة الصبر وهو ان من مات منهم على معرفة الحقوق المذكورة والاعتراف بها وقصد الاقتداء بأئمة الحق لحق بدرجة الشهداء ووقع أجره على الله بذلك واستحق الثواب منه على ما أتى به من الأعمال والصبر على المكاره من الأعداء وقامت

---

(١) الكافي: ٨ / ١٢٧.
(٢) الكافي: ٨ / ١٢٨.

نيته أنه من أنصار الإمام لو قام لطلب الأمر وأنه معينه مقام تجرده بسيفه معه في استحقاق الأجر.

* **الأصل:**

٥٩ ـ يحيى الحلبيّ، عن عبد الله بن مسكان، عن حبيب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **أما والله ما أحدٌ من النّاس أحبّ إليّ منكم وإنّ الناس سلكوا سبلاً شتّى فمنهم من أخذ برأيه ومنهم من اتّبع هواه ومنهم من اتّبع الرّواية إنّكم أخذتم بأمر له أصل فعليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى واحضروا مع قومكم في مساجدهم للصلاة أما يستحيي الرّجل منكم أن يعرف جاره حقّه ولا يعرف حقّ جاره.**(١)

* **الشرح:**

قوله (**أما والله ما أحد من الناس أحب إليّ منكم**) أراد به ما يفهم عرفاً وهو حصر محبته على الشيعة لا أن محبتهم زائدة على محبة غيرهم.

(**وإن الناس**) وهم المخالفون (**سلكوا سبلاً شتى**) أي مشتتة متفرقة لأن طرق الضلالة متكثرة (**فمنهم من أخذ برأيه ومنهم من اتبع هواه ومنهم من اتبع الرواية**) الرأي: العقل والتدبير أي أخذ أمور دينه بعقله وتدبيره وظنه وتقديره حتى كأنه واضع لها، والهوى بالقصر: مصدر هويته من باب علم إذا أحببته وعلقت به ثم أطلق على ميل النفس إلى الشيء مطلقاً، ثم استعمل في ميل مذموم فيُقال فلان اتبع هواه وهو من أهل الأهواء أي اتبع مخاطرات نفسه الأمارة بالسوء كالقياس ونحوه مما ليس دليلاً على الحكم الشرعي ويجعله دليلاً عليه وبذلك يحلل حراماً ويحرم حلالاً فيخترع ديناً آخر. والمراد بالرواية الرواية المنقولة عن أهل الفسق والجور كأبي هريرة وأضرابه.

(**وإنكم أخذتم بأمر له أصل**) لعل المراد بالأمر الدين وبالأصل الإمام المنصوب من قِبل الله تعالى وقبل رسوله ويمكن أن يراد بالأمر ولاية الأئمة عليهم السلام وبالأصل النص بها (**فعليكم بالورع**) عن المحرمات (**والاجتهاد**) في الطاعات وفيه ترغيب في تكميل القوة النظرية والعملية (**واشهدوا الجنايز وعودوا المرضى**) الظاهر شمولهما لجنايزهم ومرضاهم أيضاً (**واحضروا مع قومكم في مساجدهم للصلاة**) معهم في صورة الجماعة ظاهراً وان تحقق الانفراد باطناً كما دل عليه بعض الروايات، مع الترغيب بأنه يخرج مع ثواب صلاتهم.

(**أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حق جاره**) أمر بحسن الجوار ورعاية حقوق المجاورة وذلك بالكف عن أذاه والإحسان إليه والصفح عنه وفعل ما فيه رضاه وقد

---

(١) الكافي: ٨ / ١٢٨.

مرَّ تفصيلاً.

❊ الأصل:

٦٠ ـ عنه، عن ابن مسكان، عن مالك الجهني، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: **يا مالك أما ترضون أن تقيموا الصّلاة وتؤتوا الزّكاة وتكفّوا وتدخلوا الجنة؟ يا مالك إنّه ليس من قوم ائتمّوا بإمام في الدّنيا إلاّ جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلاّ أنتم ومن كان على مثل حالكم، يا مالك إنّ الميّت والله منكم على هذا الأمر لشهيد بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله.**[١]

❊ الشرح:

قوله **(وتكفوا وتدخلوا الجنة)** أي تكفوا ألسنتكم عن الأقوال الفاسدة وأنفسكم عن الأفعال الباطلة، وفيه حث على لزوم الصالحات لأنها الصراط المستقيم للجنة.

❊ الأصل:

٦١ ـ يحيى الحلبي، عن بشير الكناسيّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **وصلتم وقطع الناس، وأحببتم وأبغض الناس وعرفتم وأنكر الناس وهو الحقّ إن الله اتّخذ محمّداً صلى الله عليه وآله عبداً قبل أن يتّخذه نبيّا وإنّ علياً عليه السلام كان عبداً ناصحاً لله عزّ وجلّ فنصحه وأحبّ الله عزّ وجلّ فأحبّه، إن حقّنا في كتاب الله بيّنٌ، لناصفو الأموال ولنا الأنفال وإنّا قوم فرض الله عز وجلّ طاعتنا وإنّكم تأتمّون بمن لا يعذر النّاس بجهالته وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهليّة، عليكم بالطاعة فقد رأيتم أصحاب علي عليه السلام، ثم قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في مرضه الذي توفي فيه: ادعوا لي خليلي فأرسلتا إلى أبويهما فلمّا جاءا أعرض بوجهه ثمّ قال: اُدعوا لي خليلي، فقالا: قد رآنا لو أرادنا لكلّمنا، فأرسلتا إلى علي عليه السلام فلمّا جاء أكبّ عليه يحدّثه ويحدّثه حتى إذا فرغ لقياه، فقالا: ما حدّثك؟ فقال: حدّثني بألف باب من العلم يفتح كلّ باب إلى ألف باب.**[٢]

❊ الشرح:

قوله (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول) في مدح الشيعة وذم المخالفين **(وصلتم)** بالإمام الحق بعد النبي صلى الله عليه وآله **(وقطع الناس)** عنه **(وأحببتم)** أي الرسول وعترته والإمام المنصوب بعده من قبله **(وأبغض الناس)** إياهم **(وعرفتم)** حق الإمام ووجوب التسليم له **(وأنكر الناس)** جميع ذلك.

(وهو الحق) لعل المراد أن كل واحد من الوصل والحب والمعرفة الحق الثابت لكم في العهد

---

(١) الكافي: ٨ / ١٢٨. (٢) الكافي: ٨ / ١٢١٨.

الأول أو أنه تعالى هو الحق يحكم بينكم وبينهم.

(إن الله اتخذ محمداً ﷺ عبداً) موفياً لأداء العبودية وحقوقها **(قبل أن يتخذه نبياً)** لعل الغرض منه هو التنبيه على أن العبودية هي الأصل المطلوب من كل أحد ولا يتحقق مع إنكار شيء من الحقوق والولاية أعظمها.

(وإن علياً عليه السلام كان عبداً ناصحاً لله عز وجل فنصحه) نصحه لله تسديد حقوقه وحقوق رسوله وحقوق المسلمين، ونصحه تعالى له هو الأمر بحفظ شرائعه ومواعظه ونصايحه وأوامره ونواهيه وغير ذلك مما جاء به الرسول **(وأحب الله عز وجل فأحبه)** حقيقة محبة العبد له وبالعكس أمر يعرف ولا يعرف وقد يعرف الأول بأنها القيام بوظائف الطاعات والإتيان بأنواع القربات والاشتغال به عن جميع الأغيار والتسليم له في جميع الأحوال، والثانية بأنها اجلاسه في بساط القرب والعز والسعادة وإهداؤه آناً فآناً أنواعاً من التفضل والإحسان والكرامة، وهذا تعريف لهما بشيء من آثارهما.

(إن حقنا في كتاب الله) كما دلت عليه آية ذوي القربى وغيرها وقد مرّ مشروحاً بيناً **(لنا صفو الأموال ولنا الأنفال)** مرّ مشروحاً في آخر كتاب الحجة **(وإنّا قوم فرض الله عز وجل طاعتنا)** على العباد كلهم في آية **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** وغيرها مما ذكر مشروحاً في كتاب الحجة وغيره **(وقال رسول الله ﷺ: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية)** أي مات ميتة كفر وضلال ونفاق، وهذا الحديث متفق عليه بين الأمة ولهم تأويلات ركيكة فاسدة بيّنا فسادها في شرح كتاب الحجة.

(عليكم بالطاعة) أي بطاعة علي عليه السلام أو مطلقاً **(فقد رأيتم أصحاب علي عليه السلام)** هم الذين تشرفوا بصحبته أو الخواص من شيعته مطلقاً والمراد بالرؤية الرؤية القلبية وهي العلم بأحوالهم من الورع والتقوى والاجتهاد في الأعمال الصالحة فعليكم الأسوة بهم.

(ادعوا لي خليلي) هو الصديق وصاحب السر **(ثم قال ادعوا لي خليلي فقالا قد رآنا)** فيه اختصار أي فأرسلتا إلى أبويهما فقالا أو قال ﷺ هو علي عليه السلام إلّا أن الحسد والعداوة وحب الدُّنيا حملتهما على ما صنعتا. **(فقال حدثني بألف باب من العلم يفتح كل باب إليّ ألف باب)** حقيقة علوم هذه الأبواب أعني ألف ألف باب وحقيقة تفاصيلها وتفاصيل الجزئيات المندرجة فيها لا يعلم إلاّ الله ورسوله وأوصياء رسوله، ثم هذا التحديث والتعليم والتعلم لم يكن في صور جزئية كما هو المعروف فينا بل لصفاء نفسه القدسية على طول صحبته حين كان طفلاً إلى أن توفي الرسول ﷺ حتى استعدت للانتقاش بالعلوم الإلٰهية والأمور الغيبية والصور الكلية والجزئية دفعة

واحدة كما تنتقش الصور في المرآة عند محاذاتها، قال الغزالي في رسالة العلم اللدني: قال علي أمير المؤمنين: «**إن رسول الله ﷺ أدخل لسانه في فمي فانفتح في قلبي ألف باب من العلم فتح لي كل باب ألف باب**».

*** الأصل:**

٦٢ ـ عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الهيثم بن أبي مسروق النهدي، عن موسى بن عمر بن بزيع قال: قلت للرّضا عليه السلام: **إنّ الناس رووا أنّ رسول الله ﷺ كان إذا أخذ في طريق رجع في غيره، فهكذا كان يفعل؟ قال: فقال: نعم فأنا أفعله كثيراً فافعله، ثمّ قال لي: أما إنّه أرزق لك.**[1]

*** الشرح:**

قوله (ثم قال لي أما إنه أرزق لك) أما لأنه تعالى جعل الرجوع على هذا النحو سبباً لزيادة الرزق بالخاصية أو جعل لكل قطعة من الأرض بركة وسبباً لرزق عباده فربما يكون في طريق آخر بركة لم تكن في الأول أو لأن الأرض تفرح بمشي المؤمن على ظهرها فيدعو له الطريق الآخر في الخير والبركة والزيادة كما دعا له الأول فيوجب له زيادة الرزق أو لأن الراجع قد يجد في الآخر من الرزق ما لم يوجد في الأول.

*** الأصل:**

٦٣ ـ سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك؛ عن عبد الله بن جبلة، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك الرّجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه فأسأله عن ذلك فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات فقال لي: **يا محمد كذّب سمعك وبصرك عن أخيك فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم، لا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به، وتهدم به مروءته فتكون من الذين قال الله في كتابه ﴿ إنّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾** [2].

*** الشرح:**

قوله **(يا أبا محمد كذّب سمعك وبصرك عن أخيك)** نظيره ما روي من طريق العامة عن النبي ﷺ قال «**رأى عيسى بن مريم عليه السلام رجلاً يسرق فقال له عيسى سرقت قال كلا والذي لا إله إلاّ هو فقال عيسى آمنت بالله وكذبت نفسي**» **(فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدقه وكذبهم)** القسامة بالفتح الأيمان، وهؤلاء الذين يقسمون على دعواهم يسمون قسامة

---

(١) الكافي: ٨ / ١٢٩. (٢) الكافي: ٨ / ١٢٩.

أيضاً، والمقصود أنه إن شهد عندك خمسون رجلاً مع حلفهم بالله أن مؤمناً فعل كذا وقال كذا وقال لك ذلك المؤمن إني لم أفعله أو لم أقله فصدقه وكذبهم، ولعل المراد بتصديقه تصديقه ظاهراً والإغماض عنه وعدم المؤاخذة به والإذاعة عليه لا الحكم بأنه صادق في نفس الأمر لأنه قد يحصل العلم بخلاف ذلك بتلك الشهود خصوصاً مع إيمانهم أو بالإبصار أو بالاستماع منه، والحاصل أنه إن صدرت من المؤمن بالنسبة إليك مثلاً زلات واغتياب أو غير ذلك مما تكرهه ثم اعتذر إليك فاقبل عذره أو انكر فصدقه، وإن شهد لك شهود ثقات مع إيمان مغلظة شفقة له وتقرباً من الله وأما إن صدرت منه بالنسبة إلى الله تعالى أو إلى أحد غيرك فربما وجب عليك أداء الشهادة عليه عند الحاكم وإن لم يجز لك تغييره وإذاعة عثراته بين الناس، وإن شئت زيادة توضيح فارجع إلى ما ذكرنا في باب الغيبة وباب من طلب عثرات المؤمن وباب الرواية عليه وباب التعبير من كتاب الكفر والإيمان (لا تذيعن عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروءته) الإذاعة: الإفشاء والشين خلاف الزين، شأنه من باب باع عابه وعيّره، والإذاعة حرام الّا ما استثنى .

(فيكون من الذين قال الله في كتابه **﴿ إنّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾**) الفاحشة ما وقع النهي عنه مطلقاً وقد تخص بما يشتد قبحه .

قال بعض المحققين: الوعيد في إذاعة فاحشة من لم يُعرف بأذية ولا فساد في الإرض. وأما المعصية الحاضرة فوجبت المبادرة إلى النصيحة والإنكار والمنع منها لمن قدر عليه وليس هذا اذاعة. ويجوز كشف معصية المولع بها إذا سترت غير مرة فلم ينزجر لأن سترها معاونة عليها. ومعصية المعلن بها بل غير المعلن أيضاً إذا احتيج الى أداء الشهادة وذكر العيوب الظاهرة كالعمى والعرج ونحوهما للتعريف لا للتعيير، وجرح الشاهدين والرواة والأمناء على الأوقات والصدقات بذكر معاصيهم عند الحاجة إليه لأنه يترتب عليه أحكام شرعية ويجوز رفعه الى الحاكم إذا كان القصد رفع المعصية لا كشف الستر والإذاعة، والله أعلم .

حديث من ولد في الاسلام

* **الأصل :**

١٢٦ ـ سهل بن زياد ، عن يعقوب بن زيد ، عن عبد ربّه بن رافع ، عن الحجاب بن موسى عن أبي جعفر عليه السلام قال : **من ولد في الاسلام حرّاً فهو عربي ومن كان له عهد فخفر في عهده فهو مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله ومن دخل في الاسلام طوعاً فهو مهاجر** (١).

* **الشرح :**

قوله (حديث من ولد في الاسلام) المراد بالإسلام الإيمان، ويذكر فيه نسب من تولد فيه.

(من ولد في الاسلام حراً فهو عربي) لعل المراد بالعرب محمد رسول الله صلى الله عليه وآله لانه سيد العرب، والنسب صوري ومعنوي، وبعبارة أخرى جسماني وروحاني ، والمراد بهذا النسب المعنوي الروحاني وسيجيء أن النسب الذي يصلح للتفاخر به هو الاسلام.

(ومن كان له عهد) مع النبي صلى الله عليه وآله وأئمة المؤمنين (فخفر في عهده) أي وفى به يقال خفر بالعهد خفارة من باب ضرب إذا وفى به وأخفره إخفاراً نقضه، والهمزة للسلب (فهو مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله). في المصباح: المولى: الحليف وهو المعاهد، ويقال منها تحالفا إذا تعاهدا وتعاقدا على أن يكون أمرهما واحداً في النصرة والحماية، والمولى أيضاً: الناصر من الولاية بالفتح والكسر وهي النصرة.

(ومن دخل في الإسلام طوعا فهو مهاجر) لأنه هاجر من الكفر إلى الإسلام، وهل ينصرف النذر أو الوقف مثلاً الى من صدق عليه المفهوم المصطلح من هؤلاء عند الاطلاق ام لا؟ لم أجد له مستنداً ولا قولاً للأصحاب، وهو محل تأمل .

* **الأصل :**

١٢٧ ـ علي بن إبراهيم ، عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **وأمسى معافى في بدنه آمناً في سربه عنده قوت يومه، فإن كانت عنده الرابعة فقد تمّت عليه النعمة في الدنيا والآخرة، وهو الإسلام** (٢).

* **الشرح :** قوله (من أصبح وأمسى وعنده ثلاث فقد تمت عليه النعمة) في الدنيا لأن نعمة

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٠ . (٢) الكافي: ٨ / ١٣٠.

الدنيا هي رفاهية العيش، ومن كانت له هذه الثلاثة فهو مرفه في كل يوم من أيام عمره، وفيه حث علي شكر هذه النعماءِ وزجر عن همّ قوت غد، لأن الغد ليس من عمرك كالأمس وإنما عمرك هو اليوم الذي أنت فيه، والغد داخل في هذه الثلاثة إن عشت فيه.

(من أصبح وأمسى معافى في بدنه) أي صحيحاً من غير علة (آمناً في سربه) يقال: فلان آمن في سربه ـ بالكسر ـ أي في نفسه، وفلان واسع السرب أي رخي البال، ويروى بالفتح وهو المسلك والطريق، يقال: خل له سربه ـ بالفتح ـ أي طريقه، والمقصود أنه آمن في نفسه وعرضه وماله أو في طريقه يذهب حيث يشاء لا يتعدى عليه أحد ولا يمنعه ولا يظلمه (وعنده قوت يومه) له ولعياله بقدر الكفاف .

*** الأصل:**

١٢٨ ـ عنه ، عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة ، عن أبي عبدالله عليه السلام (عن أبيه عليه السلام) أنّه قال لرجل وقد كلّمه بكلام كثير فقال: **أيّها الرجل تحتقر الكلام وتستصغره ، اعلم أنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يبعث رسله حيث بعثها ومعها ذهب ولا فضّة و لكن بعثها بالكلام وإنّما عرّف الله جلّ وعزّ نفسه إلى خلقه بالكلام والدّلالات عليه والأعلام** [(١)].

*** الشرح:**

قوله (قال لرجل وقد كلمه بكلام كثير فقال أيها الرجل تحتقر الكلام وتستصغره) لما أكثر الرجل الكلام بما لا نفع فيه كأنه أهجر به وزعم أنه سهل ولم يعلم أن الكلام من الأعمال فإن كان صالحاً يوجب المدح والثواب وان كان باطلاً يوجب الذم والعقاب فلذلك ذمه عليه السلام ومنعه عن العود لمثله.

(اعلم أن الله عزوجل لم يبعث رسله حيث بعثها ومعها ذهب ولا فضة) خصهما بالذكر لأنهما عند أهل الدنيا أعظم متاعها (ولكن بعثها بالكلام) المراد به الكتب السماوية ، أو الأعم منها ومما يتكلم به الرسل بالوحي من أحوال المبدأ والمعاد والأحكام والمواعظ والنصايح النافعة في الدنيا والآخرة.

(وإنما عرَّف الله نفسه الى خلقه بالكلام والدلالات عليه والاعلام) لعل المراد بهذا الكلام أسماؤه تعالى كما مرَّ في كتاب التوحيد أنّه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، أو الأعم منه ومما أوحى الى رسله من أمر توحيده وصفاته الذاتية والفعلية

بواسطة أو بدونها كما قال لموسى عليه السلام ﴿أنا الله لا اله إلّا أنا﴾ والمراد بالدلالات اللفظية والكلامية أو الأعم منها و من الآثار وبالأعلام أعلام الاهتداء به مثل الرسل والحجج عليهم السلام أو المعجزات. وفيه تنبيه على عظمة شأن الكلام وعلى أنه ينبغي أن لا يتكلم الرجل إلا بأمر الدين أو بما هو ضروري من أمر الدنيا ويترك اللغو المباح وغيره، وقد مرَّ في باب الصمت في كتاب الكفر والإيمان توضيح ذلك مفصلاً.

*** الأصل:**

١٢٩ ـ وبهذا الاسناد قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: **ما خلق الله جلّ وعزَّ خلقاً إلاّ وقد أمَّر عليه آخر يغلبه فيه وذلك أنَّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق البحار السفلى فخرَّت وزخرت وقالت: أيُّ شيء يغلبني فخلق الأرض فسطحها على ظهرها فذلّت ثمّ قال: إنّ الأرض فخَرَت وقالت: أيُّ شيء يغلبني؟ فخلق الجبال فأثبتها على ظهرها أوتاداً من أن تميد بما عليها فذلّت الأرض واستقرّت، ثمّ إنَّ الجبال فخرت على الأرض فشمخت واستطالت وقالت: أيُّ شيء يغلبني؟ فخلق الحديد فقطعها فقرَّت الجبال وذلّت، ثمَّ إنَّ الحديد فخرت على الجبال وقال: أيُّ شيء يغلبني؟ فخلق النّار فأذابت الحديد فذلّ الحديد، ثمّ إنَّ النّار زفرت وشهقت وفخرت وقالت: أيّ شيّ يغلبني؟ فخلق الماء فأطفأها فذلّت، ثمَّ إنَّ الماء فخر وزخر وقال: أيُّ شيّ يغلبني؟ فخلق الرّيح فحرّكت أمواجه وأثارت ما في قعره وحبسه عن مجاريه فذلّ الماء، ثمَّ إنَّ الريح فخرت وعصفت وأرخت أذيالها وقالت: أيُّ شيء يغلبني؟ فخلق الإنسان فبنى واحتال واتّخذ ما يستتر به من الريح وغيرها فذلّت الريح، ثمّ إنّ الإنسان طغى وقال: من أشدّ منّي قوّة؟ فخلق له الموت فقهره فذلَّ الإنسان؛ ثمّ إنّ الموت فخر في نفسه فقال الله عزّوجل: لاتفخر فإني ذابحك بين الفريقين: أهل الجنّة وأهل النّار ثمّ لاأُحييك أبداً فترجى أوتخاف، وقال أيضاً: والحلم يغلب الغضب، والرحمة تغلب السخط، والصدقة تغلب الخطيئة،** ثمَّ قال أبوعبدالله عليه السلام: **ما أشبه هذا ممّا قد يغلب غيره** (١).

*** الشرح:**

قوله (وبهذا الاسناد قال) أي أبو عبد الله عليه السلام (قال النبي صلى الله عليه وآله: **ما خلق الله عز وجل خلقاً إلّا وقد أمّر عليه آخر**) أمّره عليه تأميراً إذا جعله أميراً (يغلبه فيه) أي في أمره (وذلك أن الله تعالى لما خلق البحار السفلى) هي البحار الّتي على مركز العالم والعليا هي التي في السماء كما دل عليه

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٠.

بعض الروايات والشعب المنقطعة من السفلى على وجه الأرض (فخرت وزخرت) الفخر والافتخار: المباهاة بالقوة والشدة والعظمة وغيرها من المناقب ، والزخور: المد والاستعلاء والارتفاع، يقال: زخر البحر أي مد وكثر ماؤه، وعلا وارتفعت أمواجه (وقالت أي شيء يغلبني) هذا القول منها ومن مثلها إما بلسان الحال أو بلسان المقال إذ لايبعد من القدرة الإلهيّه أن يخلق النطق فيها (فخلق الأرض فسطحها على ظهرها فذلت) سطحه كمنعه بسطه وصرعه وأضجعه، ولعل الغرض من هذا الكلام بيان أن كل قوي غيره تعالى ضعيف، وكل غالب غيره مغلوب، وأن الكبر والافتخار في الممكن سبب لذلّه.

(ثم قال : إن الأرض فخرت) لما رأت من قوتها وغلبتها على البحار (وقالت أى شيء يغلبني) ظناً منها أن لا شيء أقوى وأرفع منها كما يظن ذلك كل متكبر فخور.

(فخلق الجبال فأثبتها على ظهرها) دلّ على أن الأرض خلقت أولاً نقية خالية عن التلال والوهاد والجبال كما دلت عليه أيضاً روايات أخر.

(أوتاداً من أن تميدبما عليها) ما د يميد ميداً إذا تحرك واضطرب ومال كالسفينة الخالية على وجه الماء (فشمخت واستطالت) شمخ الجبل: علا وطال ومنه الرجل الشامخ وهو الرافع أنفه عزاً أو العطف للتفسير، أو من باب ذكر الخاص بعدالعام لأن الفعل بعد الطلب أقوى منه بلا طلب،

(ثم إن النار زفرت وشهقت وفخرت) زفرت النار إذا سُمع لتوقدها صوت، وأصل الزفير إخراج الحمار نفسه بعد مدّه إياه، وشهقت إذا صوتت أو ارتفعت لهباتها، ومنه الشاهق وهو المرتفع.

(ثم إن الريح فخرت وعصفت وأرخت أذيالها) عصفت الريح: اشتدت وأرخت أذيالها إذا مرت على وجه الارض ، وفيه تنبيه على كمال شدتها وحركتها من سطح الأرض إلى جو السماء مع الإشارة بإرخاء الأذيال إلى تكبرها وتفاخرها لأنه كان شأن المتكبرين من العرب.

(ثم إن الإنسان طغى وقال من أشد مني قوة فخلق الله له الموت فقهره فذل الإنسان) أسباب مذلة الإنسان كثيرة غير محصورة وإنما ذكرالموت لأنه أعظمها، ومن العجايب أنهم مع اتصافهم بأنواع من المصايب الدالة على مسكنتهم وعجزهم وذلهم يدّعون التكبر الذي من أخص صفاته تعالى ومن ادعى الشركة معه في أخص صفاته فقد ادعى أنه شريك له.

(ثم إن الموت فخر في نفسه فقال الله تعالى: لاتفخر فإني ذابحك بين الفريقين أهل الجنّة وأهل النار ثم لا أحييك أبداً فترجى أو تخاف) فيرجوك أهل النار ليتخلصوا من عذابهم أو يخاف منك أهل الجنّة خوفاً من زوال ماهم عليه من نعيمها، والذبح يحتمل أن يراد به الحقيقة وأن يكون كناية

عن إزالته وإفنائه، قيل: إذا استقر الخلائق يوم القيامة في منازلهم أهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار يؤتى بالموت على صورة كبش يوقف بين الجنّة والنار وينادي منادٍ يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. فيذبح حينئذ. ويقال: يا أهل الجنّة ويا أهل النار خلودكم في منازلكم بلا انتهاء ولا موت فيحصل بذلك لأهل الجنّة غاية السرور، ولأهل النار نهاية الحسرة والألم، كما يدل عليه قوله تعالى **﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾** قال بعض المفسرين إذا قضي الأمر وهو ذبح الموت وقع أهل النار في الحسرة والندامة ولا ينفعهم ذلك .

أقول: ذبح الموت متفق عليه بين الخاصة والعامة، روى مسلم بإسناده قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح يتوقف بين الجنّة والنار فيقال: يا أهل الجنّة هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال و يقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح ، قال: ثم يا أهل الجنّة خلود فلاموت و يا أهل النار خلود فلاموت، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ **﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾** و أشار به الى الدنيا.

قال عياض وابن الأعرابي: الأملح النقي من البياض ، وقال الكسائي: هو الذي فيه سواد وبياض والبياض أكثر ، وقال صاحب معارج النبوة: كبش أملح «غوچي كه خاكسترگون است» ، قال بعض أهل المعاني: اختلاف اللونين يحتمل أنه لاختلاف الحالين فالبياض لجهة أهل الجنّة الذين ابيضت وجوههم ، والسواد لأهل النار الذين اسودت وجوههم.

وقال محيي الدين: قال الهروي: وأشرب النفاق معناه: ظهر وعلا، وكل رافع رأسه شريب ، وقال محيي الدين: الموت عرض لأنه ضد الحياة، وقال بعض المعتزلة: ليس بمعنى وإنما هو عدم الحياة وهو خطأ لقوله تعالى: **﴿خلق الموت والحياة﴾** وغيره من الأدلة، وعلى المذهبين ـ وإن كان الثاني خطأ ـ فليس الموت بجسم يقع فيه الذبح فيتأول الحديث على أنه تعالى يخلق هذا الاسم ثم يذبح مثالاً لأن الموت لايطرأ على أهل الآخرة، انتهى كلامه ، وقال القرطبي: ظاهر هذا الحديث يستحيل لأن الموت إما عرض أو أمر عدمي، و على الوجهين يستحيل أن ينقلب كبشاً لأن انقلاب الأجناس محال ، وتأول بوجهين أحدهما أن يخلق الله تعالى كبشاً ويخلق فيه الموت فإذا رأوه عرفوه ثم يفعل الله سبحانه فيه فعلاً يشبه الذبح ويعدمه، ذلك الفعل حتى يأمل أهل الجنّة فيزدادوا سروراً وييأس أهل النار فيزدادوا حزناً ، والثاني أنه تمثيل بعدم الموت لأن الموت لما عدم في حق أهل الدارين صار بمنزلة الكبش الذي ذبح، وهذا فيه بعد، والصواب الأول . انتهى كلامه ، وقال الآبي:

والأظهر أنه تمثيل، انتهى .

أقول: لايبعد حمله على ظاهره لأن ما هو عرض في هذا العالم لايبعد أن يكون قائماً بذاته مصوراً بصورة في العالم الآخر بالنسبة الى القدرة القاهرة ، و قد قال الآبي: إن القرآن يصور بصورة إنسان في الآخرة : القرآن يصور بصورة ويجيء بها يوم القيامة ويراها الناس كما تجعل الأعمال صوراً وتوضع في الميزان ويقع فيها الوزن ، والقدرة صالحة لإيجاد كل ممكن، والإيمان به واجب، هذا كلامه بعينه فليتأمل .

*** الأصل :**

١٣٠ ـ عنه ، عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **إنَّ رجلاً أتى النبيَّ صلى الله عليه وآله فقال له : يارسول الله أوصني، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : فهل أنت مستوص إن أنا أوصيتك، حتى قال له ذاك ثلاثاً وفي كلّها يقول له الرجل نعم يا رسول الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: فإني أُوصيك : إذا أنت هممت بأمر فتدّبر عاقبته فإن يك رشداً فامضه وإن يك غيّاً فانته عنه**[١].

*** الشرح :**

قوله (فهل أنت مستوص) أي طالب للوصية قابل لها، وفي كنز اللغة: «استيصاء: اندرز پذيرفتن و نيكو داشتن و اندرز كردن» والأول هو المراد هنا.

(إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته) دبر كل أمر وعاقبته آخره، والتدبر فيه النظر في آخره. وهذا اللفظ وجيز جامع في النصيحة . وإن من فعل أمراً بالتدبر فيه لايتوجه إليه عقوبة ولوم في الدنيا والآخرة.

*** الأصل :**

١٣١ ـ و بهذا الإسناد أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قال : **ارحموا عزيزاً ذلَّ وغنيّاً افتقر وعالماً ضاع في زمان جهّال** [٢].

*** الشرح :**

قوله (ارحموا عزيزاً ذل وغنياً افتقر وعالماً ضاع في زمان جهال) رحمته رحماً بضم الراء ورحمتة ومرحمة إذا رققت له وحننت عليه وعطفت عليه وانما أمر برحمة هؤلاء لأن كل واحد فقد نعمة جليلة ودخل في صعوبة شديدة وبلية عظيمة فهو محل الترحم، وفيه ترغيب في رعايتهم وجبر أحوالهم .

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣١. (٢) الكافي: ٨ / ١٣١.

* **الأصل:**

١٣٢ ـ و بهذا الإسناد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لأصحابه يوماً: **لا تطعنوا في عيوب من أقبل إليكم بمودَّتة ولا توقفوه على سيئة يخضع لها فإنّها ليست من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله ولا من أخلاق أوليائه .**

قال: وقال أبوعبدالله عليه السلام **إنَّ خير ما ورّث الآباء لأبنائهم الأدب لا المال ، فإنَّ المال يذهب والأدب يبقى ،** قال مسعدة: يعني بالأدب العلم .

قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: **إن أُجلت في عمرك يومين فاجعل أحدهما لأدبك لتستعين به على يوم موتك ،** فقيل له: وما تلك الاستعانة؟ قال: **تحسن تدبير ما تخلّف وتحكمه .** قال: وكتب أبوعبدالله عليه السلام إلى الرجل: **بسم الله الرَّحمن الرَّحيم أما بعد فإنَّ المنافق لا يرغب فيما قد سعد به المؤمنون، والسعيد يتّعظ بموعظة التقوى وإن كان يراد بالموعظة غيره** [١].

* **الشرح:**

قوله (لاتطعنوا في عيوب من أقبل إليكم بمودته) طعن فيه وعليه بالقول: من باب قتل، ومن باب منع لغةً: دخل فيه وعتب وعير أي لاتدخلوا في عيوب الناس وأعراضهم ولا تعيروهم بها ولا تفشوها، خصوصاً من أقبل اليكم وأظهر مودته وأخلص لكم محبته وصداقته فإن الطعن في عيوبه يوجب العداوة وزوال المودة وانقطاع المحبة وتبدد النظام والبقاء بلا صديق وفي كل ذلك فساد عظيم ولأن تعييره بالعيب تعيير على الله تعالى وإلقاء المجبنة عليه، ولا فرق في العيوب بين أن تكون خلقية أو خُلقية متعلقة بالأخلاق مثل الجهل والحقد والحسد بالغير ونحوها، أو عملية متعلقة بأعمال الجوارح، نعم لابد في الأخيرتين من النصح والموعظة الحسنة كناية أو صريحاً في الخلق ولا يجوز التعيير على حال كما أشار إليه بقوله (ولا توقفوه على سيئة يخضع لها...) أي لا تسكنوه ولا تقيموه على سيئة فيذل لأجلها عندالله و عند الرسول والأولياء بل ادفعوه عنها وامنعوه منها بالنصح والوعظ فإن السيئة صفة ذميمة ليست من أخلاق الرسول وأوليائه فتجب الأسوة بهم والدخول في زمرتهم ويحتمل أن يراد بالإيقاف الاطلاع، يقال: أوقفه على كذا إذا أطلعه عليه.

(قال مسعدة: يعنى بالأدب: العلم) أريد به العلم النافع في الآخرة وهو علم الدين ومقدماتة وإنما سمي أدباً لأنه يأدب أي يدعو الى مفاخر الدارين ولأنه نور به يهتدي كل عضو إلى ما هو مطلوب منه من الآداب فإن أدب البصر النظر الى ما يجوز وصرفه عما لايجوز وأدب اللسان التكلم

(١) الكافي: ٨ / ١٣١ .

في موضعه المطلوب شرعاً وترك التكلم في غيره وإن كان صادقاً فكيف إذا كان كاذباً وقس عليهما البواقي. (قال تحسن تدبير ماتخلف وتحكمه) في كنز اللغة: «تخليف: واپس گذاشتن ، و احكام استوار كردن و محكم ساختن» ، والموصول شامل لمصالح الدنيا والآخرة، وحسن تدبيرها لا يتحقق بدون العلم والأدب، ومن الاستعانة ما نقل عن بعض أهل العلم أنه قال حين احتضر: جاء الخبيث وألقى عليّ الشبهات والوساوس فأجبت واحدة واحدة حتى أسكته فعلمت أن العلم نفعني حياً وميتاً.

(أما بعد فإن المنافق لا يرغب فيما قد سعد به المؤمنون) السعادة وهي قرب الحق والنجاة من أهوال الآخرة إنما يحصل بالإيمان والموافقة بين القلب واللسان وخلوص عمل الجوارح والأركان، والمنافق لفساد قلبه ونقصان عقله وعدم التدبر في عاقبة أمره لا يرغب في شيء منها.

(والسعيد يتعظ بموعظة التقوى) السعيد وهو الذي يرغب فيما ذكر لصفاء قلبه وكمال عقله وحسن تدبره في مآل أمره يتعظ أي يأتمر ويكف نفسه عما كرهه الله تعالى بموعظة التقوى وهي الكلام الحامل على طاعة الله تعالى الزاجر عن مخالفته على وجه يرقّ له القلب، والاضافة لامية من قبيل إضافة السبب الى المسبب.

(وإن كان يراد بالموعظة غيره) قد اشتهر في الأخبار أن السعيد من اتعظ بغيره، قيل: صار هذا بمنزلة المثل، والمعنى أن السعيد في الدنيا والآخرة من اعتبر حال غيره و يشاهد بعين بصيرته حاله كحاله و يصرف موعظته الى نفسه فيتعظ منها .

* **الأصل** :

١٣٣ ـ عليٌّ بن إبراهيم ،عن أبيه ، عن عليِّ بن أسباط قال : أخبرني بعض أصحابنا عن محمّد ابن مسلم قال : قال أبوجعفر عليه السلام : **يا ابن مسلم النّاس أهل رياء غيركم وذلك أنّكم أخفيتم ما يحبُّ الله عزَّ وجلَّ و أظهرتم ما يحبُّ النّاس، والنّاس أظهروا ما يسخط الله عزَّ وجلَّ وأخفوا ما يحبّه الله ، يا ابن مسلم إنَّ الله تبارك وتعالى رأف بكم فجعل المتعة عوضاً لكم عن الأشربة (الأسرية خ ل)** (١).

* **الشرح** :

قوله (قاله أبو جعفر عليه السلام : **يا ابن مسلم الناس أهل رياء غيركم و ذلك أنكم أخفيتم ما يحب الله وأظهرتم ما يحب الناس، والناس أظهروا ما يسخط الله عزوجل وأخفو ما يحب الله**) أشار عليه السلام

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٢.

بذلك الى حقيقة الإيمان والنفاق وأن الإيمان أمر قلبي هو الإيقان بالله وبرسوله والولاية وبما جاء به الرسول صلى الله عليه و آله، وأن التقية دين الله.

فإن قلت: نحن أخفينا ما يحب الله وأظهرنا ما يحب الناس وهو ما يكرهه الله ويسخط وهم أيضاً أخفوا ما يحب الله و أظهروا ما يسخطه، فما الفرق بينا و بينهم و بين الإخفائين و بين الإظهارين ؟.

قلت الفرق بين الإخفائين أن إخفاء الإيمان أعم من وجوده وعدمه بناء على أن السلب قد يكون باعتبار وجود الموضوع وقد يكون باعتبار عدمه، فإخفاؤه باعتبار وجود الايمان وإخفاؤهم باعتبار عدمه و بين الإظهارين أنا أظهرنا ما يحب الناس ويحبه الله أيضاً لأنه وقع تقية والتقية دين الله أحبها لدفع الشدائد عن عباده، و هم أظهروا ما يسخط الله ظاهراً وفي نفس الأمر، والله أعلم.

• (يا ابن مسلم إن الله تبارك وتعالى رأف بكم فجعل المتعة عوضاً لكم من الأسرية) كأن الياء للنسبة إلى الأسير والتاء باعتبار تأنيث الموصوف وهي الأمة كالأثرية والحنفية في النسبة الى الأثير والحنيف يعني أنه تعالى لما علم أن السرية والأمة في دولة الباطل في يد أهله وأن ليس لكم القدرة على شرائها وحفظها وإنفاقها جعل لكم المتعة عوضاً منها وهي أسهل. وقيل: الأسرية جمع للسرية وهي الأمة المستورة، وهذا الجمع وإن لم يثبت لغة لأن الاسرية جمع سري كغني وهو نهر صغير يجري الى النخل لكن كلام المعصوم هو الأصل انتهى . وفي بعض النسخ «الأشربة» بالشين المعجمة والمراد بها الأشربة المحرمة التي تستحله العامة كالنبيذ والفقاع ونحو هما وفيه تنفير عنها و ترغيب في المتعة .

* **الأصل :**

١٣٤ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن معمر بن خلاَّد قال : قال لي أبوالحسن الرضا عليه السلام : **قال لي المأمون : يا أباالحسن لو كتبت إلى بعض من يطيعك في هذه النواحي التي قد فسدت علينا ، قال : قلت له : يا أمير المؤمنين إن وفيت لي وفيت لك إنّما دخلت في هذا الأمر الذي دخلت فيه على أن لا آمر ولا أنهى ولا اُولّي ولا أعزل وما زادني هذا الأمر الذي دخلت فيه في النعمة عندي شيئاً و لقد كنت بالمدينة وكتابي ينفذ في المشرق والمغرب ولقد كنت أركب حماري وأمرُّ في سكك المدينة وما بها أعزَّ منّي وما كان بها أحدٌ منهم يسألني حاجة يمكنني قضاؤها له إلاّ قضيتها له ، قال : فقال لي : أفي ذلك** (١).

* **الشرح** : قوله (قال لي المأمون يا أبا الحسن لو كتبت الى بعض من يطيعك في هذه النواحي

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٢ .

التي قد فسدت علينا . اهـ) لو للتمني أو للشرط، والجزاء محذوف، وهو «كان أحسن» ونحوه، والمراد بالمفسد من خرج عليه من العلويين في العراق، ولعل هذه القضية غير ما رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناده عن معمر بن خلاد قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: « **قال لي المأمون يوماً يا أبا الحسن انظر من تثق به نوليه بعض هذه البلدان التي قد فسدت علينا. فقلت له: تفي لي وأفي لك فإني إنما دخلت فيما دخلت على أن لا آمر فيه ولا أنهى ولا أعزل ولا أولي ولا أشير حتى يقدمني الله قبلك فوالله ان الخلافة لشيء ما حدثت به نفسي ولقد كنت بالمدينة أتردد في طرقها على دابتي وإن أهلها وغيرهم يسألوني في الحوائج فأقضيها لهم فيصيرون كالأعمام لي وإن كتبي لنافذة في الأمصار ومازدتني في نعمة هي عليّ من ربي. فقال: أفي لك** » .

*** الأصل :**

١٣٥ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفليّ ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **قال النبيُّ صلى الله عليه وآله : حقٌّ على المسلم إذا أراد سفراً أن يُعلم إخوانه و حقٌّ على إخوانه إذا قدم أن يأتوه .**

*** الشرح**[1] **:**

قوله (حق على المسلم إذا أراد سفراً أن يعلم اخوانه . اهـ) لعل المراد بإعلامهم زيارتهم وتوديعهم، ويحتمل الأعم وفيه فوائد كثيرة، منها أن يشايعوه، ومنها أن يدعو له لكثرة مخاطرات السفر، و منها تجديد العهد بهم، ومنها إدخال السرور عليهم، ومنها ازدياد محبتهم، ومنها التشرف بزيارتهم .

*** الأصل :**

١٣٦ ـ و بهذا الإسناد قال : قال النبيُّ صلى الله عليه وآله : **خلّتان كثير من الناس فيهما مفتونٌ : الصحّة والفراغ.**

*** الشرح :**

قوله (خلتان كثير من الناس فيهما مفتون الصحة والفراغ) كما قيل: الفراغ والصحة والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة، والفتنة فيها إما لطغيان النفس لأنهما من الأسباب القريبة له أولترك الشكر عليهما لأنهما من النعماء الجليلة التي يجب الشكر عليها .

*** الأصل :**

١٣٧ ـ و بهذا الإسناد قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : **من عرض نفسه للتهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ ، ومن كتم سرَّه كانت الخيرة (الحياة خ ل)في يده .**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٣ .

*** الشرح :**

قوله (من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن) و نصب إليه ما يسوؤه من الفسوق و غيرها بل ينبغي أن يلوم نفسه و فيه حث على ترك مجالسة الجاهل والفاسق والظالم وترك كل موضع فيه مظنة سوء لايليق بذوي المروة وأهل الدين (ومن كتم سره كانت الحياة في يده) أي من كتم سر نفسه ودينه كانت حياته الدنيوية والأخروية طيب عيشه في يده، ومن أفشاه عرض نفسه للهلاك، وفي بعض النسخ: «الخيرة» وقد مرت أحاديث كتمان السر مع شرحها في كتاب الكفر والإيمان .

*** الأصل :**

* ١٣٨ ـ الحسين بن محمّد الأشعريّ ، عن معلّى بن محمّد ، عن محمّد بن جمهور ، عن شاذان ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال لي أبي: **إنَّ في الجنّة نهراً يقال له : جعفر، على شاطئه الأيمن درَّةٌ بيضاء فيها ألف قصر في كلِّ قصر ألف قصر لمحمد و آل محمد صلى الله عليه وآله وعلى شاطئه الأيسر درَّةٌ صفراء فيها ألف قصر في كلِّ قصر ألف قصر لإبراهيم وآل إبراهيم عليه السلام .**

*** الشرح :**

قوله (إن في الجنّة نهراً يقال له جعفر على شاطئه الأيمن . اهـ) جعفر: النهر الصغير والكبير الواسع ضد ، والنهر الملآن ماء، وفوق الجدول، ولعل المراد بأيمنه أيمنه بالنسبة الى الداخل في الجنّة أو بالنسبة إلى القائم في منبعه أو بكونه أعلى مواضع الجنّة و أشرفها، والأشرف يسمى أيمناً، وإنما بني قصر نبينا صلى الله عليه وآله أبيض، وفي الأيمن لأنه أشرف الأنبياء فينبغي أن يكون قصره أحسن الألوان و في أشرف المكان .

*** الأصل :**

١٣٩ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن عليِّ بن الحكم ، عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **ما التقت فئتان قطُّ من أهل الباطل إلاّ كان النصر مع أحسنهما بقيّة على (أهل) الاسلام** [١].

*** الشرح :**

قوله (ما التقت فئتان قط من أهل الباطل الاكان النصر مع أحسنهما بقية على الإسلام) البقية: الخير والأثر والحالة المستقيمة وعدم المبالغة في الفساد، وفي القاموس: أبقيت ما بيننا: لم أبالغ

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٣ .

في إفساده، والاسم البقية، ونصبها على التميز، والمراد بالفئتين الفئتان من أهل الاسلام كالسلطانين منهم تقاتلا على ملك، وفيه ترغيب في رعاية قوانين الاسلام بأنها تنفع صاحبها مع كونه في الباطل، والفئتان من أهل الكفر أيضاً فإن إحداهما إذا كانت لها حالة مستقيمة على أهل الإسلام بالخير والرأفة وعدم الإفساد كانت النصرة معها .

*** الأصل :**

١٤٠ ـ عنه ، عن أحمد ، عن عليِّ بن حديد ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **جبلت القلوب على حبِّ من ينفعها وبغض من أضرّ بها .**

*** الشرح :**

قوله (جبلت القلوب على حب من ينفعها وبغض من أضرَّ بها) هذا جار في الحيوانات أيضاً، والنفع والضر يشملان الدنيوي والأخروي، وفيه أمر بإيصال النفع و ترغيب فيه بذكر بعض مفاسده والحب يترتب عليه منافع كثيرة والبغض يترتب عليه مضار عظيمة كما لا يخفى على ذوي البصائر.

*** الأصل :**

١٤١ ـ محمّد بن أبي عبدالله ، عن موسى بن عمران ، عن عمه الحسين بن عيسى بن عبدالله ، عن عليِّ بن جعفر ، عن أخيه أبي الحسن موسى عليه السلام قال : **أخذ أبي بيدي ثمَّ قال : يا بنيَّ إنَّ أبي محمّد بن عليّ عليهما السلام أخذ بيدي كما أخذت بيدك وقال : إنّ أبي عليّ بن الحسين عليهما السلام أخذ بيدي وقال : يا بنيَّ! افعل الخير إلى كلٍّ من طلبه منك فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه وإن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله ، وإن شتمك رجلٌ عن يمينك ثمَّ تحوَّل إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره** [١].

*** الشرح :**

قوله (يا بني افعل الخير إلى كل من طلبه منك) الخير يشتمل بذل المال والقول النافع والمشي للحاجة، وهذا من المرغبات الّتي لايتركها أهل الكمال وإلا فيجوز الترك خصوصاً بعد الثلاثة كما دل عليه بعض الروايات مثل مارواه المصنف بإسناده عن علي بن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول في السؤال: أعطوا ثلاثة وإن شئتم أن تزدادوا فازدادوا وإلا فقد أديتم حق يومكم (وإن شتمك رجل عن يمينك وتحوّل الى يسارك فاعتذر اليك فاقبل عذره) أي طلب

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٣.

منك قبول عذره و رفع اللوم عنه والعذر بسكون الذال وضمها للاتباع وفيه ترغيب في الأخلاق الكريمة برفع اللوم عن المعتذر والعفو عنه وتصفية القلب معه .

*** الأصل :**

١٤٢ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب ، عن العلاء بن رزين ، عن محمّد بن مسلم ، والحجّال ، عن العلاء ، عن محمّد بن مسلم قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : **كان كلُّ شيء ماء وكان عرشه على الماء فأمر الله عزَّ ذكره الماء فاضطرم ناراً ثمّ أمر النار فخمدت فارتفع من خمودها دخان فخلق الله عزَّ وجلَّ السماوات من ذلك الدخّان و خلق الله عزَّ وجلَّ الأرض من الرماد ثمَّ اختصم الماء والنّار والريح فقال الماء : أنا جندالله الأكبر وقالت النّار : أنا جندالله الأكبر و قالت الرّيح : أنا جندالله الأكبر ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى الرِّيح أنت جندي الأكبر** (١).

*** الشرح :**

قوله (محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد . اهـ) مرَّ هذا الحديث بعينه متناً وسنداً مع شرحه في حديث أهل الشام فلا نعيده .

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٤ .

حديث زينب العطارة

* **الأصل:**

١٤٣ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عبدالرحمن بن أبي نجران، عن صفوان، عن خلف بن حمّاد عن الحسين بن زيد الهاشميّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاءت زينب العطّارة الحولاء إلى نساء النبيّ صلى الله عليه وآله و بناته وكانت تبيع منهنّ العطر فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله و هي عندهنّ فقال: **إذا أتيتنا طابت بيوتنا،** فقالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله، قال: **إذا بعت فأحسني ولاتغشّي فإنّه أتقى وأبقى للمال،** فقالت: يا رسول الله ما أتيت بشيء من بيعي وإنّما أتيت أسألك عن عظمة الله عزَّ وجلَّ، فقال: **جلَّ جلال الله سأُحدِّثك عن بعض ذلك،** ثمَّ قال: **إنَّ هذه الأرض بمن عليها عند الّتي تحتها كحلقة ملقاة في فلاة قيّ وهاتان بمن فيهما ومن عليهما عند الّتي تحتها كحلقة ملقاة في فلاة قيّ والثالثة حتى انتهى إلى السابعة وتلا هذه الآية ﴿خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهنَّ﴾.**

والسبع الارضين بمن فيهن ومن عليهنَّ على ظهر الديك كحلقة ملقاة في فلاة قيّ والديك له جناحان جناح في المشرق و جناح في المغرب و رجلاه في التخوم، والسبع والدِّيك بمن فيه ومن عليه على الصخرة كحلقة ملقاة في فلاة قيّ والصخرة بمن فيها ومن عليها على ظهر الحوت كحلقة ملقاة في فلاة قيّ والسّبع والدِّيك والصخرة والحوت بمن فيه و من عليه على البحر المظلم كحلقة ملقاة في فلاة قيّ، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم على الهواء الذَّاهب كحلقة ملقاة في فلاة قيّ والسبع والدِّيك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء على الثرى كحلقة ملقاة في فلاة قي، ثمَّ تلا هذه الآية ﴿له ما في السموات و ما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ ثمّ انقطع الخبر عند الثرى، والسبع والدّيك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء والثرى بمن فيه و من عليه عند السماء الاولى كحلقة في فلاة قيّ و هذاكلّه والسماء الدّنيا بمن عليها و من فيها عندفوقها كحلقة في فلاة قيّ و هاتان السّماءان ومن فيهما ومن عليهما عند الّتي فوقهما كحلقة قيّ، وهذه الثلاث بمن فيهنَّ ومن عليهنَّ عند الرابعة كحلقة في فلاة قيّ حتّى انتهى إلى السّابعة، وهنَّ ومن فيهنَّ ومن عليهنَّ عند البحر المكفوف عن أهل الأرض كحلقة في فلاة قيّ، وهذه السبع والبحر المكفوف عند جبال البرد كحلقة في فلاة قيّ وتلاهذه الآية: ﴿وينزِّل من السماء من جبال فيها من برد﴾ وهذه السّبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند الهواء

الذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قيّ ، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء عند حجب النور كحلقة في فلاة قيّ ، و هذه السبع و البحر المكفوف وجبال البـرد و الهـواء وحجب النور عند الكرسيّ كحلقة في فلاة قيّ ، ثمَّ تلا هذه الآية : ﴿وسـع كـرسيّه السـموات والأرض ولايؤده حفظهما وهو العليُّ العظيم﴾ وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء وحجب النور والكرسيّ عند العرش كحلقة في فلاة قيّ وتلا هذه الآية: ﴿الرَّحمن على العرش استوى﴾ وفي رواية الحسن: الحجب قبل الهواء الذي تحار فيه القلوب (١).

*** الشرح :**

قوله (حديث زينب العطارة) وهو حديث غريب دل على كمال قدرة الصانع وعظمتة بـما يشتمل عليه إجمالاً من نضد العالم السفلي والعلوي ولايعلم حقيقتة وكيفيتة إلا أصحاب الوحي ومن تجرد عن العلائق الجسميّة والعوائق البدنية حتى اتصل بالملأ الأعلى ورأى الاشياء كماعليه في نفس الأمر.

(قال: إذا بعت فأحسني ولا تغشي) غشه من باب قتل: إذا لم يخلص أو أظهر خلاف ما أضمر، والغش بالكسر: اسم منه، والمغشوش: الغير الخالص كاللبن الممزوج بالماء، والمسك والزعفران الممزوجين بما يشابههما و نحو ذلك ، وفـيه إشـارة الى بـعض آداب البـيع وهـو الإحسـان الى المشترى بعدم المماكسة وعدم طلب الزيادة على القدر المعتاد أو على قدر الحاجة وعدم مزج المبيع بغيره وعلل ذلك للحث عليه بقوله (فإنه أتقى) من العقوبة واحذر من أسبابها (وأبقى للمال) فإن الحلال أشد بقاء من الحرام (فقالت يا رسول الله ما أتيت بشيء من بـيعي) البـيع «خريدن» و «فروختن» ضد ويطلق على المبيع ويجمع على البيوع وأبيعة بالألف لغـة كـما فـي المصباح (و إنّما أتيت أسالك عن عظمة الله عزَّ وجلَّ) سألت عن حقيقة عظمته أوعن قدرها أوعن آثارها وأجاب عليه السلام ببعض آثارها الدالة على كمال العظمة لابجميعها إذكما لايمكن للبشر أن يعرف حقيقة عظمة كذلك لايمكن له أن يعرف جميع الآثار مفصلة (ثم قال : إن هذه الأرض) الّتي هي مسكننا ومسكن سائر الحيوانات (عند الأرض) الّتي تحتها (كحلقة ملقاة في فلاة قيّ) القي بكسر القاف وشد الياء القفر الخالي وأصله قوى فعل.

(وتلا هذه الآية **﴿خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن﴾**) استشهد بالآية لما ذكر حيث جعل الأرض سبع طبقات كل طبقة تحتانية أعظم من الفوقانية و هذه الأرض أصغر من الجميع قال بعض

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٤ .

العلماء: كلما أحاط به فلك القمر يطلق عليه اسم الأرض كما قال تعالى الذي « خلق سبع السموات ومن الأرض مثلهن » وهي سبع طبقات الأولى: النار، الثانية: الهواء الثالثة: الماء، الرابعة: الأرض وثلاث طبقات ممتزجة من هذه الأربع الأولى ممتزجه من النار والهواء، الثانية ممتزجة من الهواء والماء، الثالثة ممتزجة من الماء والأرض وهي الكرة الطينية أقول الظاهر أن هذا القول غير موافق لهذا الحديث حيث ذكر الثلاثة الأولى على حدة ثم أقول: يلزم من هذا الحديث على تقدير تماس هذه السبع بعضها ببعض أحد الأمرين إما أن يكون السبع أجساماً مسطحة أو يكون كرات مماسة بنقطة، وذلك لأنها إن كانت مسطحة فهو الأمر الأول وإن كانت كرة فإن كان مجموعها من حيث المجموع كرة واحدة لزم أن يكون الأعظم القطعة الّتي فيها المنطقة وأن يكون ما فوقها وما تحتها من القطاع مساوية كل واحدة لنظيرها وهذا ينافي كون كل تحتانية أعظم من الفوقانية وإن كان كل واحدة كرة فإن كان كل تحتانية محيطة بالفوقانية لزم أن تكون هذه الأرض محاطة بأرض أخرى وليس كذلك فينبغي أن تكون غير محاطة فيلزم أن يكون التماس بنقطة وهو الأمر الثاني فليتأمل (شرح روضة الكافي « ١٠ »).

(على ظهر الديك): هو ذكر الدجاج والجمع ديوك وديكة وزان قردة (له جناحان جناح في المشرق و جناح في المغرب ورجلاه في التخوم) التخم: منتهى كل قرية أو أرض والجمع تخوم مثل فلس وفلوس وقال ابن الأعرابي وابن السكيت: الواحد تخوم والجمع تخم مثل رسول و رسل و لعل المراد بالتخوم هنا منتهى الصخرة و ينبغي حمله على ظاهره لعدم استبعاده بالنظر الى القدرة القاهرة[1] والمصالح الّتي لايعلمها إلّا هو وحمله على المبالغة كالتأويل بعيد (على البحر

---

١ ـ قوله « لعدم استبعاده بالنظر الى القدرة القاهرة » إن كان الديك من الأجسام المثالية التي لاتتزاحم إذا اجتمعت على مكان واحد فلكلام الشارح وجه وإلا فإن كان جسماً مادياً يجب من وجوده على ما ذكر عدم بقاء مكان لسائر الأجسام لقضاء الضرورة ببطلان الطفرة والتداخل على ما قاله المحقق الطوسى ﷺ في التجريد وبينه العلامة الحلي ﷺ في شرحه وكذلك نقول في ما ورد من عظمة بعض ملائكة الرحمن وكونهم بحيث يملأون الخافقين . والحق أن رواية زينب العطارة ضعيفة على فرض صدور شيء منها حقيقة من المعصوم لانطمئن بحفظ الرواة وضبطهم جميع الالفاظ التي سمعوها وإنما يحتاج الى تكلف التأويل والتوجية بما يشمئز منه الطبع والإلتزام بالمحالات من يعتقد صدور شيء جميع الروايات منها من المعصوم وعصمة الرواة من الخطأ والسهو والنسيان في نقل جميع ألفاظ الإمام ﷺ وهو اعتقاد سخيف نرى في كثير من الأخبار المعتبرة نقل آيات القرآن ضمن كلام المعصوم غلطاً مع أنا نعلم أنه ﷺ لم يقرأ إلّا كما هو صحيحاً . فالحق عدم التعرض لشيء مماورد في رواية زينب العطارة والتوقف فيها . والعجب أن بعض الناس حاولوا تطبيق الرواية على العلوم الطبيعية والهيئة الإفرنجية والبعد بينهما أبعد مما بين السماء والأرض (ش

المظلم) وهو البحر الأعظم سمي مظلماً لكثرة مائه وغور عمقه فإن البحر كلما زاد عمقه كان ماؤه أسوداً (على الهواء الذاهب): أي المتحرك والوصف للإيضاح أو للإحتراز به عن الهواء الغير المتحرك وهو ما سيجيء من الهواء الذي تحار فيه القلوب (على الثرى) لعل المراد بالثرى هنا كرة الأثير بقرينة اقترانه بالسماء الأولى والله أعلم (ثم انقطع الخبر عند الثرى) وهو كلام النبي ﷺ والخبر إما بالضم وهو العلم أو بالفتح وهو معروف انقطع علم البشر بالسفليات أو خبرها عند الثرى ولا علم لهم أكثر من ذلك (عند البحر المكفوف عن أهل الأرض) أي الممنوع من الانصباب عليهم بقدرة الله تعالى إذ لو انصبّ عليهم أهلكهم دفعة وفيه دلالة على أن بين السماء والأرض السابعة والثامنة المسماة بالكرسي وسائط أربعة، وما ذكره أرباب الرياضي من الاتصال بينهما لادليل عليه عقلاً ونقلاً، وهم أيضاً صرحوا بأن الاتصال من باب الاستحسان فوجب التمسك بما دل عليه الشرع (وحجب النور) لعل المراد بها حجاب القدرة وحجاب العظمة وحجاب الرفعة وحجاب الهيبة وحجاب الرحمة، وهذه الحجب ذكرها صاحب معارج النبوة، وكل ذلك نشأ من نور ذاته تعالى أو نور علمه أو الإضافة بيانية باعتبار أن تلك الحجب نفسها أنوار إلهية (ثم تلا هذه الآية **﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾**)، الكرسي في هذه الآية فسر في كتاب التوحيد وتارة بالعلم وتارة بالفلك الثامن، لكن المراد هنا هوالخير والمراد بالسموات: السموات السبع ويدل عليه أيضاً ما روي عن أبي عبدالله عليه السلام حين سئل، الكرسى أكبر أم العرش؟ قال عليه السلام **«كل شيء خلق الله تعالى في الكرسي ما خلا عرشه فإنه أعظم من أن يحيط به الكرسي»**.

حديث الذي أضاف رسول الله صلى الله عليه وآله بالطائف

* **الأصل :**

١٤٤ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن يزيد الكناسيِّ ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : **إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان نزل على رجل بالطائف قبل الإسلام فأكرمه فلمّا أن بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله إلى النّاس قيل للرّجل : أتدري من الذي أرسله الله عزَّ وجلَّ إلى النّاس ؟ قال: لا ، قالوا له : هو محمّد بن عبدالله يتيم أبي طالب وهو الذي كان نزل بك بالطائف يوم كذا وكذا فأكرمته ، قال فقدم الرّجل على رسول الله صلى الله عليه وآله فسلّم عليه وأسلم ، ثم قال له : أتعرفني يا رسول الله ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربُّ المنزل الذي نزلت به بالطائف في الجاهليّة يوم كذا وكذا فأكرمتك فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : مرحباً بك سل حاجتك : فقال : أسألك مأتي شاة برعاتها ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وآله بما سأل ، ثمَّ قال لأصحابه : ما كان على هذا الرجل أن يسألني سؤال عجوز بني إسرائيل لموسى عليه السلام فقالوا : وما سألت عجوز بني إسرائيل لموسى ؟ فقال : إن الله عزَّ ذكره أوحى إلى موسى أن احمل عظام يوسف من مصر قبل أن تخرج منها إلى الأرض المقدَّسة بالشام فسأل موسى عن قبر يوسف عليه السلام فجاءه شيخ فقال إن كان أحد يعرف قبره ففلانة فأرسل موسى عليه السلام إليها فلمّا جاءته قال : تعلمين موضع قبر يوسف عليه السلام ؟ قالت نعم قال : فدُلّيني عليه ولك ما سألت قال : لاأدلّك عليه إلّا بحكمي ، قال : فلك الجنّة ، قالت : لا إلاّ بحكمي عليك ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى موسى لايكبر عليك أن تجعل لها حكمها، فقال لها موسى : فلك حكمك ، قالت : فانَّ حكمي أن أكون معك في درجتك الّتي تكون فيها يوم القيامة في الجنّة! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ماكان على هذا لوسألني ماسألت عجوز بني إسرائيل** (١).

* **الشرح :**

قوله (حديث الذي أضاف رسول الله صلى الله عليه وآله بالطائف) الظاهر من سياق الحديث أن هذه الضيافة كانت قبل بعثته صلى الله عليه وآله وإن قدوم الرجل عليه كان بعد قوة الإسلام وكثرة الغنائم (ثم قال لأصحابه ما كان على هذا الرجل أن يسألني سؤال عجوز بني إسرائيل لموسى عليه السلام) لما كان غاية همة هذا الرجل طلب الدنيا والميل الى زهراتها تعجب صلى الله عليه وآله من حاله وذمه وأشار الى موسى أن يكون نهاية

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٦.

هم المرء طلب الآخرة والميل الى رفعة درجاتها (فقال: إن الله أوحى الى موسى أن احمل عظام يوسف من مصر قبل أن تخرج منها الى الأرض المقدسة بالشام)، دل على أن النقل كان بالوحي وعلى استحبابه كما هو مذهب الأصحاب وقيل كان النقل لوصية يوسفعليه السلام به ولامنافاة بينهما والمراد بالعظام: جسده المطهر لأن الأنبياء لاتبلى أجسادهم[1] ولا منافاة بينه وبين ما روي من أن الأنبياء ينقلون بعد ثلاثة أيام الى السماء لجواز رجوعهم بعد صعودهم (فأرسل موسى عليه السلام إليها فلما جاءته قال تعلمين . اهـ) قال الصدوق: فبعث إليها فأتي بعجوز مقعدة عمياء فقال: تعرفين قبر يوسف؟ قالت: نعم فأخبريني بموضعه قالت: لا أفعل حتى تعطيني خصالاً تطلق رجلي وتعيد إليَّ بصري وترد إليَّ شبابي وتجعلني معك في الجنّة فكبر ذلك على موسى عليه السلام فأوحى الله عزوجل إنما تعطي عليّ فأعطها ما سألت ففعل فدلّته على قبر يوسفعليه السلام فاستخرجه من شاطىء النيل في صندوق مرمر (قالت فإن حكمي أن أكون معك في الدرجة الّتي تكون فيها يوم القيامة في الجنّة) قال بعض العامة طلب درجة الأنبياء في الجنّة ممتنع لأنه يستلزم طلب مساواتهم وأنه ممتنع. أقول: فيه نظر، لأنه إن أراد أن طلب مساواتهم في المنزل واشتراكهم في الكون فيه ممتنع فهو ممنوع ولا دليل على امتناعه عقلاً ونقلاً بل الظاهر جواز ذلك في الجنّة كما جاز في الدنيا، وإن أراد أن طلب مساواتهم في الشرف والكمال ورفعة القدر ممتنع، فهو مسلم لكن طلب درجاتهم ومكانهم لايستلزم طلب المساواة بهذا المعنى .

*** الأصل :**

١٤٥ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن عبدالله بن سنان قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : **كانت امرأة من الأنصار تودُّنا أهل البيت وتذكر التعاهد لنا وإنَّ عمر بن الخطّاب لقيها ذات يوم وهي تريدنا فقال لها : أين تذهبين يا عجوز الأنصار ؟ فقالت : أذهب إلى آل محمّد أُسلم عليهم وأُجدِّد بهم عهداً وأقضي حقهّم ، فقال لها عمر : ويلك ليس لهم اليوم حقٌّ عليك ولا علينا إنما كان لهم حقٌّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فأمّا اليوم فليس لهم حقٌّ فانصرفي ، فانصرفت حتّى أتت أُمَّ سلمة فقالت لها أُمُّ سلمة: ماذا أبطأبك عنّا ؟ فقالت : إنّي لقيت عمر بن**

---

١ ـ قوله « لأن الأنبياء لاتبلى أجسادهم » ينبغي السكوت والتوقف في هذه المسائل التي اختلفت الروايات فيها وهي مما لاحاجة لنا الى العلم بها ولاطريق موجب لليقين الى قول المعصوم فيها فقد روي في تاريخ العسكري عليه السلام حديث استسقاء النصاري وإجابة دعائهم دون دعاء المسلمين واستخراج العسكري عليه السلام عظام الأنبياء من بين أصابع القسيس ، وأما رجوع عظام الأنبياء بعد صعودهم فخلاف صريح بعض الروايات، فإن الراوي سأل عن وجود عظامه صلى الله عليه وآله في قبره الشريف بعد سنين كثيرة من رحلته صلى الله عليه وآله . (ش)

الخطاب وأخبرتها بما قالت لعمر وما قال لها عمر ، فقالت لها أُمُّ سملة : كذب لايزال حقّ آل محمّد ﷺ واجباً على المسلمين إلى يوم القيامة .(١)

*** الشرح :**

قوله: (وتكثر التعاهد لنا)، أي لرؤيتنا وزيارتنا ورعاية حرمتنا (فقال لها عمر ويلك ليس لهم اليوم حق عليك ولا علينا، إنما كان لهم حق على عهد رسول الله ﷺ، فأما اليوم فليس لهم حق فانصرفي) قال ذلك حسداً وعناداً وعداوة لهم، وقد اعترف بأنه كان لهم حق على عهد رسول الله ﷺ فيقال له ذلك الحق إن كان لاجل القرابة فهي باقية بعده وإن كان لأجل فضلهم وكمالاتهم فهي أيضاً باقيه بعده فبأى شيء بطل حقهم بعده (فقالت لها أم سلمة:كذب، لايزال حق آل محمّد على المسلمين واجباً الى يوم القيامة، هذا هو الحق الذي لاريب فيه ودل عليه صريح قوله تعالى **﴿قل لاأسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى﴾** وغيره وصريح كثير من روايات العامة والخاصة وإنما ذلك الرجل لمجرد النفاق والعداوة .

*** الأصل :**

١٤٦ ـ ابن محبوب ، عن الحارث بن محمّد بن النعمان ، عن بريد العجليِّ قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ : « **ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاَّ خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون** » **قال : هم والله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنّة واستقبلوا الكرامة من الله عزَّ وجلَّ علموا واستيقنوا أنّهم كانوا على الحقِّ و على دين الله عزَّ وجلَّ فاستبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين ألاَّ خوف عليهم ولا هم يحزنون** (٢).

*** الشرح :**

قوله (قال هم والله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنّة) قال الفاضل الأمين الاسترابادي: الظاهر أن المراد بالجنة الّتي خلقها في المغرب وجعلها مكان أرواح السعداء في عالم البرزخ ، أقول: يحتمل أن يراد بها الحنة المعروفة وهي موجودة كما هو الحق ودلت عليه الآيات والروايات ولايمتنع دخول أرواح المؤمنين فيها في البرزخ عقلاً ونقلاً، وأما عدم خروج من دخلها فلعله يكون بعد الحشر وعود الأرواح الى الأبدان (واستقبلوا الكرامة من الله عز وجل علموا واستيقنوا أنهم كانوا على الحق وعلى دين اللهعز وجل) أي علموا ذلك بالمعاينة واستيقنوا بعين اليقين وإلا كان لهم العلم واليقين بذلك قبل الموت وبين علم اليقين وعين اليقين فرق ظاهر، ومن ذلك قوله

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٧. (٢) الكافي: ٨ / ١٣٧.

تعالى « أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » قالوا: أراد عليه السلام أن يحصل له علم اليقين بعد ما كان له علم اليقين (فاستبشروا بمن له يلحق بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ضمير عليهم راجع الى المستبشرين أو إلى اللاحقين الباقين اوالى الجميع باعتبار هذا الصنف وهم الشيعة .

* **الأصل :**

١٤٧ ـ عنه ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن أبي أيّوب ، عن الحلبيِّ قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ « فيهنَّ خيرات حسان » قال : **هنَّ صوالح المؤمنات العارفات ، قال : قلت : « حور مقصورات في الخيام » ؟ قال الحور هنَّ البيض المضمومات المخدَّرات في خيام الدَّر والياقوت والمرجان ، لكلِّ خيمة أربعة أبواب ، على كلِّ باب سبعون كاعباً حجّاباً لهنَّ ويأتيهنَّ في كل يوم كرامة من الله عزَّ ذكره ليبشر الله عزَّ وجلَّ بهنَّ المؤمنين** [1].

* **الشرح :**

قوله: (قال: قلت: حور مقصورات في الخيام): امرأة مقصورة محبوسة في البيت لاتترك أن تخرج (قال: الحور: هن البيض المضمومات المخدرات) الضم: قبض الشيء الى شيء، والمراد ضمهن الى الخيام أو إلى الأزواج والخدر بالكسر الستر وجارية مخدرة إذا لزمت الخدر (على كل باب سبعون كاعباً) الكاعب: المرأة حين يبدو ثديها للنهود، والجمع: الكواعب (يبشر الله بهن المؤمنين): أي يبشر الله تعالى المؤمنين في كتابه بأن لهم صنفين من النسوة في الآخرة و في بعض النسخ « ليبشر الله » باللام أى أنزل هذه الآية ليبشرهم .

* **الأصل :**

١٤٨ ـ عليُّ بن إبراهيم ، وعدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد جميعاً عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي الصّباح الكناني ، عن الأصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : **إنَّ للشمس ثلاثمائة وستّين برجاً كلُّ برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب ، فتنزل كلَّ يوم على برج منها، فإذا غابت انتهت إلى حدّ بطنان العرش، فلم تزل ساجدة إلى الغد، ثمَّ ترد موضع مطلعها ومعها ملكان يهتفان معها، وإنَّ وجهها لأهل السماء وقفاها لأهل الأرض ولو كان وجهها لأهل الأرض لاحترقت الأرض ومن عليها من شدَّة حرَّها، ومعنى سجودها ما قال سبحانه وتعالى : « ألم تر أنَّ الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٨.

والدّوابّ وكثير من الناس » [١].

*** الشرح :**

قوله (قال أمير المؤمنين عليه السلام : **إن للشمس ثلاثمائة وستين برجاً، كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب فتنزل كل يوم على برج منها فإذا غابت انتهت على حد بطنان العرش** [٢] **فلم تزل ساجدة الى الغد ثم ترد الى موضع مطلعها ومعها ملكان يهتفان معها وإن وجهها لأهل السماء وقفاها لأهل الأرض ولو كان وجهها لأهل الأرض لأحرقت الأرض ومن عليها من شدة حرها**)

البرج في اللغة: الركن، والمراد به هنا: الدرجة المدارية أو الدرجة الّتي هي مطلع الشمس من أول

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٨.

٢ ـ قوله « الى حد بطنان العرش » الكلام في هذه الرواية كالكلام في رواية زينب العطارة لانطمئن بحفظ الرواة وضبطهم على فرض صدور الحديث من المعصوم عليه السلام إذ لم يكن الرواة معصومين من الخطأ ولم يبين الشارح وجه تأويله بما أوله مثلاً الدرجة المدارية الّتي تنزلها الشمس كل يوم درجات مدار الحركة الخاصة كما قال المجلسي رحمه الله: لعل المراد بالبروج الدرجات التي تنتقل إليها بحركتها الخاصة فيكون نزول كل يوم في برج تغليباً انتهى، وعلى هذا إذا نزلت الشمس في درجة نهاراً تبقى في تلك الدرجة جميع ذلك اليوم الى غروبها، وبعد الغروب ايضاً تكون في تلك الدرجة بعينها وإنما تنتقل الى درجة بعدها بعد أربع وعشرين ساعة . ثم قال المجلسي رحمه الله: فإذا غابت، أي بالحركة اليومية . وقد علم أنها بالحركة اليومية تنتقل عن تلك الدرجة، انتهت الى حد بطنان العرش فيكون وصولها إلى حد بطنان العرش في كل يوم مرة ، وحمله المجلسي رحمه الله على نصف الليل حين تمر الشمس بدائرة نصف النهار من تحت الأرض، وهذا الذي ذكره المجلسي رحمه الله ألصق بعبارة الحديث لكن يعسر الوقوف على مقصوده ومعناه لأن العرش على ما قاله يكون فوق رؤوس أهل مكة فكون الشمس في نصف النهار في النهار محاذية لبطنان العرش أظهر من محاذاته في الطرف الآخر وإن كان ولابد فلابد من المحاذاة في اليوم بليلته مرتين ، وأما تفسير الشارح فلا ينطبق على عبارة الحديث ولكن معناه مفهوم لنا فإذا غابت الشمس أي في الليلة الّتي تكون غدها يوم القيامة وهي في الدرجة الّتي نزلتها وقتاً ما وجرت بعدها حتى غابت وانتهت الى بطنان العرش، أي تحت العرش ولهذا الانتهاء والتحتية خصوصية مثل أن تكون أقرب حتى يأمرها الله تعالى بالرجوع والطلوع من المغرب بخلاف ساير الأيام ، ثم أن كلام الشارح يدل على أن الشمس حية ناطقة تتغير حالها بمشاهدة جلال الله تعالى وهو اقتباس من الحكماء بوجه غير مرضي عندهم لأنهم لايرون النفوس الفلكية مبدأ لتغير مبدأ لتغير في الجسم كيفاً أو كماً بل لو فرض رؤية أحد بعض الفلكيات لم يرفيه من آثار الحياه إلا الدروان كما يرى الرحى الذي يتحرك من غير متحرك فيذهب الذهن الى أن موجوداً كالجن يحركه ، وأما كون الشمس مواجهة للأرض بوجه واحد فغير مطابق لما حققه أهل الفن، فإنها تدور على نفسها في كل خمسة وعشرين يوماً فتواجهه الأرض بجميع أطرافها والحق التوقف في هذه الروايات لاتطمئن بصدورها إذا لم نعرف لها معنى صحيحاً من غير تكلف ولا أدري كيف لتأويل الأخبار الواردة في الطبيعيات من يتحرز عن تأويل مايتعلق بالأمور المعنوية حتى في أبده المسائل . (ش)

السرطان إلى أول الجدي ذاهبة وجائية وهي ثلاثمائة وستون، وتمثيلها بالجزيرة تنبيه لسعتها فتنزل الشمس كل يوم من أيام السنة على درجة من هذه الدرجات ستة أشهر عائدة فإذا نزلت على درجة منها وجرت حتى غربت في درجة محاذية لها وانتهت الى حد بطنان العرش أي الى تحته والمراد به: المنزلة الّتي ترجع منها وتطلع من المغرب في آخر الزمان عند قيام الساعة، وقد عد ذلك من أشراطها، وإلا فالشمس دائماً تحت العرش، والمراد بسجودها: خشوعها وانتظارها لأمر الله سبحانه هل يأمر برجوعها أم لا وانقيادها لحكمه فيأمر بردها إلى مطلعها فترد إليه فتصبح طالعة منه، وهكذا كان دائماً الى ما شاء الله أن يأمر بردها من مغربها، ولعل الملكين الهاتفين يزجرانها ويأمرانها بالطلوع إلى مطالعها المعروفة وقوله « وجهها لأهل السماء » يحتمل أن يراد به: أن وجهها لأهل السماء متوجه الى العرش حين كونها ساجدة، ووجه شدة حرارتها وإحراقها للأرض ومن عليها على تقدير كون وجهها للأرض ظاهر لتغيير حالها بمشاهدة جلال الله وعظمة كبريائه، كما نقل ذلك في حال نبينا ﷺ عند نزول الوحي، ويحتمل أن وجهها لأهل السماء دائماً، ويؤيد الأول ما رواه في الفقيه من أن الشمس بلغت الجو وجازت الكون قلبها ملك النور ظهراً لبطن فصار مايلي الأرض إلى السماء وبلغ شعاعها تخوم العرش الحديث» لا يقال كيف نتوقع طلوع الشمس من المغرب في كل وقت والدجال وعيسى والمهدي عليهم السلام لم يظهروا بعد لأنه يمكن أن يقال أنه لاعلم لها بعدم تحقق طلوعها قبل ظهورهم، هذا الذي ذكرناه مما تحتمله العبارة، ويمكن أيضاً حملها على أن ذلك الفعل من الشمس عبادة وانقياد له جل شأنه والله أعلم، (وكثير من الناس) عطف على الدواب إن جوّز استعمال المشترك في معنييه واستناده إلى أمر باعتبار أحدهما، وإلى الآخر باعتبار الآخر، وتخصيص الكثير يدل على إرادة وضع الجبهة أو مبتدأ خبره محذوف أي حق له الثواب لدلالة ما بعده عليه وهو كثير حق عليه العذاب أو فاعل فعل محذوف أي ويسجدله كثير من الناس لدلالة المذكور عليه .

*** الأصل :**

١٤٩ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن صالح بن أبي حمّاد ، عن إسماعيل بن مهران ، عمّن حدّثه ، عن جابر بن يزيد قال : حدّثني محمد بن عليّ عليه السلام **سبعين حديثاً لم اُحدِّث بها أحداً قطّ ولا أحدِّث بها أحداً أبداً، فلمّا مضى محمّد بن عليّ عليهما السلام ثقلت على عنقي وضاق بها صدري فأتيت** أباعبدالله عليه السلام **فقلت : جعلت فداك إنَّ أباك حدّثني سبعين حديثاً لم يخرج منّي شيء منها ولايخرج شيء منها إلى أحد وأمرني بسترها وقد ثقلت على عنقي وضاق بها صدري فما تأمرني ؟ قال : يا جابر إذا ضاق بك من ذلك شيء فاخرج إلى الجبّانة واحتفر حفرة ثمَّ دلّ رأسك**

فيها وقل : حدّثني محمّد بن عليّ بكذا وكذا ثم طمّه فإنَّ الأرض تستر عليك قال ، جابر ففعلت ذلك فخفّ عنّي ما كنت أجده . عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن إسماعيل بن مهران مثله (١).

*** الشرح:**

قوله (فقال يا جابر إذا ضاق بك من ذلك شيء) أي من كتمان السر، وعدم إظهاره لأحد (فاخرج الى الجبانة): هي بتشديد الباء وثبوت الهاء أكثر من حذفها المصلّى في الصحراء وربما أطلقت على المقبرة لأن المصلّى غالباً يكون فيها (واحتفر حفيرة ثم دل رأسك فيها) أي أرسله فيها من دليت الدلو أرسلتها في البئر، وهو يدل على أن حفظ السر واجب وأن إظهاره على النحو المذكور يدفع ضيق الصدر الحاصل من كتمانه، وأن ما هو جماد نفساً مدركة في نفس الأمر كما قيل وقد ذكرناه سابقاً في الأصول، وفي طم الحفر تنبيه على عدم إفشائه، وإنما لم يأمره عليه السلام بإظهاره له وهو عليه السلام أحفظ منه إما لأنه عليه السلام لما كان عالماً به لم يكن الإظهار له دافعاً للضيق أو ليعلم كيفية التخلص من الضيق من لم يجد مثله عليه السلام الى قيام القائم عليه السلام .

*** الأصل :**

١٥٠ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن صفوان بن يحيى ، عن الحارث بن المغيرة قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : **لآخذنّ البريء منكم بذنب السقيم ولم لأفعل ويبلغكم عن الرجل مايشينكم ويشينني فتجالسونهم وتحدِّثونهم فيمرّبكم المارُّ فيقول : هؤلاء شرّ من هذا فلوأنّكم إذا بلغكم عنه ما تكرهون زبرتموهم ونهيتموهم كان أبرَّبكم وبي (٢).**

*** الشرح :**

قوله (قال أبو عبدالله عليه السلام : **لآخذن البريء منكم بذنب السقيم** . اهـ) أريد بالبريء: البريء من مثل ذنب السقيم وإن كان هو أيضاً مذنباً باعتبار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو يدل على وجوبهما على كل عالم بالمعروف والمنكر، وعلى أنه لايجوز مجالسة الفاسق، وعلى أنه يجب التحرز من موضع التهمة، وضمير الجمع في تجالسونهم، راجع الى الرجل باعتبار الجنس الشامل للكثرة، وهؤلاء إشارة إلى الجالسين وهذا إشارة إلى الرجل والأفراد باعتبار اللفظ وإرجاع هؤلاء الى الرجل والجالسين معه، وهذا: إلى أبى عبدالله عليه السلام بعيد جداً والمراد بالموصول في قوله « مايشينكم ويشيننى » أعم من إظهار السرّ و كتمان الحق وفعل المعصية ووجه كون ذلك شيناً

---

(١) الكافي: ٨ / ١٣٨. (٢) الكافي: ٨ / ١٣٩.

له عليه‌السلام ظاهر لأن خلاف الرعية ومخالفتهم للسلطان يوجب ذم الأمير وعيبه أيضاً والمراد بالأخذ الأخذ في الدنيا بالتأديب أو في الآخرة بالتعذيب أو الأعم منهما .

*** الأصل :**

١٥١ ـ سهل بن زياد ، عن عمرو بن عثمان ، عن عبدالله بن المغيرة ، عن طلحة بن زيد ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام في قوله تعالى : « **فلمّا نسوا ما ذكّروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء** » **قال : كانوا ثلاثة أصناف : صنف ائتمروا وأمروا فنجوا، وصنف ائتمروا ولم يأمروا فمسخوا ذرّاً، وصنف لم يأتمروا ولم يأمروا فهلكوا** [١].

*** الشرح :**

قوله (فلما نسوا ماذكروا به): لعل المراد بالنسيان لازمة وهي ترك مايوجب الثواب وفعل ما يوجب العقاب لشباهتهم بالناس في ذلك (صنف أتمروا): أي قبلوا الأمر والنهي وامتثلوا (وأمروا) بالمعروف (ونهوا) عن المنكر (فنجوا) من العقوبة الدنيوية والأخروية (وصنف ائتمروا ولم يأمروا فمسخوا ذراً)، للمداهنة والمساهلة مع أهل المعاصي في السكوت عما رأوا منهم من المنكرات، فمن شاهد معصية ولم ينه عنها فهو عاص أيضاً، وربما ساقه ذلك الى فعل منكر والمشاركة مع أهله، و على التقديرين يستحق العقوبة، ويفهم منه أن الأمر بالمعروف عند قيام بعض به لا يسقط عن غيره إذا لم يأتمر العاصي، بل وجب عليه أيضاً فلعله يأتمر بتظاهرهم وتعاونهم .

*** الأصل:**

١٥٢ ـ عنه ، عن علي بن أسباط ، عن العلاء بن رزين ، عن محمّد بن مسلم قال : كتب أبو عبدالله عليه‌السلام إلى الشيعة : **ليعطفنَّ ذوو السنِّ منكم والنهي عن ذوي الجهل و طلاّب الرئاسة، أو لتصيبنّكم لعنتي أجمعين** [٢].

*** الشرح :**

قوله (كتب أبوعبدالله عليه‌السلام الى الشيعة: ليعطفن ذووالسن منكم والنهي عن ذوي الجهل وطلاب الرئاسة أو لتصيبنكم لعنتي أجمعين) عطف عنه مال وصرف وجهه عنه، والنهي: جمع النهية: وهي العقل، لأنه ينهى عن القبيح وفيه ترغيب في مفارقة الجاهلين والفاسقين وطلاب الرئاسة لأن كل رئيس غير معصوم ظالم لنفسه ولغيره محتاج إلى من يأمره وينهاه ولو بكلام خشن ولا ينبغي

(١) الكافي: ٨ / ١٣٩. (٢) الكافي: ٨ / ١٣٩.

للعالم العارف أن يميل إليه، ويساهله، ويجالسه إلّا مع الخوف، فيجب أن يبغضه قلباً وفي بعض النسخ «على ذوي الجهل» يقال عطف عليه إذا أشفق ورؤف وفيه حينئذ ترغيب في أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، لأن ذلك شفقة لهم ورأفة بهم.

*** الأصل:**

١٥٣ ـ محمّد بن أبي عبدالله، ومحمّد بن الحسن جميعاً، عن صالح بن أبي حمّاد، عن أبي جعفر الكوفيِّ، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **إنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل الدِّين دولتين دولة لآدم عليه السلام ودولة لإبليس فدولة آدم هي دولة الله عزَّ وجلَّ فإذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يعبد علانية أظهر دولة آدم وإذا أراد الله أن يعبد سراً كانت دولة إبليس، فالمذيع لما أراد الله ستره مارقٌ من الدِّين.**[1]

*** الشرح:**

قوله: (إن الله عز وجل جعل الدين دولتين دولة لآدم عليه السلام ودولة لابليس . اهـ): الدولة: بفتح الدال وضمها: اسم من تداول القوم الشيء وهو حصوله في يد هذا تارة وفي يد هذا أخرى، وجمع المفتوح: دولة بالكسر مثل قصعة وقصع، وجمع المضموم: دول بالضم مثل غرفة وغرف ومنهم من يقول: الدولة: بالضم: في المال، وبالفتح: في الحرب، والمارق: الخارج، من مرق السهم من الرمية مروقاً خرج من الجانب الآخر، والخوارج مارقة لخروجهم من الدين، إذا عرفت هذا فتقول: لكل دولة ناصر ومعين، فدولة إبليس ناصره جنود الشيطان من الجن والإنس ودولة آدم ناصره العلماء والصلحاء والأتقياء، فإذا غلب جنود الشيطان، انطمس نور الدين، وظهر الفساد في البر والبحر وعبدالله سراً لقلة أهل الصلاح وضعف قوتهم، فلو راموا المقاومة معهم هلكوا بسطوتهم وزال الدين بالكلية، فلذلك وجب عليهم الصبر الى أن تظهر دولة الحق لقوة أهلها.

---

(١) الكافي: ٨ /١٣٩.

حديث الناس يوم القيامة

※ الأصل:

١٥٤ ـ عدَّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سنان، عن عمرو بن شمر عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **قال: يا جابر إذا كان يوم القيامة جمع الله عزَّ وجلَّ الأوَّلين والآخرين لفصل الخطاب: دُعي رسول الله صلى الله عليه وآله ودُعي امير المؤمنين عليه السلام فيكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حلّة خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب ويكسى عليٌّ عليه السلام مثلها ثمَّ يصعدان عندها ثمَّ يدعى بنا فيدفع إلينا حساب النّاس، فنحن والله ندخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار، ثمَّ يدعى بالنبيّين عليهم السلام فيقامون صفّين عند عرش الله عزَّ وجلَّ حتّى نفرغ من حساب النّاس، فإذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار، بعث ربُّ العزّة عليّاً عليه السلام فأنزلهم منازلهم من الجنّة، وزوّجهم فعلي والله الذي يزوج أهل الجنّة في الجنّة وماذاك إلى أحد غيره، كرامة من الله عزَّ ذكره، وفضلاً فضّله الله به ومنَّ به عليه، وهو والله يدخل أهل النّار النّار، وهو الذي يغلق على أهل الجنّة إذا دخلوا فيها أبوابها لانَّ أبواب الجنّة إليه وأبواب النّار إليه**[١].

※ الشرح:

قوله (حديث الناس يوم القيامة) يذكر فيه إجمالاً حالاتهم ومقامات الأئمة عليهم السلام وشيعتهم (فيكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حلة خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب): أي تضيء هذا المقدار من المسافة في عرصة القيامة أوكل العرصة، والحلة بالضم: لاتكون إلا ثوبين من جنس واحد، والجمع حلل مثل غرفة وغرف (ثم يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس) حقيقة الحساب تعود الى تعريف الإنسان ماله وما عليه وهم عليهم السلام قادرون بإذن الله تعالى على حساب الخلائق مع كثرتهم دفعة واحدة، لايشغلهم كلام عن كلام، وحسابهم كحساب الله تعالى والله سريع الحساب. (فنحن والله ندخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار) لأنهم قوام الله تعالى على خلقه وعرفاؤه على عباده لايدخل الجنة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النّار إلّا من أنكرهم وأنكروه، كما مر تفصيله في شرح الأصول (بعث رب العزة علياً عليه السلام فأنزلهم منازلهم من الجنّة وزوجهم): أي يترك كل أحد منزلاً يناسبه باعتبار حاله من العلم والعمل والصلاح والورع والتقوى، ويزوجهم من الحور، فكما

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٠.

أن كل خير في الدنيا بسبب وجوده ونوره وهدايته فكذلك كل خير في الآخرة بتوسطه ﷺ (وهو والله يدخل أهل النّار النّار) لاينافي ما مر لأنه ﷺ داخل في نحن ولأن أمرهم أمر واحد ، ومن طرق العامة قال علي عليه السلام « أنا قسيم النّار والجنّة » قال صاحب النهاية: أراد أن الناس فريقان: فريق معي فهم على هدى، وفريق عليّ فهم ضلال، فنصف معي في الجنّة ونصف عليّ في النّار . وقسيم: فعيل بمعنى فاعل كالجليس والسمير قيل: أراد بهم الخوارج وقيل: كل من قاتله انتهى ، أقول كل من خالفه ولو بنقله عن مقامه .

* **الأصل:**

١٥٥ ـ علي بن إبراهيم ، عن صالح بن السندي ، عن جعفر بن بشير ، عن عنبسة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **سمعته يقول : خالطوا النّاس، فإنّه إن لم ينفعكم حبُّ عليّ وفاطمة عليهما السلام في السرِّ لم ينفعكم في العلانية** [١].

* **الشرح :**

قوله (خالطوا الناس فإنه إن لم ينفعكم حب علي وفاطمه عليهما السلام في السر لم ينفعكم في العلانية) أراد بالناس، من أنكر حرمتهما أو أبغضهما وأبغض أولادهما الطاهرين وشيعتهم، وكره استماع فضائلهم وتقدمهم على الأمة كلهم، ولما كانت مخالطتهم توجب إخفاء محبتهم وسترها خوفاً منهم أمر بالمخالطة دفعاً لضررهم بتركها، وعلل بأن المحبة أمر قلبي لا تنافي المخالطة وإن تلك المحبة القلبية هي النافعة إذ لم تنفع المحبة العلانية اللسانية إذ نفع هذه فرع لنفع تلك والفرع لايتحقق بدون تحقق الأصل .

* **الأصل:**

١٥٦ ـ جعفرٌ عن عنبسة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **إيّاكم وذكر عليّ وفاطمة عليهما السلام فانَّ النّاس ليس شيء أبغض إليهم من ذكر عليّ وفاطمة عليهما السلام** [٢].

* **الشرح :** قوله (إياكم وذكر علي وفاطمة عليهما السلام فإن الناس ليس شيء أبغض إليهم من ذكر علي وفاطمة عليهما السلام) حذر عن ذكرهما عند الناس المبغضين لهما ترغيباً في التقية منهم وحفظ النفس من شرهم والثواب المترتب على ذكرهما مترتب على ترك ذكرهما تقية .

* **الأصل:**

١٥٧ ـ جعفر ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : **إنَّ الله عزَّ ذكره إذا أراد فناء دولة**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٠. (٢) الكافي: ٨ / ١٤٠.

قوم أمر الفلك فأسرع السير فكانت على مقدار مايريد [١].

*** الشرح :**

قوله: (ان الله عز ذكره إذا أراد فناء دولة قوم أمر الفلك فأسرع السير فكانت على مقدار مايريد) سيجيءِ نظيره في حديث نوح عليه السلام ولاحاجة الى التأويل بأنه كناية عن زوال دولتهم باعتبار أنها أمر منقطع لأن إسراع الفلك وإبطاؤه على القدر المعتاد أمر ممكن بالنسبة الى القدرة الكاملة، كيف لا وحركته إما أرادية أو قسرية أو طبيعية ، وعلى التقادير يمكن السرعة والبطء فيها ويختلف بحسبهما الزمان زيادة ونقصاناً، أما على الأولين فظاهر وأما على الأخير فلأن الحركة الطبيعية تشتد وتضعف بالقسر، ونظير ذلك ماوراه مسلم في حديث الدجال أنه يلبث في الأرض أربعين يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قال القرطبي: يخرق العادة في تلك الأيام ويبطأ بالشمس عن حركتها المعتاده في تلك الأيام حتى يكون الأول كسنة والثاني والثالث كما ذكر، وهذا ممكن انتهى كلامه بعينه .

*** الأصل:**

١٥٨ ـ جعفر بن بشير ، عن عمرو بن عثمان ، عن أبي شبل قال : **دخلت أنا وسليمان بن خالد على أبي عبدالله عليه السلام فقال له سليمان بن خالد : إن الزّيديّة قوم قد عرفوا وجرّبوا وشهرهم النّاس، وما في الأرض محمّديٌّ أحبُّ إليهم منك، فإن رأيت أن تدنيهم وتقرّبهم منك فافعل ، فقال : يا سليمان بن خالد إن كان هؤلاء السّفهاء يريدون أن يصدّونا عن علمنا إلى جهلهم فلا مرحباً بهم ولا أهلاً، وإن كانوا يسمعون قولنا وينظرون أمرنا فلابأس [٢].**

*** الشرح :**

قوله: (فقال له سليمان بن خالد: إن الزيدية قوم قد عرفوا وجربوا وشهرهم الناس، وما في الأرض محمدي أحب إليهم منك) جربتة تجربياً: اختبرته مرة بعد أخرى، والاسم التجربة وشهرته بكذا وشهّرته بالتشديد: للمبالغة، ولعل المراد أنهم عرفوا حقك وفضلك إن كان الفعل معلوماً، أو عرفوا بحبك إن كان مجهولاً وجربوا به وشهرهم الناس به وما في الأرض أحد من أولاد محمّد صلى الله عليه وآله وأتباعه أحب إليهم منك، وهذه الأمور مقتضية لإدنائهم وتقريبهم، فلذلك قال (فإن رأيت أن تدنيهم وتقرِّبهم منك فافعل) على سبيل الالتماس أو التضرع أو الشفاعة فأجاب عليه السلام بأن هؤلاء السفهاءِ والجهلة إن كانوا يريدون بالمخالطة والمعاشرة (أن يصدونا عن علمنا) بموضع الولاية

(١) الكافي: ٨ / ١٤١. (٢) الكافي: ٨ / ١٤١.

والأحكام وما جاء به النبي ﷺ إلى جهلهم ويردّونا الى طريقتهم فلا مكان لهم عندنا ولا قرابة، وإن كانوا يسمعون قولنا ويتبعون علمنا وينتظرون أمرنا وهو ظهور الصاحب عليه السلام أو الأعم فلا بأس بمخالطتهم ومصاحبتهم ومعاشرتهم، وفيه دلالة على أنه ينبغي التقارب بالموافق والتباعد من المخالف.

*** الأصل:**

١٥٩ ـ عدَّةٌ من أصحبنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **انقطع شسع نعل أبي عبدالله عليه السلام وهو في جنازة فجاء رجل بشسعه ليناوله فقال: أمسك عليك شسعك فانَّ صاحب المصيبة أولى بالصبر عليها.**(١)

*** الشرح:**

قوله: (انقطع شسع نعل أبي عبدالله عليه السلام في جنازة) الشسع: أحد سيور النعل، وهو الذي يدخل بين الإصبعين، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام. والزمام: السير الذي يعقد فيه الشسع (فإن صاحب المصيبة أولى بالصبر عليها) الصبر: حبس النفس عن الجزع، والمصيبة: الشدة النازلة وكل ما يثقل على النفس فهو مصيبة، وهذا القول كاد أن يكون مثلاً لكل من أراد أن يدفع المكروه عن الغير بحمله على نفسه.

١٦٠ ـ سهل بن زياد، عن ابن فضّال، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **الحجامة في الرأس هي المغيثة تنفع من كلِّ داء إلاّ السّام، وشبر من الحاجبين إلى حيث بلغ إبهامه ثمَّ قال: هاهنا.**

*** الشرح:**

قوله: (الحجامة في الرأس هي المغيثة تنفع من كل داء إلّا السام) اما أن يراد به المبالغة في أن منافع الحجامة كثيرة يدفع أكثر الأمراض، أو يراد بالداء، الداء الدموي فيكون عاماً مخصوصاً وإلا فالأمر مشكل لأن كون الحجامة نافعة في جميع الأمراض محلّ تأمل، وعلم ذلك تقدير صحة السند وإرادة العموم مرفوع عنا والله يعلم حقائق الأشياء. (وشبر من الحاجبين الى حيث بلغ إبهامه ثم قال هاهنا) الشبر بالكسر: ما بين طرفي الخنصر والإبهام بالتفريج المعتاد، وشبرت الشيء شبراً من باب قتل قسته بالشبر.

*** الأصل:**

١٦١ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن مروك بن عبيد، عن رفاعة، عن أبي

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤١.

عبدالله عليه السلام قال : **قال: أتدري يا رفاعة لم سمّي المؤمن مؤمناً ؟ قال : قلت : لاأدري ، قال: لأنه يؤمن على الله عزَّ وجلَّ فيجيز الله له أمانه .**

＊ الشرح :

قوله: (قال: أتدري يا رفاعة لم سمي المؤمن مؤمناً؟ قال: قلت: لا أدري، قال: لأنه يؤمن على الله عز وجل فيجيز الله له أمانه) لعل المراد بالمؤمن: الكامل من جميع الوجوه أو أكثرها، فإن لهم درجة الشفاعة والأمان يوم القيامة، والأعم محتمل، وتعدية يؤمن بعلى باعتبار معنى الوجوب .

＊ الأصل:

١٦٢ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن فضّال ، عن حنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : **لايبالي الناصب صلّى أم زنى وهذه الآية نزلت فيهم « عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية »** [١].

＊ الشرح :

قوله: (لايبالي الناصب صلّى أم زنى) الظاهر أن لايبالي مبني للمفعول يقال: لا اباليه ولا أبالي به: أي لاأهتم ولا أكترث له، وفي الصباح الأصل فيه قولهم: تبالى القوم إذا تبادروا الى الماء القليل فاستقوا فمعنى لا أبالي: لا أبادر إهمالاً له ، ولعل المراد، أن صلاته غير نافعة له، أو أن صلاته أيضاً معصية كالزنى، لأن الصلاة الفاقدة لبعض شرائط صحتها معصية يعذب بها صاحبها كما يعذب من صلى بغير طهارة، وهذا أظهر (وهذه الآية نزلت فيهم عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية) أي شديد حرها، وقد قيل: ان حرارة نارجهنم أشد من حرارة نار الدنيا بسبعين درجة .

＊ الأصل:

١٦٣ ـ سهل بن زياد ، عن يعقوب بن زيد ، عن محمّدبن مرازم ، ويزيد بن حمّاد جميعاً ، عن عبدالله بن سنان فيما أظنُّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : **لو أنَّ غير وليِّ عليّ عليه السلام أتى الفرات وقد أشرف ماؤه على جنبيه وهو يزخّ زخيخاً فتناول بكفّه وقال بسم الله فلمّا فرغ قال : الحمدلله ، كان دماً مسفوحاً أولحم خنزير** [٢].

＊ الشرح :

قوله: (وهو يزخ زخيخاً) زخه يزخه زخيخاً: رفعه بيده وفي كنز اللغة: «زخيخ چيزى را بدست دور داشتن وبدور انداختن» . ولعل السر في حرمة شربه، أن كل ما في الدنيا فهو مال الإمام عليه السلام، كما دل عليه بعض الروايات وقد أباحه لأوليائه، فمن تناول منه من أعدائه فهو حرام عليه مثل لحم

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤١. (٢) الكافي: ٨ / ١٤٢.

الخنزير.

*** الأصل:**

١٦٤ ـ عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن رجل ذكره، عن سليمان بن خالد قال: **قال لي أبو عبدالله عليه السلام: كيف صنعتم بعمّي زيد؟ قلت: إنّهم كانوا يحرسونه فلمّا شفَّ الناس أخذنا جثّته فدفناه في جرف على شاطيء الفرات فلمّا أصبحوا جالت الخيل يطلبونه فوجدوه فأحرقوه، فقال: أفلا أوقرتموه حديداً وألقيتموه في الفرات، صلّى الله عليه ولعن الله قاتله** (١).

*** الشرح:**

قوله: (قلت: إنهم كانوا يحرسونه بعد صلبه فلما شف الناس): أي قلّوا (أخذنا خشبته) في بعض النسخ « جثته » (فدفناه في جرف على شاطيء الفرات) في المصباح الجرف بضم الراء وبالسكون للتخفيف: ما جرفته السيول وأكلته من الأرض، وفي كنز اللغة جرف: «مكاني كه أو را سيل شكافته وجوى كرده» وهذا الحديث دل على مدح زيد وحسن حاله قال الفاضل الاسترابادي في رجاله: زيد بن علي بن الحسين، مدني، تابعي، قتل سنة إحدى وعشرين ومائة، وله اثنان وأربعون سنة، وهو جليل القدر، عظيم المنزلة، قتل في سبيل الله وطاعته، وورد في علو قدره روايات يضيق المقام عن إيرادها انتهى.

*** الأصل:**

١٦٥ ـ عدَّةٌ عن أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن علي الوشّاء، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **إنَّ الله عزَّ ذكره أذن في هلاك بني أميّة بعد إحراقهم زيداً بسبعة أيّام** (٢).

*** الشرح:**

قوله: (قال: إن الله عز وجل أذن في هلاك بني أمية بعد إحراقهم زيداً بسبعة أيام) الظاهر أن الباء متعلق بأذن، يعني: وقع الإذن بسبعة أيام بعد إحراقهم له، وكان قتله سنة إحدى وعشرين ومائة في خلافة هشام بن عبد الملك، وكان انقطاع ملكهم سنة إحدى وثلاثين ومائة، ومدة ملكهم إحدى وتسعون سنة وملوكهم أربعة عشر رجلا.

*** الأصل:**

١٦٦ ـ سهل بن زياد، عن منصور بن العباس، عمّن ذكره، عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **إنَّ الله جلَّ ذكره ليحفظ من يحفظ صديقه** (٣).

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٢. (٢) الكافي: ٨ / ١٤٢. (٣) الكافي: ٨ / ١٤٢.

*** الشرح :**

قوله: (إن الله ليحفظ من يحفظ صديقه) بدفع المكاره عنه وجلب المنافع له، والصديق المصادق وهو بين الصداقة من الصدق في الود والحب، وفيه ترغيب في حفظ أولياء الله واحبائه .

*** الأصل:**

١٦٧ ـ سهل بن زياد ، عن ابن سنان ، عن سعدان ، عن سماعة قال : **كنت قاعداً مع أبي الحسن الأوّل عليه السلام والناس في الطواف في جوف اللّيل فقال : يا سماعة إلينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم فما كان لهم من ذنب بينهم و بين الله عزَّ وجلَّ حتمنا على الله في تركه لنا فأجابنا إلى ذلك وما كان بينهم وبين النّاس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلك وعوّضهم الله عزَّ وجلَّ** (١).

*** الشرح :**

قوله: (يا سماعة إلينا إياب هذا الخلق و علينا حسابهم . ان) لعل المراد بهذا الخلق: نوع البشر بقرينة أنهم لايشفعون لأعدائهم، ولايستوهبون لهم، أو الناس كانوا أشياعهم وأتباعهم .

*** الأصل:**

١٦٨ ـ سهل بن زياد ، عن منصور بن العباس ، عن سليمان المسترقّ ، عن صالح الأحول قال : **سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين سلمان و أبي ذرّ، واشترط على أبي ذرّ أن لايعصي سلمان** (٢).

*** الشرح :**

قوله: (قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين سلمان و أبى ذر، واشترط على أبي ذر أن لايعصي سلمان) في الاشتراط تأكيد للتعاون والتناصر والمواساة ورعاية الحقوق الّتي تقتضيه الإخوّة الدينية، وفيه دلالة على كمال فضل سلمان رضي الله عنه، و على أن على الفاضل متابعة الأفضل وترك عصيانه قولاً وفعلاً وغيرهما . قال القرطبي: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين على بن أبي طالب ونفسه فقال: أنت أخي وصاحبي ، وفي رواية أخرى: أخي في الدنيا والآخرة، وكان علي عليه السلام يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله، لم يقلها أحد قبلي ولابعدي إلاكاذب مفتر ، وبين أبي عبيدة بن الجراح وأبي طلحة وبين أبي بكر وخارجة بن زيد وبين عمر و عتبان بن مالك، وبين عثمان وأوس ابن ثابت أخي حسان بن ثابت، وهكذا بين بقيتهم، ثم قال: المواخاة: مفاعلة من الأخوّة ومعناه: أن يتعاهد الرجلان على التناصر والمواساة والتوارث حتى يصيراً كالأخوين نسباً، وقد يسمى ذلك

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٢.　　(٢) الكافي: ٨ / ١٤٣.

حلفاً كما قال أنس حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في المدينة وكان ذلك معروفاً في الجاهلية معمولاً به عندهم، ولم يكونوا يسمونه إلاّ حلفاً، ولما جاء الإسلام عمل النبي ﷺ به وورث به كما جاء في السير وذلك أنهم قالوا: إن رسول الله ﷺ آخى بين أصحابه مرتين قبل الهجرة وبعدها، قال أبوعمرو: والصحيح عند أهل السير في المؤاخاة التي عقدها رسول الله بين المهاجرين والأنصار حين قدومه المدينة بعد بنائه المسجد على المواساة والحق، فكانوا يتوارثون دون القرابة حتى نزلت ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾ فنسخ ذلك وورد التوارث الى القربة وقصر التحالف والتعاهد على نصرة الحق والقيام والمواساة، وسمي ذلك أخوّة، مبالغة في التأكيد وهذه المواخاة لكونها محصورة على الإعانة في الأمور المشروعة غير المواخاة الجاهلية لأن المتحالفين في الجاهلية، كانا يتناصران في كل شيء فيمنع الرجل حليفه وان كان ظالماً ويقوم دونه ويدفع عنه بكل ممكن حتى يمنع الحقوق وينتصر به على الظلم والفساد انتهى كلامه بعينه.

*** الأصل:**

١٦٩ ـ سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن خطّاب بن محمّد، عن الحارث بن المغيرة، قال لقيني أبو عبدالله عليه السلام في طريق المدينة فقال: **من ذا؟ أحارث؟ قلت: نعم، قال: أما لأحملنَّ ذنوب سفهائكم على علمائكم، ثمَّ مضى فأتيته فاستأذنت عليه فدخلت فقلت: لقيتني فقلت: لأحملنَّ ذنوب سفهائكم على علمائكم، فدخلني من ذلك أمرٌ عظيم، فقال: نعم ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرَّجل منكم ما تكرهون وما يدخل علينا به الأذى أن تأتوه فتؤنّبوه وتعذلوه وتقولوا قولاً بليغاً؟ فقلت له: جعلت فداك إذا لايطيعونا ولايقبلون منّا؟ فقال: اهجروهم واجتنبوا مجالسهم.**(١)

*** الشرح:**

قوله: (ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون) من الذنوب وإفشاء السر وخلاف الآداب (أن تأتوه فتؤنبوه وتعذلوه) التأنيب: المبالغة في التوبيخ، والتعنيف والعذل: الملامة كالتعذيل والاسم العذل محركة واعتذل وتعذل قبل الملامة (وتقولوا له قولاً بليغاً) أي بالغاً متراقياً الى أعلى مراتب النصح والموعظة من قولهم بلغت المنزل إذا وصلته أوكافياً في ردعه عن نكره كما كان يقال في هذا بلاغ أي كفاف أو فصيحاً مطابقاً لمقتضى المقام (فقلت له جعلت فداك

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٣.

إذاً لا يطيعونا ولا يقبلون منا فقال: اهجروهم واجتنبوا مجالسهم) هذا أيضاً نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه فوائد: الأولى: ترك التشابة بهم، الثانية: التحرز من غضب الله وعقوبته عليهم، الثالثة تحقق لزوم البغض في الله وثباته، الرابعة: رفض التعاون في المعصية فإن الوصل بالعاصي، والمساهلة معه يوجب معاونته في المعصية وجرأته فيها، الخامسة: بعثه على ترك المعصية فإن الوصل العاصي إذا شاهد هجران الناس عنه ينفعل وينزجر عن فعله بل تأثيره قد يكون أنفع من القول والضرب .

*** الأصل:**

١٧٠ ـ سهل بن زياد ، عن إبراهيم بن عقبة ، عن سيابة بن أيّوب ، ومحمّد بن الوليد ، وعليّ بن أسباط يرفعونه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام قال : **إنَّ الله يعذِّب الستّة بالستّة : العرب بالعصبيّة ، والدّهاقين بالكبر ، والأمراء بالجور ، والفقهاء بالحسد ،والتجّار بالخيانة ، وأهل الرَّساتيق بالجهل** [1].

*** الشرح :**

قوله: (إن الله تعالى يعذب الستّة بالستّة) أي ستة أصناف بستة أوصاف واحداً بواحد (العرب بالعصبية) قيل: العصبية من لوازم الكبر و كانت حقيقتها تعود الى العصب عن تصور المؤذي مع الترفع على فاعله، واعتقاد الشرف عليه، وكانوا قبائل متعددة، وكان الرجل يخرج من منازل قبيلة فيمر بمنازل قبيلة أخرى فيقع أدنى مكروه من أحدهم فينسب إليه وإلى قبيلته ما لا يليق فينادي هذا نداءً عالياً أي آل فلان فيثور عليه فساق القبيلة و يضربونه، فمضى هو الى قبيلته ويستصرخ بها يقصد به الفتنة وإثارة الشر، فتسل بينهم السيوف وتثور الفتنة ويقتل جم غفير ولايكون لها أصل في الحقيقة ولاسبب يعرف. (والدهاقين بالكبر) قيل: دهقان: معرب دهبان، وفي المغرب، الدهقان: معرب يطلق على رئيس القرية وعلى التاجر، وعلى من له مال وعقار، وداله مكسورة، وفي لغة تضم، والجمع دهاقين ودهقن الرجل و تدهقن: كثر ماله.

(والأُمراء بالجور) الأُمراء لمشاهدة قوتهم الفانية في نفوسهم الخسيسة المائلة عن الحق كثيراً ما يجورون على الضعفاء والعجزة ويظلمونهم في النفس والمال والعرض والله يعذبهم وينتقم منهم، (والفقهاء بالحسد) الحسد: هو تمني رجل زوال نعمة الغير بالوصول إليه أو مطلقاً وإن كان قد يتحقق في غير الفقهاء أيضاً إلّا أنه في الفقهاء أكثر وأقبح ، أما أنه أكثر، فلأنّ المحسود به هنا وهو الكمال والشرف أعظم وهو أولى بالحسد من المال فيكون أكثر، وأما أنه أقبح، فلأن العالم الفقيه

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٣.

اعلم بقبح الحسد من غيره فالحسد منه أقبح وإذا كان كذلك فهو أولى بالتعذيب لأجل الحسد من غيره، (والتجار بالخيانة) في كنز اللغة: «خيانت با كسى دغلى و ناراستى كردن» وهي وإن كانت توجد في غير التجار أيضاً لكنها فيهم أكثر كما ورد « إلّا أن التجار فجار، والفجار في النار » فهم أولى وأقدم بالتعذيب من غيرهم لأجلها، (وأهل الرساتيق بالجهل) في المصابح، الرستاق: معرب ويستعمل في الناحية الّتي هي طرف الإقليم والرزداق مثله والجمع رساتيق ورزاديق وقال بعضهم: الرستاق وصوابه رزدان والمراد بالجهل: الجهل بالأحكام الشرعية سيما الواجبات العينية فإنه فيهم أظهر وأكثر وأشد من السواد الأعظم، وهذه الفقرات في لفظ أخبار ووعيد وفي المعنى أمر لكل صنف بترك ما تلبس به من المعصية .

*** الأصل:**

١٧١ ـ علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام وغيره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **ما كان شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أن يظلَّ خائفاً جائعاً في الله عزَّ وجلَّ** (١).

*** الشرح :**

قوله: (ماكان شيء أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله من أن يظل خائفاً جائعاً في الله عز وجل) مرَّ سابقاً بعينه مع شرحه وبيان مراتب الخوف وفوائد الجوع .

*** الأصل:**

١٧٢ ـ عليٌّ ، عن أبيه ، ومحمّد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان جمعياً ، عن ابن أبي عمير ، عن عبدالرَّحمن بن الحجّاج ، وحفض بن البختري وسلمة بيّاع السابريّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **كان عليُّ بن الحسين عليه السلام إذا أخذ كتاب عليّ عليه السلام فنظر فيه قال : من يطيق هذا من يطيع ذا؟ قال : ثمَّ يعمل به وكان إذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه حتّى يعرف ذلك في وجهه وما أطاق أحد عمل علي عليه السلام من ولده من بعده إلّا عليِّ بن الحسين عليه السلام** (٢).

*** الشرح :**

قوله: (كان علي بن الحسين عليه السلام إذا أخذ كتاب علي عليه السلام فنظر فيه قال من يطيق هذا من يطيع ذا؟) كمال العبادة والشكر إنما يتحقق بربط كل عضو من الأعضاء الظاهرة والباطنة في كل وقت من الأوقات بما هو مطلوب منه وجوباً وندباً مع غاية خضوع القلب وخشوعه اللازم لكمال الخوف وإدراك الهيبة والعظمة الإلٰهية، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام بهذه المثابة وفوق ذلك، وبعده سيد

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٣. (٢) الكافي: ٨ / ١٤٣.

العابدين علي بن الحسين عليهما السلام كان ذلك لتفرغ قلبه الطاهر عن أشغال الدنيا وصرف همته الى الطاعات وفعل الخيرات، وفيه تنبيه للغافلين وإيقاظ لهم عن نوم الغفلات، وترغيب في فعل العبادات .

*** الأصل:**

١٧٣ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن عليِّ بن النعمان ، عن ابن مسكان عن الحسن الصيقل قال : **سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إنَّ وليَّ عليٍّ عليه السلام لا يأكل إلّا الحلال لأنَّ صاحبه كان كذلك وإنَّ وليَّ عثمان لا يبالي أحلالاً أكل أو حراماً لأنَّ صاحبه كذلك ، قال : ثمَّ عاد الى ذكر عليٍّ عليه السلام فقال : أما والذي ذهب بنفسه ماأكل من الدّنيا حراماً ، قليلاً ولا كثيراً حتّى فارقها ولاعرض له أمران كلاهما لله طاعة إلاَّ أخذ بأشدِّهما على بدنه ، ولا نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله شديدةٌ قطُّ إلّا وجّهه فيها ثقة به ، ولا أطاق أحدٌ من هذه الأُمّة عمل رسول الله صلى الله عليه وآله بعده غيره ولقد كان يعمل عمل رجل كأنّه ينظر إلى الجنّة والنّار ، ولقد أعتق ألف مملوك من صلب ماله كلُّ ذلك تحفى فيه يداه وتعرق جبينه التماس وجه الله عزَّ وجلَّ والخلاص من النّار وما كان قوته إلا الخل والزَّيت وحلواه التمر إذا وجده وملبوسه الكرابيس فإذا فضل عن ثيابه شيء دعا بالجلم فجزَّه**[١].

*** الشرح :**

قوله: (إن وليّ علي عليه السلام لايأكل إلّا الحلال . اهـ) دل على أن آكل الحرام ليس بولي علي بل هو ولي لعثمان، لأن من اقتفى أثر أحد فهو منه) ولاعرض له أمران كلاهما لله طاعة إلا أخذ بأشدهما[٢] على بدنه) لطلب الأفضل كما روي « أفضل الأعمال أحمزها » ولمخالفة النفس وهواها لأن النفس مائلة إلى الأسهل، واحترز بقوله كلاهما طاعة عما إذا لم يكن كذلك فإنه لايجوز تعذيب النفس بغير طاعة (ولقد كان يعمل عمل رجل كأنه ينظر الى الجنّة والنّار) شبه رؤيته القلبية البالغة مرتبة عين اليقين برؤيته العينية في الجلاء وانكشاف الخفاء باعتبار أن أجلى المعلومات هو المحسوسات وإليه أشار عليه السلام بقوله « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً » اذيقينه لما كان في نهاية الكمال لايتصور فيه الزيادة والنقصان، فهو قبل المشاهدة العينية كهو بعدها، ومن

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٣.

٢ ـ قوله « إلاّ أخذ بأشدهما » زعم بعض الناس أنه ليس سعادة فوق اجتناب المحرمات وأداء الواجبات ولايزيد بالنوافل شيء يعتدّ به ، وكذلك بالزهد والرياضة وإنما الواجب والحرام بمنزلة القوت الضروري لأفقر الفقراء في الدنيا لايحصل بها الإنسان في الآخرة إلا على أقل الدرجات (ش) .

البيّن أن من بلغ هذه المرتبة لايترك شيئاً من الخيرات، (ولقد أعتق ألف مملوك من صلب ماله كل ذلك تحفى فيه يداه) الحفارقة: القدم والخف والحافر من كثرة المشي، والإحفاء والتحفي: المبالغة في العمل فالفعل إما مجرد أو مزيد من باب الأفعال أو التفعل (وما كان قوته إلّا الخل والزيت) لعل المراد بالقوت: الأدم ولايتوهم أنه عليه‌السلام لم يجد غيره لأن من أعتق الف مملوك من صلب ماله وتصدق أموالاً جزيلة لوجه الله تعالى لايتصور فيه ذلك بل لأن ذلك أصلح في تطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة وتزكيتها وتبعيدها عن أهوائها، ولتسلية نفوس الفقراء الذين لايجدون الأطعمة اللذيذة والادم النفيسة، وتنبيههم على أن الضروري من الطعام ماتقوم به البنية، وتبقى معه الحياة، (وحلواه التمر) إذا وجده والحلواء ويقصر معروف والفاكهة الحلوة (وملبوسه الكرابيس) في المصباح، الكرباس: الثوب الخشن، وهو فارسي عُرِّب بكسر الكاف والجمع: كرابيس، وينسب إليه بياعه فيقال كرابيسي (فإذا فضل عن ثيابه شيء دعا بالجلم فجزّه) الجلم بالتحريك: ما يجزبه الشعر والصوف كالمقراض، وإنما جزّه لأن تطويل جيب القميص وكمه مذموم شرعاً لدلالته على الخيلاء والتجبر عندالعرب وقدروي عن طريق العامة أن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: « إزرة المؤمن على أنصاف ساقيه، ثم قال: ولاجناح عليه فيما بينه وبين الكعب وما أسفل من ذلك ففي النّار » ونقلوا أن إطالة الكم أن يتجاوز عن طرف الأصابع، فجز الفضل هنا يحتمل جزّ ما زاد على الأصابع وجزّ ما زاد على الكعبين أو على نصف الساق، والأول أصح لأنه قد مر « أن قميصه عليه‌السلام إذا جاز أصابعه قطعة وإذا جاز كعبة حذفه ».

*** الأصل:**

١٧٤ ـ أبو عليّ الاشعريُّ ، عن محمّد بن عبدالجبّار ، عن الحسن بن عليّ ، عن يونس بن يعقوب، عن سليمان بن خالد ، عن عامل كان لمحمد بن راشد قال : **حضرت عشاء جعفر بن محمّد عليه‌السلام في الصيف فأتى بخوان عليه خبز وأتي بجفنة فيها ثريد ولحم تفور فوضع يده فيها فوجدها حارّة ثمَّ رفعها وهو يقول : نستجير بالله من النّار ، نعوذ باالله من النّار ، نحن لانقوى على هذا فكيف النّار ، وجعل يكرِّر هذا الكلام حتّى أمكنت القصعة فوضع يده فيها ووضعنا أيدينا حين أمكنتنا فأكل وأكلنا معه ، ثمَّ إنَّ الخوان رفع فقال : يا غلام ائتنا بشيء فأُتي بتمر في طبق فمددت يدي فإذا هو تمر ، فقلت : أصلحك الله هذا زمان الأعناب والفاكهة ؟ قال : إنّه تمر ، ثمَّ قال : ارفع هذا وأتنا بشيء فأُتي بتمر فمددت يدي فقلت : هذا تمرٌ ؟ فقال : إنّه طيّب** (١).

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٤.

*** الشرح :**

قوله: (فأتي بخوان) الخوان: كغراب وكتاب ما يؤكل عليه الطعام، والجفنة بالفتح: كالقصعة وفي كنز اللغة جفنة «كاسه چوبين» والفور: الغليان (قال: إنه تمر) هذا إما استفهام أو خبر لبيان أنه أشرف مما ذكر، وأمره بالرفع لرعاية جانب الضيف وشهوته، ولعل الآتي الثاني غير الأول فأتي بالتمر لعدم علمه بأن الأول أتي به مع احتمال أن يكون الأول وأتي به ثانياً لعدم وجود غيره من الأعناب والفواكه التي اشتهاها الضيف (فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنه طيب) جيد بعد الطعام أحسن من الفواكه فيدل على أنه ينبغي إظهار ما حضر في البيت للضيف من غير تكلف .

*** الأصل:**

١٧٥ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن عليِّ بن الحكم ، عن معاوية بن وهب ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **ماأكل رسول الله صلى الله عليه وآله متّكئاً منذ بعثه الله عزَّ وجلَّ إلى أن قبضة تواضعاً لله عزَّ وجلَّ وما رأى ركبتيه أمام جليسه في مجلس قطُّ ولاصافح رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً قطّ فنزع يده حتّى يكون الرَّجل هو الذي ينزع يده ولاكافأ رسول الله صلى الله عليه وآله بسيّئة قطُّ قال الله تعالى له : « ادفع بالّتي هي أحسن السيّئة » ففعل ، وما منع سائلاً قطُّ ، إن كان عنده أعطى وإلاّ قال : يأتي الله به ، ولاأعطى على الله عزَّ وجلَّ شيئاً قطّ إلاّ أجازه الله إن كان ليعطي الجنّة فيجيز الله عزَّ وجلَّ له ذلك قال : وكان أخوه من بعده والذي ذهب بنفسه ما أكل من الدّنيا حراماً قطُّ حتّى خرج منها والله إن كان ليعرض له الأمران كلاهما لله عزَّ وجلَّ طاعة فيأخذ بأشدَّ هما على بدنه ، والله لقد أعتق ألف مملوك لوجه الله عزَّ وجلَّ دبرت فيهم يداه ، والله ماأطاق عمل رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده أحدٌ غيره والله مانزلت برسول الله صلى الله عليه وآله نازلة قطُّ إلاّ قدّمه فيها ثقه منه به وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليبعثه برايته فيقاتل جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره ، ثمَّ ما يرجع حتّى يفتح الله عزَّ وجلَّ له** [١].

*** الشرح :**

قوله: (ما أكل رسول الله صلى الله عليه وآله متكئاً) الأكل متكئاً وإن جاز كما مرَّ لكن الأفضل تركه تعظيماً للنعمة والمنعم ، ألا ترى أن من أكل متكئاً على مائدة رجل جليل القدر ذمه أهل العرف وعده محقراً لها ولصاحبها وإن لم يكن قصده التحقير (وما رأى ركبتيه أمام جليسه) لتبعيد نفسه، عن أثر التكبر وتعظيم جليسه والظاهر أن رأى معلوم والفاعل هو الرسول أو غيره لامجهول وإلا لكان ركبتاه بالرفع (قال الله له ادفع بالتي هي أحسن السيئة) ففعل ما أمره الله تعالى به من مقابلة السيئة

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٥ .

التي وقعت بالنسبة إليه بالعفو والصفح والإحسان فهو أحسن من المؤاخذة بمثلها وإن كانت جائزة لقوله تعالى ﴿**فاعتدوا بمثل ما اعتدي عليكم**﴾ وهذا التفسير لاينافي ما مرَّ من تفسير الإحسان بالتقية لأن الآية قد يكون لها وجوه متعددة (والله لقد أعتق ألف مملوك لوجه الله عز وجل دبرت فيهم يداه) الدبر: محركة: القرحة وفعله كفرح (مانزلت برسول الله ﷺ نازلة قط إلاّ قدّمه فيها) حروبه وقتاله عليه السلام مع الأعداء، وإقدامه على النوازل والحوادث وشجاعته ونصرته للرسول والمؤمنين بين العامة والخاصة مشهورة، وفي كتب السير والأخبار مذكورة، وقد نادى جبرئيل عليه السلام يوم أحد « لا فتى إلاّ علي لاسيف إلّا ذو الفقار » .

* **الأصل:**

١٧٦ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن حمّاد بن عثمان ، عن زيد بن الحسن قال : **سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : كان عليٌّ عليه السلام أشبه النّاس طعمة وسيرة برسول الله ﷺ وكان يأكل الخبز والزيّت ويطعم النّاس الخبز واللّحم، قال : وكان عليٌّ عليه السلام يستقي ويحتطب، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز وترقّع، وكانت من أحسن النّاس وجهاً كأنَّ وجنتيها وردتان صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وولدها الطاهرين** [١].

* **الشرح** : قوله: (كان علي عليه السلام أشبه الناس طعمة وسيرة برسول الله ﷺ . اهـ) الطعمة بالضم: المأكلة: وهي ما يؤكل، والسيرة: الطريقة والهيئة والحالة (كان يأكل الخبز والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم اهـ) فيه تنبيه على رياضة النفس وحملها على الرياضة وقلة الأكل والاعتبار بالجشب من الطعام وإيثار الأحسن منه والعمل لنفسه وترك الاستنكاف منه (وكانت فاطمة عليها السلام تطحن) طحنت البر طحناً من باب نفع فهو طحين ومطحون (وتعجن) عجنته عجناً، من باب ضرب ونصر فهو معجون وعجين اعتمدت عليه بجمع الكف والغمز فيه، وأصل العجن: الاعتماد ومنه قيل للمسن الكبير إذا اعتمد بيده على الأرض عند القيام عاجن (وتخبز) خبزت الخبز من باب ضرب: صنعته (وترقع) رقعت الثوب من باب منع: أصلحته بالرقعة وهي بالضم ما يرقع به الثوب والجمع: الرقاع بالكسر وفيه تسلية للمؤمنين والمؤمنات في تحمل أعمال أنفسهم (كان وجنتيها وردتان) الوجنة مثلثة وككلمة: ما ارتفع من الخدين .

* **الأصل:**

١٧٧ ـ سهل بن زياد ، عن الريّان بن الصلت ، عن يونس رفعه قال : **قال أبو عبدالله عليه السلام : إنَّ الله عزَّ**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٥.

وجلَّ لم يبعث نبيّاً قطُّ إلاّ صاحب مرَّة سوداء صافية، وما بعث الله نبيّاً قطُّ حتّى يقرَّ له بالبداء [١].

*** الشرح :**

قوله: (إن الله عزوجل لم يبعث نبياً قط إلاّ صاحب مرة سوداء) صافية عن كدرة لذات الدنيا ورذائل النفس من الحسد والنفاق والغلظة وغيرها ، والمرة بالكسر: مزاج من أمزجة البدن والقوة والشدة أيضاً، فيمكن أن يراد بها الخلط الأسود الصافي كما صرح به بعض الأفاضل وقال: إنه أصلح وأنفع بحال الإنسان في حدة الطبع ودقة النظر، وأن يكون كناية عن القوة الغضبية الصافية عن رذيلتي الإفراط والتفريط ويعبر عنه بالشجاعة. (وما بعث الله نبياً حتى يقر له باالبداء) البداءِ بالفتح والمد: إيجاد الأشياء كل شيء في وقته بتقدير وتدبير و إرادة حادثة لمصلحة لايعلمها إلّا هو ، روي عن أبي عبدالله عليه السلام « أنه لو علم الناس ما في البداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه » أقول لأن فيه اعترافاً بسلطانه تعالى وتقديره وتدبيره وقدرته على إيجاد الحوادث واختياره في إفاضة الوجود واقتداره على إعدام مأأراد عدمه وابقاء ما أراد بقاؤه، وخروجاً عن قول اليهود القائلين بأنه قد فرغ من الأمر فراغاً لايريد ولايقدر ولايدبر بعده شيئاً، و عن قول الحكماء القائلين بأنه واحد لايصدر عنه إلّا الواحد ، وعن قول المعتزلة القائلين بأنه خلق الأشياء كلها دفعة ثم يظهر وجوداتها متعاقبة بحسب تعاقب الأزمنة ، وعن قول الدهرية القائلين بأن الجالب للحوادث هو الدهر وعن قول الملاحدة القائلين بأن المؤثر هو الطبائع .

*** الأصل:**

١٧٨ ـ سهل ، عن يعقوب بن يزيد ، عن عبدالحميد ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **لمّا نفّروا برسول الله صلى الله عليه وآله ناقته قالت له الناقة والله لاأزلت خفاً عن خفّ ولو قطّعت إرباً إرباً** [٢].

*** الشرح :**

قوله: (لما نفّروا برسول الله صلى الله عليه وآله ناقته قالت له الناقة والله لا أزلت خفاً عن خف ولو قطعت إرباً إرباً) لما نفّر المنافقون ناقته بالدباب في العقبة المعروفة تكلمت الناقة بإذن الله تعالى وقالت له هذا القول وأخبرته بمكرهم، والإرب: العضو، والقضية مذكورة في كتاب الاحتجاج للطبرسي مفصلة، وفيه أيضاً: أن علياً حينئذ كان في المدينة بأمر النبي صلى الله عليه وآله، وبعض المنافقين معه حفروا بئراً في طريقه وطمسوا رأسها فلما بلغ فرسه قريباً منها لوى عنقه وأخبره بالبئر وكانت هذه القضية مقارنة لقضية تنفير الناقة فنزل جبرئيل عليه السلام وأخبر النبي صلى الله عليه وآله بما فعلوا بعلي عليه السلام .

*** الأصل:**

١٧٩ ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، وعدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد جميعاً، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: **يا ليتنا سيّارة مثل آل يعقوب حتّى يحكم الله بيننا وبين خلقه** (١).

*** الشرح:**

قوله (يا ليتنا سيارة مثل آل يعقوب حتى يحكم الله بيننا وبين خلقه) كما حكم بين آل يعقوب بإظهار يوسف في كمال القوة والقدرة والسلطنة على أحبائه، والسيارة: القافلة ولعل المراد بهم من دخلوا عليه حتى عرفوه وأخبروا بحاله وموضعه يعقوب، وقد تمنى عليه السلام ظهور المهدي المنتظر في وقته وأخبار المخبرين به ليستولي على أعدائه ويظهر دين آبائه على الأديان الباطلة كلها.

*** الأصل:**

١٨٠ ـ سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن إسماعيل بن قتيبة، عن حفص بن عمر، عن إسماعيل بن محمّد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: إني لست كلّ كلام الحكيم أتقبّل إنّما أتقبّل هواه وهمّه فإن كان هواه وهمّه في رضاي جعلت همّه تقديساً وتسبيحاً** (٢).

*** الشرح:**

قوله: (ان الله عز وجل يقول لست كل كلام الحكمة أتقبل، إنما أتقبل هواه وهمه) ضمير هواه وهمه راجع الى المتكلم المفهوم من الكلام، والهم: العزم، والقصد: الإرادة، والمراد أن التكلم بالحكمة والقوانين الشرعية والأقوال الصحيحة الثابتة لاينفع المتكلم ما لم تكن نيته خالصة صادقة وقصده صحيحاً وإرادته متعلقة بمراد الله تعالى ورضاه فإنه تعالى لاينظر الى الصورة الظاهرة وإنما ينظر الى الصورة الباطنة ويجزي عليها ويثبت بها كما أشار إليه بقوله (فإن كان هواه وهمه في رضاي جعلت همه تسبيحاً وتقديساً) وأثيب به ثواباً جزيلاً مضافاً على ثواب ما صدر منه ظاهراً وإلاّ فلا ثواب له وعليه عقوبة النفاق وفيه تنبيه على أنه ينبغي لكل عاقل من تصحيح قلبه أولاً وجعل ظاهره موافقاً لباطنه.

*** الأصل:**

١٨١ ـ سهل بن زياد، عن ابن فضّال، عن ثعلبة بن ميمون، عن الطيّار، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: « **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقُّ** » **قال: خسفٌ**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٦.   (٢) الكافي: ٨ / ١٤٦.

ومسخٌ وقذفٌ ، قال : قلت : حتّى يتبيّن لهم ؟ قال : دع ذا ، ذاك قيام القائم (١).

*** الشرح :**

قوله: (سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق قال خسف ومسخ وقذف) خسف المكان خسفاً: من باب ضرب: غار في الأرض وخسفه الله يتعدى ولايتعدى وأسامه الخسف أولاه الذل والهوان ومسخه الله مسخاً حوّل صورته الى صورة أقبح منها ، وقذفه قذفاً رماه بالحجارة، والظاهر أن هذه الثلاثة بيان للآيات في النفس، وأما الآيات في آفاق الأرض ونواحيها فيحتمل أن يكون الفتوحات الّتي تقع على يد الصاحب عليه السلام ، والضمير في أنه راجع الى القائم عليه السلام أو الى قيامة أو الى دينه كما أشار إليه .

*** الأصل:**

١٨٢ ـ سهل ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبدالله بن جبلة ، عن إسحاق بن عمّار وابن سنان وسماعة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طاعة عليّ ذلٌّ ومعصيته كفرٌ بالله ، قيل : يا رسول الله كيف تكون طاعة عليَّ ذلاً ومعصيته كفراً بالله ؟ فقال : إن عليّاً يحملكم على الحقِّ فإن أطعتموه ذللتم وإن عصيتموه كفرتم بالله** (٢).

*** الشرح :**

قوله: (طاعة علي ذل ومعصيته كفر) الذل بضم الذال: «خوار شدن» وبكسرها «رام شدن ونرم شدن» كذا في كنز اللغة ، والظاهر هنا هو الأول والمراد به: الذل عند الناس وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وآله إلى ظهور القائم عليه السلام لأنهم يقتلون من أطاعه ويأسرون ويعدّون ذلك موجباً للاجر كما قتلوا وأسروا في سالف الزمان .

*** الأصل:**

١٨٣ ـ عنه ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبدالله بن جبلة ، عن إسحاق بن عمّار ، أو غيره قال : **قال أبوعبدالله عليه السلام : نحن بنوهاشم وشيعتنا العرب وسائر النّاس الأعراب** (٣).

*** الشرح :**

قوله: (نحن بنوهاشم وشيعتنا العرب وسائر الناس الأعراب) لعل المراد أن الشيعة عرب بعد الموت يتكلمون بلسان العرب وسائر الناس وهم المخالفون كفار من العجم بقرينة الحديث التالي شبههم بالاعراب الذين قال الله تعالى في ذمهم « الأعراب أشدُّ كفراً ونفاقاً » وهم يتكلمون في

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٦. (٢) الكافي: ٨ / ١٤٦ . (٣) الكافي: ٨ / ١٤٧.

القيامة بلسان الفرس ، يدل على ذلك مارواه المصنف في مولد أمير المؤمنين عليه السلام بإسناده عن عيسى شلقان قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول « إن أميرالمؤمنين عليه السلام له خوْلة في بني مخزوم وإن شاباً منهم أتاه فقال: يا خالي إن أخي مات وقد حزنت عليه حزناً شديداً، قال: فقال له: أتشتهي أن تراه؟ قال: بلى قال: فأرني قبره، قال: فخرج ومعه بردة رسول الله صلى الله عليه وآله متّزراً بها فلما انتهى الى القبر تلملمت شفتاه ثم ركضه برجله فخرج من قبره وهو يقول بلسان الفرس فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: ألم تمت وأنت رجل من العرب؟ قال: بلى، ولكنّا متنا على سنة فلان وفلان فانقلبت ألسنتنا»، واحتمال كون المراد أن الشيعة كأهل الأمصار في كونهم من أهل العلم والدين والإيمان والمخالفون كأهل البادية في كونهم من أهل الجهل والكفر والخذلان بعيد .

*** الأصل:**

١٨٤ ـ سهل ، عن الحسن بن محبوب ، عن حنان ، عن زرارة قال : **قال أبو عبدالله عليه السلام : نحن قريش وشيعتنا العرب وسائر النّاس علوج الرُّوم** (١).

*** الشرح :**

قوله (نحن قريش وشيعتنا العرب وسائر النّاس علوج، العلوج: كالاعلاج جمع علج بالكسر وهو الرجل من كفار العجم وبعض العرب يطلق العلج على الكافر مطلقاً .

*** الأصل:**

١٨٥ ـ سهل ، عن الحسن بن محبوب ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : **كأنّي بالقائم عليه السلام على منبر الكوفة عليه قباء فيخرجون من وربان قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب فيفكّه فيقرأه على النّاس فيجفلون عنه إجفال الغنم فلم يبق إلاّ النقباء فيتكلّم بكلام فلا يلحقون ملجأ حتّى يرجعوا إليه وإنّي لأعرف الكلام الذي يتكلّم به** (٢).

*** الشرح :**

قوله: (كأني بالقائم عليه السلام على منبر الكوفة عليه قباء فيخرج من وربان قبائه كتاباً مختوماً . اهـ) الكاف في كأني: للتشبيه وخبر أن محذوف والباء بمعنى مع أي كأني كائن مع القائم عليه السلام وناظر إليه ، فقد شبّه حالته العلمية بحالته البصرية في تحقق وقوعها وتيقنه ويحتمل إرادة المماثلة بين الحالتين من غير تشبيه إحداهما بالأخرى ، وقوله « على منبر الكوفة » حال عن القائم عليه السلام وقوله « عليه قباء » حال بعد حال، والوربان بالكسر الجيب، وكأنه معرب كريبان (فيجفلون عنه إجفال

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٧. (٢) الكافي: ٨ / ١٤٧.

الغنم) جفل الناس وأجفلوا وانجفلوا: أي ذهبوا مسرعين ، وفي المصباح جفل الشيء جفلاً من بابي ضرب وقعد ندّ وشرد فهو جافل وجفّال مبالغة، وجفّلت الطائر أيضاً: نفرته، وفي طاوعه فأجفل هو بالألف جاء الثلاثي متعدياً والرباعي لازماً عكس المشهور يقال: أجفل القوم وانجفلوا وتجفلوا أسرعوا الهرب (فلم يبق النقباء) أي الأشراف من الشيعة وفي المصباح نقب على القوم من باب قتل نقابة بالكسر فهو نقيب أي عريف والجمع نقباء .

*** الأصل:**

١٨٦ ـ سهل بن زياد ، عن بكر بن صالح ، عن ابن سنان ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **الحكمة ضالّة المؤمن فحيثما وجد أحدكم ضالّته فليأخذها** (١).

*** الشرح :**

قوله: (الحكمة ضالة المؤمن فحيث ما وجد أحدكم ضالته فليأخذها) المراد بالحكمة العلم بالمعارف الإلٰهية الّتي تفيد البصيرة التامة ، في أمر الدين ، وقيل: هي نفس تلك البصيرة، ومن ثم قيل الحكمة: نور يهدي الله به من يشاء . والمعنى أن الحكمة ضالة المؤمن ومطلوبة له، فإذا وصل إليها ووجدها استقر قلبه وأخذها، وهو أولى بها كالضالة إذا وجدها صاحبها فإنه يأخدها وهو أولى بها من غيره ، أو المراد أن الناس متفاوتون في فهم المعاني واستنباط الحقائق المحتجبة واستكشاف الأمور المرموزة فينبغي أن لاينكر من قصر فهمه عن إدراك حقائق الآيات ودقائق الروايات على من رزق فهماً وألهم تحقيقاً وإن لم يكن أهلاً لها كما أن صاحب الضالة لاينظر الى خساسة من وجدها عنده، كذلك المؤمن والحكيم لاينظر الى خساسة من يتكلم بالحكمة بالنظر إليه بل يأخذها منه أخذ الضالة، وفيه ترغيب على تعلم الحكمة ولو كان المعلم دونه في الدين والشرف والرتبة في العلم والعمل ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام على ما نقل عنه السيد رضى الدين في نهج البلاغة: « **خذ الحكمة أنى كانت فإن الحكمة تكون في صدر المنافق تضطرب في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن**» .

وقال أيضاً: « **الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق** » وفي كتب العامة « **الحكمة ضالة الحكيم فحيث وجدها فهو أحق بها** » ، وقيل: المراد كما أن الرجل إذا وجد ضالة في مضيعة فسبيله أن لايتركها بل يأخذ ويتفحص عن صاحبها حتى يجده فيرد ما عليه كذلك من سمع كلاماً لم يفهم معناه أو لايبلغ فهمه ومغزاه فعليه أن لايضيعه ويحمله إلى من هو أفقه منه

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٧ .

فلعله يفهم منه مالا يفهمه ويستنبط منه ما لا يستنبطه، أو المراد كما أن صاحب الضالة أخذ ضالته ممن يجدها ولا يحل له منع مالكها منها فإنه أحق بها، كذلك العالم إذا سئل عن معنى ورأى في السائل فطانة واستعداداً لذلك العلم فعليه أن يعلمه إياه ولايحل له منعه منه والأول أنسب .

*** الأصل:**

١٨٧ ـ سهل بن زياد ، عن يعقوب بن يزيد أو غيره ، عن سليمان كاتب عليٍّ بن يقطين ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **إنَّ الاشعث بن قيس شرك في دم أميرالمؤمنين عليه السلام وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام ومحمّد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام** [١].

*** الشرح :**

قوله: (إن الأشعث بن قيس شرك في دم أميرالمؤمنين عليه السلام) قال العلامة في الخلاصة نقلا عن الشيخ: إن الأشعث بن قيس الكندي أبو محمد سكن الكوفة ارتد بعد النبي صلى الله عليه وآله في ردة أهل ياسر، وزوّجه أبو بكر أخته أم فروة، وكانت عوراء فولدت له محمداً وكان من أصحاب علي عليه السلام ثم صار خارجياً ملعوناً ، أقول: إن الأشعث هو الذي أرسل إليه معاوية مائة ألف درهم ليحث عساكر أمير المؤمنين عليه السلام على الرضى بالتحكيم فأغراهم عليه حتى فعلوا ما فعلوا .

*** الأصل:**

١٨٨ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن صالح بن السنديِّ ، عن جعفر بن بشير ، عن صباح الحذَّاء عن أبي أُسامة قال : **زاملت أبا عبدالله عليه السلام قال : فقال لي : اقرأ قال: فافتتحت سورة من القرآن فقرأتها فرقَّ وبكى ، ثمَّ قال: يا أبا أُسامة ارعوا قلوبكم بذكر الله عزَّ وجلَّ واحذروا النكت فأنّه يأتي على القلب تارات أو ساعات (الشكّ من صباح) ليس فيه إيمان ولاكفر شبه الخرقة البالية أو العظم النخر . ياأبا أُسامة أليس ربّما تفقّدت قلبك فلا تذكر به خيراً ولا شرّاً ولاتدري أين هو؟ قال : قلت له : بلى إنه ليصيبني وأراه يصيب النّاس قال : أجل ليس يعرى منه أحد . قال فإذا كان ذلك فاذكروا الله عزَّ وجلَّ واحذروا النكت فانه إذا أراد الله بعبد خيراً نكت إيماناً وإذا أراد به غير ذلك نكت غير ذلك ، قال : قلت : ما غير ذلك جعلت فداك ما هو؟ قال : إذا أراد كفراً نكت كفراً** [٢].

*** الشرح :**

قوله: (ارعوا قلوبكم بذكر الله عزَّ وجلَّ) أمر بمراعاة أحوال القلوب و حفظها بذكر الله تعالى عن السهو والغفلة فإن في غفلتها مفاسد ولذلك قال : (واحذروا النكت) أصل النكت أن يضرب

(١) الكافي: ٨ / ١٤٧. (٢) الكافي: ٨ / ١٤٧.

في الأرض بقضيب فيؤثر فيها ، والمراد به دخول شيء من المفاسد فيه كالكفر ونحوه فيتأثر به ومنه النكتة وهو النقطة وشبه الوسخ (فإنه يأتي على القلب تارات الخ) جمع تارة: وهي الحين والمرة ، والمراد بها ساعة الغفلة عن ذكره تعالى والاشتغال بما سواه ليس فيه إيمان ولاكفر، دل على أن الكفر وجودي وهو الانكار إذ لو كان عدمياً كما قيل وهو عدم الايمان لما انتفيا معاً (شبه الخرقة البالية أو العظم النخر) النخر: ككتف، والناخر: البالي المتفتت، وفيه تشبيه معقول بمحسوس لقصد الإيضاح والتشويه والوجه هو الكثافة والرثاثة (فإنه إذا أراد بعبد خيراً نكت ايماناً وإذا أراد به غير ذلك نكت غير ذلك) لعل المراد بالخير اللطف والتوفيق وهو فعل صادر منه تعالى تابع لعلمه بحسن استعداد العبد لقبوله وبقاء فطرته الأصلية على نحو من الكمال، ويظهر منه حال قرينه فلا يرد أنه تعالى أراد خير كل العبد لأن المراد بهذا الخير أعمالهم الصالحة وفيه توجيه آخر ذكرناه في شرح الأصول .

(قال: قلت: وما غير ذلك جعلت فداك ماهو؟ قال: إذا أراد كفراً نكت كفراً) إن قلت: هل فيه دلالة على أن الإيمان والكفر من فعله تعالى كما هو مذهب الأشاعرة أم لا؟ قلت: لا، لأن هذا القلب الغافل لامحالة، إما أن يعود إلى الإيمان باختياره أو الى الكفر باختياره، فإن عاد إلى الأول كان في علمه السابق الأزلي إيمانه، وإن عاد الى الثاني كان فيه كفره فأراد عز وجل إيمانه أو كفره بالعرض ليطابق علمه بمعلوم إلّا أن بين الإيمان والكفر فرقاً وهو أنه تعالى أراد إيمانه بالذات أيضاً دون كفره ولما كان صدورهما من هذا الغافل بإرادته تعالى بالعرض نسب نكتهما إليه بهذا الاعتبار وهو لا يستلزم صدورهما منه تعالى، وهذا هو المراد من قول أبي عبدالله عليه السلام في آخر حديث طويل « علم أنهم سيكفرون فأراد الكفر لعلمه فيهم » وليست إرادة حتم إنما هي إرادة اختيار وإن أردت زيادة توضيح فارجع إلى ماذكرنا في شرح أحاديث باب الاستطاعة من كتاب التوحيد، ولنا توجيه آخر ذكرناه في باب سهو القلب من كتاب الإيمان والكفر، وحاصله أنه سبحانه وكّل على القلب ملكاً يهديه ويرشده الى الخير وشيطاناً يضله ويرشده الى الشر كما دلت عليه الروايات المعتبرة المذكورة في الكتاب المذكور فإن تابع الأول يعود إلى الإيمان وإن تابع الثاني يعود الى الكفر وبهذا الاعتبار كانت تلك النكتة منه تعالى والله أعلم .

*** الأصل:**

١٨٩ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن عليٍّ بن الحكم ، عن أبي المغرا عن زيد الشحّام ، عن عمرو بن سعيد بن هلال قال : **قلت لأبي عبدالله عليه السلام إنّي لاأكاد ألقاك إلاّ في السنين فأوصني بشيء آخذ به ، قال : اُوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والورع والاجتهاد**

واعلم أنّه لاينفع اجتهاد لاورع معه، وإيّاك أن تطمح نفسك إلى من فوقك ، وكفى بما قال الله عزَّ وجلَّ لرسوله ﷺ : « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم » وقال الله عزَّ وجلَّ لرسوله : « ولا تمدنَّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدُّنيا » فإن خفت شيئاً من ذلك فاذكر عيش رسول الله ﷺ فانّما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف إذا وجده وإذا اُصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله ﷺ فانَّ الخلق لم يصابوا بمثله ﷺ قطُّ [١].

* **الشرح :**

قوله: (اُوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والورع والاجتهاد) أوصاه بأربع خصال مشتملة على جميع ما هو مطلوب من الإنسان : الأولى: التقوى: وهي ملكة تورث الخوف من الله تعالى والاجتناب عن المحارم والإتيان بوظائف الطاعات كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله « عباد الله إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه وألزمت قلوبهم مخافته حتى أسهرت لياليهم وأظمأت هواجرهم، الحديث » الثانية: صدق الحديث النافع في الدنيا والآخرة، وهو من توابع العدل المتوقف على استقامة القوى العقلية والغضبية والشهوية، إذ لو فسدت إحداهما وقع الكذب في اللسان كثيراً ، الثالثة: الورع وهو ملكة التحرز عن المشتهيات ولذات الدنيا وإن كانت مباحة ، الرابعة: الاجتهاد في العلم والعمل (واعلم أنه لاينفع اجتهاد لاورع معه) لأن الخير المختلط بشر شران تساويا أو زاد الشر ومشوب مختلط إن زاد الخير، والله سبحانه لايتقبل إلّا الخالص ، ولأن الاجتهاد ميل الى الآخرة وترك الورع ميل الى الدنيا فيذهب هذا بذاك، ومن ثم قيل الميل الى الدنيا والآخرة لايجتمعان. (وإياك أن تطمح نفسك الى من فوقك)، طمح بصره إليه من باب منع: امتدّ وارتفع وأشرف، وأصله قولهم: جبل طامح: أي طائل مشرف وفيه تحذير للانسان من أن ينظر الى من فوقه ويتمنى ما عنده من نعمه ومتاع الدنيا ويطلب اللحاق به، لأنه ربما يقع في الحرام ولايبالي ويشقى بذلك وربما لايتيسر له اللحاق فيموت غماً أو حسداً، وهو على التقديرين يبعد من الدين ويصير من الهالكين وإذا نظر إلى من هو دونه عرف قدر نعمة الله عليه والتزم شكر المنعم وطاعته ، هذا حال الناظر الى متاع الدنيا وأما الناظر إلى الطاعة والعلم والزهد ينبغي أن يكون الأمر بالعكس (وكفى بما قال الله عز وجل لرسوله ﷺ **﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾** كفى هذا القول الكريم زجراً عن الطموح ومنعاً من النظر والإشراف إذاً المقصود منه نصيحة الأمة إذ قدس ذاته ﷺ أرفع من أن ينظر إليهم ويتمنى ما هم عليه من النعمة الفانية، ولو فرض أنه المقصود من

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٨.

هذه النصيحة فغيره أولى بها (وقال الله عز وجل **﴿ولا تمدّنّ عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا﴾**) نصب زهرة بمقدر دل عليه المذكور وهو متعنا وفيه وجوه أخر ذكرها المفسرون وإنما نهاه ﷺ عن مدالنظر الى ما متّع به أصنافاً من الكفرة وغيرهم من زهرة الدنيا وزينتها وتمنيه أن يكون له مثله لأن ذلك يوجب فساد القلب وحب الدنيا وكثرة الذنوب والبعد عن الآخرة الّتي هي دار المتقين (فإن خفت شيئاً من ذلك) أي من الطموح ومد العينين (فاذكر عيش رسول الله ﷺ. آه) الوقود كالصبور: الحطب والسعف، محركة جريد النخل أو ورقة أمر بذلك فإن ذكر عيشه وقناعته وصبره على الجوع وتركه الدنيا ولذات نعيمها مع أن الدنيا وما فيها خلقت له يسهل الصبر على ضنك المعيشة والإعراض عن زهرات الدنيا ويزيل حبها عن القلب (وإذا أصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله ﷺ) بذلك يسهل الصبر على المصيبة الحاضرة لأن المصيبة الصغرى لاقدر لها عند المصيبة الكبرى وفيه حث على الصبر في مواطن المكروه وزجر عن الجزع منه بتذكر تلك المصيبة الّتي لا أعظم منها ومن المجرب أن تذكر المصائب الواردة على الأنبياء والأوصياء عليهم السلام هانت له صورة مصائب الدنيا كلها .

*** الأصل:**

١٩٠ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن الحسن بن السريّ ، عن أبي مريم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : **سمعت جابر بن عبدالله يقول : إنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بنا ذات يوم ونحن في نادينا وهو على ناقته وذلك حين رجع من حجّة الوداع فوقف علينا فسلّم فرددنا عليه السلام ، ثمَّ قال : مالي أري حبَّ الدُّنيا قد غلب على كثير من النّاس حتّى كأنَّ الموت في هذه الدُّنيا على غيرهم كتب ، وكأنَّ الحقَّ في هذه الدُّنيا على غيرهم وجب ، و حتّى كأن لم يسمعوا ويروا من خبر الأموات قبلهم ، سبيلهم سبيل قوم سفر عمّا قليل إليهم راجعون ، بيوتهم أجداثهم ويأكلون تراثهم ، فيظنّون أنّهم مخلّدون بعد هم هيهات هيهات ما يتّعظ آخرهم بأوَّلهم لقد جهلوا ونسوا كلَّ واعظ في كتاب الله وأمنوا شرَّ كلِّ عاقبة سوء ولم يخافوا نزول فادحة وبوائق حادثة . طوبى لمن شغله خوف الله عزَّ وجلَّ عن خوف النّاس .**

طوبى لمن منعه عيبه عن عيوب المؤمنين من إخوانه .

طوبى لمن تواضع لله عزَّ ذكره وزهد فيما أحلَّ الله له من غير رغبة عن سيرتي ورفض زهرة الدُّنيا من غير تحوُّل عن سنّتي واتّبع الأخيار من عترتي من بعدي وجانب أهل الخيلاء ولاتفاخر والرَّغبة في الدُّنيا ، المبتدعين خلاف سنّتي العاملين بغير سيرتي .

طوبي لمن اكتسب من المؤمنين مالاً من غير معصية فأنفقه في غير معصية وعاد به على أهل

المسكنة، طوبى لمن حسّن مع النّاس خلقه وبذل لهم معونته وعدل عنهم شرَّه، طوبى لمن أنفق القصد وبذل الفضل وأمسك قوله عن الفضول وقبيح الفعل [(١)].

*** الشرح:**

قوله: (مالي أرى حب الدنيا قد غلب على كثير من الناس، هذا حال أكثر كل عصر لغموض أمر الآخرة وخفاء أحوالها مع اغماضهم عين البصيرة عنها و ظهور أمر الدنيا ونعيمها، مع ميل طبائعهم إليها وضعف عقولهم عن ادراك قبائحها وكشف مفاسدها، فصار ذلك سبباً لحب الدنيا وترك الآخرة (حتى كأنّ الموت في هذه الدنيا على غيرهم كتب)، لكون حالهم شبيهة بحال من يظن ذلك ، وفيه تنبيه على أن تذكر الموت الباعث على فراق الدنيا والورود في الآخرة موجب لهوان الدنيا وما فيها ولذلك ورد في روايات كثيرة الحث على تذكره (وكان الحق في هذه الدنيا على غيرهم وجب) الظاهر أن المراد بالحق: حق الله تعالى وآدابه وأحكامه الدينية المتعلقة بكيفية العلم والعمل وتخصيصه بالموت بعيد (وحتى كأن لم يسمعوا ويروا من خبر الأموات قبلهم)، السماع بالنسبة الى من مات من السابقين والغائبين والرؤية بالنسبة إلى من مات من الحاضرين وفيه توبيخ بترك العبرة بحالهم حيث كانوا في الدنيا فماتوا وتركوا ما في أيديهم اضطراراً وسكنوا قبورهم معذبين بعذاب أليم إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

(سبيلهم سبيل قوم سفر عما قليل إليهم راجعون) سفر الرجل سفراً من باب طلب: خرج للارتحال فهو مسافر، والجمع سفر، مثل راكب وركب وصاحب وصحب ، وفيه تنبيه على سرعة زوال العمر ورجوع الباقين الى الماضين وترغيب في العمل لما بعد الموت وترك حب الدنيا وزهراتها المانعة عن الاستعداد لما ينفع بعده (بيوتهم أجداثهم ويأكلون تراثهم فيظنون أنهم مخلدون بعدهم هيهات هيهات) أي بعد هذا الظن عن الصواب والتكرير للمبالغة ، والجدث القبر والجمع أجداث مثل سبب وأسباب وفيه تنفير عن الدنيا وتزيين البيوت فيها لأن من علم أنه يسكن هذا البيت الضيق المظلم وهو القبر في زمان طويل لايعلم طوله إلّا الله يسهل عليه ترك الدنيا الفانية بحذافيرها فضلاً عن بيت وصرف العمر في تحصيل ما يحتاج إليه البيت (أما يتعظ آخرهم بأولهم) فليقدّر الآخر نفسه كالأول في أنه سكن الدنيا لحظة وارتحل الى الآخرة دفعة (ونسوا كل واعظ في كتاب الله تعالى) واعظ بليغ يعظهم بفناء الدنيا وخساسة متاعها واهلاكها السابقين بالركون إليها، ويدعوهم الى التذكر للموت والعمل لما بعده وغير ذلك من المنفرات عن الدنيا

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٨.

والمرغبات للآخرة (وأمنوا شر كل عاقبة سوء) لاحقه بهم في الدنيا للركون إليها وفي الآخرة بالإعراض عنها وترك العمل لها ، وفيه ترغيب في الأعمال الصالحة وترك لوازم حب الدنيا لتحصيل النجاة من سوء العاقبة (ولم يخافوا نزول فادحة وبوائق حادثة) الفادحة: النازلة الثقلية، وفوادح الدهر: خطوبه ، فدح كمنع ثقل والظاهر أن بوائق عطف على نزول لا على فادحة لأن ذكر حادثة يتأبى عنه والبائقة: النازلة: وهي الداهية والشر الشديد، يقال: باقت الداهية إذا نزلت والجمع البوائق ، وفي ذكر عدم الخوف مما ذكر ترغيب في الخوف منه وتنفير عن تركه المستلزم للميل الى الدنيا والمعاصي التابعة لها.

(طوبى لمن شغله خوف الله عز وجل عن خوف الناس)، أي الجنة أو طيب العيش في الدنيا والآخرة له ، وفيه حث على الخوف من عذاب الله لأنه الموجب للامتثال بأوامره والاجتناب عن نواهيه وزجر عن خوف الناس لأنه يوجب التشبث بأطوارهم والتباعد عن خوف الله تعالى (طوبى لمن منعه عيبه عن عيوب المؤمنين من إخوانه)، حرض المكلف على الاشتغال بعيوب نفسه واصلاحها والإعراض عن ذكر عيب غيره من المؤمنين خليقتة كانت أو كسبية إلّا ما استثنى ، وخص ذلك بالمؤمن إذ لا حرمة للكافر (طوبى لمن تواضع لله عز وجل) بالعبادة مع التذلل والخشوع له (وزهد فيما أحل الله له) من متاع الدنيا لعلمه بأنه يشغله عن الله تعالى وعن أمر الآخرة ، والزهد في الشيء خلاف الرغبة فيه وفعله من باب منع وسمع وكرم (من غير رغبة عن سيرتي) أي طريقتي وهيئتي والرغبة عنها، إما بإنكارها أو بترك التمسك بها والبلوغ اليها وإن لم يكن لأحد لكن ينبغي طلب التشبه به وعدم ترك الميسور بالمعسور (ورفض زهرة الدنيا) أي زينتها ومتاعها مطلقاً سواء أحل له أم لا من غير تحول عن سنتي وهي الشريعة الّتي جاءته من عندالله تعالى، وإنما خص البشارة بغير الراغب عن سيرته وغير المتحول عن سنته إذ الزهد ورفض الدنيا لاينفعان لهما بل يلحق بهما خسران الدنيا والآخرة (واتبع الأخيار من عترتي من بعدي) في سيرتهم ودينهم وعقائدهم وأقوالهم وأعمالهم ، والعترة بالكسر: نسل الرجل ورهطه وعشيرته وأشرف عترته علي عليه السلام (وجانب أهل الخيلاء)، المتكبرين (والتفاخر) بالحسب والنسب والجاه والمال وغيرها (والرغبة في الدنيا) بطلبها زائدة عن قدر الكفاف وإن كانت مباحة (المبتدعين خلاف سنتي) كأصحاب الرأي والقياس والأهواء النفسانية (العاملين بغير سنتي) إن ابتدعه غيرهم كاتباع المبتدعين ومن ابتدعه وعمل به جامع للرذيلتين وفي بعض النسخ « بغير سيرتي» . إنما بشر من جانب هؤلاء لأن صحبتهم شؤم وأمراضهم مسرية مهلكة، فلّما يتخلص جليسهم عن صفاتهم وآدابهم (طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالاً من غير معصية فأنفقه في غير

معصيته وعاد به على أهل المسكنة) عاد معروفة عوداً أفضل وأعطى والاسم العائدة وذكر أهل المسكنة من باب ذكر الخالص بعد العام للاهتمام والترغيب في إعطاء المساكين وفيه وعد لمن اكتسب حلالاً وأنفقه في وجوه البر بالأجر الجميل والثواب الجزيل. (طوبى لمن حسن مع الناس خلقه وبذل لهم معونته وعدل عنهم شره) رغب في ثلاث خصال بها نظام الدنيا وكمال الدين، الأولى: حسن الخلق مع الناس أن يخالطهم بالجميل والتودد والرأفة واللطف وحسن الصحبة والعشرة والمراعاة والرفق والصبر والاحتمال لهم والاشفاق عليهم وبالجملة حسن الخلق تابع لاستقامة جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة. الثانية: بذل المعونة لهم في أمر الدين والدنيا وهي اسم من أعانه إذا أمده ونصره ووزنها مفعلة بضم العين ، وبعضهم يجعل الميم زائد ويقول هي فعولة ، الثالثة: دفع شره وشر غيره عنهم ولهذه الخصال فوائد لاتحصى (طوبى لمن انفق القصد): وهو التوسط بين الإسراف والتبذير وبذل الفضل وهو الزائد على قدر الكفاف، وإنفاقه ينشأ من العلم بأن الزائد لايحتاج إليه في البقاء مع ترتب الثواب الجزيل عل إنفاقه في دار الجزاء (وأمسك قوله عن الفضول) وهو ما لاينفع سواء ضر أم لا ، لأن المومن لا يلوث لسانه بما لا ينفع وما يضر (وقبيح الفعل) كأنه عطف على أمسك بتقدير فعل يدل عليه المذكور أي أمسك عن قبيح الفعل وهو مايذم به عقلاً وشرعاً وعطفه على الفضول بحمل الفعل على فعل اللسان يأباه ظهور عموم الفعل ولزوم التكرار وتخصيص الفضول بالمباح خلاف الظاهر.

*** الأصل:**

١٩١ ـ الحسين بن محمّد الأشعريّ ، عن معلّى بن محمّد رفعه ، عن بعض الحكماء قال :**إنَّ أحقَّ النّاس أن يتمنّى الغنى للنّاس أهل البخل لانَّ النّاس إذا استغنوا كفّوا من أموالهم و إنَّ أحقَّ النّاس أن يتمنّى صلاح النّاس أهل العيوب لأنَّ النّاس إذا صلحوا كفّوا عن تتّبع عيوبهم وإنَّ أحقَّ النّاس أن يتمنّى حلم النّاس أهل السفه الذين يحتاجون أن يعفى عن سفههم فأصبح أهل العيوب يتمنّون فسقهم وأصبح أهل الذّنوب يتمنّون سفههم وفي الفقر الحاجة إلى البخيل وفي الفساد طلب عورة أهل العيوب وفي السفه المكافاة بالذنوب** [1].

*** الشرح :**

قوله: (فأصبح أهل البخل يتمنون فقر الناس) والحامل لهم على ذلك وجوه : الأول: إن صفة البخل يقتضي الحرص في جمع المال وضبطه فيحب البخيل جمعه لنفسه . الثاني: إنها تقتضي

---

(١) الكافي: ٨ / ١٤٩.

الحسد، والحسد يقتضي حب زوال النعمة عن الغير وبقائهم على الفقر، الثالث: إنها تابعة لطلب العزة بكثرة المال فيجب أن يكون سبب العز وهو المال كله له ، الرابع: إنها صفة مستحسنة عند البخيل فيجب أن تكون تلك الصفة للجواد الوهاب أيضاً (وأصبح أهل العيوب يتمنون فسقهم) لتحصل بينهم المشاركة في نوع من العيب ويمكن لهم المقابلة بالتعبير في وقت ما (وأصبح أهل الذنوب يتمنون سفههم طلباً) للمشاركة لما مرَّ ولعل المراد بالذنوب: السفه تسمية للسبب باسم المسبب والسفه: التمني حقيقة على الأول ومجاز على الثاني .

*** الأصل:**

١٩٢ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن القاسم بن يحيى ، عن جدِّه الحسن بن راشد قال: **قال أبو عبدالله عليه السلام : يا حسن إذا نزلت بك نازلة فلا تشكها إلى أحد من أهل الخلاف ولكن اذكر لبعض إخوانك فانّك لن تعدم خصلة من أربع خصال : إمّا كفاية بمال وإمّا معونة بجاه أو دعوة فتستجاب أو مشورة برأي** [1].

* **الشرح** : قوله: (يا حسن إذا نزلت بك نازلة فلا تشكها الى أحد من أهل الخلاف) في كنز اللغة شكاية «گله كردن واظهار بدى حال كردن» وفعلها من باب قتل وهي ممن نزلت به نازلة مذمومة سيما الى أهل الخلاف الذين هم عدو لله وله لتضمنها الشماتة غالبا وشكاية الرب الى عدوه إذ الشكاية عن الفعل شكاية عن فاعله كما يدل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام « **من أصبح يشكو مصيبة نزلت به فإنما يشكو ربه** » وقال « **من شكى الى كافر فكأنما شكى الله** » (ولكن اذكرها لبعض اخوانك فإنك لن تعدم خصلة من أربع خصال) أي لن تفقد ، والعدم بالضم وبضمتين وبالتحريك: الفقدان وفعله من باب علم (إما كفاية وإما معونة بجاه أودعوة تستجاب أو مشورة برأى) المؤمن إذا نزلت به نازلة ينبغي التوسل الى الله كما حكاه الله تعالى عن يعقوب عليه السلام « **وإنما أشكو بثي وحزني الى الله** » وعن المرأة « **وتشتكي الى الله** » والله سبحانه أشكاهما وأزال حزنهما وإن دعت نفسه إلى ذكرها لأحد ينبغي أن يذكرها لمؤمن عاقل يتوقع منه المدد في ازالتها بأحد الوجوه الأربعة المذكورة لأن المؤمن من حزب الله تعالى وهو يجعله وسيلة والشكاية إليه شكاية الى الله حقيقة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: « **من شكا الحاجة الى مؤمن فكأنما شكاها الى الله** » و فيه تنبيه على أن المؤمن المرفوع إليه الشكاية ينبغي له الإتيان بإحدى الخصال الأربع ومراعاة الأقوى في إزالة الشكاية أقدم وأقوى .

---

(١) الكافي: ٨ / ١٥٠.

خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام

*** الأصل:**

١٩٣ ـ عليُّ بن الحسين المودّب و غيره ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن إسماعيل بن مهران ، عن عبدالله بن أبي الحارث الهمدانيّ ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : **خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال : الحمدلله الخافض الرافع ، الضّارِّ النافع ، الجواد الواسع ، الجليل ثناؤه ، الصادقة أسماؤه ، المحيط بالغيوب وما يخطر على القلوب ، الذي جعل الموت بين خلقه عدلاً وأنعم بالحياة عليهم فضلاً ، فأحيى وأمات وقدَّر الأقوات ، أحكمها بعلمه تقديراً وأتقنها بحكمته تدبيراً إنّه كان خبيراً بصيراً ، هو الدَّائم بلا فناء والباقي إلى غير منتهى ، يعلم ما في الأرض وما في السماءو ما بينهما وما تحت الثرى .**

أحمده بخالص حمده المخزون بما حمده به الملائكة والنبيّون ، حمداً لا يحصى له عددٌ ولا يتقدَّمه أمد ، ولا يأتي بمثله أحدٌ ، أُومن به وأتوكّل عليه وأستهديه وأستكفيه وأستقضيه بخير وأسترضيه .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمّداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدِّين كلّه ولو كره المشركون .

أيّها النّاس إنَّ الدُّنيا ليست لكم بدار ولاقرار ، إنمّا أنتم فيها كركب عرَّسوا فأناخوا ، ثمَّ استقلّوا فغدوا وراحوا ، دخلوا خفافاً وراحوا خفافاً، لم يجدوا عن مضيٍّ نزوعاً ، ولا إلى ماتركوا رجوعاً ، جدَّ بهم فجدُّوا ، وركنوا إلى الدنيا فما استعدُّوا حتّى إذا أُخذ بكظمهم وخلصوا إلى دار قوم جفّت أقلامهم لم يبق من أكثرهم خبرٌ ولاأثرٌ ، قلَّ في الدُّنيا لبثهم وعجّل إلى الآخرة بعثهم ، فأصبحتم حلولاً في ديارهم ، ظاعنين على آثارهم والمطايا بكم تسير سيراً ، ما فيه أين ولا تفتير، نهاركم بأنفسكم دؤوب وليلكم بأرواحكم ذهوب فأصبحتم تحكون من حالهم حالاً وتحتذون من مسلكهم مثالاً ، فلا تغرنّكم الحياة الدُّنيا فإنّما أنتم فيها سفر حلول والموت بكم نزول ، تنتضل فيكم مناياه ، وتمضي بأخباركم مطاياه إلى دار الثواب والعقاب والجزاء والحساب .

فرحم الله امرءاً راقب ربّه وتنكّب ذنبه وكابر هواه وكذَّب مناه ، امرءاً زمَّ نفسه من التقوى بزمام وألجمها من خشية ربّها بلجام ، فقادها إلى الطاعة بزمامها وقدعها عن المعصية بلجامها ، رافعاً

إلى المعاد طرفه ، متوقّعاً في كلِّ أوان حتفه ، دائم الفكر ، طويل السّهر ، عزوفاً عن الدُّنيا سأماً ، كدوحاً لآخرته متحافظاً ، امرءاً جعل الصبر مطيّة نجاته، والتقوى عدّة وفاته ودواء أجوائه ، فاعتبر وقاس وترك الدُّنيا والنّاس ، يتعلّم للتفقّه والسداد وقد وقر قلبه ذكر المعاد وطوبى مهاده وهجر وساده ، منتصباً على أطرافه ، داخلاً في أعطافه ، خاشعاً لله عزَّ وجلَّ ، يرواح بين الوجه والكفّين، خشوع في السرِّ لربّه ، لدمعه صبيب ولقلبه وجيب ، شديدة أسباله ، ترتعد من خوف الله عزَّ وجلَّ أوصاله ، قد عظمت فيما عندالله رغبته واشتدَّت منه رهبته ، راضياً بالكفاف من أمره يظهر دون مايكتم ويكتفي بأقلّ ممّا يعلم أُولئك ودائع الله في بلاده ، المدفوع بهم عن عباده ، لو أقسم أحدهم على الله عزَّ ذكره لأبرّه ، أو دعى على أحد نصره الله ، يسمع إذا ناجاه ويستجيب له إذا دعاه ، جعل الله العاقبة للتقوى والجنّة لأهلها مأوى ، دعاؤهم فيها أحسن الدعاءِ « سبحانك اللّهم » دعاؤهم المولى على ما آتاهم « وآخر دعواهم أن الحمدلله ربِّ العالمين » (١).

*** الشرح :**

قوله: (خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام) مشتملة بعد الحمد والثناء والشهادة بالرسالة على المنفرات عن الدنيا والمرغبات في الآخرة بأفصح كلام وأبلغ نظام (الحمد لله الخافض الرافع) لأنه يخفض الجبارين والفراعنة وكل شيء يريد خفضه وذله: أي يضعهم ويهينهم والخفض ضد الرفع ويرفع المؤمنين بالتوفيق والإسعاد، والأولياء بالتقريب والإمداد، والعلماء بالإنعام والإرفاد (والضار النافع) لأنه يضر من يشاء بالتعذيب وسلب إفاضة الكمالات، ويوصل النفع إلى من يشاء ويوفقه للخيرات (الجواد الواسع) لانه يعطي المؤمن والكافر والبر والفاجر إعطاءِ كثيراً من غير استحقاق بل لأن وجود الممكن ولوازم وجوده كلها من فيض جوده (الجليل ثناؤه) أي العظيم ثناؤه لا يصل إلى أقصى ثنائه عقول العارفين لكونه موصوفاً بجميع نعوت الجلال والكمال الّتي لايبلغ إليها أوهام الواصلين ولذلك قال خاتم النبيين: « **لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك** »

(الصادقة أسماؤه) كل اسم من أسمائه تعالى مدحة دالة على صفة في غاية الكمال وصدقها عبارة عن ثبوت مدلولها في الواقع وليس ذلك من باب المبالغة أو الجزاف كما يقع مثل ذلك في كلام أرباب الإطراء (المحيط بالغيوب) علماً وقدرة لان الغائب الخارج عن المحسوسات الّتي يمكن إدراك الحواس لها وقتاً ما حاضر عنده كالشاهد (وما يخطر بالقلوب) القلب ومخاطراته حاضرة عنده محاطة بعلمه وهو رقيب عليها عليم بذات الصدور، وفيه حث على تنزيه القلب عن

---

(١) الكافي: ٨ / ١٥٠.

خواطر السوء ولو خطر فيه مالا ينبغي أن يتدارك بالتوبة والاستغفار والتوسل بالله تعالى والتضرع إليه، كما يلزم ذلك في أفعال الجوارح (الذي جعل الموت بين خلقه عدلاً) في وصفه تعالى بتقدير الموت ترغيب في طاعته والانزجار عن معصيته وذكر المعاد إليه ووعده ووعيده والرغبة عن الدنيا والزهد فيها، وبذل الفضل وتكميل جميع الأخلاق فهو محض عدل حقي لو لم يكن موت وقع الهرج والمرج وفسد نظام الخلق وبطل رفاهة العيش (وأنعم بالحياة عليهم فضلاً) أي أنعم بالحياة المسبوقة بالعدم، أوالأعم منها ومن المسبوقة بالوجود والكل من باب الفضل والإحسان بلا سابقة استحقاق فيجب الشكر على تلك النعمة الجليلة (فأحيى وأمات) قد عرفت أن الموت والحياة نعمتان جليلتان فوجب الرضى بهما والشكر عليهما (وقدّر الأقوات أحكمها بعلمه تقديراً وأتقنها بحكمة تدبيراً) قدّر الأقوات والأرزاق كلها في يومين كما نطق به القرآن الكريم وقدر لكل نوع وكل صنف من أنواع المرزوقين وأصنافهم رزقاً معلوماً على قدر معلوم لحكمة ومصلحة بحيث لايتغير ولايتبدّل، ولايمكن أن يقال لو كان الأمر على خلاف ذلك كان أحسن، وهذا معنى الإحكام والإتقان وهما بمعنى واحد، وتدبير الشيء: فعله عن فكر ورؤية ونظر إلى دبره وهو عاقبته وآخره ، والمراد به هنا تعلق العلم بصلاح آخره كتعلقه بصلاح أوله من غير روية وفكر.

(إنه كان خبيراً بصيراً): أي كان عليماً بالأشياء ظواهرها وبواطنها وحقائقها ولوازمها وعوارضها، من خبرت الشيء من باب قتل خبراً، علمته، ومن خبرت الأرض: شققتها للزراعة، فأنا خبير وبصير بالمبصرات بنفس الذات وفي ذكر البصير بعد الخبير الذي هو العالم المطلق رد على من زعم أنه ليس بعالم بالجزئيات لأن المبصرات كلها جزئيات، (هو الدائم بلافناء) لأن الفناء من صفات الكائنات الحادثة الفاسدة الهالكة في حد ذاتها وفيه سلب لحمل دوامه عليه على المعنى العرفي وهو الزمان الطويل (والباقي الى غير منتهى): أي من غير انتهاء لذاته فلا يتصف ذاته بحد ونهاية لأنهما عن لوازم المقدار وهو منزه عنها أو من غير انتهاء لوجوده لأنه واجب الوجود لذاته فيستحيل أن يلحقه العدم وينتهي وجوده الى حد وينقطع عند غاية (يعلم ما في الأرض و ما في السماء وما بينهما وما تحت الثرى) يعلم كله وكل جزء من الأجزاء علماً محيطاً بظواهره وبواطنه وجلياته وخفياته على السواء (أحمده بخالص حمده المخزون بما حمده الملائكة والنبيون حمداً لايحصى له عدد ولايتقدمه أحد ولايأتي بمثله أحد) طلب عليه السلام لكونه كاملاً أن يكون حمده كاملاً من وجوه، الأول: وهو الأصل في جميع العبادات، أن يكون خالصاً من النقص والسمعة والرياء، الثاني: أن يكون مخزوناً لايعلم قدره ووصفه وكماله إلّا الله تعالى ، الثالث: أن يكون كاملاً

بكمال المحمود به وتعدده وهو ما حمده به الملائكة المقربون والنبيون ، الرابع: أن يكون متكثراً غير محصور ولامعدود لايبلغه أوهام الحاسبين ، الخامس: أن يكون في كمال ذاته وخصوص صفاته بحيث لايتقدمه أحد ولايأتي بمثله أحد ، واختلفوا في أن الحامد بالحمد الإجمالي على هذا الوجه هل يثاب بثواب ما تمناه أو بثواب ما فوق الواحد أو بثواب حمد واحد، فذهب إلى كل فريق والأخير بعيد لظهور الفرق بينه وبين الواحد والثاني قوي للفرق بين الإجمال والتفصيل ، والأول أقوى إذ لانقص في كرمه تعالى (أؤمن به وأتوكل عليه) ايماناً كاملاً وتوكلاً صادقاً وهو تفويض الأمور كلها عليه والثقة به وقد ذكرنا حقيقة التوكل ومبدأه وفوائده في شرح كتاب العقل.

(واستهديه وأستكفيه) أي أطلب منه الهداية الخاصة الى الخيرات والكفاية في المهمات (وأستقضيه بخير وأسترضيه) في كنز اللغة استقضاء «قاضي وحاكم كردن واخذ كردن حق» يقال استقضيته حقي أي أخذته واسترضاء «خشنودي خواستن» والمعنى أطلب منه أن يكون قاضياً حاكماً لي بخير أو أطلب أخذ الخير منه وأن يكون راضياً عني وفيه تنبيه على أن هذه الأمور غاية المقاصد للإنسان الكامل وهو محتاج إلى طلبها لئلاّ يضل في الخاتمة ولايذل في العاقبة فكيف غيره .

(وأشهد أن لا اله إلّا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) قيل هاتان شهادتان مقرونتان لا تنفع إحداهما بدون الأخرى ، والثانية بمنزلة الباب للأولى إذ لايحصل التوحيد والحق إلاّ ببيان الرسول والإقرار به ، وفي عبده إشارة الى شرف مرتبة العبودية (أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) الهدى: القرآن، والايمان والبيان والدلالة ودين الحق: الشريعة الّتي جاء بها النبي ﷺ وإظهاره على الأديان كلها عند ظهور الصاحب عليه السلام كما دل عليه صريح بعض الروايات .

(أيها الناس إن الدنيا ليست لكم بدار ولاقرار) في كنز اللغة قرار «آرامگاه» كما قال تعالى ﴿**ثم جعلناه في قرار مكين**﴾ وقرار الأرض المستقر الثابت منها وفيه تنبيه للغافلين من أبناء الدنيا على أنه لاينبغي لهم الركون إليها وقصد السكون فيها للزوم مفارقتها سريعاً كما أشار إليه بقوله (**إنما أنتم فيه كركب عرسوا فأناخوا ، ثم استقلوا فغدوا وراحوا**) الركب جمع راكب: الدابة كصحب جمع الصاحب، والتعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم والاستراحة، والاستقلال: رفع الشيء وحمله ذهاب القوم، تقول استقله أي حمله ورفعه واستقل القوم: أي ذهبوا وارتحلوا ، والغدو والرواح: الذهاب غدوة وعشية أي ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وآخر النهار ، ثم كثر استعمالها في الذهاب أي وقت كان من ليل أو نهار فهما متفارقان في الأصل ومتساويان في الاستعمال وقد

خاطب الناس أجمعين من باب التغليب وشبههم بجماعة الفرسان من المسافرين وأشار الى وجه الشبه بقوله عرسوا الى آخره وهو متحقق في المشبه به حساً وفي المشبه عقلاً أو شبههم بالذين ماتوا على أن يكون المراد بالركب الجماعة الماضين بقرينة ما بعده والوجه وهو ما ذكر متحقق في الطريقين عقلا ، توضيح ذلك:

أن الإنسان وهو النفس حقيقة بعد نزوله في هذا المنزل وهو الدنيا في مدة قليلة سائر الى دار الآخرة سريعاً ومركبه البدن والقوى النفسانية، وطريق سيره هي العالم المحسوس والمعقول، وسيره هو تصرفه في العالمين لتحصيل السعادة أو الشقاوة في الآخرة وفيه ترغيب في الأول وتحذير عن الثاني (دخلوا خفافاً وراحوا خفافاً) الخفاف ضد الثقال وضمير الجمع للركب أى دخلوا في الدنيا خفافاً من متاعها وراحوا منها إلى الآخرة خفافاً منه وفيه تنفير للناس عن الدنيا وزهراتها لأنهم لايحملون معهم عند الارتحال إلى الآخرة شيئاً منها فينبغي أن لايصرفوا أعمارهم في تحصيلها (لم يجدوا عن مضي نزوعاً) المضي بالفتح فالسكون «گذشتن ورفتن» والنزوع بضم النون «ابا نمودن وباكسى در چيزى مخالفت كردن وباز ايستادن» ، يقال: نزع عن الأمر نزوعاً انتهى عنه وأباه (ولا إلى ما تركوا رجوعاً): أي لم يجدوا رجوعاً الى ما تركوا من الدنيا والمساكن والأموال وغيرها ، والمراد أن رحيلهم من الدنيا الى الآخرة وقطع عقبات الموت وما بعده أمر اضطراري وليس لهم قدرة على الرجوع الى الدنيا بعد الخروج منها ليتداركوا ويعملوا عملاً صالحاً وفيه حث على رفض الدنيا وفضول الدنيا وفضول زهراتها ومايلهيهم عن تحصيل دار الآخرة وأخذما ينبغي أخذه بها لئلا يقعوا في حسرة وندامة لاتنفع.

(جدّ بهم فجدوا) الجد بالكسر: الاجتهاد في الأمر وضد الهزل وفعله من بابي ضرب وقتل أي جد المضي والذهاب من الدنيا بهم فجدوا فيهما اضطراراً (وركنوا إلى الدنيا فما استعدوا) أي مالوا إلى الدنيا واعتمدوا عليها فما استعدوا لأمر الآخرة لأن الدنيا والآخرة لايجتمعان وركن من أبواب علم وقعد ومنع ، والثاني: غير فصيح ، والثالث: من باب تداخل اللغتين لأن شرطه أن يكون العين أو اللام حرف حلق (حتى إذا أخذ بكظمهم) أي بحلقهم ومخرج نفسهم والجمع كظام وهو كناية عن موتهم (وخلصوا إلى دار قوم جفت أقلامهم) الخلوص الصفاء ويستعار للوصول وفي كنز اللغة: «خلوص بكسى رسيدن وبچيزى پيوستن» والمراد بالأقلام: أقلام كرام الكاتبين، والإضافة لأدنى ملابسة وجفافها كناية عن انقطاع عملهم ، ويحتمل أن يكون جفاف أقلامهم كناية عن جريان ماكتب في اللوح المحفوظ من مقادير أحوالهم الخيرية والشرية عليهم تمثيلاً للفراغ منها بفراغ الكاتب من كتابته ويبس قلمه (لم يبق من أكثرهم خبر ولاأثر) لعل المراد بالخير خبر

أسمائهم وأفعالهم وصفاتهم وبالأثر أثر مساكنهم وأموالهم وقبورهم، وقيد بالأكثر لبقاء خبر بعضهم وأثر بعد في الجملة (قل في الدنيا لبثهم وعجل إلى الآخرة بعثهم) أي إرسالهم إليها بالموت وهذا في اللفظ خبر وفي المعنى أمر بالإعراض عن متاع الدنيا والإقبال الى متاع الآخرة لأن هذه الحالة جارية في جميع الخلق كما أشار إليه بقوله (فأصبحتم حلولاً في ديارهم ظاعنين على آثارهم) الإصباح: الدخول في الصباح وبمعنى الصيرورة أيضاً، والحلول: جمع الحال كالقعود جمع القاعد، والديار: جمع الدار والمراد بها الدنيا أو مساكنهم ومنازلهم، والظعن: الارتحال والظاعن المرتحل وفي جعل ظاعنين حالاً عن فاعل أصبحتم دلالة على اتحاد زمان الحلول والارتحال مبالغة وفيه تحريك للنفوس العاقلة الى الاستعداد للإرتحال وتجهيز سفر الآخرة (والمطايا بكم تسير سيراً) المطايا: جمع المطية وهي دابة تمطو في سيرها أي تجد وتسرع ؟

ولعل المراد بها الليل والنهار أو الاعمار على سبيل الاستعارة ، والسير يجيء لازماً ومتعدياً يقال سار البعير وسرته والباء متعلق به إما للتعدية أو للمبالغة فيها كتأكيد السير بالمصدر للمبالغة فيه وإفادة شدته كما أشار إليه بقوله (ما فيه أين ولاتفتير)، الأين: الإعياء وهو لازم ومتعد يقال: أعياني كذا بالألف اتعبني فأعييت والفتور لازم والتفتير متعد يقال فتر فتوراً من باب قعدا إذا انكسر بعد حدة ولان بعد شدة وفتره تفتيراً كسره بعدهما وفيه تنبيه للنازلين في الدنيا على لزوم خروجهم منها سريعاً لأن قلة المسافة وسرعة المركوب في السير مع انتفاء الإعياء والتفتير يستلزم قطع تلك المسافة في أقرب أوقات الإمكان ، ولاتظن أيها الغافل أنك مقيم فإن من كانت مطيته الليل والنهار فهو سائر وإن كان واقفاً وقاطع للمسافة، وإن كان مقيماً كما يجد ذلك راكب السفينة وقد أشار الى توضيح ذلك بقوله (نهاركم بأنفسكم دؤوب وليلكم بأرواحكم ذهوب) الظرف في الموضعين متعلق بما بعده والتقديم لرعاية السجع والدؤوب فعول من الدأب وهو الجد في الأمر والطرد أيضاً ولايخفى على العارف بالسجع بدائع هذا الكلام ولطفه ، والعجب من أبناء الدنيا مع حبهم طول عمرهم وبقائهم فيها يتمنون انقضاء الأيام والليالي سريعاً بشيء يسير يتوقعون حصوله بعد مدة ولايعلمون أن انقضاءها انقضاء لعمرهم وهذا أيضاً من سخافة عقولهم (فأصبحتم تحكون من حالهم حالاً) أي صارت حالكم وصفاتكم مثل حالهم وصفاتهم، تقول: حكيت الشيء أحكيه حكاية إذا أتيت بمثله على الصفة التي بها غيرك فأنت كالناقل، ومنه حكيت صنعته إذا أتيت بمثلها وهو هنا كالمعارضة بالمثل ، وحكوته أحكوه لغة، قال ابن السكيت: وحكى عن بعضهم أنه قال: لا أحكوا كلام ربي لا أعارضه.

(وتحتذون من سلكهم مثالاً) الاحتذاء: الاقتداء، تقول احتذى مثالهم أي اقتدى به والسلك

مصدر بمعنى الذهاب تقول سلكت الطريق سلوكاً وسلكاً إذا ذهبت فيه ، وفي بعض النسخ « من مسلكهم » وهو الطريق والمثال بالكسر اسم من ماثله إذا شابهه وقد يطلق على الوصف والصورة فيقال: مثاله كذاوصفه وصورته والجمع أمثله (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أي لا تخدعنكم بزينتها يقال: غرّته الدنيا غرور ممن باب قعدت خدعته بزينتها وأطمعته بالباطل فاغترّ هو بها ولما كان المغتر بها هو المحب لها والراكن إليها والناسي الموت وما بعده نبه بما يوجب سلب جميع ذلك بقوله (فإنما أنتم سفر حلول والموت بكم نزول) لأن ذكر الموت والعلم بوقوعه وجعل ذلك نصب العين وانتظاره في كل آن يزيل حب الدنيا والميل الى زينتها، ويستلزم ذكر المعاد الى الله تعالى ووعده ووعيده وحسابه وجزائه ولذلك قال ﷺ « **أكثروا ذكر هادم اللذات** » (تنتضل فيكم مناياه) في كنز اللغة انتضال «تيرانداختن» وضمير مناياه راجع الى الموت ، والمراد بالمنايا أسبابه وإرجاعه إلى الدنيا باعتبار الدهر بعيد وقد شبه المنية بالرامي وأثبت له الانتضال مكنية وتخييلية وجعل الإنسان غرضاً وفيه تنفير عن الدنيا لعدم الأمن من سهام الموت (وتمضي بأخباركم مطاياه إلى دار الثواب والعقاب والجزاء والحساب) مطاياه من قبيل لجين الماء أو فيه مكنية وتخييلية بتشبيه الموت بالرسول الذي يبلغ خبر الغائب واثبات المطايا له وإمضاء الأخبار ترشيح واسناده إلى المطاياه مجاز من باب إسناد فعل الحال إلى المحل، كأن الموت يخبر أهل الثواب وأهل العقاب بخبره ووصوله، والمراد بدار الثواب ودار العقاب، أما القيامة الكبرى أو الصغرى وهي البرزخ فإن كل من كان فيه يعلم أنه من أهل الثواب أو من أهل العقاب ولايخفى لطف هذا الكلام وحسنه (فرحم الله امرءاً راقب ربه) حافظ ربه كأنه يراه فيخلي الظاهر والباطن عن الرذايل ويحليهما بالفضائل وينظر إلى جميع حركاته وسكناته ولحظاته فإن كانت إلهية بادر إليها وإن كانت شيطانية تعجل إلى دفعها وسبب تلك المراقبة هو العلم بأنه تعالى مطلع على الضمائر والسرائر وشاهد على كل نفس بماكسبت ورقيب على كل شيء، وإذا استقرت هذه المعرفة في القلب تبعثه الى مراقبته بالتعظيم والإجلال والاستغراق ببحار القدرة والكمال والانكسار تحت الهيبة والاقتدار بحيث لايلتفت الى المباحات فضلاً عن المحظورات، ومن بلغ هذه المرتبة فقد يغفل عن الخلق والمتصفون بها على جميع درجات متباينة ومقامات متفاوتة (وتنكب ذنبه): أي عدل ومال عنه تعظيماً لربه وخوفاً من عقابه (وكابر هواه): أي غالبه وعانده وتلك المكابرة بأن يطوع نفسه الأمارة للأعمال البدنية، وراقبها في كل خاطر تلقيه إلى قلبه وقابلها بقمعه ودفعه، وفي بعض النسخ كابد بالدال من المكابدة: وهي تحمل المشاق على ترك هواه (وكذب مناه) أي قابل مايلقيه إليه الشيطان من الأماني ويعده بالوصول إليها بالتكذيب والدفع له بتجويز عدم نيلها ونسبتها إلى

الأكاذيب المخترعة .

(أمرءاً زم نفسه من التقوى بزمام وألجمها من خشية ربها بلجام فقادها الى الطاعة بزمامها وقدعها عن المعصية بلجامها) القود نقيض السوق فهو من أمام وذاك من خلف والقدع الكف قدعه كمنعه كفه قد شبه النفس الأمارة بالفرس الحرون، والتقوى بالزمام، والخشية باللجام ثم فرع مايناسب كلاً إليه ولايخفى لطفه (رافعاً الى المعاد طرفه) الطرف: النظر والمراد به بالنظر القلبي وهو توجهه الى أمر الآخرة والعمل لها (متوقعاً في كل أوان حتفه): أي موته لعلمه بوروده قطعاً مع عدم علمه بزمان وروده فيتوقعه في كل آن وذلك يبعثه على ترك الدنيا وطلب الآخرة (دائم الفكر) في أمر الآخرة والتخلص من عقابتها (طويل السهر) وهو عدم النوم في الليل كله أو بعضه يقال: سهر الليل أو بعضه إذا لم ينم فيه فهو ساهر وهو كناية عن العبادة في الليل والقيام بوظائف الطاعات فيه (عزوفاً عن الدنيا سأماً) عزفت نفسه عنه: زهدت فيه وانصرفت عنه (كدوحاً لآخرته متحافظاً) عن حطام الدنيا ومخاطرات النفس ووساوس الشيطان والكدح السعي والحرص في العمل .

(امرءاً جعل الصبره مطية نجاته) أي حمل النفس على فعل الطاعة وترك المعصية ودفعها عن هواها ومنعها عن الجزع في النوائب واستعار المطية للصبر لكونه سبباً للنجاة كالمطية (والتقوى عدة وفاته) العدة بالضم: الاستعداد والتأهب وماأعد من مال وسلاح أو غير ذلك ليوم حاجة، والتقوى عدة واقية من أهوال الموت وما بعده (ودواء أجوائه) الجوى الحزن والحرقة وتطاول المرض وداء في الصدر وملالة القلب، والتقوى دواء للأمراض القلبية والبدنية الموجبة لفساد الظاهر والباطن وميلهما عن صراط الحق الى الباطل (فاعتبر وقاس) أي فاعتبر بأحوال الماضين وسرعة انتقالهم من هذه الدار الى دار القرار وفراقهم عن المال والعيال وسكونهم في القبور مع أعمالهم وقاس نفسه عليهم حتى أنه كأحدهم (وترك الدنيا والناس) الواو إما بمعنى مع أي ترك الدنيا مع الناس المائلين إليها ولايشاركهم فيها أو للعطف أي ترك الدنيا بالإعراض عنها وترك الناس بالاعتزال منهم لعلمه بأن مجالستهم تفسد دينه ودنياه (يتعلم للتفقه والسداد) التفقه: التفهم من الفقه وهو الفهم وغلب إطلاقه على علم الدين لشرفه والسداد، بالفتح: الصواب من القول والفعل يعنى غرضه من التعلم أمران أحدهما تفهم القوانين الشرعية والآداب والأخلاق النبوية وتكميل النفس بها وثانيهما تسديد ظاهره وباطنه بالعمل بها وليس غرضه منه الرياء والسمعة ورئاسة الخلق وصرف وجوههم إليه (وقد وقر قلبه ذكر المعاد) التوقير هنا بمعنى التعظيم والتبجيل أو بمعنى الترزين والتسكين، وقلبه على الأول فاعل وذكر المعاد مفعول، وعلى الثاني بالعكس،

والمراد بتعظيم ذكر المعاد هو التوجه الى الاستعداد له وتحصيل ماينفع فيه وترك ماينافيه من أعراض الدنيا وبتسكين القلب وترزينه تسكينه عن الاضطراب من فوات الدنيا وترزينه عن الميل الى زهراتها (وطوى مهاده وهجر وساده) المهد والمهاد: الفراش، وهذا كناية عن الإتيان بما أقرت به الشريعة من الكمالات الباقية والمبالغة في تحصيلها خصوصاً في الليل فإن العبادة فيها لكثرة المشقة وبعد الرياء وحضور القلب اعظم أجراً منها في النهار (منتصب على أطرافه) أي على قدميه أو على جميع جوارحه باستعمال كل منها فيما طلب منه (داخل في أعطافه) كأنها جمع عطف الشيء بالكسر: وهو جانبه وهو إشارة الى أن غلبة النوم المحرك له إلى جوانبه لاتمنعه من القيام بوظائف الطاعات، ويمكن أن يراد بها الازر والأردية (خاشعاً لله تعالى) أي مقبلاً على الله تعالى بظواهره المشغولة بما هو مطلوب منها (يراوح بين الوجه والكفين) يضع وجهه تارة على التراب ويرفع كفيه تارة الى السماء أو يرفع وجهه الى السماء تارة وكفيه إليها أخرى (خشوع في السر لربه) أي مقبل على الله بقلبه ساكن مطمئن إليه فارغ عما سواه .

(لدمعه صبيب ولقلبه وجيب) الصبيب والوجيب مصدران يقال: صب الماء من باب ضرب صبيباً: إذا انسكب ووجب القلب وجيباً: إذا رجف واضطرب ، ولعل الأول لألم الفراق والثاني لكمال الاشتياق (شديدة أسباله) أسبل المطر والدمع: إذا هطلا وتتابعا، والاسم السبل بالتحريك ويجمع على أسبال كالبطل على الأبطال (يرتعد من خوف الله عز ذكره أوصاله): أي مفاصله (وقد عظمت فيما عندالله رغبته) من القرب والكرامة والسعادة والثواب ونعيم الأبد وعلامة تلك الرغبة هي الاشتغال بأسباب الوصول إلى ما ذكر (واشتدت منه رهبته) علامة صدق الرهبة هي الفرار من أسباب مايخافه (راضياً بالكفاف من أمره) الدنيوي في كل مايحتاج إليه في البقاء من المأكل والمشرب والمسكن والملبس وغيرها، والكفاف بالفتح مقدار الحاجة من الرزق من غير زيادة ونقص سمّي بذلك لأنه يكف عن سؤال الناس ويغني عنهم (وأحسن طول عمره) أي في طول عمره ومدة حياته فهو ظرف للإحسان، والمراد به فعل ماينبغي وترك مالا ينبغي (يظهر دون ما يكتم) أي يظهر ماينبغي كتمانه من كمالاته وعباداته وأسراره وغيرها مما في إظهاره فساده أو فساد غيره، وفيه ترغيب في الاقتصار على الإظهار قبل البلوغ الى حد مايكتم (ويكتفي بأقل مما يعلم) أي يكتفي في إفادته بأقل مما يعلم من معلوماته اكتفاء بقدر الحاجة وحذراً من الفخر والعجب من إظهار الحال على وجه الكمال (أولئك ودائع الله في بلاده) فيجب على أهل البلاد حفظهم كما يجب حفظ الوديعة ، ويحتمل أن يراد بالودائع العهود والمواثيق من قولهم تـوادع الفريقان إذا أعطى كل واحد منهما الآخر عهداً واسم ذلك العهد الوديع، يقال أعطيته وديعاً أي

عهداً كذا في النهاية فكأنه تعالى أخذ على أهل البلاد عهداً بحفظهم وهم أخذوا على الله تعالى عهداً على دفعه عنهم ماأقاموا على الوفاء بذلك العهد وهذا أنسب بقوله (المدفوع بهم عن عباده) كما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال « إن الله ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء (لو أقسم أحدهم على الله جل ذكره لأبرّه) القسم: اليمين وقد أقسم بالله وتعديته بعلى لتضمين معنى الإيجاب ومعناه كما صرح في الفائق أن يقول بحقك يارب أفعل كذا فإذا قال ذلك لأبرّه أي أمضى يمينه بالصدق تعظيماً له واستجابة لسؤاله وقضاء لطلبته (أودعى على أحد نصره الله) كما دعى نوح وموسى عليهما السلام على قومهما فأجاب الله تعالى دعاءهم وأهلك قومهما بالغرق ودعى كثير من الصالحين على عدوهم فأخذهم الله بغتة وأهلكهم.

(يسمع إذا ناجاه) أي يسمع سماع قبول (ويستجيب له إذا دعاه) قد دعى كثير من الأولياء واستجاب دعاءهم بلا مهلة كما نطقت به الآيات والروايات (جعل الله العاقبة للتقوى والجنة لأهلها مأوى) ترغيب في التقوى لترتب حسن العاقبة ودخول الجنة عليها كما قال عز وجل **﴿ والعاقبة للمتقين﴾** وقال **﴿ تلك الجنة الّتي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾** (دعاءهم فيها أحسن الدعاء سبحانك اللهم) الظاهر أن أحسن خبر مبتدأ، وأن سبحانك اللهم خبر بعد خبر أو بدل عنه أو خبر مبتدأ محذوف وهم يقولون ذلك عند إرادتهم طعاماً أو شراباً أو غيرهما فإذا قالوا ذلك بادرت الخدمة بما يشتهون من غير طلبهم ووجه كونه أحسن الدعاء أنه دال على ذاته المتصف بجميع الكمالات وتوحيده المطلق وتنزيهه عن جميع النقائص (دعاؤهم المولى على ما آتاهم) من النعماء الّتي لايحيط بها البيان ، والظاهر أنه بدل أو بيان لقوله دعاؤهم (وآخر دعواهم) إذا فرغوا من لذاتهم من الطعام والشراب وغيرهما (أن الحمد لله رب العالمين) هذا التفسير ذكره الباقر عليه السلام في آخر حديث النوق والجنان .

خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام

* **الأصل:**

١٩٤ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن محبوب ، عن محمّد بن النعمان أو غيره ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه ذكر هذه الخطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمعة : **الحمدالله أهل الحمد ووليّه ومنتهى الحمد ومحلّه ، البديء البديع ، الأجلّ الأعظم الأعزّ الأكرم المتوحّد بالكبرياء ، والمتفرِّد بالآلاء ، القاهر بعزِّه ؟ والمسلّط بقهره ، الممتنع بقوَّته ، المهيمن بقدرته ، والمتعالي فوق كلِّ شيء بجبروته ، المحمود بامتنانه وبإحسانه ، المتفضّل بعطائه وجزيل فوائده ، الموسّع برزقه ، المسبغ بنعمه ، نحمده على آلائه وتظاهر نعمائه حمداً يزن عظمة جلاله ويملأ قدر آلائه وكبريائه .**

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له ، الّذي في أوّليّته متقادماً وفي ديموميّته متسيطراً ، خضع الخلائق لوحدانيّته وربوبيّته وقديم أزليّته ودانوا لدوام أبديّته .

وأشهد أنَّ محمّداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله وخيرته من خلقه ، اختاره بعلمه واصطفاه لوحيه وائتمنه على سرِّه وارتضاه لخلقه وانتدبه لعظيم أمره ولضياء معالم دينه ومناهج سبيله ومفتاح وحيه وسبباً لباب رحمته ابتعثه على حين فترة من الرّسل، وهدأة من العلم، واختلاف من الملل، وضلال عن الحقِّ، وجهالة بالربِّ، وكفر بالبعث والوعد ، أرسله إلى النّاس أجمعين رحمة للعالمين بكتاب كريم قد فضّله وفصّله وبيّنه وأوضحه وأعزَّه وحفظه من أن يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ضرب للناس فيه الأمثال وصرَّف فيه الآيات لعلّهم يعقلون ، أحلَّ فيه الحلال وحرَّم فيه الحرام وشرع فيه الدِّين لعباده عذراً أو نذراً لئلاّ يكون للناس على الله حجّة بعد الرُّسل ويكون بلاغاً لقوم عابدين ، فبلّغ رسالته وجاهد في سبيله وعبده حتّى أتاه اليقين صلى الله عليه وآله وسلّم تسليماً كثيراً .

أوصيكم عباد الله وأُوصي نفسي بتقوى الله الذي ابتدأ بدأ الأمور بعلمه وإليه يصير غداً ميعادها وبيده فناؤها وفناؤكم وتصرّم أيّامكم وفناء آجالكم وانقطاع مدَّتكم، فكأن قد زالت عن قليل عنّا وعنكم كما زالت عمّن كان قبلكم ، فاجعلوا عباد الله اجتهادكم في هذه الدُّنيا التزوُّد من يومها القصير ليوم الآخرة الطويل فانّها دار عمل والآخرة دار القرار والجزاء ، فتجافوا عنها فانَّ المغترَّ من اغترَّ بها ، لن تعدوا الدُّنيا إذا تناهت إليها أُمنيّة أهل الرَّغبة فيها المحبّين لها ، المطمئنّين

إليها المفتونين بها ، أن تكون كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ كماء أنزلناه من السّماء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل النّاس والأنعام ﴾ الآية ، مع أنّه لم يصب امرءٌ منكم في هذه الدُّنيا حبرة إلاّ أورثته عبرة، ولايصبح فيها في جناح آمن إلاّ وهو يخاف فيها نزول جائحة أو تغيّر نعمة أو زوال عافية، مع أنَّ الموت من وراء ذلك وهول المطّلع والوقوف بين يدي الحكم العدل تجزى كلُّ نفس بما عملت ﴿ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾.

فاتّقوا الله عزَّ ذكره وسارعوا إلى رضوان الله والعمل بطاعته والتقرُّب إليه بكلّ ما فيه الرِّضى فإنّه قريبٌ مجيب ، جعلنا الله وإيّاكم ممّن يعمل بمحابّه ويجتنب سخطه ، ثمّ إنَّ أحسن القصص وأبلغ الموعظة وأنفع التذكّر كتاب الله جلَّ و عزّ قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وإذا قُرِيء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلّكم ترحمون﴾.

أستعيذ بالله من الشيطان الرَّجيم «بسم الله الرَّحمن الرَّ حيم والعصر * إنّ الإنسان لفي خسر * إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقِّ وتواصوا بالصبر» «إنَّ الله و ملائكته يصلّون علي النبيِّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً » اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد وبارك على محمد وآل محمد، وتحنّن على محمّد وآل محمّد وسلّم على محمّد وآل محمّد كأفضل ماصلّيت وباركت وترحمت و تحنّنت وسلّمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيدٌ .

اللّهم أعط محمّداً الوسيلة والشرف والفضيلة والمنزلة الكريمة ، اللّهمَّ اجعل محمّداً وآل محمّد أعظم الخلائق كلّهم شرفاً يوم القيامة وأقربهم منك مقعداً وأوجههم عندك يوم القيامة جاهاً وأفضلهم عندك منزلة ونصيباً ، اللّهم أعط محمّداً أشرف المقام وحباء السلام وشفاعة الاسلام ، اللّهمَّ وألحقنابه غير خزايا ولاناكثين ولانادمين ولامبدِّلين . إله الحقِّ آمين. ثم جلس قليلاً ثم قام فقال:

الحمد لله أحق من خُشي وحمد وأفضل من اتّقي وعُبد وأولى من عظّم و مجّد نحمده لعظيم غنائه ، وجزيل عطائه ، وتظاهر نعمائه ، وحسن بلائه ، ونؤمن بهداه الذي لايخبو ضياؤه ولايتهمّد سناؤه ولا يوهن عراه ونعوذ بالله من سوء كلِّ الريب وظلم الفتن ونستغفره من مكاسب الذّنوب ونستعصمه من مساوىء الأعمال ومكاره الآمال والهجوم في الأهوال ومشاركة أهل الرَّيب والرِّضى بما يعمل الفجّار في الأرض بغير الحقِّ.

اللّهمَّ اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات الذين توفّيتهم على دينك وملّة نبيّك ﷺ ، اللّهمّ تقبّل حسناتهم وتجاوز عن سيّئاتهم وأدخل عليهم الرَّ حمة والمغفرة

والرضوان واغفر للأحياء من المؤمنين والمؤمنات الذين وحدّوك وصدّقوا رسولك وتمسّكوا بدينك وعملوا بفرائضك واقتدوا بنبيّك وسنّوا سنّتك وأحلّوا حلالك وحرّموا حرامك وخافوا عقابك ورجوا ثوابك ووالوا أولياءك وعادوا أعداءك ، اللّهمّ اقبل حسناتهم وتجاوز عن سيّاتهم وأدخلهم برحمتك في عبادك الصالحين . إله الحقِّ آمين [١].

*** الشرح :**

(خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام) مشتملة على معان لطيفة وأسرار خفية ونكات دقيقة وألفاظ رشيقة بحيث تقف في أول منزل من منازلها عقول الخطباء وفي أول مرحلة من مراحلها فحول العلماء (الحمد لله أهل الحمد ووليّه) علق الحمد باسم الذات وحكم بأنه أهله وأولى به للتنبيه على أنه مستحق له لذاته، وما اشتهر من أن الحمد متعلق بالفضائل أو الفواضل فهو باعتبار الأكثر والأغلب دون الاختصاص ، ويؤيده أن الحمد عبادة وهو سبحانه مستحق لها بالذات (ومنتهى الحمد ومحله) فالحمد كله ينتهى إليه ومن ثم قيل باختصاص جنس الحمد وجميع أفراده بـه وبين الاختصاصين تلازم (البديء البديع) البديء: فعيل بمعنى فاعل من بدأ الخلق أي فطرهم وأنشأهم وذكر البديع بعده: وهو الذي يخترع الشيء لا عن شيء للدلالة على أنه خلقهم ولا عن مادة ولا عن مثال سابق (الأجلّ الأعظم الأعزّ الأكرم) إن كان أفعل صفة وان كانت خلاف ظاهر فالأمر ظاهر وإن كان اسم تفضيل والمفضل عليه غيره فالتفضيل باعتبار وجود أصل الفعل في ذلك الغير وجوداً اعتبارياً إضافياً، والأحسن أن معناه أجلّ وأعظم وأعزّ وأكرم من أن يوصف أو يعرف كنه ذاته وصفاته أو يتخيل بالأوهام أو يتصور في العقول والإفهام كما روي في الله أكبر من أن معناه الله أكبر من أن يوصف لا أنه أكبر من كل شيء فإنه لايقاس بشيء حتى يقال إنه أكبر منه.

(المتوحد بالكبرياء) أي المتفرّد بالعظمة المطلقة لأن العظمة إما بـاعتبار شـرف الذات أو الوجود أو الصفات الذاتية والفعلية وجميع ذلك له وكل ماسواه في ذل الحاجة إليه متضرع في طلب كماله بين يديه (والمتفرد بالآلاء) المتفرد إما بالتاء المثناة الفوقانية أو بالنون أو الأول أولى لأنه أنسب بالمتوحد مع مافيه من المبالغة في الإنفراد. والألى بالقصر وفتح الهمزة وكسرها: النعمة مطلقاً والجمع الآلاء على أفعال مثل سبب وأسباب لكن أبدلت الهمزة الّتي هي فاء ألفاً استثقالاً لاجتماع همزتين ووجه التفرد ظاهر لأن كل نعمة منه تعالى وكل من له نعمة أخذها منه (القاهر بعزه) أي الغالب على جميع الأشياء ووضعها في مواضعها وتقدير حقائقها وصفاتها وكمالاتها

---

(١) الكافي: ٨ / ١٥٤.

لشدة قوته وقدرته بحيث لايقدر شيء على أن يتجاوز عما قدّر له ويطلب غيره (والمتسلط بقهره) على جميع ماسواه بالإيجاد والإبقاء والإعدام والإفناء (الممتنع بقوته) أي المتقوي بها فلا يحتاج في التقوّي الى أحد ولايقدر عليه من يريده من امتنع بقومه إذا تقوّى بهم فلا يقدر عليه من يريده أو الممتنع بها عن الشريك والنظير والاستعانة من أحد من امتنع من الأمر إذا كف عنه وأبى منه (المهيمن بقدرته) قيل هو الشهيد لأنه تعالى شاهد على خلقه بما يكون منهم من قول وفعل وغيرهما ومنه قوله تعالى « مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » وقيل: هو الرقيب على الممكنات الحافظ لها، وقيل: هو اسم من أسمائه تعالى في الكتب، وقيل: هو المؤتمن، وقيل: هو القائم بأُمور الخلق، وقيل: هو المؤمن غيره من الخوف وأصله مؤيمن قلبت الهمزة الثانية ياء والأولى هاء (والمتعالي فوق كل شيء بجبروته): أي المتعالي عن مشابهة الأعراض والأجسام عن ادراك العقول والأوهام وهو فوق كل شيء بجبروته، والجبروت من الجبر: بمعنى الإفناء والإصلاح لأنه تعالى يفني مايشاء، ويبقي ما يشاء ويصلح مفاقر الخلق ونقايض حقائق الممكنات بإفاضة الوجود وما يتبعه من الخيرات والكمالات أو بمعنى الإلزام لأنه الجبار الذي ألزم خلقه وجبرهم على قبول أمره التكويني والتكليفي، أو بمعنى التكبر لأن العظيم المتكبر الذي له حق على كل شيء وليس لشيء حق عليه، وعلى التقادير فيه إيماء الى أن المراد بالفوقية بالاستيلاء والشرف والعلية والحكم، ويمكن أن يراد به علوه على كل شيء والتعبير بالمتعالي للمبالغة فيه ومابعده حينئذ تفسير له.

(المحمود بامتنانه وباحسانه) الامتنان: الإنعام وانما لم يذكر المفعول للدلالة على التعميم، ولأن ذكر الكل تفصيلاً متعذراً وذكر البعض والكل إجمالاً يوهم التخصيص من غير مخصص وليقدر السامع كل مايخطر بباله أو لأن المقصود أنه المحمود بأصل الإمتنان والإحسان، ولايبعد أن يراد بالإمتنان الإنعام بافاضة وجوداتهم وتكميل ذواتهم بلوازم ماهياتهم وبالإحسان الإنعام بعد ذلك بما يحتاج إليه كل شخص في التربية والبقاء والخروج من حد النقص الى الكمال (المتفضل بعطائه) العطاء: العطية أي المحسن بها على وجه الكمال من غير استحقاق (وجزيل فوائده) الجزيل: الوسيع والعظيم، والفوائد جمع الفائدة: وهي الزيادة من علم وأدب ومال وغيرها ووصفها بالجزالة لأن كل فائدة من فوائده أمر عظيم في نفسه لايقدر قدره العارفون (الموسع برزقه) وسع الله على عباده رزقه يوسع وسعاً من باب نفع وأوسعه ايساعاً ووسعه توسيعاً إذا بسطه وكثّره، والباء للمبالغة في التعدية والقول بأن معناه أنه تعالى ذوسعة برزقه على أن يكون الموسع من أوسع الرجل إذا صار ذاسعة بعيد (المسبغ بنعمته) الإسباغ: الإتمام والكمال وقد أسبغ الله تعالى على

عباده نعمه الظاهرة والباطنة كما نطق به القرآن الكريم وتخصيصها بالظاهرة خلاف الظاهر ولما حمده على وجه يدل على الدوام والثبات أراد أن يحمده على وجه يدل على تجدده واستمراره لوقوعه بإزاء آلائه المتعددة ونعمائه المتظاهرة المتواترة.

فقال: (نحمده على آلائه وتظاهر نعمائه) أي مجيء بعضها ظهر بعض وعقبه على وجه التعاون وتقوية كل واحدة للأخرى، والعطف للتفسير أو التأسيس بتخصيص احداهما بالباطنة والأخرى بالظاهرة (حمداً يزن عظمة جلاله) أي يعادلها طلب أن يجعل الله تعالى حمده تفضلا عظيماً لايصل إليه أفهام الحامدين كما لايصل الى عظمة جلاله عقول العارفين ويثيبه عليه (ويملأ قدر آلائه وكبريائه) أي يساويها في الكثرة والعظمة وهذا من باب الكناية لأن الملأ يستلزم التساوي بين الظرف والمظروف (الذي كان في أوليته متقادماً) أريد بأوليته سبق وجوده وجود الموجودات كلها، وبقدمه: عدم كون وجوده حادثاً مسبوقاً بالعدم، وأشار بلفظ التقادم الى أن ليس المراد بالقدم طول الزمان بناء على أن زيادة المباني تدل على زيادة المعاني وأن الفعل بين الاثنين على وجه الغلبة وإن لم يكن هنا بين اثنين يوجب وقوعه على وجه الكمال وتلك الزيادة والكمال يدلان على أن المراد هو الأولية المنافية للحدوث (وفي ديموميته متسيطر): أي متسلطاً على جميع ماسواه فلا يجري عليه الزوال والفناء وإلاّ كان الزوال أو غيره متسلطاً عليه، هذا خلف أو متعهداً لبقائه أبداً ولأمور الخلائق، أو رقيباً حفيظاً عليهم، والأولان أنسب لدلالتهما على ديموميته المنافية لانقطاع وجوده وطريان العدم عليه كما أن في السابق دلالة على أزليته المنافية للحدوث.

(خضع الخلائق بوحدانيته وربوبيته وقديم أزليته) أن ذل واستكان له جميع الخلائق بسبب أوصافه الثلاثة أما الوحدانية والأزلية القديمة فلأن الشركة والحدوث يقتضيان عدم خضوع الجميع له بل خضوعه لغيره في الجملة، وأما الربوبية فلأن مالكية الجميع وإيجادهم وتربيتهم من حد النقص الى حد الكمال اللائق بالكل وضع كل في مرتبته ويقتضي خضوع الكل له (ودانوا لدوام أبديته) أي تعبّدوا بأحكامه وشرائعه وآدابه وأوامره ونواهيه لدوام أبديته الباعث على العبادة له الموجب لاستحقاقه لها لأن غير الدائم الأبدي لايستحق العبادة ولايقدر على الوفاء بما وعد به بعد الفناء.

(وارتضاه لخلقه): أي اختاره لهم لأنه نور يهديهم الى منافعهم الدنيوية والأخروية نقول رضيت الشيء ورضيت به وارتضيته إذا اخترته (وانتدبه لعظيم أمره) الظاهر أن اللام بمعنى إلى تقول ندبته إلى الأمر ندباً من باب قتل وانتدبته إليه إذا دعوته فانتدب يستعمل لازماً ومتعدياً، ولعل المراد بالأمر العظيم المندوب إليه تبليغ الرسالة والصبر على أذى الأمة أو الأعم منهما ومن

تحمل الصبر على الإتيان بالعبادات (ولضياء معالم دينه) ضياء «روشنى» وهو اسم من أضاء القمر إضاءة: أنار وأشرق ، والمراد بمعالم الدين: مواضع علومه وهي القوانين الشرعية الجارية الى يوم القيامة المضيئة في قلوب أهل العلم (ومناهج سبيله) الإضافة بيانية، والمناهج: جمع منهج وهو طريقته الواضحة المؤدية للسالكين بأيسر سعي الى رضوانه (ومفتاح وحيه) لعل التركيب من قبيل لجين الماء أي دعاه إلى وحيه الذي كالمفتاح في فتح أبواب العلوم الربانية والأسرار الإلٰهية وسبباً لباب رحمته السبب في الأصل: الحبل: وهو مايتوسل به للاستعلاء ثم استعير لكل شيء يتوسل به إلى أمر من الأمور وهو ﷺ سبب يتوسل به للوصول الى رحمته تعالى والظاهر أن نصبه على المفعولية بتقدير جعل عطفاً على قوله وانتدبه وفي الكلام مكنية وتخييلية (ابتعثه على حين فترة من الرسل) استئناف أو حال والابتعاث الإرسال والفترة مابين الرسولين من الزمان الذي انقطع فيه الوحي والرسالة وفشي الجهل والجور والهرج والقساوة وفيه وفيما بعده تحريك إلى معرفة قدر نعمة البعثة وإلى الشكر عليها والانقياد لها (وهدأة من العلم): أي سكون من العلم الشرعي وزواله عن الخلق حتى صاروا سائرين في تيه الجهالة وبيداء الضلالة لايهتدون إلى الحق دليلاً ولا الى الخير سبيلاً (واختلاف من الملل الباطلة) حيث عدلوا كلهم عن الحق والعرفان واخترعوا مذاهب باطلة وعبدوا الأصنام والنيران وأعرضوا عن الكتاب والتوحيد والإيمان فصاروا تائهين حائرين متمسكين بذيل آثار الجهل وقوانين الجور، كافرين.

(وضلال عن الحق) الضلال: مصدر، تقول: ضل الرجل عن الحق ضلالاً وضلالة إذا زال عنه فلم يهتد إليه فهو ضال والمراد بالحق: إما الله تعالى أو ضد الباطل أو الأعم منهما (وجهالة بالرب) وعدم العلم به وبصافته الذاتية والفعلية ولزوم الطاعة أو الانقياد له (وكفر بالبعث والوعد) لأن أكثرهم كانوا منكرين لذلك كما حكى الله عنهم في القرآن الكريم بقوله ﴿**قالوا من يحيي العظام وهي رميم**﴾ وبعضهم وإن قالوا به كأهل الكتاب إلّا أنهم لما حرّفوا كتابهم ولم يعملوا بما فيه ومالوا الى آرائهم الزائلة وأهوائهم الباطلة كانوا في حكم المنكرين الكافرين (أرسله الى الناس أجمعين) أكد لدفع توهم تخصيصهم ببعض الأصناف دون بعض وخصهم بالذكر للاهتمام بهم وبهدايتهم أو المراد بهم من جميع من أرسل إليهم على سبيل التغليب (رحمة للعالمين) ذكروا في تفسيرها وجوهاً، الأول: أنه الهادي إلى الله والقائد إلى رضوانه ، الثاني: أن تكاليفه أسهل من تكاليف ساير الأنبياء ، الثالث: أنه تعالى يعفو عن امته بسبب شفاعته ، الرابع: أنه رحم كثيراً من أعدائه ببذل الأمان لهم وقبول الجزية منهم ولم يكن ذلك قبله ، الخامس: أنه سأل الله تعالى أن يرفع عن أمته بعده عذاب الاستئصال رحمة (بكتاب كريم) الباء للمصاحبة بمعنى مع والكريم العزيز والنفيس

ويوصف به كل ذي قدر وشرف لبيان عظمة قدرته وشرفه (قد فضله) على سائر الكتب بالفصاحة والبلاغة واشتماله على الأحكام والدقائق والأسرار والخواص والحقائق وكل ماكان ومايكون وماهو كائن إلى يوم القيامة (وفصّله وبيّنه وأوضحه وأعزّه) ، أي فصّل القرآن بأن جعل بعضه في الواجبات وبعضه في المحرمات وبعضه في المندوبات وبعضه في المكروهات وبعضه في العقوبات وبعضه في المباحات وبعضه في الأخلاق والآداب وبعضه في المواعظ والنصائح وبعضه في أحوال الجنة وداخليها وبعضه في أحوال النار وساكنيها الى غير ذلك وبيّن كل ذلك وأوضحه بحيث لا يشبه شيء منها بالآخر وأعزّه أي جعله عزيزاً لم يوجد مثله ولا يوجد أقواه بحيث لا يغلبه شيء من الكتاب ولايقهره كامل من الخطاب.

(وحفظه من أن يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه): أي لايتطرق الباطل الى مافيه من الأخبار الماضية والآتية لأنه حق أو من جهة الكتب الماضية والآتية أما الأولى فلأنها مصدقة له وأما الثانية: فلختم الكتاب به ولايأتي بعده كتاب حتى يبطله ، أو لايتطرق شك وشبهة الى لفظه ومعناه على أن يراد باليدين اللفظ وبالخلف المعنى ، أو لايتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات الست واكتفى بذكر الجهتين عن البواقي ، أو لأن الإتيان الى الشيء غالباً من هاتين الجهتين (تنزيل من حكيم حميد): أي هو منزل من عند الحكيم المستحق للحمد والثناء الذي علم الأشياء كلها وفعل أفعالاً محكمة لايتطرق إليها نقص، وهذا كالتأكيد للسابق (ضرب للناس فيه الأمثال) كما قال عز وجل: ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلّا العالمون** ﴾ والمثل: كلام يقصد به إلحاق خفي بجلي محسوس أو مشهور ولايدرك حسن مبانيه ولطف معانيه وكيفية ارتباطه بالمقصود وطريق دلالته على المطلوب إلّا العلماء الذين ينتقلون بنور بصيرتهم وضياء سريرتهم من ظاهره إلى باطنه ومن محسوسه الى معقوله ، وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: « **أمثال القرآن لها فوائد فأنعموا النظر وتفكروا في معانيها ولاتمروا بها** » (وصرف فيه الآيات لعلهم يعقلون): أي بيّن فيه الآيات الدالة على وجوده ووحدته وعلمه وحكمته وقدرته وحشره ونشره وحسابه وأحكامه وثوابه وعقابه وكيفية ايجاده للخلق والغرض منه، لعلهم يعقلون ويفهمون الغرض من تلك الآيات والمقصود من تصريفها (أحلّ فيه الحلال وحرّم فيه الحرام): الحرام ما لا يجوز، والحلال: ما يجوز، فيشمل الأقسام الأربعة، ولا يجوز لأحد الحكم بتحليل الشيء ولا بتحريمه إلّا ما وجده فيه وأخذه من العالم به (وشرع فيه الدين لعباده) أي أظهره وأوضحه بتفسير النبي والوصي عليهما السلام (عذراً أونذراً) قيل: هما بالضم وضمتين للاتباع كالنكر والنكر مصدران من عذر إذا محى الإساءة ورفع اللوم ومن نذر إذا خوّف بعد الإعلام وكل منهما مفعول له لشرع أي شرع فيه

الدين عذراً للمحقين لاشتماله على رفع اللوم عنهم وذكر مثوباتهم ورفع درجاتهم أو نذراً للمبطلين لاشتماله على ذكر عقوباتهم وشدائدهم ودركاتهم أو بدل عن الدين ويحتمل أن يكونا حالين عن فاعل شرع أو عن ضمير فيه أو عن الدين وهما حينئذ بمعنى العاذر المنذر (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) إذ بعد إرسال الرسول وإنزال الكتاب وإظهار الدين لم يكن للمبطلين حجة على الله تعالى لترك الحق و متابعة الباطل، وأما قبله فلهم أن يقولوا لرفع التعذيب عن أنفسهم لولا أرسلت إلينا رسولاً وأنزلت إلينا كتاباً وأوضحت لنا ديناً والتعليل متعلق بجميع ما تقدم وتخصيصه بالبعض بلا مخصص.

(ويكون بلاغاً لقوم عابدين) الظاهر أنه معطوف على أن لايكون والضمير عائد الى الكتاب أو الرسول أو الدين واشتمال المعطوف على الضمير دون المعطوف عليه غير ممتنع على الظاهر على أنه عطف جملة على جملة لقصد الإشتراك في العلية ، والبلاغ: مصدر بمعنى الوصول الى المقصود، والحمل للمبالغة في السببية أي ليكون سبب الوصول الى الحق لقوم مؤمنين بالله عابدين له أي مستعدين للإيمان والعبادة (فبلغ رسالته) الى عباده كما أمر من غير زيادة ولانقصان (وجاهد في سبيله) حق جهاده من غير تقصير ولاتوان (وعبده) حق عبادته ظاهراً وباطناً (حتى أتاه اليقين) وهو الموت فخرج عن الدنيا طاهراً مطهراً (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) امتثالاً لقوله تعالى **﴿ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾** .

(أوصيكم عبادالله) أي آمركم أو أذكركم كذا في المصباح (وأوصي نفسي بتقوى الله) الجار متعلق بالفعلين على سبيل التنازع، والتقوى: وقاية عن شدائد الدنيا والآخرة وكثيراً مايعبر عنها بالطاعة وإن كانت أخص منها في بعض المواضع كما مرت مراراً (الذي ابتدأ بدأ الامور بعلمه) البداء الأول الخلق والايجاد ومنه «بدأ الخلق» أي خلقهم وأوجدهم أي ابتدأ خلق الامور وإيجادها بعلمه المحيط بها المقتضي لإعطاء كل شيء ماأراده من الحقيقة ولوازمها وآثارها وكمالاتها وفيه دلالة على اختياره وحدوث الممكنات (وإليه يصير غداً معادها) كما قال عز وجل: **﴿الا إلى الله تصير الأمور﴾** والمراد بالغد: يوم الموت أو يوم القيامة وفيه وعد ووعيد وترغيب في التقوى والطاعة وتخويف عن المخالفة والمعصية (وبيده فناؤها وفناؤكم) اليد: القدرة، والتقديم للحصر وفيه تنبيه على أن الإفناء والإماتة أيضاً منه تعالى كما أن الوجود منه والرجوع إليه فهو أهل لأن يتقى منه ويطاع (فكأن قد زالت عن قليل عنا وعنكم كما زالت عمن كان قبلكم) أشار به الى قلة مدة العمر وسرعة زوالها، وحث بالتشبيه على العبرة بالماضين كيف دخلوا في الدنيا ومضوا مسرعين بزوال آجالهم، وبقوا مشتغلين بأعمالهم إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً فقدر نفسك

كأحدهم (فاجعلوا عباداللّه اجتهادكم في الدنيا التزود من يومها القصير ليوم الآخرة الطويل) الفناء للتفريع لأن ما بعده كالمعلول للسابق إذ كون الوجود منه ذكر القصير تنفير عن الدنيا وتسهيل لتحمل التعب من العمل كما أن في ذكر الطويل تهويلاً من الفقر والإفلاس فيه ، والمراد بالزاد الأعمال الصالحة سمّيت زاداً لاحتياج الناس في البقاء الأخروي إليها كاحتياجهم إلى الزاد في البقاء الدنيوي (فإنها دار عمل) ولا عمل بعد الخروج منها (والآخرة دار القرار والجزاء) أي المكافأة وفيها بجد كل عامل ماعمل من خير وشر (فتجافوا عنها) أي عن الدنيا ولا تركنوا إليها وخذوا من هذه الدار الفانية أنواع المعارف والطاعات للدار الباقية

(فإن المغتر من اغترّ بها) الظاهر أن الأول من الغرة بالكسر: وهي الغفلة، والثاني من الغرور: وهو الخدعة، أي الغافل عن اللّه وعن أمر الآخرة من انخدع بالدنيا وزهراتها فإنها تعرض نفسها للراكن إليها حتى تجدد له مطالب وهمية وأمارات خيالية في تحصيلها فربما لم تحصل له وينكشف بطلان تلك الأمارات بعد العناء الطويل وربما تحصل له مع مشقة شديدة ولاتدوم له بل تأخذه الدنيا منه عن قريب وتغلبه فتخرج منها فريداً وحيداً مسكيناً وكلا الأمرين شاق على النفس، كما أشار إليه بقوله (لن تعدوا الدنيا إذا تناهت إليها أمنية أهل الرغبة فيها المحبين لها المطمئنين إليها المفتونين بها، أن تكون كما قال اللّه عز وجل . اهـ) أي لن تتجاوز الدنيا عند تناهي أماني الراغبين فيها وحصول متمنياتهم كما هي أن تكون مشابهة لما تضمنته الآية الكريمة فقوله « أن تكون » مفعول لن تعدوا ، وبالجملة شبه حالهم في سرعة زوالهم وذهاب نعيمهم وانقطاع متمنياتهم بعد إقبالها واهتزازهم بها بحال الأرض في نضرتها وخضرتها وبهجتها وحسنها بالنبات الحاصل من الماء، ثم سرعة تعقب الهلاك والزوال والفناء، ثم أشار الى أن نعماء الدنيا مشوبة ببلائها وزهراتها مختلطة بآفاتها جراً عن الميل اليها وصرف العمر فيها وتبديل النعماء الاخروية الصافية الدائمة بها بقوله (مع أنه لم يصب امرء منكم في هذه الدنيا حبرة) وهي بالفتح: النعمة الحسنة وسعة العيش (إلّا أورثته عبرة) وهي بالفتح: الدمعة قبل أن يفيض أو الحزن بلا بكاء (ولا يصبح فيها في جناح أمن) أي في ظل جناح أمن أو تحت جناحه كبيض الطير أو فرخه تحت جناحه وفيه مكنية وتخييلية (إلّا وهو يخاف فيها نزول جائحة): هي آفة تهلك الثمار ومصيبة عظيمة وفتنة مبيرة (أو تغير نعمة أو زوال عافية) كل ذلك ظاهر لأهل الدنيا بمشاهدة انقلاباتها وتغير حالاتها ثم ذكر ما يوجب ترك الدنيا لمن تأمل وتدبر وتعقل وتفكر فقال: (مع أن الموت من وراء ذلك) من تفكر في أمر الموت وشدائده وضرورة وقوعه يستعد له ويمنعه عن الطعام والشراب فضلاً عن الاطمئنان في الدنيا الّتي هي بمنزلة السراب (وهول المطلع) قيل: هو رؤية

ملك الموت وفي الصحاح هو موضع الاطلاع من أشرف إلى انحدر وفي الحديث هول المطلع شبّه ما أشرف من أمر الآخرة عليه ، وفي النهاية يريد به الموقف يوم القيامة أو مايشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت، فشبهه بالمطلع الذي يشرف عليه من موضع عال (والوقوف بين يدي الحكم العدل) أشار بذكر الوقوف الى ذل الخلائق حينئذ ويذكر الحكم الى جريان حكمه عليهم وبذكر العدل الى أنه يثيب المطيع ويعاقب العاصي، ولايجوز أن يعكس أو يمنع الحق عن المستحق وفيه تحريض على الطاعة وتبعيد عن المعصية وأعظمها حب الدنيا والميل إليها (تجزى كل نفس بما عملت)كأنه استئناف جواباً عن سبب الوقوف أو غرضه والمراد بالموصول الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة وأضدادهما ثم فصّل ذلك مع زيادة بقوله (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) أي: المثوبة الحسنى أو المعاملة الحسنى أو المنزلة والمرتبة الحسنى وهي الزلفى أو الجنة وفي جعل جزاء الإساءة ماعملوا وجزاء الإحسان الحسنى تنبيه على أن جزاء السيئة لايضاعف وجزاء الحسنة يضاعف ، ثم أمر بعد الأوصاف المقتضية للتقوى والمسارعة الى الطاعة وما يوجب الرضوان والتقرب بهذه الأمور على سبيل التفريع فقال: (فاتقوا الله عز ذكره) حق تقاته بالحذر عما يكرهه من منهياته.

(وسارعوا الى رضوان الله) أي: إلى سبب رضوانه (والعمل بطاعته) المندرجة فيها طاعة رسوله وطاعة ولي الأمر بعده (والتقرب إليه بكل ما فيه الرضى) الظاهر أنه متعلق بالتقرب فيدل على أن كل ما فيه رضاه تعالى هو سبب للتقرب إليه لكن بشرط مقاربته للخلوص بل الخلوص داخل فيه لأنه في نفسه سبب للتقرب وشرط لاعتبار سائر مايتقرب به ولايكون في غيره رضاه تعالى حتى يقترن به ثم حرض على ما ذكر بقوله (فإنه قريب مجيب)كما قال عز وجل: ﴿**فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**﴾ وذلك لأن العاقل إذا علم أنه قريب مجيب بعثه هذا العلم على السعي في العمل والاجتهاد فيه ثم أشار إلى أنه لابد للعامل من سلب الحول والقوة عن نفسه والتمسك بحول الله وقوته ولطفه وتوفيقه في جميع الأمور بقوله (جعلنا الله واياكم ممن يعمل بمحابه ويجتنب سخطه) والمراد بهذا الجعل صرف وجوه توفيقاته وألطافه وهداياه الخاصة الّتي لأوليائه إلينا والعبد بعد توجهه إلى الخيرات يستحق لهذه الفيوضات والمحاب: اسم مفعول بمعنى المحبوب في لغة هذيل ، والمراد بسخطه: موجباته وهي مايقتضي عقوبته (ثم أن أحسن القصص) أي: أحسن الخبر والحديث المنقول على وجهه ولزوم متابعته يقال: قصصت الخبر قصاً من باب فتل أي حدثته على وجهه والاسم القصص بفتحتين وقصصت الأثر تتبعته (وأبلغ الموعظة) أي أكملها البالغ غاية الكمال أو غاية الفصاحة والبلاغة ، والموعظة كما مرّ كلام مشتمل

على زجر وتخويف وحمل على طاعة الله تعالى على وجه يرق له القلب (وأنفع التذكر) أي تذكر أمر الآخرة ودوام ثوابها وعقابها وعظمة شدائدها وأمر الدنيا وسرعة زوالها وفناء نعيمها وشوب زهراتها بمصيباتها وتحولاتها.

(كتاب الله تعالى) وهو الوافي بجميع ذلك لمن تفكر، والكافي لمن تأمل وتذكر، لم يترك شيئاً مما ينبغي وما لاينبغي من أمر الدنيا والآخرة (وإذا قريء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) أمر بالاستماع لينتقل الى المقصود وبالانصات لئلا يشتغل القلب بغيره وجعل الغاية رجاء نيل الرحمة الّتي هي غايه أمنية العابدين (والعصر) أقسم بالعصر وهو الدهر الذي من أعظم آثار قدرته الجديدان أو ما بعد الزوال إلى الغروب أو آخر ساعة من النهار أو صلاة العصر أو عصر النبوة على اختلاف المفسرين وجواب القسم قوله (**إن الإنسان لفي خسر**) في أعمالهم وصرف أعمارهم واللام للاستغراق والتنكير للتعظيم.

(إلّا الذين آمنوا) بالله ورسوله واليوم الآخر (وعملوا الصالحات) فنجوا بهذين الوصفين عن الخسران واستخقوا للسعادة والكرامة والإحسان (وتواصوا بالحق) أي أوصى بعضهم بعضاً وأمر كل واحد الآخر بالحق من العقد والعمل والصبر على أخذه ومشقة تحمله أو على مصائب الدنيا ونوائبها أو عن المعصية والتقحم فيها ، هذا وقد قرأ عليه السلام سورة كاملة في الخطبة الأولى ولم يقرأ شيئاً في الثانية والمشهور أنه لابد فيها أيضاً من سورة كاملة، واكتفى بعض الأصحاب بالآية التامة الفائدة والاحتياط ظاهر (وبارك على محمّد وآل محمّد) بارك: إما من بروك البعير إذا استناخ ولزم مكاناً واحداً لايخرج منه أو من البركة: بمعنى النماء والزيادة، والمعنى على الأول: أدم عليهم الكرامة والتشريف، وعلى الثاني: زدهم تشريفاً بعد تشريف وكرامة بعد كرامة (وتحنن على محمّد وآل محمّد) في كنز اللغة: «تحنن مهرباني كردن» (وسلم على محمد وآل محمد) أي خلصهم من الآفات الدنيوية والأخروية، وطهرهم من الأرجاس البدنية والروحانية وهم طاهرون منها، والطلب للتيمن والتبرك والتقرب بهم (كأفضل ما صليت وباركت وترحمت وتحننت وسلمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد) أراد أن يكون كل فرد من أفراد الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله، وكذا كل فرد من أفراد ما عطف عليها كأفضل أفراد الصلاة على إبراهيم وأفضل أفراد ما عطف عليها في كونه في غاية الكمال وبالجملة للصلاة على إبراهيم أفراد متفاوتة بعضها في غاية الكمال دون بعض وأراد باتشبيه أن يكون كل فرد من افراد الصلاة على محمّد وآله كأفضل أفراد الصلاة على إبراهيم في بلوغه إلى حد الكمال، فلا يلزم منه إلحاق الناقص بالكامل بل إلحاق كل فرد من طرف المشبه بأفضل الأفراد من طرف المشبه به بل يفهم منه تفضيله صلى الله عليه وآله على إبراهيم عليه السلام وتفضيل

صلاته على صلاته وعليه فقس فليتأمل (اللهم أعط محمّداً الوسيلة) في كنز اللغة الوسيلة: «دست آويز و هر چه باو نزديكى جويند بچيزى» والوسيلة أيضاً: أعلى درجات الجنّة ونهاية القرب، وأيضاً: المنبر يوضع يوم القيامة له ألف مرقاة كما مر وهذه الأمور الّتي طلبها له ﷺ كلها حاصلة له وليس الغرض من طلبها طلب حصولها له لاستحالة تحصيل الحاصل بل الغرض منه إظهار الشغف والسرور بحصولها له وطلب التقرب منه بذكر فضائله والرضى بها (وأوجههم عندك يوم القيامة جاهاً) أي أفضلهم وأكرمهم والوجه سيد القوم والجاه القدر والمنزله (وحباءِ السلام) حبى فلاناً أعطاه والاسم الحباء ككتاب (وألحقنا به غير خزاياً) خزى يخزي خزاية بالفتح استحيى فهو خزيان، والجمع خزاياً والمخزية على صيغة فاعل من أخزى: الخصلة الذميمة أي غير مستحيين منه بالمخزية من الأفعال والأخلاق (ولا ناكثين) أي غير ناقضين لعهده وعادلين عن طريقة (ولا نادمين) عن قبائح أعمالنا والسلب باعتبار انتفاء الموضوع (ولا مبدلين) لأحكامه وشرائعه وآدابه أوله بغيره (إله الحق آمين) في المصباح آمين بالقصر في الحجاز والمد بإشباع بدليل أنه لايوجد في العربية كلمة على فاعيل ومعناه « اللهم استجب » وقيل: معناه كذلك يكون والموجود في مشاهير الأصول المعتمدة أن التشديد خطأ وقال بعضهم التشديد لغة وهو وهم قديم وذلك أن أبا العباس أحمد بن يحيى قال « وآمين مثل عاصين » أن المراد صيغة الجمع لأنه قابله بالجمع وهو مردود بقول ابن جنى وغيره أن المراد موازنة اللفظ اللفظ لاغير ويؤيده قول صاحب التمثيل في الفصيح والتشديد خطأ.

(ثم جلس قليلاً) الجلوس بين الخطبتين واجب للتأسي ولدلالة الروايات المعتبرة عليه ولايجوز تركه إلاّ مع الضرورة (ثم قام فقال: الحمد لله أحق من خشي وحمد) لأن استحقاق أحد للخشية والخوف منه والحمد والثناء له إنما هو على قدر عظمته وقدرته وكثرة إحسانه ومحامده وقد عجزت عن معرفة عظمته وقدرته عقول العارفين، وعن إحسانه ومحامده ألسنة العاملين (وأفضل من اتقى وعبد) لأنه أهل لأن يتقى من مخالفته وعقوبته ويتذلل له بعبادته وطاعته، والاتقاء من الغير والطاعة له فإنما هو بأمره (وأولى من عظم ومجد) لأن التعظيم والمجد: أي العز والشرف يكونان إما لشرف الذات أو لشرف الوجود أو لصفات أو لكمال الأفعال والإحسان وكل ذلك على وجه الكمال له وأما غيره فهو في ذل الحاجة إليه من جميع هذه الجهات والسائل المفتقر إليه في الاتصاف بجميع الكمالات، فتعظيمه وتمجيده راجعان إليه في الحقيقة، ثم حمده على وجه يدل على التجدد لوقوعه مقابل نعمة بقوله (نحمده لعظيم غنائه): أي نفعه وفي الكنز: «غنى آسوده داشتن و فايده دادن» (وجزيل عطائه) كثرة عطاياه في حد لايحمل قليلاً منها

الدفاتر ويعجز عن عد واحد من ألف ألسنة الأكابر (وتظاهر نعمائه) أي ظهور بعضها عقب بعض وتقوية السابق باللاحق (وحسن بلائه) البلاء المنحة والعطية والنعمة والبلاء الحسن العطاء الجميل ولو أريد به المحنة فالمراد به البلاء الموجب لتذكر أمر الآخرة والرجوع إليه سبحانه وأما الموجب لفساد الدين فقد وقعت الاستعاذه منه (ونؤمن بهداه الذي لايخبو ضياؤه) الخبوء: خمود لهب النار خبت النار خبواً من باب قعد خمد لهبها ويعدى بالهمزة، والمراد بالهدى: القرآن أو الرسول أو القوانين الشرعية، وعلى التقادير تشبيهه بالنار مكنية وإثبات الضياء له تخييلية والخبو: ترشيح (ولايتهمد سناؤه) التهمد والهمود: وهو الموت وطفوُ النار أو ذهاب حرارتها وفي بعض النسخ « يتمهد » من المهد وهو الوضع ومنه المهاد للفراش يوضع ويوطأ والسناء على الأول بالقصر وهو ضوء البرق وفيه مكنية وتخييلية وترشيح وعلى الثاني بالمد وهو الرفعة.

(ولا يوهن عراه) الوهن الضعف وفعله من باب وعد وورث وكرم وأوهنه أضعفه، والمراد بالعروة القوانين الشرعية والأحكام الإلهية وفيه أيضاً مكنية وتخييلية وترشيح (ونعوذ بالله من سوء كل الريب): الشك في الحقوق الثابتة لله وللخلق مثل الشك في ذاته تعالى ووجوده ووحدته واختياره وسائر صفاته اللائقة به وفي كتابه ورسوله وما جاء به رسوله وفي أوصيائه واحد بعد واحد الى غير ذلك كله سوء يجب الاستعاذه منه على كل أحد وإن كان متصفاً باليقين لأن الإنسان لايأمن من الزلة والنسيان ولكن ذلك منه عليه السلام على سبيل التعليم أو التعبد وإظهار العجز والعبودية، وإلا فساحة عصمته وكمال علمه منزهة من دخول الريب اللازم للجهل فيها (وظلم الفتن) الفتنة: المحنة والبدعة وغيرهما مما يوجب الميل عن الحق مثل المال والجمال والحسب الكريم والنسب الشريف وكثرة العشائر وغيرها وتشبيهها بالشيء المظلم في عدم اهتداء من وقع فيه مكنية واثبات الظلمة لها تخييلية (ونستغفره من مكاسب الذنوب) جمع الذنب: الاثم، ومكاسب الذنوب: مواضع كسبها من الأفعال القبيحة والأخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة (ونستعصمه عن مساويء الأعمال) مساويء: «بديها» وكأنها جمع سوء على غير قياس كالمحاسن جمع حسن أو جمع مساوة، وفي المصباح المساءة نقيض المسرة وأصله مسوءة على مفعلة بفتح الميم والعين ولهذا ترد الواو في الجمع فيقال هي المساوى لكن استعملوا الجمع مخففاً (ومكاره الآمال) المكاره: المقابح من كره الأمر والمنظر كراهة فهو كريه مثل قبح قباحة فهو قبيح وزناً ومعنى، والأمل والطمع والرجاء في الأمور الدنيوية زيادة على القدر المحتاج إليه في أصل البقاء وقوام البدن والقوة على العبادة وهو المسمى بالكفاف كلها مقابح والفرق بينها أن أكثر استعمال الأمل فيما يستبعد حصوله والطمع فيما يقرب حصوله، والرجاء بين الأمل والطمع، فإن الراجي قد يخاف أن

لايحصل مرجوه فإن قوى الخوف يستعمل استعمال الأمل وإلا استعمل بمعنى الطمع (والهجوم في الأهوال) هجمت وعليه هجوماً من باب قعد دخلت فيه بغتة على غفلة، والهول: ما يخاف منه ويفزع لشدته واضراره، وموضع مهيل بفتح الميم ومهال أيضاً أي مخوف (ومشاركة أهل الريب) في مجالستهم أو في معاملتهم أو في دينهم بالتظاهر والتعاون فيه (والرضى بما يعمل الفجّار في الأرض بغير الحق) لأن الرضاء بالفسق فسق، فالراضي به فاسق مثل العامل به وقوله «بغير الحق» تأكيدان خص عملهم بالفجور، وتقييد أن عمم والبواقي ظاهر (وسنّوا سنّتك) أي ساروها أو أحسنوا القيام عليها والسنة الطريقة والسيرة.

*** الأصل:**

١٩٥ ـ الحسين بن محمّد الأشعري، عن معلّى بن محمّد، عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزه قال: **سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لكلِّ مؤمن حافظٌ وسائب، قلت: وما الحافظ وما السائب يا أبا جعفر؟ قال: الحافظ من الله تبارك وتعالى حافظ من الولاية يحفظ به المؤمن أينما كان، وأمّا السّائب فبشارة محمّد صلى الله عليه وآله يبشّر الله تبارك وتعالى بها المؤمن أينما كان وحيثما كان** (١).

*** الشرح:**

قوله: (حافظ من الولاية) أي ملك حافظ من الولاية بأن لايزل من ولاية الحق إلى ولاية الباطل يحفظه الله تعالى بذلك الحافظ المؤمن من الخروج عنها أينما كان من شرق الأرض أو غربها أو سهلها أو جبلها أو برها أو بحرها (وأما السائب) كأنه من السيب: بمعنى العطاء أو الجري (فبشارة محمّد صلى الله عليه وآله) بشرته أبشره من باب قتل في لغة تهامه وما والاها والتعدية بالتثقيل لغة عامة العرب والبشارة بكسر الباء والضم: لغة وإضافتها الى الفاعل وهي في الخير أكثر من الشر وإذا أطلقت اختصت بالخير (يبشر الله تبارك وتعالى بها المؤمن أينما كان وحيثما كان) لعل هذه البشارة عند لقاء الموت فإنه يحضر المؤمن ويبشره بكرامة الله ورحمته ويخبره بما آل حاله في الجنّة كما دلّت عليه الروايات.

*** الأصل:**

١٩٦ ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحجّال، عن حمّاد، عن الحلبيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **«خالط النّاس تخبُرهم ومتى تخبُرهم تقلهم».** (٢)

---

(١) الكافي: ٨ / ١٥٥.
(٢) الكافي: ٨ / ١٥٥.

* **الشرح:**

قوله (خالط النّاس تخبرهم و متى تخبرهم تقلهم) خبرت الشيء أخبره من باب قتل خبراً: علمته وأنا خبير، والخبرة: معرفة بواطن الأمور. والقلي بالكسر والقصر وبالفتح والمد: البغض، قلاه، يقليه: أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه وقليه كرضيه يقلاه لغة طي والمعنى: خالط النّاس وجربهم فإنك إن خالطتهم وجربتهم تخبرهم: أي تعرف مآل حالهم في الآخرة وانهماكهم في تحصيل الدنيا وجمع زخارفها وخبث عقائدهم وسوء أخلاقهم وكمال بعدهم عن ذكر الله تعالى، ومتى تخبرهم وتعرفهم بهذه الخصائل الذميمة تقلهم، يعني: تبغضهم أشد بغض ولا تحبهم، وهذا في اللفظ أمر وفي المعنى خبر أي من خالطهم أبغضهم وتركهم قال السيد رضى الدين في نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام: « **تخبره تقله** » ثم قال: وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: قال المأمون: لولا أن علياً عليه السلام قال « **أخبره تقله** » لقلت أنا: أقله تخبر قال بعض الشارحين حمل مأمون أخبر على معنى اختبر أي تبغضه تختبره ولكل وجه فإن من اختبر من لايحصل مرامه منه يبغضه ومن أبغض آخر يختبره ومن الناس من روى هذا لرسول صلى الله عليه وآله ومما يقوى أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ماحكاه ثعلب عن ابن الأعرابي .

* **الأصل:**

١٩٧ ـ سهل ، عن بكر بن صالح رفعه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **النّاس معادن كمعادن الذّهب والفضّة فمن كان له في الجاهليّة أصل فله في الإسلام أصلٌ** [(١)].

* **الشرح:**

قوله (**النّاس معادن كمعادن الذهب والفضة**) قيل: إنما جعلوا كالمعادن لمافيهم من الاستعدادات المتفاوتة، فمنهم قابل لفيض الله تعالى على مراتب المعادن، ومنهم غير قابل لها وقيل: لأن فيهم مبدأ الإيمان والكفران وأصل الطاعة والعصيان وغير ذلك من الخيرات والشرور وهي فيه كالنخلة في النواة والنّار في الحجر، كما أن في المعادن ذهب وفضة وجيّد ورديء، يظهر كل بالتمحيص والتجربة والامتحان وإلى ذلك أشار بقوله (فمن كان له في الجاهلية أصل فله في الإسلام أصل) أصل كل شيء مايستند إليه ذلك الشيء، كالأب للولد والعرق للشجر، والنهر للجدول ، ولعل المراد أن من له في علم الله أصل الإيمان ومادته في الجاهلية فله ذلك بعد الإسلام وهو يؤمن به ومن له مادة الكفر فيها فله ذلك بعده وهو يكفر به والغرض هو إظهار البعد بين حال

---

(١) الكافي: ٨ / ١٥٥ .

المؤمن وحال الكافر ويقرب منه مامر عن سيد العابدين عليه السلام قال: « **إن العبد إذا كان خلقه الله في الأصل أصل الخلق مؤمناً في علمه لم يمت حتى يكره الله إليه الشر ويباعده منه ، وإن العبد إذا كان الله خلقه في الأصل أصل الخلق كافراً لم يمت حتى يحبب إليه الشر ويقربه منه** » وهذا بعض كلامه وإن شئت تمامه فارجع إلى حديثه المذكور في صدر هذا الكتاب، ويمكن أن يكون ذلك إشارة إلى تقدم بني هاشم على غيرهم في الشرف والمنزلة في الجاهلية والإسلام، فإن شرفهم في الجاهلية أيضاً مشهور ومكارم أخلاقهم لايدفعها دافع ويؤيده أن معاوية كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام أن فلاناً وفلاناً أقدم منك، وأظهر أيضاً أولويته عليه فكتب عليه السلام في جوابه: « **لولا نهى الله تعالى من تزكية المرء لنفسه لذكرت جمة من فضائلي فإنّا صنائع ربنا والنّاس بعد صنائع لنا** » ثم أظهر أن عزه قديم دون عزه وعز قومه وبين التفاوت بين بني هاشم وبني أمية ، قال بعض الشارحين لكلامه عليه السلام: وفيه إشارة إلى أن شرفهم لايختص بالإسلام فإن شرفهم وعلو منزلتهم ومنزلة آبائهم قبل الإسلام أيضاً مشهور.

*** الأصل:**

١٩٨ ـ سهل بن زياد ، عن بكر بن صالح ، عن محمّد بن سنان ، عن معاوية بن وهب قال : تمثّل أبو عبدالله عليه السلام ببيت شعر لابن أبي عقب :

وينحر بالزوراء منهم لدى الضحى ثمانون ألفاً مثل ماتنحر البدن

وروى غيره البزل . ثمَّ قال لي : تعرف الزَّوراء ؟

قال : قلت : جعلت فداك يقولون : إنّها بغداد قال : لا ، ثمَّ قال عليه السلام : دخلت الرَّيّ ؟ قلت : نعم ، قال: أتيت سوق الدَّوابِّ ؟ قلت : نعم ، قال : رأيت الجبل الأسود عن يمين الطريق ؟ تلك الزوراء يقتل فيها ثمانون ألفاً منهم ثمانون رجلاً من ولد فلان كلّهم يصلح للخلافة ، قلت : ومن يقتلهم جعلت فداك ؟ قال : يقتلهم أولاد العجم [1].

*** الشرح :**

قوله: (تمثل أبو عبدالله عليه السلام ببيت شعر لابن أبي عقب . انتهى) كأنه سمعه من المعصوم وأدرجه في سلك النظم ويدل على جواز التمثيل بالشعر وإنشاده إذا كان صادقاً غير مؤذ لأحد أو حكمة ، وينحر على صيغة المجهول ، وثمانون في مقام الفاعل والباء في بالزوراء بمعنى « في » والبدن بضمتين وإسكان الدال تخفيف جمع البدنة محركة وهي الإبل (وروى غيره البزل) بدل

(١) الكافي: ٨ / ١٥٥.

البدن والظاهر أن ضمير غيره راجع إلى معاوية بن وهب وأن هذا كلام المصنف أو محمّد بن سنان، والبازل من الإبل: مادخل في السنة التاسعة، والذكر والأنثى سواء، يقال: جمل وناقة بازل وبزول إذا طلع نابه، والجمع كركع وكتب وبوازل (قال : لا) لعل المراد أن المقصود بالزوراء ههنا ليس بغداد إلّا أن الزوراء لا يطلق عليها لأن صاحب القاموس قال فيه: زوراء دجلة وبغداد لأن أبوابه الداخلة جعلت مزورة عن الخارجة (منهم ثمانون رجلاً من ولد فلان كلهم يصلح للخلافة) لرفعة شأنهم من حيث الدنيا وكونهم من أولاد الخلفاءِ وكأنه أراد بفلان عباساً وأشار بذلك الى قتال أمين مع المأمون فإنه وقع بالري وقتل عساكر أمين هناك وكان عسكر مأمون أهل خراسان وحواليها ويمكن أن يكون إشارة الى قضية هولاكو.

*** الأصل:**

١٩٩ ـ عليٌّ بن محمّد، عن عليِّ بن العباس، عن محمّد بن زياد، عن أبي بصير قال: **سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: «والذين إذا ذكّروا بآيات ربّهم لم يخرّوا عليها صمّاً وعمياناً»، قال: مستبصرين ليسوا بشكّاك** (١).

*** الشرح:**

قوله: (قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿**والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً**﴾، قال: مستبصرين ليسوا بشكاك) في تلك الآيات بإنكارها أو بعدم معرفة حقها، والمعنى لم يسقطوا ولم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل أكبوا عليها سامعين بأذن واعية متبصرين بعيون واعية وفيه وعد بأن الثواب المذكور في الآية إنما هو للمؤمن المستبصر الموقن والآيات شاملة للائمة عليهم السلام لأنهم الآيات الكبرى وأعظم أفرادها بهم يعرف الله ويعبد.

*** الأصل:**

٢٠٠ ـ عنه، عليّ، عن إسماعيل بن مهران، عن حمّاد بن عثمان قال: **سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول في قول الله تبارك وتعالى: «ولا يؤذن لهم فيعتذرون» فقال: الله أجلُّ وأعدل وأعظم من أن يكون لعبده عذر لا يدعه يعتذر به، ولكنّه فلج فلم يكن له عذر** (٢).

*** الشرح:**

قوله: (ولكنه فلج فلم يكن له عذر) الفلج بالضم والسكون والجيم: الغلبة يقال فلج أصحابه

---

(١) الكافي: ٨ / ١٥٥. (٢) الكافي: ٨ / ١٥٦.

وعلى أصحابه إذا غلبهم ويمكن أن يكون بالحاء المهملة بمعنى: القطع والشق يقال فلجت الحديد فلجاً من باب منع إذا قطعته وشققته وفلج على الاحتمالين مبني للمفعول أي غلب أو قطع وكسر فلم يكن له عذر في ترك الحق والإقرار بالإمام العادل ومتابعته حتى يعتذر به .

*** الأصل:**

٢٠١ ـ عليٌّ ، عن عليِّ بن الحسين ، عن محمّد الكناسيِّ، قال : **حدَّثنا من رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزَّ ذكره : « ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » قال : هؤلاء قوم من شيعتنا ضعفاء ليس عندهم مايتحمّلون به إلينا فيسمعون حديثنا ويقتبسون من علمنا فيرحل قوم فوقهم وينفقون أموالهم ويتعبون أبدانهم حتّى يدخلوا علينا فيسمعوا حديثنا فينقلونه إليهم فيعيه هؤلاء ويضيّعه هؤلاء ، فأُولئك الذين يجعل الله عزَّ ذكره لهم مخرجاً ويرزقهم من حيث لا يحتسبون .**

وفي قول الله عزّ وجلَّ : ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ ؟ قال : الذين يغشون الإمام إلى قوله عزَّ وجلَّ : ﴿لا يسمن ولا يغني من جوع﴾ لا ينفعهم ولا يغنيهم ، لا ينفعهم الدّخول ولا يغنيهم القعود[١].

*** الشرح :**

قوله: (قال: هؤلاء قوم من شيعتنا ضعفاء) إشارة إلى من الموصولة والجمع باعتبار المعنى والمراد بالضعف: ضعف حالهم في الدنيا للفقر كما فسّره بقوله (ليس عندهم ما يتحملون به إلينا) التحمّل: تكلف حمل شيء أي ليس عندهم ما يتحملون به المسير إلينا من الزاد والراحلة وغيرهما من أسباب السفر (فيسمعون حديثنا) متفرع على المنفى (ويقتبسون من علمنا) اقتبس العلم استفاده (فيرحل قوم فوقهم) فوقية دنيوية بالغناء والمال، ولعل المراد بالقوم أهل الخلاف كالزيدية والإسماعيلية والفطحية والواقفية وأمثالهم، ولو أريد بهم الإمامية أو الامامية أيضاً ينبغي حمل التضييع على تضييع العمل بالمروي أو على الأعم منه ومن إنكاره، إلّا أنه يرد أن الإمامية الناقلين إن عملوا كانوا مندرجين تحت الآية كالضعفاء بل هم أولى بالدخول، والضعفاء إن لم يعملوا كانوا خارجين عنها، فالفرق بينهما بأن الناقلين خارجون والمنقول إليهم داخلون غير واضح فليتأمل (وينفقون أموالهم) بتجهيز أسباب السفر (ويتعبون أبدانهم) بتحمل مشاقه (حتى يدخلوا علينا فيسمعوا حديثنا فينقلوه إليهم) أي الى شيعتنا الضعفاء (فيعيه هؤلاء) أي يحفظه

---

(١) الكافي: ٨ / ١٥٦.

الشيعة الضعفاء (ويضيعه هؤلاء) أي الأغنياء (فأولئك الذين يجعل الله لهم مخرجاً) من الضيق ويرزقهم رزقاً روحانياً وهو العلم بالشرع والعمل به (من حيث لا يحتسبون) رزقهم منه، وبالجملة لما دلت الآية الكريمة على أن التقوى: وهي التحرز من الكفر مطلقاً وما يوجب التأثم والشغل بغير الله تعالى سبباً للرزق الجسماني والروحاني بتوارد الفيض الرباني من حيث لا يحتسبون أشار عليه السلام إلى أن من اتصف بها هم الشيعة وإن من جملة رزقهم الذي يأتيهم من حيث لا يحتسبون تعلمهم حديث أهل العصمة عليهم السلام والعمل به ونقله إليهم على النحو المذكور.

(وفي قول الله تعالى هل أتاك حديث الغاشية، قال: الذين يغشون الإمام) الغاشية: الداهية الّتي يغشى الناس شدائدها ، قال أكثر المفسرين: هي القيامة، وقال بعضهم: هي النار وقال عليه السلام: من يغش الإمام المنصوب من قبل الله تعالى بالسوء والآية لبيان شدائدهم الأخروية وعقوباتهم الأبدية ومن جملتها أن ليس لهم طعام إلّا من ضريع، روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: الضريع: شيء في جهنم أمر من الصبر وأنتن من الجيفه وأحر من النار، وتأويل الغاشية بهذا تأويل آخر غير ما ذكر من أن الغاشية، الصاحب المنتظر عليه السلام، يغشاهم بالسيف إذا ظهر، والتاء للمبالغة ويعلم منه أنه قد يكون للآية تأويلات كلها صحيحة **﴿وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم﴾** الى قوله تعالى (لايسمن ولا يغني من جوع قال: لا ينفعهم ولا يغنيهم لا ينفعهم الدخول ولا يغنيهم القعود) الإسمان: إكثار اللحم والشحم وقد يجعل كناية عن النفع . والإغناء: النفع والجوع: ضد الشبع ويطلق أيضاً على العطش وعلى الاشتياق الى الشيء . والدخول في الأمر الأخذ فيه ، والقعود عن الأمر التأخر والتباعد عنه والقعود للأمر الاهتمام لهعرفت هذا فنقول: إن قوله: لا يسمن وما عطف عليه على تفسير المفسرين صفة لضريع أو استئناف كأنه قيل هل في أكل الضريع نفع مطلوب من الأكل وهو السمن ورفع الجوع، فأجيب بأنه لا، وعلى تأويله عليه السلام استئناف عن سؤال آخر كأنه قيل: هل ينفع الغاشية ما قصدوه من إيصال الضر إلى الإمام واطفاء نوره وهل يترتب على فعلهم ذلك؟ فأُجيب بأنه لا ينفعهم الدخول فيما يقتضى وصول الضرر إليه ولا ينفعهم القعود لذلك والاهتمام به **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾** وهذا الذي ذكرناه من باب الاحتمال والله يعلم .

*** الأصل:**

٢٠٢ ـ عنه ، عن عليِّ بن الحسين ، عن عليِّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ : « **ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا ثمَّ ينبّئهم بما عملوا يوم القيامة إنَّ الله بكلِّ شيء**

عليم » قال : نزلت هذه الآية في فلان وفلان وأبي عبيدة الجرّاح وعبدالرحمن بن عوف وسالم مولى أبي حذيفه والمغيرة بن شعبة حيث كتبوا الكتاب بينهم وتعاهدوا وتوافقوا : لئن مضى محمّد لا تكون الخلافة في بني هاشم ولا النبوّة أبداً ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيهم هذه الآية ، قال : قلت : قوله عزَّ وجلَّ : « أم أبرموا أمراً فانّا مبرمون * أم يحسبون أنّا لا نسمع سرَّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون » .

قال : وهاتان الآيتان نزلتا فيهم ذلك اليوم، قال أبو عبدالله عليه السلام : لعلّك ترى أنّه كان يوم يُشبه يوم كتب الكتاب إلّا يوم قتل الحسين عليه السلام وهكذا كان في سابق علم الله عزَّ وجلَّ الذي أعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله أن إذا كُتب الكتاب قتل الحسين عليه السلام وخرج الملك من بني هاشم فقد كان ذلك كلّه .

قلت : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأُخرى فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ قال : الفئتان إنّما جاء تأويل هذه الآية يوم البصرة، وهم أهل هذه الآية وهم الذين بغوا على أمير المؤمنين عليه السلام فكان الواجب عليه قتالهم وقتلهم حتّى يفيئوا إلى أمر الله ولو لم يفيئوا لكان الواجب عليه فيما أنزل الله أن لا يرفع السيف عنهم حتّى يفيئوا ويرجعوا عن رأيهم لأنهم بايعوا طائعين غير كارهين، وهي الفئة الباغية كما قال الله تعالى فكان الواجب على أمير المؤمنين عليه السلام أن يعدل فيهم حيث كان ظفر بهم، كما عدل رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكّة إنّما منَّ عليهم وعفى وكذلك صنع أمير المؤمنين عليه السلام بأهل البصرة حيث ظفر بهم مثل ما صنع النبيُّ صلى الله عليه وآله بأهل مكّة حذو النعل بالنعل .

قال : قلت : قوله عزَّ وجلَّ : « والمؤتفكة أهوى » قال : هم أهل البصرة هي المؤتفكة ، قلت: « والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبيّنات » ؟ قال : أُولئك قوم لوط ائتفكت عليهم انقلبت عليهم [1].

*** الشرح :**

قوله: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هورابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم) ذكر الثلاثة والخمسة دون الاثنين والأربعة لأن الله تعالى وتر يحب الوتر مع الإشعار بذكر الزوج بعد الاستثناء الى أن شيئاً من العدد لا يخلو من الازدواج معه كما صرح في قوله (ولا ادنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم) للتعميم بعد التخصيص (أينما كانوا من فوق الأرض وتحتها وشرقها وغربها والخلاء والملاء (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) من خير وشر ويجزيهم به (إن الله بكل شيء عليم) إشارة إلى أن المراد بكونه معهم علمه محيطاً بظواهرهم وضمائرهم لا معية زمانية أو مكانية (لا

---

(١) الكافي: ٨ / ١٥٦.

تكون الخلافة في بني هاشم ولا النبوة أبداً) أي تعاهدوا في حجة الوداع في الكتاب إلى منع اجتماعهما في بني هاشم حسداً وعناداً وعداوة وحباً للدنيا وميلاً الى كون الخلافة في قريش لئلا تذهب مكر متهم في العرب (فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيهم هذه الآية) توبيخاً ووعيداً لهم والآية وإن نزلت فيهم مضمونها عام ولا ينافي خصوص السبب عموما ولا يخصصه .

(قال: قلت: قوله عز وجل أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون) هم أبرموا أمر التعاهد ورد الخلافة عن بني هاشم وأحكموا ذلك بزعمهم والله سبحانه أبرم وأحكم أمر الخلافة في أهلها (قال أبو عبدالله عليه السلام لعلك ترى أنه كان يوم يشبه يوم كتب الكتاب إلّا يوم قتل الحسين عليه السلام.انتهى) شبه يوم قتل الحسين عليه السلام بيوم كتب فيه الكتاب في كونه مصيبة عظيمة وبلية شديدة على الهاشمين والعلويين والشيعة أجمعين لكونه أصلاً ليوم القتل وسبباً له إذ لو كانت الخلافة في بني هاشم ولم ينقلوها منهم إلى بني تيم وبني عدي وبني أمية لم يقع قتل الحسين عليه السلام (فقد كان ذلك كله) أي كتب الكتاب وقتل الحسين عليه السلام وخروج الملك من بني هاشم وكان تامة أو ناقصة وخبرها محذوف أي في علم الله تعالى.

(قلت: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أي تقاتلوا والافتعال يجيء بمعنى التفاعل مثل اختصموا وفعل الشرط محذوف لوجود مفسر له كما في قوله تعالى « وإن أحد من المشركين استجارك » (فأصلحوا بينهما) بالوعظ والنصح والدعاء الى حكم الله تعالى (فإن بغت احداهما على الأخرى) أي ظلمت وتعدت (فقاتلوا الّتي تبغى حتى تفيء الى أمر الله) أي ترجع إلى حكمه أو إلى ما أمرت به من ترك البغي (فإن فاءت) بعد المقاتلة الى أمر الله (فأصلحوا بينهما بالعدل) قيل تقييد الإصلاح بالعدل هنا لأنه مظنة الحيف من حيث أنه بعد المقاتلة ومن العدل العفو عنهم ورد أمواله كما يشير إليه (قال الفئتان) قيل السائل سأل عن الطائفتين فقال عليه السلام الفئتان أي هما الفئتان اللتان تعرفهما واللام للعهد وهم الذين بغوا على أمير المؤمنين عليه السلام أي خرجوا عليه كالمرأة وأصحابها (فكان الواجب عليه) أي على أمير المؤمنين عليه السلام وعلى من تبعه (قتالهم وقتلهم حتى يفيئوا إلى أمر الله) أي إلى طاعة الله تعالى وطاعة الإمام أو يقتلوا كالحربي (لأنهم بايعوه طائعين غير كارهين) فهم كانوا مؤمنين ثم نكثوا وارتدوا فكان هذا دليل لقوله (وهم أهل هذه الآية) إذ هو يقتضي تحقق الإيمان في الطائفتين ولاينافي ذلك خروج الباغي عن الإيمان (فكان الواجب على أمير المؤمنين عليه السلام أن يعدل فيهم حيث كان ظفر بهم كما عدل رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة إنما مَنَّ عليهم وعفى وكذلك صنع أمير المؤمنين عليه السلام بأهل البصرة حيث ظفر بهم مثل ما صنع النبي صلى الله عليه وآله بأهل مكة حذو النعل بالنعل) أي عمل مثل عمله من غير تفاوت كما تقطع

إحدى النعلين على قدر النعل الأخرى، والحذو: التقدير والقطع، واعلم أنه كان للنبي ﷺ سبي نساء مشركي أهل مكة وذراريهم وأخذ أموالهم غنيمة جائز وإنما لم يسب ولم يأخذ على سبيل المن عليهم دون استحقاقهم وظاهر التشبيه في قوله «وكذلك صنع أمير المؤمنين عليه السلام بأهل البصرة» وظاهر قول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلامه « مننت على أهل البصرة كما مَنَّ النبي ﷺ على أهل مكة يشعر بجواز سبي نساء مقاتلي أهل البصرة وذراريهم وأخذ أموالهم مطلقاً لأمير المؤمنين عليه السلام وإنما لم يسب ولم يأخذ على طريق المن أيضاً وجواز أخذ الأموال مشهور بين الأصحاب منهم الشهيد (ره) في خمس الدروس ويؤيده وأنه عليه السلام بعد الغلبة على أهل البصرة قسم أموالهم أولاً ثم أمر بردها على أصحابها ولولا جوازه لما فعله أولاً ، ولكن قيّدها المجوزون بالأموال التي حواها العسكر مع عدم رجوعهم الى الطاعة ونقلوا الإجماع على ذلك، وأما ما لم يحوها العسكر وإن كان مما ينقل ويحول أوحواها مع رجوعهم إلى الطاعة وعدم إصرارهم على المخالفة فلا يجوز قطعاً، وقال بعضهم لايجوز أخذ أموالهم مطلقاً منهم الشهيد (ره) في اللمعة وأما السبي فلا يجوز على المشهور وجوّزه بعض عملاً بظاهر التشبيه المذكور.

(قال قلت قوله عز وجل والمؤتفكة أهوى) هو الشيء يهوي هوياً بالفتح: سقط من علو إلى سفل، وأهواه: أسقطه، قال المفسرون: هي قرى قوم لوط ائتفكت بأهلها، انقلبت أهواها بعد أن رفعها وقلبها وقال عليه السلام: هو البصرة يدل عليه أيضاً قول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه في ذم أهل البصرة « يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلها انقلبت بهم ثلاثاً و على الله تمام الرابعة» وقال في خطبة اخرى: « وإنها: يعني البصرة لأسرع الأرض خراباً وأخبثها تراباً وأشدها عذاباً ولقد خسف بها في القرون الخالية مراراً وليأتين عليها زمان » وقال علي بن إبراهيم في تفسيره: وقد ائتفكت بأهلها مرتين وعلى الله تمام الثالثة (قلت والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات قال: اولئك قوم لوط ائتفكت عليهم انقلبت عليهم) كما هو المشهور ، قال بعض المفسرين كانت أربعة صواهم وزادوما وعامورا وسدوم .

*** الأصل:**

٢٠٣ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن عبدالله بن محمّد بن عيسى ، عن صفوان بن يحيى ، عن حنان قال: سمعت أبي يروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: **كان سلمان جالساً مع نفر من قريش في المسجد فأقبلوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم حتّى بلغوا سلمان ، فقال له عمر بن الخطّاب : أخبرني من أنت ومن أبوك وما أصلك؟ ، فقال : أنا سلمان بن عبدالله كنت ضالاً فهداني الله عزَّ وجلَّ بمحمّد ﷺ وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمّد ﷺ وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمّد ﷺ هذا**

نسبي وهذا حسبي.

قال: فخرج رسول الله ﷺ وسلمان ﵁ يكلّمهم ، فقال له سلمان : يا رسول الله ما لقيت من هؤلاء جلست معهم فأخذوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم حتّى إذا بلغوا إليَّ قال عمر بن الخطّاب : من أنت وما أصلك وما حسبك ؟ فقال النبيُّ ﷺ فما قلت له يا سلمان ؟ قال : قلت له : أنا سلمان بن عبدالله كنت ضالاً فهداني الله عزَّ ذكره بمحمّد ﷺ وكنت عائلاً فأغناني الله عزَّ ذكره بمحمّد ﷺ وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمّد ﷺ هذا نسبي وهذا حسبي .

فقال رسول الله ﷺ : يا معشر قريش، إنَّ حسب الرَّجل دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿إنّا خلقناكم من ذكر واُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ثمّ قال النبيُّ ﷺ لسلمان : ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلّا بتقوى الله عزَّ وجلَّ وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل [١].

*** الشرح :**

قوله: (حتى بلغوا سلمان فقال له عمر بن الخطاب: أخبرني من أنت ومن أبوك وما أصلك) افتخر عمر على سلمان بشرف آبائه ولم يعلم أن لشرف كل رجل بأفعال شريفة وأخلاق كريمة وأن شرف الآباء لو كان لا ينفعه وأن العبد الحبشي لو كان له دين ومروّة وعقل وتقوى وورع خير من رجل قرشي لم يكن له ذلك وأنه ليس للانسان إلّا ما سعى، وأجاب سلمان بأمور دلت على تذلله وتواضعه لله تعالى، والشكر على نعمه وهي نسبه المشعر بالعبودية والهداية بعد الضلالة الّتي هي الخروج من دين الحق أو الجهل بالأحكام الشرعية والغنى بعد العيلة، والفقر والعتق بعد الملك، والمراد به: العتق المعروف حمله على العتق من قيد النفس الأمارة بعيد ومما يناسب ذكره في هذا المقام ما ذكره القرطبي قال « سلمان يكنى أبا عبد الله (قدس) وكان ينسب إلى الإسلام فيقول أنا سلمان ابن الإسلام ويعد من موالي رسول الله ﷺ لأنه أعانه بما كوتب عليه فكان سبب عتقه، وكان يعرف بسلمان الخير ، وقد نسبه رسول الله ﷺ إلى بيته فقال: سلمان منا أهل البيت، وأصله فارسي من رامهرمز قرية يقال لهاجي وقيل: بل من أصبهان وكان أبوه مجوسياً فنبهه الله تعالى على قبح ماكان عليه أبوه وقومه وجعل في قلبه التشوق إلى طلب الحق فهرب بنفسه إلى أن وصل إلى الشام فلم يزل يجول في البلدان ويختبر الأديان ويكتشف الأحبار والرهبان إلى أن دل على واهب الوجود فوصل إلى المقصود بعد مكابدة عظيمة انتهى وسنذكر تفصيل أحواله إن شاء الله تعالى .

---

(١) الكافي: ٨ / ١٥٧.

(فقال رسول الله ﷺ: يا معشر قريش إن حسب الرجل دينه) في المصباح الحسب بفتحتين: ما يعد من المآثر وهو يكون في الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف، ورجل حسيب: كريم في نفسه، ولا ريب في أن الدين والعمل بما فيه أشرف المآثر والمفاخر (ومروءته خلقه) في المصباح، المروءة: آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات، يقال: مرؤ الإنسان فهو مريء، مثل قرب فهو قريب أي ذومروءة قال الجوهري وقد شدد فيقال مروة (وأصله عقله) إذ به يتم كماله وحقيقته وينتسب إلى الأنبياء والأوصياء وقد أشار ﷺ أن مزية الإنسان وشرفه بهذه الأمور الثلاثة لا بالنسب وشرف الآباء وشهرتهم (قال الله عز وجل إنما خلقناكم من ذكر وأنثى): أي: من رجل وامرأة وهما آدم وحواء عليهما السلام أو المراد بهما الأب والأم لكل واحد فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب والتعيير والاعتياب به والخطاب لجميع الناس من العرب والعجم والذكر والأنثى والحر والعبد (وجعلناكم شعوباً وقبائل) الشعب بالفتح: ما انقسمت فيه قبائل العرب، والجمع شعوب مثل فلس وفلوس ويقال الشعب: هو الحي العظيم المنسوبون إلى أصل واحد وشعبت القوم شعباً من باب منع جمعتهم وفرقتهم فيكون من الأضداد فالجمع باعتبار جمع كل شعب لأولاده والتفريق باعتبار تميز كل شعب من آخر ويقال أنساب العرب إنقسم ست مراتب: شعب، ثم قبيلة، ثم عمارة بفتح العين وكسرها، ثم بطن، ثم فخذ ، ثم فصيلة، فالشعب: هو النسب الأول كعدنان فهو بمنزلة الجنس يندرج فيه سائر المراتب، والقبيلة: ما انقسم فيه أنساب الشعب، والعمارة: ما انقسم فيه أنساب القبيلة، والبطن: ما انقسم فيه أنساب العمارة، والفخذ: ما انقسم فيه أنساب البطن، والفصيلة: ما انقسم فيه أنساب الفخذ، فخزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة، وقيل: الشعوب بطون العجم، والقبائل بطون العرب، وقيل: الشعوب باعتبار المدينة والبلد مثل مكي ومدني وغيرهما، والقبائل باعتبار الآباء كالتميمي والهاشمي وغيرهما (لتعارفوا) أي ليعرف بعضكم بعضاً لا للتفاخر بالآباء (إن أكرمكم عندالله أتقاكم) هو من يكون دينه ومروءته وعقله على حد الكمال .

*** الأصل:**

٢٠٤ ـ عليٌّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عبدالرَّحمن بن الحجّاج ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **لمّا ولّى عليٌّ عليه السلام صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال : إني والله لا أرزؤكم من فيئكم درهماً ما قام لي عذق بيثرب فلتصدقكم أنفسكم أفتروني مانعاً نفسي ومعطيكم ؟**

قال: فقام إليه عقيل فقال له: والله لتجعلني وأسود بالمدينة سواء؟! فقال: اجلس أما كان ههنا أحد يتكلّم غيرك وما فضلك عليه إلّا بسابقة أو بتقوى (١).

*** الشرح:**

قوله: (ثم قال: إني والله لا أرزؤكم من فيئكم درهماً ما قام لي عذق بيثرب) رزأه ماله كجعله وعلمه رزءاً بالضم: أصاب منه شيئاً وأخذه، والفيء: الغنيمة والخراج، والعذق بالفتح: النخلة بحملها، وبالكسر: العرجون بما فيه من الشماريخ (فلتصدقكم أنفسكم) أي فلتكن قلوبكم موافقه لألسنتكم في الجواب ولا تقولوا بأفواهكم ما ليس في قلوبكم (أفترونى مانعاً نفسي ومعطيكم) ممن لا يستحق أو زائداً عما تقضية القسمة الشرعية وفيه قطع لطمعهم عن الجور في القسمة ضرورة أن الجائر يقدم نفعه على نفع غيره فعدم الأول يدل على عدم الثاني (قال: فقام إليه عقيل فقال له: والله لتجعلني وأسود بالمدينة سواء) كأنه أراد بالأسود من اعتقه عمار فأعطاه أمير المؤمنين عليه السلام وأعطى مولاه وسائر المسلمين ثلاثة دنانير كما مر في شرح الأصول وفيه دلالة على سوء أدب عقيل وأنه لم يرض بما فعله العالم الرباني حتى توسل بمعاوية كما هو المشهور وعلى كمال عدل أمير المؤمنين عليه السلام حيث لم يفضل القريب على البعيد والشريف على غيره (ومافضلك عليه إلّا بسابقة أو بتقوى) أي ما فضلك على الأسود لما افتخر عقيل بشرف النسب وكرم الأصل زجره عليه السلام عن ذلك وأشار الى أن التفاضل بين الناس إنما هو بالإيمان والاعمال أو بتقوى الله الذي يتحقق بترك الدنيا ورفض الأهواء النفسانية والمعاصي لا بالأنساب.

*** الأصل:**

٢٠٥ ـ عدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عليِّ بن رئاب، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **قام رسول الله صلى الله عليه وآله على الصفا فقال: يا بني هاشم! يا بني عبدالمطّلب! إنّي رسول الله إليكم وإنّي شفيق عليكم وإنَّ لي عملي ولكلِّ رجل منكم عمله لا تقولوا: إنَّ محمّداً منّا وسندخل مدخله، فلاوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم يا بني عبدالمطّلب إلّا المتقّون.**

ألا فلا أعرفكم يوم القيامة تأتون تحملون الدُّنيا على ظهوركم ويأتون النّاس يحملون الآخرة، ألا إنّي قد أعتذرت إليكم وفيما بيني وبينكم وفيما بيني وبين الله عزَّ وجلَّ فيكم (٢).

*** الشرح**: قوله: (ويأتيني الناس يحملون الآخرة) هم الذين رفضوا الدنيا وحبها وتزينوا

---

(١) الكافي: ٨ / ١٥٨. (٢) الكافي: ٨ / ١٥٨.

بحب الآخرة وأعمالها (ألا إني قد أعذرت إليكم فيما بيني وبينكم وفيما بيني وبين الله عز وجل فيكم) أعذر في الأمر: أبدى عذراً وبالغ وفي المثل، اعذر من أنذر يقال: ذلك لمن يحذر أمراً يخاف سواء حذر أم لم يحذركذا في المصباح ولعل المراد إني أبديت عذراً يرتفع عني اللوم فيما بيني وبينكم من أن القرابة لا تنفعكم وفيما بيني وبين الله عز وجل فيكم من تبليغ ما هو المطلوب منكم وهو التقوى وغيرها .

* **الأصل:**

٢٠٦ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن الحلبيّ ، عن ابن مسكان ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : **رأيت كأني على رأس جبل والنّاس يصعدون إليه من كلِّ جانب حتى إذا كثروا عليه تطاول بهم في السماء وجعل الناس يتساقطون عنه من كلِّ جانب حتّى لم يبق منهم أحدٌ إلّا عصابة يسيرة ففعل ذلك خمس مرّات في كلّ ذلك يتساقط عنه النّاس ويبقي تلك العصابة أمّا إنَّ قيس بن عبدالله بن عجلان في تلك العصابة قال : فما مكث بعد ذلك إلّا نحواً من خمس حتّى هلك** [1].

* **الشرح :**

قوله: (وجعل الناس يتساقطون عنه من كل جانب) كأنه أخبر بخروج كثير ممن توسل به عن الدين بعد موته عليه السلام (فما مكث بعد ذلك إلّا نحواً من خمس حتى هلك) قيل: ذكر الكشي هذه الرواية بعينها عن زرارة مع زيادة يسيرة وفيه « فما مكث بعد ذلك إلّا نحواً من خمس سنوات حتى هلك صلوات الله عليه » .

* **الأصل:**

٢٠٧ ـ عنه ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن حمّاد بن عثمان ، قال : **حدّثني أبو بصير قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إنَّ رجلاً كان على أميال من المدينة فرأى في منامه فقيل له : انطلق فصلِّ على أبي جعفر عليه السلام فانَّ الملائكة تغسّله في البقيع فجاء الرِّجل فوجد أبا جعفر عليه السلام قد توفّي** [2].

* **الشرح :**

قوله: (فإن الملائكة تغسلة في البقيع) دل على تحقق الرؤيا الصادقة وعلى أن الملائكة تغسل المعصوم باطناً .

---

(١) الكافي: ٨ / ١٥٩ . (٢) الكافي: ٨ / ١٥٩.

* **الأصل:**

٢٠٨ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أحد بن محمّد بن خالد ، عن أبيه ، عن محمّد بن سليمان ، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام قوله تعالي : « **وكنتم على شفاحفرة من النّار فأنقذكم منها (بمحمّد) » هكذا والله نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله** [١].

* **الشرح :**

قوله (وكنتم على شفا حفرة من النّار فأنقذكم منها (بمحمّد) هكذا والله نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله) شفاكل شيء طرفه المشرف عليه وفيه دلالة ظاهرة على وقوع الحذف فيه [٢].

* **الأصل:**

٢٠٩ ـ عنه ، عن أبيه ، عن عمر بن عبدالعزيز ، عن يونس بن ظبيان ، عن أبي عبدالله عليه السلام: « **لن تنالوا البرَّ حتّى تنفقوا مما تحبّون » هكذا فاقرأها** [٣].

* **الشرح :**

قوله: (لن تنالوا البر) أي ما هو أولى بإطلاق اسم البر عليه وهو الثواب الكامل والرحمة الواسعة والمقام العالي في الجنة أو ما يوجبها (حتى تنفقوا ما تحبون هكذا فاقرأها) في هذا القرآن مما تحبون وهذه الرواية لو صحت دلت على أن المنزل ما تحبون والفرق بينهما أن « مما » ظاهر في التبعيض مع احتمال أن يكون من لبيان الجنس و «ما» ظاهر في بيان الجنس مع احتمال أن يكون للعموم ولو كان المحبوب متعدداً ينبغي انفاق الأحب ويندرج فيه الإنفاق الواجب وغيره.

* **الأصل:**

٢١٠ ـ عنه ، عن أبيه ، عن عليِّ بن أسباط ، عن عليِّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام : « **ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم (وسلّموا للامام تسليماً) أو اخرجوا من دياركم (رضى له) ما فعلوه إلّا قليل منهم ولو أنَّ (أهل الخلاف) فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم وأشدَّ تثبيتاً » وفي هذه الآية « ثمَّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت (من أمر الوالي) ويسلّموا (لله الطاعة) تسليماً** [٤].

---

(١) الكافي: ٨ / ١٥٩.

٢ ـ قد مرَّ مراراً أن احتمال السقط في القرآن زعم باطل عند أكابر المحدثين والعلماء ومحمد بن سليمان الديلمي كان غالباً كذاباً وكذا أبوه ، ولو صحّت الرواية فالمراد أن التنزيل بهذا المعنى.

(٣) الكافي: ٨ / ١٥٩. (٤) الكافي: ٨ / ١٦٠.

*** الشرح :**

قوله: (ولو أنا كتبنا عليهم) أي على أهل النفاق والتحاكم الى الطاغوت وأهل الخلاف المنكرين لو الى الحق في مرتبته (أن اقتلوا أنفسكم) الأمّارة العاصية بالسياسات العقلية والآداب الشرعية (وسلموا للامام تسليماً) طوعاً ورغبته ظاهراً وباطناً (أو اخرجوا من دياركم) للجهاد ولقاء العدو المحتاج الى قطع المسافة بعيدة أم لا (رضى له) أي للامام لا لطلب الحياة الدنيا (ما فعلوه إلّا قليل منهم) نور الله تعالى قلوبهم بنور الإيمان وهداهم بالهدايات الخاصة إلى سبيل الجنان، هذا من باب الاحتمال والمفسرون فسروه بوجه آخر والله يعلم (ولو أن أهل الخلاف) وهم المذكورون (فعلوا ما يوعظون به) من التسليم للإمام ومتابعته طوعاً ورغبته وغير ذلك مما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة.

(لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) في دينهم لتوقف حصوله ورفع الشك عليه أو في ثواب أعمالهم، والظاهر أن لفظ الخير والأشد هنا إما صفة أو مجرد عن معنى التفضيل كما في قوله تعالى « خير من اللهو »، أو على فرض الفعل في المفضل عليه وفيه ثلاثة أمور زائدة على ما هو في القرآن الكريم الأول قوله: « وسلموا للإمام تسليماً » الثاني: قوله: « رضى له » ، الثالث: قوله: « أهل الخلاف» إذا المتواتر ولو أنهم فعلوا ولعل الثالث تفسير للضمير وبيان لمرجعه، والثاني تفسير لعلة الخروج وبيان لغايته، وأما الأول فحمله على التفسير بعيد والظاهر أنه تنزيل ويمكن حمل الأخيرين أيضاً على التنزيل والله يعلم « وفي هذه الآية » أي في تفسير هذه الآية وهو عطف على قوله « ولو أنا كتبنا فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت) من أمر الوالي (وسلموا لله الطاعة تسليماً) قيل: «لا» في قوله: «فلا وربك » زائدة لتأكيد القسم أي فوربك لا يؤمنون بك حتى يجعلوك حكماً فيما اختلف بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً أي ضيقاً أو شكاً مما حكمت به من أمر الوالي بعدك بأمر الله تعالى ويسلموا لله طاعته في نصب الوالي وطاعة الوالي تسليماً عارياً عن الشك ، والظاهر إنما فيه من الزائد على ما في القرآن الكريم تفسير له لا تنزيل .

*** الأصل:**

٢١١ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أبي جناده الحصين بن المخارق بن عبدالرحمن بن ورقاء بن حبشيٍّ بن جناده السلولي صاحب رسول الله ﷺ ، عن أبي الحسن الأوَّل عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ : « **أُولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم (فقد سبقت عليهم كلمة الشقاء وسبق لهم العذاب) وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً** » .

*** الشرح :**

قوله: (في قول الله عز وجل أولئك) أي المنافقون المتحاكمون إلى الطاغوت المعتذرون إليك بأنهم ماأراد بذلك إلّا إحساناً وتوفيقاً بين الخصمين والفصل بينهما دون مخالفتك الحالفون على ذلك حلفاًكاذباً (الذين يعلم الله ما في قلوبهم) من النفاق والشك والمخالفة والحلف الكاذب، فلا ينفعهم الكتمان وإظهار المعذرة باللسان (وأعرض عنهم) أي عن عقابهم أو عن قبول عذرهم (فقد سبقت عليهم كلمة الشقاء) هو والشقاوة ضد السعادة (وسبق لهم العذاب) في الأزل لعلمه تعالى بأنهم لا يؤمنون (وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) في الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، لئلا يكون لهم على الله حجة يوم القيامة وفي هذا القرآن المتواتر، وأعرض عنهم، وعظهم، وقل لهم، والظاهر أن ما ذكره عليه السلام تفسير واحتمال التنزيل بعيد والله يعلم .

*** الأصل:**

٢١٢ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن أُذينة ، عن بريد بن معاوية قال : **تلا أبوجعفر عليه السلام : « أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأُولي الأمر منكم » فإن خفتم تنازعاً في الأمور فارجعوه إلى الله وإلى والرّسول وإلى أُولي الأمر منكم » ثمّ قال : كيف يأمر بطاعتهم ويرخّص في منازعتهم إنّما قال ذلك للمأمورين الذين قيل لهم : « أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول »** .

*** الشرح :**

قوله: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن خفتم تنازعاً في الأمر فارجعوه الى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم) في القرآن الكريم « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول » والظاهر أن ما ذكره عليه السلام تفسير وبيان للمقصود (ثم قال كيف يأمر بطاعتهم) أي بطاعة أُولي الأمر، والاستفهام للإنكار (ويرخص في منازعتهم) ، إنما قال ذلك للمأمورين الذين قيل لهم (أطيعوا الله واطيعوا الرسول) فيه رد على العامة، قال القاضي وغيره: فإن تنازعتهم أنتم وأولو الأمر في شيء من أمور الدين فارجعوا فيه إلى كتاب الله والسؤال من الرسول في زمانه وإلى سنته بعده ويريد بأولي الأمر أمراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية أمر الله تعالى بطاعتهم بعد الأمر بالعدل تنبيها على أن وجوب طاعتهم ماداموا على الحق أراد بأولي الأمر علماء الشرع وأنت خبير بأن هذا القول بطلانه أظهر من أن يحتاج إلى البيان، وقد أوضحنا ذلك في شرح الأصول .

حديث قوم صالح عليه السلام

* **الأصل:**

٢١٣ ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل عليه السلام كيف كان مهلك قوم صالح عليه السلام؟ فقال: يا محمّد إنّ صالحاً بعث إلى قومه وهو ابن ستّ عشرة سنة فلبث فيهم حتّى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه إلى خير، قال: وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله عزَّ وجلَّ، فلمّا رأى ذلك منهم قال: يا قوم بعثت إليكم وأنا ابن ستّ عشرة سنة وقد بلغت عشرين ومائة سنة، وأنا أعرض عليكم أمرين إن شئتم فاسألوني حتّى أسأل إلهي فيجيبكم فيما سألتموني السّاعة، وإن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابتني بالذي أسألها خرجت عنكم، فقد سئمتكم وسئمتموني، قالوا: قد أنصفت يا صالح فاتّعدوا ليوم يخرجون فيه قال: فخرجوا بأصنامهم إلى ظهرهم ثمَّ قرَّبوا طعامهم وشرابهم فأكلوا وشربوا فلمّا أن فرغوا دعوه.

فقالوا: يا صالح سل، فقال لكبيرهم: ما اسم هذا؟ قالوا: فلان، فقال له صالح: يا فلان أجب فلم يجبه، فقال صالح: ماله لا يجيب؟ قالوا: ادع غيره، قال: فدعاها كلّها بأسمائها فلم يجبه منها شيء، فأقبلوا على أصنامهم فقالوا لها: مالك لا تجيبين صالحاً؟ فلم تجب فقالوا تنحَّ عنّا ودعنا وآلهتنا ساعة، ثمَّ نحوّا بسطهم وفرشهم ونحّوا ثيابهم وتمرّغوا على التراب وطرحوا التراب على رؤوسهم، وقالوا لأصنامهم: لئن لم تجبن صالحاً اليوم لتفضحن. قال: ثمّ دعوه فقالوا: يا صالح ادعها، فدعاها فلم تجبه، فقال لهم: يا قوم قد ذهب صدر النّهار ولا أرى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتّى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة.

فانتدب له منهم سبعون رجلاً من كبرائهم والمنظور إليهم منهم، فقالوا يا صالح نحن نسألك فإن أجابك ربّك اتّبعناك وأجبناك ويبايعك جميع أهل قريتنا، فقال لهم صالح عليه السلام: سلوني ماشئتم، فقالوا: تقدّم بنا إلى هذا الجبل، وكان الجبل قريباً منهم، فانطلق معهم صالح فلّما انتهوا إلى الجبل قالوا: يا صالح ادع لنا ربّك يخرج لنا من هذا الجبل الساعة ناقة حمراء شقراء وبراء عَشَراء بين جنبيهاميل، فقال لهم صالح لقد سألتموني شيئاً يعظم عليَّ ويهون على ربّي جلَّ وعزَّ قال: فسأل الله تعالى صالح ذلك فانصدع الجبل صدعاً كادت تطير منه عقولهم لمّا سمعوا ذلك ثمَّ اضطرب ذلك الجبل اضطراباً شديداً كالمرأة إذا أخذها المخاض ثمّ لم يفجأهم إلّا رأسها قد

طلع عليهم من ذلك الصدع فما استتمّت رقبتها حتى اجترَّت ثم خرج سائر جسدها ثمَّ استوت قائمة على الأرض.

فلّما رأوا ذلك قالوا: يا صالح: ما أسرع ما أجابك ربّك، ادع لنا ربّك يخرج لنا فصيلها فسأل الله عزَّ وجلَّ ذلك فرمت به فدبَّ حولها فقال لهم: يا قوم أبقي شيء؟ قالوا: لا، إنطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأينا ويؤمنون بك قال: فرجعوا فلم يبلغ السبعون إليهم حتّى ارتدَّ منهم أربعة وستّون رجلاً وقالوا: سحرٌ وكذبٌ قال: فانتهوا إلى الجميع فقال الستّة: حقٌّ وقال الجميع: كذبٌ وسحرٌ قال: فانصرفوا على ذلك، ثمَّ ارتاب من الستّة واحد فكان فيمن عقرها.

قال ابن محبوب: فحدَّثت بهذا الحديث رجلاً من أصحابنا يقال له سعيد بن يزيد فأخبرني أنّه رأى الجبل الذي خرجت منه بالشام قال: فرأيت جنبها قد حكَّ الجبل فأثر جنبها فيه وجبل آخر بينه وبين هذا ميل (١).

* **الشرح**: قوله: في حديث صالح (كيف كان مهلك قوم صالح) مهلك بالكسر: مصدر هلك، كضرب ومنع (فاتعدوا اليوم) وعدة واتعده بمعنى (فخرجوا بأصنامهم الى ظهرهم) أي ظهر بلدهم وفي بعض النسخ إلى ظهورهم (وقالوا لأصنامهم لئِن لم تجيبين صالحاً اليوم لتفضحن) فضحه فافتضح: إذا انكشف مساوىء والاسم الفضيحة وفي بعض النسخ لتفضحنا (فانتدب له منهم سبعون رجلاً) فأجاب يقال ندبته فانتدب أي دعوته فأجاب قالوا (ياصالح ادع لنا ربك يخرج لنا ناقة حمراء شقراء وبراء عشراء بين جنبيها ميل) الناقة الشقراء: ماكانت حمرتها شديدة صافية، والعبراء: ماكان لها وبر كثير، والعشراء بالضم وفتح الشين والمد: ما أتى على حملها عشرة أشهر أو ثمانية أشهر، وقيل شهران ثم اتسع فقيل لكل حامل عشراء وأكثر ما يطلق على الإبل والخيل (ثم لم يفجأهم الا رأسها قد طلع) الفجأة: «ناگاه در آمدن» وفعلها من باب سمع ومنع (فما استتمت رقبتها حتى اجترت) الجرة بالفتح: ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه يقال اجتر البعير يجتر قوله (**كذبت ثمود بالنذر**): جمع نذير كرغف جمع رغيف، وثمود: اسم قبيلة، وهم قوم صالح عليه السلام (**قالوا أبشراً منا واحداً**) أي منفرداً لاتبع له أو من آحاد الناس وأوساطهم دون أشرافهم وهو منصوب بفعل مقدر يفسره.

* **الأصل:**

٢١٤ - عليُّ بن محمّد، عن عليِّ بن العباس، عن الحسن بن عبدالرَّحمن، عن عليِّ بن أبي

(١) الكافي: ٨ / ١٦٠.

حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : «كذّبت ثمود بالنذر * فقالوا أبشرٌ منّا واحداً نتّبعه إنّا إذا لفي ضلال وسعر * ءألقي الذِّكر عليه من بيننا بل هو كذّاب أشر » قال: هذا كان بما كذّبوا به صالحاً ، وما أهلك الله عزَّ وجلَّ قوماً قطُّ حتّى يبعث إليهم قبل ذلك الرُّسل فيحتجّوا عليهم . فبعث الله إليهم صالحاً فدعاهم إلى الله فلم يجيبوا وعتوا عليه وقالوا: لن نؤمن لك حتّى تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء ، وكانت الصّخرة يعظّمونها ويعبدونها ويذبحون عندها في رأس كلِّ سنة ويجتمعون عندها فقالوا له : إن كنت كما تزعم نبيّاً رسولاً فادع لنا إلهك حتّى تخرج لنا من هذه الصخرة الصمّاء ناقة عشراء ، فأخرجها الله كما طلبوا منه .

ثمَّ أوحى الله تبارك وتعالى إليه أن يا صالح قل لهم : إنَّ الله قد جعل لهذه الناقة من الماء شرب يوم ولكم شرب يوم، وكانت الناقة إذا كان يوم شربها شربت الماء ذلك اليوم فيحلبونها فلا يبقي صغير ولا كبير إلّا شرب من لبنها يومهم ذلك فإذا كان اللّيل وأصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم ولم تشرب النّاقة ذلك اليوم فمكثوا بذلك ما شاء الله .

ثمَّ إنّهم عتوا على الله ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا : إعقروا هذه النّاقة و استريحوا منها ، لانرضى أن يكون لنا شرب يوم ولها شرب يوم ، ثمَّ قالوا : من الذي يلي قتلها ونجعل له جُعلاً ما أحبّ ، فجاءهم رجل أحمر ، أشقر ، أزرق ولد زنى ولا يعرف له أبٌ يقال له : قدار ، شقيٌّ من الأشقياء مشؤوم عليهم فجعلوا له جعلاً فلمّا توجّهت الناقة إلى الماء الذي كانت ترده تركها حتّى شربت الماء وأقبلت راجعة فقعد لها في طريقها فضربها بالسيف ضربة فلم تعمل شيئاً فضربها اُخرى فقتلها وخرَّت إلى الأرض على جنبها وهرب فصيلها حتّى صعد إلى الجبل فرغى ثلاث مرَّات إلى السّماء، وأقبل قوم صالح فلم يبق أحدٌ منهم إلّا شركه في ضربته واقتسموا لحمها فيما بينهم فلم يبق منهم صغيرٌ ولا كبيرٌ إلّا أكل منها فلّما رأى ذلك صالح أقبل إليهم فقال : يا قوم ما دعاكم إلى ما صنعتم أعصيتم ربّكم . فأوحى الله تبارك وتعالى إلى صالح عليه السلام إنّ قومك قد طغوا وبغوا وقتلوا ناقة بعثتها إليهم حجّة عليهم ولم يكن عليهم فيها ضرر، وكان لهم منها أعظم المنفعة، فقل لهم : إنّي مرسل عليكم عذابي إلى ثلاثة أيّام فإن هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم وصددت عنهم وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثالث .

فأتاهم صالح عليه السلام فقال لهم : يا قوم إنّي رسول ربّكم إليكم وهو يقول لكم : إن انتم تبتم ورجعتم واستغفرتم غفرت لكم وتبت عليكم ، فلمّا قال لهم ذلك كانوا أعتى ما كانوا وأخبث «وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » قال : يا قوم إنّكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرَّة واليوم الثاني وجوهكم محمرَّة واليوم الثالث وجوهكم مسودَّة .

فلمّا أن كان أوّل يوم أصبحوا ووجوههم مصفرَّة فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : قد جاءكم ما قال لكم صالح : فقال العتاة منهم : لا نسمع قول صالح ولا نقبل قوله وإن كان عظيماً .

فلمّا كان اليوم الثاني أصبحت وجوههم محمرَّة فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا: يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح عليه السلام ، فقال العتاة منهم : لو أهلكنا جميعاً ما سمعنا قول صالح عليه السلام ولا تركنا آلهتنا الّتي كان آباؤنا يعبدونها ولم يتوبوا ولم يرجعوا . فلمّا كان اليوم الثالث أصبحوا ووجوههم مسودّة فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: يا قوم أتاكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: قد أتانا ما قال لنا صالح فلما كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل عليه السلام فصرخ بهم صرخة خرقت تلك الصرخة أسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم وقد كانوا في تلك الثلاثة الأيّام قد تحنّطوا وتكفّنوا وعلموا أنَّ العذاب نازل بهم فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق لهم ناعقة ولاراغية ولا شيء إلّا أهلكه الله فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم موتى أجمعين ثمَّ أرسل الله عليهم مع الصيحة النّار من السّماء فأحرقتهم أجمعين وكانت هذه قصّتهم [١].

*** الشرح :**

قوله: (نتبعه) والاستفهام للإنكار والتوبيخ (انا إذا لفي ضلال وسعر) السعر: بالضم الجنون كالسعر .

(ألقي الذكر عليه من بيننا) ظنوا أن البشرية ما نعة للرسالة وإلاّ لجاز اتصاف كل أحد بها ولم يعلموا أنها متوقفه على صفات لا توجد في كل أحد والذكر هو الكتاب أو الوحي (بل هو كذاب أشر) الأشر: البطر، وهو الكبر وقيل أشد البطر أرادوا أن الكبر وحب الدنيا والرئاسة والفرح بها وبالرفع علينا حمله على المبالغة في الكذب وادعاء الرسالة (وكانت الصخرة يعظمونها) قيل كانت تلك الصخرة مفردة من ناحية الجبل وكانوا يسمونها الكائنة (إن الله قد جعل لهذه الناقة شرب يوم) الشرب بالكسر: نصيب من الماء قيل إذا كان يوم شربها وضعت رأسها في البئر ولم ترفعه حتى شربت كل ماء فيها (وقالوا اعقروا هذه الناقة واستريحوا منها) قيل كانت إذا وقع الحررعت في ظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه، وإذا وقع البرد رعت في بطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره، فشق ذلك عليهم فدعاهم الى عقرها وعلى هذا قولهم (لا نرضى أن يكون لها شرب يوم ولنا شرب يوم)، علة أخرى باعثة لهم على قتلها (ونجعل له جعلاً)

---

(١) الكافي: ٨ / ١٦٢ .

في النهاية الجعل الاسم بالضم والمصدر بالفتح، يقال: جعلت لك كذا جعلاً وجعلاً وهو: الأجرة على الشيء فعلاً وقولاً (فجاءهم رجل أحمر أشقر) الاشقر من الناس: من يعلو بياضه حمرته فتكون حمرة صافية وبشرته مائلة إلى البياض (يقال له قدار شقي من الأشقياء) في القاموس قدار بضم القاف وتخفيف الدال: ابن سالف عاقر الناقة وقيل: قدار بن سالف الذي يقال له أحمر عاقر ناقة صالح عليه السلام وقال عياض: إنه كان مغروراً بالشهوات عرماً جريئاً في الفسوق حاذقاً في الحيل والعصيان (هرب فصيلها فصعد الى الجبل فرغا ثلاث مرات) رغا البعير صوت وضج، قيل: كان فصيلها شبيهاً بها في العظم وقال بعض الأفاضل صعد الى جبل يقال له قارة وكان صالح قال لهم: أدركوا الفصيل يرفع عنكم العذاب، فلم يقدروا عليه وانفتحت الصخرة فدخلها (فلم يبق لهم ناعقة ولا راغية ولا شيء إلّا أهلكه الله) النعيق: الصوت والصياح، يقال: نعق الراعي بغنمه إذا صاح والغراب إذا صوّت وفيه مبالغة في إحاطة العذاب حتى أنه لم يبق واحد من ذي روح ولا شيء من أموالهم إلّا أهلكه .

*** الأصل:**

٢١٥ ـ حميد بن زياد ، عن الحسن بن محمّد الكنديّ ، عن غير واحد من أصحابنا عن أبان بن عثمان ، عن الفضيل بن الزبير قال : **حدَّثني فروة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ذاكرته شيئاً من أمرهما فقال : ضربوكم على دم عثمان ثمانين سنة وهم يعلمون أنّه كان ظالماً فكيف يا فروة إذا ذكرتم صنميهم .**[1]

*** الشرح:**

قوله: (قال ذاكرته شيئاً من أمرهما) أي من أمر الأول والثاني وظلمهما على أهل البيت عليهم السلام وثمانون سنة هى مدة سلطان بني أمية (فكيف يا فروة إذا ذكرتم صنميهم) أي معبوديهم الأول والثاني لأنهم كانوا يعتقدون بهما ويصفونهما بالعدل فتعصبهم لهما أشد من تعصبهم لعثمان وفيه حث على التقية منهم .

*** الأصل:**

٢١٦ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عن عليّ بن النعمان ، عن عبدالله بن مسكان ، عن سدير قال : **كنّا عند أبي جعفر عليه السلام فذكرنا ما أحدث النّاس بعد نبيّهم صلى الله عليه وآله واستذلالهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال رجلٌ من القوم : أصلحك الله فأين كان عزُّ بني**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٦٢.

هاشم وما كانوا فيه من العدد ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : ومن كان بقي من بني هاشم ؟! إنّما كان جعفر وحمزة فمضيا وبقي معه رجلان ضعيفان ذليلان حديثا عهد بالإسلام : عبّاس وعقيل وكانا من الطلقاء، أما والله لو أنَّ حمزة وجعفراً كانا بحضرتهما ما وصلا إلى ما وصلا إليه ولو كانا شاهديهما لأتلفا نفسيهما [1].

*** الشرح :**

قوله: (وكانا من الطلقاء) لأنه صلى الله عليه وآله خلّى عنهما في فتح بدر وأطلقهما ولم يسترقهما والطليق: فعيل بمعنى مفعول وهو الأسير إذا أطلق سبيله (ولو كانا شاهديهما لأتلفا نفسيهما) الضمير في نفسيهما راجع إلى الأول والثاني لا إلى حمزة وجعفر لدلالة السابق عليه ولئلا يلزم تفكيك الضمير.

*** الأصل:**

٢١٧ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن أبيه ، عن عبدالله بن المغيره ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **من اشتكى الواهنة أو كان به صداع أو غمرة بول فليضع يده على ذلك الموضع وليقل : « أُسكن سكّنتك بالذي سكن له ما في الليل والنّهار وهو السميع العليم »** [2].

*** الشرح :**

قوله: (من اشتكى الواهنة) بالنون: ريح تأخذ في المنكبين أو في العضد، وفي أكثر النسخ الواهية بالياء المثناة التحتانية: وهي الجراحة والدمل والخراج وغيرها مما يخرج في البدن من القروح وفي القاموس، الوهي: الشق في الشيء وهي كوهي وولي تخرّق وانشق واسترخى رباطه (أو كان به صداع) وهو بالضم: وجع الرأس، والهمزة ليست في بعض النسخ (أو غمرة بول) غمرة الشيء بالراء المهملة: شدته ومزدحمه، وغمر الماء غمرة وغمورة كثر ولعل المراد بها حرقة البول أو سلسه (فليضع يده على ذلك الموضع) الأولى وضع اليمنى عليه (وليقل اسكن سكّنتك بالذي سكن له) أي لأمره وحكمه (ما في الليل والنهار وهو السميع العليم) باء القسم متعلق بالفعلين من باب التنازع وذكر الموصول للإشعار بصلته الى المقصود والرغبة في حصوله، وفي ذكر هذين الوصفين به تعالى حث لمن طلب منه السكون عليه لأنه لايرد مطلوبه بعد تذكيره بأنه تعالى يسمع ويعلم ما جرى بينهما، واستبعاد الخطاب الى الجوع مدفوع بأنه عزَّ وجلَّ قادر على إسماعه وإفهامه والله على كل شيء قدير.

---

(١) الكافي: ٨ / ١٦٥. (٢) الكافي: ٨ / ١٦٥.

*** الأصل:**

٢١٨ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن أحمد بن محمّد بن أبي بصير ، والحسن بن عليٍّ بن فضّال ، عن أبي جميلة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **الحزم في القلب ، والرّحمة والغلظة في الكبد ، والحياء في الرّئة**

وفي حديث آخر لأبي جميلة : العقل مسكنه في القلب (١).

*** الشرح :**

قوله: (قال: الحزم في القلب) لعل المراد بالقلب هنا الجسم الصنوبري النابت في الصدر، والحزم: ضبط الرجل أمره والحذر من فواته من قولهم حزمت الشيء: أي شددته. (والرحمة والغلظة في الكبد) هو بالفتح والكسر وككتف معروف، والرحمة تحرك الرقة والمغفرة والتعطف والغلظة ضد الرقة وفي كنز اللغة الكبد «جگر» والغلظة «سختى و بى رحمى» (والحياة في الرية) الحياء حالة للنفس مانعة من القبائح لأجل خوف اللوم ولاريب في أن تلك الأحوال عارضة للنفس الناطقة لعل الوجه هو الإشارة إلى أنها أحوال مادية عارضة لها من حيث تعلقها بتلك الأعضاء وتصرفها فيها كما أن لها أحوال عارضة فائضة من المبدأ من حيث أنها مجردة وإليه أشار الفاضل الأمين الاسترابادي حيث قال: وكان المراد أن أو لا يفيض من المبدأ حالة على الأرواح المخزونة في تلك الأعضاء ويتسبب ذلك لفيضان تلك الأمور على الناطقة .

*** الأصل:**

٢١٩ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عليٍّ بن حسّان ، عن موسى بن بكر قال : **اشتكى غلامٌ إلى أبي الحسن عليه السلام فسأل عنه ، فقيل : إنّه به طحالاً فقال: أطعموه الكراث ثلاثة أيّام. فأطعمناه إيّاه فقعد الدَّم ثمَّ برأ** (٢).

*** الشرح :**

قوله: (فقيل أن به طحالاً) في القاموس الطحال: ككتاب، لحمة معروفة وفي «كنز» طحال: «سپرز» (فقال أطعموه الكراث) في القاموس: الكراث كرمان وكتان بقل وفي كنز اللغة كراس: «گندنا» .

*** الأصل:**

٢٢٠ ـ محمّد بن يحيى ، عن غير واحد ، عن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن عمرو بن إبراهيم

---

(١) الكافي: ٨ / ١٦٥ .

(٢) الكافي: ٨ / ١٦٥.

قال: **سألت أبا جعفر عليه السلام وشكوت إليه ضعف معدتي ، فقال : اشرب الحزاء بالماء البارد ، ففعلت فوجدت منه ما اُحبُّ** (١).

*** الشرح :**

قوله: (اشرب الحزاء بالماء البارد) الحزاء بالحاء المهملة والزاي المعجمة يقصر ويمد: وهو نبت بالبادية يشبه الكرفس إلّا أنه أعرض ورقاً منه والواحدة حزاة وحزاءة بالقصر والمد .

*** الأصل:**

٢٢١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن بكر بن صالح قال : **سمعت أبا الحسن الأوّل عليه السلام يقول : من به الرّيح الشائكة والحام والابردة في المفاصل تأخذ كفّ حلبة وكفّ تين يابس تغمرهما بالماء وتطبخهما في قدر نظيفة ثمَّ تصفّي ثمّ تبرّد ثمَّ تشربه يوماً وتغبّ يوماً حتّى تشرب منه تمام أيّامك قدر قدح روي** (٢).

*** الشرح :**

قوله: (من به الريح الشائكة): أي الشدية الحديدة من الشوكة وهي الشدة والحدة وهوداء معروف وحمرة تعلو الوجه والجسد يقال شاكه شوكة وشيك الرجل فهو مشوك إذا دخلت في جسمه (والحام والأبردة في المفاصل . انتهى) الحام بشد الميم الحار كالريح الحارة من الحمة وهي الحرارة والابردة بالكسر: برد في الجوف والمفاصل، وهي علة معروفة من غلبة البرودة والرطوبة والحلبة: بالضم نبت نافع للصدر والسعال والبلغم والبواسير والظهر والكبد والمثانة والباه ومن طريق العامة « لو يعلم الناس ما في الحلبة لا شتروها ولو بوزنها ذهباً »، وفي النهاية الحلبة: حب معروف وقيل: هو من ثمرة العضاه ، والحلبة أيضاً: العرفج وقد تضم اللام . والقدح بالتحريك: آنية تروي الرجلين اسم يجمع الصغار والكبار ، وروى كغني والظاهر أن أيام الشرب ثلاثة لأنها أقل الجمع .

*** الأصل:**

٢٢٢ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن محمّد بن عليّ ، عن نوح بن شعيب ، عمّن ذكره ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : **من تغيّر عليه ماء الظهر فلينقع له اللّبن الحليب والعسل** (٣).

*** الشرح :** قوله: (من تغير عليه ماء الظهر) لعل المراد به المني وبتغيره فتوره وضعفه وقلة

---

(١) الكافي: ٨ / ١٦٥. (٢) الكافي: ٨ / ١٦٦. (٣) الكافي: ٨ / ١٦٦.

الباه (فلينقع له اللبن الحليب والعسل) الانقاع: الجمع والخلط وكل ما ألقي في ماء فقد انقع والنقوع بالفتح: ما ينقع في الماء ليلاً ليشرب نهاراً من غير طبخ وبالعكس ضمير به راجع إلى الموصول أو إلى ماء الظهر والحلب ويحرك استخراج ما في الضرع من اللبن والحليب اللبن المحلوب أو ما لم يتغير طعمه .

*** الأصل:**

٢٢٣ ـ الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن محمّد بن جمهور ، عن حمران قال : **قال : أبو عبدالله عليه السلام : فيم يختلف النّاس ؟ قلت : يزعمون أنّ الحجامة في يوم الثلاثاء أصلح ، قال : فقال لي : وإلى ما يذهبون في ذلك ؟ قلت : يزعمون أنّة يوم الدَّم ، قال : فقال: صدقوا فأحرى أن لا يهيّجوه في يومه أما علموا أنَّ في يوم الثلاثاء ساعة من وافقها لم يرق دمه حتّى يموت أو ما شاء الله** (١).

*** الشرح :**

قوله: (أما علموا أن في يوم الثلثاء ساعة . انتهى) دل على كراهية الحجامة فيه وحمله على التحريم باعتبار أنه مظنة الوقوع إلى التهلكة بعيد .

*** الأصل:**

٢٢٤ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن رجل من الكوفييّن ، عن أبي عروة أخي شعيب أو عن شعيب العقر قوفي قال : **دخلت على أبي الحسن الأوَّل عليه السلام وهو يحتجم يوم الأربعاء في الحبس فقلت له : إنَّ هذا يوم يقول الناس : إنَّ من أحتجم فيه أصابه البرص فقال : إنمّا يخاف ذلك على من حملته اُمّة في حيضها .**

*** الأصل:**

٢٢٥ ـ محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن الحسين ، عن محمد بن إسماعيل ، عن صالح بن عقبة ، عن إسحاق بن عمّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **لا تحتجموا في يوم الجمعة مع الزَّوال فإنَّ من احتجم مع الزوال في يوم الجمعة فأصابه شيء فلا يلومنَّ إلّا نفسه .**

*** الأصل:**

٢٢٦ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن عليّ ، عن أبي سلمة ، عن معتّب ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **الدواء أربعة : السعوط والحجامة والنورة والحقنة .**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٦٦ .

* **الشرح:**

قوله: (الدواء أربعة) خصها بالذكر لكونها أنفع الأدوية في الأمراض المخصوصة التي يعرفها أهل الصناعة (السعوط والحجامة والنورة والحقنة) السعوط كصبور: الدواء الذي يدخل في الأنف والمسعط بالضم وكمنبر: ما يجعل فيه ذلك الدواء ويصب منه في الأنف سعطه الدواء كمنعه ونصره وأسعطه الدواء سعطة واحدة في أنفه فاستعط، والحجامة بالكسر: حرفة الحجام والمحجم والمحجمة بكسرها ما يحجم به، والنورة: تفتح وتسمن وتدفع الرياح، والحقنة: أن يعطى المريض الدواء من أسفله وهي معروفة عن الأطباء وذكروا لها فوائد كثيرة.

* **الأصل:**

٢٢٧ ـ عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة قال: **شكا رجل إلى أبي عبدالله عليه السلام السعال وأنا حاضر، فقال له: خذ في راحتك شيئاً من كاشم ومثله من سكّر فاستفّه يوماً أو يومين، قال ابن أُذينة: فلقيت الرَّجل بعد ذلك، فقال: ما فعلته إلّا مرَّة واحدة حتّى ذهب**(١).

* **الشرح:**

قوله: (خذ في راحتك شيئاً من كاشم ومثله من سكر فاستفّه) الكاشم: الانجدان الرومي وهو معرب «انكدان ونكوان» والسف والاستفاف: أكل الدواء غير ملتوت وذلك الدواء سفوف كصبور تقول سففت الدواء بالكسر سفاً وأستفته إذا أكلته غير ملتوت.

* **الأصل:**

٢٢٨ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن سعيد بن جناح، عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **إنَّ موسى بن عمران عليه السلام شكا إلى ربّه تعالى البلّة والرُّطوبة فأمر الله تعالى أن يأخذ الهليلج، والبليلج، والأملج فيعجنه بالعسل ويأخذه، ثمَّ قال أبو عبدالله عليه السلام: هو الذي يسمّونه عندكم الطريفل**(٢).

* **الشرح:**

قوله: (فيعجنه بالعسل ويأخذه) الضمير لكل واحد والعجن: التخليط والاعتماد باليدين على الأرض عند النهوض ومنه يقال عجنه إذا اعتمد على يديه يجمع كفيه يغمزه كما يعتمد الكبير عند النهوض بيديه على الأرض فهو عجين ومعجون وفيه تنبيه على أنه ينبغي أن يخلطه على وجه

---

(١) الكافي: ٨ / ١٦٧. (٢) الكافي: ٨ / ١٦٧.

يحصل للمجموع مزاج تركيبي ثم يأخذه أي يأكله .

*** الأصل:**

٢٢٩ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن محمّد بن خالد ، عن محمّد بن يحيى ، عن أخيه العلاء ، عن إسماعيل بن الحسن المتطبّب قال : **قلت : لأبي عبدالله عليه السلام : إني رجلٌ من العرب ولي بالطبِّ بصر وطبّي طبٌ عربيٌ ولست آخذ عليه صفداً ؟ فقال : لا بأس ، قلت : إنّا نبطّ الجرح ونكوي بالنّار ؟**

قال : لا بأس ، قلت: ونسقي هذه السموم الاسمحيقون والغاريقون؟ قال: لا بأس، قلت: إنّه ربما مات ؟ قال : وإن مات . قلت : نسقي عليه النبيذ ؟ قال : ليس في حرام شفاء ، قد اشتكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت له عائشة : بك ذات الجنب : فقال أنا أكرم على الله عزَّ وجلَّ من أن يبتليني بذات الجنب ، قال : فأمر فلدَّ بصبر [١].

*** الشرح :**

قوله: (عن إسماعيل بن الحسن المتطبب) في القاموس الطب مثلثة الطاء: علاج الجسم والنفس يطب ويطب بالكسر: الشهوة والإرادة، والشأن وبالفتح الماهر الحاذق بعمله كالطبيب والمتطبب المتعاطي علم الطب (ولي بالطب بصر) أي علم وبصر القلب نظره وخاطره والبصير: العالم (وطبي طب عربي) أعرف به الأدوية المعروفة بين مهرة الأعراب للأمراض (ولست آخذ عليه صفداً): أي أجراً على شرط أو مطلقاً والصفد محركة العطاء والوثاق (قلت: أنا نبطّ الجرح ونكوي بالنار قال: لا بأس) البط شق الدمل والجراحة ونحوهما والجراحة ونحوهما والجرح بالضم: واحد الجروح، وبالفتح: مصدر وليس بمراد هنا وفيه تجويز للكي إذا ظنت منفعته ودعت إليه حاجة والنهي عنه في بعض المواضع إنما هو إذا وجد عنه غنى وينبغي أن يؤخر العلاج به حتى تدعو الضرورة إليه لما فيه من استعجال الألم الشديد في دفع ألم قد يكون أضعف منه ومن المشهور آخر الدواءالكي (قلت ونسقي) المريض (هذه السموم الأسمحيقون والغاريقون) في الأمراض التي نظن أنهما نافعان لها بالتجربة و في القاموس غاريقون أو أغاريقون: أصل نبات أو شيء يتكون في الأشجار المسمومة، ترياق للسموم، مفتح مسهل للخلط الكدر مفرح صالح للنسا والمفاصل ومن علق عليه لا تلسعه عقرب.

(قال: لا بأس، قلت: انه ربما مات قال: وإن مات) فيه تجويز للطبيب الماهر الحاذق علماً

---

(١) الكافي: ٨ / ١٦٧.

وعملاً في المعالجة وإن انجرت إلى الموت لكن بشرط تشخيص المرض وسببه مع عدم التقصير في تفتيش أحوال المريض واستعمال الأدوية على القانون المعتبر، ولا ينافي الجواز ضمانه المشهور بين الأصحاب، وتفصيل الاختلاف في الضمان ومواضعه ومواضع عدمه في كتب الفروع

(قلت: نسقي عليه النبيذ) المراد بالنبيذ هنا: الشراب المسكر سواء اتخذ من التمر أو الزبيب أو العسل أو العنب أو غيرها، قال في النهاية: يقال للخمر: المعتصر من العنب نبيذكما يقال للنبيذ: خمر (قال ليس في حرام شفاء) دل هذا وأمثال ما روي أن الله تعالى لم يجعل في شيء مما حرم الله دواء ولا شفاء وأن من اكتحل بميل من مسكر كحله الله بميل من نار » على أنه لا يجوز التدواي به واستعماله مطلقاً طلاءً واكتحالاً وأكلاً وشرباً ومفرداً ومركباً واختياراً واضطراراً، قال العلامة في الإرشاد: يباح للمضطر وهو خائف التلف لو لم يتناول أو المرض أو عسر علاجه أو الضعف عن مصاحبة الرفقة مع خوف العطب عند التخلف أو عن الركوب المؤدي إلى الهلاك تناول كل المحرمات إلّا الباغي وهو الخارج على الإمام والعادي وهو قاطع الطريق، ثم قال بعد ثلاثة أسطر: ولا يجوز التداوي بشيء من الأنبذة ولا بشيء من الأدوية معها شيء من المسكر أكلاً وشرباً ويجوز عند الضرورة التدواي به للعين ، والظاهر أن كلامه الثاني لكونه دالاً على عدم جواز الاستعمال أكلاً وشرباً عند الضرورة في غير العين ينافي الأول لدلالته على جواز تناول كل المحرمات عند الضرورة من غير فرق بين الخمر وغيرها من المحرمات الأنبذة وغير الأنبذة والقول بأنه رجوع عن الأول بعيد وحمل كل المحرمات على غير الأنبذة أبعد، وقال الشهيد الثاني: جواز تناول المحرمات غير الخمر عند الاضطرار موضع وفاق، وأما الخمر فقد قيل بالمنع مطلقاً وبالجواز مع عدم قيام غيرها مقامها، وهو ظاهر عبارة العلامة في الإرشاد وكأنه أراد بها العبارة الأولى ومصرح الدروس جواز استعمالها للضرورة مطلقاً . ونقل عن الشهيد الأول أنه حمل رواية المنع على الاختيار وعن العلامة أنه حملها على طلب الصحة لا طلب السلامة من التلف، وقيل: الرواية دلت على أنه ليس فيما اتصف بالحرمة شفاء والحرام عند الضرورة وانحصار الدواء فيه ليس حراماً بل حلال وهذا القول مع أن قائله غير معلوم بعيد جداً لأن الغرض من الرواية هو منع استعماله كما لا يخفى وللكلام في الطرفين مجال واسع .

(قد اشتكى رسول الله ﷺ) أي أصابه داء (فقالت عائشة بك ذات الجنب) قال القرطبي: ذات الجنب: هو الوجع الذي يكون في الجنب المسمى بالشوصة، وقال الترمذي: هي السل وفيه بعد والأول هو المعروف وقال ابن الاثير: ذات الجنب: هي الدبيلة والدمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب فتنفجر الى داخل وقلما يسلم صاحبها وذوالجنب الذي يشتكي بسبب الدبيلة إلّا أن

ذو للمذكر وذات للمؤنث وصارت ذات الجنب علماً لها وإن كانت في الأصل صفة مضافة (فقال: أنا أكرم على الله من أن يبتليني بذات الجنب) إما لأنها قاتلة أو لأن باطنه أطهر من أن يبتلى بها ويتدنس بقيحها أو لغير ذلك (فأمر فلد بصبر) وهو من السموم كالإسمحيقون والغاريقون واللدود كصبور: ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم ولديد الفم جانباه وقد لدّه لداً.

* **الأصل:**

٢٣٠ ـ عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن يونس بن يعقوب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: **الرَّجل يشرب الدَّواء ويقطع العرق وربّما انتفع به، وربّما قتله؟ قال: يقطع ويشرب** (١).

* **الشرح:**

قوله: (الرجل يشرب الدواء ويقطع العرق. انتهى) المراد بقطع العرق فصده وهو شقه وهذا كالسابق في تجويز العمل بالقوانين الطبية على الشرائط المذكورة.

* **الأصل:**

٢٣١ ـ أحمد بن محمّد بن الكوفيّ، عن عليِّ بن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن محمّد بن عبد الحميد، عن الحكم بن مسكين، عن حمرة بن الطيّار قال: **كنت عند أبي الحسن الأوّل عليه السلام فرآني أتأوّه فقال: مالك؟ قلت: ضرسي، فقال: لو احتجمت فاحتجمت فسكن فأعلمته فقال لي: ما تدواى النّاس بشيء خيرٌ من مصّة دم أو مزعة عسل، قال: قلت: جعلت فداك ما المزعة من عسل؟ قال: لعقة عسل** (٢).

* **الشرح:**

قوله: (ضرسي) ضرس بالكسر السن وهو إما فاعل أو مبتدأ أي وجع ضرسي أو ضرسي وجع (فقالوا لو احتجمت) لو للتمني أو للشرط على حذف الجزاء أي لنفعك (فقال لي: ما تداوى الناس بشيء خير من مصة دم أو مزعة عسل) المزعة بالفتح والزاي المعجمة والعين المهملة: مصدر، يقال: مزع القطن مزعة كمنع إذا نفشه وفرّقه بأصابعه، وبالضم وبالكسر: اللعقة والجرعة من الماء (قال: لعقة من عسل) لعقه كسمعه لعقة ويضم لحسه وأخذه بلسانه ومنه فلان لعق الأصابع والقصعة اذا لحس ولطع ما عليها من أثر الطعام واللعوق كصبور اسم ما يلعق به أي يؤكل بالملعقة ومثل هذا الحديث رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة من عسل» قال محيى الدين المحجم بكسر الميم الحديدة الّتي يشرط بها موضع

---

(١) الكافي: ٨ / ١٦٨. (٢) الكافي: ٨ / ١٦٨.

الحجامة وقال القرطبي: هو الوعاء الذي يجمع فيه موضع الحجامة ويجمع فيه الدم وقد يطلق على الحديدة الّتي يشرط بها وهي المراد بها وهي المراد هنا ، ثم قال محيي الدين: هذا من بديع علم الطب لمن عرفه فإن الأمراض الامتلائية اما دموية أو صفراوية أو سوداوية أو بلغمية فالدموية: شفاؤها بإخراج الدم والثلاثة الباقية شفاؤها بالإسهال بالمسهل الذي يليق بكل خلط منها فنبه عليه‌السلام بالحجامة على إخراج الدم ويدخل الفصد ووضع العلق وغيرهما مما في معناهما ونبه بالعسل على المسهلات وإنما خصت المذكورات بالذكر لأنها أنفع .

* **الأصل:**

٢٣٢ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن بكر بن صالح ، عن سليمان بن جعفر الجعفري قال : **سمعت أبا الحسن موسى عليه‌السلام يقول : دواء الضرس : تأخذ حنظلة فتقشّرها ثمَّ تستخرج دهنها فإن كان الضرس مأكولاً منحفراً تتقطر فيه قطرات وتجعل منه في قطنة شيئاً وتجعل في جوف الضرس وينام صاحبه مستلقياً يأخذه ثلاث ليالٍ فإن كان الضرس لا أكل فيه وكانت ريحاً قطر في الأذن الّتي تلي ذلك الضرس ليالٍ، كلِّ ليلة قطرتين أو ثلاث قطرات يبرأ بإذن الله ، قال : وسمعته يقول : لوجع الفم والدَّم الذي يخرج من الأسنان والضربان والحمرة الّتي تقع في الفم ، تأخذ حنظلة رطبة قد اصفرَّت فتجعل عليها قالباً من طين، ثم تثقب رأسها وتدخل سكّيناً جوفها فتحكَّ برفق، ثمَّ تصبَّ عليها خلّ تمر حامضاً شديد الحموضة ثمَّ تضعها على النّار فتغليها غلياناً شديداً، ثمَّ يأخذ صاحبه منه كلّما احتمل ظفره فيدلك به فيه ويتمضمض بخلّ وإن أحبَّ أن يحوِّل ما في الحنظلة في زجاجة أو بستوقة فعل وكلّما فني خلّه أعاد مكانه وكلّما عتق كان خيراً له إن شاء الله** (١).

* **الشرح :**

قوله: (تأخذ حنظلة فتقشرها ثم تستخرج دهنها . انتها) في القاموس الحنظل: معروف والمختار منه أصفره، شحمه يسهل البلغم الغليظ المنصب في المفاصل شرباً والقاؤه في الحقن نافع للماليخوليا والصرع، والوسواس، وداء الثعلب، والجذام، ومن لسع الافاعي، والعقارب لا سيما أصله، ولوجع السن تبخراً بحبه، ولقتل البراغيث رشاً بطبيخه، وما على شجرة حنظلة واحدة قتاله، والقشر بالكسر: الجلد وغشاء الشيء قشره يقشره ويقشره إذا كشط قشره، والدهن بالضم: الرطوبة اسم من دهنه إذا بله، وبالكسر: الشيء القاتل، والضربان: الاضطراب والتحرك ووثوب

---

(١) الكافي: ٨ / ١٦٨ .

العرق والجرح وتموجهما والقالب بكسر اللام وفتحها: معروف، ولعل المراد بخل خمر الخل العنبي واحتمال إرادة ما كان أصله خمراً بعيد والبستوقة بالضم: من الفخار معرب «بستو» كذا في المغرب .

*** الأصل:**

٢٣٣ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن ابن فضّال ، عن الحسن بن أسباط ، عن عبدالرَّحمن بن سيابة قال : **قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت لك الفداء إنَّ النّاس يقولون : إنَّ النجوم لا يحلُّ النظر فيها وهي تعجبني فإن كانت تضرُّ بديني فلا حاجة لي في شيء يضرُّ بديني وإن كانت لا تضرّ بديني فوالله إنّي لأشتهيها وأشتهي النظر فيها ؟ فقال : ليس كما يقولون ، لا تضرُّ بدينك ، ثمَّ قال : إنّكم تنظرون في شيء منها كثير لا يدرك وقليله لا ينتفع به ، تحسبون على طالع القمر ، ثمَّ قال : أتدري كم بين المشتري والزُّهرة من دقيقة ؟ قلت : لا والله قال : أفتدري كم بين الزُّهرة وبين القمر من دقيقة ؟ قلت : لا ، قال : أفتدري كم بين الشمس وبين السنبلة من دقيقة ؟ قلت : لا والله ما سمعته من أحد من المنجّمين قطّ، قال: أفتدري كم بين السنبلة وبين اللوح المحفوظ من دقيقة قلت: لا والله ما سمعته من منجّم قطّ، قال : ما بين كلِّ واحد منهما إلى صاحبه ستّون ـ أو سبعون دقيقة، شكَّ عبد الرَّحمن ، ثمَّ قال : يا عبد الرَّحمن هذا حساب إذا حسبه الرّجل ووقع عليه عرف القصبة الّتي وسط الأجمة وعدد ما عن يمينها وعدد ما عن يسارها وعدد ما خلفها وعدد ما أمامها حتّى لا يخفى عليه من قصب الأجمة واحدة**[1] [2].

---

١ ـ حاصل مفاد الحديث جواز النظر في النجوم سواء كان في الأحكام أو في الحساب، وإن كانت الأحكام مما لا يعتمد عليه لكن بطلان الشيء غير حرمته وهذا هو مذهب المحصلين من علمائنا، وذهب بعضهم إلى حرمة التعلم ولكن في الحديث أمور لا يمكن أن ينسب إلى الإمام المعصوم عليه السلام، ويجب حمله على تحريف بعض الرواة فيما سمع وروي كما هو العادة في نقل العلوم إذا كان الناقل لا بصيرة له وقد ذكرنا تفصيل ذلك في حاشية الوافي ونشير إليه هنا إشارة إجمالية، ونقول: الفواصل بين السيارات ليست مقداراً ثابتاً سواء كانت بحسب الدرجات والدقائق أو بحسب المسافة الطولية والبعد وليس هذا مما تختلف فيه في الهيئة القديمة والحديثة والمراد في الحديث الفاصلة بحسب الدرجات فقد يكون بين السيارتين نصف الدوران، أعني مائة وثمانين درجة كما يشاهد بين القمر حالة البدر والشمس وقد يجتمعان في درجة واحدة ليس بينهما فاصلة كما في المحاق، وكذلك غيرهما من السيارات وأما تعيينها في كل يوم وساعة فأسهل الأمور على المنجمين ويمكنهم أن يعلموا الفواصل ويضبطون ذلك في حاشية التقاويم. أن في اليوم الفلاني والساعة الفلانية بين القمر والزهرة تسديساً أو تثليثاً أو تربيعاً أو مقابلة أو اقتراناً ولا فرق عندهم بين أن يذكروا ذلك باعتبار الدرجة أو الدقيقة، إذ من المعلوم أن الدرجة ستون دقيقة وكلما كان بين السيارتين بحسب الدرجة يضرب في الستين يحصل الدقيقة واستصعاب الراوي هذه الأمور يدل على عدم خبرته وبصيرته وأسهل من جميع ذلك تعيين

* **الشرح :**

قوله: (فقال: ليس كما يقولون لا تضر بدينك) لأنها لا تنافيه ولا تستلزم ما ينافيه وما ورد في بعض الروايات من ذمها وذم أهلها وهو متمسك من قال: لا يحل النظر فيها محمول على أنه علم لا يدرك كله فيظن أهله أن الحكم مترتب على المدرك، وأنه مستقل فيه والحال أنه مترتب على مجموع المدرك وغير المدرك أو أن غير المدرك مانع منه وهذا جهل، ولهذا يتخلف الحكم في كثير من المواضع أو على أن ذلك إذا اعتقد أن الآثار الفلكية علة مستقلة على ما يترتب عليها وأما إذا اعتقد أن ذلك من الفاعل الحقيقي عند تلك الآثار فلا تضر أو على أنها ليست من العلوم الدينية المطلوبة للشارع النافعة في الآخرة فصرف الفكر في تحصيله المانع من صرفه في تحصيل تلك العلوم موجب لذمها (ثم قال: إنكم تنظرون في شيء منها كثير لا يدرك) لأن عقول البشر إلّا المؤيد من عندالله تعالى قاصر عن الوصول إليه.

(وقليله) الذي يدرك لا ينتفع به ولا يمكن القطع بترتب الحكم عليه لاحتمال أن يكون له ضد أقوى منه يقتضي نقيض ذلك الحكم أو يكون ذلك المدرك جزء سبب لذلك الحكم أو يكون هناك مانع من التأثير (تحسبون على طالع القمر) ونظراته مع السيارات بالتربيع والتثليث والمقابلة مثلاً وتغفلون عن النسب الكثيرة الواقعة في نفس الأمر الدالة على أحكام كثيرة (ثم قال: أتدري كم بين المشترى والزهرة من دقيقة؟ انتهى) الظاهر أنه أراد بهذه النسب المذكورة النسب الواقعة عند السؤال، وإلاّ فالظاهر أنها قد تزيد وتنقص وتنتفي بحسب التفاوت في القرب والبعد والاجتماع وأن الاحكام تختلف باختلافها (ثمّ قال: يا عبد الرحمن هذا حساب إذا حسبه الرجل) أي عده من باب نصر ووقع عليه من جميع جوانبه وأحاطه به علمه (عرف القصبة التي وسط الأجمة . انتهى) الأجمة محرّكة: الشجر الكثير الملتف والجمع أجم بالضم وبضمتين وبالتحريك وآجام وأجام وأجمات، والمراد بالرجل العالم الماهر بعلم النجوم المحيط علمه بحقائقها فإنه عرف النسب

الفاصلة بين الشمس والسنبلة سواء أريد بها البرج أو الكوكب إذ يحسب المنجم بسهولة موضع الشمس من البروج فإذا كانت مثلاً في أول السرطان كانت الفاصلة بينها وبين أول السنبلة ستين درجة، ولا يخفى ذلك على العوام أيضاً . إلّا أن يكون بدل السنبلة السكينة كما في بعض النسخ . وزعم بعض من لا خبرة له أن تخطئة الإمام عليه السلام مبنية على بناء المخاطب على الهيئة القديمة وهو غلط إذ لا فرق في هذه الأمور بين الهيئة القديمة والجديدة وإن أردت تفصيل ذلك أكثر من هذا فراجع الى الوافي .

وأما الحسن بن أسباط في الإسناد فلم أر اسمه إلّا في هذه الرواية وهو مجهول جداً (ش) .

(٢) الكافي: ٨ / ١٦٨.

المخصوصة والمناسبة بينهما وحسب بالحساب المعلوم عنده ينتقل ذهنه اللطيف منها إلى ما في اللوح المحفوظ من صور الكائنات وترتيبها ومواضعها وعددها وكيفيتها وسائر أحوالها المثبتة فيه حتى لا يخفى عليه ما في وسط الأجمّة من القصبة الى آخره ولا يبعد أن يكون بناء ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام من أنه كان عالماً بما في الشرق والغرب وعدد الرمال ومدر الأرض على هذا الحساب لأن المبادىء والمقدمات والنسب والحساب المتعلق بها مع المطالب وهي ما في اللوح من العلوم كانت في نفسه القدسية معاً والله يعلم .

* **الأصل:**

٢٣٤ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب قال : **أخبرنا النضربن قرواش الجمّال قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الجمال يكون بها الجرب أعزلها من إبلي مخافة أن يعديها جربها والدّابّة ربما صفّرت لها حتّى تشرب الماء فقال أبو عبدالله عليه السلام : إنَّ أعرابيّاً ، أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله إنّي أُصيب الشاة والبقرة والناقة بالثمن اليسير وبها جرب فأكره شراءها مخافة أن يعدي ذلك الجرب إبلي وغنمي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أعرابيُّ فمن أعدى الأوَّل ، ثمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا عدوى ، ولا طيرة[1] ولا هامة ، ولا شوم ، ولا صفر، ولا رضاع بعد فصال ، ولا تعرُّب بعد هجرة ، ولا صمت يوماً إلى اللّيل ، ولا طلاق قبل نكاح ، ولا عتق قبل ملك ، ولا يُتم بعد إدراك** [2].

* **الشرح** : قوله: (سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الجمال يكون بها الجرب أعزلها من إبلي مخافة أن

---

١ ـ « لا عدوى ولا طيره » ومما لا ريب فيه أن بعض الأمراض معدية، وأثبت ذلك التجربة والحس، وحمل أهل التحصيل هذا الحديث على أن المقصود ليس إنكار السراية أصلاً بل إنكار الاعتقاد بأن الأمور الطبيعية مستقلة في التأثير وأن العدوى ليست علة تامة وقضية كلية بل قضية مهملة و علة ناقصة قد يتخلف ولا يدّعي الأطباء أيضاً كليتها إذ قد تقع الأمراض الوبائية في بلد وتنجو منه الأكثر وقد ينسب ابوهريرة راوي الخبر من طرق العامة إلى السهو والخطأ ويقال: قيل له: أنت قد رويت خلاف ذلك فتعتع وبالجملة فلا ينبغي الشك في أن ظاهر الحديث غير مراد أو أصله غير صحيح وذكر وذكر السديدي هذا الشعر في الأمراض الموروثة والمعدية :

متوارث الأمراض عد حروفها بنساجمد ... وحروف جبرق حج وج تعدي الجسد

في الامراض المتوارثة الباء البرص ... والنون: النقرس، والسين: السل، والألف أبليميا:

وهو الصرع، والجيم: الجذام، والميم: المانيا نوع من الجنون، والدال: الدق، وفي المعدية الجيم: الجرب، والباء: البخر، والراء: الرمد، والقاف: القروح العفنة، والحاء: الحصبة (سرخجة)، والجيم: الجدري، والواو: الوباء، والجيم: الجذام . (ش)

(٢) الكافي: ٨ / ١٦٩.

يعديها جربها) ضمير يعديها للإبل، وجربها للجمال، يقال أعداه الداء يعديه أعداه: إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء بسبب المخالطة فعزلها من إبله حذراً أن يتعدى جربها إلى إبله فيصيبها ما أصابها (والدابة ربما صفّرت لها حتى تشرب الماء) صفّرت من الصفير: وهو الصوت بالشفتين والفم (فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن أعرابياً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله) قال الشيخ في الأربعين: الأعرابي بفتح الهمزة: منسوب إلى الأعراب: وهم سكان البادية خاصة، ويقال لسكان الأمصار: عرب، وليس الأعراب جمعاً للعرب بل هو مما لا واحد له نص عليه في الصحاح، وقال صاحب النهاية: الأعراب: ساكني البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار ولا يدخلونها إلّا لحاجة والعرب اسم لهذا الجيل المعروف من النّاس، ولا واحد له من لفظه سواء أقام بالبادية أو المدن والنسبة إليها أعرابي وعربي (فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أعرابي فمن أعدى الأول) أي من أين صار إليه الجرب فرد ما ظنه من أن المرض بنفسه يتعدى وأعلمه بأنه ليس كذلك وإنما الله هو الذي يمرض وينزل الداء.

ومثله رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله قال « لا عدوى ولا صفر ولا هامة » فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجر بها كلها؟ « قال: فمن أعدى الأول » قال صاحب إكمال الاكمال في شرحه: إنقدح في نفس الأعرابي شبهة العدوى والسراية يعني إعتقد أن الإبل تجرب إن دخلها البعير الجرب فأزالها عليه السلام بقوله « فمن أعدى الأول » يعني إن جربت الإبل لهذا الداخل فالداخل أن جرب لأنه عدي عليه جرب بعير آخر تسلسل لا إلى نهاية والتسلسل باطل وإن كان لأن الله أجر به فكذلك تلك الإبل وهذا النوع من الاستدلال الذي أشار إليه عليه السلام هو عمدة المتكلمين في الرد على القائلين بالقدم حيث قالوا: الحوادث لا أول لها لان كل ولد مسبوق بوالدو كل زرع مسبوق ببذر وحركة الفلك اليوم مسبوقة بحركته أمس وهكذا إلى ما لا نهاية له ، ورد عليهم المتكلمون بأنه يؤدي إلى التسلسل، كما أشار إليه في الحديث .

وهم أجابوا عن ذلك بأن التسلسل المحال إنما هو فيما بين آحاد ترتب طبيعي كالعلل والمعلولات فعندهم أن معلولاً عن علة لا إلى نهاية محال وأما التسلسل في الأمثلة المذكورة فليس بمحال وقام البرهان عند أهل الحق أنه لا فرق في استحالته بين الأمرين ولا يمكن أن يحتج بعدم الفرق بحديث فمن أعدى لأنه من باب العلة والمعلول الذي يوافقونا في استحالته لأن الأعرابي جعل جرب الإبل معلولاً لجرب الداخل وانما قال: فمن أعدى دون ما أعدى وهو الظاهر ليجاب بقول الله وذكر أعدى للمشابهة والازدواج كما في قوله كما تدين تدان انتهى ، وقال الطيبي

العدوي تجاوز العلة عن صاحبها إلى غيره يقال: عدي فلاناً في علته، والأطباء يجعلون ذلك في سبع علل في الجذام والجرب والجدري والحصبة والبخر والرمد والأمراض الوبائية واختلف في قوله عليه السلام « لا عدوى » فحمله الأكثر على أن المراد به إبطاله في نفسي كما هو الظاهر، وقيل: ليس المراد به إبطاله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « فر من المجذوم فرارك من الأسد » وإنما المراد به نفي ما يعتقدونه من أن تلك العلل المعدية مؤثرة بنفسها مستقلة في التأثير فأعلمهم أن الأمر ليس كذلك وإنما هو بمشيئة الله تعالى وفعله وبيّن بقوله « فر من المجذوم فرارك من الأسد » أن مداواة ذي العلة أحد أسباب العلة فليتق كما يتقي الجدار المائل وقد يرجح هذا القول من حيث أنه يقع به الجمع بين الأحاديث.

وأجاب الأولون عن حديث الفرار: بأنه أمر بالفرار من المجذوم خوف أن تقع العلة فيعتقد أن العدوى حق، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: « لا عدوى » في النهاية العدوى: اسم من الاعداء كالرعوى والبقوى من الإرعاء والإبقاء (ولا طيرة) تطيرت من الشيء وبالشيء تشأمت والاسم منه الطيرة مثل الغيبة وهو ما يتشأم به من الفال الرديء كذا في الصحاح، وقيل الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء: مصدر وقد تسكن الياء والناس كانوا يتشأمون ويتطيرون في السوانح من الطير والذئب والظباء وغيرها من الأشياء الّتي يجيء ذكرها بعد ذلك فأبطل الشرع حكمها وبين أنها ليس لها تأثير في جلب نفع أو دفع ضرر، وفي عدمهما وقد ذكرنا سابقاً ما يناسب هذا المقام فلا يعيده.

(ولا هامة) قال في النهاية: الهامة: الرأس واسم طائر وهو المراد في الحديث وذلك أنهم كانوا يتشأمون بها وهي من طير الليل، وقيل: هي البومة، وقيل: إن العرب كانت تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتقول إسقوني إسقوني فذا أرادك بثاره طارت وقيل كانوا يزعمون أن عظام الميت وقيل روحه تصير هامة فتطير ويسمونه الصدى فنفاه الإسلام ونهاهم عنه انتهى.

وقال المازري: المشهور فيي « لا هامة » تخفيف الميم وقيل بالتشديد واختلف في تأويلها ثم ذكر الأقوال الّتي ذكرها صاحب النهاية وزاد في البومة فقال: وهي الطائر المعروف وكانوا يرون أنها إذا سقطت على دار أحد يراها ناعية لنفسه أو لبعض أهله (ولا شؤم) كانوا يعتقدون أن هذه الدار شؤم يعني يكون سكناها سبباً للضرر والهلاك والإصابة بمكروه إذا شاهدوا ذلك مراراً وان هـذا الرجل والمرأة والغلام والفرس شؤم لعدم الفوز بالمطالب أو وجدان الضرر عند رؤيتهم أو لغير ذلك فنفاه عليه السلام لأنه أمر وهمي لا تأثير له في نفس الأمر ولو فرض تأثير ما فانما هو مستند إلى التوهم ولو أرادوا بشؤم الدار: ضيقها أو سوء جوارها أو غير ذلك من الأمور الّتي توجب نقصان الميل إليها، وبشؤم الفرس: نقص كماله، وبشوم الغلام والمرأة: عدم موافقتهما إلى غير ذلك من الأمور المنفرة

للطبع فذلك أمر آخر أذن الشارع لمن كره شيئاً منها أن يتركوا ويستبدل منه ما تطيب به نفسه في بيع الدار والفرس والغلام ويطلق المرأة.

فإن قلت: الفاخته شؤم كما قال الصادق عليه السلام لابنه إسماعيل حين رآها في بيته «هذا الطير المشؤوم أخرجوه فإنه يقول فقدتكم فافقدوه قبل أن يفقدكم» فكيف يصح نفي الشؤم على الإطلاق؟ قلت شوم الفاختة لأمر محقق وهو الدعاء على صاحب البيت بالهلاك والمقصود نفي الشوم المستند إلى مجرد التوهم وسوء الظن (ولا صفر) قال ابن الاثير: كانت العرب تزعم أن في البطن حية يقال لها الصفر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه وإنها تعدي فأبطل الإسلام ذلك، وقيل: أراد به النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلونه هو الشهر الحرام فأبطله انتهى، وقال عياض: فيه قولان، قال مالك وأبو عبيدة: هو تأخير المحرم إلى صفر وهو النسيء الذي كانوا يحرّمونه عاماً ويحلّونه عاماً، وقال جماعة: الصفر: هو دواب البطن كانوا يعتقدون أنها كانت تهيج عند الجوع وربما قتلت وتراها العرب أعدى من الجرب وقيل: إنهم كانوا يشأمون بدخول صفر لكثرة الدواهي والفتن فيه، انتهى، وقال المازري: الصفر: دواب البطن بالدال المهملة والباء الموحدة المشددة وقيل: بالذال المعجمة والتاء المثناة من فوق وله وجه انتهى (ولا رضاع بعد فصال) فلو حصل عدد الرضاع كله أو بعضه بعد الحولين لم ينشر الحرمة ونقل الشهيد الإجماع عليه وخلاف ابن الجنيد لا يقدح لتأخره عنه وللنص.

(ولا تعرب بعد هجرة) الهجرة تطلق على معان:

الأول: الإنتقال من البدو والقرى وغيرها من المساكن الى المدينة لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وهي تنقسم إلى قسمين: الأول: إنشاؤها، قيل: الفتح ولا خلاف في وجوبها وتحريم التعرب بعدها وقبل الفتح عند الخاصة والعامة قال الصادق عليه السلام: «التعريب بعد الهجرة من الكبائر» وقال ابن الأثير: التعرب هو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً، وكان من رجع بعد الهجرة إلى موضعه من غير عذر يعدونه كالمرتد، وقال: أجمع القوم على حرمة ترك المهاجرة بالرجوع إلى وطنه والخروج إلى البادية محل الأعراب، وأما تعرّبه بعد الفتح فالظاهر أنه أيضاً حرام للاستصحاب والظاهر ما نقلناه عن الصادق عليه السلام ويحتمل عدمه لكثرة الناصر وقوة الدين بعد الفتح احتمالاً بعيداً والعامة قد اختلفوا في تحريمه بعده، قال الآبي: المجمع على حرمته من التعرب ما كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله وقبل الفتح وأما بعده فقيل: يسقط فرض المقام بالمدينة.

وثانيهما: إنشاؤها بعد الفتح في حياة النبي صلى الله عليه وآله ووجوب الهجرة حينئذ وتحريم التعرب بعدها ما احتمل لتحقق النصرة وعدم وجوبها وعدم تحريمها أيضاً محتمل لكثرة الناصر ولم يحضرني

الآن قول من علمائنا وحديث من رواياتنا في ذلك واختلفت العامة فيه.

قال القرطبي: الهجرة بعد الفتح، قيل: إنها واجبة وقيل: إنها مندوبة، أقول: يدل على الثاني ما رواه مسلم عنه ﷺ قال « لا هجرة بعد الفتح» إذ الظاهر أن معناه لا إنشاء هجرة بعده ويبقي النظر في إدامتها على مامر ، الثاني الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام قال الشهيد الثاني: هذا الحكم باق إلى اليوم إذ لم تنقطع الهجرة بعد الفتح عندنا، أقول قوله « عندنا » يشعر بانقطاع الهجرة بهذا المعنى عند العامة وليس كذلك فإن المازري قال: قال العلماء: إن الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبة إلى قيام الساعة وعلى هذا فلا يجوز لمسلم الدخول بلد الكفر إلّا لضرورة في الدين كالدخول لفداء المسلم وقد أبطل مالك شهادة من دخل دار الحرب للتجارة هذا كلامه ، الثالث: الانتقال من البدو والقرى إلى الأمصار لتحصيل العلوم وكمالات النفس فإن الغالب من أهل القرى والبدو الجفاء والغلظة والبعد عن العلوم لكن تحريم التعرب بعد الهجرة وتكميل النفس محل الكلام .

(ولا صمت يوماً إلى الليل)، صوم الصمت: هو أن ينوي الصوم ساكتاً، إلى الليل، وهو محرّم في شرعنا وإن كان ترك الكلام في جميع النهار غير محرّم مع عدم ضمه إلى الصوم في النية .

*** الأصل:**

٢٣٥ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبدالله بن المغيرة ، عن عمرو بن حريث قال : **قال أبو عبدالله عليه السلام : الطيرة على ما تجعلها إن هوّنتها تهوّنت ، وإن شدَّدتها تشدَّدت وإن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً**(١).

*** الشرح :**

قوله: (قال أبو عبدالله عليه السلام الطيره على ما تجعلها . انتهى) دل على أن الطيرة لا حقيقة لها وأن تأثيرها أمر وهمي فمن كانت له نفس قوية لا يتأثر منها أصلاً ومن كانت له نفس ضعيفة وعدها شيئاً قد يتأثر منها .

*** الأصل:**

٢٣٦ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **قال رسول الله ﷺ : كفّارة الطيرة التوكّل** (٢).

*** الشرح :**

قوله: (كفارة اطيرة التوكل) يعني أن التوكل على الله تعالى وهو تفويض الأمور إليه يدفع تأثيرها في النفس والبدن .

*** الأصل:**

٢٣٧ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن عمر بن يزيد وغيره ، عن بعضهم ، عن أبي عبدالله عليه السلام وبعضهم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ : « **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم اُلوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثمَّ أحياهم** » **فقال : إنَّ هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام وكانوا سبعين ألف بيت وكان الطاعون يقع فيهم في كلِّ أوان ، فكانوا إذا أحسّوا به خرج من المدينة الأغنياء لقوّتهم وبقي فيها الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الذين أقاموا ويقلّ في الذين خرجوا فيقول الذين خرجوا لو كنّا أقمنا لكثر فينا الموت ويقول الذين أقاموا : لو كنّا خرجنا لقلَّ فينا الموت، قال: فاجتمع رأيهم جميعاً أنّه إذا وقع الطاعون فيهم وأحسّوا به خرجوا كلّهم من المدينة فلمّا أحسّوا بالطاعون خرجوا جميعاً وتنحّوا عن الطاعون حذر الموت فساروا في البلاد ماشاء الله .**

ثمَّ إنّهم مرّوا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها وأفناهم الطاعون فنزلوا بها فلمّا حطّوا رحالهم وأطمأنّوا بها، قال لهم الله عزَّ وجلَّ: موتوا جميعاً ، فماتوا من ساعتهم وصاروا رميماً يلوح وكانوا على طريق المارَّة فكنستهم المارَّة فنحّوهم وجمعوهم في موضع فمرَّ بهم نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقيل ، فلمّا رأى تلك العظام بكي واستعبر، وقال: يا ربِّ لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتَّهم فعمّروا بلادك وولدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدك من خلقك فأوحى الله تعالى إليه : أفتحبُّ ذلك ؟ قال : نعم يا ربَّ فاحيهم قال : فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه أن قل: كذا وكذا، فقال الذي أمره الله عزَّ وجلَّ أن يقوله ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : وهو الاسم الأعظم فلمّا قال : حزقيل ذلك الكلام نظر إلى العظام يطير بعضها إلى بعض فعادوا أحياءً ينظر بعضهم إلى بعض يسبّحون الله عزَّ ذكره ويكبّرونه ويهلّلونه ، فقال حزقيل عند ذلك: أشهد أنَّ الله على كلِّ شيء قدير . قال عمر بن يزيد: فقال أبو عبدالله عليه السلام : فيهم نزلت هذه الآية [(١)].

*** الشرح :**

قوله: (وكان الطاعون يقع في كل أوان . انتهى) في طريق العامة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: « الطاعون: غدة كغدة البعير تخرج في المراق والأباط » وقال بعضهم: هذا هو الغالب وقد تخرج في الأيدي

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٠ .

والأصابع وقيل: الوباء والطاعون واحد، وقيل: الطاعون: القروح التي تخرج كما ذكر، والوباء: كل مرض عام يعم الكثير من الناس في جهة دون جهة خلاف المعتاد من أمراض الناس في سائر الأوقات وقد يسمى طاعوناً لشبهه به في أنه مهلك فكل طاعون وباء ولا ينعكس (وصاروا رميماً يلوح): أي يظهر ويبرق المراد بالرميم هنا العظم الخالص (فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقيل) حزقل: كزبرج وزنبيل بالحاء المهملة والزاي المعجمة اسم نبي من الأنبياء عليهم السلام .

*** الأصل:**

٢٣٨ ـ ابن محبوب ، عن حنان بن سدير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له: **أخبرني عن قول يعقوب عليه السلام لبنيه (اذهبوا فتحسّسوا من يوسف وأخيه) أكان يعلم أنه حيٌّ وقد فارقه منذ عشرين سنة؟ ، قال : نعم ، قال قلت : كيف علم ؟ قال إنّه دعى في السحر وسأل الله عزَّ وجلَّ أن يهبط عليه ملك الموت فهبط عليه بريال وهو ملك الموت ، فقال له بريال : ما حاجتك يا يعقوب ؟ قال : أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة أو متفرَّقة ؟ قال : بل أقبضها متفرِّقة روحاً روحاً . قال له : فأخبرني هل مر بك روح يوسف فيما مرَّ بك ؟ قال : لا ، فعلم يعقوب أنه حيٌّ فعند ذلك قال لولده: « اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه »** (١).

*** الشرح :**

قوله: (فتحسسوا من يوسف وأخيه): أي استمعوا لحديث القوم منهما واطلبوا خبرهما تقول تحسست من الشيء إذا تخبرت خبره .

*** الأصل:**

٢٣٩ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن محمّد بن الحصين ، عن خالد بن يزيد القميِّ ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ « وحسبوا ألَّا تكون فتنة » قال : **حيث كان النبيُّ صلى الله عليه وآله بين أظهرهم « فعموا وصمّوا » حيث قبض رسول الله صلى الله عليه وآله « ثمّ تاب الله عليهم » حيث قام أمير المؤمنين عليه السلام قال : « ثمَّ عموا وصمّوا » إلى الساعة** (٢).

*** الشرح :**

قوله: (وحسبوا أن لا تكون فتنة . انتهى): أي حسبوا أن لا تكون فتنة في الدين وخروج منه في حياة النبي صلى الله عليه وآله ، فعموا عن الدين والهدى وصموا عن استماع الحق عند قبضه صلى الله عليه وآله ثم تابوا

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧١.   (٢) الكافي: ٨ / ١٧١.

ورجعوا إلى الحق والهدى، فتاب الله عليهم، وقيل: توبتهم عند قيام علي عليه السلام بالخلافة ثم عموا وصموا إلى قيام القائم عليه السلام ، والمقصود أن حكم الآية كلي صادق على كل من كان على الحق فرجع عنه ثم عاد إليه ثم رجع عنه والمذكورون من هذه الأمّة من جملتهم فلا يرد أن الآية في ذم بني إسرائيل بقرينة السابق واللاحق .

*** الأصل:**

٢٤٠ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن أبي عبيدة الحذَّاء عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ : « **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم** » **قال : الخنازير على لسان داود والقردة على لسان عيسى بن مريم عليهما السلام** [1].

*** الشرح :**

قوله: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم . انتهى) لما اعتدى أهل أيلة في السبت لعنهم داود عليه السلام فمسخهم الله خنازير، ولما كفر أصحاب المائدة لعنهم عيسى عليه السلام فمسخهم الله قردة ، وصرّح بعض المفسرين بالعكس والحديث دليل على الأول .

*** الأصل:**

٢٤١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن محمّد بن أبي حمزة ، عن يعقوب بن شعيب ، عن عمران بن ميثم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **قرأ رجل على أمير المؤمنين عليه السلام « فإنّهم لا يكذِّبونك ولكنَّ الظالمين بآيات الله يجحدون » فقال : بلى والله لقد كذَّبوه أشّد التكذيب ولكنّها مخفّفة : « لا يكذبونك »: لا يأتون بباطل يكذبون به حقّك** [2].

*** الشرح :**

قوله: (قرأ رجل على أمير المؤمنين عليه السلام: فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) الظاهر أن الرجل أراد بآيات الله أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام وقد روي تفسيرها بهم ولا ينافيه صدقها على آيات القرآن أيضاً (فقال: بلى والله لقد كذبوه أشد التكذيب) وهو التكذيب على وجه المبالغة والإصرار عليه فلا ينبغي قراءة « لا يكذِّبونك » بالتشديد لأنه خلاف الواقع لوقوعه فيه بل ينبغي أن يقال بالتخفيف من أكذبه إذا بين كذبه بدليل كما أشار إليه بقوله (ولكنها

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧١. (٢) الكافي: ٨ / ١٧٢.

مخففة) من أكذبه، قال بعض المفسرين: قرأ نافع والكسائي بالتخفيف من أكذبه والضمير في لكنها راجع إلى لا يكذبونك والتأنيث باعتبار الكلمة أو الصيغة أو إلى الآية والتخفيف باعتبار جزئها ، ثم أشار إلى حاصل المعنى بقوله (لا يكذبونك لا يأتون بباطل يكذبون به حقك) يكذبون به حقك أما من أكذبه إذا وجده كاذباً مثل أبخلته أو من كذبه تكذيباً إذا نسبه إلى الكذب مثل فسقته فمعنى لا يكذبونك من أكذبه أنهم لا يأتون بباطل أي بأمارة باطلة وشبهة كاذبة يجدون به حقك كاذباً أو ينسبونه إلى الكذب هذا ما خطر بالبال والله يعلم حقيقة كلامه وكلام وليه .

*** الأصل:**

٢٤٢ ـ أبو عليّ الأشعري ، عن محمّد بن عبدالجبّار ، عن صفوان بن يحيى ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أحدهما عليه السلام قال : **سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ : « ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو قال أُوحي إليَّ ولم يوح إليه شيءٌ » قال : نزلت في ابن أبي سرح الذي كان عثمان استعمله على مصر وهو ممّن كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكّة هدر دمه وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله فإذا أنزل الله عزَّ وجلَّ « إنَّ الله عزيز حكيم » كتب « إنَّ الله عليم حكيم » فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله : دعها فانَّ الله عليم حكيم وكان ابن أبي سرح يقول للمنافقين .إني لأقول من نفسي مثل ما يجيء به فما يغيّر عليَّ فأنزل الله تبارك وتعالى فيه الذي أنزل** [1].

*** الشرح :**

قوله: (قال: نزلت في ابن أبي سرح) اسمه عبدالله بن سعد بن أبي سرح الأموي الذي كان عثمان استعمله على مصر لقرابته مع أنه كان في عهد الشيخين مطروداً (وهو ممن كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكّة هدر دمه) هدر من باب ضرب ونصر هدراً بالتسكين والتحريك لازم ومتعد (وكان يكتب القرآن) عند نزوله لرسول الله صلى الله عليه وآله (فإذا أنزل الله عزَّ وجلَّ أن الله عزيز حكيم، كتب: الله عليم حكيم، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: دعها) أي أسقطها واتركها (فإن الله عليم حكيم) في الواقع ولكن المنزل أن الله عزيز حكيم فاكتب ما نزل ، وقيل معناه دعها بحالها فإنها سترجع إلى ما نزل بأمر الله تعالى وأيده بأنه ذكر بعض المفسرين أنه قد يتغير من الغيب بقدرة الله تعالى لفظ عليم بلفظ عزيز بدون أن يكتبه كاتب . أقول آخر هذا الحديث أيضاً يؤيده والله يعلم ، قال القاضي: كان عبدالله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله ولما نزلت « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » فلما بلغ قوله تعالى « ثم أنشأناه خلقاً آخر » قال عبدالله: تبارك الله أحسن الخالقين تعجباً من

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٢.

تفصيل خلق الإنسان فقال عليه السلام اكتبها كذلك نزلت، فشك عبدالله وقال: لئن كان محمّد صادقاً لقد أوحى إلي كما أوحي إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال .

ولبعض علماء العامة كلام دال على جملة من قبائح عثمان في نصب ابن أبي السرح ورعاية حاله حتى صار ذلك سبباً لقتله فلا بأس أن نذكره بطوله فنقول: قال أبو عبدالله في كتاب إكمال الإكمال: ذكر البياسي أن ابن شهاب قال: قلت لابن المسيب: ألا تخبرني كيف قتل عثمان قال: انه لما ولّي كره جماعة من الصحابة ولايته لأنه كان كلفاً بأقاربه يولي منهم ثم يجيء منهم ما يسوءه فلا يعزلهم وكان ولّى ابن أبي سرح مصر فظلم أهلها وقدموا على عثمان يشكون له فلم يعزله فضرب ابن أبي سرح رجلاً ممن أتى عثمان فقتله فخرج أهل مصرفي سبعمائة راكب حتى أتوا المدينة فنزلوا في المسجد وشكوا إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ما صنع ابن أبي سرح، فدخل عليه طلحة وكلّمه كلاماً شديداً وأرسلت إليه عائشة وإنّه قد سألك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عن عزل هذا الرجل فأبيت وقد أدعوا عليه دماً فاعزله واقض بينهم وإن وجب عليه حق فأنصفهم منه.

فقال لهم عثمان: اختاروا رجلاً نولّه عليكم مكانه فاختاروا محمّد بن أبي بكر فكتب له وخرج في جماعة من المهاجرين والأنصار لينظروا فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح فلما بعدوا من المدينة بثلاثة أيام إذا هم بغلام أسود على بعير يسرع كأنه يطلب أو يطلب، فقالوا ما شأنك كانك طالب أو هارب؟

فقال: أنا غلام أمير المؤمنين بعثني إلى أمير مصر، فقالوا: هذا أمير مصر، فقال: ليس هذا أريد فأتوا به إلى محمّد بن أبي بكر فجعل مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة أنا غلام مروان بن الحكم فعرفه رجل أنه غلام عثمان ، وأنكر أن يكون معه كتاب ففتش فوجد معه كتاب فجمع محمّد من معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ففتحوا الكتاب فإذا فيه: إذا أتاك محمّد وفلان وفلان وفلان فاحتل لقتلهم، وأبطل كتابهم، وقر على عملك حتى يأتيك أمري، واحبس من جاء يتظلّم منك حتى يأتيك أمري ، فختموا الكتاب بخواتم القوم ورجعوا إلى المدينة وجمعوا علياً ومن بها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم فك الكتاب بمحضرهم وأخبرهم بقصة الغلام فلم يبق أحد من أهل المدينة إلاّ خنق وزاد غضب من غضب لابن مسعود من عشيرته هذيل لضربه إياه حتى كسر ضلعيه ولأبي ذر من عشيرته غفار لضربه إياه وإخراجه إلى الربذة، ولعمار من عشيرته بني مخزوم لضربه إياه حتى فتق، فاجتمعوا وأحاطوا داره وحاربوا مدة ثم دخل فيها محمّد بن أبي بكر مع جماعة فقتلوه، وقال القرطبي: ألقوه بعد القتل على مزبلة ثلاثة أيام لم يقدر أحد على دفنه حتى جاء جماعة بالليل فحملوه ودفنوه بالبقيع وعُمي قبره حتى لا يعرف ، ونسب أهل الشام قتله

إلى علي وهذا كذب محض انتهى. وقال ابن العربي كان المكاشفون بالحصار والإنكار أربعة آلاف.

*** الأصل:**

٢٤٣ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة، عن محمّد بن مسلم قال: **قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله عزَّ وجلَّ: « وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله » فقال: لم يجيء تأويل هذه الآية بعد، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله رخّص لهم لحاجته وحاجة أصحابه فلو قد جاء تأويلها لم يقبل منهم لكنّهم يقتلون حتّى يوحّدوا الله عزَّ وجلَّ، وحتّى لا يكون شرك**[1].

*** الشرح:**

قوله: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة): أي لا يوجد فيهم شرك ونفاق واختلاف (ويكون الدين كله لله) وترتفع بينهم الأديان الباطلة والمذاهب المختلفة والعقائد الفاسدة (فقال: لم يجيء تأويل هذه الآية بعد) تأويلها ظهور القائم عليه السلام وفي كتب العامة أيضاً ما يشعر بذلك روى مسلم بإسناده عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول « **لا يذهب الليل والنهار حتّى يعبد اللات والعزى،** فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله عز وجل « **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق إلى قوله ولو كره المشركون** » إن ذلك تام، قال: **أنّه سيكون ذلك ما شاء الله**» وحاصل هذا الجواب إنما دلت عليه الآية من ظهوره على الدين كله ليس قضية دائمة بل سيكون إن شاء الله إن رسول الله صلى الله عليه وآله رخص لهم في بقائهم على دينهم الفاسد بأخذ الجزية والفدية، يقال: رخص له في كذا ترخيصاً فترخص هو أي لم يستقص ولم يضق عليه (لحاجته وحاجة أصحابه) الى أخذ المال لاصلاح أحوال بعض العساكر المنصورة.

*** الأصل:**

٢٤٤ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن إبن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **سمعته يقول في هذه الآية « يا أيّها النبيّ قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً ممّا اُخذ منكم ويغفر لكم » قال: نزلت في العباس وعقيل ونوفل وقال: إنَّ رسول الله نهى يوم بدر أن يقتل أحدٌ من بني هاشم وأبو البختريّ فأُسروا فأرسل عليّاً عليه السلام فقال: انظر من ههنا من بني هاشم؟ قال فمرّ عليّ عليه السلام على عقيل بن أبي طالب كرّم الله وجهه فحاد عنه فقال له عقيل: يا ابن اُمّ عليّ أما والله لقد رأيت مكاني قال: فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: هذا أبوالفضل في يد فلان وهذا عقيل في يد فلان وهذا نوفل بن الحارث في يد فلان فقام رسول**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٢.

الله ﷺ حتّى انتهى إلى عقيل فقال له: يا أبا يزيد قتل أبو جهل، فقال: إذاً لا تنازعون في تهامة فقال: إن كنمتم أثخنتم القوم وإلّا فاركبوا أكتافهم فقال: فجيء بالعبّاس فقيل له: افد نفسك وافد ابني أخيك فقال: يا محمّد تتركني أسأل قرشياً في كفّي، فقال: أعط ممّا خلّفت عند أُمّ الفضل وقلت لها: إن أصابني في وجهي هذا شيء فأنفقيه على ولدك ونفسك، فقال له: يا ابن أخي من أخبرك بهذا؟ فقال: أتاني به جبرئيل عليه السلام من عندالله عزَّ وجلَّ، فقال ومحلوفه. ما علم بهذا أحدٌ إلّا أنا وهي، أشهد أنّك رسول الله، قال: فرجع الأسرى كلّهم مشركين إلّا العباس وعقيل ونوفل كرَّم الله وجوههم وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً﴾ ـ إلى آخر الآية ـ[1].

*** الشرح:**

قوله: (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى): جمع الأسير كالمرضى جمع المريض (إن يعلم الله في قلوبكم خيراً) أي إيماناً خالصاً (يؤتكم خيراً مما أخذمنكم من الفداء) نقل أن العباس بعد حسن حاله وكثرة ماله، قال: صدق الله أعطانا خيراً مما أعطينا من الفداء (قال: نزلت في العباس بن عبد المطلب وعقيل إبن أبي طالب بن عبدالمطلب ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب).

(فحاد عنه): أي مال عنه وأعرض (فقال له عقيل يا بن أم علي) أي أقبل علي وفي ذكر أم زيادة استعطاف واسترقاق (أما والله لقد رأيت مكاني) من الحبس والأسر والضيق وهذا محل الإقبال دون الإعراض وإرادة المنزلة والقرابة منه عليه السلام من المكان بعيدة (فقال له يا أبا يزيد قتل أبو جهل فقال إذاً لا تنازعون في تهامة) الظاهر أن فاعل قال في الثاني كالأول رسول الله ﷺ وتهامة بالكسر: مكة شرفها الله تعالى، وفيه دلالة على أن الباعث على المنازعة هو أبوجهل فإذا عدم عدمت (فقال: إن كنتم أثخنتم القوم وإلا فاركبوا أكتافهم) فاعل قال رسول الله ﷺ والمخاطبون من عندهم الأسرى أو الأعم، والإثخان: المبالغة في الجرح، يقال أثخن في العدو إذا بالغ في الجراحة وفلاناً أوهنه و « حتّى إذا أثخنتموهم » أي غلبتموهم وكثر فيهم الجراح ولعل المراد أنكم إن أثخنتم الأسارى وجرحتموهم حتّى أنهم لا يقدرون على الفرار فلا حاجة إلى شد وثاقهم وإلا فاركبوا أكتافهم وشدوا وثاقهم (فقال: يا محمّد تتركني أسأل قريشاً في كفي) لتحصيل الفداء يعني ليس لي شيء أفدي به ولا يمكن إلى تحصيله إلّا بالسؤال وأم الفضل زوجته.

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٢.

*** الأصل:**

٢٤٥ ـ أبو عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: **(أجعلتم سقاية الحاجِّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر) نزلت في حمزة وعليّ وجعفر والعبّاس وشيبة، إنّهم فخروا بالسقاية والحجامة فأنزل الله جلّ وعزّ « أجعلتم سقاية الحاجِّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر » وكان عليٌّ وحمزة وجعفر صلوات الله عليهم الذين آمنوا بالله واليوم الآخر وجاهدوا في سبيل الله، لا يستوون عندالله**[1] .

*** الشرح:**

قوله: (قال: نزلت في حمزة وعلي وجعفر والعباس وشيبة أنهم فخروا بالسقاية والحجامة) ضمير أنهم راجع الى العباس ومن تبعه وكانت له السقاية وإلى شبية ومن تبعه وكانت له الحجامة ومفتاح الكعبة (فأنزل الله عز ذكره أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر) تمام الآية « وجاهدوا في سبيل الله لا يستوون عندالله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا و جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عندالله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم » السقاية والعمارة مصدرا أسقى وعمّر فلا يشبهان بأهل لجنة بل لا بد من إضمار تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن، أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن، ويؤيد الأول قراءة من قرأ « سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام »

والمعنى: إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة الفاسدة بالمؤمنين وأعمالهم الصالحة المثبتة، وسبب نزولها ما ذكر في الحديث وليس للعامة أن يقولوا هذه الآية نزلت في ثلاثة رجال، قال أحدهم: سقاية الحاج أفضل، وقال ثانيهم: عمارة المسجد أفضل، وقال ثالثهم: الجهاد بناء على مارواه مسلم عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الاسلام إلّا أني أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله ﴾ الآية، وإنما قلنا ليس لهم أن يقولوا ذلك لأنه قال عياض

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٤.

وهو من أعاظم علمائهم: ما يقتضيه قول نعمان أن الآية نزلت عند اختلافهم مشكل لأنها إنما نزلت قبل ذلك مبطلة لمن افتخر من المشركين بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وافتخر علي عليه السلام بالإيمان والجهاد فنزلت الآية مصدقة لعلي ومكذبة لهما ويدل على أنها إنما نزلت في المشركين ختمها بقوله تعالى ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ و أيضاً فإن الثلاثة الذين هم في الحديث لم يختلفوا في أن السقاية أفضل من الإيمان والجهاد وإنما اختلفوا أي الاعمال أفضل بعد الإيمان وإذا أشكل أنها نزلت عند اختلافهم فيحل الإشكال بأن يكون بعض الرواة تسامح في قوله « فأنزل الله . الآية » وإنما الواقع أنه عليه السلام قرأ على عمر الآية حين سأله مستدلاً بها على أن الجهاد أفضل مما قال أولئك فظن الراوي أنها نزلت إنتهى كلامه بعبارته .

قيل: ما فهم من الآية تفضيل الجهاد والردبها على المشركين فإنها إنّما دلت على نفي المساواة بين أمرين وهو لا يدل على تعيين الأرجح منهما ولذا تجده يدل على تعيين الأرجح من الأمرين بعد نفي المساواة بينهما كما في قوله تعالى: ﴿**لايستوي أصحاب النّار وأصحاب الجنّة أصحاب الجنّة هم الفائزون**﴾ وأجيب بأنه قد نص هنا على تعينه بقوله بعد « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا» لأنه من تمام ما نزل ، وقد يجاب بأن الآية وحدها كافية في بيان أن الجهاد أفضل من دون نظر إلى ما بعدها لأنها خرجت مخرج إنكار أن يكون كل واحد من الأمرين أفضل من الجهاد وقد بقيت المساواة بين أحدهما والجهاد فيتعين أن يكون الجهاد أفضل ولا يمكن أن يدّعى أن السقاية أو العمارة أفضل لأنه المنكر .

* **الأصل:**

٢٤٦ ـ محمّدبن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن هشام بن سالم، عن عمّار الساباطيّ قال : **سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى : « وإذا مسَّ الإنسان ضرٌّ دعاربُه منيباً إليه » قال : نزلت في أبى الفصيل إنّة كان رسول الله صلى الله عليه وآله عنده ساحراً فكان إذا مسّه الضرُّ ـ يعني السقم ـ دعى ربّه منيباً إليه يعني تائباً إليه من قوله في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يقول « ثمَّ إذا خوَّله نعمة منه » يعني العافية ـ نسي ما كان يدعو إليه من قبل يعني نسي التوبة إلى الله عزَّ وجلَّ مما كان يقول في رسول الله صلى الله عليه وآله إنه ساحر ولذلك قال الله عزّ وجلّ: ﴿قل تمتّع بكفرك قليلاً إنّك من أصحاب النّار﴾ يعني أمرتك على النّاس بغير حقٍّ من الله عزَّ وجلَّ ومن رسوله صلى الله عليه وآله .**

قال : **ثمَّ قال أبو عبدالله عليه السلام ثمَّ عطف القول من الله عزَّ وجلَّ في عليّ عليه السلام يخبر بحاله وفضله عندالله تبارك وتعالى فقال : « أمّن هو قانت آناء اللّيل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه قل هل يستوى الذين يعلمون (أن محمداً رسول الله) والذين لا يعلمون (أنَّ محمّداً رسول**

الله وأنّه ساحرٌ كذّاب) إنّما يتذكر أُولوا الألباب » ثمَّ قال أبو عبدالله عليه السلام : هذا تأويله يا عمّار [١].

*** الشرح :**

قوله: (نزلت في أبي الفصيل . انتهى)كناية عن فلان باعتبار معناه الاضافي والفصيل هو البكر وهم ولد الناقة إذا فصل عن أمه وهذاكغيره من الروايات المعتبره صريح في أنه كان منافقاً لم يؤمن بالرسول مع العلم بأنه رسول وفي ارتداده مرة بعد أخرى بدليل توبته عند مس الضر ورجوعه عنها بعد التحويل وإعطاء الصحة والإمرة بالكسر: الإمارة اسم من أمر علينا مثلثة إذا ولي (ثم عطف القول من الله عزَّ وجلَّ في علي عليه السلام يخبر بحاله وفضله علماً وعملاً عند الله تعالى فقال أمن هو قانت) أي قائم بوظايف الطاعات من القراءة والصلاة والدعاء والخشوع كمن هو ليس بقانت ففيه حذف كما قيل، والمقصود نفي المساواة بينهم وإثبات الفضل للأول (آناء الليل): أي ساعاته خصها بالذكر مع أن للعبادة في كل وقت فضلاً لوجوه منها فراغ القلب فيه والعبادة معه أفضل ، ومنها أن الليل وقت النوم والاستراحة فتكون العبادة فيه أشق وأفضل ، ومنها أن العبادة فيها أقرب من الخلوص وأبعد من الرياء فتكون أفضل ، ومنها أنه ساعة الغفلة فتكون العبادة والذكر فيه أفضل (ساجداً وقائماً) حال عن فاعل قانت وتقديم السجود للاهتمام به لكونه أرفع منازل العارفين (يحذر الآخرة): أي أهوالها وعذابها (ويرجو رحمة ربه) استئناف للتعليل كأنه قيل ما سبب قنوته وقيامه وسجوده فأجيب ببيان سببها أو في موضع النصب على الحال ولعل النكتة في إيراد بعض الأحوال جملة وبعضها مفردة هي التنبيه على استمرار الحذر والرجاء ووجود كل واحد منهما في زمان وجود الآخر بخلاف السجود والقيام وإنّما آثر الحذر على الخوف مع أن الخوف في مقابل الرجاء لأن الحذر أبلغ من الخوف إذ هو خوف مع الاحتراز (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) يعني أن علياً عليه السلام لكونه قانتاً بالأوصاف المذكورة وعالماً بأن محمداً رسول الله ليس مثل أبي الفصيل وهو لا يقنت ولا يعلم أن محمّداً رسول الله ويعتقد أنه ساحر كذاب فقوله (وأنه ساحر كذاب) عطف على لا يعلمون بتقدير فعل . (إنّما يتذكر أولوا الألباب) أي لا يتذكر التفاوت بين العالم والجاهل وبين القانت وغيره ولا يعرفه إلّا ذوو العقول الصحيحة عن غواشي الأوهام لأنهم القادرون على التمييز بين الحق والباطل دون غيرهم وروي عن الباقر عليه السلام أنه قال في تفسير هذه الآية: « **نحن الذين يعلمون، وعدونا الذين لا يعلمون، وشيعتنا أولو الألباب**» (ثم قال أبو عبدالله عليه السلام هذا تأويله يا عمّار) التأويل متعلق ببطون الآية بالغاً ما بلغ وقد يكون للآية

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٤.

معانٍ كثيرة ظاهرة وباطنة كلها مراد ولا يعلمها إلّا أهل العصمة عليهم السلام .

*** الأصل:**

٢٤٧ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حمّاد بن عثمان قال : **تلوت عند أبي عبدالله** عليه السلام **« ذوا عدل منكم »، فقال: « ذو عدل منكم » هذا ممّا أخطأت فيه الكتّاب .**

*** الشرح** :[1]

قوله: (تلوت عند أبي عبدالله عليه السلام ذوا عدل منكم) قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتل منكم (متعمداً) فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم﴾** إذ كما أن في التقويم المحتاج إلى النظر والاجتهاد لابد من متعدد كذلك في الحكم بالجزاء المماثل المحتاج إليهما لابد من متعدد لأن الأنواع تتشابه في الخلقه والصورة كثيراً فقال: ذوا عدل منكم أشار إلى أن المنزل ذو عدل بالافراد والمراد به الإمام عليه السلام وقد نقلت القراءة به أيضاً قال القاضي وقرىء ذو عدل على إرادة الجنس أو الإمام .

*** الأصل:**

٢٤٨ ـ عدَّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن رجل ، عن أبي جعفر عليه السلام : **« لا تسألوا عن أشياء (لم تبدلكم) إن تبدلكم تسؤكم » .**

*** الشرح** : قوله: (لا تسألوا عن أشياء (لم تبدلكم) إن تبدلكم تسؤكم) لم تبد لكم صفة لأشياء وهي ليست في هذا القرآن والشرطية صفة أخرى أو استئناف، أي لا تسألوا الرسول عن أشياء لم تظهر لكم إن تظهر لكم تغمكم فالسؤال عنها يغمكم ويدخل المشقة عليكم كما سأله رجل وقال: أين أبي؟ فقال: أبوك في النار، وسأله آخر وقال: من أبي؟ فقال: أبوك فلان الراعي وسأل بنو إسرائيل نبيهم عن البقرة مراراً حتى ضيقوا على أنفسهم ، وبالجملة ينبغي ترك السؤال عن أشياء سكت عنها الشارع حذراً عن الجواب الذي يكرهه الطبع ويثقل عليه وقد روي من طرق العامة أنه لما نزل ولله على الناس حج البيت، قال سراقة بن مالك: أفي كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أعاد ثلاثاً فقال لا ويحك ما يؤمنك أن أقول نعم ، والله لو قلت نعم لوَجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم .

*** الأصل:**

٢٤٩ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ ، عن أبيه ، عن محمّد بن سنان ،

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٤.

عن محمّد بن مروان قال: **تلا أبو عبدالله عليه السلام « وتمّت كلمت ربّك (الحسنى) صدقاً وعدلاً » فقلت جعلت فداك إنّما نقرؤها: « وتمّت كلمت ربّك صدقاً وعدلاً » فقال: إنَّ فيها الحسنى** (١).

*** الشرح:**

قوله: (وتمت كلمة ربك الحسنى) بلغت غاية الكمال (صدقاً) فيما ينطق به من الأخبار والمواعيد وغيرهما (وعدلاً) في الأقضية والأحكام، قال المفسرون: المراد به آيات القرآن وقد مرَّ في كتاب الحجة الإيماء إلى تأويلها بالائمة عليهم السلام.

*** الأصل:**

٢٥٠ ـ عدَّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن الحسن بن شمّون، عن عبدالله بن عبدالرَّحمن الأصم، عن عبدالله بن القاسم البطل، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: « **وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنَّ في الأرض مرَّتين » قال: قتل عليِّ بن أبي طالب عليه السلام وطعن الحسن عليه السلام « ولتعلنَّ علوّاً كبيراً » قال: قتل الحسين عليه السلام « فإذا جاء وعد اُولاهما » فإذا جاء نصر دم الحسين عليه السلام « بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الدّيار » قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم عليه السلام فلايدعون وتراً لآل محمّد إلّا قتلوه « وكان وعداً مفعولاً » خروج القائم عليه السلام « ثمَّ رددنا لكم الكرّة عليهم » خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذّهب لكلِّ بيضة وجهان، المؤدُّون إلى النّاس أنَّ هذا الحسين قد خرج حتّى لا يشكَّ المؤمنون فيه وأنّه ليس بدجّال ولا شيطان والحجّة القائم بين أظهرهم فإذا استقرّت المعرفة في قلوب المؤمنين أنه الحسين عليه السلام جاء الحجة الموتُ فيكون الذي يغسّله ويكفّنه ويحنّطه ويلحّده في حفرته الحسين ابن عليّ عليهما السلام ولا يلي الوصيَّ إلّا الوصيُّ** (٢).

*** الشرح:**

قوله: (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) أي أوحينا إليهم في التوراة وحياً مقضياً مبتوتاً لا راد له «وبنو اُميّة وقريش وأكثر العرب من أولاد إسرائيل يعقوب عليه السلام « كذا ؟ » ومن شاركهم في الافساد المذكور من غيرهم حكمه حكمهم فهو داخل فيهم من باب التغليب (فإذا جاء وعد أولاهما) من حيث النصرة وعقوبة الظلمة لا من حيث الوقوع كما يشعر به قوله (فإذا جاء نصر دم الحسين عليه السلام بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد) أي ذوي قوة وبطش شديد في الحرب (فجاسوا خلال الديار) أي ترددوا في وسط دياركم للقتل والغارة والنهب والسبي (قوم يبعثهم

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٤. (٢) الكافي: ٨ / ١٧٥.

الله قبل خروج القائم عليه السلام) أي هم قوم كأبي مسلم والمسيب والمختار وأتباعهم أو غيرهم على احتمال (فلا يدعون وتراً لآل محمّد صلى الله عليه وآله إلّا قتلوه) الوتر بالكسر: الجناية الّتي يجنبها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبي ، ولعل المراد به المتصف بها (وكان وعداً مفعولاً خروج القائم عليه السلام) الظاهر أنه اسم كان وقد مرَّ أنه يقتل قتلة الحسين وبني اُميّة (ثم رددنا لكم الكَرّة عليهم) الكَرّة: الرجعة والحملة (خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه) الذين قتلوا معه، وفي: بمعنى مع (عليهم البيض المذهب) البيض بفتح الباء وسكون الياء جمع بيضة: الحديد وهي الخود، والمؤدون: صفة لا صحابه (والحجة القائم بين أظهرهم) يقال: هو قائم بين أظهرهم إذا قام بينهم على سبيل الاستظهار والاستناد إليهم ثم كثر استعماله في الإقامة بين القوم مطلقاً (ويلحده) في القاموس اللحد ويضم: الشق يكون في عرض القبر ولحد القبر كمنع وألحده عمل له لحداً والميت دفنه .

* **الأصل:**

٢٥١ ـ سهل ، عن محمّد بن الحسن ، عن محمّد بن حفص التميميّ قال : **حدَّثني أبو جعفر الخثعميّ قال : لما سيّر عثمان أباذرّ إلى الربذة شيّعه أمير المؤمنين وعقيل والحسن والحسين عليهما السلام وعمّار بن ياسر رضي الله عنه فلمّا كان عند الوداع قال أمير المؤمنين عليه السلام : يا أبا ذر إنّك إنّما عضبت لله عزَّ وجلَّ فارج من غضبت له ، إنَّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فأرحلوك عن الفناء وامتحنوك بالبلاء ووالله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقاً ثمّ اتّقى الله عزَّ وجلَّ جعل له منها مخرجاً فلا يؤنسك إلّا الحقّ ولا يوحشك إلاّ الباطل .**

ثمَّ تكلّم عقيل فقال : يا أباذرّ أنت تعلم أنّا نحبّك ونحن نعلم أنّك تحبّنا وأنت قد حفظت فينا ما ضيّع النّاس إلّا القليل فثوابك على الله عزَّ وجلَّ ولذلك أخرجك المخرجون وسيّرك المسيّرون فثوابك على الله عزَّ وجلَّ فاتّق الله واعلم أنَّ استعفاءك البلاء من الجزع واستبطاءك العافية من اليأس ، فدع اليأس والجزع وقل : حسبي الله ونعم الوكيل .

ثمّ تكلّم الحسن عليه السلام فقال : يا عمّاه إنّ القوم قد أتوا إليك ما قد ترى وإنّ الله عزَّ وجلَّ بالمنظر الأعلى فدع عنك ذكر الدُّنيا بذكر فراقها ، وشدّة ما يرد عليك لرجاء ما بعدها ، واصبر حتّى تلقى نبيّك صلى الله عليه وآله وهو عنك راض إن شاء الله .

ثمَّ تكلّم الحسين عليه السلام فقال : يا عمّاه إنّ الله تبارك وتعالى قادرٌ أن يغيّر ما ترى وهو كلَّ يوم في شأن إنَّ القوم منعوك دنياهم ومنعتهم دينك فما أغناك عمّا منعوك وما أحوجهم إلى ما منعتهم ، فعليك بالصبر فانَّ الخير في الصبر والصبر من الكرم ودع الجزع فإنَّ الجزع لا يغنيك .

ثمَّ تكلّم عمّار عليه السلام فقال : يا أبا ذر أوحش الله من أوحشك وأخاف من أخافك إنّه والله ما منع النّاس أن يقولوا الحق إلّا الركون إلى الدنيا والحبُّ لها ألا إنّما الطّاعة مع الجماعة والملك لمن غلب عليه وإنَّ هؤلاء القوم دعوا النّاس إلى دنياهم فأجابوهم إليها ووهبوا لهم دينهم فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

ثمَّ تكلّم أبو ذرّ رضي الله عنه فقال : عليكم السّلام ورحمة الله وبركاته بأبي وأُمّي هذه الوجوه فإنّي إذا رأيتكم ذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله بكم ، ومالي بالمدينة شجن ولا سكن غيركم وإنّه ثقل على عثمان جواري بالمدينة كما ثقل على معاوية بالشام فآلى أن يسيّرني إلى بلدة فطلبت إليه أن يكون ذلك إلى الكوفة فزعم أنّه يخاف أن اُفسد على أخيه النّاس بالكوفة وآلى بالله ليسيّرني إلى بلدة لا أرى فيها أنيساً ولا أسمع بها حسيساً، وإنّي والله، لا أريد إلّا الله عزَّ وجلَّ صاحباً ومالي مع الله وحشة، حسبي الله لا إله إلّا هو عليه توكّلت وهو ربُّ العرش العظيم ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين [1] .

* **الشرح :**

قوله: (لما سيّر عثمان أباذر إلى الربذة): هي بالتحريك قرية معروفة قرب المدينة بها قبره رضي الله عنه واسمه جندب بن جنادة وهو من بني غفار بالكسر والتخفيف: قبيلة من كنانة أسلم بمكة وسيجيء سبب إسلامه وكان يتولى علياً وأهل بيته عليهم السلام ولم يبايع الشيوخ الثلاثة وكان ينكر عليهم قولاً وفعلاً وسراً وجهاراً ووجه إخراجه أنه خاف منه الفتنة فأخرجه إلى الشام أولاً ثم استحضره إلى المدينة ثم استخرجه منها إلى الربذة قال أبو عبد الله صاحب كتاب إكمال الإكمال وجه استحضاره من الشام أنه كان إذا صلى الناس الجمعة وأخذوا في مناقب الشيوخ، يقول: لو رأيتهم ما أحدثوا بعده شيدوا البناء ولبسوا الناعم وركبوا الخيل وأكلوا الطيبات وكاد يفسد بأقواله الأمور ويشوش الأحوال فاستدعاه من الشام وكان إذا رأى عثمان قال: « يوم يحمى عليها جباههم وجنوبهم ـ الآية» فضربه بالسوط أدباً لذلك، وللامام أن يؤدب من أساء إليه وإن أدى الأدب إلى هلاكه ثم قال له: إما أن تكف وإما أن تخرج حيث شئت فخرج إلى الربذة هذا كلامه .

أقول يرد عليه المثل المشهور ثبت العرش ثم انقش لوجوب البراءة من امام أنكره مثل أبي ذر رحمه الله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصفه ومنقبته ماهو مذكور في كتبهم، ومنه أنه قال: « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر » منه أنه قال صلى الله عليه وآله « إن الله أمرني أن أحب أربعة

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٥.

وأخبرني أنه يحبهم علي وأبو ذر والمقداد وسلمان » نقله القرطبي في شرح فضائل سلمان ﷺ، وأما قوله إن عثمان لم يخرجه بل خيره بين الكف عما يقول وبين الخروج فمناف لما قال بعض علمائهم أن أبا ذر كان يغلظ القول في إنكار مايراه منكراً وفي حق عثمان يقول لم يبق أصحاب رسول الله ﷺ على ما عهد وينفر بهذا القول وأمثاله الناس عنه فارجه لذلك وقول أمير المؤمنين ﷺ (فأرحلوك عن الفناء) يدل عليه . فناء الدار بالكسر: ما اتسع من أمامها ولعل المراد به فناء الروضة المقدسة وقوله ﷺ (إنّما غضبت لله) دليل على أن إنكاره بماكان ينكره إنما يقصد به وجه الله تعالى وقوله (إن القوم خافوك على دنياهم) يعني خافوك على أمر الخلافة بتنفيرك عنهم (وخفتهم على دينك) بترك موافقتهم والمماشاة معهم وأخذ العطاء منهم وبردك إلى الارتداد كما ارتدّوا وقوله (ولو كانت السموات والأرض إلى آخره) بشارة له بخلاصه مما هو فيه من ضيق الحال بسبب الإخراج وشرطه في ذلك تقوى الله إشارة إلى قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) ـ الآية .

ونقل عن ابن عباس أنه قال قرأ رسول الله ﷺ « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » قال: من شبهات الدنيا وغمرات الموت وشدائد يوم القيامة ومن البين عقلاً ونقلاً أن التقوى عند استشعارها سبب قاطع لطمع المتقي من الدنيا وقنياتها وهو مستلزم لراحته من مجاذبة النفس الأمارة بالسوء والوقوع في شبهات الدنيا وهي في استلزامه الخلاص من غمرات الموت وشدائد يوم القيامة أظهر . وكنّى ﷺ بالغاية وهي رتق السموات والأرض على العبد عن غاية الشدة مبالغة لبيان فضل التقوى ثم أمره بالاستئناس بالحق وحده والاستيحاش من الباطل وحده بقوله (فلا يؤنسك إلّا الحق ولا يوحشك إلّا الباطل) « لا » إما للنفي أو للمنهي، والوحشة: الهم والخلوة والخوف ضد الانس وفي الكنز: «وحش رميدن ودورى جستن وحشت خالى واندوه ورميدگى» وقول عقيل من الجزع في قوله: (واعلم أن استعفاءك البلاء من الجزع واستبطاءك العافية من الإياس) خبر أن رغبة في الصبر على البلاء وتلقيه بالقبول وتوقع حضور العافية في كل آن حيث عد استعفاء الأول وكراهته جزعاً واستبطاء الثاني يأساً، ثم أمره بترك اليأس والجزع بقوله (فدع الإياس والجزع) واصبر على البلاء والعافية من الله تعالى وفي نسخه « اليأس في » الموضعين ثم أمره بتفويض الأمور إلى الله تعالى والتوكل عليه بقوله (وقل حسبي الله ونعم الوكيل) أي هو بتقدير المخصوص بالمدح بعده وعطف الفعلية الانشائية على الاسمية الخبرية جائز إذا كان لها محل من الأعراب كما صرح به جماعة من المحققين وإن أبيت فقدر المخصوص بالمدح قبله وأول الخبر بالتأويل المشهور. ثم نبهه الحسن ﷺ بأنه تعالى عالم بحاله وحال من سيره بقوله (وأن الله عز وجل بالمنظر الأعلى)

المنظر اما مصدر بمعنى النظر وفعله من باب ضرب وسمع أو ما نظرت إليه أو أشرف المراتب ومنه مناظر الأرض أي أشرفها والمعنى على جميع التقادير أنه تعالى ينظر إلى كل شيء ويرى أسفله وباطنه كما يرى أعلاه وظاهره ويرى قلوب العباد وخطراتها وأعمالهم الجلية وخفياتها ، ثم قال الحسين عليه السلام تسلية (إن الله تبارك وتعالى قادر أن يغير ما ترى من ضعف) أهل الدين وقوة أهل الجور (وهو كل يوم في شأن) أي في أمر من الأمور وحال من الأحوال فيجدد أموراً ويغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين وله في الجميع حكمة واختيار (فما أغناك عما منعوك وأحوجهم الى ما منعتهم) « ما » تعجبية والمعنى أن لك غنى عظيم عن دنياهم ولهم حاجة عظيمة إلى دينك فإذا لم يأخذوا عنك الدين مع شدة احتياجهم إليه فكيف تأخذ عنهم الدنيا مع كمال غناك عنها فاترك لهم دنياهم وانج بدينك واصبر ، ثم دعا عمار على عثمان بقوله (أوحش الله من أو حشك) أي أبعد الله عن رحتمه من أبعدك عن المدينة أو جعل الله بلا أنيس من جعلك بلا أنيس أو جعل الله مهموماً من جعلك مهموماً وأخاف من أخافك من سلطانه وبطشه (أنه والله ما منع الناس أن يقولوا) ما تقول أو الحق ويؤيد الثاني وجوده في بعض النسخ والمال واحد (إلّا إنّما الطاعة مع الجماعة) أي ما طاعة الله وطاعة الرسول إلاّ مع الجماعة وهم أهل البيت عليهم السلام ثم أجابهم أبوذر بعد التسليم والثناء عليهم بقوله (ومالي بالمدينة شجن ولا سكن غيركم) في المصباح الشجن بفتحتين: الحاجة والجمع شجون مثل أسد وأسود وأشجان مثل سبب وأسباب والسكن بالتحريك ما يسكن إليه (وأنه ثقل على عثمان جواري بالمدينة كما ثقل على معاوية بالشام) كان رضي الله عنه يذمهم عند أهل الشام ويعد قبائح عثمان ومن قبله وما صنعوا من غصب الخلافة وإبطال حق آل الرسول فكتب معاوية إلى عثمان وأخبره فطلبه إلى المدينة فكان يفعل في المدينة مثل ماكان يفعل في الشام فخاف عثمان أن يفسد عليه أمره فضربه فلم ينفع فحلف أن يسيره إلى بلدة فطلب رضي الله عنه أن يسيره إلى الكوفة فخاف عثمان أن يفسد على أخيه وليد أهل الكوفة فأخرجه إلى الربذة لئلا يكون له فيها أنيسٌ ولا جليسٌ ولا يسمع فيها صوتاً ولا حسيساً .

*** الأصل:**

٢٥٢ ـ أبو عليّ الأشعريُّ ، عن محمّد بن عبدالجبّار ، عن ابن فضّال ، والحجّاج جميعاً ، عن ثعلبة، عن عبدالرحمن بن مسلمة الجريريّ قلت : **لأبي عبدالله عليه السلام يوبّخونا ويكذّبونا ، إنّا نقول : إنَّ صيحتين تكونان ، يقولون : من أين تعرف المحقّة من المبطلة إذا كانتا ؟ قال : فماذا تردُّون عليهم ؟ قلت : ما نردُّ عليهم شيئاً ، قال : قولوا : يصدِّق بها ـ إذاكانت ـ من كان يؤمن بها من قبل ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : « أفمن يهدي إلى الحقِّ أحقُّ أن يتّبع أمّن لا يهدِّي إلّا أن يهدى فما لكم**

كيف تحكمون » [١].

*** الشرح :**

قوله: (يوبخونا ويكذبونا) أي المخالفون لنا (أنا نقول أن صيحتين تكونان) عند ظهور القائم عليه السلام صيحة في أول اليوم بأن فلان ابن فلان وشيعته هم الفائزون، وصيحة في آخره بأن عثمان وشيعته هم الفائزون كما سيأتي وهاتان الصيحتان للاختبار والتمحيص (قال: قولوا يصدق بها) أي بالمحقة (إذا كانت من كان يؤمن بها من قبل) أي من قبل وقوعها وزادتهم إيماناً لمشاهدتهم وجود ما أخبر الصادقون بأنه سيوجد (إن الله عزَّ وجلَّ يقول أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدِّي إلاّ أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) بما يقتضي صريح العقل بطلانه وأصل لا يهدي لا يهتدي أبدلت التاء بعد إسكانها دالاً وادغمت وكسرت الهاء لا لتقاء الساكنين ومن قرأ بفتح الهاء نقل فتح التاء إليها ولعل وجه انطباق الآية على ما ذكر أن الموصول الأول من له الصيحة الأولى والموصول الثاني من له الصيحة الثانية ، والأول أحق بالاتباع وليس ذلك إلّا لظهور الحق في قلوب المستعدين لقبوله ، وقد روي أن الأول: أمير المؤمنين عليه السلام والثاني: الشيوخ الثلاثة كما مرَّ في الحجة.

وربما يقال: الأول: هو لله سبحانه، والثاني: أشرف آلهة المشركين كالملائكة ومسيح وعزير فإنهم لا يهتدون إلّا أن يهديهم الله تعالى ويؤيده الآية السابقة عليها والظاهر أن الجميع حق لأن الآية قد يكون لها وجوه متعدده كلها صحيحة .

*** الأصل:**

٢٥٣ ـ عنه ، عن محمّد ، عن ابن فضّال ، والحجّاج ، عن داود بن فرقد قال : **سمع رجلٌ من العجليّة هذا الحديث قوله : ينادي مناد ألا إنَّ فلان ابن فلان وشيعته هم الفائزون أوّل النّهار وينادي آخر النّهار ألا إنَّ عثمان وشيعته هم الفائزون ، قال : وينادي أوّل النّهار مناد آخر النّهار فقال الرَّجل : فما يدرينا أيّما الصادق من الكاذب ؟ فقال : يصدِّقه عليها من كان يؤمن بها قبل أن ينادي ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : « أفمن يهدي إلى الحقِّ أحق أن يتّبع أمّن لا يهدِّي إلّا أن يهدى - الآية»** [٢].

*** الشرح :**

قوله: (قال: سمع رجل من العجلية هذا الحديث) أي رجل منسوب الى طائفة من بني عجل

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٧.
(٢) الكافي: ٨ / ١٧٧.

قيل منهم محمّد بن إدريس صاحب السرائر ﷺ (وقوله: ينادي مناد . انتهى) بدل أو بيان لهذا الحديث والظاهر أن الضمير راجع الى أبي عبدالله عليه السلام والمراد بفلان بن فلان صاحب الزمان عليه السلام وهو كناية عن اسمه واسم أبيه عليهما السلام (قال: وينادي أول النهار منادي آخر النهار) دل بظاهره على أن المنادي واحد لكن روى الصدوق في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده عن المعلى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « صوت جبرئيل من السماء وصوت إبليس من الأرض فاتبعوا الصوت الأول وإياكم أن تفتنوا به » وبإسناد آخر عن زرارة عنه عليه السلام قال: « ينادي مناد باسم القائم عليه السلام قلت: خاص أو عام قال: عام يسمع كل قوم بلسانهم قلت: فمن يخالف القائم عليه السلام وقد نودي باسمه؟ قال: لا يدعهم إبليس حتى ينادي في آخر الليل ليشكك النّاس ولذلك قال بعض الأصحاب هذا الخبر من باب الاستفهام الإنكاري أو التقدير ولا ينادي كما في قول الهذلي « تالله يبقى على الأيام ذوحيد » قال الجواهري: لا يبقى (فقال: يصدقه عليها) أي يصدق الصادق أو المنادي على الصيحة الأولى.

*** الأصل:**

٢٥٤ ـ علي ابن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن إسحاق بن عمّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **لا ترون ما تحبّون حتّى يختلف بنو فلان فيما بينهم فإذا اختلفوا طمع النّاس وتفرَّقت الكلمة وخرج السفيانيّ** (١).

*** الشرح :**

قوله: (لا ترون ما تحبون) هو ظهور القائم عليه السلام ورواج دين الحق (حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم) أي يجيء بعضهم عقيب بعض حتى تنتهي دولتهم، أو المراد بالاختلاف ضد الاتفاق فيكون كناية عن زوال ملكهم ولعل المراد بهم بنو عباس كما في أحاديث أخر حتى يختلف بنو عباس منها ما سيجيء بعيد هذا (فإذا اختلفوا طمع النّاس) في السلطنة والدولة الملكية وقامت طائفة من كل ناحية واختلطت الرايات (وتفرقت الكلمة كناية عن تفرقهم واختلاف أهوائهم والكلمة تطلق على القول والأمر والحكم والعهد والبيعة والحال والشأن (وخرج السفياني) وهو الدجال وفيه دلالة على أن خروجه بعد ما ذكر وأما أنه قريب منه أو بعيد فلا دلالة فيه عليه .

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٧.

حديث الصيحة

*** الأصل:**

٢٥٥ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي نجران وغيره ، عن إسماعيل بن الصباح ، قال : **سمعت شيخاً يذكر عن سيف بن عميرة قال : كنت عند أبي الدَّوانيق فسمعته يقول ابتداء من نفسه : يا سيف بن عميرة لابدَّ من مناد ينادي باسم رجل من ولد أبي طالب . قلت : يرويه أحد من الناس ؟ قال والذي نفسي بيده لسمعت أُذني منه يقول ، لابدَّ من مناد ينادي باسم رجل . قلت: يا أمير المؤمنين إنَّ هذا الحديث ما سمعت بمثله قطُّ ، فقال لي : يا سيف إذا كان ذلك فنحن أوَّل من يجيبه أما إنه أحد بني عمّنا قلت : أي بني عمّكم ؟ قال رجل من ولد فاطمة عليها السلام ، ثمَّ قال : يا سيف لولا أني سمعت أبا جعفر محمّد بن علي يقوله ، ثمَّ حدَّثني به أهل الأرض ما قبلته منهم ولكنّه محمّد بن عليّ عليهما السلام** (١).

*** الشرح :**

قوله: (حديث الصيحة) الأنسب أن يذكر الحديثين السابقين بعد هذا العنوان (قال: والذي نفسي بيده لسمعت أذني منه) الضمير راجع إلى محمّد بن علي عليهما السلام بقرينة المقام أو لكونه معهوداً ولما سيصرح به وذكر الأذن للمبالغة في أنه سمع منه بلا واسطة .

*** الأصل:**

٢٥٦ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال : **كنت مع أبي جعفر عليه السلام جالساً في المسجد إذ أقبل داود بن علي وسليمان بن خالد وأبو جعفر عبدالله بن محمّد أبوالدَّوانيق فقعدوا ناحية من المسجد فقيل لهم : هذا محمّد بن علي جالسٌ ، فقام إليه داود بن علي وسليمان بن خالد وقعد أبوالدَّوانيق مكانه حتّى سلّموا على أبي جعفر عليه السلام فقال لهم أبو جعفر عليه السلام : مامنع جبّاركم من أن يأتيني ؟ فعذروه عنده فقال عند ذلك أبوجعفر محمّد بن علي عليهما السلام : أما والله لا تذهب اللّيالي والأيّام حتّى يملك ما بين قطريها ثمَّ ليطأنَّ الرِّجال عقبه ثمَّ لتذلنَّ له رقاب الرِّجال ثمَّ ليملّكنَّ ملكاً شديداً ، فقال له داود بن علي: وإن ملكنا قبل ملككم ؟ قال : نعم يا داود إنَّ ملككم قبل ملكنا وسلطانكم قبل سلطاننا ، فقال له داود :**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٨ .

أصلحك الله فهل له من مدَّة ؟ فقال : نعم يا داود والله لا يملك بنواُمية يوماً إلّا ملكتم مثليه ولا سنة إلّا ملكتم مثليها ، وليتلقفّها الصبيان منكم كما تلقّف الصبيان الكرة ، فقام داود بن عليّ من عند أبي جعفر عليه السلام فرحاً يريد أن يخبر أبا الدَّوانيق بذلك فلمّا نهضا جميعاً هو وسليمان بن خالد ناداه أبو جعفر عليه السلام من خلفه : يا سليمان بن خالد : لا يزال القوم في فسحة من ملكهم ما لم يصيبوا منّا دماً حراماً ـ وأومأ بيده إلى صدره ـ فإذا أصابوا ذلك الدَّم فبطن الأرض خير لهم من ظهرها يومئذ لا يكون لهم في الأرض ناصرٌ ولا في السّماء عاذرٌ ، ثمَّ انطلق سليمان بن خالد فأخبر أبا الدَّوانيق فجاء أبو الدوانيق إلى أبي جعفر عليه السلام فسلّم عليه ثمَّ أخبره بما قال له داود بن عليّ وسليمان بن خالد ، فقال له : نعم يا أبا جعفر دولتكم قبل دولتنا وسلطانكم قبل سلطاننا ، سلطانكم شديدٌ عسرٌ لا يسر فيه ، وله مدَّة طويلة والله لا يملك بنو اُميّة يوماً إلّا ملكتم مثليه ولا سنة إلاّ ملكتم مثليها وليتلقّفها صبيان منكم فضلاً عن رجالكم كما يتلقف الصبيان الكرة أفهمت ؟ ثمَّ قال : لا تزالون في عنفوان الملك ترغدون فيه ما لم تصيبوا منّا دماً حراماً فإذا أصبتم ذلك الدَّم غضب الله عزَّ وجلَّ عليكم فذهب بملككم وسلطانكم وذهب بريحكم وسلّط الله عزَّ وجلَّ عليكم عبداً من عبيده أعور ـ وليس بأعور من آل أبي سفيان ـ يكون استئصالكم على يديه وأيدي أصحابه ثمَّ قطع الكلام (١).

*** الشرح :**

قوله: (ما منع جباركم من أن يأتيني) الجبار: المتمرد العاتي، وقيل: الذي يقهر الخلائق على ما أراد من أمر ونهي (فعذروه عنده) المعذر بالتشديد: المظهر للعذر اعتلالاً من غير أن يكون له حقيقة (قال: نعم يا داود لا يملك بنو أمية يوماً إلاّ ملكتم مثليه ولا سنة إلّا ملكتم مثليها) إثبات زيادة المثل لا ينافي زيادة الأكثر منه إلّا بمفهوم اللقب وهو ليس بحجة اتفاقاً فلا يرد أن مدة ملك بني اُميّة ثمانون سنة ومدة ملك بني عباس خمسمائة سنة ولعل النكتة في الاقتصار على المثلين بيان أصل الزيادة لا قدرها أو التنبية على سرعة زوال ملكهم كيلا يغتروا به (وليتلقفها الصبيان عنهم كما يتلقف الصبيان الكرة) عند اللعب، والتلقف: الأخذ والتناول بسرعة وفي الكنز: الكرة «گوى كه بصولجان يعنى بچوگان بازند» (لا يزال القوم في فسحة): أي في سعة (من ملكهم ما لم يصيبوا منا دماً حراماً . انتهى) .

قال الأمين الإسترابادي: يمكن أن يكون المراد ما فعله هارون قتل في ليلة واحدة كثيراً من

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٨.

السادات، ويمكن أن يكون المراد قتلهم المقتولين بفخ وهو موضع قريب مكة والعاذر: اسم فاعل من عذرت له عذراً من باب ضرب رفعت عنه اللوم فهو معذور أي غير ملوم (ثم قال: لا تزالون في عنفوان الملك): أي في أوله وأول بهجته ونضارته (ترغدون فيه) في القاموس عيشة رغد ورغد: واسعة طيبة والفعل كسمع وكرم (وذهب بريحكم) الريح: الغلبة والقوة والنصرة والدولة (وسلط الله عليكم عبداً من عبيده أعور) في النهاية العرب تقول للذي ليس له أخ من أبيه وأُمه أعور وقيل: إنهم يقولون للرديء من كل شيء من الأمور والأخلاق أعور وللمؤنث منه عوراء (وليس بأعور من آل أبي سفيان) بل المراد به أعور من أولاد الترك وهو هولاكو وقد كان ردياً في المذهب والأفعال والأخلاق وما ذكره عليه السلام من علامات الإمامة لأنه أخبر بما سيقع وقد وقع.

*** الأصل:**

٢٥٧ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن المفضل بن مزيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **قلت له أيام عبدالله بن عليّ: قد اختلفت هؤلاء فيما بينهم، فقال: دع ذا عنك إنما يجيء فساد أمرهم من حيث بدأ صلاحهم** (١).

*** الشرح:**

قوله: (قلت له أيام عبدالله بن علي) هو أول خليفة من العباسية (قد اختلفت هؤلاء فيما بينهم) كأنه يخبر أن هذه الاختلاف يفسد ملكهم أو يعرضه عليه السلام في الطمع فيه (فقال دع ذا عنك إنّما يجيء فساد أمرهم من حيث بدأ صلاحهم)(٢) كما جاءت دولتهم من جهة الشرق بيد أبي مسلم المروزي كذلك يجيء فسادها من جهة الشرق بيد هولاكو.

*** الأصل:**

٢٥٨ ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن ثعلبة بن ميمون، عن بدر بن الخليل الأزدي قال: **كنت جالساً عند أبي جعفر عليه السلام فقال: آيتان تكونان قبل قيام القائم عليه السلام لم تكونا منذ هبط آدم إلى الأرض: تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره فقال رجل: يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف؟! فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّي أعلم ما تقول ولكنّهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام**(٣).

---

(١) الكافي: ٨ / ١٧٩.

٢ ـ قوله « من حيث بدا صلاحهم » أي من حيث بدأ دولتهم وملكهم كان من شرق خراسان هذا من أخبار الغيب الّتي لا ريب في صحتها فإن كتاب الكافي صنف في صدر دولة بني العباس وليس من الأخبار بعد الوقوع وكان زوال ملكهم على يد المغول (ش).

(٣) الكافي: ٨ / ١٧٩.

* **الشرح :**

قوله: (تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره فقال رجل: يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف) وذلك لأن كسوف الشمس على ما هو المعروف بتوسط جرم القمر بينها وبين الناظرين ولا يتحقق التوسط إلّا في آخر الشهر لأن الشمس والقمر في آخر الشهر يجتمعان في درجة واحدة وأما في غيره فهما متفارقان والقمر ينكسف في النصف لأن نوره مستفاد من الشمس وفي النصف قد تقع الأرض واسطة بين مركزيهما فتمنع من وصول نور الشمس إليه وعلى هذا فكسوف الشمس في النصف والقمر في الآخره علامة من علامات قيام الصاحب عليه السلام ولعل الكسوف حينئذ أثر يخلقه الله تعالى في جرمهما من غير سبب ولا ربط كما هو مذهب طائفة في كسوفهما أو لإزالة الفلك من مجراه فيدخل الشمس والقمر في البحر الذي بين السماء والأرض فيطمس ضوءهما كما نقل ذلك عن سيد العابدين عليه السلام .

* **الأصل:**

٢٥٩ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمرو بن أبي المقدام قال : **سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : خرجت أنا وأبي حتّى إذا كنّا بين القبر والمنبر إذا هو بأُناس من الشيعة فسّلم عليهم ثمّ قال : إنّي والله لأُحبّ رياحكم وأرواحكم فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد واعلموا أنّ ولايتنا لا تنال إلّا بالورع والاجتهاد ومن ائتمّ منكم بعبد فليعمل بعمله ، أنتم شيعة الله. وأنتم أنصار الله ، وأنتم السّابقون الأوّلون والسّابقون الآخرون والسابقون في الدنيا والسابقون في الآخرة إلى الجنّة قد ضمنّا لكم الجنّة بضمان الله عزَّ وجلَّ وضمان رسول الله صلى الله عليه وآله والله ما على درجة الجنّة أكثر أرواحاً منكم فتنافسوا في فضائل الدرجات، أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات كلّ مؤمنة حوراء عيناء وكلُّ مؤمن صدِّيق ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: يا قنبر أبشر وبشّر واستبشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على اُمتّه ساخطٌ إلّا الشيعة .**

ألا وإنَّ لكلِّ شيء عزّاً وعزّ الإسلام الشيعة . ألا وإنَّ لكلِّ شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة .

ألا وإنَّ لكلِّ شيء ذروة وذروة الإسلام الشيعة . ألا وإنَّ لكلِّ شيء شرفاً وشرف الإسلام الشيعة . ألا وإنَّ لكلِّ شيء سيّداً وسيّد المجالس مجالس الشيعة . ألا وإنَّ لكلِّ شيء إماماً وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة ، والله لو لا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عُشباً أبداً والله لو لا ما في الأرض منكم ما أنعم الله على أهل خلافكم ولا أصابوا الطيّبات مالهم في الدُّنيا ولا لهم في الآخرة من نصيب ، كلُّ ناصب وإن تعبّد واجتهد منسوب إلى هذه الآية ﴿ عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية﴾ فكلُّ ناصب مجتهد فعمله هباء ، شيعتنا ينطقون بنور الله عزَّ وجلَّ ومن يخالفهم

ينطقون بتفلّت ، والله ما من عبد من شيعتنا ينام إلّا أصعد الله عزَّ وجلَّ روحه إلى السماء فيبارك عليها فإن كان قد أتى عليها أجلها جعلها في كنوز رحمته وفي رياض جنّته وفي ظلّ عرشه وإن كان أجلها متأخراً بعث بها مع أمنته من الملائكة ليردّوها إلى الجسد الذي خرجت منه لتسكن فيه ، والله إنّ حاجّكم وعمّاركم لخاصّة الله عزَّ وجلَّ وإنّ فقراءكم لأهل الغنى وإنّ أغنياءكم لأهل القناعة وإنّكم كلّكم لأهل دعوته وأهل إجابته (١).

*** الشرح :**

قوله (إني والله لا حب رياحكم وأرواحكم) في الكنز ريح «بوى» ورياح جمع وروح: «جان وزندگانى» (فأعينوا على ذلك بورع واجتهاد) ذلك إشارة إلى الحب ولما كان عليه السلام متكفلاً بنجاة شيعته عن عقبات الآخرة وعقوباتها طلب منهم الإعانة له بالورع وهو الكف عن المحارم وبالاجتهاد في الأعمال الصالحة وتزكية النفس ليكون له تحصيل النجاة لهم أيسر وأسهل وفي بعض النسخ فأعينوني (ومن ائتم منكم بعبد فيلعمل بعمله) ليتحقق معنى الائيتمام ويبعد عن الهزء والنفاق والشقاق (وأنتم شيعة الله وأنتم) أنصار الله أي أولياؤه وأنصاره في دينه وأصل الشيعة من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة (وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون والسابقون في الدنيا والسابقون في الآخرة) لعل المراد أنتم السابقون الأولون إلى قبول الولاية والتصديق بها عند التكليف الأول في العالم الروحاني الصرف، وأنتم السابقون الآخرون إلى قبولها عند التكليف الثاني في عالم الذر والسابقون في الدنيا إلى الوفاء بالعهد والمتابعة والسابقون في الآخرة إلى دخول الجنة وقيل السابقون الأولون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار** ﴾ والسابقون الآخرون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **والذين اتبعوهم بإحسان** ﴾ إن الذين هم اتبعوا السابقين الأولين بإحسان (والله ما على درجة الجنة أكثر أرواحاً منكم) دل على أن الشيعة أكثر من غيرهم في الجنة ويمكن أن يراد بها الراحة والسعة والفضيلة فيدل على أن مرتبتهم أشرف المراتب وهذا أنسب بما بعده ـ كل مؤمنة حوراء عيناء) في النهاية الحور العين نساء أهل الجنة واحدتهن حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والعيناء الواسعة العين.

(وكل مؤمن صديق) هو فعيل للمبالغة في الصدق وهو الذي يصدق قوله فعله (يا قنبر أبشر وبشّر واستبشر) بشرت به كعلم وضرب وأبشرت فرحت وسررت وبشرته تبشيراً فرحته وسررته

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٠.

بأخبار ما يوجبهما واستبشرت فرحت وسررت مع إظهارهما بطلاقة الوجه ونحوها (ألّا وأن لكل شيء عزاً وعز الإسلام الشيعة) لأنهم سبب لعزه وقوته ولولاهم لذل الإسلام واحتقر (ودعامة الإسلام الشيعة) لأن الإسلام بهم قائم كقيام الخيمة بالدعامة وفيه مكنية وتخييلية (وذروة الإسلام الشيعة) ذروة الشيء بالضم وبالكسر أشرف مواضعه وأعلاه والشيعة أعلى درجة في الإسلام لا تصافهم بالإيمان يعلو ولا يعلى عليه (وشرف الإسلام الشيعة) الشرف محركة العلو والمكان العالي والشيعة سبب لشرف الإسلام وعلوه ولو لا الشيعة لكان الإسلام مخفوضاً موضوعاً (وسيد المجالس مجالس الشيعة) السيد الشريف والفاضل والكريم والرئيس والمقدم ذو الفضيلة وكل هذه الخصال لمجالس الشيعة باعتبار أهلها (وإمام الارض تسكنها الشيعة) الإمام ما يؤتم به ويقصد إليه من رئيس وغيره والمجالس كلها ينبغي لها الاقتداء بمجالس الشيعة باعتبار شرافة أهلها وكونها محلاً للمعرفة والفضل والإيمان (والله لولا ما في ألارض منكم ما رأيت بعين عشباً أبداً) أي بعيني، والعشب: الكلأ ما دام رطباً ولا يقال له حشيش حتى يهيج والظاهر أن « ما » في لولا ما زائدة ويحتمل أي يراد به شيء أى أحد أو الإيمان أو عبادة وطاعة (والله لو لا ما في الأرض منكم ما أنعم الله على أهل خلافكم ولا أصابوا الطيبات) من الرزق وغيره لإحاطة غضب الله تعالى حينئذ بأهل الأرض جميعاً وفيه دلالة على أن إصابتهم الطيبات بالعرض وباعتبار وجود المؤمن (ما لهم في الدنيا ولا في الآخرة من نصيب) أما في الآخرة فلا نصيب لهم أصلاً وأما في الدنيا فلا نصيب لهم بالذات ويحتمل أن يكون جملة دعائية (كل ناصب وإن تعبد واجتهد) في العبادة كمّاً وكيفاً والمراد بالناصب هنا أهل الخلاف جميعاً (منسوب إلى هذه الآية) ومصداق لها (عاملة ناصبة) تعمل وتتعب في أعمال غير نافعة يوم ينفع العاملين أعمالهم (تصلى ناراً حامية) أي تدخل ناراً متناهية في الحرارة والإحراق ثم أكد ذلك بقوله (كل ناصب مجتهد فعمله هباء) الهباء: التراب وهو في الأصل ما ارتفع من تحت سنابك الخيل والشيء المنبث الذي تراه في ضوء الشمس شبّه به أعمالهم في انتشارها وعدم تصور النفع (فيها شيعتنا ينطقون) في الولاية والأحكام وغيرهما (بنور الله عز وجل) أي بعمله المنزل إلى الرسول ﷺ (ومن خالفهم ينطق)[1] فيما ذكر (بتفلت) أي فجأة من عند أنفسهم بلا روية واستناد الى أصل متحقق وفي النهاية التفلت التعرض للشيء فجأة ومنه حديث عمر « إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها » أراد بالفلتة: الفجأة، ومثل هذه البيعة جدير بأن تكون هيجة للشر والفتنة فعصم الله من ذلك ووقى،

---

١ ـ كذا.

والفلتة: كل شيء وفعل من غير روية وإنما بودر بها خوف انتشار الأمر، وقيل: أراد بالفلتة: الخلسة أي أن الإمامة يوم السقيفة مالت إلى توليها الأنفس ولذلك كثر فيها التشاجر فما قلدها أبوبكر إلّا انتزاعاً من الأيدي واختلاساً .

فانظر رحمك الله كيف أنطق الله لسان ذلك الرجل بالحق ليكون حجة عليه وعلى من تبعه (**والله ما من عبد من شيعتنا ينام إلاّ أصعد الله روحه إلى السماء فيبارك عليها**) أي يديم عليها ما أعطاها من التشريف والكرامة أو يزيدهما لها (**جعلها في كنوز رحمته**) أي جعلها مدخرة تحت رحمته ليردها إليه يوم البعث كما يدخر المال تحت الأرض (**وفي رياض جنته**) هي إما الجنة المعروفة أو جنة في الدنيا معدة لأرواح المؤمنين كما مرَّ مثله (**وفي ظل عرشه**) أي ظل رحمته أو في كنفها وهو كناية عن القرب حتى كأن الرحمة ألقت الظل عليها ويحتمل أن يراد بالعرش: العرش الجسماني وقد مرَّ (**وإن كان أجلها متأخراً بعث بها مع أمنته من الملائكة**) الأمنة: جمع الأمين وهو الحافظ (**ليردها إلى الجسد الذي خرجت منه لتسكن فيه**) قال الله تعالى: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك الّتي قضى عليه الموت فيرسل الأخرى إلى أجل مسمّى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ (**وإن فقراءكم لأهل الغنى**) يحسبهم الناس أغنياء من التعفف لغناء نفوسهم الشريفة عن السؤال أو المراد به الغناء الأخروي لتحصيلهم أسباب الآخرة (**وإن أغنياءكم لأهل القناعة**) يقنعون بالكفاف ولا يسرفون ولا يقترون ولا يضيعون عمرهم في طلب الزيادة .

*** الأصل:**

٢٦٠ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمّد بن الحسن بن شمّون ، عن عبدالله بن عبدالرَّحمن ، عن عبدالله بن القاسم ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن أبي عبدالله عليه السلام : **مثله وزاد فيه ألا وإنَّ لكلِّ شيء جوهراً وجوهر ولد آدم محمّد صلى الله عليه وآله ونحن وشيعتنا بعدنا ، حبّذا شيعتنا ما أقربهم من عرش الله عزَّ وجلَّ وأحسن صنع الله إليهم يوم القيامة والله لو لا أن يتعاظم النّاس ذلك أو يداخلهم زهوٌ لسلّمت عليهم الملائكة قبلاً، والله ما من عبد من شيعتنا يتلو القرآن في صلاته قائماً إلّا وله بكلِّ حرف مائة حسنة، ولا قرأ في صلاته جالساً إلّا وله بكل حرف خمسون حسنة ولا في غير صلاة إلاّ وله بكل حرف عشر حسنات وإنّ للصامت من شيعتنا لأجر من قرأ القرآن ممّن خالفه ، أنتم والله على فرشكم نيام ، لكم أجر المجاهدين وأنتم والله في صلاتكم لكم أجر الصافّين في سبيله ، أنتم والله الذين قال الله عزَّ وجلَّ : « ونزعنا مافي صدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين » إنّما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين : عينان في الرَّأس وعينان في القلب ، ألا**

والخلائق كلّهم كذلك إلّا أنَّ الله عزَّ وجلَّ فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم (١).

*** الشرح:**

قوله: (وزاد فيه الأوان لكل شيء جوهراً وجوهر ولد آدم محمّد ﷺ ونحن وشيعتنا بعدنا) الجوهر من كل شيء: ما له فضيلة كاملة، ومزية واضحة، وخصلة ظاهرة بها يصطفي ويمتاز عن غيره من أفراد ذلك الشيء كالياقوت في الاحجار مثلاً وبذلك يظهر وجه ما ذكر (والله لو لا أن يتعاظم الناس ذلك) فيأخذونهم أنبياء ورسلاً (أو يداخلهم زهو): أي كبر وفخر (لسلمت عليهم الملائكة قبلاً) في القاموس رأيته قبلاً محركة وكصرد وكعنب أي عياناً ومقابلة (أنتم والله على فرشكم نيام لكم أجر المجاهدين) لأن الشيعة أكياس ينامون على قصد الخير ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: « حبذا نوم الأكياس » قال المحققون: الأكياس: هم الذين اشتغلت قلوبهم بالحق وتزينت بالمعارف وقالوا: سر ذلك أنهم ينامون على نية إن يقووا به على الطاعة فإذا هم حال النوم في عين الطاعة (أنتم والله الذين قال الله عز وجل « ونزعنا ما في صدروهم من غل إخواناً على سرر متقابلين ») الغل: الحقد والحسد والبغض والشبهة في الولاية الحقة وغيرها وأعظم النزع في الدنيا وبعضه في الآخرة ليدخل المؤمن طاهراً خالصاً من النقص في الجنة (إنّما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين عينان في الرأس وعينان في القلب) يرون بعيني القلب الحقائق والمعقولات ويميزون بين صحيحها وسقيمها وحقها وباطلها فيتبعون الحق ويتركون الباطل كما يرون بعيني الرأس المبصرات مثل الأضواء والألوان ويميزون بينهما .

*** الأصل:**

٢٦١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن عليِّ بن الحكم ، عن منصور بن يونس، عن عنبسة بن مصعب قال : **سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : أشكو إلى الله عزَّ وجلَّ وحدتي وتقلقلي بين أهل المدينة حتّى تقدموا وأراكم وآنس بكم فليت هذا الطاغية أذن لي فأتّخذ قصراً في الطائف فسكنته وأسكنتكم معي وأُضمن له أن لا يجيء من ناحيتنا مكروه أبداً** (٢).

*** الشرح:**

قوله: (أشكو إلى الله وحدتي وقلقي . انتهى) القلق محركة الإنزعاج وفي بعض النسخ « تقلقلي» وهو الحركة والإضطراب والطاغية: إما السفاح وهو أول خليفة من العباسية ومدة ملكه أربع سنين وتسعة أشهر وقبض إلى جهنم في حياته عليه السلام أو أخوه أبو جعفر المنصور الدوانيقي ومدة

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨١. (٢) الكافي: ٨ / ١٨٢.

ملكه اثنتين وعشرين سنة والتاء للمبالغة .

*** الأصل:**

٢٦٢ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمّد بن الوليد ، عن يونس بن يعقوب قال : **أنشد الكميت أبا عبدالله عليه السلام شعراً فقال :**

أخلص الله لي هواي فما أُغرق نزعاً ولا تطيش سهامي .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : لا تقل هكذا « فما أُغرق نزعاً » ولكن قل : «فقد أُغرق نزعاً ولا تطيش سهامي » [1].

*** الشرح :**

قوله: (أنشد الكميت أبا عبدالله عليه السلام شعراً): الكميت بن زيد الأسدي الكوفي من أصحاب الباقر عليه السلام مات في حياة أبي عبدالله عليه السلام روى الكشي عن حمدويه عن حسان بن عبيد بن زرارة عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال للكميت : « لا تزال مؤيداً بروح القدس ما دمت تقول فينا » وفي رواية أُخرى « أن أبا جعفر عليه السلام قال له: لا تزال معك روح القدس ما ذببت عنا » (فقال أخلص الله لي هواي) أي حبي لكم أهل البيت (فما أغرق نزعاً ولا تطيش سهامي) نزع في القوس: مدّها، وأغرق في نزعها استوفى مدها هذا في الأصل ثم استعير للمبالغة في الأمر والانتهاء فيه ، وطاش السهم جاز الهدف وأطاشه أماله عن الهدف ولعل المراد بالقوس قوس المحبة ، وبالسهم سهمها على سبيل التشبيه، إذا عرفت هذا فنقول :

هذا الكلام يحتمل وجهين: الأول: أن يكون الواو لعطف المنفي على المنفي فدل بحسب المنطوق على عدم الإغراق في نزع قوس المحبة وعدم المبالغة فيها وعدم طيش سهم المحبة عن الهدف إلى الغلو مثلاً وبحسب المفهوم على أنه لو أغرق طاش سهم المحبة عن الهدف فلذلك لم يغرق، والثاني أن يكون الواو للحال عن فاعل أغرق ويكون النفي راجعاً إلى القيد فيدل على أنه أغرق وطاش السهم لأجل إغراقه ولما كان في الأول نقص في إظهار المحبة من وجهين: الأول: عدم المبالغة في المحبة، والثاني: جواز سهم المحبة عن الهدف على تقدير المبالغة فيها وفي الثاني نقص بالوجه الثاني غيّر عليه السلام عبارته ليندفع كلا النقصين (فقال أبو عبدالله عليه السلام: لا تقل هكذا فما أغرق نزعاً ولكن قل فقد أغرق نزعاً ولا تطيش سهامي) وهذا أبلغ وأكمل في مقام إظهار المحبة حيث دل على عدم طيش سهمهما مع المبالغة فيها ومد قوسها على حد الكمال هذا ما

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٢.

خطر بالبال على سبيل الاحتمال والله يعلم حقيقة الحال .

*** الأصل:**

٢٦٣ ـ سهل بن زياد ، عن محمّد بن الحسن ، عن أبي داود المسترقّ ، عن سفيان بن مصعب العبدي قال : **دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال : قولوا لأمّ فروة تجيء فتسمع ما صنع بجدّها قال: فجاءت فقعدت خلف الستر ثمّ قال : أنشدنا قال : فقلت :**

« فرو ! جودي بدمعك المسكوب » قال : فصاحت وصحن النساء فقال أبو عبدالله عليه السلام : الباب الباب فاجتمع أهل المدينة على الباب قال : فبعث إليهم أبو عبدالله عليه السلام صبيٌّ لنا غشي عليه فصحن النساء (١).

*** الشرح :**

قوله: (عن سفيان بن مصعب العبدي) شاعر كوفي من أصحاب الصادق عليه السلام وفي رواية قال له عليه السلام: قل شعراً تنوح به النساء، وفي أخرى قال عليه السلام: « يا معشر الشيعة علّموا أولادكم شعر العبدي فإنه على دين الله » (فقال: قولوا لأم فروة) قال الأمين الإسترابادي: أم فروة: من بنات الصادق عليه السلام كما صرح به في أعلام الورى وغيره (فرو جودي) أي يا فروة فحذف حرف النداء والهاء للترخيم (الباب الباب) أي أغلقوا الباب أو احفظوه (فبعث إليهم أبو عبدالله عليه السلام صبي لنا غشي عليه فصحن النساء) النساء بدل من الضمير، قيل: هذا القول إما للتقية أو لبيان الواقع في تلك الساعة من صيحتهن أو المراد بالصبي من صار شهيداً في كربلاء في حجر الحسين عليه السلام بسهم العدو .

*** الأصل:**

٢٦٤ ـ سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن أبان بن عثمان ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **لمّا حفر رسول الله صلى الله عليه وآله الخندق مرُّوا بكدية فتناول رسول الله صلى الله عليه وآله المعول من يد أمير المؤمنين عليه السلام ـ أو من يد سلمان رضي الله عنه ـ فضرب بها ضربة فتفرَّقت بثلاث فرق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لقد فتح عليّ في ضربتي هذه كنوز كسرى وقيصر ، فقال أحدهما لصاحبه : يعدنا بكنوز كسرى وقيصر وما يقدر أحدنا أن يخرج يتخلّى** (٢).

*** الشرح :**

قوله: (مروا بكدية) الكدية بالضم: الأرض الغليظة والصفاء العظمية الشديدة والشيء الصلب بين الحجارة والطين .

* **الأصل:**

٢٦٥ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبي يحيى الواسطيّ، عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **إنَّ لله تبارك وتعالى ريحاً يقال لها: الأزيب لو أرسل منها مقدار ثور لأثارت ما بين السّماء والأرض وهي الجنوب** (١).

* **الشرح:**

قوله: (إن لله تعالى ريحاً يقال لها الأزيب) في النهاية في حديث الريح «اسمها عند الله الأزيب وعندكم الجنوب، الأزيب من السماء: الريح الجنوب، وأهل مكة يستعلمون هذا الاسم كثيراً» وفي القاموس الأزيب: كالأحمر الجنوب أو النكباء تجري بينها وبين الصبا والأمر المنكر والداهية.

* **الأصل:**

٢٦٦ ـ عليُّ بن إبراهيم، عن صالح بن السنديّ، عن جعفر بن بشير، عن زريق أبي العباس، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **أتى قوم رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله إنَّ بلادنا قد قحطت وتوالت السنون علينا فادع الله تبارك وتعالى يرسل السّماء علينا فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالمنبر فأُخرج واجتمع النّاس فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله ودعى وأمر النّاس أن يُأَمِّنوا فلم يلبث أن هبط جبرئيل فقال: يا محمّد أخبر النّاس أنّ ربّك قد وعدهم أن يمطروا يوم كذا وكذا وساعة كذا وكذا فلم يزل النّاس ينتظرون ذلك اليوم وتلك السّاعة حتّى إذا كانت تلك الساعة أهاج الله عزَّ وجلَّ ريحاً فأثارت سحاباً وجلّلت السّماء وأرخت عزاليها فجاء أُولئك النفر بأعيانهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا يا رسول الله أُدع الله لنا أن يكفَّ السماء عنّا فإنّا كدنا أن نغرق فاجتمع النّاس ودعى النبيُّ صلى الله عليه وآله وأمر النّاس أن يؤمنوا على دعائه فقال له رجل من النّاس: يا رسول الله أسمعنا فإنَّ كلَّ ما تقول ليس نسمع فقال: قولوا: اللّهمّ حوالينا ولا علينا اللّهمَّ صبّها في بطون الأدوية وفي نبات الشجر وحيث يرعى أهل الوبر، اللّهمَّ اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً** (٢).

* **الشرح:**

قوله: (فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله إن بلادنا قد قحطت وتوالت السنون علينا فادع الله تعالى يرسل السماء علينا) السنة القحط والمجدبة من الأرض، والسماء: السحاب أو المطر والقحط قد ينسب إلى المطر يقال: قحط المطر بفتح القاف والحاء: أي قل واحتبس وانقطع، وقد ينسب إلى غيره يقال: قحط النّاس وقحط البلاد بفتح القاف وكسر الحاء وحكي بضم القاف أيضاً: أي أصابهم

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٣. (٢) الكافي: ٨ / ١٨٣.

القحط كذا في المغرب وبعض حواشيه وقال الآبي مثلة في كتاب إكمال الإكمال وقال الجوهري: القحط: الجدب وقحط المطر يقحط قحوطاً إذا احتبس وحكى الفراء قحط المطر بالكسر يقحط وأقحط القوم أي أصابهم القحط وقحط أيضاً على ما لم يُسم فاعله قحطاً .

(فأمر رسول الله ﷺ بالمنبر فأخرج) دل على أن إخراج المنبر إلى الصحراء مستحب في الاستسقاء وقد مر في باب صلاة الاستسقاء ما يدل على ذلك فهو حجة على ابن الجنيد حيث قال: والأظهر في الروايات أنه لا ينقل المنبر بل يكون كمنبر العيد معمولاً من طين والروايات الّتي رأيناها لا يدل على ما ذكره والله يعلم (وأمر الناس أن يُأمّنوا) أمن فلان تأميناً قال بعد الدعاء : آمين بالمد والقصر ومعناه اللهم استجب أو كذلك فليكن أو كذلك فافعل (وجللت السماء): أي غمرت وعمت، يقال: جلل الشيء تجليلاً غمر والمجلل: السحاب الذي يجلل الأرض بمطر أي يعم (وأرخت عزاليها) قد مر مراراً فلا نعيد (قد كدنا أن نغرق) غرق في الماء من باب علم غرقاً وأغرقه غيره (اللهم حوالينا ولا علينا يقال رأيت الناس حوله وحواليه بفتح اللام أي مطبقين به من جوانبه أراد أنزال الغيث في مواضع النبات لا في مواضع الأبنية وفيه أدبه الكريم إذ لم يدع برفعه لأنه رحمة بل دعى بكشف ما يضرهم وإنزاله إلى حيث يبقى نفعه وخصبه ولا يستضر به ساكن ولا ابن سبيل فيجب التأدب بمثله في مثل هذا (وحيث يرعى أهل الوبر) يرعى من باب منع والوبر الإبل .

*** الأصل:**

٢٦٧ ـ جعفر بن بشير، عن زريق، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **ما أبرقت قطّ في ظلمة ليل ولا ضوء نهار إلّا وهي ما طرة** [١].

*** الشرح :**

قوله: (ما أبرقت قط . انتهى): أي ما أبرقت السماء، يقال: برقت السماء بروقاً وأبرقت إذا لمعت أو جاءت ببرق .

*** الأصل:**

٢٦٨ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن ابن العرزميّ رفعه قال: **قال أمير المؤمنين عليه السلام وسئل عن السحاب أين يكون؟ قال: يكون على شجر على كثيب على شاطيء البحر يأوي إليه فإذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يرسله أرسل ريحاً فأثارته**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٣.

ووكّل به ملائكة يضربوه بالمخاريق وهو البرق فيرتفع ثمَّ قرأ الآية « الله الّذي أرسل الرِّياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميّت . الآية » والملك اسمه الرَّعد [١].

*** الشرح :**

قوله: (على « كثيب » هو الرمل المستطيل المحدودب (يضربونه بالمخاريق) من طريق العامة عن علي عليه السلام: « البرق مخاريق الملائكة » قال في النهاية: هي جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً، أراد أنها آلة تزجر بها الملائكة السحاب . وتسوقه ويفسره حديث ابن عباس « البرق سوط من نور تزجر به الملائكة السحاب » .

*** الأصل:**

٢٦٩ ـ عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن مثنّى الحنّاط ومحمّد بن مسلم قالا : **قال أبو عبدالله عليه السلام : من صدق لسانه زكى عمله ومن حسنت نيّته زاد الله عزَّ وجلَّ في رزقه ومن حسن بره بأهله زاد الله في عمره** [٢].

*** الشرح :**

قوله: (من صدق لسانه زكى عمله) لأن استقامة اللسان تابعة لاستقامة القلب وهي تقتضي جميع الجوارح وزكاء جميع الأعمال الصادرة منها أو لأن أعمال اللسان أعظم وأكثر من أعمال جميع الجوارح إذ هو يحكي عن جميع أعمال الظواهر ويخبر عن أسرار الضمائر فاذن استقامته إنما تكون باستقامة جميع الأعمال وتوجب زكاءها (ومن حسنت نيته) في الأعمال والأخلاق وتحصيل الأرزاق وخلصت لله عز وجل (زاد الله عزّ وجل في رزقه) لأنه المتقي والمتقي مرزوق من حيث لا يحتسب كما نطق به القرآن الكريم .

*** الأصل:**

٢٧٠ ـ الحسين بن محمّد الأشعريّ ، عن معلّى بن محمّد ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن الحسن بن محمّد الهاشميّ قال : **حدِّثني أبي عن أحمد بن محمّد بن عيسى قال : حدثني جعفر بن محمّد ، عن أبيه عن جدِّه عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله تبارك وتعالى لابن آدم : إن نازعك بصرك إلى بعض ما حرَّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق ولا تنظر ، وإن نازعك لسانك إلى بعض ما حرَّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق ولا تكلّم ، وإن نازعك فرجك إلى بعض ما حرَّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق ولا تأت حراماً.**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٣. (٢) الكافي: ٨ / ١٨٤ .

*** الشرح :**

قوله: (فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق ولا تنظر) الطبق محركة غطاء كل شيء وأطبقه غطاه .

*** الأصل:**

٢٧١ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عليّ بن أسباط ، عن مولى لبني هاشم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **ثلاث من كنّ فيه فلا يرج خيره : من لم يستح من العيب و يخش الله بالغيب ويرعو عند الشيب .**

*** الشرح :**

قوله: (من لم يستح من العيب) فينقل قبائح أعماله ورذائل أخلاقه عند الناس ولا يبالي اطلاع الناس عليها (ويخش الله بالغيب) أي لم يخش الله حال كونه متلبساً بالغيب والخفاء فيقول ويعمل في السر ما لا يجوز شرعاً أو عقلاً وحاله في ذلك كحال المنافق . ويحتمل أن يراد بالغيب القلب أي لم يخش الله بقلبه وإنما يظهر الخشية بلسانه وجوارحه (ويرعو عند الشيب) في القاموس الرعو والرعوة ويثلثان والرعوى ويضم والارعواء والرعياء بالضم: التورع عن الجهل وحسن الرجوع عنه وقد ارعوى، وفي النهاية ارعوى عن القبيح يرعوي ارعواء: إذا انكف عنه وانزجر منه . والشيب بياض الشعر كالمشيب وقال الأصمعي: المشيب: دخول الرجل في حد الشيب.

*** الأصل:**

٢٧٢ ـ أبو عليّ الأشعري ، عن محمّد بن عبدالجبّار ، عن الحجّال قال : **قلت لجميل بن درّاج قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا أتاكم شريف قوم فأكرموه ؟ قال : نعم ، قلت له : وما الشريف ؟ قال : قد سألت أبا عبدالله عليه السلام عن ذلك فقال : الشريف من كان له مالٌ قال : قلت : فما الحسيب » قال : الذي يفعل الأفعال الحسنة بما له ، وغير ماله . قلت : فما الكرم ؟ قال : التقوى** [1].

*** الشرح :**

قوله: (الشريف من كان له مال) بين ما هو المراد من قوله صلى الله عليه وآله « **إذا أتاكم شريف قوم فأكرموه** » وليس المراد بيان حقيقة الشريف بدليل أن الشريف يطلق أيضاً على من هو شريف في الدين وفي القاموس شرف ككرم شرفاً محركة علا في دين أو دنيا (قلت: فما الحسيب؟ قال: الذي يفعل الأفعال الحسنة بما له وغير ما له) هذا يقوّي قول من قال الحسب يكون في الرجل باعتبار أعماله

(١) الكافي: ٨ / ١٨٤ .

الحسنة وإن لم يكن له آباء لهم شرف وهو حجة على من قال بأنه في الأصل الشرف بالإباء وما يعده الإنسان من مفاخرهم ويؤيده ما روي من طرق العامة « حسب الرجل دينه ومروءته وخلقه » (قلت: فما الكرم؟ قال: التقوى) أي التحرز عما يوجب الإثم ومن طريق العامة « الكرم التقوى » وهذا يقرر ما في قوله تعالى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وليس الغرض بيان حقيقة الكرم وأنه التقوى فقط بدليل أن الكرم يطلق على الجود ، ومن أسمائه تعالى الكريم وهو الكريم المطلق لأنه الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه لا يريد الجزاء ولا يرى سبق الاستحقاق.

*** الأصل:**

٢٧٣ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفليّ ، عن السّكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **قال رسول الله** صلى الله عليه وآله : **ما أشدّ حزن النساء وأبعد فراق الموت ؟! وأشدّ من ذلك كله فقر يتملّق صاحبه ثمّ لا يعطي شيئاً** [١].

*** الشرح :**

قوله: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أشد حزن النساء) إذ الزاجر عنه وهو الصبر على المصائب والنوائب وفقد المقاصد والمطالب الدنيوية مفقود فيهن لضعف عقولهن (وما أبعد فراق الموت) لعل المراد أن الفراق عن الموت بعيد والفرار منه صعب شديد لكونه قريباً ضروري الوقوع « قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم » (وأشد من ذلك كله فقر يتملق صاحبه ثم لا يعطي شيئاً) في الكنز تملق «چاپلوسى كردن و دوستى نمودن» وفي النهاية التملق بالتحريك: الزيادة في التودد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغي.

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٥.

حديث يأجوج ومأجوج

*** الأصل:**

٢٧٤ ـ الحسين بن محمّد بن الأشعريّ، عن معلّى بن محمّد، عن أحمد بن محمّد بن عبدالله، عن العباس بن العلاء، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: **سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلق فقال: خلق الله ألفاً ومائتين في البرِّ وألفاً ومائتين في البحر وأجناس بني آدم سبعون جنساً والنّاس ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج** (١).

*** الشرح:**

قوله (حديث يأجوج ومأجوج، قال القاضي: هما إسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم إذا أسرع وأصلهما الهمزكما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث وفي القاموس من لا يهمز هما يجعل الألفين زائدتين (فقال: خلق الله ألفاً ومائتين في البر وألفاً ومائتين في البحر) كأن المراد بها الأصناف بقرينة قوله (وأجناس بني آدم سبعون جنساً) إذ المراد بها الأصناف (والناس ولد آدم ماخلا يأجوج ومأجوج) هما أمة عظيمة في الكثرة والبطش أما الكثرة فلقوله تعالى « وهم من كل حدب ينسلون » ولما نقل من طريق العامة « ان أولهم يمر ببحيرة طبرية فيشربونها ويمر آخرهم فيقولون كان في هذه ماء، وأما البطش فلقوله تعالى « إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض » وقيل ان الواحد منهم ذكر وأنثى لا يموت حتى يلد ألفاً فإذا ولدها كان علامة موته، وأنهم يتسافدون في الطرقات كالبهائم، ويقال: إن في خلقهم تشويها فمنهم المفرط في الطول كالنخلة وفي القصر كالشبرودونه ومنهم صنف طوال الأذن الواحدة موبرة يشتّي فيها والأخرى جلدة يصيّف فيها، ويقال: إنه يأكل بعضهم بعضاً واختلفوا في أصلهم فهذا الحديث ظاهره دل على أنهم ليسوا من ولد آدم.

وقال عكب: هم بادرة من آدم دون حوا احتلم فاختلطت نطفته بالتراب فكان عن ذلك يأجوج ومأجوج، ورده القرطبي بأن الأنبياء عليهم السلام لا يحتلمون، وقال جماعة منهم القاضي: إنهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح، وقيل في كتاب العلل تصريح بأنهما من أولاد نوح عليه السلام ونقل الآبي في كتاب إكمال الإكمال عن مقاتل أنهما أمة من الترك ومساكنهم وراء السد طول السد بين الجبلين، قيل: مائة

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٥.

فرسخ وعرضه خمسون فرسخاً، وقال الجزري: جبل الردم الذي فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهي إلى البحر المظلم والكلام في بعثة الرسول إليهم وعدمها وفي إيمانهم وعدمه طويل إذ لا نص عندنا على ذلك والقرآن العزيز إنما أخبر أنهما مفسدون في الأرض والفساد أعم من الكفر وقد قيل: إن إفسادهم كان بأكل الناس وافتراس الدواب كافتراس السبع وإهلاك الحرث ونقل من طريق العامة ما يدل على كفرهم ولكن الأكثر توقفوا فيه والتحقيق أن لهم أربع حالات: الأُولى: قبل السد عليهم وهم حينئذ كغيرهم لمخالطتهم أهل الأرض فكفرهم وعدمه حينئذ محتمل لأنا لم نقف ما يدل على شيء منهما. الثانية بعد السد إلى مجيء الإسلام وهذه مثل السابقة لأنا لم نقف ما يدل على أن الله تعالى أرسل إليهم رسولاً منهم، وعلى أنه بلغتهم دعوة رسول من غيرهم والظاهر عدم بلوغ الدعوة لتعذر وصولها إليهم ، الثالثة: بعد مجيء الاسلام إلى زمان خروجهم وهذه أيضاً مثل السابقة لاحتمال بلوغ دعوة نبينا ﷺ اليهم فآمنوا أوكفروا واحتمال عدم بلوغها فلا يتصفون بالكفر لأن بلوغ التكليف شرط للحكم بذلك وفي طريق العامة نقل واثلة وأبو عمرو عن وهب بن منبه أنه قال رسول الله ﷺ « انطلق بي جبرئيل عليه السلام ليلة أسري بي فدعوت يأجوج ومأجوج فلم يجيبوني فهم في النار مع المشركين من ولد آدم وإبليس هذا صريح في بلوغ الدعوة وفي الكفر، لكن قال أكثر علمائهم هو من الأخبار الّتي لا تصح من جهةالسند إذ لا سند له وإنما هو من الأقاصيص الّتي تؤدي مقطوعة ومرسلة ولا من جهة المعنى لتعذره عادة ولظلمة الليل والنوم وافتراقهم في منازلهم فكيف يجتمعون له حتى يدعوهم ويقرأ عليهم القرآن فينظرون في معجزاته، وأيضاً فالزمان ضيق عن فهمهم وتفهيمه لهم التفهيم الذي تقوم به الحجة . الرابعة بعد خروجهم من السد في آخر الزمان فهم في ذلك الزمان كغيرهم من الخلائق مكلفون بشريعة نبينا ﷺ بتبليغ صاحب الامر عليه السلام ولكن لا يؤمنون على ما قيل والله يعلم حقيقة أحوالهم.

*** الأصل:**

٢٧٥ ـ الحسين بن محمّد الأشعريّ ، عن معلّي بن محمّد ، عن الحسن بن عليّ الوشّاء ، عن مثنّى ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **[إنّ] الناس طبقات ثلاث : طبقة هم منّا ونحن منهم ، وطبقة يتزيّنون بنا ، وطبقة يأكل بعضهم بعضاً [بنا [1]].**

*** الشرح :**

قوله (ان الناس طبقات ثلاث طبقة هم منا ونحن منهم) أي هم من زمرتنا ونحن من زمرتهم

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٥.

لثبوت المتابعة والإنقياد وقبول الهداية والإرشاد وهم الشيعة كلهم (وطبقة يتزينون بنا) وهم أهل الاسلام المنتسبون إلى أجداده عليهم السلام لأن الاسلام منهم عليه السلام وهم مبادية وان لم تكن تلك الزينة نافعة لهم يوم القيامة لتركهم أعظم أركان الإسلام (وطبقة يأكل بعضهم بعضاً) أي يهلك بعضهم بعضاً بوضع قوانين الشرك والكفر أو يلعن بعضهم بعضاً يوم القيامة كما قيل وهم سائر الناس ويحتمل أن يراد بالطبقة الأُولى خواص الشيعة وخلصهم، وبالثانية: ضعفاؤهم، بالثالثة: سائر الناس والله يعلم.

*** الأصل:**

٢٧٦ ـ عنه ، عن معلّى ، عن الوشّاء، عن عبدالكريم بن عمرو ، عن عمّار بن مروان ، عن الفضيل بن يسار قال : **قال أبو جعفر** عليه السلام : **إذا رأيت الفاقة والحاجة قد كثرت وأنكر النّاس بعضهم بعضاً فعند ذلك فانتظر أمر الله عزَّ وجلَّ ، قلت : جعلت فداك هذه الفاقة والحاجة قد عرفتهما فما إنكار النّاس بعضهم بعضاً ؟ قال : يأتي الرَّجل منكم أخاه فيسأله الحاجة فينظر إليه بغير الوجه الذي كان ينظر إليه ، ويكلّمه بغير اللّسان الذي كان يكلّمه به** (١).

*** الشرح :**

قوله: (إذ رأيت الفاقة والحاجة قد كثرت وأنكر الناس بعضهم بعضاً . انتهى) لعل المراد بالفاقة والإنكار فيما بين الشيعة ويحتمل مطلقاً وهذه من علامات ظهور الصاحب عليه السلام لأنه إنما يظهر عند شدة الزمان وفقد الرحمة بين الخلق كما بعث النبي صلى الله عليه وآله في مثل ذلك الزمان .

*** الأصل:**

٢٧٧ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن محمّد بن عليّ، عن عبيد بن يحيى ، عن محمّد بن الحسين ، عن عليٍّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام قال : **قال أمير المؤمنين** عليه السلام : **ووكّل الرّزق بالحمق ووكّل الحرمان بالعقل ووكّل البلاء بالصبر** (٢).

*** الشرح :**

قوله: (وكّل الرزق بالحمق ووكّل الحرمان بالعقل) وكّل على صيغة المجهول تقول وكلت الأمر به وإليه أكله وكلا ووكولا إذا سلمته إليه وتركته معه ولعل السرفيه أن الأحمق يطلب الدنيا فيجدها كما قال الله تعالى « ومن يرد حرث الدنيا نزد له في حرثه » والعقل يترك الدنيا ويطلب الآخرة فيصيبه قليل في الدنيا أو الوجه فيه أن يعلم العقل أن الرزق بيد غيره لا يناله بالتدبير فيحصل له بذلك زيادة معرفة (ووكل البلاء بالصبر) فلو لم يكن الصبر لم يكن البلاء لانه بدون الصبر مستقل

(١) الكافي: ٨ / ١٨٥.

(٢) الكافي: ٨ / ١٨٦.

في الهدم والهضم كما روي لولا أن الصبر خلق قبل البلاء لتفطر المؤمن كما تنفطر البيضة على الصفا وروي « **من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز** » .

*** الأصل:**

٢٧٨ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمّد بن عبد الحميد العطّار ، عن يونس بن يعقوب ، عن عمر أخي عذافر قال : **دفع إليَّ إنسانٌ ستّمائة درهم ـ أو سبعمائة درهم ـ لأبي عبدالله عليه السلام فكانت في جوالقي فلمّا انتهيت إلى الحفيرة شقّ جوالقي وذهب بجميع ما فيه ووافقت عامل المدينة بها فقال : أنت الذي شقّت زاملتك وذهب بمتاعك ؟ فقلت : نعم ، فقال: إذا قدمنا المدينة فأتنا حتّى أعوّضك قال : فلمّا انتهيت إلى المدينة دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال: يا عمر شقّت زاملتك وذهب بمتاعك ؟ فقلت : نعم ، فقال : ما أعطاك الله خيرٌ ممّا أخذ منك ، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ضلّت ناقته فقال الناس فيها : يخبرنا عن السماء ولا يخبرنا عن ناقته فهبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمّد ناقتك في وادي كذا وكذا ملفوف خطامها بشجرة كذا وكذا قال : فصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال : يا أيّها النّاس أكثرتم عليَّ في ناقتي ألا وما أعطاني الله خير ممّا أخذ منّي ، ألا وإنَّ ناقتي في وادي كذا وكذا ملفوف خطامها بشجرة كذا وكذا ، فابتدرها النّاس فوجدوها كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : ثمَّ قال : ائت عامل المدينة فتنجز منه ما وعدك فانّما هو شيء دعاك الله إليه لم تطلبه منه** [١].

*** الشرح :**

قوله: (دفع إلى إنسان ستمائة أو سبعمائة درهم لأبي عبدالله عليه السلام فكانت في جوالقي فلما انتهيت إلى الحفيرة انتهى) الجوالق بكسر الجيم واللام وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها: وعاء معروف والجمع جوالق كصحائف وجوالقات وفي الكنز أنه فارسي معرب يقال له بالفارسية «خورجين» والحفيرة بضم الحاء وفتح الفاء: موضع بين ذي الحليفة ومكة يسلكه الحاج، والزاملة: الّتي يحمل عليها من الإبل وغيرها والمراد بها هنا الجوالق مجازاً من باب إطلاق المحل على الحال (ما أعطاك خير مما أخذ منك) وهو دين الحق وولاية علي عليه السلام أو الثواب في الآخرة أو ما يعطيك عامل المدينة باعتبار أنه أكثر على احتمال بعيد وفيه تسلية له وترغيب في الشكر (ثم قال: ائت عامل المدينة فتنجز منه ما وعدك فإنما هو شيء دعاك الله إليه لم تطلبه منه) تنجز أمر من تتنجز يقال: تنجز الرجل حاجته إذا استنجحها وظفر بها .

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٦.

* **الأصل:**

٢٧٩ ـ سهل، عن محمّد بن عبدالحميد، عن يونس، عن شعيب العقرقوفي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: **شيء يروى عن أبي‌ذرّ رضي الله عنه أنّه كان يقول: ثلاثة يبغضها الناس وأنا أُحبّها أُحبّ الموت، وأُحبّ الفقر، وأُحبُّ البلاء؟ فقال: إنَّ هذا ليس على ما يروون إنّما عنى: الموت في طاعة الله أحبُّ إليَّ من الحياة في معصية الله، والبلاء في طاعة الله أحبُّ إليَّ من الصحّة في معصية الله، والفقر في طاعة الله أحبُّ إليَّ من الغنىٰ في معصية الله** (١).

* **الشرح:**

قوله: (انما عنى الموت في طاعة الله أحب إليَّ من الحياة في معصية الله. انتهى) أشار إلى أنه لم يحب الموت على الإطلاق ولم يكره الحياة كذلك بل أحب الموت في الطاعة وكره الحياة في المعصية، وأما الحياة في الطاعة فهي أمر مطلوب للمؤمن إذ بقية عمر المؤمن عطية يتدارك بها ما فات ويستعد بها لما هو آت وكذا رجحان البلاء والفقر في الطاعة عند العقلاء على الصحة والغنى في المعصية واضح وأما رجحان للصحة والغنى في الطاعة على البلاء والفقر فيها فمشكل والظاهر رجحان البلاء والفقر لأن فيهما صبران وفي الأولين صبر واحد والثواب والجزاء يتفاوت باعتبار تفاوت الصبر والله يعلم.

* **الأصل:**

٢٨٠ ـ سهل بن زياد، عن محمّد بن عبدالحميد، عن يونس، عن عليِّ بن عيسى القمّاط، عن عمّه قال: **سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: هبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله صلى الله عليه وآله كان كئيباً حزين؟ فقال: يارسول الله مالي أراك كئيب حزيناً؟ فقال: إنّي رأيت اللّيلة رؤيا قال: وما الذي رأيت؟ قال: رأيت بني أُميّة يصعدون المنابر وينزلون منها قال: والذي بعثك بالحقِّ نبيّاً ما علمت بشيء من هذا، وصعد جبرئيل عليه السلام إلى السماء ثمَّ أهبطه الله جلّ ذكره بآي من القرآن يعزّيه بها قوله: « أفرأيت إن متّعناهم سنين * ثمَّ جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون » وأنزل الله جلَّ ذكره (إنّا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر » للقوم، فجعل الله عزَّ وجلَّ ليلة القدر لرسوله خيراً من ألف شهر** (٢).

* **الشرح:**

قوله: (ثم أهبطه الله عز وجل بآى من القرآن يعزيه بها) الآي كالآيات جمع آية: وهي العلامة

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٦. (٢) الكافي: ٨ / ١٨٧.

والشخص ووزنها فعلة محركة أو فاعلة والتعزية التسلية والحمل على العزاء وهو الصبر على البلاء والمصيبة (أفرأيت إن متعناهم سنين) أي تركنا هم ينتفعون وفي الكنز تمتع «برخورداری دادن» أو أبقيناهم وعمرناهم (ثم جاءهم ماكانوا يوعدون) من الاهلاك والاستئصال والعقاب (ماأغنى عنهم ماكانوا يمتعون) أي ما نفعهم ماكانوا ينتفعون به من الملك والإمارة ولا يدفع البأس عنهم (وأنزل الله جل ذكره إنا أنزلناه) أي القرآن كله إلى السماء الدنيا على السفرة أو إلى اللوح المحفوظ (في ليلة القدر) ثم نزل به الروح الأمين إلى النبي ﷺ نجوماً في مدة ثلاث وعشرين سنة (وما أدراك ما ليلة القدر) فيه تفخيم لشأنها وتعظيم لشرفها (ليلة القدر خير من ألف شهر) لم تكن فيها ليلة القدر ، وقوله « للقوم» صفة لألف شهر والمراد بهم بنو أُميّة وتعلقه بخير وحمل القوم على المؤمنين بعيد .

*** الأصل:**

٢٨١ ـ سهل بن زياد ، عن محمّد بن عبدالحميد ، عن يونس ، عن عبدالأعلى قال : **سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » قال : فتنة في دينه أو جراحة لا يأجره الله عليها** [1].

*** الشرح :**

قوله (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) بترك الامتثال أو بعدم الاقرار به والأول أنسب (إن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) الفتنة: الامتحان والإختبار وفيه فتنة القبر وفتنة الدجال وغير ذلك ثم كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم والكفر والقتال والإحراق والإزالة والصرف عن الحق والعذاب أعم من الجراحه وغيرها ولعل ذكر الفتنة في الدين والجراحة من باب التمثيل .

*** الأصل:**

٢٨٢ ـ سهل بن زياد ، عن محمّد ، عن يونس ، عن عبدالأعلى قال : **قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّ شيعتك قد تباغضوا وشنىء بعضهم بعضاً فلو نظرت ـ جعلت فداك ـ في أمرهم فقال : لقد هممت أن أكتب كتاباً لا يختلف عليَّ منهم اثنان : قال: فقلت : ماكنّا قطُّ أحوج إلى ذلك منّا اليوم ، قال : ثمَّ قال : إنّى هذا ومروان و ابن ذرّ ؟ ! قال : فظننت أنّه قد منعني ذلك ، قال : فقمت من عنده فدخلت على إسماعيل فقلت : يا أبا محمّد إنّي ذكرت لأبيك اختلاف شيعته وتباغضهم فقال :**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٧.

لقد هممت أن أكتب كتاباً لا يختلف عليَّ منهم اثنان، قال: فقال ما قال مروان وابن ذرّ! قلت: بلى، قال: يا عبدالأعلى إنَّ لكم علينا لحقاً كحقّنا عليكم والله ما أنتم إلينا بحقوقنا أسرع منّا إليكم، ثمَّ قال: سأنظر، ثمَّ قال: يا عبدالأعلى ما على قوم إذا كان أمرهم أمراً واحداً متوجّهين إلى رجل واحد يأخذون عنه ألّا يختلفوا عليه ويسندوا أمرهم إليه، يا عبدالأعلى إنّه ليس ينبغي للمؤمن وقد سبقه أخوه إلى درجة من درجات الجنّة أن يجذبه عن مكانه الذي هو به ولا ينبغي لهذا الآخر الذي لم يبلغ أن يدفع في صدر الذي لم يلحق به ولكن يستلحق إليه ويستغفر الله [١].

*** الشرح:**

قوله: (إن شيعتك قد تباغضوا وشنأ بعضم بعضاً) شنأه كمنعه وسمعه شنئاً ويثلث وشناءة مثل شناعة: أبغضه (فلو نظرت جعلت فداك في أمرهم) بالنصح والإصلاح ولو للتمني أو للشرط والجزاء محذوف ثم قال: (لقد هممت أن أكتب كتاباً إليهم لا يختلف عليَّ منهم اثنان) كناية عن رفع الاختلاف بينهم بالكلية وذكر الاثنين لأنهما أقل محل المنازعة والمخاصمة (ثم قال: إنى هذا ومروان وابن ذر) لعل المراد أنى يمكن هذا الكتاب مع وجودهما أو الحال أنهما موجودان وكأنه عليه السلام كان يتقي منهما ويؤيد هذا الاحتمال قول السائل فظننت أنه قد منعنى ذلك وقول إسماعيل ما قال مروان وابن ذر والله يعلم (يا عبد الأعلى إن لكم علينا لحقاً كحقنا عليكم) الحق الأول: هو الهداية والعدل والنصيحة والإرشاد، والحق الثاني: هو الطاعة والرضى والتسليم والانقياد ثم أشار إلى أنهم عليهم السلام أولى في أداء حقوق الشيعة من الشيعة في أداء حقوقهم بقوله (والله ما أنتم إلينا بحقوقنا أسرع منا إليكم بحقوقكم) وإذا كان كذلك لم يكن منع الكتاب إلّا لمانع منه (ثم قال سأنظر) في أمر الكتاب وإرساله إلى الشيعة وأشاور معه عليه السلام فلعله يكتب، ان رأى فيه صلاحاً (قال: يا عبد الأعلى) على سبيل التعجب والتوبيخ وإظهار نوع من الشكاية من سوء معاملة الشيعة (ما على قوم إذا كان أمرهم أمراً واحداً) وهو دين الحق (متوجهين إلى رجل واحد) يدعوهم إلى ذلك الأمر (يأخذون عنه) ذلك الأمر وغيره مما أمرهم به (ألا يختلفوا عليه)

فإن قلت: إنما اختلفوا فيما بينهم بالتباغض والتحاسد لا عليه.

قلت: اختلافهم باطل غير مرضي عنده عليه السلام وميلهم إلى الباطل اختلاف عليه (ويسندوا أمرهم إليه) أن يتجاوزوا عما أراد منهم من التعاون والتناصر ثم أشار إلى النصح الخالص المقتضي لقوام

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٧.

نظامهم بقوله (يا عبدالاعلى ليس ينبغي للمؤمن وقد سبقة أخوه إلى درجة من درجات الجنة) أي إلى ما يوجبها من العلم والعمل والورع وغير ذلك (أن يجذبه من مكانه الذي هو بـه) بأن ينقص حقه من التعظيم والتوقير وينكر فضله ويحسده ويبغضه (ولا ينبغي لهذا الآخر الذي لم يبلغ) الظاهر أن لم يبلغ مبني للمفعول أي الذي لم يبلغه الأول المسبوق (أن يدفع في صدر الذي لم يلحق به) بأن يذمه ويلومه ويعيره ويحقره ولا يعينه (ولكن يستلحق إليه ويستغفر الله له) ولنفسه والغرض أنه ينبغي لكل واحد أن يعرف حق آخر فالمفضول يقر بـفضل الافـضل يـعين المفضول ويسعى في ترقيه حتى يستقر بالهم وينتظم حالهم وينزلوا منزله الابرار ومرتبة الأخيار.

*** الأصل:**

٢٨٣ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن أبي خالد الكابلي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : **« ضـرب الله مـثلاً رجـلاً فـيه شـركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً » قال : أمّا الذي فيه شركاء متشاكسون ورجلاً الأوّل يجمع المتفرِّقون ولايته وهم في ذلك يلعن بعضهم بعضاً ويبرأ بعضهم من بعض، فأمّـا رجلٌ سلم لرجل فإنّه الأوّل حقّاً وشيعته ثمَّ قال : إنَّ اليهود تفرَّقوا من بعد موسى عليه السلام على إحدى وسبعين فرقة منها فرقة في الجنّة وسبعون فرقة فيالنّار وتفرقت النصارى بعد عيسى عليه السلام على اثنين وسبعين فرقة ، فرقة منها في الجنّة وإحدى وسبعون في النّار وتفرّقت هـذه الأُمّـة بـعد نبيّها صلى الله عليه وآله على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النّار وفرقة في الجنّة ومـن الثـلاث وسبعين فرقة ثلاث عشرة فرقة تنتحل ولايتنا ومودّتنا ، اثنتا عشرة فرقة منها في النّار وفرقة في الجنّة وستّون فرقة من سائر النّاس في النّار** [١].

*** الشرح :**

قوله: (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون): أي مختلفون متنازعون يوم القيامة يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضاً حين رأوا ضلالتهم وإحاطة العذاب بهم وهم الأول وأتباعه كما ذكر عليه السلام (ورجلاً سلماً لرجل) السلم، بالتحريك: الصلح والإستسلام والإذعان والإنقياد، قال الله تعالى « وألقوا إليكم السلم »: أي الإنقياد، وهو مصدر يقع على الواحد والاثنين والجمع وهم علي عليه السلام وشيعته كما ذكر عليه السلام حيث أنه عليه السلام راض عنهم وهم راضون عنه وبينهم الإستسلام فـي الدنيا والآخرة.

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٨.

* **الأصل:**

٢٨٤ ـ وعنه ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **لم تزل دولة الباطل طويلة ودولة الحقِّ قصيرة** (١).

الشرح:

قوله: (لم تزل دولة الباطل طويلة ودولة الحق قصيرة) مدة الباطل وإن كانت قصيرة ومدة الحق طويلة فإن الباطل يزهق ويبقى لكن دولة الباطل وهي ظهوره وشيوعه بين الخلق أكثر من دولة الحق وظهوره بينهم لكثرة أهل الباطل وقلة أهل الحق فيصير الباطل مشهوراً بينهم والحق مغلوباً مستوراً.

* **الأصل:**

٢٨٥ ـ وعنه ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب ، عن يعقوب السّراج قال : **قلت لأبي عبدالله عليه السلام : متى فرج شيعتكم ؟ قال : فقال : إذا اختلف ولد العباس وهي سلطانهم وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم وخلعت العرب أعنّتها ورفع كلُّ ذي صيصية صيصيته وظهر الشاميُّ وأقبل اليمانيُّ وتحرّك الحسنيُّ خرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكّة بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله.**

فقلت : ما تراث رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : سيف رسول الله ودرعه وعمامته وبرده وقضيبه ورايته ولامته وسرجه حتّى ينزل مكّة فيخرج السيف من غمد ويلبس الّدرع وينشر الرّاية والبردة والعمامة ويتناول القضيب بيده ويستأذن الله في ظهوره فيطّلع على ذلك بعض مواليه فيأتي الحسنيَّ فيخبره الخبر فيبتدر الحسنيُّ إلى الخروج . فيثب عليه أهل مكّة فيقتلونه ويبعثون برأسه إلى الشاميّ فيظهر عند ذلك صاحب هذا الأمر فيبايعه الناس ويتبعونه .

ويبعث الشامي عند ذلك جيشاً إلى المدينة فيهلكهم الله عزَّ وجلَّ دونها ويهرب يومئذ من كان بالمدينة من ولد عليٍّ عليه السلام إلى مكّة فيلحقون بصاحب هذا الأمر ويقبل صاحب هذا الأمر نحو العراق ويبعث جيشاً إلى المدينة فيأمن أهلها ويرجعون إليها (٢).

* **الشرح :**

قوله: (إذا اختلف ولد العباس) أي جاء بعضهم بعد بعض وقام بأمر الإماره والسلطنة (ووهى سلطانهم) وهي كوعي وولى تخرق وانشق واسترخى رباطه وضعف (وطمع فيهم) أي في هضمهم وملكهم (من لم يكن يطمع فيهم) وهو هولاكو وقد نهض إليهم من بلاد الترك وماوراء

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٨.   (٢) الكافي: ٨ / ١٨٨.

النهر بتقدير إلهي « وإذا أراد الله أمراً فلا مرد له » (وخلعت العرب أعنتها) العنان ككتاب سير اللجام الذي تمسك به الدابة والجمع أعنة وكان خلعها كناية عن الذل والانكسار والخوف والفرار (ورفع كل ذي صيصية صيصيته): هي بالتخفيف قرن البقر وما خلف رجل الديك والحصن والجمع الصياصي وكأنه كناية عن قيام كل ذي قوة لطلب الملك والرئاسة أو عن رفع السلاح مثل الأسنة والرماح وغيرهما أو عن رفع الحصون والممقلاع حفظاً من تسلط الأعداء والغرض هو الإشارة إلى شدة ذلك الزمان وصعوبة الأمر فيه (وظهر الشامي) كأنه السفياني الدجال (وأقبل اليماني) إلى العراق (وتحرك الحسني) من مكة لإرادة الخروج.

(خرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة) جزاء لقوله إذا اختلف إلى آخره (بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله) التراث بالضم: الميراث وأصله وراث قلبت الواوياء للتخفيف، والدرع معروف وهو المنسوج من الحديد وقد يذكر ويؤنث والبرد بالضم ثوب مخطط وأكسية يلتحف بها . الواحدة بردة والقضيب العود والسيف اللطيف الدقيق القاطع . واللامة بالهمز أداة الحرب كالمغفر والدرع ونحوهما (فيخرج السيف من غمده) يخرج إما من الإخراج وفاعله ضمير الصاحب عليه السلام أو من الخروج والسيف فاعله فيكون ذلك علامة لظهوره عليه السلام وينشر الراية النشر خلاف الطي كالتنشير (والبردة والعمامة) الانسب أنه عطف على الدرع فيدل على جواز العطف على جزء جملة بعد الفصل بجملة أخرى والعطف على الراية بعيد (فيطلع على ذلك بعض مواليه) الأنسب أن ضمير مواليه عائد إلى الحسني المذكور سابقاً وعوده إلى الصاحب بعيد جداً (فيظهر عند ذلك صاحب هذا الأمر) روي الصدوق في كتاب كمال الدين بإسناده عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: « يخرج القائم عليه السلام يوم السبت يوم عاشورا اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام » (ويبعث الشامي عند ذلك جيشاً إلى المدينة فيهلكهم الله عزَّ وجلَّ دونها) بالبيداء بالخسف كما روى (ويقبل صاحب هذا الأمر نحو العراق) أي الكوفة مع عصا موسى والحجر الذي انبجست منه اثنتا عشرة عيناً ومنه طعامهم وشرابهم كما روي .

*** الأصل:**

٢٨٦ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب ، عن مالك بن عطيّة ، عن بعض أصحاب أبي عبدالله عليه السلام قال : **خرج إلينا أبو عبدالله عليه السلام وهو مغضب فقال : إنّي خرجت آنفا في حاجة فتعرَّض لي بعض سودان المدينة فهتف بي : لبّيك يا جعفر بن محمّد لبّيك ، فرجعت عودي على بدئي إلى منزلي خائفاً ذعراً مما قال حتى سجدت في مسجدي لربّي وعفّرت له وجهي وذلّلت له نفسي وبرئت إليه ممّا هتف بي ولو أنَّ عيسى ابن مريم عدا ما قال الله فيه إذا**

لصمّ صمّاً لا يسمع بعده أبداً وعمي عمى لا يبصر بعده أبداً وخرس خرساً لا يتكلّم بعده أبداً ، ثمَّ قال : لعن الله أبا الخطاب وقتله بالحديد (١).

*** الشرح :**

قوله: (فتعرض لي بعض سودان المدينة) وكان غالياً تابعاً لأبي الخطاب (فهتف بي لبيك يا جعفر بن محمّد لبيك) كأنه قصد به ربوبيته عليه السلام أو قال لبيك اللهم يا جعفر بن محمّد لبيك فحذف عليه السلام اللهم لكراهته ذكره في الحكاية ومعناه: أقيم على طاعتك يا رب إقامة بعد إقامة وإجابة بعد إجابة من لب بالمكان وألب إذا أقام به ولم يفارقه وهو مصدر منصوب بفعل مقدر أي ألب ألباباً لك بعد إلباب ، وقيل معناه اتجاهي وقصدي إليك يا رب من قولهم داري تلب دارك أي تواجهها، وقيل معناه إخلاصي لك من قولهم حب لباب إذا كان خالصاً فلا يرد أن مثل هذا الكلام قديقال لقصد تعظيم المخاطب لا لقصد ربوبيته (فرجعت عودي على بدئي إلى منزلي) قال السيد رضى الدين رحمه الله: عودي حال مؤكده وعلى متعلق به أو برجعت ، والبدء مصدر بمعنى الابتداء جعل بمعنى المفعول أي رجعت عائداً على ما ابتدأته . أقول: المقصود منه هو المبالغة في عدم الاستقرار وكون عوده من السير متصلاً بابتدائه ، ثم قال ويجوز أن يكون عودي مفعولاً مطلقاً لرجع أي رجع على يديه عوداً معهوداً وكأنه عهد منه أن لا يستقر على ما ينتقل إليه بل يرجع إلى ما كان عليه قبل (خائفاً ذعراً مما قال) الذعر بالضم: اسم من أذعرته ذعراً إذا أفزعته وأخفته وخوفه عليه السلام من الله كخوف الوزير من غيرة السلطان ومؤاخذته عند نسبة الرعية إليه السلطنة وتسميته سلطاناً وإن لم يكن له تقصير فيه (ولو أن عيسى ابن مريم عدا ما قال الله فيه) أي جاوز عما قال الله في وصفه من أنه رسوله وكلمته إلى ما عداه من الربوبية والصفات المختصة بالرب (إذا لصم صمماً لا يسمع بعده أبداً . انتهى) الظاهر منه ومن نظائره المعنى الحقيقي مع احتمال حمله على المعنى المجازي وهو على الأول مختص بأهل الكمال عند تجاوزهم عن حدهم بدليل أن بعض الجهلة ادعى الربوبية لنفسه ولم يصم ولم يعم ولم يخرس حقيقة (ثم قال: لعن الله أبا الخطاب) اسمه محمّد بن مقلاص وكان غالياً ملعوناً يعتقد بأن جعفر بن محمّد إله وكان يدعو من تبعه إليه وأمره مشهور .

*** الأصل:**

٢٨٧ ـ عنه عن أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب ، عن جهم بن أبي جهمة ، عن بعض موالي

---

(١) الكافي: ٨ / ١٨٩.

أبي الحسن عليه السلام قال: **كان عند أبي الحسن موسى عليه السلام رجلٌ من قريش فجعل يذكر قريشاً والعرب فقال له أبوالحسن عليه السلام عند ذلك، دع هذا، الناس ثلاثة عربيٌّ ومولى وعلج فنحن العرب وشيعتنا الموالي ومن لم يكن على مثل ما نحن عليه فهو علج فقال القرشيّ: تقول هذا يا أبا الحسن؟! فأين أفخاذ قريش والعرب؟ فقال أبوالحسن عليه السلام: هو ما قلت لك** (١).

*** الشرح:**

قوله: (كان عند أبي الحسن موسى عليه السلام رجل من قريش فجعل يذكر قريشاً والعرب. انتهى) تفاخر الرجل بشرافة الآباء والأنساب والقبائل باعتبار الشهرة أو بنوع من المزية الدنيوية وهذه مفاخرة جاهلية مذمومة في القرآن والأخبار ولذلك أمره عليه السلام بتركها وزجرها عنها بقوله (دع هذا، الناس ثلاثة: عربي ومولى وعلج فنحن العرب وشيعتنا الموالي ومن لم يكن على مثل ما نحن عليه فهو علج) أشار بتقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام إلى أن المزية والكمال والشرافة المعتبرة شرعاً وعقلاً إنما هي دينية وأراد بالعرب من قنن القوانين والشرعية وأوضحها وبين الأمور الدينية وأفصحها وهو محمّد صلى الله عليه وآله وأوصياؤه عليهم السلام وبالموالي من تبعهم ونصرهم وأحبهم ووفى وهم الشيعة، وبالعلج: وهو الحمار الوحشي، والكافر: العجمي الذي لا يفهم المقاصد ولا يعرف المراشد من سواهم ولما كان ذلك الرجل رسخ في طبعه ما ذكره أو لا قال من باب التعجب (تقول هذا يا أبا الحسن فأين أفخاذ قريش والعرب) الأفخاذ: جمعَ فخذ ككتف وهو دون البطن والبطن دون عمارة بفتح العين وكسرها وهي دون قبيلة وهي دون شعب هو بمنزلة الجنس كما نقلنا عن بعض المحققين سابقاً. وفي المصباح الفخذ بالكسر دون القبيلة وفوق البطن وقيل دون البطن وفوق القبيلة وفي القاموس الفخذ حي الرجل إذا كان أقرب عشيرته.

*** الأصل:**

٢٨٨ ـ عنه، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن الأحول، عن سلّام بن المستنير قال: **سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدِّث: إذا قام القائم عرض الإيمان على كلِّ ناصب فإن دخل فيه بحقيقته وإلّا ضرب عنقه أو يؤدِّي الجزية كما يؤدِّيها اليوم أهل الذِّمة ويشدّ على وسطه الهميان ويخرجهم من الأمصار إلى السواد** (٢).

*** الشرح:**

قوله: (إذا قام القائم عرض الإيمان على كل ناصب فإن دخل فيه بحقيقة والا ضرب عنقه أو

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩٠. (٢) الكافي: ٨ / ١٩٠٢.

يؤدي الجزية . انتهى) الهميان بالكسر: شداد السراويل ووعاء الدراهم ، والسواد من البلد: قراها، والمراد بحقيقة الإيمان الإيمان الخالص وبالناصب غير الإمامية من فرق الإسلام، وفي هذا الخبر دلالة على أنه عليه السلام يقبل الجزية منهم إن لم يؤمنوا إيماناً خالصاً إلّا أنه ضعيف وعلى تقدير العمل به فلعل الجمع بينه وبين ما روي من أنه يضع الجزية عند ظهوره أنه يضعها عن أهل الكتاب فإنهم حينئذ بمنزلة الحربي لا يرفع عنهم السيف حتى يؤمنوا أو يقتلوا والله أعلم .

٢٨٩ ـ الحسين بن محمّد الاشعريُّ ، عن عليِّ بن محمّد بن سعيد ، عن محمّد بن مسلم بن أبي سلمة عن محمّد بن سعيد بن غزوان[١] عن محمّد بن بنان ، عن أبي مريم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **قال أبي عليه السلام يوماً وعنده أصحابه : من منكم تطيب نفسه أن يأخذ جمرة في كفّه فيمسكها حتّى تطفأ ؟ قال : فكاع الناس كلّهم ونكلوا ، فقمت وقلت : يا أبة أتأمر أن أفعل ؟ فقال : ليس إيّاك عنيت إنمّا أنت منّي وأنا منك ، بل إيّاهم أردت [قال:] وكرّرها ثلاثاً ، ثمّ قال : أأكثر الوصف وأقلَّ الفعل ؟ ! إنّ أهل الفعل قليل ، إنَّ أهل الفعل قليلٌ ، ألا وإنّا لنعرف أهل الفعل والوصف معاً وما كان هذا منا تعاميا عليكم بل لنبلوا أخباركم ونكتب آثاركم ، فقال : والله لكأنّما مادت بهم الأرض حياءً مما قال حتّى أنّي لأنظر إلى الرَّجل منهم يرفضّ عرقاً ما يرفع عينيه من الأرض فلمّا رأى ذلك منهم قال: رحمكم الله فما أردت إلّا خيراً ، إنَّ الجنّة درجات فدرجة أهل الفعل لا يدركها أحدٌ من أهل القول ودرجة أهل القول لا يدركها غيرهم . قال : فوالله لكأنّما نشطوا من عقال** [٢].

*** الشرح :**

قوله: (فكاع الناس كلهم ونكلوا) الكيع الجبن والخوف تقول كعت عنه أكيع إذا هبته وجنبت عنه، والنكول عن الشيء: الامتناع منه وترك الإقدام عليه ، ثم قال: (ما اكثر الوصف وأقل الفعل) أي: من وصف نفسه بالتشيع كثير والفاعل العامل بلوازمه قليل جداً وما ذلك إلّا لضعف يقينهم حيث لم يستيقنوا بأن المعصوم لا يطلب منهم ما يضرهم ولو أخذوا جمرة لصارت عليهم برداً وسلاماً كما صارت على خليل الرحمن نظير ذلك مانقل أن موسى عليه السلام عند تعاقب فرعون أمر قومه بالمرور على وجه البحر فلم يقبل منه إلاّ يوشع فمضى عليه راكباً سالماً غانماً (ألا وأنا لنعرف أهل

---

١ ـ الظاهر كما سيأتي تحت رقم ٣١٤ هو محمّد بن سالم بن أبي سلمة المعنون في فهرست الشيخ فصحف وذلك نشأ من اختلاف كتابه سلم وسالم وسفين وسفيان وعثمن وعثمان وعلي بن محمّد بن سعيد غير موجود في كتب الرجال والظاهر أنه علي بن محمّد بن أبي سعيد وفي رجال الشيخ علي بن محمّد بن سعد الأشعري .

(٢) الكافي: ٨ / ١٩١.

الفعل والوصف معاً) بالمشاهدة القلبية في حال الغيبة والمشاهدة العينية في حال الحضور وقوله « معاً » لإفادة أن معرفة أحدهما لا يمنع معرفة الآخر فإن العلم الحصولي إذا كمل يصير بمنزلة العلم الحضوري ثم أكده بقوله (وليس ذلك منا تعامياً عليكم) أي ليس ذلك القول المذكور في الصدر جهلاً منا بأحوالكم الماضية والحاضرة والآتية وطلباً لحصول العلم إذ هي معلومة لنا (بل لنبلوا أخباركم ونكتب آثاركم) أي بل ذلك القول منا لنختبر أخباركم عن إيمانكم وطاعتكم وموالاتكم لنا ونكتب آثاركم وأعمالكم البدنية والقلبية من العلم واليقين وغيرهما ليظهر لكم صدقها وكذبها وحسنها وقبحها ومراتبها لا ليحصل لنا العلم بها.

(فقال والله فكأنما مادت بهم الأرض حياءً مما قال حتى أني لأنظر إلى الرجل منهم يرفضّ عرقاً. انتهى) الميد: التحرك والميل والاضطراب يقال ماد ميد ميداً إذا تحرك ومال الإرفضاض: الجريان والسيلان، يقال: أرفضّ عرقاً ارفضاضاً إذا جرى عرقه وسال ، والحياء تغير وإنكسار ويلحق من فعل أو ترك ما يذم به وهو ههنا حصل لهم مما قال عليه‌السلام من كثرة الوصف وقلة الفعل وهو في الحقيقة ذمهم بأنهم ليسوا من أهل الفعل فحصل لهم بذلك انقباض واضطراب ويأس من كونهم من أهل الجنة لما فهموا من أن أهل الجنة هو أهل الفعل، فلمّا رأى عليه‌السلام منهم ترحم بهم وقال ليس المراد ذلك وإنما المراد بيان تفاوت درجات أهل الوصف وأهل الفعل فلما بشرهم بذلك خرجوا من القنوط واليأس وحصل لهم الانبساط حتى كأنهم نشطوا من عقال أي خرجوا منه، قولهم: نشط من المكان ينشط أي خرج منه وهذا كناية عما حصل لهم من ذلك الترحم والبيان من كثرة النشاط والفرح والسرور.

* **الأصل:**

٢٩٠ ـ وبهذا الإسناد ، عن محمّد بن سليمان ، عن إبراهيم بن عبدالله الصوفيّ قال : **حدَّثني موسى بن بكر الواسطيُّ قال : قال لي أبوالحسن عليه‌السلام : لو ميّزت شيعتي لم أجدهم إلّا واصفة ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلّا مرتدّين ولو تمحّصتهم لما خلص من الألف واحد ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم إلّا ما كان لي ، إنّهم طال ما اتّكؤا على الأرائك ، فقال : نحن شيعة عليّ ، إنّما شيعة عليٍّ من صدّق قوله فعله** [١].

* **الشرح :**

قوله: (لو ميزت شيعتي ما وجدتهم إلّا واصفة . انتهى) أي لو ميزتهم عن غيرهم ما وجدتهم إلّا

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩١.

واصفين قائلين بالتشيع وهذا الوصف لم يوجد في غيرهم فهم به يمتازون عنهم ثم الواصفين لو امتحنتهم واختبرت أحوالهم ما وجدت أكثرهم إلاّ مرتدين صارفين عن سيرتي غير آخذين بأمري ولا عاملين بما هو خير لهم ، ثم الآخذون العاملون لو تمحصتهم وفتشت كيفية أخذهم وعملهم وأخلاقهم بنوع من التمحيص والتخليص ما وجدت أكثرهم إلاّ غير خالصين، ثم الخالصون وهم الأقلّون جداً لو غربلتهم غربلة وحركتهم تحريكاً بغربلة البلايا والمحن والمصائد والشدائد لم يبق منهم إلّا قليل وهو من كان لي وأخذ بسيرتي ، وإليه يرشد قول الصادق عليه السلام « المؤمن أعز من الكبريت الأحمر فمن رأى منكم الكبريت الأحمر» وإن شئت أن تعرف قلة المؤمن وندرته فارجع إلى الأحاديث المذكورة في أبواب الكفر والإيمان من كتاب الأصول (أنهم طال ما اتكوْا على الأرائك) في القاموس، الأريكة كسفينة: سرير في حجلة أو كل ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش أو سرير متخذ مزين في قبة أو بيت وإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة وجمع أريكة أرائك (فقالوا: نحن شيعة علي) قولاً متفرداً عن لوازمه وآثاره وهو الوصف المذكور (وإنما شيعة علي من صدق قوله فعله) بالعمل بسيرته ليتحقق معنى التشيع والمتابعة ويبعد عن شبه الاستهزاء وسيجيء عن علي بن الحسين عليهما السلام « إن أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله » .

* **الأصل:**

٢٩١ ـ حميد بن زياد ، عن الحسن بن محمّد الكنديّ ، عن أحمد بن الحسن الميثميّ ، عن أبان ابن عثمان ، عن عبدالأعلى مولى آل سام قال : **سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة الّتي قد افتتنت في حسنها فتقول : يا ربّ حسّنت خلقي حتّى لقيت ما لقيت، فيجاء بمريم عليها السلام فيقال : أنت أحسن أو هذه ؟ قد حسّنّاها فلم تفتتن ، ويجاء بالرَّجل الحسن الذي قد افتتن في حسنه فيقول : يا ربِّ حسّنت خلقي حتّى لقيت من النساء ما لقيت فيجاء بيوسف عليه السلام فيقال : أنت أحسن أو هذا ؟ قد حسّنّاه فلم يفتتن ، ويجاء بصاحب البلاء الذي قد أصابته الفتنة في بلائه فيقول : يا ربِّ شدّدت عليَّ البلاء حتّى افتتنت فيؤتى بأيّوب عليه السلام فيقال : أبليّتك أشدُّ أو بليّة هذا ؟ فقد ابتلي فلم يفتتن** [1].

* **الشرح :**

قوله: (يؤتي بالمرأة الحسناء يوم القيامة . انتهى) ليس الغرض منه مجرد الإخبار بل فيه وعد

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩١.

ووعيد للممتحن وحمل له على الصبر وبيان لرفع حجه على الله يوم القيامة .

* **الأصل:**

٢٩٢ ـ وبهذا الإسناد ، عن أبان بن عثمان ، عن إسماعيل البصري قال : **سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : تقعدون في المكان فتحدِّثون وتقولون ما شئتم وتتبرأون ممّن شئتم وتولّون من شئتم ، قلت : نعم ، قال : وهل العيش إلّا هكذا** [١].

* **الشرح :**

قوله: (تقعدون في المكان فتحدثون . انتهى) فيه ترغيب للشيعة في المجالسة والمخالطة والتحديث سيما فضائل أهل البيت عليهم السلام والتولى بهم والتبري من أعدائهم فإنما توجب التودد والتواصل ورواج الدين وقوام نظام المسلمين وتحقق الصداقة والإلفة ورفع الفرقة والوحشة وكل ذلك يورث طيب العيش في الدنيا والآخرة .

* **الأصل:**

٢٩٣ ـ حميد بن زياد ، عن الحسن بن محمّد ، عن وهيب بن حفص ، عن أبي بصير قال : **سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : رحم الله عبداً حبّبنا إلى الناس ولم يبغّضنا إليهم ، أما والله لو يروون محاسن كلامنا لكانوا به أعزُّ وما استطاع أحد أن يتعلّق عليهم بشيء ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحطّ إليها عشراً** .[٢]

* **الشرح :**

قوله: (رحم الله عبداً حببنا إلى الناس ولم يبغضنا إليهم) المراد بالناس المخالفون وأصحاب الدولة الباطلة ولابد للمؤمن في حفظه وحفظ إمامه ان تكلم عندهم في أمور الدين من أن يتكلم بما يوجب حبهم لا بغضهم وعداوتهم فإن فيه هلاكه وهلاك إمامه (أما والله لو يروون محاسن كلامنا لكانوا به أعز) ضمير الجمع للشيعة والمحاسن جمع الحسن على غير قياس والإضافة بيانية أو بتقدير في والمقصود أنهم لو نقلوا كلامنا بعينه من غير زيادة ونقصان لكانوا عندهم أعز (وما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء) إذ ليس في كلامنا ما يوجب طعنهم صريحاً بل قد يكون له وجوه يمكن التخلص بها (ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحط إليها عشراً) هذا من باب المبالغة المشهور بين العرب والعجم وذلك التغيير قد يقع عمداً لغرض من الأغراض وقد يقع سهواً وقد يقع باعتبار فهم المخاطب من كلام له وجوه ونقله ما هو المقصود منها ، وينبغي أن يعلم أن

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩١.   (٢) الكافي: ٨ / ١٩٢.

كلامهم عليهم السلام قسمان قسم من باب الأسرار فلا يجوز نقله لغير أهله أصلاً وقسم يجوز نقله مطلقاً وهذا القسم ينبغي نقله عندهم على الوجه المسموع من غير تغيير يوجب طعنهم والمراد بالكلام هنا هو هذا القسم وهو لكونه من الحكيم العادل غير مشتمل على ما توجب طعنهم وبغضهم صريحاً وأذية وأذى شيعته وإلاّ لمنع نقله عندهم كالأول .

*** الأصل:**

٢٩٤ ـ وهيب ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ ، « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة » قال هي شفاعتهم ورجاؤهم يخافون أن تُرَدّ عليهم أعمالهم إن لم يطيعوا الله عزَّ ذكره ويرجون أن يقبل منهم** [١].

*** الشرح :**

قوله: (عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة » قال: هي شفاعتهم ورجاؤهم يخافون أن ترد عليهم أعمالهم أن لم يطيعوا الله عز ذكره) بفتح الهمزة علة للخوف (ويرجون أن يقبل منهم) الإيتاء: الإعطاء وضمير هي راجع إلى ما والتأنيث لرعاية المعنى أو باعتبار الخبر والمراد بشفاعتهم ورجائهم شفاعة الأئمة لهم ورجاؤهم لها ولقبول الأعمال لمحبتهم فالآية في وصف المحبين للأوصياء بأنهم مع ذلك يخافون أن ترد عليهم أعمالهم لأجل أنهم لم يطيعوا الله عز وجل في الأمر بمحبتهم وطاعتهم كما هي ويرجون أن تقبل منهم أعمالهم باعتبار الانتساب إليهم والإقرار بولايتهم وتفسيرها بهذا ذكره أبو عبدالله عليه السلام قبل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله في ذيل حديث نادر .

*** الأصل:**

٢٩٥ ـ وهيب بن حفص ، عن أبي بصير قال : **قال أبو عبدالله عليه السلام : ما من عبد يدعو إلى ضلالة إلّا وجد من يتابعه .**

*** الشرح :** قوله: (قال أبو عبدالله عليه السلام ما من عبد يدعو إلى ضلالة إلّا وجد من يتابعه) لكثرة الجهلة وميل طبايعهم إلى الباطل ولذلك كانت دولة الباطل أشد وأدوم من دوله الحق كما مرَّ وفيه تسلية لأهل الحق في قتلهم وحث في الصبر عليه .

*** الأصل:**

٢٩٦ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن عبدالله بن الصلت ، عن رجل من أهل بلخ

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩٢.

قال : **كنت مع الرِّضا عليه السلام في سفره إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغير هم فقلت : جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة ؟ فقال : مه إنَّ الربَّ تبارك وتعالى واحد والاُمَّ واحدة والأب واحد والجزاء بالأعمال .**

*** الشرح :**

قوله: (فقال له: إن الرب واحد والدين واحد والأم واحدة والأب واحد والجزاء بالأعمال) ترغيب في حسن المعاشرة بخلق الله ولو كانوا مماليك وجهالاً وضعفاء ، وفي العمل الصالح فإن به النجاة والتقرب إلى الله تعالى والجزاء .

*** الأصل:**

٢٩٧ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن سنان قال : **سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: طبايع الجسم على أربعة فمنها الهواء الذي لا يحيى النفس إلّا به وبنسيمه ويخرج ما في الجسم من داء وعفونة ، والأرض الّتي قد تولد اليبس والحرارة ، والطعام ومنه يتولّد الدَّم ألا ترى أنّه يصير إلى المعدة فتغذّيه حتّى يلين ثمَّ يصفو فتأخذ الطبيعة صفوه دماً ثمّ ينحدر الثفل والماء وهو يولّد البلغم .**

*** الشرح :**

قوله (طبايع الجسم على أربعة) الطبائع جمع طبيعة كالصبايح جمع صبيحة أو جمع طباع بالكسر كالشمائل جمع شمال والطبيعة والطباع ما ركب في الإنسان من المطعم والمشرب وغير ذلك من الأخلاق الّتي لا تزايلة ولعل المقصود أن بقاء جسم الإنسان ودوام نظامه إلى أجل مقدر موقوف على أربعة أش ياء فلابد من طلب ما هو أوفق به (فمنها الهواء الذي لا يجيء النفس إلاّ به وبنسيمه) النسيم أول الريح إذا كان ضعيفاً ليناً ولا يجيء بالجيم، وفي بعض النسخ بالحاء المهملة من الحياة (ويخرج ما في الجسم من داء وعفونة بمروره عليه في الخارج ودخوله فيه وخروجه لأن لتحرك النفس تأثيراً عظيماً في دفع الداء والعفونة والفضلات البدنية ومنها الأرض الّتي تولد اليبوسة والحرارة في البدن . أما تولد اليبوسة فباعتبار المجاورة وأما توليد الحرارة فاما لأن شعاع الشمس ينعكس من الأرض إلى البدن كما قيل أو لأن اليبوسة توجب جمود البدن المقتضي لاحتباس الحرارة الغريزية فيه وهي موجبة لقوة المزاج (ومنها الطعام ومنه يتولد الدم) أي من الطعام يتولد الدم الذي له مدخل تام في بقاء الحياة حتى قيل أنه روح البدن وكذا يتولد منه السوداء والصفراء كما ذكره الأطباء (ألا ترى أنه) أي ألا ترى برؤية عقلية وبصيرة ذهنية (أن الطعام يصير إلى المعدة) التي أولها فضاء الفم وفيه ابتداء الهضم (فتغذيه) أي تربيه (حتى يلين)

ويصير كيلوساً ثم يصفو فيأ خذ الطبيعة صفوه دماً) وتوصل إلى كل عضو حظه ونصيبه بدلاً لما يتحلل منه ثم تجعله القوة المشبهة شبيهاً بالعضو (ثم ينحدر الثفل) ألى الأمعاء المعدة له دافعة (ومنهما الماء وهو يولد البلغم) الذي هو خلط من اخلاط البدن والقدر الصالح منه نفع فيه ومن منافع الماء أيضاً ترقيق الغذاء وتلطيفه وإعانته في نفوذه في المجاري الضيقة .

*** الأصل:**

٢٩٨ ـ محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن يزيد النوفليّ ، عن الحسين بن أعين أخي مالك بن أعين قال : **سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الرَّجل للرَّجل : جزاك الله خيراً ، ما يعني به ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : إنَّ خيراً نهرٌ في الجنّة مخرجه من الكوثر، والكوثر مخرجه من ساق العرش عليه منازل الأوصياء وشيعتهم ، على حافّتي ذلك النهر جواري نابتات ، كلّما قلعت واحدة نبتت اُخرى سمّي[1] بذلك النهر وذلك قوله تعالى : « فيهنَّ خيرات حسان » فإذا قال الرَّجل لصاحبه : جزاك الله خيراً ، فانّما يعني بذلك تلك المنازل الّتي قد أعدّها الله عزّ وجلّ لصفوته وخيرته من خلقه** [2].

*** الشرح :**

قوله: (إن خيراً نهر في الجنّة . انتهى) هذا هو الفرد الخفي للخير والجلي بحسب الرتبة والشرف والعرش هو الجسماني وحمله على الرحمة أو القدرة ممكن و« جواري » في بعض النسخ بالجيم جمع جارية وفي بعضها بالحاء المهملة جمع حوراء على احتمال وضمير فيهن راجع إلى الجنان أو إلى آلائها والخيرات جمع خير بالتشديد فخفف لأن المخفف للتفضيل لا يثنّى ولا يجمع ولا يؤنث وهن حسان في الخلق والخلق والصورة ولا ينبغي استبعاد ما ذكره عليه السلام لأن من يقدر أن يخلق من تراب آدم ومن خشبة حية ويخرج من الأرض إلّا موات يقدر أن يخلق في الجنّة ما ذكر لإظهار قدرته وتفريح المؤمن .

*** الأصل:**

٢٩٩ ـ وعنه ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن أبي عمير ، عن الحسين بن عثمان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **إنَّ في الجنّة نهراً حافّتاه حورٌ نابتات فإذا مرّ المؤمن باحداهنّ فأعجبته اقتلعها فأنبت الله عزّ وجلّ مكانها** [3].

---

١ ـ سمي مجهول والنهر نائب الفاعل ويمكن أي يقراء على المعلوم أي سماه الله بما في الآية .

(٢) الكافي: ٨ / ١٩٢. (٣) الكافي: ٨ / ١٩٣.

*** الشرح :**

قوله: (إن في الجنّة نهراً خافتاه حور نابتات) هن نساء أهل الجنّة واحدتهن حوراء وهي الشديدة بياض العين ، الشديدة سوادها كالظباء ولا تطلق على نساء الدنيا إلاّ على سبيل الاستعارة.

حديث القباب

*** الأصل:**

٣٠٠ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن الوشّاء ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي حمزة قال : **قال لي أبو جعفر عليه السلام ليلة وأنا عنده ونظر إلى السّماء فقال : يا أبا حمزة هذه قبّة أبينا آدم عليه السلام وإنّ الله عزّ وجلّ سواها تسعة وثلاثين قبّة فيها خلقٌ ما عصوا الله طرفة عين .**

(حديث القباب) القباب بالكسر جمع القبة بالضم وهي البناء والخيمة (هذه قبة أبينا آدم عليه السلام. انتهى)كأنه أشار بهذه إلى السماء الدنيا وعندها قبة آدم باعتبار أنها خلقت له ولذريته كما نطقت به الآيات والروايات أو باعتبار أنه لم تكن له عليه السلام قبة سواها وأراد بتسعة وثلاثين ما فوقها من السموات ولا دليل عقلاً ونقلاً على انحصار السموات في تسع بل يجوز العقل الأقل والأكثر ، وأراد بالخلق الملائكة أو الأعم الشامل للأنبياء والأوصياء عليهم السلام وأيضاً أو أشار إلى قبه عليه السلام في الجنّة وأراد بتسعة وثلاثين القباب الّتي فيها والجنّة موجودة في السماء كما ذهب إليه أهل الحق، والحديث التالي يؤيد الأول مع ما فيه من التنبيه على رفض البناء في الدنيا وتزيينه وتذهيبه فإن هذه القبة الخضراء تكفيك كما كانت لابيك .

*** الأصل:**

٣٠١ ـ عنه ، عن أحمد بن محمّد ، عن أبي يحيى الواسطيّ ، عن عجلان أبي صالح قال : **دخل رجلٌ على أبي عبدالله عليه السلام فقال له : جعلت فداك هذه قبّة آدم عليه السلام؟ قال : نعم ولله قباب كثيرة ، ألا إنَّ خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً أرضاً بيضاء مملوّة خلقاً يستضيئون بنوره لم يعصوا الله عزَّ وجلَّ طرفة عين ، ما يدرون خُلق آدم أم لم يخلق ، يبرؤون من فلان وفلان** [١].

*** الشرح :**

قوله: (ألا أن خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً أرض بيضاء . انتهى) المشارق والمغارب كثيرة غير محصورة إذ ما من مشرق لبلد إلّا وهو مغرب لبلد يقابله والمغرب بـالعكس والأرض البيضاء الأرض الملساء والظاهر أن الضمير في نوره راجع إلى الله تعالى ، والمراد به العلم الفائض عليهم وإرجاعه وجعل التذكير باعتبار أنها مؤنث غير حقيقي وبراءتهم من فلان وفلان باعتبار أنه

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩٣.

تعالى الهمهم خبث ذواتهما وقبح صفاتهما ولا يتوقف ذلك على علمهم بنسبهما وأنهما من أولاد آدم فلا ينافي قوله (ما يدرون خلق آدم لم يخلق) وتسليم مضمون الحديث والإقرار به لازم[١] ولا يجوز أن يستبعد العاقل أو ينكر مالم يدركه خصوصاً إذا أخبر المخبر الصادق عليه السلام بوجوده .

* **الأصل:**

٣٠٢ ـ علي بن محمد، عن صالح بن أبي حمّاد ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبدالله بن جبلة ، عن إسحاق بن عمّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **من خصف نعله ورقّع ثوبه وحمل سلعته فقد بريء من الكبر** [٢].

* **الشرح :**

قوله: (من خصف نعله ورقع ثوبه وحمل متاعه فقد بريء من الكبر) أي من خصف نعله أي حرزها بنفسه أو بغيره من الخصف وهو ضم الشيء إلى الشيء . ورقع ثوبة كمنع: رمّه وأصلحه بالرقعة وهي بالضم ما يرقع به الثوب وحمل متاعه بيده أو رأسه أو ظهره « فهو بريء منزه عن الكبر هذا إذا كان من باب القناعة والخلوص لله وأما إذا كان لصرف وجوه الناس إليه فهو من أسباب الكبر كالمال والجاه ونحوهما .

* **الأصل:**

٣٠٣ ـ عنه ، عن صالح ، عن محمّد بن أُورمة ، عن ابن سنان ، عن المفضّل بن عمر قال : **كنت**

---

١ ـ قوله: « والإقرار به لازم » لم أعرف وجه كلام الشارح فإنّ أبا يحيى الواسطي سهيل بن زياد ذكره العلامة رحمه الله في الضعفاء وكذلك ابن داود وعلى فرض الصحة لم يقل أحد من محصلي أصحابنا بوجوب الاقرار والتسليم بحديث الآحاد خصوصاً إذا لا يعرف معناه ولا يتجه إلّا بتكليف ، فإن قيل يؤيده الحديث المذكور قبله قلنا بينهما فرق بين لأن المغرب خلف المغرب غير معقول وأما وجود قبة سوى هذه القبة معقول وصرح الشارح رحمه الله بأن المغارب غير محصورة فيكيف يوجه انحصاره في تسعة وثلاثين فإن قيل وجود قبة غير هذه القبة أيضاً مخالف لصريح القرآن الكريم سبع سموات طباقاً » وخلقنا فوقكم سبعاً شداداً » والقباب التسعة والثلاثين لا يمكن أن تكون تحت السموات ولا فوقها قلنا: أو لا لم يقل أحد من الحكماء ألا وائل والأواخر بانحصار السموات في عدد معين بدليل عقلي ولا أهل الشرع بدليل نقلي كما ذكر الشارح وإنما ذكر من ذكر التسع أو السبع لأن ما اطلعوا عليه وقادتهم الحجة إليه ورأوا من اختلاف حركات الكواكب يقتضي أفلاكا أقلها ما ذكروه وكذلك مراد مشّائي المسلمين من العقول العشرة أن هذا اقل عدد يعتقدونه لا أن لهم دليلاً على الانحصار وقد صرحوا بذلك وعلى هذا فلا ينكر أن يكون خارج هذه القبة الزرقاء قباب كثيرة ثم أن هذه القبة الزرقاء ليس سماء في اصطلاح المنجمين والحكماء وقد صرّح الطوسي رحمه الله بأن هذه الزرقة من اختلاط النور والظلمة في الفضاء وأن السماوات شفافة ليست بمرئية فلا يبعد أن يكون تخيل الزرقة في مواضع كثيرة من الفضاء والله العالم (ش) . (٢) الكافي: ٨ / ١٩٤.

أنا والقاسم شريكي ونجم بن حطيم وصالح بن سهل بالمدينة فتناظرنا في الربوبيّة قال: فقال بعضنا لبعض: ما تصنعون بهذا؟ نحن بالقرب منه وليس منّا في تقيّة قوموا بنا إليه، قال: فقمنا فوالله ما بلغنا الباب إلّا وقد خرج علينا بلا حذاء ولا رداء قد قام كلُّ شعرة من رأسه منه وهو يقول لالا يا مفضّل ويا قاسم ويا نجم، لالا بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

*** الشرح:**

قوله: (عن المفضّل قال: كنت أنا والقاسم شريكي ونجم بن حطيم وصالح بن سهل بالمدينة) المفضل ابن عمر من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام، نقل عن النجاشي أنه كان فاسد المذهب خطابيّاً والمفيد في ارشاده عدّه من شيوخ أصحاب أبي عبدالله وخاصته وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين، وشريكه القاسم بن عبدالرحمن الصيرفي من أصحاب الصادق عليه السلام، ويجيء في آخر هذا الكتاب من المصنف أنه كان رجل صدق، ونجم بن حطيم العجلي الكوفي من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام ومات في حياة أبي الحسن عليه السلام وصالح بن سهل من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام ونقل العلامة عن الكشي وأنه قال: روى محمّد بن أحمد عن محمد بن الحسين عن الحسن بن علي الصيرفي عن صالح بن سهل قال كنت أقول في أبي عبدالله عليه السلام بالربوبية فدخلت عليه فلما نظر إلي قال: «يا صالح إنا والله عبيد مخلوقون لنا رب نعبده وأن لم نعبده عذبنا» (فتناظرنا في الربوبية قال: فقال بعضنا لبعض ما تصنعون بهذا ونحن في قرب منه وليس منّا في تقية فقوموا بنا إليه. انتهى) الظاهر أن ضمير منه وليس واليه راجع إلى الصادق عليه السلام وبناءِ المناظرة على أن بعضهم قال بربوبيته قال الأمين الاسترابادي كان بعض الشيعة من ضعفاء العقول بعدما شاهدوا ظهور بعض الخوارق عن الأئمة عليهم السلام وسوس الشيطان في قلوبهم أن الله فوض كاينات الجو إلى محمّد وعلي واولادهما الطاهرين عليهم السلام بعد أن خلقهم كما في آخر شرح المواقف واشتهر من جماعة من الغلاة في حق أمير المؤمنين عليه السلام.

*** الأصل:**

٣٠٤ ـ عنه، عن صالح، عن عليِّ بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **إنَّ لإبليس عوناً يقال له تمريح، إذا جاء اللّيل ملأ ما بين الخافقين.**

*** الشرح:**

قوله: (إن لإبليس عوناً يقال له تمريح) تسميه بالمصدر للمبالغة في إفساده وتخليطه من المرج بالتحريك: وهو الفساد والاختلاط ومنه أمر مريج أي فاسد مختلط وفي بعض النسخ بالحاء المهملة من المرح: وهو الفساد وفي بعضها بالخاء المعجمة من المرخ وفي الكنز مرخ «آلودن» لأنه

يمرخ الإنسان ويدنسه بالمعاصي والمرخ أيضاً: الجري والسرعة وهو يسرع في أمره ويحري عساكره في أقطار الأرض (ويملأ ما بين الخافقين دفعة والخافقان المشرق والمغرب أو أفقاهما لأن الليل والنهار يختلفان فيهما أو طرفا السماء والأرض أو منتهاهما .

* **الأصل:**

٣٠٥ ـ عنه ، عن صالح ، عن الوشّاء ، عن كرّام ، عن عبدالله بن طلحة قال : **سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الوزغ فقال : رجسٌ وهو مسخ كلّه فإذا قتلته فاغتسل فقال : إنّ أبي كان قاعداً في الحجر ومعه رجلٌ يحدِّثه فإذا هو بوزغ يولول بلسانه فقال أبي للرَّجل : أتدري ما يقول هذا الوزغ ؟ قال : لا علم لي بما يقول ، قال : فانّه يقول : والله لئن ذكرتم عثمان بشتيمة لأشتمنَّ عليّاً حتّى تقوم من ههنا ، قال : وقال أبي : ليس يموت من بني اميّة ميّت إلّا مسخ وزغاً قال : إنّ عبدالملك بن مروان لمّا نزل به الموت مسخ وزغاً فذهب من بين يدي من كان عنده وكان عنده ولده فلمّا أن فقدوه عظم ذلك عليهم فلم يدروا كيف يصنعون ثمَّ اجتمع أمرهم على أن يأخذوا جذعاً فيصنعوه كهيئه الرَّجل قال : ففعلوا ذلك وألبسوا الجذع درع حديد ثمَّ لفّوة في الأكفان فلم يطّلع عليه أحد من النّاس إلّا أنا وولده** [١].

* **الشرح :**

قوله: (سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الوزغ فقال رجس وهو مسخ كله) الوزغ: جمع الوزغة محركه وهي سام أبرص وفي الكنز سوسمار ، والرجس: القذر النجس ويحرك ويفتح الراء ويكسر الجيم والمسخ تحويل صورة إلى أخرى أقبح منها ومسخه الله قرداً فهو مسخ ومسيخ . (فإذا قتلته فاغتسل) الحكمة للإغنسال خفية ولا يبعد أنها للخروج من الذنوب كالغسل بعد التوبة والأمر بقتله في كتب العامة أيضاً روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله أنه أمر بقتل الوزغ وسماه فويسقاً ، وعنه صلى الله عليه وآله « من قتل وزغاً في أول ضربة كتبت له مائة حسنة ، وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك » قال صاحب كتاب إكمال الإكمال: أقل درجات الأمر بقتلها الندب وسماها فويسقاً لأن أصل الفسق الخروج وقد حرجت عن أبناء جنسها من الحشرات بكثرة أذايتها فإن لها أنواعاً من الأذاية ، وقال عياض: تكثر أجر من قتلها بالضربة الأولى على أجر من قتلها في الضربة الثانية عكس ما ألف من الشريعة بأن أكثر ما جاء من تكثره إنما هو على كثرة العمل فالله سبحانه أعلم بحكمة ذلك ولعل الحكمة فيه الحض على المبادرة إلى قتلها والحث على تعجيله خوف أن يفوت (فإذا هو بوزغ

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩٤.

يولول بلسانه) في القاموس الولوال: البلبال والدعاء بالويل .

ولولت المرأة ولو إلّا أعولت ، وفي النهاية الولولة: صوت متتابع بالويل والإستغاثة وقيل: هي حكاية صوت النائحة، قال: (فأنه يقول: والله لئن ذكرتم عثمان بشتيمة لا شتمن علياً حتى تقوم من هنا) كراهة لاستماع شتمه عليه السلام والشتيمة : اسم لما يشتم به وهو السب الفعله من باب نصر وعلمه بأنه عليه السلام كان على الحق وعثمان على الباطل لا ينافي عداوته فإن العداوة بين المؤمن والكافر لا تزول في البرزخ بل في القيامة أيضاً كما قال خليل الرحمن « وبدا بيننا وبينكم العداوه والبغضاء إلى يوم القيامة » (وقال : إن عبدالملك بن مروان لما نزل به الموت مسخ وزغاً فذهب بين يدي من كان عنده) قد تكثرت الأخبار من طرق العامة والخاصة على انتقال الروح الإنساني من بدن إلى بدن آخر إما في هذا العالم أو في عالم آخر ومن هذا القبيل مسخ بعض الأمم الماضية كما نطق به القرآن الكريم وتعلق الروح بعد مفارقة البدن بمثال شبيه به بحيث لو رأيته لقلت هذا ذاك وليس هذا قولاً بالتناسخ الذي أبطله المسلمون وذهب إليه الملاحدة وقسموه إلى أربعة أقسام: النسخ والمسخ والفسخ والرسخ وذهبوا إلى أن الأرواح في هذا العالم دائماً ينتقل من محل إلى محل آخر ومن بدن إلى بدن آخر بلا انقطاع وأنكروا إنشاؤه الأخروية وإعادة الأجسام فيها وسائر أحوالتها وقالوا بقدم العالم والتناسخ بهذا المعنى أبطله أهل الإسلام وحكموا بكفر القائل به وأمّا متعلق الروح ببدن آخر إلى أن تقوم القيامة وتعود إلى البدن الأصليى فهذا عند أهل الشرع ليس من باب التناسخ وإن سميته به فلا مشاحة في التسمية إلّا أن الأولى عدم هذا التسمية لئلاً يقع الإلتباس وقد صرح بما ذكرنا شيخ المحققين في الأربعين ونقل عن الفخر الرازي في باب تعلق الأرواح بعد خراب البدن بالمثال أنه قال في نهاية العقول المسلمون يقولون بحدوث الارواح وردها إلى الأبدان لا في هذا العالم والتناسخية يقولون بقدمها وردها إليها في هذا العالم وينكرون الآخرة والجنّة والنّار وإنّما كفروا من جهة هذا الإنكار، والفرق بين القولين ظاهر[1]. (ثم اجتمع أمرهم على أن يأخذوا جذعاً) الجذع بالكسر ساق النخلة والباس الحديد ليثقل على الحامل .

*** الأصل:**

٣٠٦ ـ عنه ، عن صالح ، عن محمّد بن عبدالله بن مهران ، عن عبدالملك بن بشير ، عن عيثم بن سليمان ، عن معاوية بن عمّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **إذا تمنّى أحدكم القائم فليتمنّه في عافية**

---

١ ـ قوله « والفرق بين القولين ظاهر » هذا هو القول الفصل والفرق بين التناسخ وهو متعلق الروح بالبدن المادي وهذا المسخ وهو تعلق الروح بالبدن البرزخي مما لاريب فيه وقد بين ذلك في غير موضع لكن لا يراه غير الأولياء أو غيرهم بتصرفهم (ش) .

فانَّ الله بعث محمّداً ﷺ رحمة ويبعث القائم نقمة [١].

*** الشرح :**

قوله: (إذا تمنى أحدكم القائم) أي إذا تمنى أحدكم ظهور القائم عليه السلام (فليتمنه في عافيته) وهي كونه على دين الحق ومتابعته ظاهراً وباطناً (فإن الله بعث محمّداً ﷺ رحمة) للعباد بالمداراة مع أهل النفاق وأهل الكتاب والكفرة وأهل الأمان وقبول الجزية والعمل بظاهر الشرع (ويبعث القائم نقمة) عليهم وهو الحكم بعلمه وعدم تقرير أحد على الباطل وقتل الكفرة إلى أن يؤلوا إلى الحق .

*** الأصل:**

٣٠٧ ـ عنه ، عن صالح ، عن محمّد بن عبدالله ، عن عبدالملك بن بشير ، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال : **كان الحسن عليه السلام أشبه النّاس بموسى بن عمران ما بين رأسه إلى سرَّته ، وأنَّ الحسين أشبه النّاس بموسى بن عمران ما بين سرَّته إلى قدمه .**

*** الشرح :**

قوله: (كان الحسن عليه السلام أشبه النّاس بموسى بن عمران ما بين رأسه إلى سرته وأن الحسين عليه السلام أشبه الناس بموسى بن عمران ما بين سرته إلى قدمه) علمه بذلك إما بإخبار النبي ﷺ أو بإخبار الملك المحدث له أو برؤيته موسى والحسنين عليهما السلام وقد مرَّ أن الأئمة عليهم السلام كانوا يرون الأنبياء والأوصياء في كل ليلة الجمعة، وفي كثير من النسخ « عن أبي الحسن عليه السلام قال كان الحسين عليه السلام أشبه الناس بموسى بن عمران ما بين سرته، إلى قدمه » وليس فيه ذكر الحسن عليه السلام .

*** الأصل:**

٣٠٨ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن محبوب ، عن مقاتل بن سليمان[٢] قال: **سألت أبا عبد الله عليه السلام كم كان طول آدم عليه السلام حين هبط به إلى الارض وكم كان طول حوَّاء ؟ ، قال : وجدنا في كتاب عليِّ بن أبي طالب عليه السلام أنَّ الله عزَّ وجلَّ لمّا أهبط آدم وزوجته حواء عليهما السلام إلى الأرض كانت رجلاه بثنيّة الصفا ورأسه دون اُفق السّماء، وإنّه شكا إلى الله ما يصيبه من حرِّ الشمس فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى جبرئيل عليه السلام أنَّ آدم قد شكا ما يصيبه من حرِّ الشمس فأعمره غمزة وصيّر طوله سبعين ذراعاً بذراعه وأغمز حوّاء غمزة فصيّر طولها خمسة وثلاثين ذراعاً**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩٥.

٢ ـ (عن مقاتل بن سليمان) بتري عامي ضعيف لا يحتج بقوله ولا يلزمنا التكلف في تصحيح روايته (ش) .

بذرعها .

*** الشرح :**

قوله: (كانت رجلاه بثنية الصفا ورأسه دون أفق السماء) في النهاية الثنية في الجبل: كالعقبة فيه، وقيل هو الطريق العالي فيه، وقيل: أعلى المسيل في رأسه والأفق باضم وبضمتين: الناحية فهو كناية عن طول قامته كثيراً ولم يعلم به مقداره حقيقة) فأغمز غمزة وصير طوله سبعين ذراعاً بذراعه . انتهى) الغمز: الحصر والكبس باليد، والذراع بالكسر: من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى ولا خفاء ما فيه من الغرابة والإشكال إذ قامة كل أحد ثلاثة أذرع ونصف بذراعه وليس أحد سبعين ذرعاً أو ثلاثين ذراعاً بذراعه إذ هو مع كونه خلاف الواقع يوجب خروج اليد عن استواء الخلقة والحوالة على المجهول والذي يخطر بالبال من باب الاحتمال إن ضمير ذراعه وذراعها راجع إلى آدم وحواء باعتبار فرد آخر من الرجل والأنثى المعلومين في عصره عليه السلام من باب الاستخدام وفي رواية مسلم عن النبي عليه السلام قال : « خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً » ولا شك أن المراد بالذراع في حديثه الذراع المعهود في عصره صلى الله عليه وآله لئلا يلزم الحوالة على المجهول وهو مؤيد لما ذكرناه وأما قوله ستون ذرعاً فيمكن أن يكون من سهو الراوي وتبديل السبعين بالستين وحمل الذراع في حديثنا على ما يذرع به الثوب ونحوه مع كونه بعيداً جداً لا يدفع القصور في الحوالة على المجهول والله يعلم .

*** الأصل:**

٣٠٩ ـ عنه ، عن ابن محبوب ، عن أبي أيّوب ، عن الحارث بن المغيرة قال: **سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل أصاب أباه سبي في الجاهليّة فلم يعلم أنّه كان أصاب أباه سبي في الجاهليّة إلّا بعد ما توالدته العبيد في الإسلام واُعتق ، قال : فقال : فلينسب إلى آبائه العبيد في الاسلام ، ثمّ هو بعدّ من القبيلة الّتي كان أبوه سبي فيها إن كان [أبوه] معروفاً فيهم ويرثهم ويرثونه** [(١)].

*** الشرح :**

قوله: (عن الحارث بن المغيرة قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل أصاب أباه سبي في الجاهلية فلم يعلم أنه كان أصاب أباه سبي في الجاهلية إلّا بعد ما توالدته العبيد في الإسلام وأعتق) أي أعتق ذلك الرجل وهو عطف على توالدته والضمير المنصوب راجع إليه والمراد بأبيه

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩٥.

الذي سبي جد من أجداده[1] بقرينة قوله توالدته العبيد لدلالته على أن له آباء كلهم عبيد (قال: فقال: فلينسب) أي ذلك الرجل (إلى آبائه العبيد في الإسلام) لا إلى من سبى أباه لظهور أن الولد ينسب في النسب إلى آبائه (ثم هو) أي ذلك الرجل (يعد من القبيلة الّتي كان أبوه سبي فيها فهو) مثلاً قيسي أن كان أبوه من قبيلة قيس وتميمي فإن كان من قبيلة تميم (إن كان معروفاً فيهم) أي إن كان أبوه أو هو معروفاً في كونه من تلك القبيلة وإلاّ فلا يجوز أن يعد منهم لأن من ليس من أولاد قيس مثلاً ولا ينسب إليه لا يعد من أولاده (ويرثهم ويرثونه) أي يرث ذلك الرجل تلك القبيلة ويرثونه ان كان بينه وبينهم قرابة موجبة للإرث مع شرائط ، واعلم أن ذلك الحكم غير مختص بالرجل المذكور لأن كل رجل حراً كان أو عبداً معتقا كان أ/ غير معتق ينسب إلى آبائه أحراراً كانوا أم عبيداً في الإسلام أم في الكفر لأن النسب لا يتغير ولا يتبدل بتلك الأوصاف، وكذا كل اثنين بينهما قرابة موجبة للإرث بشرائطه يقع التوارث بينها إلّا أن السائل لما سأل عن الرجل المذكور أجاب عليه السلام على وفق سؤاله .

* **الأصل:**

٣١٠ ـ ابن محبوب ، عن أبي أيّوب ، عن عبدالمؤمن الأنصاري ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : **إنَّ الله تبارك وتعالى أعطى المؤمن ثلاث خصال : العزَّ في الدُّنيا والآخرة والفلج في الدّنيا والآخرة والمهابة في صدور الظالمين** [2].

* **الشرح** : قوله (ان الله تبارك وتعالى أعطى المؤمن ثلاث خصال العزة في الدنيا والآخرة)

---

١ ـ (جد من أجداده) . مسألة كانت مبتلى بها في صدر الإسلام فإن قبائل العرب في الجاهلية كانوا يغيرون بعضهم على بعض ويتخذون الأسارى عبيداً وربما بقى منهم من أدرك الإسلام وجرى عليهم العبودية والسؤال عن صحة الاسترقاق الواقع في الجاهلية على خلاف قواعد الشرع فإن الاسترقاق المشروع أن يتخذ المؤمن من المشرك لا المشركون بعضهم من بعض فأجاب عليه السلام باستمرار ملك العبد الثابت في الجاهلية بعد الاسلام أيضاً كما في ساير أملاكهم وعقودهم، فإن من اشترى شيئاً في الجاهلية و ملكه بوجه محرم في الإسلام جائز قبل الإسلام يبقى حكم الملك على ما كان وإلا وقع الهرج والمرج، والرجل الذي سبي جده في الجاهلية وبقى هو واولاده مستمرين على الرقية بعد السلام أيضاً ينسب إلى آبائه الأرّقاء باعتبار بقاء حكم الرقية فيهم وأما الإنتساب إلى القبائل فأمر عرفي لم يبطله الشرع وكان لهم قانون معروف وهو أن العبيد كانوا يعدون من قبائل أربابهم فإذا أسر هاشمي مثلاً عبداً غير معروف أبوه وقبيلته يقال هذا العبد هاشمي بالولاء أو يقال هاشمي مولاهم وبين الإمام عليه السلام أن العبد المأسور هكذا يعد من قبيلة أربابه إذا لم يعرف نسبه أو كان من غير العرب وأما العربي المعروف كما في مورد المسألة يعد من قبيلته الأصلية هكذا ينبغي أن يفهم هذا الحديث (ش) .

(٢) الكافي: ٨ / ١٩٦.

الخصال بالكسر: جمع الخصلة بالفتح وهي الفضيلة ، والعزة الغلبة وخلاف الذلة، والمؤمن غالب في الحجة على قصمه وعزيز غير ذليل عنده تعالى في الدنيا والآخرة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » (والفلح في الدنيا والآخرة) الفلح بالحاء المهملة والتحريك: الفوز والنجاة والنقاء في الخير كالفلاح، وبالجيم: الظفر بالمقصود والفوز بالمطلوب والمؤمن فايز في الدنيا بالصراط المستقل وفي الآخرة بجنات النعيم (والمهابة في صدور الظالمين) لأن المؤمن يكون من الله قريباً حتى لو كشف الغطاء لرأيت أمراً عجيباً فلذلك يهابه الناس خصوصاً الظالمون لأنهم يهابون الله ويخافونه ولذلك كان المشركون مع كثرة عددهم وغاية شوكتهم يخافون رسول الله ﷺ وأصحابه مع قلة عددهم وضعف عدتهم كما نطق به القرآن الكريم.

*** الأصل:**

٣١١ ـ ابن محبوب ، عن عبدالله بن سنان قال : **سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ثلاثة هنَّ فخر المؤمن وزينته في الدُّنيا والآخرة : الصلاة في آخر اللّيل، ويأسه ممّا في أيدي النّاس، وولايته الإمام من آل محمّد ﷺ قال : وثلاثةٌ هم شرار الخلق ابتلى بهم خيار الخلق : أبوسفيان أحدهم قاتل رسول الله ﷺ وعاداه ، ومعاوية قاتل عليّاً عليه السلام وعاداه ، ويزيد بن معاوية لعنه الله قاتل الحسين بن عليّ عليهما السلام وعاداه حتّى قتله** (١).

*** الشرح :**

قوله: (ثلاث هن فخر المؤمن وزينته في الدنيا والآخرة . انتهى) الفخر ويحرك: التمدح بالخصال والكبر والعظم والشرف كالافتخار ولعل المراد أن الثلاثة زينة كاملة للمؤمن صالحة الفخر بها لو جاز الفخر ولو ذكرها المؤمن من حيث أنها نعم جليلة أعطاه الله أياها ووفقه لها فهو جائز بل هو شكر كما قال سيد المرسلين « أنا سيد ولد آدم ولا فخر »: أي لا أقوله تكبراً وتعظماً بل شكراً وتحدثاً بنعمته .

*** الأصل:**

٣١٢ ـ ابن محبوب ، عن مالك بن عطيّه ، أبي حمزة الثماليّ ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : **لا حسب لقرشيّ ولا لعربيّ إلّا بتواضع، ولا كرم إلّا بتقوى، ولا عمل إلّا بالنيّة ولا عبادة إلّا بالتفقّه ، ألا وإنَّ أبغض النّاس إلى الله من يقتدي بسنّة إمام ولا يقتدي بأعماله** (٢).

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩٦. (٢) الكافي: ٨ / ١٩٦.

* **الشرح :**

قوله: (لا حسب لقرشي ولا لعربي إلّا بتواضع) الحسب: الشرف والكمال، والقرشي بضم القاف وفتح الراء: منسوب إلى قريش على غير قياس قريشي بإثبات الياء ، والتواضع من الوضع:خلاف الرفع والتكبر، والمراد به التواضع لرب العالمين ولرسوله وأوليائه وللمؤمنين ومن تواضع وأظهر الذل والانكسار لهم فهو ذوشرف وكمال رفع الله قدرة في الدينا والآخرة ومن تكبر عليهم فهو خسيس ناقص خفضه الله فيهما (ولاكرم إلّا بتقوى) وهي اتخاذ الوقاية من عقوبة الله تعالى وسخطه بترك المعصية وفعل الطاعة (ولا عمل إلّا بالنية) لأن عمل القلب والجوارح تابع للنية فإن صحت صح وإن فسدت فسد وإن شئت زيادة توضيح فارجع إلى ما ذكرناه في باب النية وغيره من كتاب الكفر والإيمان (ولا عمل إلّا بالتفقه) لأن الإتيان بالعمل المطلوب شرعاً متوقف على معرفة حقيقة العمل وأجزائه وأركانه وشرائطه ومصلحه ومفسده وكيفيته وحدوده ومن ثم روى أن الجاهل إصلاحه للعمل أكثر من إفساده (وإن أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنّة إمام ولا يقتدي بأعماله) قال أبو جعفر على سبيل الإنكار: « حسب الرجل أن يقول أحب علياً وأتولاه ثم لا يكون فعالاً فلو قال: إني أحب رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ خير من على ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه وقال: من كان لله مطيعاً فهو لنا ولى ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو وما تنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع » الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

* **الأصل:**

٣١٣ ـ ابن محبوب ، عن أبي أيّوب ، عن بريد بن معاوية قال : **سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنّ يزيد بن معاوية دخل المدينة وهو يريد الحج**[1] **فبعث إلى رجل من قريش فأتاه فقال له يزيد: أتقرّ لي أنّك عبد لي ، إن شئت بعتك وإن شئت استرققتك فقال له الرَّجل : والله يا يزيد ما أنت بأكرم منّي في قريش حسباً ولا كان أبوك أفضل من أبي في الجاهلية والإسلام وما أنت بأفضل**

---

١ ـ قوله: (وهو يريد الحج) ذكر العلماء الأصوليون من علائم كذب الخبر عدم تواتر ما من شأنه أن يتواتر ومثلوا لذلك بخبر سقوط المؤذن من المنارة يوم الجمعة في المسجد الجامع إذا لم يتواتر ، ووجود بلد عظيم بين بغداد وسرمن رآه لم يره أحد ، وسفر يزيد إلى الحجاز لم ينقله أحد ولو كان حقاً بتواتر واستوجه العلامة المجلسي رحمه الله بسهو الراوي واشتباه يزيد بمسلم بن عقبة وهو خلاف عبارة الرواية فإن مسلم بن عقبة لم يكن قريشاً ، والظاهر سراية السهو إلى المتن أيضاً والصحيح ما في مروج الذهب أن مسلم بن عقبة لما نظر إلى علي بن الحسين عليهما السلام سقط في يديه وقام واعتذر منه وأرجعه بتكريم وقيل له رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما أتي به إليك رفعت منزلته فقال ما كان ذلك لرأي مني لقد ملىء قلبي منه رعباً (ش) .

منّي في الدِّين ولا بخبر منّي فكيف أقرُّ لك بما سألت ؟ فقال له يزيد : إن لم تقرّ لي والله قتلتك ، فقال له الرَّجل : ليس قتلك إيّاي بأعظم من قتلك الحسين ابن عليّ عليهما السلام ابن رسوله صلى الله عليه وآله فأمر فقتل .

(حديث عليِّ بن الحسين عليهما السلام مع يزيد لعنه الله »

ثمَّ أرسل إلى عليِّ بن الحسين عليهما السلام فقال له مثل مقالته للقرشيِّ فقال له عليُّ بن الحسين عليهما السلام . أرأيت إن لم أقر لك أليس تقتلني كما قتلت الرَّجل بالأمس فقال له يزيد لعنه الله: بلى فقال له علي ابن الحسين عليهما السلام : قد أقررت لك بما سألت أنا عبد مكروه فإن شئت فأمسك وإن شئت فبع ، فقال له يزيد لعنه الله : أولى لك حقنت دمك ولم ينقصك ذلك من شرفك (١).

*** الشرح :**

قوله: (فقال له يزيد لعنه الله أولى لك) أي هذا القول أولى لك وأنفع من تركه .

٣١٤ ـ الحسين بن محمّد الأشعري ، عن عليِّ بن محمّد بن سعيد ، عن محمّد بن سالم بن أبي مسلمة ، عن محمّد بن سعيد بن غزوان قال : **حدَّثني عبدالله بن المغيرة قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام . إنّ لي جارين أحدهما ناصب والآخر زيديٌّ ولابدّ من معاشرتهما فمن أُعاشر ؟ فقال : هماسيّان ، من كذَّب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره وهو المكذِّب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين قال : ثمَّ قال : إنَّ هذا نصب لك وهذا الزَّيديّ نصب لنا (٢).**

*** الشرح :**

قوله: (ثم قال : إن هذا نصب لك وهذا الزيدي نصب لنا) فيه أن هذا نصب له عليه السلام أيضاً لأنه رد إمامه ورفض مذهبه وهذا الزيدي نصب للقائل أيضاً لذلك ويمكن أن يوجه بأن القضية شخصية كما يشعر به لفظ هذا وأن النصب متوقف على العلم بالرفض وأن هذا الزيدي لم يكن عالماً برفض القائل وهذا الناصب لم يكن عالماً برفضه فليتأمل .

٣١٥ ـ محمّد بن سعيد قال : **حدَّثني القاسم بن عروة ، عن عبيد بن زرارة ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : من قعد في مجلس يسّب فيه إمامٌ من الائمّة يقدر على الانتصاف فلم يفعل ألبسه الله عزَّ وجلَّ الذُّلَّ في الدنيا وعذّبه في الآخرة وسلبه صالح ما منّ به عليه من معرفتنا (٣).**

*** الشرح :**

قوله: (من قعد في مجلس يسب فيه امام من الأئمة يقدر على الانتصاف . انتهى) في الكنز انتصاف «دادستانده» وذلك إما بزجره أو إلزامه بالحجة أو ضربه أو قتله ولو قدر على إلزامه بالحجة

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩٦. (٢) الكافي: ٨ / ١٩٧. (٣) الكافي: ٨ / ١٩٧.

وصرفه عن الباطل وعلى قتله فالراجح الاول لأن فيه إحياء النفس عن الموت الحقيقي، ولو لم يقدر على شيء فلا يبعد القول بوجوب القيام عليه كمال يدل عليه ظاهر بعض الروايات .

*** الأصل:**

٣١٦ ـ أبو عليّ الأشعري ، عن محمّد بن عبدالجبّار ، عن ابن فضّال عن إبراهيم ابن أخي أبي شبل ، عن أبي شبل قال : **قال لي أبو عبدالله عليه السلام ابتداء منه : أحببتمونا وأبغضنا النّاس وصدَّقتمونا وكذَّبنا النّاس ووصلتمونا وجفانا الناس فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا أما والله ما بين الرّجل وبين أي يقرّ الله عينه إلّا أن تبلغ نفسه هذا المكان ـ وأومأ بيده إلى حلقه فمدّ الجلدة ـ ثمّ أعاد ذلك فوالله ما رضي حتّى حلف لي فقال : والله الذي لا إله إلّا هو لحدَّثني أبي محمّد بن عليّ عليهما السلام بذلك يا أبا شبل أما ترضون أن تصلّوا ويصلّوا فيقبل منكم ولا يقبل منهم، أمّا ترضون أن تزكّوا ويزكّوا فيقبل منكم ولا يقبل منهم ، أما ترضون أن تحجّوا ويحجّوا فيقبل الله جلّ ذكره منكم ولا يقبل منهم والله ما تقبل الصّلاة إلّا منكم ولا الزكاة إلّا منكم ولا الحجَّ إلّا منكم فاتقّوا الله عزَّ وجلَّ فإنّكم في هدنة وأدّوا الأمانة فإذا تميّز الناس فعند ذلك ذهب كلُّ قوم بهواهم وذهبتم بالحقِّ ما أطعتمونا ، أليس القضاة والأمر وأصحاب المسائل منهم ؟ قلت : بلى ، قال عليه السلام : فاتّقوا الله عزَّ وجلَّ فانّكم لا تطيقون النّاس كلّهم إنَّ الناس أخذوا هٰهنا وهٰهنا وإنّكم أخذتم حيث أخذ الله عزَّ وجلَّ ، إنّ الله عزَّ وجلَّ اختار من عباده محمّداً صلى الله عليه وآله فاخترتم خيرة الله فاتّقوا الله وأدُّوا الأمانات إلى الأسود والأبيض وإن كان حروريّاً وإن كان شاميّاً** [١].

*** الشرح :**

قوله: (فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا) أي جعل الله حياتكم كحياتنا في الاستقامة والهداية والرشاد وموتكم كموتنا على الحق والسعادة والسداد ، والمحيا مفعل من الحياة ويقع على المصدر والزمان والمكان وكذلك الممات (أما والله ما بين الرجل منكم وبين أن يقر الله عينه إلّا أن تبلغ نفسه هذا المكان . انتهى) أقر الله عينه: من القر بالضمِ وهي البرد أي أبرد دمعتها وهو كناية عن الفرح والسرور لأن دمعتها باردة أو أراها ماكانت متشوقة إليه من القرار أي أثبتها وأسكنها بمشاهدة الكرامة حتى لا تستشرف إلى غيرها (أما ترضون أن تصلوا ويصلوا فيقبل منكم ولا يقبل منهم . انتهى) فيه تسلية للمؤمنين إذا كما أن هلاكهم يشفي غيظ صدور المؤمنين كذلك بقاءهم على أعمالهم الفاسدة وعدم أجرهم عليها وقبول أعمال المؤمنين وأخذهم أجورها يشفي غيظ

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩٧.

صدورهم (فاتقوا الله تعالى فإنكم في هدنة) هي بالضم: المصالحة، وكأنه أمر بالتقية في دولتهم بقرينة التعليل والتقية من تقوى الله تعالى وطاعته (وأدوا الأمانات) إلى أهلها وإن كان كافراً كما يؤتي ويدل عليه الآية الكريمة (فإذا تميز الناس فعند ذلك ذهب كل قوم بهواهم وذهبتم بالحق ما أطعتمونا) التميز عند ظهور الصاحب عليه السلام أو عند قيام الساعة والباء في الموضعين للتعدية أو بمعنى مع أوالي ، والمراد بالإطاعة المتابعة في الأعمال وحملها على الإقرار بعيد (أليس القضاة والأمراء وأصحاب المسائل منهم . انتهى) الاستفهام للتقريب وأصحاب المسائل هم الفقهاء وأهل الإفتاء وفيه ترغيب في المماشاة معهم والتقية منهم لكثرتهم وقوتهم وضعف الشيعة وقلتهم والحروري الخارجي منسوب إلى حروراء مداً وقصراً هي قرية كان أول اجتماعهم بها والمراد بالشامي بنوأمية أو أهل الشام مطلقاً وهم كانوا مرتدين معاونين للمرتد .

*** الأصل:**

٣١٧ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن فضّال ، عن إبراهيم بن أخي أبي شبل ، عن أبي شبل ، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله .

*** الأصل:**

٣١٨ ـ سهل بن زياد ، عن محمّد بن سنان ، عن حمّاد بن أبي طلحة ، عن معاذ بن كثير قال : **نظرت إلى الموقف والنّاس فيه كثير فدنوت إلى أبي عبدالله عليه السلام فقلت له : إنَّ أهل الموقف لكثير ؟ قال : فصرف ببصره فأداره فيهم ثمَّ قال : ادن منّي يا أبا عبدالله ، غثاءٌ يأتي به الموج من كلِّ مكان لا والله ما الحجُّ إلّا لكم ، لا والله ما يتقبّل الله إلّا منكم** [1].

*** الشرح :**

قوله: (ثم قال: ادن مني يا أبا عبدالله غثاء يأتي به الموج من كل مكان) فيه إيجاز الحذف أي فدنوت منه فقال يا أبا عبدالله . والغثاء بالضم والمد: ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره .

*** الأصل:**

٣١٩ ـ الحسين بن محمّد الاشعريُّ ، عن معلّى بن محمّد ، عن الحسن بن عليّ الوشّاء ، عن أبان ابن عثمان ، عن أبي بصير قال : **كنت جالساً عند أبي عبدالله عليه السلام إذا دخلت عليه أمُّ خالد الّتي كان قطعها يوسف بن عمر تستأذن عليه فقال أبو عبدالله عليه السلام : أيسرُّك أن تسمع كلامها ؟ فقلت نعم**

(١) الكافي: ٨ / ١٩٨ .

فقال أمّا الآن فاذن لها قال ، وأجلسني معه على الطنفسة ثمَّ دخلت فتكلّمت فإذا امرأة بـليغة فسألته عنها فقال لها : تولّيهما ؟ قالت : فأقول لربّي إذا لقيته إنّك أمرتني بولايتهما قال : نعم ، قالت فانَّ هذا الذي معك على الطنفسة يأمرني بالبراءة منهما وكثير النّوا يأمرني بولايتهما فأيّهما خير وأحبُّ إليك ، قال : هذا والله أحبُّ إليَّ من كثير النّوا وأصحابه ، إنَّ هذا يخاصم فيقول : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الكافرون» «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الضالمون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الفاسقون » [(١)].

*** الشرح :**

قوله: (إن هذا يخاصم فيقول ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الضالمون . انتهى) مرَّ هذا الحديث متناً وسنداً مع شرحه ، قال الأمين الاسترابادي: هذا ناظر إلى دليل شايع بين أصحابنا وأصحاب الأئمة عليهم السلام وكانوا يحتجون به على العامة، وملخصه أن هذه الآيات صريحة في أن من حكم برأيه أي الاجتهاد الظني وأخطأ فهو آثم فاسق صرح بذلك رئيس الطايفة في آخر كتاب العدة في الأصول وقال: هذه مذهب شيخنا أبي عبدالله المفيد ومذهب سيدنا الأجل المرتضىٰ ومذهب جميع المتقدمين والمتأخرين من أصحابنا وحاصل الدليل أنه إذا ثبت حرمة الاعتماد على الاجتهاد الظني فيما جاء به النبي ﷺ في الأحكام الخمسه والأحكام الوضعية فتعين أن يكون في الخلق دائماً رجل يعلم ما يحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة بوحى إلهى لا رأى ظني بشري وانعقد إجماع المسلمين على أن غير الأئمة الأثنى عشر ليس كذلك فتعين أن يكون هم خزان علم الله وتراجمة وحيه وأن يكونوا مصداق قوله « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ».

أقول: ان أراد بالاجتهاد الظني، الاجتهاد المستند إلى الرأي والقياس فلا نزاع بين الأصحاب في أنه باطل موجب للإثم وإن أراد به الاجتهاد المستند إلى النص المفيد للظن بالحكم فكونه باطلاً موجباً للإثم بين جميع المتقدمين والمتأخرين محل كلام ثم مقصوده ان الحكم يجب أن يكون من باب اليقين ولا ريب في أن دلالة الآيات المذكورة على ما ذكره من الحكم ظنية فقد قر في ما فرّ منه فليتأمل .

*** الأصل:**

٣٢٠ ـ عنه عن المعلّى ، عن الحسن ، عن أبان ، عن أبي هاشم قال : لمّا أُخرج بـعليّ عليه السلام خرجت فاطمة عليها السلام واضعة قميص رسول الله ٩ على رأسها آخذة بيدي ابنيها فقالت : **مالي ومالك**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩٨.

يا أبابكر تريد أن تؤتم ابنيَّ وترملني من زوجي؟ والله لولا أن تكون سيّئة لنشرت شعري ولصرخت إلى ربّي، فقال رجلٌ من القوم: ما تريد إلى هذا، ثمّ أخذت بيده فانطلقت به [١].

*** الشرح:**

قوله: (عن أبي هاشم قال: لما أخرج بعلي عليه السلام خرجت فاطمة عليها السلام) أي أُخرج عليه السلام قسراً وقهراً ليبايع أبا بكر ولم يعلم أن هذه قول أبي هاشم أو قول المعصوم.

(لولا أن تكون سيئة لنشرت شعري) «تكون» تامة والمراد بالسيئة هلاكهم ونزول البلاء عليهم أو نشرت الشعر.

(فقال رجل من القوم: ما تريد إلى هذا؟) كان «إلى» بمعنى «من» للإبتداء، وهذا إشارة إلى علي عليه السلام والخطاب لأبي بكر وضمير الغايب كما في بعض النسخ له والاستفهام للإنكار ما أراد منه أخذ البيعة قهراً أو إيصال المكروه إليه وفي بعض النسخ «إلّا هذا» وعلى هذا ما نافية وهذا إشارة إلى ما ذكرته فاطمة عليها السلام وضمير الخطاب أو الغيبة بحاله. روى مسلم أن فاطمة بقيت بعد أبيها ستة أشهر وبايع على مع أبي بكر بعد وفاتها، قال شارحه أبو عبدالله الآبي: كان لعلي في حياتها وجه من الناس فلما ماتت فاطمة استنكر على وجوههم فاخذ البيعة.

أقول: تأمل فيه فانه صريح في أنه عليه السلام لم يبايع إلّا بعد ستة شهر مكرهاً فإن كان أبو بكر على الحق كان علي عليه السلام فاسقاً حتى أنه لو مات قبل البيعة مات ميتة جاهلية عندهم، وإن كان على الباطل كما هو الحق كان كافراً مرتداً وهو كذلك.

*** الأصل:**

٣٢١ ـ أبان، عن عليِّ بن عبدالعزيز، عن عبدالحميد الطائيِّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **والله لو نشرت شعرها ماتوا طرّاً.**

*** الأصل:**

٣٢٢ ـ أبان، عن ابن أبي يعفور قال: **قال أبو عبدالله عليه السلام: إنَّ ولد الزِّنا يستعمل إن عمل خيراً جزي به وإن عمل شرّاً جزي به** [٢].

*** الشرح:**

قوله: (ان ولد الزنا يستعمل إن عمل خيراً جزي به، وإن عمل شراً جزي به) أي يطلب العمل من ولد الزنا ويكلف به فهو كساير المكلفين في العمل والثواب والعقاب، واختلف العلماء في كفره

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩٩. (٢) الكافي: ٨ / ١٩٩.

وإسلامه فذهب ابن إدريس إلى الأول لقول النبي صلى الله عليه وآله **« ولد الزنا لا يدخل الجنة »** وقال: لو كان مسلماً لدخلها وذهب الاكثر إلى الثاني للإخبار الدالة عليه وأوّلوا أخبار الكفر بالبناء على الغالب، وتفصيل الكلام فيه في الكتب المبسوطة .

*** الأصل:**

٣٢٣ ـ أبان ، عن عبدالرحمن بن أبي عبدالله قال : **سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من حجرته ومروان وأبوه يستمعان إلى حديثه ، فقال له : الوزغ بن الوزغ** . قال أبو عبدالله عليه السلام : **فمن يومئذ يرون أنّ الوزغ يسمع الحديث** (١).

*** الشرح :**

قوله: (خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من حجرته ومروان وأبوه يستمعان إلى حديثه فقال له الوزغ بن الوزغ) مروان وأبوه الحكم بن العاص كانا مطرودين ملعونين بلسان النبي صلى الله عليه وآله وتقلد مروان أمر الخلافة بعد معاوية بن يزيد بن معاوية سنة وتسعة أشهر وبعده ابنه عبد الملك وبعد عبد الملك بنوه وليد وسليمان ويزيد وهشام على الترتيب وفعلوا في الدين ما فعلوا وقتلوا من أولاد الرسول وشيعتهم من قتلوا (فمن يومئذ يرون أن الوزغ يستمع الحديث) لفهمهم أن وجه التشبيه استماع الحديث وفي بعض النسخ « يروون » بالواوين من الرواية .

*** الأصل:**

٣٢٤ ـ أبان ، عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : **لمّا ولد مروان عرضوا به لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يدعو له فأرسلوا به إلى عائشة ليدعو له ، فلمّا قربته منه قال : أخرجوا عنّي الوزغ بن الوزغ** : قال زرارة: ولا أعلم إلّا أنّه قال ، ولعنه (٢).

*** الشرح** : قوله: (لما ولد مروان عرضوا به لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يدعو له . انتهى) قيل كانوا يعرضون الطفل عليه صلى الله عليه وآله ليدعو له ويحنكه قصداً لأن يكون أول ما دخل جوفه ما أدخل صلى الله عليه وآله وطلباً للتبرك به ، وفيه دلالة على حسن عشرته لأمّته بالتآلف والتودد وهذا لأجل التأسي جرى في جميع الأعصار فأهل كل عصر تأدبوا بمثل هذا الأدب من التبرك بآثار الصالحين فحملوا بالولد عند ولادته إليهم يحنكونه ويدعون له .

*** الأصل:**

٣٢٥ ـ أبان ، عن عبدالرَّحمن بن أبي عبدالله ، عن أبي العبّاس المكّيِّ قال : **سمعت أبا**

---

(١) الكافي: ٨ / ١٩٩. (٢) الكافي: ٨ / ١٩٩.

جعفر عليه السلام يقول: إنَّ عمر لقي أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أنت الذي تقرأ هذه الآية «بأيّكم المفتون» تعرُّضاً بي وبصاحبي قال: أفلا أُخبرك بآية نزلت في بني أُميّة «فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم» فقال: كذبت، بنو أُميّة أوصل للرَّحم منك ولكنّك أبيت إلّا عداوة لبني تيم وعديّ وبني أُميّة [1].

*** الشرح:**

قوله: (سمعت أبا جعفر عليه السلام أن عمر لقي أمير المؤمنين عليه السلام) مرَّ هذا الحديث متناً وسنداً مع شرحه في حديث أبي بصير مع المرأة.

*** الأصل:**

٣٢٦ - عليٌّ بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **كان عليّ عليه السلام يقوم في المطر أوّل ما يمطر حتّى يبتلّ رأسه ولحيته وثيابه، فقيل له: يا أمير المؤمنين الكنَّ الكنَّ فقال: إنَّ هذا ماء قريب عهد بالعرش.**

ثم أنشأ يحدّث فقال: إنَّ تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت أرزاق الحيوانات فإذا أراد الله عزَّ ذكره أن ينبت به ما يشاء لهم رحمة منه أوحى الله إليه فمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتّى يصير إلى السماء الدُّنيا فيما أظنُّ فيلقيه إلى السّحاب والسحاب بمنزلة الغربال، ثمَّ يوحي الله إلى الريح أن اطحنيه وأذيبيه ذوبان الماء، ثمّ انطلقي به إلى موضع كذا وكذا وفأمطري عليهم فيكون كذا وكذا عباباً وغير ذلك فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها به فليس من قطرة تقطر إلّا ومعها ملك حتّى يضعها موضعها ولم ينزل من السّماء قطرةٌ من مطر إلّا بعدد معدود ووزن معلوم إلّا ما كان من يوم الطوفان على عهد نوح عليه السلام فإنّه نزل ماء منهمر بلا وزن ولا عدد.

قال: وحدّثني أبو عبدالله عليه السلام قال: **قال لي أبي عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل السحاب غرابيل للمطر، هي تذيب البرد حتّى يصير ماء لكي لا يضرّ به شيئاً يصيبه، الذي ترون فيه من البرد والصواعق نقمة من الله عزَّ وجلَّ يصيب بها من يشاء من عباده. ثمَّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تشيروا إلى المطر ولا إلى الهلال فإنَّ الله يكره ذلك [2].**

*** الشرح:**

قوله: (فقيل له: يا أمير المؤمنين الكن الكن) أي اطلب الكن وأدخله وهو بالكسر: مايرد من الحر والبرد من الأبنية والمساكن (فقال: ان هذا ماء قريب عهد بالعرش) العرش يطلق بلسان

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٠. (٢) الكافي: ٨ / ٢٠٠.

الشرع على العلم والقدرة وعلى الجسم المحيط بالعالم وهو الأنسب هنا ويفهم منه استحباب التبرك بالمطر سيما قبل استقراره بالأرض الّتي عبد عليها غير الله تعالى وقبل أن تمسه الايدي الخاطئة لأن المطر رحمة لقوله تعالى « بشرى بين يدي رحمته » ومبارك لقوله تعالى « ماء مباركاً فأنبتنا به » وقريب عهد من محل رحمته وهو العرش ويحتمل أن يراد بالعرش هنا الإرادة ومعنى قرب عهده بتعلقها وإلاّ فإرادته تعالى قديمة وأن يراد بها الرحمة والحديث حجة لمن رجح ماء المطر على مياه الأرض والأطباء يقولون أنه أنفع المياه ما لم يختزن وفيه أيضاً دلالة على زيادة تعظيم كل موجود في بدء وجوده لأنه قريب عهد برحمة الإيجاد ولهذا بالغ الشرع في رعاية الأطفال (ثم يوحي إلى الريح أن اطحنيه وأذيبيه ذوبان الماء . انتهى) طحن البركمنع :جعله دقيقاً وذاب ذوباً وذوباناً محركة ضد جمد وأذابه غيره و فيه دلالة على أنه في الأصل برد (فيكون كذا وكذا عباباً وغير ذلك)كذا اسم مبهم ويجري مجرى «كم » فينتصب ما بعده على التميز، والعباب بالضم: معظم السيل وارتفاعه وكثرته أو موجه، وأول الشيء والمراد بغير ذلك سائر مراتب القلة والكثرة ،كل ذلك لمصلحة لا يعلمها إلّا هو (فإنه نزل لماء منهمر) ضمير المنصوب ليوم الطوفان أي نزل فيه ماء منسكب يقال: انهمر الماء انسكب وسال وفي الكنز انهمار «ريزان شدن آب» ومثل آن (لا تشيروا إلى المطر ولا إلى الهلال فإن الله يكره ذلك) ظاهره غريب وكيفية الإشارة إلهيما غير معلومة ويمكن أن يكون كناية عن نسبة منافعهما إليهما ، ولو قُرِأ بالتاء المثناة الفوقانية من شتر به كفرح إذا سبه أو من شتر فلاناً إذا غته وجرحه وجعل إلى بمعنى الباء وزائدة لكان له وجه .

*** الأصل:**

٣٢٧ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عليٍّ بن أسباط رفعه قال : كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابن عبّاس : **أمّا بعد فقد يسرُّ المرء ما لم يكن ليفوته ويحزنه ما لم ليكن ليصيبه أبداً وإن جهد فليكن سرورك بما قدَّمت من عمل صالح أو حكم أو قول وليكن أسفك فيما فرّطت فيه من ذلك ودع ما فاتك من الدُّنيا فلا تكثر عليه حزناً وما أصابك منها فلا تنعم به سروراً وليكن همّك فيما بعد الموت والسّلام** (١).

*** الشرح :**

قوله: (أما بعد فقد يسر المرء ما لم يكن ليفوته ويحزنه ما لم يكن ليصيبه أبداً وان جهد) أي وإن اجتهد يعني أن المرء يكون من هذه الحالة وهي أنه تسره إصابة ما ينفعه ويحزنه فواته وما ينفع

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٠١.

على قسمين أحدهما ما ينفع في الآخرة وثانيهما: ما ينفع في الدنيا والعقل اللبيب ينبغي أن يسر بإصابة الأول ويحزن بفواته وإليه اشار بقوله (فليكن سرورك بما قدمت من عمل صالح أو حكم) بالعدل أو (قول) بالحق (وليكن أسفك وحزنك فيما فرطت فيه من ذلك) فإن هذا السرور أبدي وهذا الحزن مع كونه ندامة وعبادة موجب للزيادة والتدارك وأن لا يحزن بفوات الثاني ولا يسر بإصابته وإليه أشار بقوله (ودع ما فاتك من الدنيا فلا تكثر عليه حزناً وما أصابك منها فلا تنعم به سروراً) كما يسر وينعم أهل الدنيا يقال نعم العود كفرح إذا اخضرّ ونضر ثم أمر بما هو كالسبب لجميع ذلك .

*** الأصل:**

٣٢٨ ـ سهل بن زياد ، عن الحسن بن عليّ ، عن كرام ، عن أبي الصامتّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **مررت أنا وأبوجعفر عليه السلام على الشيعة وهم ما بين القبر والمنبر ، فقلت لأبي جعفر عليه السلام : شيعتك ومواليك جعلني الله فداك قال : أين هم ؟ فقلت أراهم ما بين القبر والمنبر ، فقال اذهب بي إليهم فذهب فسلّم عليهم ، ثمَّ قال : والله إنّي لُاحبُّ ريحكم وأرواحكم فأعينوا مع هذا بورع واجتهاد إنّه لا ينال ما عندالله إلّا بورع واجتهاد وإذا ائتممتم بعبد فاقتدوا به ، أمّا والله إنّكم لعلى ديني ودين آبائي إبراهيم وإسماعيل وإن كان هؤلاء على دين أولئك فأعينوا على هذا بورع واجتهاد** (١).

*** الشرح :**

قوله (وليكن همك فيما بعد الموت والسلام) لأن التذكير بهادم اللذات والتخويف بذكره تنفير عن محبة الدنيا والحزن بفواتها وترغيب في محبة الآخرة والعمل لها والحزن بفواتها (فقال: اذهب بي إليهم . انتهى) أمره بذلك لأنه عليه السلام كان بدناً عظيم الجثة متكئاً عليه والمحبة بينه وبين الشيعة جبلية للتقارب بينهما بحسب الذات والأرواح والصفات كما مرَّ في كتاب الكفر والإيمان وفيه حث على الميل إلى الشيعة والمخالطة بهم وإظهار المحبة لهم (فأعينوا مع هذا بورع واجتهاد) أي فاعينوا بعضكم بعضاً بورع عن المعصية واجتهاد في العلم والطاعة أو فأعينوني بذلك وإنما جعل ورعهم واجتهادهم إعانة له عليه السلام لأن الأئمة عليهم السلام يشفعون لشيعتهم ويدخلونهم الجنة كما دلت عليه الأخبار ولا ريب في أن الورع والإجتهاد مما يعينهم على ذلك لأن قبول الشفاعة في محل قابل أقرب إلى الاستجابة (وإن كان هؤلاء على دين أولئك) كانت الإشارة الاولى إلى المخالفين

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٠١.

والثانية إلى شيوخهم.

* **الأصل:**

٣٢٩ ـ أبو عليّ الأشعري، عن الحسن بن عليّ الكوفي، عن العبّاس بن عامر، عن الرَّبيع بن محمّد المسلي، عن أبي الربيع الشاميّ قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: **إنَّ قائمنا إذا قام مدَّ الله عزَّ وجلَّ لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتّى [لا] يكون بينهم وبين القائم بريد يكلّمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه** [١].

* **الشرح:**

قوله: (إن قائمنا إذا قام مد الله عز وجل لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم) أي يقوّي القوة السامعة والباصرة لهم كما يقوّيهما لهم وهم في الجنان (حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم[٢] فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه) البريد: الرسول وفي قليل من النسخ حتى يكون بدون لا والمراد فيه بالبريد فرسخان اواثني عشر ميلاً أو ما بين المنزلين.

* **الأصل:**

٣٣٠ ـ عدَّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عثمان بن عيسى، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **من استخار الله راضياً بما صنع الله له خار الله له حتماً** [٣].

* **الشرح:**

قوله: (من استخار الله راضياً بماصنع الله له خار الله له حتماً)[٤] استخاره طلب منه الخيرة

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٠١.

٢ ـ قوله «بريد يكلمهم. أراد بالبريد هنا الإنسان الحامل للمكتوب والرسالة لا المسافة ويمكن أن يكون إشارة الى صنعة تقرب الصوت والنظر كما في عهدنا لكن ظاهر الخبر أنه يختص بالشيعة وما بالصنعة يعم النّاس أجمعين. (ش)

(٣) الكافي: ٨ / ٢٠١.

٤ ـ قوله: «خار الله له حتماً» الاستخارة: طلب الخير من الله تعالى وهي إما دعاء وهو أن يطلب من الله تعالى أن يسهل له وسائل الوصول إلى ما هو خير له ويهيىء له اسبابه حتى إذا رآه خيراً وتبين له مصلحته أقدم عليه كمن يريد سفر حج أو زيارة فيطلب منه تعالى أن يسهل له أسباب السفر من الزاد والراحلة وتخلية السرب بأحسن وجه وأسهل طريق، ودليل مشروعيته آيات القرآن المرغبة في مطلق الدعاء، وقد تكون الاستخارة طلب الخير من الله تعالى عند التحير بأن يكون أمران مقدوران كلاهما وجائزان له شرعاً وعرفاً ولا يعلم وجه الترجيح فيطلب من الله تعالى إزالة الحيرة وإرائة طريق الترجيح بأن يتبين له بالقرائن العقلية رجحان أحد الأمرين حتى يختاره بعقله وهذا أيضاً يشمله الآيات القرآنية المرغبة في الدّعاء وقد يكون حيرته بحيث لا يتوقع زوالها بظهور القرائن العقلية على الترجيح فيدعو الله تعالى ويطلب منه أن يهديه لما هو خير له بأول آية يقع نظره عليها من المصحف أو ما ينتهي به عدد أسماء الجلالة أو غيرها وهذا أيضاً دعاء يشتمله آيات

وخار الله له في الأمر جعل له فيه الخير وهذا أمر ضروري لأن الله تعالى يريد خير العباد كلهم فإذا توجه إليه العبد العاجز عن معرفة صلاح أمره وفساده يهديه إلى الخير قطعاً.

*** الأصل:**

٣٣١ ـ سهل بن زياد، عن داود بن مهران، عن عليِّ بن إسماعيل الميثمي، عن رجل، عن جويرية بن مسهر قال: **اشتددت خلف أمير المؤمنين عليه السلام فقال لي: يا جويرية إنّه لم يهلك هؤلاء الحمقى إلّا بخفق النعال خلفهم، ما جاء بك قلت جئت أسألك عن ثلاث: عن الشرف، وعن المروءة، وعن العقل، قال: أمّا الشرف فمن شرّفه السلطان شرّف، وأمّا المروءة فإصلاح المعيشة وأمّا العقل فمن اتّقى الله عقل** [1].

*** الشرح:**

قوله: (اشتددت خلف أمير المؤمنين عليه السلام .انتهى) أشد العدو اشتد عدوا وهؤلاء إشارة إلى الخلفاء وأضرابهم، والأحمق: قليل العقل، وقوم ونسوة حمقى بالفتح والقصر، والخفق: صوت النعال والشرف محركة: القدر المنزلة والعلو والمجد وشرف الآخرة لمن شرّفه السلطان الاعظم بالهدايات الخاصة إلى الأعمال الصالحة وشرف الدنيا لمن شرّفه هؤلاء السلاطين، والمعيشة: مايعاش به وإصلاحها تحصيلها من حلال وصرفها في حلال والتحرز عن الإسراف والتقتير، والعقل ما يقتضي القيام بطاعة الله والإتقاء عن عقوبته.

*** الأصل:**

٣٣٢ ـ سهل بن زياد، عن عليِّ بن حسّان، عن عليِّ بن أبي النوار، عن محمّد بن مسلم قال: **قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك لايِّ شيء صارت الشمس أشدّ حرارة من القمر؟ فقال: إنَّ الله خلق الشمس من نور النّار وصفوالماء، طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتّى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار، فمن ثمَّ صارت أشدّ حرارة من القمر، قلت: جعلت فداك والقمر؟ قال: إنَّ الله تعالى ذكره خلق القمر من ضوء نور النار وصفوالماء، طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا**

القرآن مثل «قال ربكم ادعوني استجب لكم» وكذلك الاستخارة بالسبحة أو بالرقاع على ما في كتب الأدعية فإنها دعاء وسؤال حاجة من الله مع أنه قد ورد في الحديث الصحيح المعمول به «والقرعة لكل أمر مشكل» ويدل عليه أيضاً عمل النبي زكريا عليه السلام حيث اشترك مع جماعة يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم على ما في القرآن الكريم ولكن يتوقف ذلك على الإيمان بالغيب والاعتقاد بتأثير الأمور الروحانية واليقين بقدرة الله تعالى والاطمئنان بإنجاز وعده حيث قال «أدعوني أستجب لكم» ولا يتمشى من الملاحدةو من يقرب مذهبه منهم والله الهادي إلى سواء السبيل. (ش)

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٢.

كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء فمن ثمَّ صار القمر أبرد من الشمس (١).

*** الشرح:**

قوله: (فقال : إن الله خلق الشمس من نور النار . انتهى) هذا على تقدير صدق الخبر سر من أسراره تعالى وجب الإقرار به والسكوت عن تفسيره إلّا أنه يخطر بالبال من باب الاحتمال أن المراد بنور النار لهبها وبضوئه ما انعكس من نورها في الجسم المقابل لها وأن النسبة بين حرارة في طبقات الشمس وحرارة في طبقات القمر كالنسبة بين حرارة لهب النار وضوئه وتلك النسبة لا يعلمها إلاّ الله عزَّ وجلَّ ومن عصمه ولذلك صارت الشمس أشد حرارة من القمر وقوله في الشمس وألبسها لباساً من نار وفي القمر فألبسها لباساً من ماء يحتمل وجهين أحدهما أن الشمس أجزاؤه النارية أغلب من أجزائها المائية فلذلك أفاض عليها كيفية نارية وألبسها بها والقمر بالعكس ، وثانيهما أنه وقع نور النار أول طبقة في نضد طبقات الشمس وآخر طبقة فلذلك ألبسها لباساً من نار لكون النار ظاهرة والماء مستبطناً ووقع صفو الماء في نضد طبقات القمر أولاً وآخراً فصار صفو الماء ظاهراً وضوء نور النار باطناً فلذلك صار القمر ملبساً بلباس من ماء والله يعلم .

*** الأصل:**

٣٣٣ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن بعض أصحابنا ، عن محمّد بن الهيثم ، عن زيد أبي الحسن قال : **سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : من كانت له حقيقة ثابتة لم يقم على شبهة هامدة حتّى يعلم منتهى الغاية ويطلب الحادث من الناطق عن الوارث وبأيِّ شيء جهلتم ما أنكرتم وبأيِّ شيء عرفتم ما أبصرتم إن كنتم مؤمنين** (٢).

*** الشرح:**

قوله: (من كانت له حقيقة ثابتة) هو من رسخت ثبتت له حقيقة العهد الأول المأخوذ عليه بالولاية أو حقيقة الإيمان أو من كان طبعه مستقيماً على فطرته الأصلية (لم يقم على شبهة هامدة) أي بالية زائلة باطلة من همدت النار إذا خمدت والثوب إذا بلي ولعل المراد بها شبهة المعاندين في الإمامة وغيرها من أصول الدين وفروعه (حتى يعلم منتهى الغاية) غاية كل شيء: منتهاه وقد تطلق على المسافة أيضاً والإضافة على الأول بيانية وعلى الثاني لامية أي حتى يعلم غاية تلك الشبهة ومفاسدها المرتبة عليها ويعلم أن الحق وراءها .

(ويطلب الحادث من الناطق عن الوارث) أي يطلب الأمر الحادث من أمور الدين أصلاً كان أم

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٢ . (٢) الكافي: ٨ / ٢٠٢.

فرعاً من الإمام الناطق عن الوارث وهو الله تعالى ولو بواسطة من العلماء الناقلين منهم عليهم السلام (وبأي شيء جهلتم ما أنكرتم) الظاهر أنه عطف على منتهى الغاية، أي حتى يعلم بأي سبب أنكرتم ما أنكرتم من ولاية الظالمين وهو كونهم جاهلين غاصبين للولاية غير منصوبين من قبل الله تعالى ورسوله (وبأي شيء عرفتم ما أبصرتم) من ولاية الإمام العادل العالم المنصوب بأمر الله تعالى (ان كنتم مؤمنين) يجوز فتح الهمزة ليكون تعليلاً لقوله « أنكرتم ، وعرفتم » ويجوز كسرها على حذف الجزاء أي إن كنتم مؤمنين تعرفون أن ما ذكرناه لا ريب فيه والله يعلم .

*** الأصل:**

٣٣٤ ـ عنه ، عن أبيه ، عن يونس بن عبدالرَّحمن رفعه قال : **قال أبو عبدالله عليه السلام : ليس من باطل يقوم بأزاء الحقِّ إلّا غلب الحقُّ الباطل وذلك قوله عزَّ وجلَّ : « بل نقذف بالحقِّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق »** [(١)].

*** الشرح :**

قوله: (ليس من باطل يقوم بأزاء الحق إلاّ غلب الحق الباطل) إذ الحق من حيث أنه حق ثابت في نفس الأمر يغلب الباطل من حيث أنه باطل غير ثابت فيها الضرورة أن كل ما هو ثابت يوجب زوال ضده ولا ينافي هذا غلبة الباطل واشتهاره من حيث أن طبائع أكثر الخلق مائلة إليه إذ هو مع اشتهاره مغلوب للحق زائل في نفس الأمر وذلك قوله تعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) القذف: الرمي بقوة والدمغ كسر الدماغ مع شق أمه وهو جليدة رقيقة كخريطة هو فيها يقال دمغه يدمغه من باب منع ونصر وأدمغه: إذا أصاب دماغه فقتله، والزهوق: خروج الروح، والمعنى ليس من أمرنا اتخاذ اللهو بل يغلب الحق على الباطل فيبطله إلّا أنه استعار له لفظ القذف والدمغ ورشح بذكر الزهوق تصويراً لإبطاله مبالغة فيه كما صرح به المفسرون .

*** الأصل:**

٣٣٥ ـ عنه ، عن أبيه مرسلاً قال : **قال أبو جعفر عليه السلام : لا تتّخذوا من دون الله وليجة فلا تكونا مؤمنين ، فإنَّ كلَّ سبب ونسب وقرابة ووليجة وبدعة وشبهة منقطع مضمحلّ كما يضمحلّ الغبار الذي يكون على الحجر الصلد إذا أصابه المطر الجود إلّا ما أثبته القرآن .**

قوله: (لا تتخذوا من دون الله وليجة فلا تكونوا مؤمنين) وليجة الرجل: بطانته وخاصته وصاحب سره ومن اتخذه معتمداً عليه ، وهو صريح كالآية في أن من اتخذ أميناً في الدين وإماماً

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٢.

ومعتمداً لم يأمر الله تعالى باتخاذه خرج من الإيمان (فإن كل سبب وقرابة ووليجة وبدعة وشبهة منقطع مضمحل كالغبار الذي يكون على الحجر الصلد إذا أصابه المطر الجود إلّا ما أثبته القرآن) وروى العامة عن النبي ﷺ قال : **« كل سبب ونسب منقطع إلّا سببي ونسبي »** السبب: كل ما يتوصل به إلى الشيء كطرق الأرزاق والمعارف والأحكام ونحوها واصله الحبل الذي يتوصل به إلى الماء، والنسب بالولاية والقرابة بالرحم والعطف اما للتفسير أو من باب عطف العام على الخاص إن خص النسب بالأب وعمت القرابة بالأب والعم أو بالعكس ان خصت القرابة بالأقرب وعم النسب بالأقرب والأبعد ، والبدعة: كل ما خالف الشريعة ، والشبهة: كل باطل مزج بالحق أخذه الوهم بصورة الحق وشبهته به ، والصلد بالفتح وقد يكسر: الصلب الأملس، والجود بالفتح المطر الواسع الغنزير والإستثناء من غير الأخيرين والمعنى أن جميع هذه الأمور ومنافعها لكونها من الأمور الإضافية والإعتبارات الوهمية والخيالية منقطعة بانقطاع الدنيا وفانية بفناء الأبدان فمن اعتمد عليها وركن إليها وغفل عن الحق بعد من الإيمان واستحق الخسران كما قال الله تعالى «وتقطعت بهم الأسباب » فقال « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم ولا يتساءلون » .

وقال: « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون» وقال:**«يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امريءٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه»** وقال: **« ولا تتخذوا من دون الله وليجه »** إلى غير ذلك من الآيات الكريمة والروايات الصحيحة وأما ما أثبته القرآن منها فإنه ثابت أبداً ومنافعها باقية غير منقطعة بانقطاع الدنيا ومفارقة النفوس من الأبدان ، فيجب على المؤمن الطالب للحياة الأبدية والخيرات الدائمة الآخروية والنجاة من العقوبات الروحانية والبدنية أن يتمسك بالأسباب والأنساب والولايج الّتي أثبتها القرآن وقررها النبي ﷺ ويترك البدعة والشبهة والوليجه الّتي تدعو إلى النار .

*** الأصل:**

٣٣٦ ـ عليٌّ بن محمّد بن عبدالله ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن عبدالله بن حمّاد، عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **نحن أصل كلِّ خير ومن فروعنا كلُّ برّ فمن البرّ التوحيد والصلاة والصيام وكظم الغيظ والعفو عن المسيء ورحمة الفقير وتعهّد الجار والإقرار بالفضل لأهله، وعدوّنا أصل كلّ شرّ ومن فروعهم كلّ قبيح وفاحشة فمنهم الكذب والبخل والنميمة والقطيعة وأكل الرِّبا وأكل مال اليتيم بغير حقّه وتعدِّي الحدود الّتي أمر الله وركوب الفواحش ما ظهر منها وما بطن والزِّنا والسّرقة وكلّ ما وافق ذلك من القبيح . فكذب من زعم أنّه معنا وهو**

متعلّق بفروع غيرنا(١) .

*** الشرح :**

قوله: (نحن أصل كل خير ومن فروعنا كل بر) لعل المراد بالخير العلم وبالبر العمل الصالح المتفرع عليه وقد نبّه بأن التشيع إنما يتحقق بالمتابعة فيهما والروايات الدالة على ذلك كلها مستفيضة بل متواترة معنى ، قوله (قال لرجل: إقنع بما قسم الله لك) القنوع بالضم والقناعة بالكسر: الرضى باليسير من الرزق، ومن الحديث المتفق عليه بين الأمّة والقناعة كنز لا ينفد لأن الإنفاق منها لا ينقطع كلما تعذر عليه شيء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضي به (ولا تنظر إلى ما عند غيرك) لأن النظر إليه يورث الطمع والذل وعدم الرضى بالقسمة (ولا تتمن ما لست نائله) إذ مع ما فيه من تفريغ القلب عن الله تعالى وعن أمر الآخرة همه لأجل فقدان المطلوب وحزنه لفواته وهو ألم روحاني أشر من الألم الجسماني ثم أشار إلى تعليل عدم النظر والتمني.

*** الأصل:**

٣٣٧ ـ عنه ، عن غيره ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن خالد بن نجيح ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **قال لرجل : اقنع بما قسم الله لك ولا تنظر إلى ما عند غيرك ولا تتمنَّ ما لست نائله فإنّه من قنع شبع ومن لم يقنع لم يشبع وخذ حظّك من آخرتك .**

وقال أبو عبدالله عليه السلام : **أنفع الأشياء للمرء سبقه الناس إلى عيب نفسه ، وأشدّ شيء مؤونة إخفاء الفاقة ، وأقلّ الأشياء غناء النصيحة لمن لا يقبلها ومجاورة الحريص ، وأروح الرّوح اليأس من الناس .**

وقال : لا تكن ضجراً ولا غلقاً وذلّل نفسك باحتمال من خالفك ممن هو فوقك ومن له الفضل عليك فإنّما أقررت بفضله لئلّا تخالفه ، ومن يعرف لأحد الفضل فهو المعجب برأيه . وقال لرجل: اعلم أنّه لا عزَّ لمن لا يتذلّل لله تبارك وتعالى ولا رفعة لمن لم يتواضع لله عزَّ وجلَّ .

وقال لرجل : أحكم أمردينك كما أحكم أهل الدُّنيا أمر دنياهم فانّما جعلت الدّنيا شاهداً يعرف بها ما غاب عنها من الآخرة فاعرف الآخرة بها ، ولا تنظر إلى الدُّنيا إلّا باعتبار (٢).

*** الشرح :**

بقوله: (فإنه من قنع شبع قلبه وعينه) فلا ينظر إلى ما عند غيره ولا يتمنى ما ليس نائلاً له (ومن لم يقنع لم يشبع) بل ينظر ويتمنى ويفهم منه أن بين القناعة والشبع تلازماً ثم أشار إلى أن القناعة

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٣. (٢) الكافي: ٨ / ٢٠٣.

لا توجب الكمال كل الكمال حتى تقترن بالأعمال بقوله (وخذ حظك من آخرتك) أي خذ نصيبك في الدنيا من أجل آخرتك كما روي خذ من الدنيا للآخرة ويحتمل أن يراد بآخرتك عملها أو حذف مضاف أي من عمل آخرتك (وقال أبو عبدالله عليه السلام) للحث على المبادرة إلى تطهير النفس من العيوب وفي بعض النسخ فقال بالفاء (أنفع الأشياء للمرء سبقه الناس إلى عيب نفسه) لأن النافع ما يوجب السعادة في الآخرة والتقرب من الحق وهو إما تخلية عن العيوب والرذائل أو تحلّيه بالأعمال الصالحة والفضائل، والأول أقدم وأنفع من الثاني مع أنه أيضاً عمل معين كسائر الأعمال في النفع والتأثير في الترقي إلى المقامات العالية كما قيل ادفع القيد وجد في السير (وأشد شيء مؤونة اخفاء الفاقة) لعل السر فيه أن المطلوب كلما كان أقوى كان فواته أشد ومن البين أن أقوى مطالب النفس التذاذها بالغنى والراحة وكل ذلك مفقود عند الفاقة فهو أشد وإخفاؤها أشد عليها من غيرهما .

(وأقل الأشياء غناء النصيحة لمن لا يقبلها ومحاورة الحريص) الغناء بالفتح والمد: النفع والمحاورة في أكثر النسخ بالجيم وفي بعضها بالحاء المهملة ومن البين أنه لا نفع في تلك المحاورة فوجب تركها بل فيها ضرر وهو سبب آخر لتركها بالأولويّة ولذا لم يذكره وأنه لا نفع في هذه النصيحة للمنصوح أصلاً ولا للناصح لأن النفع المقصود له أصالة تسديد المنصوح وهو لم يقبله وإن كان له نفع من حيث أنه ناصح ولكنه غير مقصود له أصالة ولهذا حكم بالقلة .

(وأروح الروح اليأس من الناس) لأن اليأس منهم يوجب رفض الطلب وسكون النفس عن الإضطراب وتوجه السر إلى الله تعالى ونزول الرزق من قبله، وكل ذلك سبب الروح والراحة النفسانية والجسمانية (وقال: لا تكن ضجراً ولا غلقاً) الضجر: التبرم والإنزعاج، ضجر منه وبه كفرح: تبرم وانزعج فهو ضجر ، والغلق بالغين المعجمة محركة ضيق الصدر وقلة الصبر وسوء الخلق وهما يورثان نقص الإيمان وكسر القلوب وضيق العيش وتبدد النظام (وذلل نفسك باحتمال من خالفك ومن هو فوقك ومن له الفضل عليك) أمر بتذليل النفس باعتبار أمور من صنفين وان كان شاقة عليها أحدهما ذوو القدرة من أهل الخلاف فإن إظهار مخالفتهم يورث الهلاك في الدُّنيا وثانيهما ذوو الفضل والعلم وأقدمهم الأئمة عليهم السلام فإن خلافهم يوجب الهلاك في الآخرة (ومن لا يعرف لأحد الفضل فهو المعجب برأيه) أي بتخيلاته الفاسدة وتوهماته الباطلة ، كعلماء المخالفين وأئمتهم وأتباعهم الذين يأخذون بآرائهم فيما يشكل من أمر الدين، وما لم يأتهم فيه حديث ولا أثر ، والمحدثون يسمون أصحاب القياس أصحاب الرأي (وقال لرجل: اعلم أنه لا عز لمن لم يتذلل لله تبارك وتعالى ولا رفعة لمن لم يتواضع لله عز وجل) العزة والرفعة في الحقيقة لمن

أعزه الله ورفعه فإنهما تدومان أبداً وهما لا يتحققان إلّا بالتذلل والتواضع والإنقياد له ولأوليائه، وأما ما سماه الجهلة عزة فهي مع كونها عين الذلة أمر إضافي اعتباري لا حقيقة له ولذلك تكون في آن وتزول في آن آخر.

(وقال لرجل: أحكم أمر دينك كما أحكم أهل الدنيا أمر دنياهم) إحكام أهل الدنيا أمرها مع أنها غير محكمة لسرعة زوالها بتعلق قلوبهم الضعيفة وعقولهم السخيفة بها فسعوا لجمعها وتحصيلها وحفظها من كل وجه فليكن قلبك الكامل وعقلك الفاضل متعلقاً بأمر الآخرة وتحصيل مقاماتها العالية ونعمائها الكاملة الباقية فهذب نفسك عن الرذائل الّتي أعظمها حب الدنيا والفانيات واعمل بالصالحات الباقيات (وإنما جعلت الدنيا شاهداً يعرف بها ما غاب عنها من الآخرة) لأن من تفكر في الدنيا وفي نعمائها الناضرة وآلائها الظاهرة وأمتعتها الفاخرة مع كونها سجناً ضيقاً وبيتاً منتناً ومحلاً مبغوضاً يبغضها الله تعالى يعرف الآخرة الّتي هي دار أحبها الله تعالى لأوليائه ويعرف قدر نعمائها وكمال آلاتها وشرف حالاتها وكمال مقاماتها ولذلك قال (فاعرف الآخرة بها) وأن الدنيا وما فيها من النعماء الّتي لا تحصى دليل واضح على معرفة الآخرة وما فيها من النعماء الّتي تعجز عن تعدادها عقول العقلاء وعن تحديدها فحول العلماء وعن معرفة تفاصيلها وكميتها وكيفيتها أذهان الأذكياء، ثم نهى عن النظر إلى الدنيا وتعليق القلب بزينتها الخداعة فقال (ولا تنظر إلى الدنيا إلّا باعتبار) منها ومن زينتها الفانية إلى الآخرة وزينتها الباقية، وقد تكرر الأمر بالإعتبار في الأحاديث وله وجوه منها: النظر إلى الدنيا وتغيير أحوالها في نفسها فإنه يوجب الإنقطاع منها إلى الآخرة، ومنها النظر إلى شدائدها الزائلة فإنه يوجب الإنتقال إلى شدة شدائد الآخرة الباقية والتحرز عما يوجبها، ومنها النظر إلى نعيمها وزينتها الداثرة مع كونها مبغوضة فإنه يوجب الإنتقال إلى كمال نعيم الآخرة وزينتها الدائمة والإجتهاد لها، ومنها النظر إلى أحوال الماضين وما كانوا فيه من خضرة الأحوال وسعة الأرزاق والأموال وقطع أيديهم منها اضطراراً بالموت وسكونهم في التراب وفراقهم من الأحباب واشتغالهم بما معهم من الخير والشر والثواب والعقاب فإنه يوجب تبرد القلب منها والميل إلى الآخرة الّتي هي دار القرار ومن ثم قيل الدنيا واعظة لمن اتعظ منها فمن لم يتعظ منها ولم يجعلها على الآخره دليلاً فهو كالحمار بل هو أضل سبيلاً.

*** الأصل:**

٣٣٨ ـ عدَّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعليُّ بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم قال: **سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لحمران بن أعين: يا حمران انظر**

إلى من هو دونك في المقدرة ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة فإنَّ ذلك أنفع لك بما قسم لك وأحرى أن تستوجب الزّيادة من ربّك، واعلم أنَّ العمل الدّائم القليل على اليقين أفضل عند الله جلّ ذكره من العمل الكثير على غير يقين.

واعلم أنّه لا ورع أنفع من تجنّب محارم الله والكفّ عن أذى المؤمنين واغتيابهم ولا عيش أهنأ من حسن الخلق ولا مال أنفع من القنوع باليسير المجزي، ولا جهل أضرُّ من العجب [١].

*** الشرح:**

قوله: (انظر إلى من هو دونك في المقدرة ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة) المقدرة مثلثة الدال الغنى واليسار والقوة (فإن ذلك أقنع لك بما قسم لك) أي يوجب زيادة القناعة والرضى بها (وأحرى أن تستوجب الزيادة من ربك) لأن الرضى بالنعمة ومعرفة قدرها تعظيم للمنعم وشكر له والشكر يوجب الزيادة كما نطق به القرآن الكريم بخلاف نظرك إلى الفوق فإنه يوجب عدم القناعة والرضى بما في يدك وهو كفران يوجب زوال النعمة وسخط المنعم (واعلم أن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله عزَّ وجلَّ من العمل الكثير على غير يقين) اليقين: العلم الجازم الثابت المطابق للواقع، وبعبارة أخرى العلم بالحق مع العلم بأنه لا يكون خلافه فهو في الحقيقة مركب من علمين كما صرح به المحقق في أوصاف الأشراف ويندرج فيه العلم بالمبدأ والمعاد والرسالة والإمامة وغير ذلك مما جاء به النبي ﷺ ولابد من تقييد العمل الكثير بالدوام وليتحقق أن الفضل من جهة اليقين (واعلم أنه لا ورع أنفع من تجنب محارم الله والكف عن أذى المؤمنين واغتيابهم) الورع في الأصل: الكف عن محارم الله تعالى والتحرج منه ثم استعير للكف عن المباح كالشبهات وعن الحلال الذي يتخوف منه أن ينجر إلى الحرام كالتحدث بأحوال الناس لمخافة أن ينجر إلى الغيبة وعما سوى الله للتحرز عن صرف العمر ساعة فيما لا يفيد زيادة القرب والأول وهو الكف عن المحارم أنفع لشدة العقوبة على ارتكابها بخلاف البواقي ثم الأذى والإغتياب داخلان في المحارم ومن افرادهما وذكرهما بعدها من باب ذكر الخاص بعد العام للاهتمام لأنهما أشد قبحاً وأقوى فساداً وأبعد عفواً وأصعب توبة.

(ولا عيش أهنأ من حسن الخلق) العيش: الحياة وما يعاش به والمقصود به أن حسن خلق الرجل مع بني نوعه أدخل في نضارة عيشه من المال ونحوه لأنه يوجب ميلهم إليه ونصرتهم له بخلاف سوء خلقه فإنه يوجب التنفر عنه والإضرار له والوقيعة فيه وكل ذلك يوجب تكدر عيشه

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٠٤.

وإن كان ذا مال (ولا مال أنفع من القنوع باليسير المجزي) شبه القنوع باليسير المجزي وهو الكفاف بالمال في النفع وتنظيم الأحوال وعدّه أنفع أفراده لأن الأقل أو الأكثر منه يشوش القلب ويفسده ويتعب البدن ويضر بالدين ويبطله، كما أن الماء الذي يكفي في تعمير الأرض بعمرها والأقل والأكثر منه يفسدها (ولا جهل أضر من العجب) العجب: حالة نفسانية تنشأ من تصور الكمال واستعظامه وإخراج النفس عن حد النقص والتقصير يتعلق بجميع الخصال مثل العلم والعبادة والإحسان إلى الغير وإعطاء المال ، والنسب والجمال إلى غير ذلك مما لا يحصى ثم هو والجهل سواء في أصل الإضرار والإهلاك وإفساد القلب إلّا أنه أقوى في ذلك وأضر من الجهل لأن تفويت المنافع الحاصلة أشد وأصعب وأدخل في الحزن مع عدم تحصيلها ابتداء ولأن ذكر الجاهل في التندم من الجهل وفكر المعجب في التبختر والتعاظم ادعاء الشركة بالباري ومن ثم روي أن الذنب خير من العجب لأنه لو لا العجب لما خلا الله تعالى بين عبد لمؤمن وبين ذنب أبداً فجعل الذنب فداء من العجب لكونه أشد منه .

*** الأصل:**

٣٣٩ ـ ابن محبوب ، عن عبدالله بن غالب ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيّب قال : **سمعت عليّ ابن الحسين عليه السلام يقول : إنَّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرني إن كنت عالماً عن النّاس وعن أشباه الناس وعن النسناس . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا حسين أجب الرَّجل . فقال الحسين عليه السلام : أمّا قولك : أخبرني عن النّاس ، فنحن النّاس ولذلك قال الله تعالى ذكره في كتابه « ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس » فرسول الله صلى الله عليه وآله الذي أفاض بالناس . وأمّا قولك : أشباه الناس فهم شيعتنا وهم موالينا وهم منّا ولذلك قال إبراهيم عليه السلام : « فمن تبعني فإنّه منّي » .**

وأمّا قولك : النسناس ، فهم السواد الأعظم وأشار بيده إلى جماعة النّاس ثمَّ قال : « إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً » (١).

*** الشرح :**

قوله: (فنحن الناس . انتهى) أريد بالناس هنا: من كملت صورته الظاهرة والباطنة وبلغت غاية الكمال وهم الرسول والأئمة عليهم السلام وبأشباه الناس التابعون لهم والذاهبون معهم حيث ما ذهبوا فحصلت لهم بذلك المشابهة بهم وبالناس في قوله « إلى جماعة الناس » من لهم هذه الصورة الظاهرة مع فساد الصورة الباطنة ولذلك شبّههم بالأنعام في عدم التدبر والتفكر بل هم أضل لا

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٠٤.

بطالهم الفطرة الأصلية والعقول المدركة للمعقولات بخلاف الأنعام ، وأما النسناس بكسر النون وقد تفتح فقال ابن الأعرابي : هم يأجوج ومأجوج وقيل: خلق على صورة الناس أي أشبهوهم في شيء وخالفوهم في شيء وليسوا من بني آدم ، وقيل: هم من بني آدم وفي حديث العامة أن الأحياء من عاد عصوا رسولهم فمسخوا نسناساً لكل منهم يد ورجل من شق واحد ينقرون أي يثبون كما ينقر الطائر ويرعون كما ترعى البهائم وقيل : أولئك انقرضوا والموجود على تلك الخلقة خلق على حده كذا في النهاية والفائق والقاموس .

*** الأصل:**

٣٤٠ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حنان بن سدير ، ومحمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل ، عن حنان بن سدير ، عن أبيه قال : **سألت أبا جعفر عليه السلام عنهما فقال : يا أبا الفضل ما تسألني عنهما فوالله ما مات منّا ميّت قطُّ إلّا ساخطاً عليهما وما منّا اليوم إلّا ساخطاً عليهما ، يوصي بذلك الكبير منّا الصغير ، إنّهما ظلمانا حقّنا ومنعانا فيئنا وكانا أوَّل من ركب أعناقنا ويثقا علينا بثقاً في الإسلام لا يسكر أبداً حتّى يقوم قائمنا أو يتكلّم متكلّمنا .**

ثمَّ قال : أمّا والله لو قد قام قائمنا [أ] وتكلّم متكلّمنا لأبدى من أمورهما ما كان يكتم ، ولكتم من اُمورهما ما كان يظهر والله ما اُسّست من بليّة ولا قضيّة تجري علينا أهل البيت إلّا هما أسّسا أوَّلها فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (١).

*** الشرح :**

قوله: (إنهما ظلمانا حقنا ومنعانا فيئنا) لعل المراد بالحق: الخلافة، وبالفيء: الغنيمة والخمس والأنفال لأن الفيء في الأصل: الرجوع، والأموال كلها للإمام وما كان فيها في يد غيره إذا رجع إليه بقتال فهو غنيمة وما رجع إليه بغير قتال فهو أنفال ، وإن أرادت زيادة توضيح فارجع إلى ما ذكرنا في آخر كتاب الحجة من باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس (وكانا أول من ركب أعناقنا) كناية عن التسلط والغلبة عليهم وإيصال المكروه والشدة إليهم (ويثقا علينا بثقا في الإسلام لا يسكر أبداً) بثق السيل بثقاً إذا أسرع جريه جرى جرياً شديداً وبثق السيل السد إذا كسره وفتحه ، وسكرت النهر سكراً إذا سددته وسكرت الريح سكوراً إذا سكنت وقوله « لا يسكر » على الأول مجهول وعلى الثاني معلوم وفيه مكنية بتشبيهها بالسيل وتخيلية باثبات البثق لها وترشيح بذكر السكر وفي بعض النسخ لا يسكن ، ولعل المراد بأمورهما المكتوبة التي يبديها الصاحب عليه السلام النفاق والقبائح وسوء

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٥.

الخاتمه ، وبأمورهما المظهرة أو الظاهرة عند أتباعهم أضدادها وبكتمانها بيان أنها كانت باطلة في نفس الأمر .

*** الأصل:**

٣٤١ ـ حنان ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : **كان النّاس أهل ردّة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلّا ثلاثة فقلت : ومن الثلاثة ؟ فقال : المقداد بن الأسود وأبوذرّ الغفاريّ وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم ، ثمَّ عرف اُناس بعد يسير وقال : هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى وأبوا أن يبايعوا حتّى جاؤوا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرهاً فبايع وذلك قول الله تعالى : « وما محمّد إلّا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشّاكرين »** [١].

*** الشرح :**

قوله: (المقداد بن الأسود وأبوذر الغفاري وسلمان الفارسي رضي الله عنهم) قال الشيخ القرطبي في شرح مسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « إن الله أمرني أن أحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم علي وأبوذر والمقداد وسلمان » (ثم عرف أناس بعد يسير) يسير بالجر على الإضافة: أي بعد زمان قليل أو بالرفع صفة لاناس ولفظة بعد على الأول للتقييد وعلى الثاني للتأكيد (وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى) أي رحى الإسلام شبههم بقطب الرحى في توقف نظام الإسلام وجريانه عليهم (وذلك قول الله عزَّ وجلَّ . انتهى) ذلك اشارة إلى ارتداد الأمة وبقاء قليل على الإسلام وهم المقربون بنعمة الله الّتي هي الولاية الشاكرون عليها .

*** الأصل:**

٣٤٢ ـ حنان ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : **صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر يوم فتح مكّة فقال : أيّها الناس إنَّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهليّة وتفاخرها بآبائها (ألا إنّكم من آدم عليه السلام وآدم من طين) ألّا إنَّ خير عباد الله عبد اتّقاه ، إنّ العربيّة ليست بأب والد ولكنّها لسان ناطق فمن قصر به عمله لم يبلغه حسبه، ألا إنّ كلّ دم كان في الجاهلية أو إحنة ـ والإحنة الشحناء ـ فهي تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة.** [٢]

*** الشرح:**

قوله **(أيها الناس إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها)** حيث نهى عنهما

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٥.
(٢) الكافي: ٨ / ٢٠٦.

وجعل الشرف بالإسلام والنخوة التعظيم والتكبر والعجب والأنفة والحمية (ألا أنكم من آدم عليه السلام وآدم من طين) كل واحد من هذين يقتضي انتفاء كل واحد من النخوة والتفاخر وتخصيص الأول بالأول والثاني بالثاني بعيد، ثم أشار إلى ما هوسبب للتعاظم والشرف من عندالله حثاً عليه بقوله (ألا إن خير عباد الله عبد اتقاه)تمسك بدينه وارتكب طاعته واجتنب مخالفته (إن العربيه ليست بأب والد ولكنها لسان ناطق) الملة النبوية العربية ليست من جهة الأب حتى يتفاخر بالأب بل من جهة النطق بالحق فيها فمن كانت له هذه الجهة فهو من أهل الشرف والتفاخر ويحتمل أن يراد بالعربية لغة العربية والإنتساب إلى إبراهيم عليه السلام فيكون رداً على مشركي العرب وأضرابهم ممن يتفاخر بها على غيرهم بأن المنتسب إليه كل من تكلم بالحق وإن لم يكن من أولاده وهذا أنسب بقوله (فمن قصر به عمله لم يبلغه حسبه) ولا ينفعه إذ الشرف بالأعمال لا بالآباء (ألا ان كل دم كان في الجاهلية أو إحنة ـ والإحنة: الشحناء ـ فهي تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة) الاحنة بكسر الهمزة وسكون الحاء المهملة الحقد والغضب والعداوة جمعه كعنب فعله كسمع والشحنة: والشحناء العداوة، قوله « تحت قدمي » مثل للردع والقمع وعبارة عن الإهدار والإبطال وهذا كما يقول الموادع لصاحبه: إجعل ما سلف تحت قدميك يريد طأ عليه واقمعه .

* **الأصل:**

٣٤٣ ـ حنان، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **قلت له: ما كان ولد يعقوب أنبياء؟**

قال: لا ولكنّهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء ولم يكن يفارقوا الدُّنيا إلّا سعداء تابوا وتذكّروا ما صنعوا وإنَّ الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكّرا ما صنعا بأمير المؤمنين عليه السلام فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (١).

* **الشرح:**

قوله: (ولكنهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء) الأسباط جمع السبط بالكسر: وهو ولد الولد قيل المراد بالأسباط هنا الأشراف من الأولاد .

* **الأصل:**

٣٤٤ ـ حنان، عن أبي الخطّاب، عن عبد صالح إليه عليه السلام قال: **إنَّ الناس أصابهم قحط شديد على عهد سليمان بن داود عليهما السلام فشكوا ذلك إليه وطلبوا أن يستسقي لهم قال: فقال لهم: إذا صلّيت الغداة مضيت فلمّا صلّى الغداة مضى ومضوا، فلمّا أن كان في بعض الطريق إذا هو بنملة**

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٦.

رافعة يدها إلى السماء واضعة قدميها إلى الأرض وهي تقول : اللّهمَّ إنّا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب بني آدم ، قال : فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد سقيتم بغيركم ، قال: فسقوا في ذلك العام ما لم يسقوا مثله قطُّ .

*** الأصل:**

٣٤٥ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن موسى بن جعفر ، عن عمرو بن سعيد ، عن خلف بن عيسى ، عن أبي عبيد المدائني ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : **إنَّ لله تعالى ذكره عباداً ميامين مياسير يعيشون ويعيش النّاس في أكنافهم وهم في عباده بمنزلة القطر ولله عزَّ وجلَّ عبادٌ ملاعين مناكير ، لا يعيشون ولا يعيش الناس في أكنافهم وهم في عباده بمنزلة الجراد لا يقعون على شيء إلّا أتوا عليه** [1].

*** الشرح :**

قوله: (إن لله تعالى ذكره عباداً ميامين مياسير . انتهى) ميامين جمع ميمون: وهو ذويمن وبركة ومياسير جمع ميسور: وهو الغني من اليسر وهو الغني . والأكناف: الأطراف، والجوانب جمع كنف وهو الجانب ، والقطر: ما قطر من المطر والواحد قطرة والجمع قطار كجمل وجمال ووجه التشبيه هو النفع وإيصال الخير، وهذا الكلام، وإن كان خبراً لكن الغرض منه هو الحث على الإتصاف بصفاتهم والأُسوة بكمالاتهم لأنه من أعظم أوصاف المتقربين ثم أشار إلى أضدادهم تحذيراً عن صفاتهم بقوله: (ولله عزَّ وجلَّ عباد ملاعين مناكير . انتهى) ملاعين جمع ملعون: وهو البعيد عن الرحمة، ومناكير جمع منكر: وهو الشديد الغيظ الذي يتفزع عنه الناس، وتشبيههم بالجراد في الإضرار وإيصال المكروه كما أشار إليه .

*** الأصل:**

٣٤٦ ـ الحسين بن محمّد ، ومحمّد بن يحيى [جميعاً] عن محمّد بن سالم بن أبي سلمة عن الحسن بن شاذان الواسطي قال : **كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أشكو جفاء أهل واسط وحملهم عليَّ وكانت عصابة من العثمانيّة تؤذيني فوقّع بخطّه : إنَّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق أوليائنا على الصبر في دولة الباطل فاصبر لحكم ربّك ، فلو قد قام سيّد الخلق لقالوا : « يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرَّحمن وصدق المرسلون »** [2].

*** الشرح** : قوله: (لا يقعون على شيء إلّا أتوا عليه) أي أهلكوه وأفسدوه يقال: أتى عليه

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٦.
(٢) الكافي: ٨ / ٢٠٧.

الدهر إذا أهلكه وأفسده قوله: (فلو قام سيد الخلق لقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) الويل: الحزن والهلاك والمشقة من العذاب والنداء للتحير والتحزن والمعنى يا ويلنا احضر فهذا وقتك وأوان حضورك ، والمرقد استعارة تبعية للقبر بتشبيه الموت بالرقاد في عدم ظهور الفعل والأثر والظاهر أن المراد بسيد الخلق الصاحب عليه السلام وفيه دلالة على الرجعة ويحتمل أن يراد به الله تعالى والمراد بقيامه قيامة لحشر الخلائق وإرادته إياه وفي لفظه مرقد جمع بين الضدين فالأولى الإشارة إلى أن أكثر الخلق لغفلتهم كأنهم ينكرون القيام، والثانية للدلالة على تحققه ووقوعه (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) هذا إشارة إلى البعث وهو كلامهم لإظهار التفجع والندامة في إنكاره أو جواب الملائكة أو المؤمنين عن سؤالهم لتقريعهم .

*** الأصل:**

٣٤٧ ـ محمّد بن سالم بن أبي سلمة ، عن أحمد بن الرَّيان ، عن أبيه ، عن جميل ابن درَّاج ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **لو يعلم النّاس مافي فضل معرفة الله عزَّ وجلَّ ما مدُّوا أعينهم إلى ما متّع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدُّنيا ونعيمها وكانت دنياهم أقلَّ عندهم ممّا يطأونه بأرجلهم ولنعموا بمعرفة الله جلَّ وعزَّ وتلذَّذوا بها تلذُّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله ، إنَّ معرفة الله عزَّ وجلَّ آنس من كلِّ وحشة وصاحب من كلّ وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاءٌ من كلّ سقم ثم قال عليه السلام : وقد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها فما يردُّهم عمّاهم عليه شيء ممّا هم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا أذى بل ما نقموا منهم إلّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم** (١).

*** الشرح :**

قوله: (لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدوا أعينهم إلى ما متع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا) دل على أن الواغلين في زهرات الدنيا كلهم أعداء الله تعالى لربط قلوبهم بها فهم عنه تعالى وعن الآخرة غافلون، والمراد بمعرفته تعالى معرفته بمعرفته الكاملة بقرينة أن أصل المعرفة حاصلة للناس كلهم الا ما شذ مع أن أكثر هم مادّون أعينهم إلى الزهرات وإنما يتحقق ذلك بمعرفته تعالى كما ينبغي ومعرفة ما جاء به ومعرفة أوصيائه والتسليم لهم في الأوامر والنواهي ومن حصلت لهم تلك المعرفة كانت لهم مقامات روحانية وتقربات إلهية وتفضلات ربانية وحالات

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٧.

نورانية ينظرون بها إلى أهل الجنة وهم فيها متنعمون وإلى النار وهم فيها مصطرخون فتهون في نظرهم الدنيا وما فيها وكانت الدنيا عندهم أقل مما يطأونه من التراب (ولنعموا بمعرفة الله تعالى) النعم «توانگر شدن» وفعله من باب سمع ونصر وضرب وفي بعض النسخ « وتنعموا » من التنعم وهو الترفه (وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله) من الأنبياء والأوصياء والصلحاء والوجه في المشبه به أشهر وإن كان في المشبه أقوى وأوفر لأن التلذذ الروحاني أقوى وأكمل من التلذذ الجسماني والنسبة بينهما كالنسبة بين الروح والبدن (إن معرفة الله عزَّ وجلَّ انس من كل وحشة . انتهى) من في المواضع المذكورة مرافقة عند كما في قوله تعالى « لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً » .

وفيه ترغيب في تحصيل المعرفة بذكر بعض فوائدها الأولى أنها أنيس عند كل وحشة لا يستوحش العارف بشيء من الوحشة وأسبابها وهي الهم والخوف والخلوة، وفي كنز اللغة وحشة: «خالي واندوه ورميدگى» الثانية: أنها صاحب عند كل وحدة إذ العارف مع الله ومع الرسول والأوصياء والعلماء وماكان معه من العارف فلا تؤثر فيه الوحدة و اعتزال الناس بل هو مستوحش منهم، الثالثة: أنها نور يهتدى به عند كل ظلمة نفسانية وهي الحجب المانعة من الوصول إلى الحق وسلوك سبيله كالجهالات والمهويات النفسانية والشيطانية والشبهات المؤدية إلى الكفر والضلالة . الرابعة: أنها قوة عند كل ضعف إذ العارف لا يدخل الضعف في قلبه لقوته في المعارف ولا في بدنه لقوته في الأعمال ولا في نطقه لقوته في الأقوال، الخامسة أنها شفاء عند كل سقم نفساني وبدني إذ لا تتطرق إليه الأمراض القلبية والبدنية مثل العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة والأعمال القبيحة (ثم قال عليه السلام:) للترغيب في الصبر على الإصلاح والسداد والمصائب الثقيلة على النفس (قد كان قبلكم قوم) من الأنبياء والأوصياء والعلماء والصلحاء (يقتلون ويحرفون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها): أي بسعتها (فلا يردها عماهم عليه) من العقائد الحقة والأعمال الصالحة (شيء مما هم فيه) من العقوبات المذكورة (من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا أذى) من متعلق بيقتلون وما عطف عليه من غير جناية جنوا على من فعل ذلك المذكور من القتل وغيره بهم ومن غير أذى صدر منهم والترة بالكسر التبعة والجناية التي يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبى أو نحوها والهاء فيه عوض عن الواو المحذوفه كما في وعد وعدة .

*** الأصل:**

٣٤٨ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن سعيد بن جناح ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **ما خلق الله عزَّ وجلَّ خلقاً أصغر من البعوض والجرجس**

أصغر من البعوض والذي نسمّيه نحن الولع أصغر من الجرجس وما في الفيل شيء إلّا وفيه مثله وفضّل على الفيل بالجناحين (١).

*** الشرح :**

قوله: (ما خلق الله عز وجل خلقاً أصغر من البعوض، والجرجس أصغر من البعوض، والذي نسميه نحن الولع أصغر من الجرجس) البعوض جمع بعوضة: وهي البقة ، والجرجس بالكسر: البعوض الصغار، والمراد بخلقاً النوع منه ومن البعوض في قوله « أصغر من البعوض » الكبار فلا ينافي أول الكلام آخره ، وفيه تحريك إلى التفكر في أمثال هذا الخلق والإنتقال منه إلى عظمة الخالق وقدرته وعلمه المحيط بكل شيء .

*** الأصل:**

٣٤٩ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن خالد ، والحسين بن سعيد جميعاً ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبيّ ، عن عبدالله بن مسكان ، عن زيد بن الوليد الخثعميّ ، عن أبي الربيع الشّامي قال : **سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم » ، قال : نزلت في ولاية علي عليه السلام قال : وسألته عن قول الله عزَّ وجلَّ : « وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يا بس إلّا في كتاب مبين » قال : فقال : الورقة السقط ، والحبّة : الولد ، وظلمات الأرض : الأرحام ، والرّطب : ما يحيى من الناس ، واليابس ، وكلُّ ذلك في إمام مبين قال : وسألته عن قول الله عزَّ وجلَّ : « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم » فقال : عنى بذلك أن انظروا في القرآن فاعلموا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم وما أخبركم عنه قال : قلت : فقوله عزَّ وجلَّ : « وإنّكم لتمرُّون عليهم مصبحين * وباللّيل أفلا تعقلون » ؟ قال : تمرُّون عليهم في القرآن إذا قرأتم القرآن ، فقرأ ما قصّ الله عزَّ وجلَّ عليكم من خبرهم** (٢).

*** الشرح :**

قوله: (نزلت في ولاية علي عليه السلام) أشار إلى أن المراد أصالة بما يحييكم ولاية علي عليه السلام وهي توجب حياة القلب التي هي الحياة الأبدية ونزولها بها لا ينافي شمولها بغيرها مما يوجب الحياة كما في سائر الآيات (فقال: الورقة: السقط) السقط بالفتح والضم والكسر أكثر: الولد الذي يسقط من بطن أمه قبل تمامه ، الورق محركة: من الشجر معروف وما يسقط من جراحة واطلاقها على

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٧. (٢) الكافي: ٨ / ٢٠٨.

السقط من باب الإستعارة والتشبيه في السقوط وفيه تنبيه على علمه . بالجزئيات (والحبة: الولد) على سبيل التشبيه في النبات والنمو (وظلمات الأرض الأرحام) على تشبيه الأرحام بالظلمات في الظلمة أو بالأرض في كونها محلا للنبات، والأول أنسب بظاهر العبارة (وكل ذلك في إمام مبين) قيل: المراد بالكتاب المبين علم الله تعالى، وقيل: اللوح المحفوظ، وقيل القرآن الكريم وفسره عليه السلام بإمام مبين وكأنه علي عليه السلام لأن فيه علم الأولين والآخرين وعلم ما كان وما يكون وما هو كأين وعلم اللوح والقرآن الكريم ، ووصفه بالمبين إما لأنه ظاهر في نفسه أو لأنه يبين الحق من الباطل ويفرق بينهما (قال: وسألته عن قول الله « سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » فقال: عنى بذلك) أي سيروا وانظروا أي (انظروا في القرآن فاعلموا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وما أخبركم) القرآن (عنه) فهذا خطاب للعلماء وأمر لهم بالتدبر والتفكر في القرآن ليحصل لهم السير المعنوي في الأرض والعبور الروحاني بأحوال أهلها وكيفية إهلاكهم وأخذهم وسوء عاقبتهم وقبح خاتمتهم بمخالفتهم لله وللرسول والأوصياء فإن القرآن متضمن لجميع ذلك إجمالا وتفصيلاً ولا يخفى لطف هذا التفسير لأن السير الظاهر في الأرض وأقطارها متعذر أو متعسر وعلى تقدير وقوعه ليس فيها ما يدل على عاقبة السابقين وأي شيء فيها مثلا يدل على عاقبة فرعون وهامان وقارون وقوم لوط وقوم صالح وشداد ونمرود وقوم عاد وثمود (قال: تمرون عليهم في القرآن إذا قرأتم القرآن فقرأ ما قص الله عليكم من خبرهم) القراءة التلاوة وفاعل قرأ القرآن، والقص: الإخبار والتبيين يقال قص الخبر إذا أعلمه وبيّنه والمراد بالمرور المرور العقلي على أحوالهم والعبور الفكري بسوء عاقبتهم عند تلاوة القرآن في الليل والنهار.

*** الأصل:**

٣٥٠ ـ عنه ، عن ابن مسكان ، عن رجل من أهل الجبل لم يسمّه قال : **قال أبو عبدالله عليه السلام: عليك بالتلاد وإيّاك وكلَّ محدث لا عهد له ولا أمانة ولا ذمّة ولا ميثاق وكن على حذر من أوثق النّاس في نفسك فانَّ الناس أعداء النعم** [١].

*** الشرح :**

قوله: (عليكم بالتلاد وإياك وكل محدث[٢] لا عهد له ولا أمانة ولا ذمة ولا ميثاق) التلاد: المال

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٨.

٢ ـ « وإياك وكل محدث » أصحاب البيوت القديمة في الدين مؤدبون بآداب الشرع ومتخلقون بحسن الأخلاق يتوحشون من خلف العهد وهم أصحاب المكارم والعادات الشريفة بخلاف الأرذال والسفلة إذا اتفق لهم الفوز بالجاه والمال ونالوا دولة مستعارة فإن غاية همتهم التعزز بدولتهم والتفاخر بما لهم ولا يرون مكارم

القديم، والحدث: خلافه وهذه النصيحة يندرج فيها أمور منها التمسك بالأحكام الشرعية والخلافة النبوية والولاية الإمامية الثابتة بالوحي والنص في عهد النبي صلى الله عليه وآله وترك ما سواها مما حدث بعده صلى الله عليه وآله بالآراء البشرية، ومنها الصحبة والمعاشرة والقرض والإستقراض والإيداع والإستيداع وإظهار السر والذهب والمذهب والمعاملة مع المجرب مرة بعد أخرى وترك جميع ذلك مع غيره والفروق بين العهد وما عطف عليه دقيق، ولعل المراد بالعهد تذكر الحقوق ورعايتها والأمر بها وبالأمانة رد حق الغير إليه عند الإرادة وبالذمة حفظ ما يجب حفظه وبالميثاق الوفاء بالعهود والإيمان وغيرها ، ثم أمر بالحذر من أوثق الناس فضلاً عن غيره وأمره بكتمان السر والمذهب والمال فقال: (وكن على حذر من أوثق الناس في نفسك فإن الناس أعداء النعم) فيحسدون ويجهدون في إزالتها ويتعاونون على ذلك وربما يقتلون صاحبها كما فعل الأولون في أهل الولاية والإيمان وتبعهم الآخرون إلى عصر صاحب الزمان عليه السلام .

*** الأصل:**

٣٥١ ـ يحيى الحلبي ، عن أبي المستهلّ ، عن سليمان بن خالد قال : **سألني أبو عبدالله عليه السلام فقال: ما دعاكم إلى الموضع الذي وضعتم فيه زيداً ؟ قال : فقلت خصال ثلاث : أمّا إحداهنَّ: فقلّة من تخلّف معنا إنّما كنّا ثمانية نفر، وأمّا الاُخرى: فالذي تخوّفنا من الصبح أن يفضحنا ، وأمّا الثّالثة: فإنّه كان مضجعه الّذي كان سبق إليه فقال : كم إلى الفرات من الموضع الّذي وضعتموه فيه ؟ قلت : قذفة حجر ، فقال : سبحان الله أفلا كنتم أوقرتموه حديداً وقذفتموه في الفرات وكان أفضل ، فقلت جعلت فداك لا والله ماطقنا لهذا فقال : أيُّ شيء كنتم يوم خرجتم مع زيد ؟ قلت: مؤمنين قال : فما كان عدوّكم ؟ قلت :كفّاراً ، قال : فإني أجد في كتاب الله عزّ وجل : يا أيّها الّذين آمنوا « إذا لقيتم الّذين كفروا فضرب الرِّقاب حتّى إذا أثخنتموهم فشدُّوا الوثاق فإمّا منّاً بعد وإمّا فداء حتّى تضع الحرب أوزارها » فابتدأتم أنتم بتخلية من أسرتم سبحان الله ما استطعتم أن تسيروا بالعدل ساعة [(١)].**

*** الشرح :**

قوله: (عن سليمان بن خالد) قيل كان قارياً فقيهاً وجيهاً روى عن الباقر والصادق عليهما السلام خرج مع زيد ولم يخرج من أصحاب الباقر عليه السلام غيره فقطع أصبعه ـ وقيل يده ـ يوسف بن عمر بنفسه ورجع

الأخلاق شرفاً ورعاية الآداب فضلاً ولا اعتماد على عهدهم وميثاقهم وقد جربنا ذلك مراراً ولا يتخلف عنها أحد حتى أن الفاسق من البيت الشريف أرجى من العادل في الأنذال وأصل التلاد المال القديم استعير هنا للبيت القديم (ش) .

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٨.

إلى الحق قبل موته ورضي أبو عبدالله عليه السلام عنه بعد سخطه وتوجع بموته ودعى لولده وأوصى بهم أصحابه (فقال: ما دعاكم إلى الموضع الذي وضعتم فيه زيداً) حتى أخرجوه وحرقوه فيه توبيخ لهم على ذلك (أما إحداهن فقلة من تخلّف معنا) لقتل بعضهم وهرب آخرين وأما الثلاثة فانه كان مضجعه الذي سبق إليه) لعل المراد أنه كان مضجعه الذي قتل فيه ومقتله ويحتمل بعيداً أن يُراد أنه كان مضجعه في العلم الأزلي (قال فإني أجد كتاب الله عز وجل . انتهى) أشار إلى أنهم تركوا حكم الله فصاروا مغلوبين وذلك لأن الله تعالى أمر المؤمنين بالثبات في القتال وضرب رقاب الكفار حتى يثخنوهم: أي يغلبوهم ويوهنوهم ثم أمر بعد الإثخان بشده الوثاق وهو بالفتح: ما يشد به الأسير إلى أن تضع الحرب أوزارها أي سلاحها وآلاتها وهم غلبوا في أول الحرب على الأعداء وأسروهم وخلّوا سبيل الأسراء فصاروا لذلك بعد الغلبة مغلوبين مقهورين .

*** الأصل:**

٣٥٢ ـ يحيى الحلبي ، عن هارون بن خارجة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **إنَّ الله عزَّ وجلَّ أعفى نبيّكم أن يلقى من اُمّته ما لقيت الأنبياء من أممها وجعل ذلك علينا** [١].

*** الشرح :**

قوله: (إن الله أعفى نبيكم) أعفاه الله من القتل مثلاً وهب له العافية منه وفيه إظهار لشكر نعمته حيث أنه رضي لهم ما رضي لأوليائه والإعفاء أيضاً نعمة كل ذلك لمصلحة .

*** الأصل:**

٣٥٣ ـ يحيى ، عن عبدالله بن مسكان ، عن ضريس قال : **تمارى الناس عند أبي جعفر عليه السلام فقال بعضهم : حرب عليّ شرّ من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال بعضهم : حرب رسول الله صلى الله عليه وآله شرٌّ من حرب عليّ عليه السلام قال : فسمعهم أبو جعفر عليه السلام فقال : ما تقولون ، فقالوا: أصلحك الله تمارينا في حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وفي حرب عليّ عليه السلام فقال بعضنا حرب عليّ عليه السلام شرّ من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال بعضنا : حرب رسول الله صلى الله عليه وآله شرّ من حرب عليّ عليه السلام فقال أبو جعفر عليه السلام : لابل حرب عليّ عليه السلام شرٌّ من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت له : جعلت فداك أحرب عليّ عليه السلام شرّ من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قال : نعم وسأخبرك عن ذلك ، إنَّ حرب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقرّوا بالإسلام وإن حرب عليّ عليه السلام أقرُّوا بالإسلام ثمّ جحدوه** [٢].

*** الشرح :**

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٩.

(٢) الكافي: ٨ / ٢٠٩.

قوله: (وقال بعضهم: حرب علي شر من حرب رسول الله ﷺ) الحرب: النزاع والخصومة والقتال والعدو المحارب للذكر والأُنثى والجمع والواحد، والثاني هنا أنسب لقوله إن حرب رسول الله ﷺ لم يقروا بالإسلام، ويفهم منه أن مخالفة رسول الله ﷺ بعد الإقرار به أقبح وأشد عليه من مخالفته قبله وأن المنافقين أشد عذاباً من المنكرين ظاهراً وباطناً وأن المرتد أشد كفراً وعقوبة من غيره من الكفار ولهذا تقبل توبته دون المرتد كما نطقت به الأخبار.

*** الأصل:**

٣٥٤ ـ يحيى بن عمران، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: « **وآتيناه أهله ومثلهم معهم** » **قلت: ولده كيف أوتي مثلهم معهم؟ قال: أحيى له من ولده الّذين كانوا ماتوا قبل ذلك بآجالهم مثل الّذين هلكوا يومئذ** [١].

*** الشرح:**

قوله: (أحيى له من ولده. انتهى) يعني أحيى له أولاده الذين ماتوا بآجالهم على التفريق وأولاده الذين هلكوا دفعة يوم نزلت به البلية وفيه ترغيب في الصبر وتبشير بأنه مقرون بالفرج كما قيل « أقرب ما يكون اليسر عند اشتداد العسر ».

*** الأصل:**

٣٥٥ ـ يحيى الحلبيُّ، عن المثنّى، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: « **كأنّما أُغشيت وجوههم قطعاً من اللّيل مظلماً** » **قال: أما ترى البيت إذا كان الليل كان أشدَّ سواداً من خارج فلذلك** [٢].

*** الشرح:**

قوله: (كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) ضمير وجوههم راجع إلى الذين كسبوا السيئات التي هي جحود الحق والرسول والولي ومخالفتهم ومظلماً حال عن الليل للتأكيد أو للتقييد وتمثيله عليه السلام بالبيت لإيضاح المقصود والتنبيه على أن في وجوههم أفراد من السواد بعضها فوق بعض وفيه تنفير عن السيئة الموجبة لهذة البلية الشديدة التي يتنفر عنها الطباع.

*** الأصل:**

٣٥٦ ـ الحسين بن محمّد، عن المعلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن أبان بن عثمان، عن الحارث بن المغيرة قال: **سمعت عبدالملك بن أعين يسأل أبا عبدالله عليه السلام فلم يزل يسأله حتّى**

---

(١) الكافي: ٨ / ٢١٠. (٢) الكافي: ٨ / ٢١٠.

قال: فهلك النّاس إذاً ! قال : إي والله يا ابن أعين فهلك الناس أجمعون قلت : من في المشرق ومن المغرب قال : إنّها فتحت بضلال . إي والله لهلكوا إلّا ثلاثة (١).

*** الشرح :**

قوله: (قلت: من في المشرق ومن في المغرب) كلام الحارث من باب الإستفهام دون الإنكار لأنه ثقة من الأصحاب وله مدح عظيم من أبي عبدالله عليه السلام (قال: إنها فتحت بضلال) في عهد الخلفاء الضالة المضلة فلا يستبعد ضلالة من فيها لدخولهم في الدين الذي اخترعوه . والقول بأن النبي صلى الله عليه وآله فتحها حين كونهم في ضلالة فلا يستبعد رجوعهم إليها بعده لعدم استقرار الإيمان في قلوبهم محتمل بعيد . أي (والله لهلكوا إلّا ثلاثة) المقداد بن الأسود وأبوذر الغفاري وسلمان الفارسي كما مرَّ ولا حاجة إلى استثناء أهل البيت كما زعم لأن هلاك الناس بهم وبترك محبتهم فهم غير داخلين في المواضع ولا إلى استثناء من رجع عن الباطل ثانياً لأن المقصود إثبات الهلاك في الجملة وغير الثلاثة ارتدّوا بعده وإن رجع قليل منهم فتاب كما مرَّ من حديث حنان .

*** الأصل:**

٣٥٧ ـ محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن الحسين ، عن إسحاق بن يزيد ، عن مهران عن أبان بن تغلب وعدَّة قالوا : **كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام جلوساً فقال عليه السلام : لا يستحق عبدٌ حقيقة الإيمان حتّى يكون الموت أحبَّ إليه من الحياة ويكون المرض أحبَّ إليه من الصحّة ويكون الفقر أحبَّ إليه من الغنى فأنتم كذا ؟ فقالوا : لا والله جعلنا الله فداك وسقط في أيديهم ووقع اليأس في قلوبهم فلمّا رأى ماداخلهم من ذلك قال : أيسرُّ أحدكم أنّه عمّر ما عمّر ثمَّ يموت على غير هذا الأمر أو يموت على ما هو عليه ! قالوا : بل يموت على ما هو عليه الساعة قال : فأرى الموت أحبَّ إليكم من الحياة ، ثمَّ قال : أيسرُّ أحدكم إن بقي ما بقي لا يصيبه شيء من هذه الأمراض والأوجاع حتّى يموت على غير هذا الأمر ! قالوا : لا يا ابن رسول الله ، قال : فأرى المرض أحبّ إليكم من الصحّة، ثم قال : أيسرُّ أحدكم أنَّ له ما طلعت عليه الشمس وهو على غير هذا الأمر ؟ قالوا : لا يا ابن رسول الله ، قال : فأرى الفقر أحبّ إليكم من الغنى** (٢).

*** الشرح :**

قوله: (كنا عند أبي عبدالله جلوساً) أي جالسين فهو بالضم جمع جالس كقعود جمع قاعد (فقال لا يستحق عبد حقيقة الإيمان حتى يكون الموت أحب إليه من الحياة) أريد بحقيقة

---

(١) الكافي: ٨ / ٢١٠.
(٢) الكافي: ٨ / ٢١٠ .

الإيمان: الإيمان الكامل بأركانه وشرائطه التي من جملتها الأعمال الصالحة أو الإيمان الثابت المستقر الذي ليس بمستودع أو الثواب الجزيل المترتب عليه ويؤيده لفظ الإستحقاق (وسقط في أيديهم): أي ندموا وتحيروا يقال سقط في يده وأسقط مضمومتين: أي ذل وأخطأ وندم وتحير.

*** الأصل:**

٣٥٨ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن عليّ، عن حمّاد اللّحّام، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ أباه قال: **يا بنيَّ إنّك إن خالفتني في العمل لم تنزل معي غداً في المنزل، ثمَّ قال: أبى الله عزَّ وجلَّ أن يتولّى قوم قوماً يخالفونهم في أعمالهم ينزلون معهم يوم القيامة كلّا وربِّ الكعبة** [(١)].

*** الشرح:**

قوله: (يا بني إنك إن خالفتني في العمل لم تنزل معي غداً في المنزل) أي الجنة في منزلي ودرجتي وهذا مما لا ريب فيه لأن قليل العمل لا يبلغ درجة كثيرة وليس المراد انك لم تنزل في الجنة إلّا أن يراد بالمخالفة الإنكار لدلالة روايات متكثرة على أن أهل الإيمان يدخلون الجنة وإن قل عملهم وقد مر بعضها وكذا قوله (أبى الله عز وجل ـ إلى آخره) دل على أن الشيعة المقصرين في العمل لا ينزلون معهم ولا يدل على أنهم لا يدخلون الجنة ويمكن أن يراد أنهم لا ينزلون معهم ابتداء قبل الخروج عن عهدة التقصير أو قبل الشفاعة.

*** الأصل:**

٣٥٩ ـ الحسين بن محمّد الاشعري، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة قال: **سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما أحد من هذه الأُمّة يدين بدين إبراهيم عليه السلام إلّا نحن وشيعتنا ولا هدي من هدي من هذه الأُمّة إلّا بنا ولا ضلّ من ضلّ من هذه الأُمّة إلّا بنا** [(٢)].

*** الشرح:** قوله: (ما أحد من هذه الأمة يدين بدين إبرهيم عليه السلام . انتهى) أي بأصول دينه التي لا ينسخ أبداً كالتوحيد وتنزيه الحق عما لا يليق به والقول بأن العصر لا يخلو من رسول أو وصي وأنهما بالنص إلى غير ذلك من الأمور التي لا تتغير بتواتر الأنبياء والرسل ثم أشار.

*** الأصل:**

٣٦٠ ـ عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عليّ بن عطيّة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **كنت عنده وسأله رجل عن رجل يجيء منه الشيء على حدِّ الغضب يؤخذه الله به ! فقال:**

---

(١) الكافي: ٨ / ٢١١. (٢) الكافي: ٨ / ٢١١.

الله أكرم من أن يستعلق عبده وفي نسخة أبي الحسن الأول عليه السلام : يستفلق عبده [١].

*** الشرح :**

قوله: (ولا هدي من هدي من هذه الأمّة إلّا بنا . انتهى) أي أن هذه الأمة بعد نبيهم صاروا فرقتين فرقة هدوا إلى الحق وإلى الصراط المستقيم بسبب متابعتهم ، وفرقة ضلوا عنهما بسبب مخالفتهم، قوله: (الله أكرم من ان يستعلق عبده . انتهى) بالعين المهملة: أي يخاصمه بزلالة ولم يجعل له باباً لنجاته وهو التوبة من العلق محركة: وهو الخصومة وفي بعض النسخ بالغين المعجمة من استغلقه في بيعه إذا لم يجعل له خياراً في رده ، والاستفلاق بالقافين: من القلق محركة وهو الإنزعاج والإضطراب وهذه المعاني متقاربة والله أعلم .

*** الأصل:**

٣٦١ ـ عليّ ، عن أبيه ، عن ابن عمير ، عن محمّد بن أبي حمزة ، وغير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنَّ لكم في حياتي خيراً وفي مماتي خيراً ، قال: فقيل: يا رسول الله أمّا حياتك فقد علمنا فمالنا في وفاتك ؟ فقال عليه السلام: أمّا في حياتي فإنّ الله عزَّ وجلَّ قال : « وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم » وأمّا في مماتي فتعرض عليّ أعمالكم فأستغفر لكم** [٢].

*** الشرح :**

قوله: (فتعرض علي أعمالكم) عرض الأعمال عليه متفق عليه بين الأمّة إلّا أن في وقت العرض وتفصيله خلاف بيننا وبينهم ذكرناه في شرح كتاب الحجة من الأصول .

*** الأصل:**

٣٦٢ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام : **إنّ ممّن ينتحل هذا الأمر ليكذب حتّى أنَّ الشيطان ليحتاج إلى كذبه** [٣].

*** الشرح :**

قوله: (ان ممن ينتحل هذا الأمر . انتهى) الإنتحال «چيزي بر خود بستن» وفيه دلالة على أن الفاسقين المكذبين من الشيعة من أهل النفاق ليس لهم حقيقة التشيع .

*** الأصل:**

٣٦٣ ـ عليُّ بن محمّد ، عن صالح بن أبي حمّاد ، عن عليّ بن الحكم ، عن مالك بن عطيّه ، عن أبي حمزة قال : إنَّ أوّل ما عرفت عليَّ بن الحسين عليهما السلام أنّي رأيت رجلاً دخل من باب الفيل فصلّى

---

(١) الكافي: ٨ / ٢١١. (٢) الكافي: ٨ / ٢١٢. (٣) الكافي: ٨ / ٢١٢.

أربع ركعات فتبعته حتّى أتى بئر الزكاة وهي عند دار صالح بن عليّ وإذا بناقتين معقولتين ومعها غلامٌ أسود ، فقلت له : من هذا ؟ فقال : هذا عليُّ بن الحسين عليهما السلام فدنوت إليه فسلّمت عليه وقلت له : ما أقدمك بلاداً قتل فيها أبوك وجدّك ! فقال: زرت أبي وصلّيت في هذا المسجد ثمّ قال : ها هو ذا وجهي . صلّى الله عليه .

قوله: (ثم قال ها هو ذا وجهي) « ها » للتنبيه وهو مبتدأ مبهم، والجملة بعده خبر مفسر له كما قيل في قل هو الله أحد ، و « ذا » إشارة إلى طريق المدينة ووجه كل شيء مستقبلة وهو ما يستقبل ويتوجه إليه والظاهر أن قوله (صلّى الله عليه) من كلام الراوي وقيل يحتمل أن يكون من كلامه عليه السلام حيث أشار إلى طريق المدينة فصلىّ على النبي .

*** الأصل:**

٣٦٤ ـ عنه ، عن صالح ، عن الحجّال ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل » قال : نزلت في الحسين عليه السلام ، لو قتل أهل الأرض به ما كان سرفاً** [(١)].

*** الشرح :**

قوله: (نزلت في الحسين عليه السلام لو قتل أهل الأرض به ما كان سرفاً) لعل المراد من أهل الأرض من اجتمعوا واتفقوا على قتله عليه السلام ورضوا به إلى يوم القيامة وهذا التفسير يدل على أن لا يسرف خبر ، والثابت في القرآن نهي ولا يبعد أن يحتمل النهي هنا على الخبر كما يحمل الخبر على النهي في كثير من المواضع والله يعلم .

*** الأصل:**

٣٦٥ ـ عنه ، عن صالح ، عن بعض أصحابه ، عن عبدالصمد بن بشير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **إنَّ الحوت الّذي يحمل الأرض أسرّ في نفسه أنّه إنّما يحمل الأرض بقوّته فأرسل الله تعالى إليه حوتاً أصغر من شبر وأكبر من فتر فدخلت في خياشيمه فصعق ، فمكث بذلك أربعين يوماً ثمَّ أنَّ الله عزَّ وجلَّ رؤوف به رحمه وخرج ، فإذا أراد الله جلَّ وعزَّ بأرض زلزلة بعث ذلك الحوت إلى ذلك الحوت فإذا رآه اضطرب فتزلزلت الأرض** [(٢)].

*** الشرح :** قوله: (أصغر من شبر و أكبر من فتر) الفتر بالكسر: ما بين طرفي السبابة والإبهام إذا فتحتهما (فدخل في خياشيمه فصعق) الخيشوم من الأنف: ما فوق نخرته من القصبة وما تحتها

---

(١) الكافي: ٨ / ٢١٢ . (٢) الكافي: ٨ / ٢١٢.

من خشارم الرأس والخياشيم غراضيف في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ أو عروق في بطن الأنف، والصعق: الغشي صعق كسمع صعقاً ويحرك فهو صعق ككتف غشي عليه وفيه إشارة إلى سبب الزلزلة وقد يكون لها سبب آخر كما صرح به الصدوق وإلى أن التكبر والعجب يوجبان الذل وتنبيه على أن البلاء النازلة على العباد كلها لمصلحة يرجع فيها نفعها إليهم .

*** الأصل:**

٣٦٦ ـ عنه ، عن صالح ، عن محمّد بن سنان ، عن ابن مسكان ، عن أبي بكر الحضرمي ، عن تميم بن حاتم قال : كنّا مع أمير المؤمنين عليه السلام فاضطرب الأرض فوحاها بيده ثمّ قال لها : **اسكني مالك ! ثمَّ التفت إلينا وقال : أمّا إنّها لو كانت الّتي قال الله عزَّ وجلَّ لأجابتني ولكن ليست بتلك**[١].

*** الشرح :**

قوله: (فوحاها بيده ثم قال لها اسكنى مالك ؟) فسكنت ولم تجب عن قوله مالك . والوحي هنا: الإشارة ثم أشار عليه السلام إلى أن هذا الوقت جوابها وإنما وقتها عند زلزلة الساعة بقوله (أما إنها لو كانت التي قال الله لأجابتني ولكنها ليست بتلك) قال الله تعالى « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض اثقالها وقال الإنسان مالها يومئذ تحدث أخبارها » أي بلسان المقال ما لأجله زلزالها وما عمل عليها وما وقع فيها من خير وشر وذلك سبب أنه تعالى أوحى لها بالنطق وأمرها بالإخبار قال على بن إبراهيم في تفسيره : المراد بالإنسان أمير المؤمنين عليه السلام .

*** الأصل:**

٣٦٧ ـ أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن أبي اليسع، عن أبي شبل ـ قال صفوان: ولا أعلم إلاّ أني قد سمعت من أبي شبل ـ قال قال أبو عبد الله عليه السلام: **من أحبّكم على ما أنتم عليه دخل الجنّة وإن لم يقل كما تقولون.**[٢]

*** الشرح:**

قوله: (عن أبي اليسع عن أبي شبل) قال الفاضل الاسترابادي في رجاله أبو شبل اسمه عبد الله ابن سعيد ثقة وأبو اليسع داود الابزاري مشترك بين مهملين ابن راشد وابن سعيد ويحتمل غيرهما فتدبر انتهى، أقول: يحتمل ابن فرقد الثقة بقرينة ان له كتاباً يروي عنه صفوان بن يحيى كما ذكره هذا الفاضل ويحتمل غيره أيضاً.

(قال صفوان ولا أعلم الا أني قد سمعت من أبي شبل) يعني ظننت ذلك فهو يروي عنه أيضاً

(١) الكافي: ٨ / ٢١٢. (٢) الكافي: ٨ / ٢١٣.

بلا واسطة (قال قال أبو عبد الله عليه السلام من أحبكم على ما أنتم عليه) من ولاية علي وأولاده الطاهرين عليهم السلام دخل الجنة وإن لم يقل كما تقولون) لإخفاء في أن من أحب أحداً بولاية علي عليه السلام كان معتقداً بها مؤمناً وإن لم يظهرها باللسان ولم يعمل بمقتضاها فهو يدخل الجنة بالعفو والشفاعة مع بقاء إيمانه عند الخروج من الدُّنيا والله يعلم. * **الأصل:**

٣٦٨ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن محمّد بن النعمان أبي جعفر الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **قال: إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا انقضت القصّة فيما بينه وبين طلحة والزبير وعائشة بالبصرة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: أيها النّاس إنّ الدنيا حلوة خضرة تفتن الناس بالشهوات وتزيّن لهم بعاجلها وأيم الله إنّها لتغرّ من أمّلها وتخلف من رجاها وستورث أقواماً الندامة والحسرة بإقبالهم عليها وتنافسهم فيها وحسدهم وبغيهم على أهل الدِّين والفضل فيها ظلماً وعدواناً وبغياً وأشراً وبطراً، وبالله إنه ما عاش قومٌ قطُّ في غضارة من كرامة نعم الله في معاش دنيا ولا دائم تقوى في طاعة الله والشكر لنعمه فأزال ذلك عنهم إلّا من بعد تغيير من أنفسهم، وتحويل عن طاعة الله والحادث من ذنوبهم وقلّة محافظة وترك مراقبة الله جلَّ وعزَّ وتهاون بشكر نعمة الله لأن الله عزّ وجلّ يقول في محكم كتابه: «إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم» «وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردَّ له وما لهم من دونه من وال» ولو أنّ أهل المعاصي وكسبة الذُّنوب إذا هم حذروا زوال نعم الله وحلول نقمته وتحويل عافيته أيقنوا أنّ ذلك من الله جل ذكره بما كسبت أيديهم، فأقلعوا وتابوا وفزعوا إلى الله جلّ ذكره بصدف من نيّاتهم وإقرار منهم بذنوبهم وإساءتهم لصفح لهم عن كلِّ ذنب وإذاً لأقالهم كلَّ عثرة ولردَّ عليهم كلَّ كرامة نعمة، ثم أعاد لهم من صلاح أمرهم ومما كان أنعم به عليهم كلَّ ما زال عنهم وأفسد عليهم.**

فاتّقوا الله أيّها النّاس حقَّ تقاته، استشعروا خوف الله جل ذكره و أخلصوا اليقين، وتوبوا إليه من قبيح ما استفزَّكم الشيطان من قتال وليِّ الأمر وأهل العلم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وما تعاونتم عليه من تفريق الجماعة وتشتّت الأمر وفساد صلاح ذات البين، إنَّ الله عزَّ وجلَّ «يقبل التوبة ويعفو عن السيّئات ويعلم ما تفعلون» [١].

* **الشرح**: قوله: (أيها الناس إن الدنيا حلوة خضرة): أي تامة الحلاوة شديدة الخضرة وإنما وصف الدنيا ومتاعها بهما لميل الطبائع الفاسدة إليها (تفتن الناس بالشهوات): أي تعجبهم أو

(١) الكافي: ٨ / ٢١٣.

تضلهم، يقال: فتنه يفتنه: وفتنه وأفتنه: أوقعه في الفتنة ولها معان منها: الإعجاب والإضلال والدنيا تعجبهم وتضلهم لأنها تعطف عليها قلوبهم وتصرف إليها ميولهم وتعمى عيون بصايرهم وتطفأ أنوار ضمائرهم فتمنعهم عن إدراك الحق وتعجزهم عن سلوك سبيلة والإقتداء بحججه والإهتداء إلى منهجه وإليه الإشارة في قوله تعالى « ولا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه » (وتزين لهم بعاجلها) وهي زهراتها البائدة الحاضرة التي تغفل القلوب الناقصة القاصرة عن التوجه إلى السعادة الدائمة والظاهر الباء زايدة، ثم أشار إلى ما يوجب النفور منها مؤكد بالقسم وغيره بقوله (وأيم الله أنها لتغر من أملها) غره غراً وغروراً وغرة بالكسر فهو مغرور وغرير خدعه وأطمعه بالباطل والدنيا غرارة خداعة تغر من أملها ومال قلبه إليها وتغفله بزهراتها الزائلة وشهواتها الباطلة عن الله تعالى وعن أمر الآخرة (وتخلف من رجاها) بعدم إعطاء مرجوه أو بأخذه منه ورده فقيرا إلى الآخرة (وستورث غدا أقواماً) التنكير والجمع للتكثير والمبالغة في الكثرة والمراد بالغد يوم القيامة أو يوم الموت وما بعده (الندامة والحسرة) حين رأوا سعادة الزاهدين في الدنيا وخسران أنفسهم (بإقبالهم عليها وتنافسهم فيها) التنافس: التسابق إلى الشيء أيهم يأخذه أولاً ومنشأه كثرة الرغبة وهو أول التحاسد (وحسدهم وبغيهم على أهل الدين والفضل فيها) أي في الدنيا والمراد بهم أمير المؤمنين عليه السلام وأهل العصمة من أولاده الطاهرين ثم من تبعهم إلى يوم الدين .

(ظلمنا وعدواناً وبغياً وأشراً وبطراً) قيل الإشر البطر، وقيل أشد البطر، والبطر: الطغيان عند النعمة وطول الغنا، وقيل: هو التكبر عن الحق وعدم قبوله ، وكان هذه الأُمور متعلقة بالأمور السابقة على الترتيب فظلماً علة لإقبالهم على الدنيا لظلمهم على أنفسهم وعدو لهم عن طريق الآخرة إلى الدنيا وعدواناً علة لتنافسهم فيها لتجاوزهم عن حد الحق ودخولهم في حد الباطل وبغياً علة لحسدهم على أهل الدين والفضل لتجاوزهم عن حدهم فخرجوا عن طاعة الإمام العادل وحسدوا عليه ، وأشراً وبطراً علة لبغيهم عليهم وجعل كل واحد متعلقاً بكل واحد أو بحسدهم وبغيهم محتمل ولكن قوله بغياً يأباه في الجملة فليتأمل، ثم نبّه عليه السلام لمناسب المقام بقوله (وبالله أنه ما عاش قوم قط في غضارة . انتهى) على أن كل من له نعمة وغضارة عيش وطيبه وطاعة لله تعالى وشكر له وغيرها من الفضايل النفسانية والبدنية ثم سلب منه تلك النعمة وأزيلت عنه تلك الفضيلة ما كان سبب السلب والإزالة إلاّ تغيرهم ما بأنفسهم من الأحوال الحسنة إلى الأحوال القبيحة وتحويلهم من الطاعة إلى المعصية وقلة محافظة ما أراد الله تعالى منهم وترك مراقبته في مقام المعصية ، ثم استدل على ذلك بقوله تعالى فقال: (لأن الله عز وجل يقول في محكم كتابه: إن الله لا

يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الكمالات وحسن الحالات إلى أضدادها (وإذ أراد الله بقوم سوءاً) إرادة حتم (فلا مرد له) إذ لا يقدر شيء أن يعارضه في إرادته (وما لهم من دونه من وال يلي صلاح أمرهم ودفع السوء عنهم ، واعلم أن المشتغلين بالمعصية حاملون لوزرها دافعون لنعمتهم الحاصلة ما نعون من حصول المترقبة مفسدون لحالهم ونظامهم ولو أنهم أيقنوا حين خافوا زوال النعمة وحلول النقمة وتحويل العافية أن ذلك بسبب معصيتهم فتابوا إلى الله توبة نصوحاً لتجاوز الله عن ذنوبهم وعثراتهم ورد عليهم النعمة المصروفة عنهم وأنزلها اليهم أعاد لهم كل ما زال عنهم من النعمة الحاصلة وفسد عليهم من الحالة الصالحة وإلى جميع ذلك أشار عليه الصلاة والسلام بقوله : (ولو أن أهل المعاصي وكسبة الذنوب إذا هم حذروا زوال نعمة الله وحلول نقمته وتحويل عافيته أيقنوا أن ذلك من الله عز ذكره بما كسبت أيديهم) من الذنوب فقوله: «أيقنوا خبر» « أن » وقوله « إذا هم » ظرف زمان له وقوله « لصفح » جزاء الشرط (فاقلعوا) عن المعاصي والذنوب (وتابوا) إلى الله عز وجل منها (وفزعوا إلى الله تعالى): أي خافوا عدم قبول التوبة راجعين أو متضرعين إليه في قبولها واستغاثوا إليه للتوفيق في التوبة والثبات عليها (بصدق نياتهم) على أن لا يرجعوا اليها أبداً وهن التوبة الخاصة وتوبة النصوح (وإقرار منهم بذنوبهم وإسالتهم) تفصيلاً أو إجمالاً (لصفح بهم عن كل ذنب) أذنبوه والصفح: التجاوز والعفو.

(وإذا لأقالهم كل عثرة) إذا: جواب وجزاء تأويلها إن كان الأمر كما ذكرت والإقالة: نقض البيع والمراد هنا نقض العثرات والتجاوز عنها وهذا كالتأكيد أو التعميم بعد التخصيص لأن العثرة أعم من الذنب (ولرد عليهم كل كرامة نعمة) كانت ممنوعة الوصول إليهم والظاهر أن الإضافة بيانية (ثم أعاد لهم من صالح أمرهم ومما كان أنعم الله به عليهم) من للابتداء أو التعليل (كل ما زال عنهم وفسد عليهم) بسبب المعصية من النعماء والأحوال الحسنة وفي ثم إشعار بأن هذا التفضل أبلغ وأكمل من الأول ثم صرف الكلام عن هذه الموعظة العامة إلى من حاربوه وقاتلوه وخرجوا عليه على سبيل التفريع فقال (فاتقوا الله أيها الناس حق تقاته) أي تقواه وهي التجنب عن كل ما يوجب سخطه والتمسك بكل ما يوجب مع نية خالصة (واستشعروا خوف الله جل ذكره) أي اجعلوه علامة لكم تعرفون بها أو محيطاً بقلوبكم إحاطة الشعار بالبدن أو في ذكركم من الشعور وهو العلم (وأخلصوا اليقين بالله) وبما جاء به الرسول من الحقوق الدينية والدنيوية، واليقين: هو العلم الذي لا يتطرق إليه شك ولعل المراد بإخلاصه العمل بمقتضاه لأن العامل بخلاف مقتضى العلم كان له شك فلا يكون له يقين خالص وفي بعض النسخ « النفس » في موضع اليقين والمراد بإخلاصها تنزيهها من النقايص (وتوبوا إلى الله من قبيح ما استفزكم الشيطان) فزه عن موضعه فزاً:

أزعجه واستفزه استخفه وأخرجه من داره وأزعجه من حاله إلى حال (من قتال ولي الأمر وأهل العلم بعد رسول الله ﷺ) بعد متعلق بالقتال أو بولي الأمر والمراد به نفسه المقدسة ومن تبعه من المؤمنين (وما تعاونتهم عليه من تفريق الجماعة) جماعة المسلمين (وتشتيت الأمر) أي تفريق أمرهم (وفساد صلاح ذات البين) في القاموس ذات بينكم أي حقيقة وصلكم أو ذات الحال التي يجتمع بها المسلمون وفي الكنز ذات البين عبارة عن نفس البين أي صلاح بينكم (إن الله يقبل التوبة ويعفو عن السيئات) ترغيب في التوبة وتعليل لقوله « توبوا » وفيه دلالة على أن قبول التوبة من باب التفضل، وقيل: من باب الوجوب وقد مرَّ وعلى أن توبة المرتد مطلقاً مقبولة والخلاف في الفطري مشهور وفي بعض النسخ « عن السيئة » و (يعلم ما تفعلون) وعد ووعيد للمطيع والعاصي بالثواب والعقاب وحث على ترك القبيح لأن العلم بأن على العمل رقيباً عالماً يبعث على تجويد العمل وترك القبيح .

*** الأصل:**

٣٦٩ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن عليّ بن عثمان قال : حدَّثني أبو عبدالله المدائني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **إنَّ الله عزّ وجلّ خلق نجماً في الفلك السابع فخلقه من ماء بارد وسائر النّجوم الستّة الجاريات من ماء حارّ وهو نجم الأنبياء والأوصياء، وهو نجم أمير المؤمنين عليه السلام يأمر بالخروج من الدُّنيا والزهد فيها ويأمر بافتراش التراب وتوسّد اللبن ولباس الخشن وأكل الجشب وما خلق الله نجماً أقرب إلى الله تعالى منه** [1].

*** الشرح :**

قوله: (إن الله عز وجل نجماً[2] في الفلك السابع) الظرف صفة لنجماً أو متعلق لخلق (فخلقه من ماء بارد . انتهى) إذاكان الماء أصل كل شيء من الأجسام كما مرَّ لم يبعد ذلك ويمكن أن يكون كناية عن لينة طبعه ولطفه بالسفليات وأمره للناس بما ذكر إمّا بالتأثير في المستعدين الراغبين في الآخرة أو بالقول وسماع الكاملين له وإخبارهم به يكفي لزوم التصديق به لو كان النقل صحيحاً وكونه نجم الأنبياء إلى آخره باعتبار أن تأثيره لهم وسماعهم لأمره أظهر هذا ويمكن أن يراد به النبي ﷺ وحينئذ جميع ما ذكر ظاهر ويؤيده ما روي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » قال: النجم رسول الله ﷺ والعلامات هم الأئمة عليهم السلام .

---

(١) الكافي: ٨ / ٢١٣.

٢ ـ يعني الزحل وهو عند المنجمين كوكب الدهاقين واصحاب المهن (ش) .

*** الأصل:**

٣٧٠ ـ الحسين * عن أحمد بن هلال ، عن ياسر الخادم قال : **قلت لأبي الحسن الرّضا عليه السلام : رأيت في النوم كأنَّ قفصاً فيه سبعة عشر قارورة ، إذا وقع القفص فتكسّرت القوارير ، فقال : إن صدقت رؤياك يخرج رجل من أهل بيتي يملك سبعة عشر يوماً ثمّ يموت ، فخرج محمّد بن إبراهيم بالكوفة مع أبي السرايا فمكث سبعة عشر يوماً ثمَّ مات** [1].

*** الشرح :**

قوله: (إن صدقت رؤياك) الرؤيا الصادقة ما له خارج هي تخبر عنه والكاذبة وهي أضغاث أحلام ما ليس له خارج ولا تأويل لها إذ تأويلها بيان ما دلت عليه من الأمور الخارجة ولا خارج لها كما مرَّ .

*** الأصل:**

٣٧١ ـ عنه ، عن أحمد بن هلال ، عن محمّد بن بن سنان قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام في أيّام هارون: إنك قد شهرت نفسك بهذا الأمر وجلست مجلس أبيك وسيف هارون يقطر الدّم ! ، فقال : **جرّأني على هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أخذ أبوجهل من رأسي شعرة فاشهدوا أنّي لست بنبيّ ، وأنا أقول لكم : إن أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا أنّي لست بإمام**

*** الشرح :**

قوله (إنك قد شهرت نفسك) شهرت الأمر أشهره شهراً وشهرته تشهيراً أوضحه وأضهرته .

*** الأصل:**

٣٧٢ ـ عنه ، عن أحمد عليه السلام عن زرعة ، عن سماعة قال : تعرض رجل من ولد عمر بن الخطّاب بجارية رجل عقيلي [2] فقالت له : إنَّ هذا العمريّ قد آذاني فقال : لها عديه وأدخليه الدّهليز فأدخله فشدَّ عليه فقتله وألقاه في الطريق فاجتمع البكريّون والعمريّون والعثمانيّون وقالوا : ما لصاحبنا كفوٌ لن نقتل به إلّا جعفر بن محمّد وما قتل صاحبنا غيره وكان أبو عبدالله عليه السلام قد مضى نحو قُبا فلقيته بما اجتمع القوم عليه . فقال : دعهم ، قال : فلما جاء ورأوه وثبوا عليه وقالوا : ما قتل صاحبنا أحدٌ غيرك وما نقتل به أحداً غيرك ، فقال : ليكلّمني منكم جماعة فاعتزل قوم منهم فأخذ

---

(١) الكافي: ٨ / ٢١٤.

) الكافي: ٨ / ٢١٤. (

٢ ـ الخبر موضوع بلا مرية ، والمتهم بالوضع أحمد بن هلال الملعون على لسان العسكري عليه السلام وذكرنا علته في حواشي كتاب روضة من الوافي (ص ١١٠ من الجزء ١٤) (ش) .

بأيديهم فأدخلهم المسجد فخرجوا وهم يقولون : شيخنا أبو عبدالله جعفر بن محمّد معاذ الله أن يكون مثله يفعل هذا ولا يأمر به ، انصرفوا قال : فمضيت معه فقلت : جعلت فداك ما كان أقرب رضاهم من سخطهم ؟! قال : نعم دعوتهم فقلت : أمسكوا وإلّا أخرجت الصحيفة .

فقلت : وما هذه الصحيفة جعلني الله فداك فقال : إنَّ أمّ الخطّاب كانت أمة للزبير بن عبدالمطّلب فسطر بها نفيل فأحبلها فطلبه الزبير فخرج هارباً إلى الطائف فخرج الزّبير خلفه فبصرت به ثقيف فقالوا : يا أبا عبدالله ما تعمل ههنا ! قال : جاريتي سطربها نفيلكم ، فهرب منه إلى الشام وخرج الزبير في تجارة له إلى الشام فدخل على ملك الذمة فقال له : يا أبا عبدالله لي إليك حاجة ، قال : وما حاجتك أيّها الملك فقال : رجل من أهلك قد أخذت ولده فأُحبُّ أن تردَّه عليه ، قال : ليظهر لي حتّى أعرفه فلّما أن كان من الغد دخل على الملك فلمّا رآه الملك ضحك ، فقال : ما يضحكك أيّها الملك ؟ قال : ما أظنُّ هذا الرّجل ولدته عربيّة ، لمّا رآك قد دخلت لم يملك استه أن جعل يضرط ، فقال : أيّها الملك إذا صرت إلى مكّة قضيت حاجتك فلمّا قدم الزُّبير ، تحمّل عليه ببطون قريش كلّها أن يدفع إليه ابنه فأبى ثمّ تحمّل عليه بعبد المطّلب فقال : ما بيني وبينه عمل، أما علمتم ما فعل في ابني فلان ولكن امضوا أنتم إليه فقصدوه وكلّموه فقال لهم الزبير : إنّ الشيطان له دولة إنَّ ابن هذا ابن الشيطان ولست آمن أن يترأس علينا ولكن أدخلوه من باب المسجد عليّ على أن أحمي له حديدة وأخطُّ في وجهه خطوطاً وأكتب عليه وعلى ابنه ألّا يتصدّر في مجلس ولا يتأمّر على أولادنا ولا يضرب معنا بسهم ، قال : ففعلوا وخط وجهه بالحديدة وكتب عليه الكتاب وذلك الكتاب عندنا فقلت لهم : إن أمسكتم وإلّا أخرجت الكتاب ففيه فضيحتكم فأمسكوا.

وتوفي مولى لرسول الله ﷺ لم يخلّف وارثاً فخاصم فيه ولد العباس أبا عبدالله عليه السلام وكان هشام بن عبدالملك قد حجّ في تلك السنة فجلس لهم فقال داود بن عليّ : الولاء لنا وقال أبو عبدالله عليه السلام : بل الولاء لي فقال داود بن عليّ : إن أباك قاتل معاوية ، فقال : إن كان أبي قاتل معاوية فقد كان حظُّ أبيك فيه الأوفر ثمّ فرَّبخيانته ، وقال : والله لأطوِّ قنّك غداً طوق الحمامة ، فقال له داود بن عليّ : كلامك هذا أهون عليَّ من بعرة في وادي الأزرق ، فقال : أما إنّه واد ليس لك ولا لأبيك فيه حقٌّ قال: فقال هشام : إذا كان غداً جلست لكم فلمّا أن كان من الغد خرج أبو عبدالله عليه السلام ومعه كتاب في كرباسة وجلس لهم هشام فوضع أبو عبدالله عليه السلام الكتاب بين يديه فلمّا أن قرأه قال : ادعوا لي جندل الخزاعيَّ وعكاشة الضمري وكانا شخين قد أدركا الجاهليّة فرما بالكتاب إليهما فقال : تعرفان هذه الخطوط ! قالا : نعم هذا خطّ العاص بن أُميّة وهذا خطّ فلان وفلان لفلان من قريش وهذا خطّ

حرب بن اُميّة ، فقال هشام : يا أبا عبدالله أرى خطوط أجدادي عندكم ؟ فقال : نعم ، قال : فقد قضيت بالولاء لك قال : فخرج وهو يقول :

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة

قال : فقلت : ما هذا الكتاب جعلت فداك ؟ قال : فإن نثيلة كانت أمة لأُمّ الزبير ولأبي طالب وعبدالله فأخذها عبد المطّلب فأولدها فلاناً فقال له الزبير : هذه الجارية ورثناها من اُمّنا وابنك هذا عبد لنا فتحمّل عليه ببطون قريش ، قال : فقال قد أجبتك على خلّة على أن لا يتصدَّر ابنك هذا في مجلس ولا يضرب معنا بسهم فكتب عليه كتاباً وأشهد عليه فهو هذا الكتاب [1].

* **الشرح** : قوله: (بجارية رجل عقيلي) الجارية البنت وهي فتية النساء وتطلق على الأمة أيضاً ولعل المراد هنا الأولى (وأدخليه الدهليز) الدهليز بالكسر ما بين الباب والدار (قد مضي نحو قباء) هي بالضم وتذكر وتقصر: قرية قرب المدينة (فلقيته بما اجتمع القوم عليه) فيه اختصار فطلبته فلقيته وأخبرته (معاذ الله أن يكون مثله يفعل هذا ولا يأمر به) نفي للفعل عنه من باب الكناية ومعاذ الله مصدر منصوب بفعل مقدر أي نعوذ معاذاً إلى الله ولا لتأكيد النفي المستفاد ضمناً (فقال إن أم الخطاب كانت أمة للزبير بين عبدالمطلب فسطر بها نفيل فأحبلها) في القاموس سطر تسطيراً: ألف وعليه إياه بالأساطير: وهي الأحاديث التي لا نظام لها وفي النهاية سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها ، وتلك الأقاويل الأساطير ذكر الآبي في كتاب إكمال الإكمال نسب عمر هكذا عمر يكني أبا الحفص وهو ابن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزي بن رياح بن عبدالله بن قرط بن زيد بن عدي بن كعب بن لوي (فبصرت به ثقيف) كأمير أبو قبيلة من هوزان واسمه قسى بن منبه بن بكر بن هوزان (فهرب منها إلى الشام) أي فهرب نفيل لما سمع خبر وصول الزبير من ثقيف من الطايف إلى الشام (فدخل على ملك الدومة) دومة الجندل: اسم حصن على خمسة عشر ليلة من المدينة ومن الكوفة على عشر مراحل وأصحاب اللغة يضمون الدال وأصحاب الحديث يفتحونها كذا نقل عن المغرب فقال (ما أظن هذا الرجل ولدته عربية) قال ذلك لأن الضرطة عيب وعار خصوصاً عند العرب ولأنها نشأت من الخوف والجبن والشجاعة معروفة في العرب وانما شك في أمه لعلمه بأن أباه كان عربياً ، والإست بالكسر: الدبر، فقال: (أيها الملك إذا صرت إلى مكة قضيت حاجتك) فجعل له الأمان ووعد الملك بقضاء حاجته برد الولد (فلما قدم الزبير مكة) ورجع نفيل إليها أيضاً (تحمل) نفيل (عليه ببطون قريش) أي كلفه برد

---

(١) الكافي: ٨ / ٢١٥.

الولد وجعلهم شفعاء له (فقال: ما بيني وبينه عمل) أي فقال عبدالمطلب أبو الزبير ما بيني وبين الزبير عمل فلا أتكلم معه أما علمتم ما فعل في ابني فلان وهو العباس وسيجييء حكايته (ولكن امضوا إليه) أي إلى الزبير والخطاب لساير أولاده ومن حضره من بطون قريش (ولست آمن أن يترأس علينا) الرئيس سيد القوم رأسته ترئيساً إذا جعلته رئيساً وارتأس صار رئيساً كترأس وفي الكنز ترأس «سردار شدن» وقد صار كما قال.

(ولا يضرب معنا بسهم) في الغنيمة وغسرها ويمكن أن يراد به سهم الميسر لأنهم كانوا يعملونه مع الأكفاء (وتوفي مولى لرسول الله ﷺ) المراد بالمولى هنا العبد المعتق (فخاصم فيه ولد العباس أبا عبدالله عليه السلام) كان ولد العباس من أهل المكابرة لأن الولاء للمعتق وأولاده (وقال داود بن علي إن أباك قاتل معاوية، قال: ذلك إغراء وتحريشاً لهشام عليه عليه السلام ولم يكن لم حجة للغلبة سوى هذا (فقال: إن كان أبي قاتل معاوية فقد كان حظ أبيك) هو عبدالله بن العباس (فيه الأوفر) إذا قاتله بنصره وهو أقبح في العرف (ثم فر بجنايته) فقد جمع بين القتال والفرار، قيل: كأنه إشارة إلى ما حكاه الكشي أن أمير المؤمنين عليه السلام استعمله على البصرة فحمل بيت المال و فر منها إلى الحجاز وكان مبلغه ألفي ألف درهم وفي بعض النسخ بخيانته بالخاء المعجمة وفي بعضها بجناحيه (وقال: والله لا طوقنك غداً طوق الحمامة) فعل قال أبو عبدالله عليه السلام: وهذا مثل لإيصال المكروه إلى أحد من حيث لا يعلم (في وادي الأزرق) وادٍ وسيع كانت ترعى فيه الأنعام والأباعر (فقال: أما أنه واد ليس لك ولا لأبيك فيه حق) فيه تحقير له وإنما قال ذلك مع كمال حلمه لما روي عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: البشر يدفعه الشر، وقال: ردوا الحجر من حيث جاء، ولما اشتهر من أن الحلم مع الأحمق السفية حمق، وفيه دلالة على جواز أمثال ذلك في جواب الخصم المعتدي (وعكاشة الضمري) بضم العين وشد الكاف وفي القاموس بنو ضمر: رهط عمرو بن أمية الضمري (إن عادت العقرب عدنا لها * وكانت النعل لها حاضرة) هذا مثل لدفع الخصم المؤذي بما أمكن وقت الحاجة إليه (قال: فإن نثيلة كانت أمة لأم الزبير ولأبي طالب وعبدالله) هم بنوا عبدالمطلب من أم واحدة ونثيلة كسفينة بالنون والثاء المثلثة وفي القاموس: النثيلة: اللحم السمين وفي بعض النسخ « نفيلة » بالنون والفاء وكأنها من النفل بمعنى العطية أو من النفل: الذي هو نبت له نور طيب الرائحة (فاولدها فلاناً) هو العباس .

*** الأصل:**

٣٧٣ ـ الحسين بن محمّد ، عن محمّد بن أحمد النهديّ ، عن معاوية بن حكيم ، عن بعض رجاله ، عن عنبسة بن بجاد ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ : « **فأما إن كان من أصحاب**

اليمين فسلامٌ لك من أصحاب اليمين » فقال : قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام : هم شيعتك فسلم ولدك منهم أن يقتلوهم (١).

*** الشرح :**

قوله: (عن عنبسة بن بجاد) بالباء الموحدة المكسورة والجيم (فأما إن كان من أصحاب اليمين) قيل: أصحاب اليمين من كان له حالة حسنة ومنزلة رفيعة ومرتبة سنية وأصحاب الشمال من كان له حالة شنيعة ومنزلة دنية ومرتبة وضيعة، يقال: أتاه عن يمينه إذا أتاه من الجهة المحمودة وأصحاب الشمال الذين يؤتون صحايفهم بشمائلهم وقيل: أصحاب اليمين يسلكون في إيمانهم إلى الجنة لأن الجنة عن يمين الناس وأصحاب الشمال الذين يسلكون في شمائلهم إلى النار لأن النار عن شمالهم، وقيل: أصحاب اليمين والبركة وأصحاب الشمال أصحاب الشوم والنكبة لأن السعداء ميامين على أنفسهم بسبب طاعتهم والأشقياء مشائيم على أنفسهم بسبب معصيتهم، وقيل: أصحاب اليمين هم الذين أوحدهم الله تعالى في وقت الذر بجنب اليمين من آدم وأصحاب الشمال هم الذين أوجدهم بجنب الشمال منه. وقيل أصحاب اليمين هم الذين مقامهم على يمين العرش وأصحاب الشمال هم الذين مقامهم على شماله ولا يبعد أن يراد بأصحاب اليمين من خلق من التراب الذي في يمين جبرئيل عليه السلام وأصحاب الشمال من خلق من التراب الذي في شماله .

*** الأصل:**

٣٧٤ ـ حدَّثنا محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن عليّ عن صفوان ، عن محمّد بن زياد بن عيسى ، عن الحسين بن مصعب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : كنت اُبايع لرسول الله ﷺ على العسر واليسر والبسط والكره إلى أن كثر الإسلام وكثف قال : وأخذ عليهم [عليٌّ عليه السلام] أن يمنعوا محمّداً وذرّيّته ممّا يمنعون منه أنفسهم وذراريهم فأخذتها عليهم نجا من نجا وهلك من هلك .

(كنت أبايع لرسول الله ﷺ على العسر واليسر والبسط والكره) أي بالمتابعة على حال العسر في المعيشة واليسر فيها وفي حال السرور والحزن من بسطت فلاناً إذا سترته أو في حال سعة البلاء وضيقها من بسط المكان القوم إذا وسعهم ، أو في حال عدم الحاجة إلى المحاربة وحال الحاجة اليها والكره بالضم والفتح: المشقة أو بالضم ما أكرهت أنفك عليه وبالفتح من أكرهك غيرك عليه، والكريهة: الحرب أو الشدة في الحرب والنازلة ، وذو الكريهة السيف والصارم لا ينبو عن شيء

(١) الكافي: ٨ / ٢١٧.

(إلى أن كثر الإسلام وكثف) أي كثر أهل الإسلام والكثف: الجماعة والكثرة وفعله من باب كرم (قال: وآخذ عليهم على أن يمنعوا محمّداً وذريته مما يمنعون منه انفسهم وذراريهم) الظاهر أن فاعل قال، رسول الله ﷺ وفاعل وأخذ بصيغة الأمر، علي عليه السلام ومفعوله البيعة وفي أكثر النسخ وأخذ عليهم علي عليه السلام أن يمنعوا وحينئذ فاعل، قال أبو عبدالله عليه السلام ويأباه قوله فيما بعد فأخذتها عليهم على صيغة المتكلم إذ المناسب فأخذها عليهم وفي بعض النسخ فأخذ بها بالباء فتأمل (نجى من نجى وهلك من هلك) أي نجى بسبب الوفاء بالبيعة المذكورة كل من نجى وخلص من عقوبته الله وسخطه وهلك بسبب نقص تلك البيعة كل من هلك بعقوبة الأبد .

*** الأصل:**

٣٧٥ ـ عنه ، عن أحمد بن محمّد ، عن أبي يحيى الواسطيّ ، عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **إنّ من وراء اليمن واديقال له : وادي برهوت ولا يجاوز ذلك الوادي إلّا الحيّات السود ، والبوم من الطيور . في ذلك الوادي بئر يقال لها بلهوت ، يغدى ويراح إليها بأرواح المشركين ، يسقون من ماء لصديد خلف ذلك الوادي قوم يقال لهم الذريح ، لمّا أن بعث الله تعالى محمّداً ﷺ صاح عجل لهم فيهم وضرب بذنبه فنادى فيهم يا آل الذريح ـ بصوت فصيح ـ أتى رجلٌ بتهامة يدعو إلى شهادة أن لا إله إلّا الله قالوا : لأمر ما أنطق الله هذا العجل ؟ قال : فنادى فيهم ثانية فعزموا على أن يبنوا سفينة فبنوها ونزل فيها سبعة منهم وحملوا من الزّاد ما قذف الله في قلوبهم ثمّ رفعوا شراعها وسيّبوها في البحر فما زالت تسيربهم حتّى رمت بهم بجدّة فأتوا النبي ﷺ فقال لهم النبيُّ ﷺ : أنتم أهل الذّريح نادى فيكم العجل ؟ قالوا : أعرض علينا يا رسول الله الدِّين والكتاب فعرض عليهم رسول الله ﷺ الدّين والكتاب والسنن والفرائض والشرائع كما جاء من عند الله جلّ وعزّ وولّى عليهم رجلا من بني هاشم سيّره معهم فما بينهم اختلاف حتّى السّاعة** (١).

*** الشرح :**

قوله: (في ذلك الوادي بئر يقال لها بلهوت) قد يقال: برهوت تسمية باسم ذلك الوادي في القاموس برهوت محركة وبالضم: بئر أو واد، وقيل في الصحاح: برهوت على مثال رهبوت: بئر بحضر موت، يقال: فيها أرواح الكفار (يسقون من مآء صديد) في القاموس، الصديد: ماء الجرح الرقيق والحميم أغلي حتى خثر قيل في المغرب صديد الجرح ماؤه المخلوط بالدم وفي الكنز

(١) الكافي: ٨ / ٢١٧.

صديد «ريم وخون» (يقال لهم: الذريح) في القاموس الذريح أبوحى (ضرب بذنبه) يمكن أن يراد بالضرب معناه الظاهري وأن يراد به الإشارة إلى تهامة وأن يراد به المشي إليها ليريهم سمتها يقال: ضرب فلان بذنبه إذا أسرع الذهاب في الأرض كما صرح به في النهاية (فنادى فيهم يا آل ذريح بصوت فصيح . انتهى): أي خالص مظهر للمقصود كما ينطق به الفصحاء من الناس وتهامة بالكسر: مكة شرّفها الله تعالى.

وقيل: تهامة ما بين ذات عرق إلى مرحلتين من وراء مكة ولا استبعاد في نداء العجل بالنظر إلى قدرة الباري جل شأنه وإذا جاز أن تنطق قطعة من البقرة المذبوحة لأمر جزئي حدث في بني إسرائيل جاز تكلم عجل حي بطريق لأولى، وقد ورد تكلم البقرة من طريق العامة أيضاً عن أبي هريرة قال: « قال رسول الله ﷺ بينما يسوق رجل بقرة له قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله تعجباً وفزعاً أبقرة تتكلم » (ثم رفعوا شراعها وسيبوها في البحر) شرع السفينة وككتاب ما يرفع فوقها من ثوب لتدخل فيه الريح فتجريها والتسييب باليائين المثناتين الإرسال وفي الكنز تسييب «رها كردن چارپا تا هر جا كه خواهد برود» (رمت بهم بجدة) وهي الضم: ساحل البحر بمكة واسم لموضع بعينه منه هي مدينة قريبة من مكة (فعرض عليهم رسول الله ﷺ الدين والكتاب . انتهى) تعليم الشرائع كلها مع أنها تكاملت بعد ذلك لأنه تعالى ألهمها أو أوحاها في ذلك الوقت وحملها على الشرائع التي نزلت قبل بعيد .

*** الأصل:**

٣٧٦ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن أبان بن عثمان ، عن حديد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **لمّا اُسري برسول الله ﷺ أصبح فقعد فحدَّثهم بذلك فقالوا له : صف لنا بيت المقدس قال : فوصف لهم وإنّما دخله ليلاً فاشتبه عليه النعت فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال : أنظر ههنا ، فنظر إلى البيت فوصفه وهو ينظر إليه ثمَّ نعت لهم ما كان من عير لهم فيما بينهم وبين الشام ثمّ قال : هذه عير بني فلان تقدم مع طلوع الشمس يتقدَّمها جمل أورق أو أحمر ، قال: وبعثت قريش رجلاً على فرس ليردَّها ، قال : وبلغ مع طلوع الشمس ، قال قرطة بن عبد عمرو : يا لهفاً ألّا أكون لك جذعاً[1] حين تزعم أنك أتيت بيت المقدس ورجعت من ليلتك[2].**

*** الشرح :**

١ ـ كذا . وفي النهاية « يا ليتني فيها جذعاً » أي ليتني كنت شاباً .

(٢) الكافي: ٨ / ٢١٨.

قوله: (لما أُسري برسول الله ﷺ) أي سيره بالليل (قال: انظر هٰهنا فنظر في البيت قد ذكرنا سابقاً أنه يحتمل أن يكون ذلك بخلق الله تعالى مثله قريباً منه أو بنقله إلى قريب أو بإزالة الحجاب بينه وبينه (يتقدمها جمل أورق أو أحمر) ضمير التأنيث للعير وهي بالكسر: القافلة، والترديد من الراوي والأورق من الإبل ما في لونه بياض إلى سواد وفي بعض النسخ أزرق (وبلغ) أي بلغ العير أو ذلك الرجل (مع طلوع الشمس عند قدومهم) وهذا أيضاً من الإعجاز، (قال قرطبة بن عبد عمرو: يالهفاً أن لا أكون لك جذعا . انتهى) أي لأن، أو على أن وحذف الجار مع أن قياس . والجدع بالدال المهملة: قطع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة وقد يجعل كناية عن الإذلال الشديد، واللهف: الحزن والتحسر، لهف كفرح حزن وتحسر كتلهف عيله ويالهفا كلمة يتحسر بها على فائت والفائت هنا عدم تحقق الجدع لكونه غير قادر عليه .

*** الأصل:**

٣٧٧ ـ حميد بن زياد، عن محمّد بن أيّوب، عن عليٍّ بن أسباط، عن الحكم بن مسكين، عن يوسف بن صهيب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ رسول الله ﷺ أقبل يقول لأبي بكر في الغار: أسكن فإنَّ الله معنا وقد أخذته الرِّعدة وهو لا يسكن فلمّا رأى رسول الله حاله قال له: تريد أن اُريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدَّثون فأريك جعفراً وأصحابه في البحر يغوصون، قال: نعم، فمسح رسول الله ﷺ بيده على وجهه فنظر إلى الأنصار يتحدَّثون ونظر إلى جعفر عليه السلام وأصحابه في البحر يغوصون فأضمر تلك السّاعة أنّه ساحر.**

قوله: (وقد أخذته الرعدة . انتهى) ارتعد: اضطرب والإسم الرعدة بالكسر والفتح وأرعد بالضم أخذته الرعدة قال السهيلي: الغار هو بجبل ثور وهو أحد جبال مكة، وقال عياض: وكان من حديث الغار أن المشركين اجتمعوا لقتل رسول الله ﷺ وبيتوه فأمر علياً عليه السلام أن يرقد على فراشه فخرج عليهم رسول الله ﷺ وهم على الباب ولم يروه ووضع على رأس كل واحد منهم تراباً وانصرف عنهم إلى غار ثور فاختلفوا فيه وأخبروا أنه قد خرج عليهم ووضع التراب على رؤوسهم فمدوا أيديهم إلى رؤوسهم فوجدوا التراب فدخلوا الدار فوجدوا علياً على الفراش فلم يتعرضوا له ثم خرجوا في كل وجه يطلبونه ويقفون أثره بقائف معهم إلى أن وصلوا الغار فوجدوا العنكبوت قد نسجت عليه، وقال ثابت في الدلائل: ولما دخلاه يعني النبي عليه السلام وأبوبكر أنبت الله سبحانه على بابه شجرة مثل قامة الإنسان . وفي مسند البزار أن الله سبحانه أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأمر حمامتين فعشّشتا على فم الغار أو أن ذلك مما صد المشركين عنه وأن حمام مكة من نسل تينك الحمامتين وان قريشاً لما انتهى بهم قائفهم إلى فم الغار وجدوا ما ذكر على فمه فحين

رآهم أبوبكر اشتد خوفه فقال رسول الله ﷺ له: لا تحزن إن الله معنا أي بالحفظ والكلأ، وقال القرطبي فيه دلالة ظاهرة على قوة توكله.

* **الأصل:**

٣٧٨ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **إنَّ رسول الله ﷺ لمّا خرج من الغار متوجّها إلى المدينة وقد كانت قريش جعلت لمن أخذه مائة من الإبل، فخرج سراقة بن مالك بن جعشم فيمن يطلب فلحق برسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: اللّهمّ اكفني شرَّ سراقة بما شئت فساخت قوائم فرسه فثنّى رجله ثمَّ اشتدّ فقال: يا محمّد إنّي علمت أنَّ الّذي أصاب قوائم فرسي إنّما هو من قبلك فادع الله أن يطلق لي فرسي فلعمري إن لم يصبكم منّي خيرٌ لم يصبكم منّي شرّ، فدعى رسول الله ﷺ فأطلق الله عزّ وجلّ فرسه فعاد في طلب رسول الله ﷺ حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات كلُّ ذلك يدعو رسول الله ﷺ فتأخذ الأرض قوائم فرسه فلمّا أطلقه في الثالثة قال: يا محمّد هذه إبلي بين يديك فيها غلامي فإن احتجت إلى ظهر أولبن فخذ منه وهذا سهم من كنانتي علامة وأنا أرجع فأردُّ عنك الطلب، فقال: لا حاجة لنا فيما عندك**[١].

* **الشرح:**

قوله: (فخرج سراقة بن مالك بن جعشم فيمن يطلب) في القاموس سراقة بن مالك بن جعشم كقنفد وجندب صحابي روى مسلم في كتاب الأشربة باسناده عن أبي إسحاق الهمداني قال: «سمعت البراء يقول: لما أقبل رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة تبعه سراقة بن مالك بن جعشم فدعى عليه رسول الله ﷺ فساخت فرسه فقال ادع الله لي ولا أضرك قال: فدعا الله الحديث. جعشم مكتوب بتقديم العين المهملة على الشين، قال الآبي: سراقة هو ابن مالك الكناني وكان من حديث أن الله سبحانه لما أذن لرسوله ﷺ في الهجرة وخرج هو وأبوبكر جعلت قريش لمن رده عليهم مائة ناقة فخرج سراقة في أثره ليرده وكان من أمره ما ذكر في الحديث. وفي سيرة ابن إسحاق أنه لما ساخت قوائم فرسه في الأرض تبعتها عثان والعثان: الدخان وذكر غير ابن إسحاق أن سراقة لما رجع بغير شيء لامه أبوجهل فانشد.

أبا حكم واللات لو كنت شاهداً ... لأثر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

(١) الكافي: ٨ / ٢١٨.

عليك بكف القوم عنه فإنني	أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
وآمر برد الناس فيه بأسرهم	فإن جميع الناس طراً يسالمه

وروى مسلم وغيره أن سراقة بن مالك تبع النبي ﷺ وهو في جلد من الأرض أي في صلب وغلظه فقال أبوبكر: قد أتانا فقال ﷺ لا تحزن إن الله معنا ، فدعى عليه فارتطمت فرسه إلى بطنها يعني غاصت قوائمها فقال : إني قد علمت أنكما قد دعوتما عليّ فادعوا لي فلله أن أرد عنكما الطلب ـ وهو بضم الطاء وشد اللام جمع الطالب ـ فدعى الله عز وجل فنجا فرجع لا يلقى أحداً إلّا قال: قد كفيتكم ما هنا فلا يلقى أحداً إلّا ردّه ووفى . وفي رواية اخرى لهم فلما دنا دعى عليه رسول الله ﷺ فساخ فرسه في الأرض إلى بطنه ووثب عنه وقال يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن يخلصني مما أنا فيه ولك علي لأعمين على من ورائي وهذه كنانتى فخذ سهماً منها فإنك ستمر على إبلي وغلماني بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك ، قال: لا حاجة لي في إبلك .

*** الأصل:**

٣٧٩ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن أبي نجران ، عن محمّد بن سنان، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : **لا ترون الّذي تنتظرون حتّى تكونوا كالمعزى الموات التي لا يبالي الخابس أين يضع يده فيه، ليس لكم شرف ترقونه ولا سناد تسندون إليه أمركم .**(١)

*** الشرح :**

قوله: (لا ترون الذي تنتظرون) هو ظهور القائم عليه السلام (حتى تكونوا كالمعزى الموات) المعز بالفتح وبالتحريك والمعزى ويمد خلاف الضأن من الغنم (التي لا يبالي الخابس يضع يده منها) الخابس الآخذ من خبس الشيء بكفه إذا أخذه ولعل المراد لا يكره من يأخذ الشيء بكفه أن يرفع يده منها لكونه في غاية السقوط ، ويحتمل أن يراد بالخابس الظالم يبس فلاناً حقه إذا ظلمه ـ وبوضع اليد منها أو فيها على اختلاف النسخ: إيصال الأذى والقتل، وبعدم المبالاة: عدم الخوف من المؤاخذة لعدم وجود الناصر ظاهراً والله يعلم (ليس لكم شرف ترقونه) الشرف محركة: العلو والمكان العالي والمجد أي ليس لكم مكان عالي تصعدونه وهو كناية عن فقد الحامي لهم وضيق الأرض عليهم (ولا سناد تسندون إليه أمركم) السناد بالكسر: الناقة القوية، ولعل المراد به الأمير العادل القوي على دفع الأعداء وهذا من عظم أسباب ضعفهم ونزول البلاء والنكال من الأعداء إليهم .

---

(١) الكافي: ٨ / ٢١٩.

* **الأصل:**

٣٨٠ ـ وعنه ، عن عليٍّ بن الحكم ، عن ابن سنان ، عن أبي الجارود مثله ، قال : **قلت لعليٍّ بن الحكم : ما الموات من المعزى ؟ قال : الّتي قد استوت لا يفضل بعضها على بعض** (١).

* **الشرح :**

قوله: (التي قد استوت لا يفضل بعضها عل بعض) أي استوت في الضعف والهزال حتى لغت إلى حد لا يلتفت إليها أحد لغاية الإحتقار كالميتة .

* **الأصل:**

٣٨١ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صفوان بن يحيى ، عن عيص بن القاسم قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : **عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له وانظروا لأنفسكم فوالله إنّ الرّجل ليكون له الغنم فيها الرعي فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها يخرجه ويجيء بذلك الرَّجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها ، والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرّب بها ثمَّ كانت الأخرى باقية فعمل على ما قد استبان لها ولكن له نفس واحدة ، إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة فأنتم أحقُّ أن تختاروا لأنفسكم، إن أتاكم آت منّا فانظروا على أيِّ شيء تخرجون ولا تقولوا خرج زيد، كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه إنمّا دعاكم إلى الرّضا من آل محمّد عليهم السلام ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه إنّما خرج إلى لسلطان مجتمع لينقضه فالخارج منّا اليوم إلى أي شيء يدعوكم؟ إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام فنحن نشهدكم أنّا لسنا نرضى به، وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد وهو إذا كانت الرَّايات والألوية أجدر أن لا يسمع منّا إلّا مع من اجتمعت بنو فاطمة معه فوالله ما صاحبكم إلّا من اجتمعوا عليه ، إذا كان رجب ، فأقبلوا على اسم الله عزّ وجلّ وإن أحببتم أن تتأخّروا إلى شعبان فلا ضير وإن أحببتم أن تصوموا في أهاليكم فلعلّ ذلك أن يكون أقوى لكم، كفاكم بالسفيانيّ علامة** (٢).

* **الشرح :**

قوله: (عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له) برعاية أوامره ونواهيه والقيام بطاعته والفرار عن معصيته (وانظروا لأنفسكم) واختاروا من يجب عليكم طاعته بأمر الله تعالى ورسوله (فوالله إن الرجل ليكون له الغنم . انتهى) نبه بهذا التمثيل على أنه تعالى لا يرضى أن يختار الخلائق لأنفسهم أميراً لعدم علمهم بصفات الإمارة بل بختار سبحانه وتعالى وهذا غاية للنظر المأمور به لأن النظر

---

(١) الكافي: ٨ / ٢١٨. (٢) الكافي: ٨ / ٢١٩.

الصحيح يحكم بأنه حق لا ريب فيه (والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها) أي يجتهد بواحدة في تحصيل العلوم والتجريبات والتميز بين الحق والباطل والخير والشر (ثم كانت الأخرى باقية) مع بقاء الأولى أو عدمه (فعمل بالأخرى على ما قد استبان لها) بالأولى لأمكن له ترك العمل والتوبة من التقصير فيه في زمان الأولى توقعاً لتداركهما بالثانية فالجزاء محذوف بقرينة السياق وكونه يقاتل أو يعمل بعيد .

(ولكن له نفس واحدة كما نطق به القرآن الكريم إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة) لانقطاع العمل والتوبة بعد ذهابها فوجب على كل أحد تحصيل العلم والعمل والتوبة من التقصير فيه قبل ذهابها، وإنما استثنى ﷺ نقيض الشرط للدلالة على أن انتفاء الجزء في الخارج إنما هو بسبب انتفاء الشرط فيه كما هو المقرر في لو عند أرباب اللغة لا للدلالة على أن العلم بانتفاء الشرط علة للعلم بانتفاء الجزاء كما هو المقرر عند الميزان حتى يروا أن استثناء نقيض المقدم لا ينتج برفع التالي أي (فأنتم أحق أن تختاروا لانفسكم) قبل ذهابها وما هو خير لكم من الإمام العادل والعمل الصالح والتوبة من التقصير (إن أتاكم آت فانظروا أي شيء تخرجون) أمر بالنظر في السبب المجوز أو الموجب للخروج معه وهو كونه مالكاً للخلافة أو مأذوناً من مستحقها وإذ ليس فلا يجوز (ولا تقولوا خرج زيد) فيجوز لنا الخروج مع من يخرج من الفاطميين كائناً من كان تأسيّاً به وبأصحابه (فإن زيداً كان عالماً بالحق) والولاية ومستحقها (صدوقاً) في القول والعمل والعهد (لم يدعكم إلى نفسه بإقرار الإمامة والولاية له (بل إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد): أي إلى من فيه رضاهم أو إلى المرضى منهم وهو من له الإمامة بالنص (ولو ظهر) على الأعداء وغلبهم (لوفى بما دعاكم إليه) وسلم الملك والخلافة إلى أهلها وانقاد له (إنما خرج إلى سلطان) مجتمع شديد اجتمعت له جنود الشياطين وأهل الجور من كل أوب (لينقضه) ويفرق جمعه ليرجع الحق إلى أهله ولا دلالة فيه على الاذن أو الرضى بخروجه فلا ينافي الأخبار الدالة على عدمهما (فالخارج من اليوم هنا إلى أي شيء يدعوكم إلى نفسه أو إلى الرضا من آل محمّد ﷺ) ولم يذكر الأول لفهمه بالأولوية لكون المعصية فيه أشد وأكمل وإن كان الفساد في الثاني أقوى وأشمل (فنحن نشهدكم أنّا لا نرضى به) أي بذلك الخارج أو بخروجه لكونه معصية ومع ذلك لا تترتب عليه فائدة بل يوجب مفسدة عظمية هي إثارة الأعداء على إهراق الدماء المحرمة (وهو يعصينا اليوم) بالخروج وبترك النهي عنه وعدم الإقرار بوجوب الطاعة لنا والحال (أنه ليس معه أحد) ينصره ويوجب قوته وسطوته (وهو) أي ذلك الخارج العاصي في حال وحدته (إذا كانت الرايات والألوية) ووجدت معه على تقدير الغلبة على الأعداء .

(أجدر أن لا يسمع منا) ولا يقرُّ بولايتنا لكون السلطنة مانعة عن ذلك كله إلاّ من اجتمعت بنو فاطمة معه في بعض النسخ إلا مع من والإستثناء على الأول من قوله « فالخارج منا اليوم لا نرضى به » وعلى الثاني مما استفيد من الكلام السابق أي لا تخرجوا إلاّ مع من ، وفي بعض النسخ « لا تخرج إلّا مع من » ولو كان بدله لا تخرجوا لكان أنسب بالسابق واللاحق ولكنه لم يثبت (فوالله ما صاحبكم إلاّ من اجتمعوا عليه) قد مرَّ أن بني فاطمة والعلويين يلتجئون إلى الصاحب عليه السلام ويجتمعون عليه عند ظهوره (إذا كان رجب فأقبلوا على اسم الله عزّ وجلّ) أي فأقبلوا إلينا مع اسم الله عز وجل أو متبركين به فعلى للمصاحبة كمع أو بمعنى الباء ولم يرد أن ظهوره عليه السلام في رجب بل أراد أن فيه بعض علامات ظهوره كخروج السفياني ونحوه من الأمور الغريبة الدالة على قرب ظهوره ومن ثم قيل « عش رجباً ترى عجباً» ويؤيده آخر الحديث وخبر سدير فلا ينافي مارواه الصدوق في كمال الدين باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: يخرج القائم يوم السبت، يوم عاشوراء اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام.

*** الأصل:**

٣٨٢ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حمّاد بن عيسى ، عن ربعيّ رفعه ، عن عليٍّ بن الحسين عليه السلام قال : **والله لا يخرج واحد منّا قبل خروج القائم عليه السلام إلّا كان مثله مثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به .**

*** الأصل:**

٣٨٣ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن عثمان بن عيسى ، عن بكر بن محمّد ، عن سدير قال : **قال أبو عبدالله عليه السلام : يا سدير إلزم بيتك وكن حلساً من أحلاسه واسكن ما سكن اللّيل والنّهار فإذا بلغك أنَّ السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك .**[1]

*** الشرح:**

قوله: (وكن حلساً من أحلاسه) الإحلاس جمع حلس: وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب شبهه به للزومه ودوامه .

*** الأصل:**

٣٨٤ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن عليٍّ بن الحكم ، عن كامل بن محمد عن محمد بن إبراهيم الجعفي قال: حدّثني أبي قال: **دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال : ما**

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٠.

لي أراك ساهم الوجه ؟ فقلت : إنَّ بي حمّى الربع ، فقال : ما [ذا] يمنعك من المبارك الطّيب * إسحق السكّر ثمّ امخضه بالماء واشربه على الريق وعند المساء قال : ففعلت فما عادت إليَّ (١).

*** الشرح :**

(مالي أراك ساهم الوجه) أي متغيره لعارض، يقال: سهم لونه يسهم إذا تغير عن حاله لعارض ، وحمى الربع بالكسر: أن تأخذ يوماً وتترك يومين ثم تجيء في اليوم الرابع ، والسكر معرب شكر واحدته بالضم وشد الكاف بهاء والمخض التحريك الشديد .

*** الأصل:**

٣٨٥ ـ عنه ، عن أحمد بن محمّد ، عن السحن بن عليٍّ بن النعمان ، عن بعض أصحابنا قال : **شكوت إلى أبي عبدالله عليه السلام الوجع ، فقال : إذا أويت إلى فراشك فكل سكّرتين قال : ففعلت فبرئت وأخبرت به بعض المتطبّبين وكان أفره أهل بلادنا فقال : من أين عرف أبو عبدالله عليه السلام هذا ، هذا من مخزون علمنا ، أما إنّه صاحب كتب ينبغي أن يكون أصابه في بعض كتبه** (٢).

*** الشرح :**

(فكل سكرتين) قيل: دوحب: نبات والفاره الحاذق من فره ككرم إذا حذق .

*** الأصل:**

٣٨٦ ـ عنه ، عن أحمد بن محمّد ، عن جعفر بن يحيى الخزاعيّ ، عن الحسين بن الحسن ، عن عاصم بن يونس ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **قال لرجل : بأيّ شيء تعاجلون محمومكم إذا حمّ ؟ قال : أصلحك الله بهذه الأدوية المرّة بسفايج والغافث وما أشبه ، فقال : سبحان الله ، الّذي يقدر أن يبرىء بالمرّ يقدر أن يبرىء بالحلو ، ثمّ قال : إذا حمَّ أحدكم فليأخذ إناء نظيفاً فيجعل فيه سكّرة ونصفاً ، ثمّ يقرأ عليه ما حضر من القرآن ثمّ يضعها تحت النجوم ويجعل عليها حديدة فإذا كان في الغداة صبَّ عليها الماء ومرسه بيده ثمَّ شربه فإذا كانت اللّيلة الثانية زاده سكّرة اُخرى فصارت سكّرتين ونصفا فإذا كانت اللّيلة الثالثة زاده سكّرة اُخرى فصارت ثلاث سكّرات ونصفاً** (٣).

*** الشرح :**

(بسفايج والعاقث) قيل في منهاج الأدوية البسفايج: عود لونه يميل إلى السواد القليل مع الحمرة القليلة وله طعم كطعم القرنفل ولما يكسر فلون وسطه أخضر كالفستق وبالفارسية «پسته»

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٠.

(٢) الكافي: ٨ / ٢٢١.

(٣) الكافي: ٨ / ٢٢١.

ولذا يسمى بسافيج الفستقي حار مسهل للسوداء والغافث نبت يشبّه ورقه بورق حبة الخضراء يعني شاهد انج له قبوضه ومرارة كمرارة الصبر لونه يميل بالسواد يجاء به من نواحي الروم ومن جبال الفارس أيضاً حار يابس وقيل معتدل لطيف (فتجعل فيه سكرة ونصفاً) ظاهره عدم اعتبار السحق مع احتمال اعتباره، والمرس: الدلك مرَّ سته أمرسه من باب نصر دلكته فأذبته، والمريس: التمر الممروس وفي كنز اللغة «مرس بدست ماليدن ودر آب جنبانيدن چسزى را بچنگال» والظاهر أن الضمير في قوله « وزاده سكرة أخرى » في الموضعين راجع إلى الإناء وأنه يفعل بها مثل ما فعل بما مرَّ

*** الأصل:**

٣٨٧ ـ أحمد بن محمّد الكوفي ، عن عليّ بن الحسن بن عليّ ، عن عبدالرَّحمن بن أبي نجران ، عن هارون ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **قال لي : كتموا بسم الله الرَّحمن الرَّحيم فنعم ـ والله ـ الأسماء كتموها ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل إلى منزله واجتمعت عليه قريش يجهر ببسم الله الرَّحمن الرَّحيم ويرفع بها صوته فتولّي قريش فراراً فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً﴾** [(١)].

*** الشرح :**

(كتموا بسم الله الرحمن الرحيم) هو عند أهل البيت وأشياعهم جزء من القرآن وتكرارها في أوائل السور لا ينافيه كتكرار الآيتين في سورة الرحمن والمرسلات وكثير من العامة لم يجعلوه منه وقولهم مردود كما بيّن في موضعه.

قوله: (« والله » في قوله (فنعم والله الأسماء كتموها) معترض بين فعل المدح وفاعله للتأكيد وكان اجتماعهم عليه لقصد الأذى والإضرار به ونفورهم عند سماع التسمية لكرهة استماعها أو لكونها رجماً لهم كما أن الإستعارة رجم للشياطين وهي المراد بالقرآن في الآيـة المـذكورة فـيتم الإستشهاد بها على أنها قرآن .

*** الأصل:**

٣٨٨ ـ عنه ، عن عبدالرَّحمن بن أبي نجران ، عن أبي هارون المكفوف ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **كان أبو عبدالله عليه السلام إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله قال : بأبي واُمي وقومي وعشيرتي عجب للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها والله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه : « وكنتم على شفا حفرة من النار**

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢١.

فأنقذكم منها » فبرسول الله ﷺ أنقذوا [١].

*** الشرح :**

قوله: (بأبي وأمي وقومي وعشيرتي عجباً للعرب) الباء للتفدية أي نفديه بهؤلاء والغرض منها الإجلال والتعظيم و«عجب» في بعض النسخ بالنصب على حذف الناصب أي عجبت عجباً وفي بعضها بالرفع على الإبتداء، واللام بمعنى «من» أي: لي عجب من العرب .

*** الأصل:**

٣٨٩ ـ عنه ، عن إبراهيم بن أبي بكر بن أبي سماك ، عن داود بن فرقد ، عن عبدالأعلى مولى آل سام ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : **قلت له : «قل اللّهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتـنزع الملك ممّن تشاء » أليس قد آتى الله عزَّ وجلَّ بني اميّة الملك ؟ قال : ليس حيث تذهب إليه إنَّ الله عزَّ وجلَّ آتانا الملك وأخذته بنو أُميّة ، بمنزلة الرَّجل يكون له الثوب فيأخذه الآخر فليس هو الّذي أخذه** [٢].

*** الشرح :**

(أليس قد آتى الله بني أميّة الملك قال ليس حيث تذهب . انتهى) غرض السائل تقرير المنفي لزعمه أنه حق كما يرشد إليه قوله عليه السلام « ليس حيث تذهب إليه » فأجابه بتقرير النفي تنبيهاً له على أن المراد بالملك الخلافة الإلٰهية وبنزعها نقلها من الأول بقبضه إلى الآخر ، وعلى أنه حق لهم عليهم السلام آتاهم الله تعالى إياه وأخذته منهم بنو أمية غصباً وعدواناً وإقدارهم على أخذه لا يوجب الرضى به كما في إقدار العباد على المعاصي وفي بعض النسخ « التور » بدل الثوب وهو إناء بشرب فيه .

*** الأصل:**

٣٩٠ ـ محمّد بن أحمد بن الصّلت ، عن عبدالله بن الصّلت ، عن يونس ، عن المفضّل بن صالح، عن محمّد الحلبي أنّه سأل أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ : « **إعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها » قال : العدل بعد الجور** [٣].

*** الشرح :**

(قال: العدل بعد الجور) عند ظهور الصاحب عليه السلام وهو الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً والمقصود أنه الفرد الأكمل من أفراد الأحياء لا أنه منحصر فيه فلا ينافي ما ذهب إليه المفسرون .

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢١. (٢) الكافي: ٨ / ٢٢٢. (٣) الكافي: ٨ / ٢٢٢.

* **الأصل:**

٣٩١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن عليٍّ بن محمّد بن أشيم ، عن صفوان بن يحيى قال : **سألت أبالحسن الرِّضا عليه السلام عن ذي الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:** نزل به جبرائيل[1] من السماء وكانت حلقته فضة .

قوله: (سألت أبالحسن الرضا عليه السلام عن ذي الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: نزل به جبرئيل عليه السلام من السماء . انتهى) سمّي به لأنه كان فيه حفر صغار حسان وما ذكره أصحاب السير من أنه كان سيف منبه بن الحجاج أو عاص بن منبه أخذ يوم بدر اصطفاه رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أعطاه علياً عليه السلام ليس له أصل والحلقة بسكون اللام، وقد تفتح وتكسر معروفة والجمع حلق بـالتحريك وبكسر الحاء وفتح اللام وفي بعض النسخ حليته .

---

(١) قوله: ذي الفقار» ذو الفقار بفتح الفاء سيف العاص بن منبه قتل يوم بدر فصار إلى النبي صلى الله عليه وآله ثم صار إلى علي عليه السلام كذا في القاموس، واتفق على ذلك أصحاب السير والتواريخ. وأما هذا الخبر وأمثاله إن صح فيجب أن يحمل أن وصول السيف إلى علي عليه السلام بحكم الله وتقديره كما يقال فيمن وجد ما لا يحل له تملكه هذا رزق ساقه الله تعالى إليه وربما كان حمل عبارة الرواية على هذا المعنى تكلفاً والعهدة في التعبير على الراوي حيث نقل كلام الإمام على ما فهمه (ش).

حديث نوح عليه السلام يوم القيامة

*** الأصل:**

٣٩٢ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن القاسم بن محمد، عن جميل ابن صالح، عن يوسف بن أبي سعيد قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام ذات يوم فقال لي: إذا كان يوم القيامة وجمع الله تبارك وتعالى الخلائق كان نوح صلى الله عليه أوّل من يدعى به فيقال له: هل بلّغت ؟ فيقول: نعم فيقال له: من يشهد لك فيقول: محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله قال: فيخرج نوح عليه السلام فيتخطّى الناس حتى يجيىء إلى محمد صلى الله عليه وآله وهو على كثيب المسك ومعه علي عليه السلام وهو قول الله عزّ وجلّ: **﴿فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا﴾** فيقول نوح لمحمد صلى الله عليه وآله: يا محمد إنّ الله تبارك وتعالى سألني هل بلّغت فقلت: نعم فقال: من يشهد لك فقلت: محمد صلى الله عليه وآله: فيقول: يا جعفر يا حمزة إذهبا واشهدا له أنّه قد بلّغ. فقال أبو عبد الله عليه السلام: فجعفر وحمزة هما الشاهدان للأنبياء عليهم السلام بما بلّغوا، فقلت: جعلت فداك فعليّ عليه السلام أين هو ؟ فقال: هو أعظم منزلة من ذلك[1].

*** الشرح:**

(حديث نوح عليه السلام يوم القيامة) يطلب منه الشاهد على تبليغ الرسالة وكما يطلب منه يطلب من غيره أيضاً كما دل عليه آخر الحديث ولعل الغرض منه إسكات أممهم وإكمال الحجة عليهم وإظهار شرف نبينا صلى الله عليه وآله، والتخطي: المجاوزة، وفلان تخطى الناس ركبهم وجاوزهم والكثيب: التل، والزلفة والزلفى: القرب.

*** الأصل:**

٣٩٣ـ حدثني محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عمر بن عبد العزيز، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لحظاته بين أصحابه ينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسويّة[2].

*** الشرح:**

(كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لحظاته بين أصحابه) تقسيم اللحظات: أي النظرات بالعين من الآداب المرغوبة في المجالس لأنه يورث الأنس وجلب القلوب وعدم انكسارها وتحاسدها

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٢. (٢) الكافي: ٨ / ٢٢٣.

وتعاندها وفوائده كثيرة.

* **الأصل:**

٣٩٤ـ عنه، أحمد بن محمد، عن ابن فضّال، عن بعض أصحابنا قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ماكلّم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قطّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنا معاشر الأنبياء اُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم[1][2].

* **الشرح:**

(ماكلم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قط) أي بكنه ما بلغه عقله الشريف لأن عقولهم لا تبلغه كما لا تبلغ عقول الأطفال كنه ما بلغه عقول العلماء من الأسرار المعضلة والمسائل المشكلة فيكون التكلم به موجباً للحيرة والفتنة والضلالة وفيه تنبيه على كيفية التعليم ورعاية حال المخاطب في التفيهم والحكيم يعرف موارد الكلام فيأتي به على وفق المقام ويستثنى من العباد وصيه على بن أبي طالب عليه السلام.

* **الأصل:**

٣٩٥ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، وعدَّة من أصحابنا عن سهل بن زياد جميعاً، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطية قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني رجل من بجيلة وأنا أدين الله عزّ وجلّ بأنّكم مواليّ وقد يسألني بعض من لا يعرفني فيقول ممن الرجل ؟ فأقول له: أنا رجل من العرب ثم من بجيلة. فعليّ في هذا إثم حيث لم أقل: إني مولى لبني هاشم فقال: لا أليس قلبك

---

١ ـ «على قدر عقولهم» معاشر الأنبياء بعثوا على عامة البشر بخلاف الحكماء فإن مخاطبهم الخاصة من الناس وقد جربنا ذلك كثيراً فربما ينقل معنى واحد عن الأنبياء بعبارة وعن الحكماء بعبارة أخرى فيقبل الناس عبارة الأنبياء ولا يقبلوا عبارة الحكماء مع أن المعنى واحد وتراه العامة متناقضاً مثلاً روي عن بعض الحكماء ان الله تعالى عالم بالجزئيات بوجه كلي، وعن الأنبياء أنه تعالى سميع بصير لا بمعنى أن له تعالى عيناً وأذناً بل بمعنى أنه عالم بالمسموعات والمبصرات والمعنى واحد ولكن يشمئز العوام عن عبارة الحكماء ويرونها مخالفاً لما رووه عن الأنبياء، وكذلك روي عن الحكماء أن الواحد لا يصدر عنه إلّا واحد وأن الصادر الأول هو العقل الأول، وروي عن المعصومين أن أول ما خلقه الله تعالى هو العقل أي موجود عاقل عقله مقتضى ذاته لا يكتسب مما دونه، وعن الحكماء أن الموجودات صادرة عنه تعالى بواسطة العقل الأول وعن الأنبياء أن الملائكة مأمورون بأمور العالم وحوادثه فينكر العامة الأول ويؤمنون بالثاني، وروي عن الحكماء أن كل حادث مسبوق بمادة واستعداد وينكره الناس أشد انكار ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أن اختلاف الناس باختلاف مبادىء طينتهم وهذا عين ذاك ولا ينكره أحد إلى غير ذلك مما لا يحصى والسبب في ذلك ان الأنبياء كلموا الناس على قدر عقولهم فقبلوه والحكماء عبروا عن ذلك المعنى بعينه بأي عبارة اتفقت فقبله فهماؤهم وأنكره عوامهم. (ش) (٢) الكافي: ٨ / ٢٢٣.

وهواك منعقد على أنك من موالينا فقلت: بلى والله، فقال: ليس عليك في أن تقول: أنا من العرب، إنّما أنت من العرب في النسب والعطاء والعدد والحسب فأنت في الدِّين وما حوى الدين بما تدين الله عز وجل به من طاعتنا والأخذ به منّا من موالينا ومنّا وإلينا.[1]

* **الشرح :**

(إني رجل من بجيلة) وهي كسفينة: حي باليمن من معد والنسبة بجلى محركة (وأنا أدين الله عز وجل) أي اطيعه (بأنكم موإلي) المولى هنا الأمير والصاحب والسيد والمنعم والمعتق بالكسر لإنفاقهم علينا في الدنيا بالنعم الجسام واعتاقهم رقابنا من النار في دار المقام (فأقول له: أنا رجل من العرب ثم من بجيلة (فعلى في هذا القول) ثم حيث إني (لم أقل إني مولى لبنى هاشم) المولى هنا المحب والناصر والمعتق والمنعم بالفتح فيهما والمراد ببنى هاشم الأئمة عليهم السلام وكان وجه السؤال أن العرب وبجيلة كانوا مخالفين لأهل البيت عليهم السلام معاندين لهم فتوهم أن نسبته إليهم يوجب التحرب والإثم (فقال لا) أي لا اثم فيه إذا كان قلبك مقراً بالولاية مطمئناً بالإيمان وكان هذا القول لإظهار النسب كما أشار إليه بقوله (أليس هواك وقلبك منعقد على أنك من موالينا) لو كان منعقداً على أنك منصوباً كان المعنى واضحاً ولكنه مرفوع في النسخ التي رأيناها فلو جعل اسم ليس لزم خلوه من الخبر وتقديم الفاعل من حيث أنه فاعل، ويمكن أن يقال اسم ليس ضمير راجع إلى القول المذكور وهواك خبره وقلبك منعقد مبتدأ وخبر والواو للحال والمعنى أليس ذلك القول هواك ومحض إرادتك الإخبار بالنسب والحال أن قلبك منعقد على موالاتنا فقال السائل: بلى والله ذلك. (فقال عليه السلام: ليس عليك) أي بأس أو إثم (في أن تقول أنا من العرب) في النسب ثم أكد ذلك بقوله (إنما أنت من العرب في النسب والعطاء) وداخل فيهم لو وقع النظر لهم أو الوقف عليهم مثلاً (والعدد والحسب) إذا النسب وما عطف عليه لا ينقطع باختلاف المنسوب والمنسوب إليه في الدين (وأنت في الدين وما حوى الدين بما تدين الله عز وجل به من طاعتنا والأخذ به منا من موالينا ومنا وإلينا) أي من زمرتنا وملتنا أو من طينتنا وراجع إلينا في الدنيا والآخرة وأنت مبتدأ وفي الدين خبره والمراد به أصوله وبما حواه فروعه والباء في قوله بما للسببية وقوله «من موالينا» وما بعده أحوال عن فاعل العامل في الخبر أو إخبار آخر فليتأمل.

* **الأصل :**

٣٩٦ـ حدثنا ابن محبوب، عن أبي يحيى كوكب الدّم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ حواري

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٣.

عيسى عليه السلام كانوا شيعته وإنّ شيعتنا حواريّونا وما كان حواري عيسى بأطوع له من حوارينا لنا وإنما قال عيسى عليه السلام للحواريين: **﴿من أنصاري إلى الله قال الحواريّون نحن أنصار الله﴾**(١) فلا والله ما نصروه من اليهود ولا قاتلوهم دونه وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله عزّ ذكره رسوله صلى الله عليه وآله ينصرونا ويقاتلون دوننا ويحرقون ويعذّبون ويشردون في البلدان، جزاهم الله عنّا خيراً وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: **والله لو ضربت خيشوم محبينا بالسيف ما أبغضونا، ووالله لو أدنيت [أدليت ظ] إلى مبغضينا وحثوت لهم من المال ما أحبّونا**(٢).

*** الشرح :**

(إن حواري عيسى عليه السلام اه) حواري الرجل ناصره وخاصته ومن أخلص له محبته وصداقته، والتشريد والطرد والتفريق. والادناء التقريب، أدناه قرّبه والحشو الإعطاء حشوت له أعطيت.

(وكتب إلى ملك فارس كتاباً) فارس كصاحب الفرس أو بلادهم ينصرف ولا ينصرف للعجمة وقد نقل أنه صلى الله عليه وآله أرسل في السنة السادسة من الهجرة كتباً إلى السلاطين والحكام يدعوهم إلى دينه فأرسل إلى پرويز خسرو سلطان فارس بيد عبدالله بن حذافة السهمي فلما قرأ كتابه مزقه فدعى عليه النبي صلى الله عليه وآله أن يمزق الله ملكه فعجل قتله ومزق ملكه كل ممزق فأرسل كتاباً بيد دحية الكلبي إلى هرقل قيصر الروم وكتاباً بيد عمرو بن أمية الضمري إلى نجاشى ملك الحبشة وكتاباً بيد حاطب بن أبي بلتعة إلى حاكم إسكندرية وكتاباً بيد وهب الأسدي إلى الحارث الغساني والى الشام وكتاباًبيد سليط بن مرة العامري إلى هودة صاحب اليمامة وكتاباً بيد العلا الحضرمي إلى منذر بن ساوى ولم يؤمن من هولاء إلّا النجاشي ومنذر (وكان المسلمون يهوون) أي يحبون يقال: هويه كرضيه إذا أحبه (وكانو لنا حيثه أرجى منهم لملك فارس) أي كانوا لجانب ملك الروم أو ملكه أرجى للاسلام أو دخوله في تصرف أهله.

*** الأصل :**

٣٩٧ ـ ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن أبي عبيدة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجل **﴿الم * غلبت الرُّوم في أدنى الأرض﴾**(٣) قال: فقال: يا أبا عبيدة إن لهذا تأويلاً لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم من آل محمد صلوات الله عليهم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا هاجر إلى المدينة و[أ]ظهر الاسلام كتب إلى ملك الروم كتاباً وبعث به مع رسول يدعوه إلى الاسلام وكتب إلى ملك فارس كتاباً يدعوه إلى الاسلام وبعثه إليه مع رسوله فأمّا ملك الروم فعظّم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة آل عمران : ٥٢.
(٢) الكافي: ٨ / ٢٢٤.
(٣) سورة الروم : ٢.

وأكرم رسوله وأمّا ملك فارس فإنه استخف بكتاب رسول الله ﷺ ومزّقه واستخف برسوله وكان ملك فارس يومئذ يقاتل ملك الروم وكان المسلمون يهوون أن يغلب ملك الروم ملك فارس وكانوا لناحيته أرجى منهم لملك فارس فلما غلب ملك فارس ملك الروم كره ذلك المسلمون واغتمّوا به فأنزل الله عزّ وجلّ بذلك كتاباً قرآنا**﴿الم* غلبت الروم في أدنى الارض** (يعني غلبتها فارس في أدنى الارض وهي الشامات وما حولها) وهم (يعني وفارس) من بعد غلبهم (الروم) سيغلبون* (يعني يغلبهم المسلمون) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون* بنصر الله ينصر من يشاء» عزّ وجلّ فلما غزا المسلمون فارس وافتتحوها فرح المسلمون بنصر الله عزّ وجلّ قال: قلت: أليس الله عزّ وجلّ يقول:**﴿في بضع سنين﴾** وقد مضى للمؤمنين سنون كثيرة مع رسول الله ﷺ وفي إمارة أبي بكر وإنّما غلب المؤمنون فارس في إمارة عمر فقال: ألم أقل لكم إنّ لهذا تأويلاً وتفسيراً والقرآن ـيا أبا عبيدة ـ ناسخ ومنسوخ، أما تسمع لقول الله عزّ وجلّ:**﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾** يعني إليه المشيئة في القول أن يؤخر ما قدّم ويقدّم ما أخرّ في القول إلى يوم يحتم القضاء بنزول النصر فيه على المؤمنين فذلك قوله عزّ وجلّ**﴿ويومئذ يفرح المؤمنون* بنصر الله [ينصر من يشاء]﴾**[1] أي يوم يحتم القضاء بالنصر[2].

*** الشرح:**

﴿الم غلبت الروم﴾ جبل من ولد روم بن عيصو وهي الشامات وما حولها وهي أدنى الأرض من العرب (يعني وفارس من بعد غلبهم الروم سيغلبون) بناء هذا التأويل على أن غلبت بالضم وأن ضميرهم لفارس كما أشار إليه عليه السلام بقوله يعني وإن غلبهم مصدر مضاف إلى الفاعل وأن سيغلبون بالضم (يعني يغلبهم المسلمون في بضع سنين وذهب أكثر المفسرين إلى أن ملك فارس غلب ملك الروم ثم عكس الأمر فغلب ملك الروم ملك فارس يوم الحديبية والضمير عندهم للروم والإضافة إلى المفعول وسيغلبون بالفتح وذهب بعضهم إلى أن الروم غلبوا على ريف الشام ثم المسلمون غلبوهم في السنة التاسعة من نزولها وفتحوا بعض بلادهم وبناؤه على قراءة غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم والضمير بحاله والإضافة إلى الفاعل فكل وافقوه عليه السلام من وجه وخالفوه من وجه آخر ولما كان هذا التأويل ينافيه ظاهراً لفظ البضع.

(قال السائل: أليس الله عز وجل يقول في بضع سنين) سائلاً عن وجه صحته وذلك لأن البضع في العدد بالكسر وقد يفتح ما بين الثلاث إلى التسع وقال الأخفش: ما بين الواحد إلى العشرة وقال

---

(١) سورة الروم : ٤ . (٢) الكافي: ٨ / ٢٢٤.

الفراء: ما دون العشرة، وبالجملة نهايته العشرة أو ما دونها لغة وقد كان فتح المسلمين بعد نزولها أكثر منها فنبه عليه السلام على أن السؤال غير متوجه بعد قبوله أولاً أن لهذا تأويلاً لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم (فقال: ألم أقل لك أن لهذا تأويلاً وتفسيراً) والفرق بينهما ما ذكره بعض المحققين من أن التأويل صرف الكلام عن معناه الظاهر إلى الأخفى منه والتفسير كشف معناه وإظهاره وبيان المراد منه ثم أشار إلى التأويل وتوضيحه على وجه يندفع عنه السؤال بقوله (والقرآن يا أبا عبيدة ناسخ ومنسوخ أما تسمع لقول الله عز وجل لله الأمر) أي الحكم (من قبل ومن بعد) أي قبلاً وبعداً يعني أولاً وآخراً يعني إليه المشيئة في القول إن شاء أخره وإن شاء قدمه بلا مانع ولا دافع فقوله أن «يؤخر» بدل أو بيان للقول يعني إليه المشيئة في أن يؤخر ما قدم ويقدم ما أخر[1] إلى يوم تحتم القضاء بنزول النصر فيه على المؤمنين توضيحه أن وعد النصر في البضع منسوخ إلى الأزيد منه بدليل ما بعده ويمكن أيضاً أن يراد به أن حقيقة البضع وهي قطعة معينة من العدد نسخت وأزيلت بارادة المجاز منه وهو قطعة أريد منه وقعه القضاء والحتم فيها والقرينة عليه ما بعده وهذا بناء على ما ذهب إليه جميع المحققين من أن الكلام لا يصرف إلى الحقيقة ولا إلى المجاز ولا يستقر شيء منهما إلّا بعد تمامه والفراغ من متعلقاته فإن ذكرت قرينة المجاز حمل عليه وإلاّ فعلى الحقيقة هذا من باب الاحتمال والله سبحانه يعلم حقيقة كلامه وكلام وليه.

*** الأصل:**

٣٩٨ـ ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام إنّ العامة يزعمون أن بيعة أبي بكر حيث اجتمع الناس كانت رضىً لله جلّ ذكره وما كان الله ليفتن أمّة محمد صلى الله عليه وآله من بعده فقال أبو جعفر عليه السلام: أو ما يقرأون كتاب الله ؟ أوليس الله يقول:﴿**وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين**﴾ قال: فقلت له: إنّهم يفسّرون على وجه آخر، فقال: أوليس قد أخبر الله عزّ وجلّ عن الذين من قبلهم من الأُمم أنّهم قد اختلفوا من بعدما جاءتهم البيّنات حيث قال:﴿**وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيّدنه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من**

---

١ ـ «يقدم ما أخر» مخالف صريح للآية الكريمة ودلالة العقول قال تعالى﴿**وعد الله لا يخلف الله وعده**﴾ ولم يزل يحتج بهذه الآية على إعجاز القرآن بأخبار الغيب وليس النسخ إلّا في الأحكام فلو جاز تقديم ما أخر وتأخير ما قدم فقد كذب القرآن وأخلف الله وعده ولم يكن هذا اخباراً بالغيب وطال لسان الملاحدة على المسلمين ولكن المعتمدين على هذه الأخبار التاركين لنص القرآن من أكثر الناس حيث قال بعد ذكر الروم﴿**وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾. (ش)

بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكنّ الله يفعل ما يريد﴾ وفي هذا ما يستدل به على أنَّ أصحاب محمد ﷺ قد اختلفوا من بعده فمنهم من آمن ومنهم من كفر(١).

*** الشرح :**

قوله: (ان العامة يزعمون أن بيعة أبي بكر حيث اجتمع الناس كانت رضىً لله عز وجل وما كان الله ليفتن امة محمد ﷺ بعده) أي ما كان يوقعهم في الفتنة والضلالة يعني يحفظهم منها وهذا الزعم منهم مكابرة ومعاندة كيف لا وقد ورد أن إمامهم عمر بن الخطاب قال «أن بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها» قال صاحب النهاية: أراد بالفلتة الفجأة ومثل هذه البيعة جدير بأن يكون هيجة للشر والفتنة فعصم الله من ذلك ووقى، والفلتة: كل شيء فعل من غير روية وإنما بودر بها خوف انتشار الأمر وقيل: أراد بالفلتة: الخلسة أي إن الامامة يوم السقيفة مالت إلى توليها الأنفس ولذلك كثر فيها التشاجر فما قلّدها أبو بكر إلّا انتزاعاً من الأيدي واختلاساً وقيل: الفلتة آخر ليلة من الأشهر الحرم فيختلفون فيها أمن الحل هي أم من الحرم فيسارع الموتور إلى درك الثأر فيكثر الفساد وتسفك الدماء فشبّه أيام النبي ﷺ بالأشهر الحرم ويوم موته بالفتنة من وقوع الشر من ارتداد العرب وتخلّف الأنصار عن الطاعة ومنع الزكاة والجري على عادة العرب في أن لا يسود القبيلة إلّا رجل منها انتهى.

وروى مسلم في صحيحه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فقال أحصوا لى كم يلفظ الإسلام قال: فقلنا: يا رسول الله أتخاف علينا وما نحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة قال: إنكم لا تدرون لعلكم أن تنقلوا: قال فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلّي إلّا سراً» انتهى قال أبو عبد الله شارح هذا الصحيح: أحصوا: أي عدّوا والإسلام منصوب على إسقاط الجار أي بالإسلام وكم استفهامية أي كم شخصاً وقال القرطبي: شارحه هذا لم يقع في زمنه ﷺ ويحتمل أن يكون ذلك في فتنة عثمان، وقال المازري: شارحه ولعله من بعض الفتن الواقعة بعد موته فكان أحدهم يخفي نفسه ويصلي سراً مخافة الظهور والمشاركة في الحرب، وروى مسلم في صحيحه أيضاً عن ابن عمر عن النبي ﷺ **«أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»** قال القرطبي في شرحه المقصود الأخبار بأن الإسلام نشأ في آحاد وقلة وسيلحقه النقص حتى يصير في آحاد وقلة انتهى، وروى فيه أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ترد علي أُمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٥.

الرجل إبل الرجل عن إبله قالوا: يا رسول الله تعرفنا قال: نعم لكم سيماء ليست لأحد من الأُمم غيركم تردون عليّ غراء محجلين من آثار الوضوء ولتصدن عني طائفة منكم فلا تصلّون فأقول: يا رب هولاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول فهل تدري ما أحدثوا بعدك» وروي عنه أيضاً عن رسول الله ﷺ في حديث طويل أنه قال في آخره: «ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدّلوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً» قال بعض فضلائهم: هم المرتدون بعد وفاته ﷺ وقال بعض آخر منهم وفي الحديث من أعلام نبوته المتعلقة بالأخبار عن المغيبات أربعة: صفة أمته في الآخرة، وتبديلهم بعده، والثالث: مالهم في الآخرة وتقرير الحكم فيهم، والرابع: أن له حوضاً في الآخرة وقال أبو عبد الله شارحه بعد نقل هذا القول روي عن مالك أنه ندم عن رواية هذا الحديث فقال: ليتنى لم أروه وإنما قال ذلك لما فيه من تبديل أصحابه عليه السلام انتهى.

وفيه أيضاً عن أبى حازم عن سهل يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً وليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم»

وروي هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري وهو يزيد في آخره «فأقول: إنهم منى فيقال: إنك لا تدري ما فعلوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» وفيه أيضاً بطرق متعددة عن أبي سعيد الخدري وعن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن أسماء بنت أبي بكر أنهم قالوا «قال رسول الله ﷺ إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ أناس دوني فأقول: يا رب مني ومن أُمّتي فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم» وفيه أيضاً مثله عن عائشة وفيه أيضاً عن أم سلمة أنها قالت: «قال رسول الله ﷺ: إنى لكم فرط على الحوض فإياي ليأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال فأقول فيم هذا ؟ فيقال: أنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً» وفيه أيضاً عن عقبة بن عامر «أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: إنى فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإنى قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض أو مفاتيح الأرض وإنـى والله مـا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوافيها» وفيه أيضاً بطريق آخر عن عقبة بن عامر قريب منه مع زيادة في آخره «ولكنى أخشى عليكم الدنيا فتتنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم» قال عقبة: فكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر. وفيه أيضاً عن عبد الله أنه قال رسول الله: «أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم

فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[١] وفيه أيضاً في باب الآخرة والقيامة عنه ﷺ «ألا وإنه سيجاء من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا فأقول كما قال العبد الصالح: **﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء قدير ـ الى قوله ـ فإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز. الحكيم﴾**[٢] «فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم».

(فقال أبو جعفر عليه السلام: أوما يقرأون كتاب الله) ليعلموا بطلان ما زعموه (أوليس الله يقول وما محمد إلّا رسول) لا يتجاوز عن الرسالة إلى التنزه من الموت أو القتل **﴿قد خلت من قبله الرسل﴾** بالموت أو القتل فبخلوا كما خلوا **﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾**[٣] أنكر ارتدادهم عن الدين بموته أو قتله، قال القاضي: قيل الفاء للسببية والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلّوه سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته خلوا الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاتهم **﴿ومن ينقلب على عقبيه﴾** بعد موته بالإرتداد فلن يضر الله شيئاً بل يضر نفسه **﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾** على نعمة الإسلام والثبات عليه وفيه وعد ووعيد (قال فقلت له إما

نهم يفسرون على وجه آخر) وهو أنه شرط أو نهى عن ارتدادهم وشيء منهما لايستلزم وقوعه والجواب أنه إنكار لارتدادهم وتوبيخ لهم وهو تابع لوقوعه على أن النهي عن الشيء يستلزم إمكان وقوعه في نفس الأمر وهم يزعمون أن وقوعه ممتنع بالغير لأنه تعالى حفظهم عنه ولم يتعرض له عليه السلام إما لظهوره أو لأن الخصم مباهت مكابر وأشار إلى الأوضح منه (فقال أوليس قد أخبر الله عز وجل عن الذين من قبلهم من الأمم) كاليهود والنصارى وأضرابهما أنهم (قد اختلفوا) في الدين (من بعد ما جائتهم البينات) الواضحات الفارقة بين الحق والباطل (حيث قال وآتينا عيسى ابن مريم البينات) الواضحة والمعجزات الظاهرة **﴿وأيدناه بروح القدس﴾** وهو جبرئيل عليه السلام أو ملك آخر كان معه يسدده ويحدثه (ولو شاء الله) هداية الناس جبراً ومنعهم من الضلالة قهراً (ما اقتتل الذين من بعدهم) من بعد الرسل أي ما اختلفوا **﴿من بعد ما جائتهم البينات﴾**[٤] لكونهم حينئذ مجبورين على قبول الدين والثبات عليه غير قادرين على الاختلاف فيه والارتداد عنه **﴿ولكن اختلفوا﴾** لعدم المشيئة الحتمية والإرادة والارتداد الجبرية **﴿فمنهم من آمن﴾** بالنبي وثبت على الإيمان **﴿ومنهم من كفر به﴾** وارتد عن الدين **﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾** قال المفسرون: هذا تأكيد

---

١ ـ صحيح مسلم: ج٧ ص٦٥ـ٦٧. (٢) سورة المائدة: ١١٧. (٣) سورة آل عمران: ١٤٤.
(٤) سورة البقرة: ١٤٣.

للسابق ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ أي لا يفعل ما ذكرمن الجبر على الإيمان والثبات عليه ولكن يفعل ما يريد من اقدارهم عليه وعلى ضده تحقيقاً لمعنى التكلف أو من إحسان من يشاء وتوفيقه فضلاً وخذلان من يشاء وتعذيبه عدلاً، وفي هذا ما يستدل به على أن أصحاب محمد ﷺ قد اختلفوا إلى آخر، ولعل موضع الاستدلال قوله ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ـ اه﴾ على أن يكون المراد بضمير الجمع هذه الأمة فإنه سبحانه لما بيّن وقوع الاختلاف في الأمم السابقة بعد نبيهم صرف الكلام عنهم إلى بيان وقوع الاختلاف في هذه الامة أيضاً، وهذا الكلام الشريف على هذا تأسيس وهو خير من التأكيد والله يعلم.

*** الأصل:**

٣٩٩ـ عنه، عن هشام بن سالم، عن عبد الحميد بن أبي العلاء، قال: دخلت المسجد الحرام، فرأيت مولى لأبي عبد الله عليه السلام فملت إليه لأسأله عن أبي عبد الله عليه السلام فإذا أنا بأبي عبد الله عليه السلام ساجداً فانتظرته طويلاً فطال سجوده علي، فقمت وصلّيت ركعات وانصرفت وهو بعد ساجداً فسألت مولاه متى سجد ؟ فقال: من قبل أن تأتينا فلمّا سمع كلامي رفع رأسه، ثمَّ قال: أبا محمد ادن مني فدنوت منه فسلّمت عليه فسمع صوتاً خلفه فقال: ما هذه الأصوات المرتفعة ؟ فقلت: هؤلاء قوم من المرجئة والقدرية والمعتزلة، فقال: إنّ القوم يريدوني فقم بنا فقمت معه فلمّا أن رأوه نهضوا نحوه فقال لهم: كفّوا أنفسكم عنّي ولا تؤذوني وتعرضوني للسّلطان فإنّي لست بمفت لكم ثم أخذ بيدي وتركهم ومضى فلمّا خرج من المسجد قال لي: يا أبا محمد والله لو أنّ إبليس سجد لله عز ذكره بعد المعصية والتكبّر عمر الدنيا ما نفعه ذلك و لا قبله الله عزّ ذكره مالم يسجد لآدم كما أمره الله عزّ وجلّ أن يسجد له، وكذلك هذه الأمة العاصية المفتونة بعد نبيها ﷺ وبعد تركهم الإمام الذي نصبه نبيّهم ﷺ لهم فلن يقبل الله تبارك وتعالى لهم عملاً ولن يرفع لهم حسنة حتى يأتوا الله عزّ وجلّ من حيث أمرهم ويتولّوا الإمام الذي أمروا بولايته ويدخلوا من الباب الذي فتحه الله عزّ وجلّ ورسوله لهم، يا أبا محمد إنَّ الله افترض على أمة محمد ﷺ خمس فرائض: الصلاة والزكاة والصيام والحج وولايتنا فرخّص لهم في أشياء من الفرائض الأربعة ولم يرخّص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا، لا والله ما فيها رخصة[1].

*** الشرح:**

(ولا تؤذوني وتعرّضوني للسلطان) عرّضته له من باب علم وضرب أظهرته له (فرخص لهم في

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٦.

أشياء من الفرائض الأربعة ولم يرخص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا لا والله ما فيها رخصة) الرخصة بضم وبضمتين: ترخيص الله تعالى العبد فيما يخففه عليه والتسهيل ورخص له في كذا ترخيصاً جوز له تركه تخفيفاً، ولعل المراد بالرخصة فيها تجويز تركها عند الاعذار كفوات الطهارة والنصاب والقدرة والاستطاعة وأمثال ذلك مما هو شرط لوجوبها بخلاف الولاية فإنه لايجوز تركها في حال من الأحوال ويمكن ان يكون كناية عن عدم العقوبة بتركها بالعفو والشفاعة ونحوهما بخلاف الولاية فإن تاركها معاقب أبداً، ويقرب منه قول من قال الرخصة عبارة عن عدم الحكم بكفر تاركها وعدمها عبارة عن الحكم بكفره.

*** الأصل:**

٤٠٠ ـ عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن أبي إسحاق الجرجاني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ جعل لمن جعل له سلطاناً أجلاً ومدّة من ليال وأيام وسنين وشهور فإن عدلوا في الناس أمر الله عز وجل صاحب الفلك أن يبطىء بادارته فطالت أيّامهم ولياليهم وسنيهم وشهورهم وإن جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله تبارك وتعالى صاحب الفلك فأسرع بإدارته فقصرت لياليهم وأيامهم وسنيهم وشهورهم، وقد وفى لهم عزّ وجلّ بعدد الليالي والشهور[1].

*** الشرح:**

(فإن عدلوا في الناس أمر الله عز وجل صاحب الفلك أن يبطىء بإدارته ـ اه)[2] إسراع الفلك وابطاؤه على القدر المعتاد أمر ممكن بالنسبة إلى القدرة القاهرة وقد مرَّ نظيره مع شرحه في حديث الناس يوم القيامة وقال بعض الأفاضل هذا: من قبيل الاستعارة م والكناية والمراد أن العادل ينتفع بإمامته وسلطنته ويصلح أمر دنياه وآخرته فيها، وأن الجائر لا ينتفع بإمامته لغفلته وسكره فكأنما قصرت ولم نحمله على الحقيقة لا لما ذكره الطبعيون من عدم اختلاف في دور الفلك بل

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٦.

٢ ـ قوله «صاحب الفلك» يعني به الملك الموكل بإدارة الفلك ويعبر عنه الفلاسفة بالنفس الفلكية أوالعقل المجرد الذي يتعلق الفلك ونفسه به إذ ثبت عندهم أن الحركات الدورية لاتكون طبيعية حتى يلزم أن يكون الطبع طالباً للوضع الذي إذا حصل عليه فرّ عنه وبين ذلك في ما سلف، وأما طول أيامهم إذا عدلوا وقصرها إذا ظلموا فلعلها أمر نفساني كقصر المدة للنائم إذا مضى عليه زمان كثير، واعلم أن أهل الحديث يأولون أمثال هذه الروايات على غير ظاهرها فهم معترفون بأن الحديث إذا كان ظاهره مخالفاً للواقع يجب تأويله وانما يقفون عن التأويل إذا لم يعلموا مخالفته، وعلى فرض العلم بالمخالفة لا يتأبون من التأويل فليس خلافهم مع غيرهم في أصل التأويل بل في مخالفة المضمون للواقع. (ش)

لأنا نعلم أنه قد يكون في قطر من الأرض ذو سلطان عادل وفي قطرٍ آخر ذو سلطان جائر انتهى، ولك أن تقول المراد بالسلطان العادل المعصوم إذ غيره لا يكون عادلا حقيقياً ويؤيده أن المطلق ينصرف إليه وما ذكره المحقق الطوسي من أن العدالة استقامة القوة العقلية والغضبية والشهوية وجميع القوى البدنية واستقرارها في الوسط وعدم إنحرافها إلى طرفي الإفراط والتفريط أصلاً والعدالة بهذا المعنى لا يتحقق إلّا في المعصوم وأما العدالة المشهورة بين الناس فهي أمر إضافي لا تخلو من الجور قطعاً فليتأمل.

*** الأصل :**

٤٠١ ـ أبو علي الأشعري، عن بعض أصحابه، عن محمد بن الفضيل، عن العرزميّ قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام جالساً في الحجر تحت الميزاب ورجل يخاصم رجلاً وأحدهما يقول لصاحبه: والله ما ندري من أين تهبُّ الرّيح، فلمّا أكثر عليه قال أبو عبد الله عليه السلام: فهل تدري أنت؟ قال: لا ولكني أسمع الناس يقولون، فقلت أنا لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك من أين تهبُّ الريح؟ فقال: إنّ الريح مسجونة تحت هذا الركن الشامي فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخرج منها شيئاً أخرجه إمّا جنوب فجنوب وإمّا شمال فشمال، وصبا فصبا، ودبور فدبور ثمَّ قال من آية ذلك أنّك لا تزال ترى هذا الركن متحرّكاً أبداً في الشتاء والصيف والليل والنهار(١).

*** الشرح :**

(من أين تهب الريح فقال: إن الريح مسجونة تحت هذا الركن الشامي ـ اه)(٢) مرَّ نظيره مع

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٧.

٢ ـ قوله «هذا الركن الشامي» قال صاحب الوافي (الصفحة ١٢٧ من المجلد ١٣) في شرح قول أبي جعفر عليه السلام: «فأما الرياح الأربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فإنما هي أسماء الملائكة الموكلين بها» قال: وإنما أضاف الرياح الأربع إلى الملائكة لأن لكل شيء في هذا العالم ملكوتاً في عالم أعلى منه به حياته وتسبيحه انتهى. وفي الحديث الذي رواه هناك عند ذكر الركن الشامي: «فإذا أحب الله أن يهب شمالا أمر الملك الذي اسمه الشمال فيهبط على البيت الحرام فقال على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرقت ريح الشمال حيث يريد الله من البر والبحر وإذا أراد أن يبعث جنوباً أمر الملك الذي اسمه الجنوب فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي» وهكذا ذكر في الصبا والدبور فتبين من ذلك أنه ليس المراد من سجن الرياح تحت الركن الشامي أن مهب الرياح من هناك لأنهم عليهم السلام وأصحابهم وجدوا بالحس أن الرياح الأربع تدخل مكة من الجوانب وليس تخرج منها إلى الجوانب بل المراد بالسجن كما في هذا الحديث ان الرياح موقوفة على أمر الله تعالى والملك الموكل بخزائن الرياح وهذا الملك مستول على ركن من أركان بيت الله تعالى، وفي كتاب الفقيه الركن اليماني بدل الشامي فالأمر مردد بين كون سلطان الملك على الشمال أو الجنوب دون المشرق والمغرب أعني الركن العراقي والمغربي لأن الريح لاختلاف الهواء حرارة وبرودة والاختلاف انما هو بين

شرحه في حديث الرياح.

* **الأصل:**

٤٠٢ ـ عدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعلي بن إبراهيم [عن أبيه] جميعاً، عن ابن محبوب، عن داود الرّقي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس خلق أكثر من الملائكة إنّه لينزل كلّ ليلة من السماء سبعون ألف ملك فيطّوّفون بالبيت الحرام ليلتهم وكذلك في كلّ يوم[1].

* **الشرح:**

(أنه لينزل كل ليلة سبعون ألف ملك فيطوفون البيت الحرام ليلتهم وكذلك في كل يوم) الظاهر أن نزولهم كذلك منذ خلقت الكعبة إلى آخر الدهر وأن الطائفين متغايرون فهم في الكثرة مالا يعلم عددهم إلّا الله سبحانه.

* **الأصل:**

٤٠٣ ـ حدّثنا ابن محبوب، عن عبد الله بن طلحة رفعه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله الملائكة على ثلاثة أجزاء: جزء له جناحان وجزء له ثلاثة أجنحة وجزء له أربعة أجنحة[2][3].

* **الشرح:**

(الملائكة على ثلاثة أجزاء ـ اه) أي على ثلاثة أصناف كما قال تعالى ﴿**جاعل الملائكة رُسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع**﴾ والظاهر حمله على الظاهر، قال القاضي، هم وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالته بالوحي والإلهام والرؤياالصادقة أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه وذو أجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت مالهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها نحو ما وكّلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما أمرهم به، ولعله لم يرد خصوصية الإعداد ونفى ما زاد عليها لما روي أنه صلى الله عليه وآله أتاه جبرئيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح انتهى. ويمكن أن يكون كناية عن القوة على الأمر والاجتهاد فيه وتفاوت مراتبهم فيها وأن يراد بالفرقة الأولى: المتصرفون في العالم الجسماني، وبالثانية: المتصرفون في النفوس المجردة بعد مفارقتها الأبدان وبالثالثة: الوالهون في عظمة الله تعالى، ولبعض الأفاضل تأويل آخر مذكور في

الشمال والجنوب وأما المغرب والمشرق فكلاهما سيان في نسبة الحرارة والبرودة إليهما غالباً وليس الصبا والدبور من محض المغرب والمشرق بل الصبا من الشمال الشرقي لانها تهب من نجد إلى الحجاز والدبور من الجنوب الغربي أي من جانب مراكز أفريقية والله العالم. (ش) (١) الكافي: ٨ / ٢٢٧.

٢ ـ كما في القرآن الكريم «اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء» فورد في بعضهم ستمائة ألف جناح. (ش). (٣) الكافي: ٨ / ٢٢٧.

شرح نهج البلاغة.

*** الأصل:**

٤٠٤ ـ عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن معاوية بن ميسرة، عن الحكم بن عتيبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ في الجنّة نهراً يغتمس فيه جبرئيل عليه السلام كلَّ غداة، ثم يخرج منه فينتفض فيخلق الله عزَّ وجلَّ من كلّ قطرة تقطر منه ملكاً[١].

*** الشرح:**

(فينتفض) أي: يتحرك ليزيل ما عليه من الماء يقال نفض الثوب إذا حركه لينتفض (يخلق الله من كل قطرة يقطر منه ملكاً) الظاهر أن هذا من خواص جبرئيل عليه السلام وأنه تعالى يخلق بعض الملائكة من شيء وبعضها لامن شيء يخلق الله ما يشاء كيف يشاء ويفعل ما يريد.

*** الأصل:**

٤٠٥ ـ عنه، عن بعض أصحابه، عن زياد القنديّ، عن درست بن أبي منصور عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن لله عزَّ وجلَّ ملكاً ما بين شحمة إذنه إلى عاتقه[٢] مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير[٣].

*** الشرح:**

(إن لله عز وجل ملكاً ما بين شحمة إذنه إلى عاتقه مسير خمسمائة عام خفقان الطير) الخفقان محركة: الإضطراب والتحرك وخفق الطائر والتفكير في آثار القدرة القاهرة يدفع التعجب والاستعباد منه وفيه دلالة على أن للملك جسم لطيف كما ذهب إليه جماعة من المحققين.

*** الأصل:**

٤٠٦ ـ الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشّاء، عن محمد بن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن لله عزّ وجلّ ديكاً رجلاه في الأرض السابعة[٤] وعنقه مثبتة تحت العرش

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٨.

٢ ـ قوله «إلى عاتقه» لا يخفى أن العالم الجسماني لا يسع وجود هذا الملك ولو كان هو جسماً شاغلاً للفضاء زاحم السموات والأرضين وسائر الأشياء وتداخل معهم والضرورة قضت ببطلان الطفرة والتداخل والمستفاد من جميع ما ورد في الملائكة عليهم السلام أنهم لا يزاحمون غيرهم في المكان فهم مجردون ذاتاً من سنخ عالم الأرواح ولا ينافي ذلك تمثلهم للأنبياء والأولياء في صورة الإنسان بأعضائه (ش).

(٣) الكافي: ٨ / ٢٢٨.

٤ ـ «رجلاه في الأرض السابعة» هذا الديك بهذه العظمة أيضاً شاغل لجميع الأمكنة لا يترك مكاناً لسائر الملائكة فضلاً عن السموات ولو كانوا عليهم السلام أجساماً لزم التزاحم والتداخل وهما محالان فالديك والملائكة

وجناحاه في الهواء إذا كان في نصف الليل أو الثلث الثاني من آخر الليل ضرب بجناحيه وصاح: «سبوح قدوس ربّنا الله الملك الحق المبين فلا إله غيره ربُّ الملائكة والروح» فتضرب الديكة بأجنحتها وتصيح»[١].

*** الشرح:**

قوله: (إذا كان في نصف الليل أو الثلث الباقي من آخر الليل) الترديد من باب منع الخلو وكونه من الراوي بعيد (ضرب بجناحيه) أي حركهما (وقال: سبوح قدوس) قيل: في السين والقاف الضم والفتح نقل المازري عن ثعلب أن كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول إلّا سبوحاً وقدوساً فالضم فيهما أكثر، وقيل: قد يرويان بضم الحاء والسين وفتحهما بإضمار فعل أي أُسبح سبوحاً وأقدس قدوساً، والضم هو أكثر استعمالها على الخبر أي هو سبوح وقدوس وبناؤهما للمبالغة من التسبيح والتقديس والمعنى أنه تبارك وتعالى مطهر منزه عن صفات المخلوقين (ربنا الله الملك الحق المبين) قدّم الخبر للحصر ووصف الجلالة بالأوصاف المذكورة للدلالة على أنه مالك الدنيا والآخرة وما فيهما وأنه الحق الثابت الذي لا يتغير بوجه وأنه موجود ظاهراً ومظهر الأشياء بحقائقها ولوازمها وسائر ما يتعلق بها (فلا إله غيره) متفرع على الحصر المذكور أو على سبوح وقدوس لأن تنزهه عن جميع المعائب والنقائص يقتضي تفرده بالإلهية وتنزهه عن نقص الشركة (رب الملائكة والروح) قيل الروح جبرئيل عليه السلام وقيل: ملك عظيم غيره وقيل خلق لا تراهم الملائكة وقيل هو الروح الذي به الحياة (فتضرب الديكة بأجنحتها وتصيح) دل على جواز الاعتماد بهذه الصيحة في معرفة انتصاف الليل وقد روي مثل ذلك في معرفة الزوال والحق جوازه عند عدم إمكان المعرفة بأدلة أقوى منها خصوصاً مع تجربة صدقها.

*** الأصل:**

٤٠٧ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحجّال، عن ثعلبة بن ميمون، عن

بجملتهم من سنخ الأرواح المجردة، فإن قيل: إن الديوك تصيح وقت الصبح في جميع الأرض وما من لحظة إلّا وهي مصادفة للصبح في صقع من الاصقاع فما من وقت إلّا والديكة تصيح فيلزم من ذلك إما أن يصيح الديك العرشي دائماً فتصيح جميع ديوك جميع الأصقاع دائماً وإما أن يصيح العرشي وقتاً ما فتصيح جميع ديوك الأرض في وقت واحد بعينه وليس كذلك؟ قلنا: بل يصيح الديك العرشي في وقت معين وهو الفجر مثلاً لكن تعينه تعين عقلي وانطباق الأوقات المختلفة في الأصقاع المختلفة أي الفجر في كل صقع على وقت صياح الديك العرشي نظير انطباق أفراد الإنسان من أول الدهر إلى آخره على مفهوم الإنسان العقلي كان الديك العرشي وهو المثال العالي لهذا النوع يأمر الديوك بأن يصيحوا كل ديك وقت فجر بلده فتصيح وهذا الديك عند الإشراقيين فرد من أفراد العقول العرضية. (ش)

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٨.

عمّار السّاباطيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما يقول من قبلكم في الحجامة ؟ قلت: يزعمون أنّها على الرِّيق أفضل منها على الطعام، قال: لا، هي على الطعام أدرُّ للعروق وأقوى للبدن[1].

*** الشرح :**

قوله: (لا هي على الطعام أدر للعروق وأقوى للبدن) أما أنها أقوى للبدن فظاهر لكونها مصوناً من الضعف وأما أنها أدر للعروق فلأن جاذبة كل عضو لجذبها الغذاء إليه يميل الدم إلى ظاهر البدن فإذا ضم إليه جذب الحجام يخرج الدم بسهوله ولعل حكم الفصد حكم الحجامة في ذلك.

*** الأصل :**

٤٠٨ ـ عنه، عن ابن محبوب، عن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إقرأ آية الكرسي واحتجم أيّ يوم شئت وتصدّق واخرج أي يوم شئت.

*** الشرح :**

(إقرأ آية الكرسي واحتجم أي يوم شئت وتصدّق واخرج أي يوم شئت) ثبت في عرف الشرع كراهة الاحتجام في بعض الأيام كيوم الثلاثاء وكراهة السفر في بعضها كالقمر في العقرب ويوم الاثنين، وفي عرف المنجمين في كثير منها وربما يختلج في بعض النفوس من ذلك شيء وتدفع كراهة ذلك بقراءة آية الكرسي والتصدّق وحكاية رجل مع شريكه المنجم في خروجهما لتقسيم المشترك وفوزه بأفضل السهمين عند القرعة لتصدّقه عند الخروج مع اختيار المنجم أشرف الساعات لنفسه وأخبثها له مشهورة، وفي بعض الروايات مذكورة.

*** الأصل :**

٤٠٩ ـ محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن: عن معاوية بن حكيم قال: سمعت عثمان الأحول يقول: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ليس من دواء إلاّ وهو يهيج داء وليس شيء في البدن أنفع من إمساك اليد إلاّ عمّا يحتاج إليه.

*** الشرح :**

قوله: (ليس من دواء إلّا وهو يهيج داء وليس شيء في البدن أنفع من امساك اليد إلّا عما يحتاج إليه) الدواء بالمد والتثليث كالحاكم الجائر يدفع جور الغير عن الرعية ويجور عليهم وإمساك اليد كناية عن قلة الأكل وفيها منافع جمة منها حفظ البدن عن الأمراض فإن جميعها من كثرة الأكل ومنها تصفية القلب عن الأمراض المتعلقة به بالرياضة الكاملة فإن النفس إذا شبعت صدرت منها

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٨.

أنواع القبائح، ومنها اتصال النفس بعالم المجردات للمناسبة في التجرد فإذا زال المانع وهو الشواغل مالت إليها بمقتضى الطبع وينعكس إليها الصور الإدراكية القدسية الخالصة عن شوائب الشكوك والأوهام التي تحصل من طرق الحواس.

*** الأصل:**

٤١٠ ـ عنه، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: الحمّى تخرج في ثلاث: في العرق والبطن والقيء[١].

*** الشرح:**

(الحمى تخرج في ثلاث: في العرق والبطن والقيء) العرق بالتحريك معروف ونفعه للمحموم مجرب وقراءته بالكسر وهو الأجوف الذي يكون فيه الدم بإرادة القصد بعيدة، والمراد بالبطن إخراج ما فيه من الأخلاط بشرب مسهل والحقنة ونحوهما، وأما البطن محركة: فهو داء في الجوف مهلك غالباً وليس بمراد ههنا، والقيء نافد لدفع الصفراء والسوداء والبلغم والزائد من الطعام وله مدخل عظيم في حفظ الصحة ودفع المرض فإن خرج بسهولة وإلاّ فليربط العين بعد وضع القطن ونحوه عليها

*** الأصل:**

٤١١ ـ عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن علي، عن حفص بن عاصم، عن سيف التمّار، عن أبي المرهف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (الغبرة على من أثارها) الغبرة محركة وبهاء الغبار كالغبرة والغبرة بالضم لونه وهذا مثل لمن تعرض أمراً يوجب ضرره وزجر للشيعة عن التعرض للمخالفين في دولتهم ثم رغب في المداناة والمماشاة معهم وترك العجلة والإنكار عليهم. الغبرة على من أثارها، هلك المحاضير، قلت جعلت فداك وما المحاضير؟ قال: المستعجلون أمّا إنهم لن يريدوا إلاّ من يعرض لهم، ثم قال: يا أبا المرهف أما إنّهم لن يروكم بمحجفه إلاّ عرض الله عزَّ وجل لهم بشاغل. ثمّ نكت أبو جعفر عليه السلام في الأرض ثم قال: يا أبا المرهف قلت: لبيّك قال: أترى قوماً جسوا أنفسهم على الله عزّ ذكره لايجعل الله لهم فرجاً؟ بلى والله ليجعلنَّ الله لهم فرجاً[٢].

*** الشرح:**

قوله: (هلك المحاضير قلت جعلت فداك ما المحاضير قال: المستعجلون) المحاضير بالصاد

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٨. (٢) الكافي: ٨ / ٢٢٩.

المهملة جمع محصور كالميامين والملاعين جمع ميمون وملعون، ومحصور: الضيق الصدر الذي لا يصبر على شيء، وفي بعض النسخ بالضاد المعجمة جمع محضار كمصابيح جمع مصباح وهو الفرس المسرع في العدو المرتفع فيه والمراد على التقديرين الإستعجال في الامر من غير تأنٍ فيه وصبر عليه. ثم أكد التحذير عن ذلك بقوله (أما أنهم لن يريدوا إلاّ من تعرّض لهم) بذمهم على الباطل أو بالطعن والسب لإمامهم أو بغير ذلك فعليكم تركه تحرزاً من ضررهم، ثم أشار إلى أنه لولا وقاية الله تعالى لا ينجو منهم أحد من هذه الفرقة الناجية قوله «أما أنهم لن يريدوكم بمحجفة إلّا عرض الله لهم بشاغل) يشتغلون به عنكم، والمجحفة بتقديم الجيم: الداهية والبلية، سميت بها لأنها تجتحف موردها أي تختطفه وتستلبه ثم حث على الصبر بذكر بعض لوازمه وهو أنه مفتاح للفرج فقال: (أترى قوماً حبسوا أنفسهم على الله عز وجل) أي على سبيله طلباً لجزيل أجره (لايجعل الله لهم فرجاً) عن الضيق وضرر الأعداء والاستفهام للإنكار أو التقدير كما أشار إليه بقوله (بلى والله ليجعلن الله لهم فرجاً) يرشدك إلى ذلك صبر النبي ﷺ وغيره من الأنبياء على تبليغ الدين وأذى المشركين حتى أتاهم النصر كما قال الله تعالى **﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾**.

* **الأصل:**

٤١٢ ـ محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن الفضل الكاتب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه كتاب أبي مسلم فقال: ليس لكتابك جواب أخرج عنّا، فجعلنا يسارّ بعضنا بعضاً، فقال: أيّ شيء تسارّون يا فضل إنّ الله عزّ ذكره لا يعجّل لعجلة العباد، ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله، ثم قال: إنّ فلان ابن فلان حتى بلغ السابع من ولد فلان، قلت: فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟ قال: لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفياني فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا ـ يقولها ثلاثاً ـ وهو من المحتوم[1].

* **الشرح:**

(فأتاه كتاب أبي مسلم فقال ليس لكتابك جواب أخرج عنا) الخطاب في الموضعين للرسول وهو يطلب منه عليه السلام الخروج لطلب الخلافة بعد استئصال بني أمية وإنما لم يقبله عليه السلام لعلمه بأن هذا الأمر لا يتمشى وأن خلافة بني العباس بعد بني أمية أمر مقدر حتماً وأن خروجه موجب لهلاكه وهلاك شيعته وقد نقل أنهم نصبوا السفاح قبل عود الرسول إليهم، واعلم أن أبا مسلم كان من أهل

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٩.

أصفهان ولما كان ابتداء خروجه على بني أمية من مرو نسب إليه وقيل له المروزي وكان معيناً لإبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في أمر الخلافة فلما قتل إبراهيم في الشام فر أخواه السفاح وأبو جعفر المنصور إلى الكوفة ووجّه أبو مسلم عساكره إليها كتب إلى أبي عبد الله عليه السلام واستدعاه للخلافة فلم يقبله عليه السلام. (فجعلنا يسار بعضنا بعضاً) المسارة والسرار «باكسى راز كفتن» يقال: سارّه في أذنه مسارة وسراراً وتسارّوا: إذا تناجوا وكان سبب المسارة حرصهم على ظهور دين الحق وإرادتهم تعجيله (فقال: أي شيء تسارون يا فضل ؟) الاستفهام للإنكار والتوبيخ دون الحقيقة (إن الله عز وجل لا يعجل لعجلة العباد) فلا يقدم ما أخره حتماً لإرادة العباد تقديمه (ولإزالة جبل عن موضعه) ونقله إلى موضع آخر (أيسر من زوال ملك) هو ملك بنى عباس (لم ينقض أجله) المقدر حتماً وفيه مبالغة عرفاً على عدم إمكان زواله لا إمكانه مع صعوبة والزوال هنا بمعنى الإزالة تقول أزلته وزولته وزلته بالكسر إذا أزلته فلا يرد أن الصحيح هو الإزالة خصوصاً مع رعاية التقابل (ثم قال) تأكيداً لما ذكر وتوضيحاً له (أن فلان ابن فلان) وفلان ابن فلان (حتى بلغ السابع من ولد فلان) يعني العباس والمقصود أنه عد الأول والثاني إلى السابع من خلفاء بني عباس بأسمائهم وأسماء آبائهم وإنما لم يذكر البواقي لأن المقصود بيان أن هذا الزمان ليس زمان ظهور الحق ورجوع الخلافة إلى أهلها وذكر هذا القدر كاف في بيانه ولو كان الإبتداء في العد من الآخر وهو المستعصم إلى الأول وهو السفاح لورد أن الأول ليس هو السابع من ولد العباس بل هو الرابع منهم كما مر.

واعلم أن خبر أن محذوف تقديره يصيرون أو يملكون الخلافة أو نحوهما هذا ويبعد أن يراد بقوله عليه السلام «إن فلان ابن فلان» الصاحب عليه السلام وبيان نسبه إلى نفسه المقدسة وأنه الذي يظهر دين الحق ويعود إليه الخلافة وإن كان هذا أنسب بقوله (فما العلامة فيما بيننا وبينك) يدل على خروج صاحب الأمر وتملكه للخلافة (قال: لا تبرح الارض يا فضل) أي لا تزول بقيام الساعة (حتى يخرج السفياني) روى الصدوق في كتاب كمال الدين بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن أمر السفياني من الأمر المحتوم وخروجه في رجب وفي حديث آخر «يخرج ابن آكلة الأكباد وهو رجل ضخم الهامة بوجهه أثر الجدري إذا رأيته حسبته أعور اسمه عثمان وأبوه عنبسة وهو من ولد أبي سفيان» و«في آخر أنك لو رأيت السفياني رأيت أخبث الناس أشقر أحمر أزرق، وفي آخر أنه يملك كور الشام الخمس دمشق وحمص وفلسطين والأردن وقنسرين فتوقّعوا عند ذلك الفرج».

*** الأصل :**

٤١٣ ـ أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبّار، عن علي بن حديد، عن جميل بن درّاج

قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن إبليس أكان من الملائكة أم كان يلي شيئاً من أمر السماء ؟ فقال، لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء ولا كرامة، فأتيت الطيار فأخبرته بما سمعت فأنكره وقال: وكيف لا يكون من الملائكة والله عزّ وجلّ يقول: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس» فدخل عليه الطيار فسأله وأنا عنده فقال له: جعلت فداك رأيت قوله عزّ وجلّ: «يا أيّها الذين آمنوا» في غير مكان من مخاطبة المؤمنين أيدخل في هذا المنافقون! قال: نعم يدخل في هذا المنافقون، والضلاّل، وكلُّ من أقرَّ بالدَّعوة الظاهرة[١].

*** الشرح :**

(سألت أبا عبد الله عليه السلام عن إبليس) هو إسم أعجمي أو من إبليس إذا يئس وتحير، والبلس محركة من الأخير عنده أو عنده إبلاس وشر (أكان من الملائكة أم كان يلي شيئا من أمر السماء) بأن يكون من المدبرات فيها كسائر الملائكة أو يكون ممن يلي أمر الملائكة كما قالت العامة أنه كان يلي أمرهم يعظهم؟ فأجاب عليه السلام بأنه لم يكن شيئاً منها (ولا كرامة): أي لا شرف ولا عزة ولا قدر ولا عظمة له عند الله تعالى (فأتيت الطيار فأخبرته بما سمعتة فأنكر) كأنه أنكر ثبوت الرواية لا قول المعصوم بعد ثبوته (وقال) على سبيل الإنكار أو الإستبعاد (كيف لا يكون من الملائكة والله عز وجل يقول:**﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس﴾**[٢] تمسك بتوجه اللوم إليه وبما هو الأصل في الاستثناء من الاتصال المقتضي لدخول المستثنى في المستثنىٰ منه لولا الإخراج ومن ثم قيل: الإستثناء من علامات العموم وقد عقل عن قوله تعالى**﴿وكان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾**[٣] فدخل عليه الطيار وسأله وأنا عنده، فقال له: جعلت فداك أرأيت، أي أخبرني عن (قوله عز وجل**﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** في غير مكان) أي في مواضع متعددة (فهي مخاطبة المؤمنين (أيدخل في هذا المنافقون) إنما سأله هكذا ولم يسأله عن مطلوبه صريحاً لأنه قصد بذلك حصول المطلوب مع زوال شبهته (قال: نعم يدخل في هذا المنافقون والضلال) بالضم وشد اللام: جمع ضال (وكل من أقر بالدعوة الظاهرة) وهذا الوصف شامل لأهل الإسلام كلهم لأن المقر بالدعوة إلى الولاية مثلا إن أقر بها ظاهراً لا باطناً فهو منافق وإن أقر بها باطناً أيضاً فإن بقي عليه بعد النبي صلى الله عليه وآله فهو مؤمن وإن لم يبق عليه فهو ضال لأنه خرج عن الطريق وضل عنه بعد الدخول فيه هذا وقع في البين فنرجع إلى ما نحن فيه ونقول: إذا جاز دخول المنافق والضال في خطاب المؤمنين إما باعتبار التغليب أو باعتبار الاختلاط وكونهما فيما بينهم أو باعتبار التجوز في الإيمان

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٩. (٢) سورة البقرة : ٣٤. (٣) سورة الكهف : ٥٠ .

جاز دخول إبليس في خطاب الملائكة بتلك الاعتبارات فحصل المطلوب وهو أن إبليس ليس من الملائكة حقيقة وبطل شبهة السائل وتمسّكه بالآية المذكورة.

*** الأصل :**

٤١٤ ـ عنه، عن علي بن حديد، عن مرازم، عن أبي عبد الله عليه السلام أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إني أُصلّي فأجعل بعض صلاتي لك، فقال: ذلك خير لك، فقال: يا رسول الله فأجعل نصف صلاتي لك، فقال: ذلك أفضل لك، فقال: يا رسول الله فاني أصلي فأجعل صلواتي لك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذاً يكفيك الله ما أهمّك من أمر دنياك وآخرتك. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ الله كلّف رسول الله صلى الله عليه وآله مالم يكلفه أحداً من خلقه: كلّفه أن يخرج على الناس كلّهم وحده بنفسه إن لم يجد فئة تقاتل معه ولم يكلف هذا أحداً من خلقه قبله ولا بعده ثمّ تلا هذه الاية **﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلّف إلاّ نفسك﴾** ثم قال: وجعل الله أن يأخذ له ما أخذ لنفسه فقال عز وجل: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾** وجعلت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله بعشر حسنات[1].

*** الشرح :**

(فقال: يا رسول الله اني أصلي وأجعل بعض صلواتي لك ـ اه) نظير ما رواه المصنف في باب الصلاة على محمد وأهل بيته من كتاب الدعاء عن أبي علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن أبي اسامة زيد الشحام عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام «أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله اجعل لك ثلث صلاتي لا بل أجعل لك نصف صلاتي لا بل أجعلها كلها لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذاً تكفى مؤونة الدنيا والآخرة» وتأويل هذا ما رواه المصنف أيضاً في الباب المذكور بإسناده عن أبي بصير قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام: ما معنى أجعل صلاتي كلها لك فقال، يقدمه بين يدي كل حاجة فلا يسأل الله عز وجل شيئاً حتى يبدأ بالنبي صلى الله عليه وآله فيصلي عليه ثم يسأل حوائجه» أقول ومنه يظهر تأويل البعض والثلث والنصف ولولا هذا التأويل لأمكن أن تراد بالصلاة المندوبة وببعضها بعض من واحدة أو من متعددة وكذا النصف والكل والله أعلم.

٤١٥ ـ عنه، عن علي بن حديد، عن منصور بن روح، عن فضيل الصائغ قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: أنتم والله نور في ظلمات الأرض، والله إنّ أهل السماء لينظرون إليكم في ظلمات الأرض كما تنظرون أنتم إلى الكوكب الدري في السماء وإنَّ بعضهم ليقول لبعض: يا فلان عجباً لفلان كيف أصاب هذا الأمر وهو قول أبي عليه السلام والله: ما أعجب ممّن هلك كيف هلك ؟ ولكن

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٣٠.

أعجب ممّن نجا كيف نجا.

٤١٦ ـ عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن أسباط، عن إبراهيم بن محمد بن حمران، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: من سافر أو تزوّج والقمر في العقرب لم ير الحسنى.

* **الأصل:**

٤١٧ ـ عنه، عن ابن فضّال، عن عبيس بن هشام،عن عبد الكريم بن عمرو، عن الحكم بن محمد بن القاسم أنه سمع عبدالله بن عطاء يقول: قال أبو جعفر عليه‌السلام: قم فاسرج دابتين: حماراً وبغلاً فأسرجت حماراً وبغلاً فقدمت إليه البغل ورأيت أنه أحبّهما إليه، فقال: من أمرك أن تقدّم إليّ هذا البغل ؟ قلت: اخترته لك، قال وأمرتك أن تختار لي ؟ ثم قال: إنّ أحب المطايا إليّ الحمر، قال: فقدمت إليه الحمار وأمسكت له بالركاب فركب فقال: الحمد لله الذي هدانا بالإسلام وعلّمنا القرآن ومنَّ علينا بمحمد صلى‌الله‌عليه‌وآله «الحمد لله الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون والحمد لله رب العالمين،» سار وسرت حتى إذا بلغنا موضعاً قلت له: الصلاة جعلت فداك، فقال: هذا وادي النمل لا يصلّى فيه، حتى إذا بلغنا موضعاً آخر، قلت له مثل ذلك، فقال: هذه الأرض مالحة لا يصلّى فيها: قال: حتى نزل هو من قبل نفسه فقال لي: صلّيت أو تصلّي سبحتك ؟ قلت: هذه صلاة تسميها أهل العراق الزوال، فقال: أمّا هؤلاء الذين يصلّون هم شيعة علي بن أبي طالب عليه‌السلام وهي صلاة الأوّابين فصلّى وصلّيت ثم أمسكت له بالركاب ثم قال؟ مثل ما قال في بدايته، ثم قال: اللهمّ العن المرجئة فإنهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة، فقلت له ما ذكّرك جعلت فداك المرجئة ؟ فقال: خطروا على بالي (١).

* **الشرح:**

(اللهم العن المرجئة) المرجئة بالهمز والمرجية بالياء مخففة: طائفة يقدمون القول ويؤخرون العمل ويقولون إن من لم يصل ولم يصم ولم يغتسل من جنابة وهدم الكعبة ونكح أمه وفعل غير ذلك من الكبائر فهو على إيمان جبرئيل وميكائيل كما مرَّ في كتاب الحجة ولا يبعد أن يراد هنا كل من أخر علياً عن مرتبته.

* **الأصل:**

٤١٨ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبن أبي عمير، وعلي بن إبراهيم،

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٣١.

عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن الحسين بن أبي حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا أرادت قريش قتل النبيّ صلى الله عليه وآله قالت: كيف لنا بأبي لهب؟ فقالت أمّ جميل: أنا أكفيكموه أنا أقول له: إنّي أُحبُّ أن تقعد اليوم في البيت نصطبح فلمّا أن كان من الغد وتهيأ المشركون للنبي صلى الله عليه وآله قعد أبو لهب وامرأته يشربان، فدعا أبو طالب علياً عليه السلام فقال له: يا بني إذهب إلى عمّك أبي لهب فاستفتح عليه فإن فتح لك فادخل وإن لم يفتح لك فتحامل على الباب واكسره وادخل عليه، فإذا دخلت عليه فقل له: يقول لك أبي: إنّ أمرءاً عمه عينه في القوم ليس بذليل. قال: فذهب أمير المؤمنين عليه السلام فوجد الباب مغلقاً فاستفتح فلم يفتح له فتحامل على الباب وكسره ودخل فلمّا رآه أبو لهب قال له: مالك يا ابن أخي فقال له: إنّ أبي يقول لك إنّ امرءاً عمه عينه في القوم ليس بذليل فقال له: صدق أبوك فما ذاك يا ابن أخي؟ فقال له: يقتل ابن أخيك وأنت تأكل وتشرب فوثب وأخذ سيفه فتعلّقت به أم جميل فرفع يده ولطم وجهها لطمة ففقأ عينها، فماتت وهي عوراء، وخرج أبو لهب ومعه السيف فلمّا رأته قريش عرفت الغضب في وجهه، فقالت، مالك يا أبا لهب، فقال: أبايعكم على ابن أخي، ثم تريدون قتله واللات والعزّى لقد هممت أن أسلم ثمّ تنظرون ما أصنع، فاعتذروا إليه ورجع[1].

* **الشرح:**

(فنصطبح) الاصطباح: أكل الصبوح وهو الغداء والاغتباق: أكل الغبوق وهو العشاء وأصلها في الشرب ثم استعملا في الأكل (إن أمرءاً عمه عينه في القوم ليس بذليل) ليس خبر «إن» والجملة قبله صفة لاسمها، والعين: الحافظ وفي بعض النسخ فليس بذليل والجملة فيه خبر.

* **الأصل:**

٤١٩ ـ عنه، عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان إبليس يوم بدر يقلّل المسلمين في أعين الكفار ويكثر الكفّار في أعين المسلمين فشدَّ عليه جبرئيل عليه السلام بالسيف فهرب منه وهو يقول: يا جبرئيل إني مؤجل، إنّي مؤجل، حتى وقع في البحر قال زرارة: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: لأي شيء كان يخاف وهو مؤجّل قال: يقطع بعض أطرافه[2].

* **الشرح:** (يقلل المسلمين في أعين الكفار ويكثر الكفار في أعين المسلمين فشد عليه جبرئيل عليه السلام بالسيف) الشد بالفتح: الحملة في الحرب وهذا العمل أعني التقليل والتكثير نوع من السحر أو الشعبذة وغرض الخبيث عنه تقوية قلوب الكفار وتحريكهم على القتال وإلقاء الروع في قلوب المؤمنين ولهما مدخل عظيم في الغلبة والمغلوبية وفي آخر الحديث دلالة واضحة على أن

(١) الكافي: ٨ / ٢٣١. (٢) الكافي: ٨ / ٢٣٢.

الشيطان الرجيم جسم إلّا أنه لطيف يتشكل بأشكال مختلفة كما ذهب إليه المتكلمون.

* **الأصل:**

٤٢٠ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن هشام بن سالم، عن أبان ابن عثمان، عمّن حدّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله على التلّ الذي عليه مسجد الفتح في غزوة الأحزاب في ليلة ظلماء قرّة فقال: من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنة! فلم يقم أحد ثمّ أعادها، فلم يقم أحدٌ ـ فقال أبو عبد الله عليه السلام بيده: وما أراد القوم؟ أرادوا أفضل من الجنة!؟ ـ ثم قال: من هذا؟ فقال: حذيفة، فقال: [أما]تسمع كلامي منذ الليلة ولا تكلّم أقترب؟ فقام حذيفة وهو يقول: القرّ والضرّ جعلني الله فداك منعني أن أجيبك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: انطلق حتى تسمع كلامهم وتأتيني بخبرهم، فلمّا ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهمّ احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى ترده، وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ياحذيفة لا تحدث شيئاً حتى تأتيني فأخذ سيفه وقوسه وحجفته قال حذيفة فخرجت وما بي من ضرّ ولا قرّ، فمررت على باب الخندق وقد اعتراه المؤمنون والكفّار، فلمّا توجه حذيفة قام رسول الله صلى الله عليه وآله ونادى: يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرين اكشف همي وغمّي وكربي فقدترى حالي وحال أصحابي، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله إن الله عزَّ ذكره قد سمع مقالتك ودعاءك وقد أجابك وكفاك هول عدوّك فجثا رسول الله صلى الله عليه وآله على ركبتيه وبسط يديه وأرسل عينيه ثم قال: شكراً شكراً كما رحمتني ورحمت أصحابي، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد بعث الله عزّ وجلّ عليهم ريحاً من السماء الدنيا فيها حصى وريحاً من السماء الرابعة فيها جندل. قال حذيفة: فخرجت فإذا أنا بنيران القوم وأقبل جند الله الأول ريح فيها حصى فما تركت لهم ناراً إلا أذرتها ولا خبأ إلّا طرحته ولا رمحاً إلّا ألقته حتى جعلوا يتترسون من الحصى فجعلنا نسمع وقع الحصى في الأترسة، فجلس حذيفة بين رجلين من المشركين فقام إبليس في صورة رجل مطاع في المشركين، فقال: أيها الناس إنّكم قد نزلتم بساحة هذا الساحر الكذّاب، ألا وإنّه لن يفوتكم من أمره شيء فإنّه ليس سنة مقام قد هلك الخفّ والحافر، فارجعوا ولينظر كلّ رجل منكم من جليسه؟ قال حذيفة: فنظرت عن يميني فضرب بيدي، فقلت: من أنت فقال: معاوية فقلت للذي عن يساري: من أنت؟ فقال: سهيل بن عمرو، قال حذيفة وأقبل جند الله الأعظم فقال: فقام أبو سفيان إلى راحلته ثمَّ صاح في قريش، النجاء النجاء وقال طلحة الأزدي: لقد زادكم محمد بشر، ثم قام إلى راحلته وصاح في بني أشجع: النجاء النجاء وفعل عيينة ابن حصن مثلها، ثم فعل الحارث بن عوف المزنيّ مثلها، ثم فعل الأقرع بن حابس مثلها، وذهب الأحزاب ورجع حذيفة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر. وقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّه كان ليشبه يوم

القيامة(١).

*** الشرح:**

(في غزوة الأحزاب في ليلة ظلماء قرة) القر بالضم: البرد، وبالفتح: البارد، في النهاية يوم قر بالفتح أي بارد وليلة قرة وإنما سميت هذه الغزوة بغزوة الاحزاب لأن الكفار كانوا طوائف متعددة وأحزاب متفرقة بيان ذلك أن رسول ﷺ أجلى بنى النضير من حوالي المدينة لنقض عهدهم وقصدهم قتله ﷺ حين طلب منهم الجزية فخرجوا إلى خيبر ثم اجتمعت منهم ومن غيرهم من اليهود فخرج بعضهم إلى مكة لاستنفار القريش ومن يحذو حذوهم ودان بمقالتهم إلى حرب الرسول ﷺ وبعضهم إلى غطفان وبعضهم إلى سليم وبعضهم إلى بني أسد وبعضهم إلى غير هؤلاء من قبائل العرب وحرضوهم على المحاربة واستنفروهم فأجمعت قريش السير إلى المدينة مع أربعة آلاف وأميرهم أبو سفيان بن حرب بن أمية ولحق بهم غطفان وأميرهم عيينة بن حصن الفزاري ومنهم بنو أشجع قبيلة بني غطفان وأميرهم طلحة الأزدي وبنو فزارة وبنو أسد وبنو سليم وبنو عمرو وغيرهم وأميرهم عامر بن الطفيل إلى غير هؤلاء حتى بلغوا عشرة آلاف واتصل خبرهم برسول الله ﷺ فأمر بحفر الخندق حول المدينة وكان أمراً لم تعهده العرب وإنما كان من عمل فارس والروم، وأشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه فورد الأحزاب جميعاً وحصروا المدينة في شوال سنة خمس وقيل سنة أربع، وبنو قريظة عاهدوا رسول الله ﷺ على أن لا يلحقه منهم ضرر فلما حاصروا دخلهم بنو النضير وحملوهم على نقض العهد فساءت الظنون ورسول الله ﷺ يبشر ويعدهم بالنصر من عند الله تعالى والأحزاب يطلبون من الخندق مضيقاً للمرور ولم يجدوه مع أن سلمة بن أسلم مع مائتي نفر وزيد بن حارثة مع ثلاثمائة نفر كانو يحرسون الخندق وعند ذلك برز عمرو بن عبدود وكان شجاعاً معروفاً في العرب ومعه عكرمة بن أبي جهل وطايفة أخرى فطلب عمرو مبارزاً فخرج أمير المؤمنين ﷺ فقتله وانهزم عكرمة وأصحابه وألقى الله الرعب في قلوب المشركين ويئسوا من الظفر، ثم إنّ الله سبحانه أرسل ريح الصبا فهدمت خيامهم وقطعت حبالهم وأكفأت قدورهم ولم يمكنهم معها قرار. وقد قيل إن الله تعالى بعث مع الرياح ملائكة تشددوها فخافوا حتى أزمعوا الرحلة بعد بضع وعشرين ليلة فانصرفوا خائبين وفي بعض السير أنهم قالوا: ما هذا الذي صنعوه ومن فعله والعرب لم يروا مثله يعني الخندق فقيل إنه من عمل رجل فارسي (فقال أبو عبدالله ﷺ بيده) أي أومأ بها والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٣٢.

غير الكلام فتقول: قال برجله: أي مشى وقال برأسه: أي أومأ، وقال بالماء على يده: أي قلب، وكل ذلك على المجاز والاتساع كما صرح به في النهاية فقال: (أما تسمع كلامي منذ الليلة ولا تكلم اقترب) أمره بالاقتراب والدنو بعد توبيخه من التجاهل عن سماع كلامه ولا تكلم بحذف إحدى التائين ومنذ مبني على الضم وما بعده مجرور ومعناه ابتدأ الزمان أو بمعنى في الظرفية (يا حذيفة لا تحدث شيئاً حتى تأتينى فأخذ سيفه وقوسه وحجفته) أمره بأن لا يذعرهم خوفاً عليه لأنه إذا ذعرهم تجسسوا عليه فيقع في الهلكة، والحجفة بتقديم الحاء المهملة: الترس (وقد اعتراه المؤمنون والكفار): أي تدانوا وتقاربوا وفي الكنز، اعترى: «نزديك آمدن» والضمير للباب (يا صريخ المكروبين) الصريخ: بمعنى الصارخ وهو المغيث والمستغيث ضد، والمراد هنا الأول (وأرسل عينيه) أي ألقاهما إلى الارض تخشعاً أو بكى وأرسل دموعها (فإنه ليس سنة مقام) إنما قال إبليس ذلك لعلمه بأن ذلك من عذاب الله تعالى على الأحزاب لو أقاموا فخاف أن يهلكوا جميعاً ويستولى النبي ﷺ على جميع البلاد بلا منازع ولا محارب فأمرهم بالارتحال طمعاً لحياتهم ووقوع الكرة والاجتماع مرة أخرى (فقام أبو سفيان) ابن حرب بن عبد شمس بن عبد مناف وهو أموي وكان من صناديد قريش في الجاهلية وعداوته للنبي ﷺ ومحاربته معه يوم أحد مشهورة أسلم ظاهراً يوم الفتح قال القرطبي: قال أبو عمر واختلف هل حسن إسلامه أم لا فطائفة على الأول وشهد حنيناً وطائفة على الثاني وقالوا: إنه كان كهفاً للمنافقين منذ أسلم وكان إسلامه يوم الفتح كرهاً (ثم صاح في قريش النجاء النجاء) قال أبو عبدالله شارح مسلم: النجاء بالمد والقصر وهو مصدر بمعنى انج وحكى عن عياض أنه إن أفرده المعروف فيه المد، وعن أبي زيد فيه القصر أيضاً فأما إذا كرروه وقالوا النجا النجا ففيه الوجهان وقال ابن الاثير في النهاية: معناه أنجوا بأنفسكم وهو مصدر منصوب بفعل مضمر أي أنجو النجاء. وتكراره للتأكيد والنجاء: السرعة، يقال: نجا ينجو نجاء إذا أسرع (ثم فعل الحارث بن عوف المزني مثلها) مرة أبو قبيلة من قريش وهو مرة بن كعب والنسبة إليها مري وفي بعض النسخ عوف بالفاء (فمن غيره عن خطته) الخطة بالكسر: المكان المعلم عليه المختط لبناء دار وغيرها من العمارات.

*** الأصل:**

٤٢١ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام الخراساني عن المفضّل بن عمر قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام بالكوفة أيّام قدم على أبي العباس فلمّا انتهينا إلى الكناسة قال: ههنا صلب عمّي زيد رحمه الله ثمّ مضى حتى انتهى إلى طاق الزيّاتين وهو آخر السرّاجين فنزل وقال: انزل فإنَّ هذا الموضع كان مسجد الكوفة الأوّل الذي خطه آدم عليه السلام وأنا أكره أن أدخله راكباً قال:

قلت: فمن غيّره عن خطّته ؟ قال: أمّا أوّل ذلك الطوفان في زمن نوح عليه السلام ثم غيّره أصحاب كسرى ونعمان ثم غيره بعد زياد بن أبي سفيان، فقلت: وكانت الكوفة ومسجدها في زمن نوح عليه السلام ؟ فقال لي: نعم يا مفضّل وكان منزل نوح وقومه في قرية على منزل من الفرات مما يلي غربيّ الكوفة قال: وكان نوح عليه السلام رجلاً نجاراً فجعله الله عز وجل نبياً وانتجبه ونوح عليه السلام أوّل من عمل سفينة تجري على ظهر الماء.

قال: ولبث نوح عليه السلام فيقومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ فيهزأون به ويسخرون منه، فلّما رأى ذلك منهم دعى عليهم فقال: «رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً* إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفاراً» فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نوح أن اصنع سفينة وأوسعها وعجّل عملها، فعمل نوح سفينة في مسجد الكوفة بيده، فأتى بالخشب من بعد حتى فرغ منها، قال المفضل: ثم انقطع حديث أبي عبد الله عليه السلام عند زوال الشمس، فقام أبو عبدالله عليه السلام فصلّى الظهر والعصر، ثم انصرف من المسجد فالتفت عن يساره وأشار بيده إلى موضع دار الداريّين وهو موضع دار ابن حكيم وذاك فرات اليوم:فقال لي: يا مفضّل [و] ههنا نصبت أصنام قوم نوح عليه السلام «يغوث ويعوق ونسراً» ثم مضى حتى ركب دابته. فقلت: جعلت فداك في كم عمل نوح سفينته حتى فرغ منها ؟ قال: في دورين، قلت: وكم الدورين، قال: ثمانين سنة.

قلت: وإنَّ العامة يقولون: عملها في خمسمائة عام، فقال: كلا كيف والله يقول: **﴿ووحينا﴾** قال: قلت: فأخبرني عن قول الله عزّ وجل: **﴿حتّى إذا جاء أمرنا وفار التنّور﴾** فأين كان موضعه ؟ وكيف كان ؟ فقال: كان التنّور في بيت عجوز مؤمنة فيدبر قبلة ميمنة المسجد فقلت له: فإنَّ ذلك موضع زاوية باب الفيل اليوم ثمَّ قلت له وكان بدء خروج الماء من ذلك التنّور فقال: نعم إن الله عزّ وجلّ أحبَّ أن يري قوم نوح آية، ثم إنّ الله تبارك وتعالى أرسل عليهم المطر يفيض فيضاً وفاض الفرات فيضاً، والعيون كلّهن فيضاً، فغرّقهم الله عزّ ذكره وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة، فقلت له: كم لبث نوح في السفينة حتى نضب الماء وخرجوا منها ؟ فقال: لبثوا فيها سبعة أيّام ولياليها وطافت بالبيت اُسبوعاً ثمَّ استوت على الجوديّ وهو فرات الكوفة فقلت له: إن مسجد الكوفة قديمٌ فقال: نعم وهو مصلّى الأنبياء عليهم السلام ولقد صلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله حين اُسري به إلى السماء فقال له جبرئيل عليه السلام، يا محمد هذا مسجد أبيك آدم عليه السلام ومصلّى الأنبياء عليهم السلام فانزل فصلّ فيه، فنزل فصلّى فية، ثم إنَّ جبرئيل عليه السلام عرج به إلى السماء.[1]

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٣٤.

*** الشرح :**

(ثم غيرّه بعد زياد بن أبي سفيان) هنا حكاية غريبة وهي ما رواه مسلم في باب من ادعي إلى غير أبيه فهو كافر حيث قال: حدثني عمر والناقد، قال: حدثنا حسين بن بشير، قال: حدثنا أبو خالد الجذاء عن أبى عثمان قال: لما ادعى زياد لقيت أبا بكرة فقلت له ماهذا الذي صنعتم إني سمعت سعد بن أبى وقاص يقول: سمعت أذنى من رسول الله ﷺ وهو يقول: من أدعى أباً في الإسلام غير أبيه يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام، فقال أبو بكرة: فأنا سمعت من رسول الله ﷺ انتهى، قال أبو عبد الله شارحه: زياد أخو أبى بكرة لأمه ادعاه معاوية وألحقه بأبيه أبى سفيان وكان أبو بكرة أنكر ذلك وهجر زياداً وحلف أن لا يكلمه أبداً فلعل أبا عثمان لم يبلغه إنكار أبي بكرة أو بلغه وعنى ما هذا الذي صنع أخوك، وسبب الاستلحاق أن زياداً كان والياً في الفارس وذا مال كثير وحشر عظيم فخاف معاوية عصيانه فأرسل إليه المغيرة بن شعبة ودعاه إليه على أن يلحقه بأبيه فحضر وأحضر معاوية شاهدين على أن أبا سفيان كان يقول: زياد ابني وقال أبو مريم: إنى كنت خمّاراً في الطائف فمر بي أبو سفيان في سفر فطعم وشرب، ثم سألنى بغياً، فأتيته بسمية جارية بني عجلان وهي من أصحاب الرايات بالطائف فوقع بها فحملت بزياد، فقال زياد: مهلاً يا أبا مريم لا تشتم، قال أبو مريم: قلت الحق، فقال يونس بن عبيد الثقفى: يا معاوية ليس لك أن تلحقه بأبيك لشهادة أبي مريم فأخرجه معاوية وألحقه بأبيه وإنما نسبه عليه السلام إلى أبي سفيان باعتبار أنه خلق من مائه أو لشهرة تلك النسبة فيما بينهم.

(ولا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً) علم عليه السلام ذلك بالوحي كما سيجيء أو بتجربتهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً، والداربين[1]: العشارين من الدرب وهو الطريق (قال: كلا فكيف والله يقول: ووحينا) قال الله تعالى **﴿فأوحينا إليه أن أصنع الفلك بأعيننا﴾**[2] أي بحفظنا له من الخطأ في صنعه أو من مفسد يفسده «ووحينا» أي بتعجيلنا لإتمامه من الوحا بالقصر وقد يمد وهو العجلة والإسراع يقال: وحا وتوحا إذا عجل وأسرع وفسره المفسرون بالأمر والتعليم (إن الله عز وجل أحب أن يرى قوم نوح آية) فإن خروج الماء من تنور معد للنار غير متوقع خروج الماء منه آية عظيمة من آيات القدرة ومعجزة بينة لصدق دعوى الرسالة (وطافت بالبيت أسبوعاً) قيل: المراد منه فعل كل الأفعال حتى طواف النساء **﴿ثم استوت على الجودي﴾** قيل: هو جبل في نجف أمير المؤمنين عليه السلام، وفي القاموس هو جبل في الجزيرة وروي أنه تعالى أوحى إلى الجبال «أني واضع سفينة نوح عبدي

---

١ ـ كذا والصواب باليائين كان المتن يعني العطارين.

(٢) سورة هود : ٣٧ .

على جبل منكن فتطاولت وشمخت وتواضع الجودي فضربت السفينة بجؤجؤها الجبل».

*** الأصل:**

٤٢٢ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبى نصر، عن أبان بن عثمان، عن أبى حمزة الثمالى، عن أبي رزين الأسدي، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن نوحاً صلّى الله عليه لما فرغ من السفينة وكان ميعاده فيما بينه وبين ربه في إهلاك قومه أن يفور التنور ففار فقالت امرأته: إنَّ التنور قد فار فقام إليه فختمه فقام الماء وأدخل من أراد أن يدخل وأخرج من أراد أن يخرج، ثم جاء إلى خاتمه فنزعه يقول الله عزّ وجل: **﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر* وفجّرناالأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر* وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾**[1] قال: وكان نجرها في وسط مسجدكم ولقد نقص عن ذرعه سبعمائة ذراع[2].

*** الشرح:**

(يقول الله عز وجل: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر): أي منصب، قال القاضي: وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها **﴿وفجرنا الأرض عيوناً﴾**: أي فجرنا عيون الأرض إلّا أنه علق الفعل على الأرض للمبالغة حتى كأنها كلها صارت عيوناً منفجرة (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الأرض (على أمر قد قدر) أي على مقدار قدره الله في الأزل من غير زيادة أو نقصان أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح **﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾** أراد بها السفينة بذكر أوصافها للدلالة على كمال قدرته والدسر بالضم وبضمتين: جمع الدسار وهو المسمار والخيط من ليف يشد بها ألواح السفينة (ولقد نقص عن ذرعه سبعمائة ذراع) الظاهر أن الضمير المجرور وفاعل نقص راجعان إلى المسجد وأن المراد بالنقص النقص الأول بالطوفان فلا يستبعد نجر سفينة طولها ألف ومائتا ذراع في وسطه.

٤٢٣ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاءت امرأة نوح عليه السلام وهو يعمل السفينة فقالت: إن التنّور قد خرج منه ماء فقام إليه مسرعاً حتى جعل الطبق عليه وختمه بخاتمه فقام الماء فلمّا فرغ من السفينة جاء إلى الخاتم ففضّه وكشف الطبق ففار الماء.

*** الأصل:**

٤٢٤ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن

---

(١) سورة القمر: ١٣.　　(٢) الكافي: ٨ / ٢٣٥.

إسماعيل الجعفي، عن أبى جعفر عليه السلام قال: كانت شريعة نوح عليه السلام أن يعبد الله بالتوحيد والإخلاص وخلع الأنداد وهي الفطرة التي فطر الناس عليها وأخذ ميثاقه على نوح عليه السلام وعلى النبيّين عليهم السلام أن يعبدوا الله تبارك وتعالى ولا يشركوا به شيئاً، وأمر بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام، ولم يفرض عليه أحكام حدود ولا فرض مواريث فهذه شريعة فلبث فيهم نوح ألف سنة الاّ خمسين عاماً يدعوهم سراً وعلانية فلمّا أبوا وعتوا قال: **﴿ربّ إني مغلوب فانتصر﴾**[١] فأوحى الله جلَّ وعزَّ إلى «أنه لن يؤمن من قومك الاّ من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلذلك قال نوح عليه السلام: **﴿ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً﴾** فأوحى الله عزّ وجلّ إليه **﴿أن اصنع الفلك﴾**[٢].

*** الشرح :**

(كانت شريعة نوح أن يعبد الله بالتوحيد والاخلاص وخلع الأنداد) التوحيد: الإقرار بأنه تعالى واحد لا شريك له في الوجود والوجوب الذاتيين ولا يتجزى ولا ينقسم، والإخلاص: تنزيه النيّة والعمل عن أن يكون لغيره تعالى فيها نصيب، والأنداد جمع الند ـ بالكسر ـ: وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره ويناده أي يخالفه (وهي الفطرة التي فطر الناس عليها) نبّه به على أن الولادة تقع على ذلك حتى يقع التغيير من الأبوين أو من غيرهما وإلى هذا ميل بعض العامة وقال بعضهم: المراد بالفطرة كونه خلقاً قابلاً للهداية وإدراك الحق ومتهيأ لهما لا فطرة الإسلام والتوحيد وذلك الاستعداد موضوع في العقول وإنما يمنعها عنهما الابوان أو غيرهما وقال بعضهم: المراد بها ما سبق في العلم الأزلي من سعادة أو شقاوة (أخذ الله ميثاقه على نوح وعلى النبيين اه) يعني أن هذه طريقة مستمرة في جميع الأمم والأديان وهذا وإن كان خبراً لكن معناه الأمر بالقيام عليها.

*** الأصل :**

٤٢٥ ـ عنه، عن أبيه، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن الحسن بن علي، عن عمر بن أبان، عن إسماعيل الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ نوحاً عليه السلام لمّا غرس النّوى مرَّ عليه قومه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون قد قعد غرّاساً حتى إذاطال النخل وكان جبّاراً طوالاً قطعه ثم نحته فقالوا: قد قعد نجّاراً، ثم ألّفه فجعله سفينة فمرّوا عليه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد ملاّحاً في فلاة من الأرض حتى فرغ منها[٣].

*** الشرح :**

(حتى إذا طال النخل وكان جباراً طوالاً) الجبار بالتشديد: العالى وهو من أبنية المبالغة وتسمى

---

(١) سورة الفجر : ١٠. (٢) الكافي: ٨ / ٢٣٦. (٣) الكافي: ٨ / ٢٣٦.

النخلة العالية جبّارة لطولها وعظمتها التي تفوق يد المتناول (ويقولون قد قعد ملاحاً في فلاة من الأرض) الظاهر أنهم لم يعرفوا قبل ذلك ملاحاً ولم يروا سفينة جرت على الماء فكأنهم علموا ذلك بإخبار نوح عليه السلام عنه حين أراد نجر السفينة.

*** الأصل:**

٤٢٦ ـ علي، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن الحسن بن صالح الثوري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان طول سفينة نوح عليه السلام ألف ذراع ومائتى ذراع وعرضها ثمانمائة ذراع وطولها في السماء ثمانين[ذراعاً] وسعت بين الصفا والمروة بالبيت سبعة أشواط ثمَّ استوت على الجوديّ(١).

*** الشرح:**

(وسعت بين الصفا والمروة وطافت بالبيت سبعة أشواط) الظاهر أن سبعة أشواط متعلق بالفعلين على سبيل التنازع والواو لايدل على الترتيب فلا ينافي تأخر السعي عن طواف الزيارة ويمكن أن يراد بالطواف طواف النساء فإنه بعد السعي لطواف الزيارة.

*** الأصل:**

٤٢٧ ـ محمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن إسماعيل الجعفي، وعبد الكريم بن عمرو، وعبد الحميد بن أبى الديلم، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: حمل نوح عليه السلام في السفينة الأزواج الثمانية التي قال الله عزّ وجلّ: **﴿ثمانية أزواج من الضّأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين﴾** فكان من الضأن اثنين زوج داجنة يربّيها الناس، والزوج الآخر الضّأن التي تكون في الجبال الوحشية أُحلّ لهم صيدها، ومن المعز اثنين زوج داجنة يربّيها الناس والزوج الآخر الظبي التي تكون في المفاوز، ومن الإبل اثنين البخاتي والعراب، ومن البقر اثنين زوج داجنة للناس والزوج الآخر البقر الوحشية وكل طير طيّب وحشى [أ] وإنسى، ثم غرقت الأرض(٢).

*** الشرح:**

(حمل نوح في السفينة الأزواج الثمانية ـ اه) يعني حمل فيها من كل صنف من الحيوان زوجاً الذكر والأنثى لبقاء النسل، والداجن: الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم وهي الأهلية (ارتفع الماء على كل جبل وعلى كل سهل خمسة عشر ذراعاً) دل على تحقق هذا المقدار في الكل ولا ينافي الزيادة عليه في البعض فلا يلزم تفاوت سطح الماء في الارتفاع والانخفاض تفاوتاً فاحشاً

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٣٧. (٢) الكافي: ٨ / ٢٣٧.

مستبعداً طبعاً وعادة مانعاً من جري السفينة.

٤٢٨ ـ محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن داود بن أبي يزيد، عن من ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إرتفع الماء على كلّ جبل وعلى كلّ سهل خمسة عشر ذراعاً.

*** الأصل :**

٤٢٩ ـ عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: عاش نوح عليه السلام ألفي سنة وثلاثمائة سنة منها ثمانمائة وخمسين سنة قبل أن يبعث وألف سنة إلّا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصّر الأمصار وأسكن ولده البلدان ثم أن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال: السلام عليك فردَّ عليه نوح عليه السلام قال ما جاء بك يا ملك الموت! قال جئتك لأقبض روحك. قال: دعني أدخل من الشمس إلى الظل فقال له: نعم، فتحوّل ثم قال: يا ملك الموت كلّ ما مرَّ بي من الدنيا مثل تحويلي من الشمس إلى الظل فامض لما أُمرت به فقبض روحه عليه السلام[1].

*** الشرح :**

قوله: (يا ملك الموت كل ما مرَّ بى من الدنيا مثل تحويلي من الشمس إلى الظل) في القلة والنقصان وعدم الاعتداد به وهذا من باب المبالغة في التعبير عن التعلق بالزائل أو باعتبار أن الزيادة والنقصان في الماضي أمر وهمي اعتباري وفيه زجر لكل أحد عن التمسك بالدنيا وإن رجا طول العمر فكيف مع قصره.

*** الأصل :**

٤٣٠ ـ محمد بن أبي عبدالله، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، وعبدالكريم بن عمرو، وعبد الحميد بن أبي الدّيلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال عاش نوح عليه السلام بعد الطوفان خمسمائة سنة، ثم أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا نوح إنّه قد انقضت نبوّتك واستكملت أيّامك فانظر إلى الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة التي معك فادفعها إلى ابنك سام فإنّي لا أترك الأرض إلاّ وفيها عالم تعرف به طاعتي وتعرف به هداي ويكون نجاة فيما بين قبض النبي ومبعث النبي الآخر ولم أكن أترك الناس بغير حجة لي وداع إليَّ وهاد إلى سبيلي وعارف بأمري، فإنّي قد قضيت أن أجعل لكلّ قوم هادياً أهدي به السعداء ويكون حجّة لي على الأشقياء قال: فدفع نوح عليه السلام الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة إلى سام وأمّا حام ويافث فلم يكن

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٣٧.

عندهما علم ينتفعان به، قال: وبشّرهم نوح عليه السلام بهود عليه السلام وأمرهم أن باتباعه وأمرهم أن يفتحوا الوصيّة في كل عام وينظروا فيها ويكون عيداً لهم[١].

*** الشرح :**

(فانظر إلى الاسم الاكبر ـ اه قد مرَّ هذه الأسماء وفيه تنبيه على أن النبوة والولاية والإمامة من قبل الله تعالى ولا مدخل لعقول البشر فيها كما مرَّ (أن بعض أصحابنا يفترون ويقذفون من خالفهم) أي يلومونهم أو يقطعونهم قطعة قطعة بنسبة القبايح إليهم بالهجو ونحوه من فرى فلاناً كرضى إذا لامه أو من فراه يفريه إذا شقة وقطعه على جهة الإفساد ومنه حديث حسان «لأفرينهم فري الأديم) لأقطعنهم بالهجاء كما يقطع الأديم وفي بعض النسخ ويعيرون من التعيير.

*** الأصل :**

٤٣١ ـ علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن الحسن بن عبد الرحمن، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إنَّ بعض أصحابنا يفترون ويقذفون من خالفهم ؟ فقال لي: الكفّ عنه أجمل، ثم قال: والله يا أبا حمزة إنّ الناس كلّهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا، قلت: كيف لي بالمخرج من هذا فقال لي: يا أبا حمزة كتاب الله المنزل يدلّ عليه إن الله تبارك وتعالى جعل لنا أهل البيت سهاماً ثلاثة في جميع الفيئ ثم قال عزّ وجلّ **﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾**[٢] فنحن أصحاب الخمس والفيئ وقد حرَّمناه على جميع الناس ما خلا شيعتنا والله يا أبا حمزة ما من أرض تفتح ولا خمس يخمّس فيضرب على شي منه إلاّ كان حراماً على من يصيبه فرجاً كان أو مالاً، ولو قد ظهر الحق لقد بيع الرجل الكريمة عليه نفسه فيمن لا يزيد حتى أن الرّجل منهم ليفتدي بجميع ماله ويطلب النجاة لنفسه فلا يصل إلى شيء من ذلك وقد أخرجونا وشيعتنا من حقّنا ذلك بلا عذر ولا حقّ ولا حجّة.

قلت: قوله عزّ وجل: **﴿هل تربّصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين﴾**[٣] قال: إمّا موت في طاعة الله أو إدراك ظهور إمام ونحن نتربّص بهم مع ما نحن فيه من الشدّة «أن يصيبهم الله بعذاب من عنده» قال: هو المسخ «أو بأيدينا» وهو القتل. قال الله عزّ وجلّ لنبيه صلى الله عليه وآله: **﴿قل تربّصوا فإنّا معكم من المتربصين﴾**[٤] والتربص: إنتظار وقوع البلاء بأعدائهم[٥].

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٣٨. (٢) سورة الأنفال : ٤١ . (٣) سورة الطور : ٣٠ .
(٤) سورة ص : ٨٦ . (٥) الكافي: ٨ / ٢٣٨.

* **الشرح :**

(أن بعض أصحابنا يفترون ويقذفون من خالفهم) أي يلومونهم أو يقطعونهم قطعة قطعة بنسبة القبائح إليهم بالهجو ونحوه من فرى فلاناً كرضى إذا لامه أو من فراه يفريه إذا شقة وقطعه على جهة الإفساد ومنه حديث حسان «لأفرينهم فري الأديم» لأقطعنهم بالهجاء كما يقطع الأديم وفي بعض النسخ ويعيرون من التعيير.

(فقال لي: الكف عنهم أجمل) لأن فيه تحرزاً عن المجازاة بالمثل أو أشد (ثم قال: يا أبا حمزة إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا الشيعة ـ اه) تبيان ذلك على ما ذكر فيه وفي غيره من الروايات أن نصف الغنيمة وكل الأنفال والخراج بل كل ما في الدنيا للإمام عليه السلام يعطي من يشاء ويملكه ما يشاء فما تصرفوا فيه من الإماء وقيمها ومهور النساء فقد حرمه عليهم فهم لذلك أولاد بغايا وأما الشيعة فقد أحله لهم لطيب ولادتهم (ولا خمس يخمس) أي يؤخذ وفي القاموس خمستهم أخمسهم بالضم: أخذت خمس أموالهم (فيضرب على شيء منه): أي فيمسكه يقال ضرب على يده إذا أمسك والبواقي ظاهرة (ولو قد ظهر الحق وهو قيام القائم عليه السلام لقد بيع الرجل الكريمة عليه نفسه أي العزيزة والتأنيث باعتبار الفاعل وهو النفس (فيمن لايريد) شراؤه للإهانة به أو لكثرة هذا الصنف، ولا يزيد بالزاي المعجمة أي لا يزيد في ثمنه احتمال.

* **الأصل :**

٤٣٢ ـ وبهذا الإسناد، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّوجلّ: **﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين* إن هو إلاّ ذكر للعالمين﴾**[١] قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام **﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾** قال: عند خروج القائم عليه السلام وفي قوله عزّ وجلّ: **﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾**[٢] قال: اختلفوا كما اختلف هذه الأمة في الكتاب وسيختلفون في الكتاب الذي مع القائم الذي يأتيهم به حتى ينكره ناسٌ كثير فيقدّمهم فيضرب أعناقهم.

وأمّا قوله عزَ وجل: **﴿ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإنّ الظالمين لهم عذاب أليم﴾**[٣] قال: لولا ما تقدَّم فيهم من الله عزّ وجلّ ما أبقى القائم عليه السلام منهم واحداً. وفي قوله عزّ وجلّ: **﴿والذين يصدّقون بيوم الدين﴾** قال: بخروج القائم عليه السلام وقوله عزّ وجلّ: **﴿والله ربنا ما كنّا مشركين﴾** قال: يعنون بولاية علي عليه السلام. وفي قوله عزّ وجّل: **﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾** قال: إذا قام القائم عليه السلام ذهبت دولة

---

(١) سورة ص : ٨٦ . (٢) سورة هود : ١١٠ . (٣) سورة الشورى : ٤١ .

الباطل[١].

*** الشرح :**

(وما أنا من المتكلفين) المتكلف المتعرض لما لا يعنيه.

(والذين يصدقون بيوم الدين) قال: بخروج القائم عليه السلام) لا ينافيه التفسير بيوم القيامة أيضاً لأن الآية الواحدة لها معان كثيرة.

*** الأصل :**

٤٣٣ ـ عنه، عن علي بن الحسن، عن منصور بن يونس، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: **﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم* إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكّلون﴾**[٢] ؟ فقال: يا أبا محمد يسلّط والله من المؤمن على بدنه ولا يسلّط على دينه! قد سلّط على أيّوب عليه السلام فشوّه خلقه ولم يسلّط على دينه وقد يسلّط من المؤمنين على أبدانهم ولا يسلط على دينهم قلت: قوله تعالى: **﴿إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون﴾**[٣] قال: الذين هم بالله مشركون يسلّط على أبدانهم وعلى أديانهم[٤].

*** الشرح :**

(فقال: يا أبا محمد يسلط والله من المؤمن على بدنه و لا يسلط على دينه) وإن قال يقع لتنافي من الآية الأولى والآية الثانية فإن الأولى يدل على أن لها سلطاناً والثانية على أنه لا سلطان ه.

*** الأصل :**

٤٣٤ ـ عنه، عن علي بن الحسن، عن منصور، عن حريز بن عبد الله، عن الفضيل قال: دخلت مع بي جعفر عليه السلام المسجد الحرام وهو متّكئ عليّ فنظر إلى الناس ونحن على باب بني شيبة فقال: يا ضل هكذا كان يطّوّفون في الجاهلية لايعرفون حقاً ولا يدينون ديناً، يا فضيل انظر إليهم مكبّين لى وجوههم لعنهم الله من خلق مسخوا بهم مكبّين على وجوههم ثم تلا هذه الآية: **﴿أفمن يمشي كبّاً على وجهه أهدى أمّن يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾**[٥] يعني والله علياً عليه السلام والأوصياء، ثم لا هذه الآية: **﴿فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدّعون﴾**[٦] أمير مؤمنين عليه السلام يا فضيل لم يتسم بهذا الاسم غير علي عليه السلام إلاّ مفتر كذّاب إلى يوم البأس هذا. أما والله

---

١) الكافي: ٨ / ٢٣٩.　(٢) سورة النحل : ٩٨.　(٣) سورة النحل : ١٠٠.

٤) الكافي: ٨ / ٢٤٠.　(٥) سورة الملك : ٢٢.　(٦) سورة الملك : ٢٧.

يا فضيل مالله عزّ ذكره حاجٌّ غيركم ولا يغفر الذنوب إلاّ لكم ولا يتقبّل إلاّ منكم وإنّكم لأهل هذه الآية: **﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾**[١].

يا فضيل أما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفّوا ألسنتكم وتدخلوا الجنّة، ثم قرأ **﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾**[٢] أنتم والله أهل هذه الآية[٣].

*** الشرح:**

(يا فضيل[٤] انظر إليهم منكبين[٥] على وجوههم لعنهم الله من خلق مسخوا) من لبيان الجنس او للتبعيض، وانظر؛ إما على صيغة المتكلم أو الأمر، والانكباب محمول على الحقيقة لأنه عليه السلام رآهم على الصورة المبدلة المسخية وحمله على التشبيه محتمل.

*** الأصل:**

٤٣٥ ـ عدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن محمد بن سلمان الأزدي، عن أبي الجارود؛ عن أبي إسحاق، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل (بظلمه وسوء سيرته) والله لا يحبّ الفساد»[٦].

*** الشرح:**

(وإذا تولى سعى في الأرض ـ اه) فيه وفيما بعده من الأحاديث دلالة على وقوع التغير في الآيات المذكورة والله يعلم.

٤٣٦ ـ سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن حمران بن أعين، عن أبى جعفر عليه السلام **﴿والذين كفروا أولياؤهم الطواغيت﴾**.

٤٣٧ ـ علي بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن محمد بن سنان عن أبى جرير القمّي ـ وهو محمد بن عبيد الله وفي نسخة عبد الله ـ عن أبي الحسن عليه السلام **﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم﴾**[٧] **﴿من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه﴾**[٨]

٤٣٨ ـ محمد بن خالد، عن حمزة بن عبيد، عن إسماعيل بن عبّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام **﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء﴾** وآخرها **﴿وهو العلي العظيم﴾** والحمد لله رب العالمين وآيتين

---

(١) سورة النساء: ٣٠. (٢) سورة النساء: ٧٧. (٣) الكافي: ٨ / ٢٤٠.
٤ ـ كذا. ٥ ـ كذا. (٦) الكافي: ٨ / ٢٤١.
(٧) سورة طه: ٦. (٨) سورة البقرة: ٢٥٥.

بعدها.

٤٣٩ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سيف، عن أخيه عن أبيه، عن أبي بكر بن محمد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقرأ **﴿وزلزلوا (ثم زلزلوا)﴾** حتى يقول الرسول».

*** الأصل:**

٤٤٠ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام **﴿واتّبعوا ما تتلوا الشياطين (بولاية الشياطين)﴾** على ملك سليمان» ويقرأ أيضاً: **﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بيّنة (فمنهم من آمن ومنهم من جحد ومنهم من أقرّ ومنهم من بدّل﴾ ومن يبدّل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب﴾**[1][2].

*** الشرح:**

(واتبعوا ما تتلوا الشياطين بولاية الشياطين على ملك سليمان) الظاهر أنه تنزيل ويمكن أن يكون تأويلاً وفيه إشارة إلى ما وقع في عهد نبينا صلى الله عليه وآله.

*** الأصل:**

٤٤١ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عبد الرحمن بن حمّاد، عن محمد ابن إسحاق، عن محمد بن الفيض قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يمرض منّا المريض فيأمره المعالجون بالحمية فقال: لكنّا أهل بيت لا نحتمي إلّا من التمر، ونتداوى بالتفاح والماء البارد، قلت: ولم تحتمون من التمر؟ قال: لأن نبي الله حمى علياً عليه السلام منه في مرضه[3].

*** الشرح:**

(فيأمره المعالجون بالحمية ـ اه) حمى المريض ما يضره حمية منعه إياه فاحتمىٰ و تحمى امتنع وبالفارسية حمية «پرهيز فرمودن» واحتماء «پرهيز كردن».

٤٤٢ ـ عنه، عن أحمد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن الحلبي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا تنفع الحمية المريض بعد سبعة أيام.

٤٤٣ ـ عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن الحكم، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: ليس الحمية أن تدع الشيء أصلاً لا تأكله، ولكنّ الحمية أن تأكل من

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٢. (٢) سورة العقاب : ٢١١ . (٣) الكافي: ٨ / ٢٤٢.

الشيء وتخفّف[١].

*** الأصل:**

٤٤٤ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبى يحيى الواسطي، عن بعض أصحابنا قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ المشي للمريض نكس، إنّ أبي عليه السلام كان إذا اعتل جعل في ثوب فحمل لحاجته يعني الوضوء وذاك أنّه كان يقول: إنّ المشي للمريض نكس[٢].

*** الشرح:**

(إن المشي للمريض نكس) وهو بالضم عود المرض في النقاهة أو بعدها.

*** الأصل:**

٤٤٥ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة أنّ رجلاً دخل علي أبي عبدالله عليه السلام فقال: رأيت كأنّ الشمس طالعة على رأسي دون جسدي فقال: تنال أمراً جسيماً ونوراً ساطعاً وديناً شاملاً فلو غطّتك لانغمست فيه ولكنّها غطّت رأسك أما قرأت﴿**فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربّي...**﴾[٣] فلما أفلت تبرأ منها إبراهيم عليه السلام: قال: قلت جعلت فداك إنهم يقولون: إنّ الشمس خليفة أو ملك فقال: ما أراك تنال الخلافة ولم يكن في آبائك وأجدادك ملك وأيّ خلافة وملوكيّة أكبر من الدّين والنور، ترجو به دخول الجنّة، إنّهم يغلطون قلت: صدقت جعلت فداك[٤].

*** الشرح:**

(تنال أمراً جسيماً ونوراً ساطعاً وديناً شاملاً ـ اه) كأنه أراد بالأمر الجسيم أمراً من أُمور الدنيا وإرشاد الخلق، وبالنور الساطع: العلم وبالدين الشامل العمل به وببزوغ الشمس وشروقها وابتداء طلوعهاولعل الاستشهاد بالاية لدلالة على أن طلوع الشمس وشروقها ثم أفولها كما صار دليلاً للخليل عليه السلام على معرفة الحق حيث قال: «وجهت وجهي ـ الآية» كذلك يصير دليلاً للرائي في المنام إليه فيدل على ما ذكر.

*** الأصل:**

٤٤٦ ـ عنه، عن رجل رأى كأن الشمس طالعة على قدميه دون جسده، قال ما يناله نبات من الأرض من برّ أو تمر يطأه بقدميه ويتسع فيه وهو حلال إلاّ أنه يكدّ فيه كما كدّ آدم عليه السلام[٥].

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٢.
(٢) الكافي: ٨ / ٢٤٣.
(٣) سورة الأنعام: ٧٨.
(٤) الكافي: ٨ / ٢٤٣.
() الكافي: ٨ / ٢٤٣.
(٥) الكافي: ٨ / ٢٤٣.

*** الشرح:**

وأما قوله: (قلت: جعلت فداك إنهم يقولون إن الشمس خليفة أو ملك) فكأنهم عبروا رؤياه بأنك تصير خليفة وذا ملك باعتبار أن الشمس خليفة على الكواكب يجري أثرها عليها واحتياجها في كسب الضوء إليها فأجاب عليه السلام بأن هذا التعبير ليس بصواب لما ذكروا فيه دلالة على أن الرائي لو كان من أهل بيت الخلافة والملوك لأمكن ذلك في حقه (إلّا أنه يكد فيه) أي في تحصيله أو في ضبطه أو في كليهما أو لأمر يؤول إليه بسببه كما هو شأن الدنيا.

*** الأصل:**

٤٤٧ ـ علي، عن أبيه، عن الحسن بن علي، عن أبي جعفر الصائغ، عن محمد بن مسلم، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وعنده أبو حنيفة فقلت له: جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة! فقال لي: ياابن مسلم هاتها فإنّ العالم بها جالسٌ وأومأ بيده إلى أبي حنيفة، قال: قلت: رأيت كأنّي دخلت داري وإذا أهلي قد خرجت علي فكسّرت جوزاً كثيراً ونثرته عليّ، فتعجّبت من هذه الرؤيا فقال أبو حنيفة: أنت رجل تخاصم وتجادل لئاماً في مواريث أهلك فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أصبت والله يا أبا حنيفة، قال: ثمّ خرج أبو حنيفة من عنده، فقلت جعلت فداك إنّي كرهت تعبير هذا الناصب، فقال: ياابن مسلم لا يسوؤك الله، فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبّره، قال: فقلت له: جعلت فداك فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ ؟! قال: نعم حلفت عليه أنّه أصاب الخطأ، قال: فقلت له: فما تأويلها قال: يا ابن مسلم إنّك تتمتّع بأمرأة فتعلم بها أهلك فتمزّق عليك ثياباً جدداً فانّ القشر كسوة اللبّ، قال ابن مسلم: فو الله ما كان بين تعبيره وتصحيح الرؤيا إلاّ صبيحة الجمعة فلمّا كان غداة الجمعة أنا جالس بالباب إذ مرّت بي جارية فأعجبتني فأمرت غلامي فردّها ثم أدخلها داري فتمتّعت بها فأحست بي وبها أهلي فدخلت علينا البيت فبادرت الجارية نحو الباب وبقيت أنا فمزّقت عليّ ثياباً جدداً كنت ألبسها في الأعياد. وجاء موسى الزوار العطّار إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله رأيت رؤيا هالتني، رأيت صهراً لي ميتاً وقد عانقني وقد خفت أن يكون الأجل قد اقترب، فقال: يا موسى توقّع الموت صباحاً ومساءً فإنه ملاقينا ومعانقة الأموات للأحياء أطول لأعمارهم فما كان اسم صهرك ؟ قال: حسين فقال: أما إنّ رؤياك تدلُّ على بقائك وزيارتك أبا عبدالله عليه السلام فإنّ كلّ من عانق سمي الحسين عليه السلام يزوره إن شاء الله[1].

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٤.

*** الشرح :**

(يا ابن مسلم هاتها فإن العالم بها جالس وأومأ بيده إلى أبي حنيفة) قدّمه وسماه عالماً للتقية أو لاظهار جهله عند بعض الأصحاب ثم في هذا الخبر دلالة على أن الرؤيا ليست على ما يعبر بها أولاً لأنه لم يقع تعبير أبي حنيفة ووقع تعبيره عليه‌السلام بعده، ولأنه لو كانت لأول عابر لما خطأه عليه‌السلام وهذا ينافي ظاهر ما سيجيء عن أبي الحسن عليه‌السلام قال: «الرؤيا على ما يعبر» وقال عليه‌السلام: «امرأة رأت أن جذع بيتها انكسر فأتت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فقصت عليه الرؤيا فقال عليه‌السلام زوجك يقدم وهو صالح وقد كان غائباً فقدم كما قال، ثم رأت هذه الرؤيا ثانية فقصت على النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله فعبرها بما مر، ثم رأتها ثالثة فقصت على رجل أعسر فقال يموت زوجك فبلغ ذلك النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله فقال ألا كان عبر لها خيراً» فإن فيها أيضاً دلالة على أن الرؤيا على وفق ما تعبر والجواب المراد أن الرؤيا تجيء على وفق ما يعبر في بعض الأحيان لأن التعبير قد يؤثر في النفس من باب التطير والتفأل لا دائماً فلا منافاة. (رأيت صهراً لي ميتاً اه) الصهر بالكسر: القرابة وزوج بنت الرجل وزوج أخته وأبو امرأته.

*** الأصل :**

٤٤٨ ـ إسماعيل بن عبد الله القرشي، قال: أتى إلى أبي عبد الله عليه‌السلام رجل فقال له: يا ابن رسول الله رأيت في منامي كأني خارجٌ من مدينة الكوفة في موضع أعرفه وكان شبحاً من خشب أو رجلاً منحوتاً من خشب على فرس من خشب يلوّح بسيفه وأنا أشاهده فزعاً مرعوباً فقال له عليه‌السلام: أنت رجل تريد اغتيال رجل في معيشته، فاتق الله الذي خلقك ثم يميتك فقال الرجل: أشهد أنّك قد أوتيت علماً واستنبطه من معدنه أُخبرك يا ابن رسول الله عمّا [قد] فسّرت لي إنّ رجلاً من جيراني جاءني وعرض عليّ ضيعته فهممت أن أملكها بوكس كثير لما عرفت أنه ليس لها طالبٌ غيري فقال أبو عبدالله عليه‌السلام: وصاحبك يتولانا ويبرأ من عدوّنا ؟ فقال: نعم ياابن رسول الله رجل جيّد البصيرة مستحكم الدين وأنا تائب إلى الله عزّ وجلّ وإليك مما هممت به ونويته فأخبرني يا ابن رسول الله لو كان ناصباً حلّ لي اغتياله فقال: أدّ الأمانة لمن ائتمنك وأراد منك النصيحة ولو إلى قاتل الحسين عليه‌السلام[1].

*** الشرح :**

(وكان شبحاً من خشب أو رجلاً منحوتاً من خشب على فرس يلوح بسيفه وأنا اشاهده فزعاً مرعوباً) لوّح بسيفه وألاح به: لمع به (فقال عليه‌السلام: أنت رجل تريد اغتيال رجل في معيشة اه) أي

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٥.

قيما يعيش به، يقال: اغتاله وغاله: أهلكه وأخذه من حيث لم يدر، والوكس كالوعد: النقصان والتنقيص لازم متعد والنصيحة طلب الخير للمنصوح وكأنه أوّل رؤياه بالإلهام والتعليم الرباني، ويحتمل أنه استنبط أن ذلك الرائي منافق يريد اغتيال غيره من قوله تعالى **﴿كأنهم خشب مسندة﴾** وقد فسر بعض المعبرين الخشب: بالمنافق نظرا إلى هذه الآية فذلك الشبح الخشبي كان مثاله وذلك الفرس الخشبي كان نفاقه وكما أن المنافق في ترويج أمره راكب على فرس النفاق الذي لا يكون أمره رائجاً ولا يوصل صاحبه إلى منزل كذلك الفرس الخشبي وسيف ذلك الشبح قصد الرائي إهلاك غيره وأما كون الاغتيال في أمر المعيشة فيحتمل أنه مستنبط من ركوبه على الفرس لأن الفرس قد يأول بالدنيا وسعة المعاش ولأنه سبب لازدياد الرزق والتوسعة في المعيشة وطلب الدنيا كما في بعض الروايات والله يعلم.

*** الأصل:**

٤٤٩ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيّوب، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي، عن عبد الملك بن أعين، قال: قمت من عند أبي جعفر عليه السلام فاعتمدت على يدي فبكيت، فقال: مالك؟ فقلت: كنت أرجو أن أدرك هذا الأمر وبي قوّة فقال: أما ترضون أن عدوّكم يقتل بعضهم بعضاً وأنتم آمنون في بيوتكم: إنه لو قد كان ذلك أُعطى الرجل منكم قوة أربعين رجلاً وجعلت قلوبكم كزبر الحديد، لو قذف بها الجبال لقلعتها وكنتم قوام الأرض وخزّانها[1]

*** الشرح:**

(وجعلت قلوبكم كزبر الحديد ـ اه) الزبر والزبر جمع زبرة: وهي القطعة من الحديد (لو قذف بها الجبال لقلعتها) لقوتها وشدتها وصلابتها وكنتم (قوام الأرض وخزانها) في بعض النسخ «وجيرانها» جمع الجار، والمراد به الناصر المجير الذي يجير من أراد ويؤمنه من أن يظلم (وسمعت أمير المؤمنين عليه السلام مرة بعد أخرى) وهو يقول.

*** الأصل:**

٤٥٠ ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن علي، عن عبد الرحمن ابن أبي هاشم، عن سفيان الجريري، عن أبي مريم الأنصاري، عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام مرّة بعد مرة وهو يقول وشبّك أصابعه بعضها في بعض ثم قال: تفرجي

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٥.

تضيّقي وتضيقي تفرجي، ثم قال: هلكت المحاضير ونجا المقربون وثبت الحصى على أوتادهم، أقسم بالله قسماً حقاً إن بعد الغمّ فتحاً عجباً(١).

* **الشرح:**

(وشبك) أي وقد شبك أصابعه (بعضها في بعض ثم قال: تفرجي تضيقي وتضيقي تفرجي) دلت الآية والرواية والتجربة على أن بعد كل ضيق وشدة فرجاً ومن كلامه عليه السلام «أدنى ما يكون الفرج عن مضيق الأمر» والحمل للمبالغة في اتصال أحدهما بالآخر وتشبيك الأصابع تمثيل للإيضاح ولو جعل تفرجي وتضيقي خطاباً للأصابع مع بعده كان فيه إشارة إلى ما ذكرنا (ثم قال: هلكت المحاصير: أى المستعجلون ظهور الصاحب عليه السلام الموقنون له وقد مرت هذ اللفظة وتصحيحها في ذيل حديث نوح عليه السلام (ونجا المقربون) الذين يسلمون ظهوره ويقرون به غير موقتين له، روى المصنف في باب كراهة التوقيت بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مهزم فقال له: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الذي تنتظره متى هو؟ فقال: يا مهزم كذب الوقاتون وهلك المستعجلون ونجا المسلمون» (وثبت الحصى على أوتادهم) الضمير للمقربين وهذا كناية عن ثباتهم في مقام الصبر على أذى الأعداء وتحملهم مكاره الضيق وشدائد البلاء حتى لا يسقط خيام صبرهم بصرصر شبهات المعاندين ولا تتحرك أوتادها بحصيات مفتريات المخالفين، وهذه العبارة كالمثل في مقام الشدائد ثم أقسم بالقسم البار تأكيداً لمضمون ما سبق (فقال: أقسم بالله قسماً حقاً أن بعد الغم) الذي لحقنا ولحق شيعتنا بتسلط الأعداء ونزول الشدائد والبلاء (فتحاً عجباً) وهو ظهور الصاحب عليه السلام واستيلاؤه على مشارق الأرض ومغاربها.

* **الأصل:**

٤٥١ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضّال، عن علي بن عقبة، عن أبيه، عن ميسّر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا ميسّر! كم بينكم وبين قرقيسيا؟ قلت هي قريب على شاطىء الفرات فقال: أما إنّه سيكون بها وقعة لم يكن مثلها منذ خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض ولا يكون مثلها ما دامت السماوات والأرض مأدبة للطير تشبع منها سباع الأرض وطيور السماء، يهلك فيها قيس ولا يدعى لها داعية قال: وروى غير واحد وزاد فيه: وينادي مناد هلمّوا إلى لحوم الجبّارين(٢).

* **الشرح:** (يا ميسر كم بينكم وبين قرقيسيا) في بعض النسخ قرقيسيا بالكسر: بلد على الفرات

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٥. (٢) الكافي: ٨ / ٢٤٥.

سمي بقرقيسيا بن طهمورث، والوقعة: المحاربة وكأنها ما وقع بين أبي مسلم ومروان الحمار وعساكره واستئصالهم أو ما وقع بين هلاكو والمستعصم واستئصاله بني عباس وقوله مأدبة صفة لوقعة أو خبر مبتدأ محذوف أي هي مأدبة للطير والسباع تأكل لحومهم والمشهور في المأدبة ضم الدال وقد تفتح وهي طعام يصنع لدعوة أو عرس (يهلك فيها قيس ولا يدعى لها داعية) الظاهر أن ضمير لها لقيس باعتبار القبيلة وأن الواو للحال وفي النهاية يدعى له أي ينسب إليه فيقال: فلان ابن فلان وفي القاموس داعية اللبن: بقيته التي في الضرع بعد الحلب، يقال: دعا في الضرع داعية أبقاها فيه سميت بها لأنها تدعو ما وراه وتنزله، وفيه أيضاً الداعية: صريخ الخيل في الحروب، والمعنى على الأول لا تنسب إليها نفس داعية تدعو الانتساب إليها، وعلى الثاني لا تبقى لها بقية، وعلى الثالث لا تطلب لها خيول صارخة ومن يقوم بطلب دمائهم لعدم وجوده، ويحتمل أن يكون الضمير للوقعة والواو للعطف والأنسب حينئذ هو المعنى الأخير والله أعلم.

(قال: وروى غير واحد وزاد فيه وينادي مناد هلموا إلى لحوم الجبارين) فاعل قال محمد بن يحيى ويحتمل غيره، والمنادي إما ملك أو إنسان، وهلم بضم اللام بمعنى تعال مركب من هاء للتنبيه ومن لم أي ضم نفسك إلينا وفيه لغتان فأهل الحجاز يطلقونه على الواحد والجمع والاثنين والمذكر والمؤنث بلفظ واحد مبني على الفتح، وبنو تميم تذكر وتؤنث وتثنى وتجمع فيقول هلم وهلما وهلموا وهلمي وهلمن، والظاهر أن وهلموا خطاب للطيور والسباع وضمير العقلاء باعتبار تشبيهها بأناس يدعون إلى مأدبة.

*** الأصل:**

٤٥٢ ـ عنه، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حمّاد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله ﷺ قال: كلّ راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عزّ وجلّ [(١)].

*** الشرح:**

(كل راية ترفع قبل قيام القائم) ﷺ وإن كان رافعها يدعو إلى الحق (فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله) الطاغوت: الشيطان والأصنام وكل ما يعبد من دون الله ويطلق على الواحد والجمع ويعبدون بالضم وصف له.

*** الأصل:**

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٥.

٤٥٣ ـ عنه، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن شهاب بن عبد ربه، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا شهاب يكثر القتل في أهل بيت من قريش حتى يدعى الرّجل منهم إلى الخلافة فيأباها، ثمّ قال: يا شهاب ولا تقل: إنّي عنيت بني عمّي هؤلاء، قال شهاب: أشهد أنّه قد عناهم(١).

* **الشرح:**

(ولا تقل إنى عنيت بني عمي هؤلاء) إشارة إلى بني عباس لا إلى بني الحسن فإنها احتمال بعيد.

* **الأصل:**

٤٥٤ ـ حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد الكندي، عن غير واحد، عن أبان بن عثمان، عن الفضيل، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **إنّ الناس لمّا صنعوا ما صنعوا إذ بايعوا أبا بكر لم يمنع أمير المؤمنين عليه السلام من أن يدعو إلى نفسه إلاّ نظراً للناس وتخوفاً عليهم أن يرتدّوا عن الإسلام فيعبدوا الأوثان ولا يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الأحبّ إليه أن يقرّهم على** ما صنعوا من أن يرتدّوا عن جميع الإسلام وإنّما هلك الذين ركبوا ما ركبوا، فأما من لم يصنع ذلك ودخل فيما دخل فيه الناس على غير علم ولا عداوة لأمير المؤمنين عليه السلام فإن ذلك لا يكفره ولا يخرجه من الإسلام ولذلك كتم علي عليه السلام أمره وبايع مكرهاً حيث لم يجد أعواناً(٢).

* **الشرح:**

(فأما من لم يصنع ذلك ودخل فيما دخل فيه الناس على غير علم ولا عداوة لأمير المؤمنين عليه السلام فإن ذلك لا يكفره ولا يخرجه من الإسلام) قال الفاضل الأردبيلي: المخالف: الجاهل المحض الذي لم يعرف الحق بحيث لايعد مقصراً لو وجد أو عد مقصراً في الجملة حيث دل عقله على التفتيش و ما فعل لتقصير أو لجهل يرجى له دخول الجنة في الجملة ووجدت قريباً إلى هذا المعنى في بعض الأخبار بل إنه كل من لم يبر أو ليس بعد ولنا يرجى له الجنة وليس ببعيد من كرم الله وكرمهم عليهم السلام.

أقول: لعل مراده ببعض الأخبار هذا الخبر إلاّ أنه ضعيف بالإرسال مع أن الحسن واقفي وإن كان ثقة ثم قال وأما الذين يموتون على غير الإيمان فالكافر منهم مخلد في النار وعبادتهم غير مقبولة عند الله ويحتمل حصول عوض له بسبب بعض الأفعال الحسنة من الله إما في الدنيا أو في الآخرة

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٦. (٢) الكافي: ٨ / ٢٤٦.

بتخفيف عقاب ماكما قيل فيمن لم يستحق دخول الجنة والثواب فيها وكذا من كان معانداً أو مقلداً للآباء أو لمن تقدمه من العلماء مع معرفته للحق في الجملة كما حكى عن بعض الفضلاء منهم أن هذا حق ولكن العلماء المتقدمين هكذا كانوا وكذا من اطلع على الحق بالعقل والنقل متهاوناً في الدين ومتغافلاً عن الحق وعن التأمل فيه لقلة التقيد به وعدم اعتباره ذلك وذلك أيضاً كثير ولهذا نجد نقل العلماء والعظماء منهم حكايات وأخباراً دالة على خلاف معتقدهم مثل ما يروون من الأخبار في الصحاح أن الأئمة إثني عشر وما نقلوا في آية التطهير من حصر أهلها في آل العبا وآية المباهلة وخبر «إني تارك فيكم الثقلين» وأنه لابد لكل زمان إماماً فإنه من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية وإن القياس في الأصول لا يجزي وأن الاجماع لا يكون حجة إلّا إذا كان له سنده وأن القياس له شرائط وفيه الاختلافات الكثيرة والاعتراضات العظيمة وكذلك في الإجماع ومع ذلك يسندون أصلهم وهو خلافة الأول إلى إجماع ما كان إلّا بعض من في المدينة في ذلك الزمان مسنداً إلى قياس بصلاة خلفه برضى عنه ﷺ [وأنه أمر أخروى والإمامة أمر دنيوي] فيرضى له أيضاً مع أنهم صرحوا في بابها بأنها رئاسة عامة في الدين والدنيا مع تجويزهم الصلاة خلف كل فاسق وفاجر ويتركون ما نقلوه من النصوص بسبب ذلك مع نقلهم أن علياً عليه السلام ما بايع إلّا بعد فوت فاطمة عليها السلام وبالجملة من تفكر فيما قالوا فقط من غير شيء آخر مذكور في طرقنا لجزم إما بجنونهم أو قلة مبالاتهم أو غفلتهم ومثل ما روي أن ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين، وهم يقولون قد يكون غيره أفضل منه بمعنى أكثر ثواباً ومثل ما قال شارح التجريد أن معنى قول عمر: بيعة أبى بكر فلتة من عاد إلى مثلها فاقتلوه، انه من عاد إلى خلاف كاد أن يظهر عندها فاقتلوه، وهل يمكن مثل هذا التقدير في الكلام مع أنه ينافي معنى الفلتة وهو ظاهر لا خلاف فيه، ومثل ما قال الشريف في إلهيات شرح المواقف: الاجتهاد وقد يكون صواباً وقد يكون خطأ وليس فيه عقاب وقصور مثل تخلف الأول والثاني عن جيش أسامة حين أمرهم النبي ﷺ بالرواح معه وقالوا ليس مصلحة في أن نترك النبي ﷺ في تلك الحالة التي يمكن مفارقة الدنيا وتخلى المدينة ومثل ما قالوا في توجيه قول الثاني حين قال النبي ﷺ: إيتوني بالدواة والقلم الحديث.

فقال الثاني: إن الرجل ليهذر، حسبنا كتاب الله، فقالوا: إن ذلك القول منه من باب الاجتهاد ولم يعلموا أن رد قول الرسول والعمل بخلافه كفر محض ومثل ما قال العضدي في توجيه إنكار الثاني العدول من الإفراد إلى التمتع حين أمر النبي ﷺ من لم يسق الهدي بذلك مع عدم سياقه وقال: نغتسل والنبي أغبر، فقال العضدي: إنه دليل على تقديم فعله على قوله عند التعارض وما علم أن لاتعارض هنا لأن فعله وعدم عدوله عليه السلام لأنه ساق الهدي وقوله وأمره بالعدول لمن لم يسقه فكان

فرضه غير فرضهم، ومثل ما بالغ ابن أبي الحديد في كون الخطبة الشقشقية منه عليه السلام وقال: إن كونها منه مثل ضوء النهار وقد اطلع على النكاية التي فيها حتى قال فيشكل الأمر علينا لا على الشيعة ثم أجاب بأنه وقع لترك الأولى وهل يقول العاقل مثل هذه الأقاويل التي لا يعذر صاحبها أصلاً فهؤلاء وأمثالهم مخلدون في النار، ويمكن حمل الأخبار الواردة في عدم قبول طاعاتهم وعباداتهم على هؤلاء.

*** الأصل:**

٤٥٥ ـ حدثنا محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد عن علي بن النعمان، عن عبد الله بن مسكان، عن عبد الرحيم القصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن الناس يفزعون إذا قلنا: إن الناس ارتدوا، فقال: يا عبد الرحيم ان الناس عادوا بعدما قبض رسول الله عليه السلام أهل جاهليّة، إنّ الأنصار اعتزلت فلم تعتزل بخير، جعلوا يبايعون سعداً وهم يرتجزون ارتجاز الجاهلية، يا سعد أنت المرجّى، وشعرك المرجّل، وفحلك المرجّم[1].

*** الشرح:**

(قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن الناس يفزعون إذا قلنا ان الناس ارتدوا ـ اه) لا وجه لفزعهم لأنهم نقلوا في صحاحهم ما يدل على أن ارتدادهم منه ما ذكر قبل ذلك بسبعة أوراق ومنه ما رواه مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزل في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة، قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه مثل الوكت. ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل كجمرد حرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال أن في بني فلان رجلاً أميناً حتى يقال للرجل ما أجلده، ما أطرفه، ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلماً ليردنه على دينه، وإن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه على ساعيه فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلّا فلاناً وفلاناً انتهى، قال محيى الدين شارح مسلم: الجذر بالجيم والذال المعجمة: الأصل من كل شيء ونزول الأمانة في جذر قلوب الرجال كناية عن خلقه تعالى في تلك القلوب قابلية الالتزام حفظها والقيام بها فلما نزل القرآن والسنة عمل بمقتضاهما من خلقت فيه تلك القابلية ثم رفعت

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٦.

وانتزعت عنهم إلّا في أفراد من الناس، ومات حذيفة في خلافة عثمان، والوكت: الأثر اليسير، والمجل بفتح الميم وسكون الجيم أو فتحها، تنفط اليد من العمل بفأس ونحوه وفاعل نفط ضمير الرجل والتذكير باعتبار لفظ الرجل ومنتبر معناه مرتفع.

وقال المازري: والمعنى أنه شبه زوال نور الأمانة بعد استقرارها واعتقاب الظلمة إياها بجمر دحرج على رجل فأثر ثم زال الجمر وبقي الأثر الذي هو التنفط وبالجملة المقصود من الحديث، الأخبار عن تغير الحال برفع الأمانة من تلك القلوب التي جبلت على حفظها وعدم الخوف فيها حتى لا يبقى فيها إلّا مثل الوكت، ثم مثل المجل، وقوله: أيكم بايعت، فسره الآبي شارح مسلم بالبيع أي لايؤمن على البيع والشراء إلّا القليل برفع الامانة وحمله القرطبى شارح مسلم على بيعة الخلافة وفسر الساعي بالعامل. أقول إذا مات حذيفة في خلافة عثمان كما صرح به محيى الدين وأنه رأى رفع الأمانة عن الصحابة ورأى اتصافهم بالكفر كما دل عليه الحديث إلّا في قليل منهم فقد دل ذلك على مدعانا وهو ارتدادهم بعد فوت النبي ﷺ، وتخصيص رفع الأمانة بالبيع والشراء كما فسره الآبي لاوجه له بل هو فرد من أفراده فما زادوا في ذلك إلّا قسوة على قسوة، على أن لنا أن نقول إذا لم يكونوا أمناء في البيع والشراء فكيف صاروا أمناء في نصب الخليفة للأمة إلى يوم القيامة هذا والأمر الآخر الذي انتظر مجيئه حذيفة هو وقوع الفتن في الحديث الآتي كما صرح به الآبي ومنه ما رواه مسلم عن حذيفة، قال: كنا عند عمر، فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وماله وجاره؟ قالوا: أجل قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا: قال: إيت لله أبوك قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوذاً عوذاً فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مرٌّ بدا كالكوز مخجياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلّا ما أشرب من هواه، قال حذيفة: وحدثته أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر قال عمر اكسراً لا أبالك فلو أنه فتح لعله كان يعاد، قال لا بل يكسر، قال الأصمعي: سكت القوم صمتوا واسكتوا أطرقوا وعوذا بالذال المعجمة من الاستعاذة أي يعرض الفتن على القلوب يلصقها مثل لصوق الحصر، وتأثيرها بجنب النائم عليها عوذ بالله واشربها أي حلت منه محل الشراب وقوله: مثل الصفا في أنه لا يلصق به شيء من الفتن كما لا يلصق به شيء، ومربد: مثل محمر معنى لا صورة يسير بياض في سواد؟، والمخجى: المنكوس المائل الذي لا يقع فيه شيء وأن بينك وبينها باباً أي

لا يخرج شيء منها في حياتك.

اكسرا أي يكسر كسراً استعظم الكسر لأنه إنما يكون عن غلبة وإكراه ولا يرجى إعادته بخلاف الفتح، لا أبا لك كلمة تستعمل للحث على الفعل أي جد في الفعل جد من لا أب له بعينه أقول هذا الحديث يدل على وقوع الفتنة وتخصيص حذيفة وقوعها بما بعد عمر لا يكون سنداً لأنه لم ينقله من باب الرواية ولئن سلم فنقول ما وقع بعد عمر من الفتن هو فتنة طلحة وزبير وعايشة ومعاوية وأهل نهروان وأكثر أصحابهم فكيف يدعون أن الصحابة لم يرتدوا ولا يصح نسبة الارتداد إليهم، فإذا ثبت هذا ثبت أن نسبة الارتداد إليهم بعد النبي ﷺ ليس مستبعداً لأجل أنهم كانوا من أصحابه ومنه ما رواه أيضاً عن جابر قال: قال رسول الله: «**مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من بين يدي**» وفي رواية «**أنا آخذ بحجزكم عن النار فتغلبوني وتقمحون في النار**» وفي أخرى «**أنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيها**» قال محيى الدين: الفراش: الذي يطير كالبعوض وقيل: هو الطير الذي يتساقط في النار، والحجزة: معقد الأزار والسراويل وإذا أخذ الرجل من يخاف سقوطه أخذ بذلك الموضع منه، والتقحم: التقدم والوقوع في الأهوية وشبهها، فقد شبه عليه السلام دخول الصحابة وغيرهم ممن ارتد عن دينه في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا لجهله وعدم تمييزه وتخصيص الذم بما عدى الصحابة تخصيص بلا مخصص ومحض الحمية الجاهلية ومن العجائب أنهم مع ذلك يدّعون أن كل واحد من الصحابة عدل وذلك قول من لم يشم رائحة صدق ودليل وأيضاً روى مسلم في كتاب الأمارة أن النبي ﷺ ذكر ذات يوم الفلول فعظّمه وعظّم أمره ثم قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبة بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ـ الحديث» قال الآبى: هذا خطاب مواجهة وفيه دلالة على عدم عدالة الصحابة ثم قال: ولا بعد في ذلك ﷺ قد جلد في الخمر وقطع في السرقة.

(إن الأنصار اعتزلت) عن الدين أو عن المهاجرين أو عن أمير المؤمنين عليه السلام (فلم تعزل بخير وجعلوا يبايعون سعداً) سعد بن عبادة من أشراف الأنصار (وهم يرتجزون ارتجاز الجاهلية) في القاموس الرجز بالتحريك: ضرب من البحر ووزنه مستفعلن ست مرات سمي به لتقارب أجزائه وقلة حروفه وزعم الخليل أنه ليس بشعر وانما هو أنصاف أبيات وأثلاث والأرجوزة كالقصيدة منه والجمع أراجيز وقد رجز وارتجز ورجز به رجزة أنشد أرجوزة (يا سعد أنت المرجى وشعرك المرجل وفحلك المرجّم) أي أنت الذي تأمل حصول المقاصد منه من الترجية وهي ضد اليأس، والمرجل: اسم مفعول من الترجيل وهو تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه كما يفعله المترفون

والمتنعمون، والمرجم إما من جعل على قبره الرجمة بالضم: وهي الحجارة أو من رجم في المعارك ورمي فيها، أو من لا يوقف على حقيقة أمره لفخامته والفحل على الأول الخصم المدعى للغلبة أو المساواة، وعلى الأخيرين أبو المخاطب أو هو على سبيل الكناية كما في قولك مثلك لا يبخل.

*** الأصل:**

٤٥٦ ـ حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد الكندي، عن غير واحد من أصحابه عن أبان بن عثمان، عن أبي جعفر الأحول، والفضيل بن يسار، عن زكريا النقاض عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: الناس صاروا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة من اتّبع هارون عليه السلام ومن اتّبع العجل وإنّ أبا بكر دعا فأبى علي عليه السلام إلاّ القرآن وإنّ عمر دعا فأبى عليّ صلوات الله عليه إلاّ القرآن وإن عثمان دعا فأبى عليٌّ عليه السلام إلاّ القرآن، وإنّه ليس من أحد يدعو ـ إلى أن يخرج الدّجّال ـ إلاّ سيجد من يبايعه ومن رفع راية ضلال[ة] فصاحبها طاغوت[1].

*** الشرح:**

(وأنه ليس من أحد يدعو) أي إلى بدعة حذفت للتعميم ولقرينة المقام (إلى أن يخرج الدجال سيجد من يبايعه) أي إلى زمان خروجه والمراد به جميع زمانه المتصل آخره بزمان نزول عيسى وظهور الصاحب عليهما السلام فلا يرد أن إلى تفيد خروج ما بعدها عن الحكم المذكور وليس كذلك في السين في «سيجد» لمجرد التأكيد كما صرح به صاحب الكشاف في قوله تعالى ﴿**سنكتب ما قالوا**﴾ (ومن رفع راية ضلالة فصاحبها طاغوت) وهي كل راية رفعت قبل قيام القائم عليه السلام كما مر.

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٧.

حديث أبي ذر رضى الله عنه

*** الأصل :**

٤٥٧ ـ أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن عبد الله بن محمد، عن سلمة الّلؤلؤي، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ألا أُخبركم كيف كان إسلام سلمان وأبي ذرّ فقال الرّجل وأخطأ: أمّا إسلام سلمان فقد عرفته فأخبرني بإسلام أبي ذرّ فقال: إنّ أبا ذرّ كان في بطن مرّ يرعى غنماً له فأتى ذئب عن يمين غنمه فهشَّ بعصاه على الذئب، فجاء الذئب عن شماله فهشّ عليه أبو ذر ثم قال له أبو ذر: ما رأيت ذئباً أخبث منك ولا شراً، فقال له الذئب: شرّ والله مني أهل مكة بعث الله عزّ وجلّ إليهم نبياً فكذبوه وشتموه فوقع في أُذن أبي ذرّ، فقال لامرأته: هلمّي مزودي وأدواتي وعصاي، ثم خرج على رجليه يريد مكّة ليعلم خبر الذئب وما أتاه به، حتى بلغ مكة فدخلها في ساعة حارة وقد تعب ونصب فأتى زمزم وقد عطش، فاغترف دلواً فخرج لبن فقال في نفسه: هذا والله يدلّني على أنّ ما خبّرني الذئب وما جئت له حق، فشرب وجاء إلى جانب من جوانب المسجد فإذا حلقة من قريش فجلس إليهم فرآهم يشتمون النبي صلى الله عليه وآله كما قال الذئب، فمازالوا في ذلك من ذكر النبي والشتم له حتى جاء أبو طالب من آخر النهار فلمّا رأوه قال بعضهم لبعض: كفّوا فقد جا عمّه، قال: فكفّوا فما زال يحدّثهم ويكلّمهم حتى كان آخر النهار، ثم قام وقمت على أثره فالتفت إليّ فقال: أذكر حاجتك! فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم، قال: وما تصنع به ؟ قلت: اوُمن به وأصدّقه وأعرض عليه نفسي ولا يأمرني بشيء إلاّ أطعته فقال: وتفعل ؟ فقلت: نعم قال: فتعال غداً في هذا الوقت إليّ حتى أدفعك إليه قال: بتّ تلك الليلة في المسجد حتى إذا كان الغد جلست معهم فما زالوا في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وشتمه حتى إذا طلع أبو طالب فلما رأوه قال بعضهم لبعض: أمسكوا فقد جاء عمه، فأمسكوا فما زال يحدّثهم حتى قام فتبعته فسلّمت عليه فقال: اذكر حاجتك فقلت: النبي المبعوث فيكم، قال: وما تصنع به ؟ فقلت: أومن به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ولا يأمرني بشيء إلاّ أطعته، قال: وتفعل قلت: نعم، فقال: قم معي، فتبعته فدفعني إلى بيت فيه حمزة عليه السلام فسلّمت عليه وجلست فقال لي: ما حاجتك! فقلت هذا النبي المبعوث فيكم، فقال: وما حاجتك إليه ؟ قلت: أومن به وأُصدقه وأعرض عليه نفسي ولا يأمرني بشيء إلاّ أطعته فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قال: فشهدت قال: فدفعني حمزة إلى بيت فيه جعفر عليه السلام فسلّمت عليه وجلست فقال لي جعفر عليه السلام: ما حاجتك ؟ فقلت: هذا النبي المبعوث

فيكم قال: وما حاجتك إليه! فقلت: أومن به وأصدّقه وأعرض عليه نفسي ولا يأمرني بشيء الاّ أطعته، فقال تشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، فقال: فشهدت فدفعني إلى بيت فيه علي عليه السلام فسلّمت وجلست فقال: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم قال: ما حاجتك إليه؟ قلت: أومن به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ولا يأمرني بشيء إلّا أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، قال: فشهدت فدفعني إلى بيت فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فسلّمت وجلست، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: ما حاجتك؟ قلت:النبي المبعوث فيكم، قال: وما حاجتك إليه ؟ قلت: أومن به وأصدقه ولا يأمرني بشيء إلاّ أطعته فقال: تشهد أن إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، فقلت: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا ذرّ إنطلق إلى بلادك فإنّك تجد ابن عمّ لك قد مات وليس له وارث غيرك فخذ ماله وأقم عند أهلك حتى يظهر أمرنا، قال: فرجع أبو ذر فأخذ المال وأقام عند أهله حتى ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: هذا حديث أبي ذرّ وإسلامه رضي الله عنه وأمّا حديث سلمان فقد سمعته ؟ فقال: جعلت فداك حدّثني بحديث سلمان، فقال: قد سمعته، ولم يحدّثه لسوء أدبه[1].

* **الشرح :**

(حديث أبي ذر رضي الله عنه) قال القرطبي: أبو ذر اسمه جندب بن جنادة، من كبار الصحابة، أسلم بعد أربعة، ثم انصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم عام الحديبية بعد أن مضت بدر وأحد والخندق وكان غلب عليه التعبد والتزهد ودخل بعد موت النبي صلى الله عليه وآله الشام فوقع بينه وبين معاوية نزاع فشكاه معاوية إلى عثمان فأقدمه عثمان المدينة ثم خرج إلى الربذة فأقام فيها في موضع منقطع إلى أن مات سنة اثنتين وثلاثين فصلّى عليه ابن مسعود عن منصرفه من الكوفة في ركب ولم يوجد له ما يكفن فيه فكفنه رجل من أهل الركب في ثوب من غزل أمه وكان أوصى أن لا يكفنه أحد ولي شيئاً من أعمال السلطان وخبره في ذلك معروف انتهى.

أقول: خروجه إلى الشام ثم إلى المدينة ثم من المدينة بعد ضرب عثمان إياه إلى الربذة كان بأمر عثمان لأنه كان ينقل دائماً ذمائمهم وقد ذكرنا ذلك سابقاً نقلاً من كلام أصحابهم (فقال: إن أبا ذر كان في بطن مرّ يرعى غنماً له فأتى ذئب عن يمين غنمه فهش بعصاه على الذئب) بطن مرّ و يقال له الظهر إن بفتح الميم وتشديد الراء موضع بقرب مكة على مرحلة، والهش: الخبط وهو الضرب

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٧.

الشديد وخرط الورق من الشجر ولعله ههنا كناية عن الطرد والفعل كذب ومل، والمزود كمنبر: مايجعل فيه الزاد، والأداوة: المطهرة هذا وأما سبب إسلام سلمان فقيل لما وافى رسول الله ﷺ نزل بقبا وقال: لا أدخل المدينة حتى يلحق بي علي وكان سلمان كثير السؤال عن رسول الله ﷺ وكان قد اشتراه بعض اليهود وكان يخدم نخلاً لصاحبه فلما وافى عليه السلام قبا وكان سلمان عرف بعض أحواله من بعض أصحاب عيسى عليه السلام وغيره فحمل طبقاً من تمر وجاءهم به فقال: سمعنا أنكم غرباء وافيتم هذا الموضع فحملنا هذا إليكم من صدقتنا فكلوه، فقال رسول الله: سمّوا وكلوا ولم يأكل هو منه شيئاً وسلمان واقف ينظر فأخذ الطبق وانصرف وقال: هذه واحدة بالفارسية، ثم جعل في الطبق تمراً أخر فحمله فوضعه بين يديه عليه السلام فقال: رأيتك لم تأكل من تمر الصدقة فحملت هذا هدية فمد عليه السلام يده وقال لأصحابه: كلوا بسم الله فأخذ سلمان الطبق وهو يقول: هذا اثنان، ثم دار خلف رسول الله عليه السلام فعلم عليه السلام مراده منه فأرخى رداءه عن كتفه فرأى سلمان الشامة فوقع عليها وقبّلها وقال: أشهد أن لا اله إلّا الله وانك رسول الله ثم قال: إني عبد ليهودي فما تأمرني؟ فقال: فكاتبه على شيء تدفعه إليه فصار سلمان إلى اليهودي فقال له: إني أسلمت واتبعت هذا النبي على دينه ولا تنتفع بي وكاتبني على شيء أدفعه إليك وأملك نفسي، فقال اليهودي: أكاتبك على أن تغرس لي خمسمائة نخلة وتخدمها حتى تحمل ثم تسلمها إلي وعلى أربعين أوقية ذهباً جيداً فانصرف إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فقال عليه السلام إذهب فكاتبه على ذلك فمضى سلمان وكاتبه على ذلك وقدر اليهودي أن هذا لا يكون إلّا بعد سنين وانصرف سلمان بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال عليه السلام إذهب فأتني بخمسمائة نواة وفي رواية الحشوية بخمسمائة نبلة فجاءه سلمان بخمسمائة نواة فقال: سلّمها إلى علي عليه السلام ثم قال لسلمان: إذهب بنا إلى الأرض التي طلب النخل فيها فذهبوا إليها وكان رسول الله ﷺ يثقب الأرض بإصبعه ثم يقول لعلي عليه السلام ضع في الثقب نواة ثم يرد التراب عليها ويفتح رسول الله أصابعه فتتفجر الماء من بينها فيسقى ذلك الموضع ثم يصير إلى موضع الثانية فإذا فرغ من الثانية تكون الأولى قد نبتت ثم يصير إلى موضع الثالثة فإذا فرغت تكون الأولى منها قد حملت ثم يصير إلى موضع الرابعة وقد نبتت الثالثة وحملت الثانية وهكذا حتى فرغ من غرس الخمسمائة وقد حمل كلها فنظر اليهودي وقال: صدقت قريش أن محمداً ساحر، وقال: قبضت منك النخل فأين الذهب فتناول رسول الله ﷺ حجراً كان بين يديه فصار ذهباً أجود ما يكون فقال اليهودي: ما رأيت ذهباً قط مثله وقدره مثل تقدير عشر أواق فوضعه في الكف فرجح فزاد عشراً حتى صار أربعين أوقية لا يزيد ولا ينقص، قال سلمان فانصرف إلى رسول الله ﷺ فلزمت خدمته وأنا حر.

*** الأصل:**

٤٥٨ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام أنّ ثمامة بن أثال أسرته خيل النبي صلى الله عليه وآله وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اللهم أمكنّي من ثمامة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي مخيّرك واحدة من ثلاث: أقتلك ؟ قال: إذاً تقتل عظيماً، أو اُفاديك، قال: إذاً تجدني غالياً، أو أمنّ عليك قال: إذاً تجدني شاكراً، قال: فإنّي قد مننت عليك قال: فإنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك محمد رسول الله وقد والله علمت أنك رسول الله حيث رأيتك وما كنت لأشهد بها وأنا في الوثاق[1].

*** الأصل:**

٤٥٩ ـ عنه، عن أبيه، عن أحمد بن محمد، عن أبان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا ولد النبي صلى الله عليه وآله جاء رجل من أهل الكتاب إلى ملأ من قريش فيهم هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة والعاص بن هشام وأبو وجزة بن أبي عمرو بن أميّة وعتبة بن ربيعة فقال: أولد فيكم مولود الليلة ؟ فقالوا: لا قال: فولد إذاً بفلسطين غلام اسمه أحمد به شامة كلون الخزّ الأدكن ويكون هلاك أهل الكتاب واليهود على يديه قد أخطأكم والله يا معشر قريش فتفرّقوا وسألوا فأخبروا أنّه ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فطلبوا الرجل فلقوه، فقالوا: إنّه قد ولد فينا والله غلامٌ قال: قبل أن أقول لكم أو بعد ما قلت لكم ؟ قالوا: قبل أن تقول لنا، قال: فانطلقوا بنا إليه حتى ننظر إليه فانطلقوا حتّى أتوا أمّه فقال: أخرجي ابنك حتى ننظر إليه فقالت إن ابني والله لقد سقط وما سقط كما يسقط الصبيان لقد اتّقى الأرض بيديه ورفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج منه نور حتى نظرت إلى قصور بصرى وسمعت هاتفاً في الجو يقول: لقد ولدت سيد الأمة فإذا وضعتيه فقولي: أعيذه بالواحد من شرّ كلّ حاسد وسميّه محمداً، قال الرجل: فأخرجيه فأخرجته فنظر إليه ثم قلّبه ونظر إلى الشامة بين كتفيه فخر مغشيّاً عليه فأخذوا الغلام فأدخلوه إلى أمّه وقالوا: بارك الله لك فيه، فلمّا خرجوا أفاق فقالوا له: مالك ويلك ؟ قال: ذهبت نبوة بني إسرائيل إلى يوم القيامة هذا والله من يبيرهم ففرحت قريش بذلك فلمّا رآهم قد فرحوا قال: [قد] فرحتم أما والله ليسطونّ بكم سطوة يتحدّث بها أهل المشرق والمغرب وكان أبو سفيان يقول: يسطو بمصره[2].

*** الشرح:**

(إن ثمامة بن أثال أسرته خيل النبي صلى الله عليه وآله) قيل في المغرب أثال بالضم: المال والمجد وبه سمّي

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٩. (٢) الكافي: ٨ / ٢٤٩.

والد ثمامة و«أبال» تصحيف وأبو وجزة بن أبي عمرو بن أمية ـ اهـ) ضبط وجزة بالزاي المعجمة وعتبة بضم العين وسكون التاء، وفلسطين: كورة بالشام وقرية بالعراق، والشامة: علامة تخالف البدن التي هي فيه ويقال لها بالفارسية «خال»، والدكنة بالضم: لون إلى السواد دكن كفرح فهو أدكن.

وقوله: (قد أحظاكم) إما بالحاء المهملة والظاء المعجمة من الحظوة بالضم أو الكسر: وهي المكانة والمنزلة أي جعلكم ذوي منزلة رفيعة بين للناس أو بالخاء المعجمة والطاء المهملة من الخطو وهو المشي والركوب والتجاوز، يقال تخطى الناس وأخطاهم إذا ركبهم وجاوزهم وقال بعض الأفاضل في توجيه علم الرجل بذلك وتوجيه قوله «فولد إذا بفلسطين» بعد قولهم «لا» مذكور في الكتب المنزلة على الأنبياء المتقدمين عليهم السلام يولد في مكة رجل معصوم اسمه أحمد وكنيته أبو القاسم وكذلك في قرية من العراق أحدهما نبي والآخر إمام ومذكور الليلة التي يولد فيها أحد الأحمدين، والمراد باتقاء الأرض بيديه الحذر من ضررها عند السقوط بتقديمها، والقصور جمع القصر وهو بناء معروف «وبصرى» كحبلى: بلد بالشام وقرية قرب بغداد، والسطو «گرفتن» بعنف سطى عليه وبه سطواً وسطوة قهره وأذله وبطشه بشدة وقول أبي سفيان (يسطو بمصر ـ اه) استفهام إنكار واعلم أن هذه الشامة هي التي تسمى بخاتم النبوة وإنما سميت بذلك لأنها إحدى العلامات التي يعرف بها علماء الكتب السابقة وكذا لما حصل عند سلمان من علامات صدقه ما حصل كموضع مبعثه ومهاجره جد في طلبه فلما جعل يتأمل ظهره فعلم عليه السلام أنه يريد أن يقف على ما يعرف به من خاتم النبوة فأزال الرداء عن ظهره الكريم، فلما رأى سلمان الخاتم أكب عليه يقبله ويقول أشهد أنك رسول الله، قيل: وكذلك حين خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام ومروا بصومعة بحيرا الراهب نزل إليهم وكان قبلها لا يخرج لأحد فجعل يتخللهم فلما رآه أخذ بيده وقال: هذا سيد العالم هذا رسول رب العالمين فقالت له مشيخة من قريش: ما علمك به ؟ قال: لما أشرفتم من العقبة لم يبق حجر و شجر إلّا سجد له ولا يسجد إلّا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة مثل التفاحة وفيه أن موضعه كان بين الكتفين ومن طريق العامة أنه كان عند ناغض كتفه اليسرى، قال بعضهم: الناغض من الإنسان: أصل العنق حيث ينغض رأسه ونغض الكتف هو العظم الرقيق على طرفيهما وقيل للناغض فرع الكتف سمي ناغضاً للحركة ومنه قيل للظليم ناغض لأنه يحرك رأسه إذا جرى، وقال المازري: ناغض الكتف ما رق منه وسمي بذلك لنغوضه أي لتحركه نغض رأسه أي حركه ومنه قوله تعالى **﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾** أي يحركونها استهزاء وأما مقداره فلم أجد تقديره في كلام الأصحاب وفي بعض أخبار العامة أنه كان مثل التفاحة وفي بعضها مثل بيضة الحمامة، وفي بعضها مثل بيضة الحجلة، وفي بعضها مثل الجمع، قال عياض: الجمع: الكف إذا جمع، يقال:

ضربته بجمع كفي إذا جمع كفه فضربه بها وقال المازري: الجمع: الكف وصورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها ثم فيه دلالة على أنه عليه السلام ولد به وفي بعض روايات العامة دلالة واضحة على أنه لم يولد به وهو ما رووه من حديث شق الصدرفيه «فلما أزال الملكان حظ الشيطان وعلق الدم منه قال أحدهما للآخر: خطه فخطه ووضع الخاتم بين الكتفين» وقال السهيلي: وحكمة وضع الخاتم أنه لما شق صدره وأزيل مغمز الشيطان ملىء قلبه حكمة وإيماناً فختم عليه كما يختم على الإناء المملوء مسكاً، وحكمة وضعه عند نغض الكتف لأنه المحل الذي يوسوس منه الشيطان وقد ذكروا في كتبهم أن شق الصدر كان بعد ما كان عليه السلام قادراً على المشي مع الأطفال ونقل الوسناني في إكمال الإكمال أنه عليه السلام كان بين الأطفال فرأوا رجلين أخذاه وشقا صدره فنادوا قتل محمد.

*** الأصل :**

٤٦٠ ـ حميد بن زياد،عن محمد بن أيوب، عن محمد بن زياد، عن أسباط بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان حيث طلقت آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبي صلى الله عليه وآله حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب فلم تزل معها حتى وضعت فقالت إحداهما للأخرى: هل ترين ما أرى ؟ فقالت: وماترين قالت: هذا النور الذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب فبينما هما كذلك إذ دخل عليهما أبو طالب: فقال لهما: مالكما من أي شيء تعجبان ؟ فأخبرته فاطمة بالنور الذي قد رأت فقال لها أبو طالب: ألا أبشّرك ؟ فقالت: بلى، فقال: أما إنك ستلدين غلاماً يكون وصيّ هذا المولود[1] .

*** الشرح :**

(حيث طلقت آمنة ـ اه) الطلق والمخاض بالفتح: وجع الولادة وقد طلقت المرأة تطلق على ما لم يسم فاعله أصابها الطلق وفيه دلالة على كمال أبي طالب وقيل: إنه كان من أوصياء عيسى عليه السلام وفي بعض الأخبار دلالة عليه.

*** الأصل :**

٤٦١ ـ محمد بن أحمد بن عبد الله بن الصلت، عن يونس، وعن عبد العزيز بن المهتدي، عن رجل، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام في قوله تعالى: **﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم﴾** قال: صلة الإمام في دولة الفسقة[2] .

*** الشرح :**

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٥٠ .   (٢) الكافي: ٨ / ٢٥١.

(من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا ـ اه) القرض الحسن: ما أقصد منه وجه الله تعالى وما ذكره عليه السلام من أكمل أفراده ويندرج في صلة الإمام محبته وطاعته وإيصال المال إليه وغير ذلك من أنواع البر.

*** الأصل:**

٤٦٢ ـ يونس، عن سنان بن طريف قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ينبغي للمؤمن أن يخاف الله تبارك وتعالى خوفاً كأنّه مشرفٌ على النار ويرجوه رجاءً كأنّه من أهل الجنة، ثم قال: إنّ الله عزّ وجلّ عند ظنّ عبده إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً[1].

*** الشرح:**

(ينبغي للمؤمن أن يخاف الله خوفاً كأنه مشرف على النار ويرجو رجاء كأنه من أهل الجنة) دل على أنه ينبغي المساواة بين الخوف والرجاء، والنظر في الأول إلى جواز التقصير في الأعمال القلبية والبدنية مع ملاحظة عظمة الرب وقهره على جميع الممكنات بغنائه عنها، وفي الثاني إلى العجز والمسكنة مع بسط نعمته وسعة كرمه ورحمته وغنائه عن تعذيب العباد وعبادتهم وإنعامه عليهم في هذه الدار بلا سبق استحقاق فلا يبعد إجراء أعظم منها في دار القرار، فمن نظر إلى هذا تارة وإلى ذاك أخرى حصلت له ملكة الخوف وملكة الرجاء وهو متحير بين الحالتين ومتردد بين المنزلتين، ومن علاماته: الزهد في الدنيا، وترك مالا ينبغي، والرغبة في الآخرة، وطلب ما ينبغي كما روي «من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شيء هرب منه» (ثم قال: إن الله تبارك وتعالى عند ظن عبده إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً) نظيره من طرق الخاصة كثير وفي كتب العامة موجود، روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي»، فإن قلت: هل فيه دلالة على ما ينافي صدر الحديث من أن الرجاء ينبغي أن يكون غالباً على الخوف؟ قلت لا، لوجوه: الأول: أن فيه ترغيباً في رجاء المغفرة وزجراً عن القنوط عند فعل المعصية فالخير هو الرجاء والشر هو القنوط والقنوط كفر وإليه أشار القابسي في حل حديث مسلم، الثاني: أنه تعالى عند ظن عبده في حسن عمله وسوء عمله لأن من حسن عمله حسن ظنه، ومن ساء عمله ساء ظنه وإليه أشار الخطابي في حله، الثالث: أن ظن الخير أن يرجو العبد رحمة الله من فضله ولا يتكل على عمله ولا يخاف إلّا من ذنبه ولا من ذاته تعالى لأنه ليس بظلام للعبيد، وظن الشر المترتب عليه جزاء الشر أن يرجو من عمله ويخاف منه تعالى لا من ذنبه واستفدت هذا من كلام مولانا الصادق عليه السلام قال

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٥١.

«حسن الظن بالله أن لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلّا من ذلك» الرابع: أن ظن الخير مركب من الرجاء والخوف المتساويين وظن الشر ما ليس كذلك وهو على أربعة أقسام، وهذا استفدته من قول إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: **«العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه»** معناه على قدر خوفه من عذاب ربه لأجل ذنبه، وقيل: ظن الخير أن يظن المغفرة إذا استغفر، وظن قبول التوبة إذا تاب، وظن قبول العمل الصالح إذا عمله. وظن الشر أن يأتي بهذه الأشياء ويظن أنها لا تقبل ولا تنفعه وذلك قنوط.

*** الأصل:**

٤٦٣ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن سنان، عن إسماعيل، بن جابر قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام بمكة إذ جاءه رسول من المدينة فقال له: من صحبت؟ قال: ما صحبت أحداً، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أما لو كنت تقدّمت إليك لأحسنت أدبك؟ ثم قال: واحد شيطان واثنان شيطانان وثلاث صحب وأربعة رفقاء[١].

*** الشرح:**

(أما لو كنت تقدمت إليك لأحسنت أدبك) أي لو جئتك لأحسنت أدبك بالضرب وأما إذ جئتني فلا أضربك لقبح ضرب الضيف والزائر (ثم قال: واحد شيطان واثنان شيطانان وثلاثة صحب وأربعة رفقاء) أي قافلة ولعل المراد أن المتفرد في السفر والذاهب على الأرض وحده أو مع واحد شيطان أي متمرد عات بعيد عن الله تعالى لأنه يوقع نفسه في الضرر والوحشة والتهلكة، وأيضاً إن مات لم يوجد من يجهزه ويدفنه ويوصل خبره إلى أهله فيشكل عليهم أمر التزويج والإرث، قال ابن الأثير: يريد أنه من الشيطان أو أنه شيء يحمله عليه الشيطان وهو حث على الإجتماع في السفر.

*** الأصل:**

٤٦٤ ـ عنه، عن أحمد، عن الحسين بن سيف، عن أخيه علي، عن أبيه قال: حدّثني محمد بن المثنّى قال: حدثني رجل من بني نوفل بن عبد المطلب قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحبُّ الصحابة إلى الله أربعة وما زاد قوم على سبعة إلّا كثر لغطهم[٢].

*** الشرح:**

(وما زاد قوم على سبعة إلّا كثر لغطهم) اللغطة بالغين المعجمة: صوت وضجة لايفهم معناه

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٥١. (٢) الكافي: ٨ / ٢٥١.

والمقصود أن أكثر كلامهم لغو باطل منحرف عن الصواب والظاهر أن هذا غير مختص بالسفر.

*** الأصل:**

٤٦٥ ـ عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه عمّن ذكره، عن أبى الحسن موسى عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه عليهما السلام في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: لا تخرج في سفر وحدك فإنّ الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، يا علي إنّ الرجل إذا سافر وحده فهو غاو، والاثنان غاويان، الثلاثة نفر، قال: وروى بعضهم سفر[١].

*** الشرح:**

(فإن الشيطان مع الواحد ـ اه) يوسوسه ويفزعه في النوم واليقظه ويدعوه إلى أمر غير ملائم بالشرع. والغاوي: الضال، والنفر: جماعة الناس من ثلاثة إلى عشرة، والسفر: جمع سافر كصحب وصاحب.

*** الأصل:**

٤٦٦ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، وعلي بن محمد القاساني، عن سليمان بن داود، عن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبدالله عليه السلام قال في وصية لقمان لابنه: يا بنيّ سافر بسيفك وخفّك وعمامتك وخبائك وسقائك وإبرتك وخيوطك ومخرزك وتزوّد معك من الأدوية ما تنتفع بها أنت ومن معك وكن لأصحابك موافقاً إلاّ في معصية الله عزّ وجلّ[٢].

*** الشرح:**

(يابني سافر بسيفك وخفك وعمامتك ـ اه) أمر بأخذ هذه الأشياء لأن المسافر كثيراً ما يحتاج إليها ولا يمكن تحصيلها في القفار. والسقاء ككساء جلد يتخذ للماء، واللبن ونحوهما والمخرز بالكسر: ما يخرز به وهو بالفارسية «درفش» وموافقة الأصحاب في الأمور المباحة وهي المماشاة معهم مطلوبة في السفر لأنها توجب الفرح والابتهاج وحسن التودد.

*** الأصل:**

٤٦٧ ـ علي، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من شرف الرّجل أن يطيّب زاده إذا خرج في سفره[٣].

*** الشرح:**

(من شرف الرجل) أي مجده وإصالته ونجابته (أن يطيب زاده) كماً وكيفاً ولا يعد ذلك إسرافاً

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٥١. (٢) الكافي: ٨ / ٢٥٢. (٣) الكافي: ٨ / ٢٥٢.

مع القدرة بشرط أن لا يبلغ حد التكلف المشعر بالإدلال والتفاخر، وقال الصادق عليه السلام **«إذا سافرتم فاتخذوا سفرة وتنوقوا فيها»**.

*** الأصل:**

٤٦٨ ـ علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا سافر إلى الحج والعمرة تزوّد من أطيب الزّاد من اللّوز والسكّر والسويق المحمّض والمحلّى[1].

*** الشرح:**

(كان علي بن الحسين عليهما السلام إذا سافر إلى الحج والعمرة تزود من أطيب الزاد من اللوز والسكر والسويق المحمض والمحلى) اللوز: «بادام» والسويق: الدقيق المشوي، وقد تحمض تحميضاً بالسماق ونحوه وقد يحلّى بالسكر والعسل ونحوهما وقيل: إنه من أطيب أطعمة العرب.

*** الأصل:**

٤٦٩ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن الوليد بن صبيح عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: دخلت عليه يوماً فألقى إليّ ثياباً وقال: يا وليد ردّها على مطاويها فقمت بين يديه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: رحم الله المعلّى بن خنيس فظننت أنّه شبّه قيامي بين يديه بقيام المعلّى بين يديه، ثم قال: أُف للدنيا، أُف للدنيا إنّما الدنيا دار بلاء يسلّط الله فيها عدوه على وليّه، وإنَّ بعدها داراً ليست هكذا، فقلت: جعلت فداك وأين تلك الدّار؟ فقال: ههنا وأشار بيده إلى الأرض[2].

*** الشرح:**

(ياوليد ردّها على مطاويها ـ اه) مطاوي الثوب: إطواؤها جمع المطوى وهو بالفارسية «درهم پيچيده شده». والمعلّى بن خنيس قتله داود بن على وإلي المدينة وأخذ مال الصادق عليه السلام فقام عليه السلام راكعاً وساجداً فلماكان في السحر دعى عليه وهو ساجد فسمعت الصيحة في داره قبل أن يرفع عليه السلام رأسه وأف: معناه الإستقذار لما شتم، وقيل: معناه الإحتقار والإستقذار وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر متكدر وفيها عشر لغات ضم الهمزة مع الحركات الثلاث في الفاء منونة وغير منونة، وأف بكسر الهمزة وفتح الفاء، وأف بضم الهمزة وسكون الفاء، وأف بضم الهمزة والقصر، وافت بالتاء، وقال أبو البقاء: هي اسم لجملة خبرية أي كرهت وضجرت وقال أبو حيان: وظاهر هذا أنها اسم فعل الماضى فموجب البناء فيها قائم وهو وقوعها موضع المبني، قال أبو

(١) الكافي: ٨ / ٢٥٢. (٢) الكافي: ٨ / ٢٥٢.

البقاء: فمن بناها على الأصل ومن فتح طلب التخفيف ومن نون أراد التنكير ومن لم ينون أراد التعريف والإشارة إلى الأرض إشارة إلى القبر والبرزخ لأن الجنة في السماء السابعة كما نطقت به الأخبار وصرح بذلك أيضاً بعض الأفاضل.

٤٧٠ ـ محمد بن أحمد، عن عبد الله بن الصلت، عن يونس، عمّن ذكره، عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا محمد إنّ لله عزّ وجلّ ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا، كما تسقط الريح الورق من الشجر في أوان سقوطه وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿**يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للّذين آمنوا**﴾[1] والله ما أراد بهذا غيركم.

* **الأصل:**

٤٧١ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة، عن زرارة قال: حدثني أبو الخطّاب في أحسن ما يكون حالاً قال: سألت أباعبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وإذ ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة**﴾[2] فقال: وإذا ذكر الله وحده بطاعة من أمر الله بطاعته من آل محمد ﴿**اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين (لم يأمر الله بطاعتهم) إذا هم يستبشسرون**﴾[3][4].

* **الشرح:**

(اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالله وبرسوله واليوم الآخر): أي انقبضت ونفرت ومنشؤه كراهة ذلك في سمعهم.

* **الأصل:**

٤٧٢ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم صاحب الشعير، عن كثير بن كلثمة، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**فتلقّى آدم من ربّه كلمات**﴾ قال: لا إله إلاّ أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين لا إله إلاّ أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وأنت أرحم الراحمين، لا إله إلاّ أنت سبحانك اللهمّ وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنّك أنت التواب الرّحيم، وفي رواية أُخرى في قوله عزّ وجل: ﴿**فتلقى آدم من ربّه كلمات**﴾ قال: سأله بحق محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة صلى الله عليهم[5].

---

(١) سورة غافر : ٧. (٢) سورة الزمر : ٤٥. (٣) الكافي: ٨ / ٢٥٣.
(٤) سورة البقرة : ٣٧. (٥) الكافي: ٨ / ٢٥٣.

* **الشرح :**

(في قول الله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات ـ اه) أي استقبلها بالأخذ والقبول حين علمها بالوحي أو الإلهام والتنكير للتعظيم والظاهر أن الواو في قوله «وبحمدك» للحال أي وأنا متلبس بحمدك على التوفيق على التنزيه أو على إعطاء هذه الكلمات أو في جميع الأحوال وفيها اعتراف بالتقصير وطلب المغفرة لايستلزم لأن العفو عن الذنوب لا يستلزم القرب وهذه الرواية لا ينافيها الأخرى لجواز تعدد السبب لشيء واحد على أن التوسل بهؤلاء الطاهرين سبب لاستجابة الدعاء المذكور كما روي أن الدعاء المقرون به لا يرد.

* **الأصل :**

٤٧٣ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى؛ وعلي بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب الخزّاز، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض التفت فرأى رجلاً يزني فدعى عليه فمات، ثم رأى آخر فدعى عليه فمات حتى رأى ثلاثة فدعى عليهم فماتوا، فأوحى الله عزّ ذكره إليه: يا إبراهيم إنّ دعوتك مجابة فلا تدع على عبادي فإنّي لو شئت لم أخلقهم، إنّي خلقت خلقي على ثلاثة أصناف: عبداً يعبدني لا يشرك بي شيئاً فأثيبه، وعبداً يعبد غيري فلن يفوتني، وعبداً عبد غيري فأُخرج من صلبه من يعبدني، ثمّ التفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء ونصفها في البرّ، تجيء سباع البحر فتأكل ما في الماء، ثم ترجع فيشدّ بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً وتجيء سباع البر فتأكل منها، فيشدّ بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً فعند ذلك تعجّب إبراهيم عليه السلام ممّا رأى وقال: ﴿**ربّ أرني كيف تحيي الموتى**﴾ قال: كيف تخرج ما تناسل التي أكل بعضها بعضاً ؟ ﴿**قال أولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾ يعني حتى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلها ؟ ﴿**قال: فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثمّ أجعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً**﴾[1] فقطّعهن واخلطهنّ كما اختلطت هذه الجيفة في هذا السباع التي أكل بعضها بعضاً، فخلط ثم [ا]جعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً، فلمّا دعاهنَّ أجبنه وكانت الجبال عشرة[2] .

* **الشرح :**

(لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) الملكوت: فعلوت من الملك والتاء للمبالغة والمراد برؤيتها رؤية تفاصيلها ومشاهدة عجائبها وبدائعها الدالة على كمال القدرة والربوبية (إني

---

(١) سورة البقرة : ٢٦. (٢) الكافي: ٨ / ٢٥٣.

خلقت خلقي على ثلاثة أصناف عبداً يعبدني) عبداً بالنصب بدل عن خلقي وتقدير الناصب له بعيد (ثم التفت فرأى جيفة على ساحل البحر) هذا السبب للسؤال الآتي ذكره الحسن وقتادة وعطاء وابن جريج. وقال ابن جريج: وكانت الجيفة حماراً، وقال عطاء: رآها في ساحل بحيرة طبرية وقيل: السبب أن نمرود لما قال: أنا احيي وأميت، قتل واحداً وأطلق آخر، قال له إبراهيم عليه السلام: إن إحياء الله تعالى يرد الروح إلى الأبدان بعد الموت، فقال نمرود: هل عاينته؟ فلم يقدر أن يقول: نعم فانتقل إلى جواب آخر ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب إن سئل عنه مرة أخرى (قال: كيف تخرج ما تناسل التي أكل بعضها بعضاً) نسل ولد كانسسل وتناسلوا أنسل بعضهم بعضاً. والظاهر أن ما عبارة عن أجزاء تلك الجيفة التي انتقلت من صلب الحيوانات الآكلة إلى أولادها وإنما سأل عن كيفية إخراج تلك الأجزاء عن أولاد الأكلة لا عن الأكلة والمأكولة لأن التعجب فيه أكثر إذ كلما كان الامتزاج والاختلاط أكثر وأكمل كان التميز والتفريق أشد وأشكل ﴿قال أولم تؤمن﴾ بأني قادر على ذلك وإني على كل شيء قدير، قال ذلك مع علمه بأن إيمانه عليه السلام به في غاية الكمال ليجيب بما أجاب ويسمع السامعون غرضه وهو ان يشاهد المعلوم مشاهدة عيان ﴿قال بلى﴾ آمنت ﴿ولكن﴾ سألت ﴿ليطمئن قلبي﴾ بحصول المطلوب عياناً فإن القلب إذا طلب شيئاً ولم يجده اضطرب فإذا وجده اطمأن وهذا أحسن مما قاله بعض المفسرين من أنه يطمئن قلبي بزيادة بصيرة بسبب مضامة العيان لأن بصيرته كانت في غاية الكمال ولم يكن فيها نقص أصلاً حتى يكمل بمشاهدة العيان. وإلى ما ذكرنا أشار عليه السلام بقوله (يعني حتى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلها) حيث دل على أن مقصوده مجرد الرؤية كما في المشبه به وانطباق علمه بالمعلوم وأما علمه بالقدرة ففي الحالين على سواء وإليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» ﴿قال فخذ أربعة من الطير﴾ قيل: طاووساً وديكاً وغراباً وحمامة، وحكي عن ابن عباس نسراً بدل حمامة. قيل فيه إيماء إلى إحياء النفس بالحياة الطيبة الأبدية فإن قتل الطاووس إيماء إلى ترك الزينة، وقتل الديك: إلى ترك الصولة والشهوة، وقتل الغراب: إلى ترك الخسة وبعد الأمل، وقتل الحمامة: إلى ترك الترفع والمسارعة إلى الهوى فإن من أمات هذه الصفات عن نفسه فقد أحياها بحياة طيبة أبدية ﴿فصرهن اليك﴾ أمر من صاره يصوره إذا أماله يعنى أملهن وضمهن اليك لتعرفها بخصوصياتها كيلا تشتبه عليك بعد الإحياء ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً﴾ بينه وبين ما سبق جمل محذوفة بقرينة المقام والكلام ففيه إيجاز الحذف كما في قوله حكاية ﴿فأرسلون * يوسف أيها الصديق﴾ وقد أشار اليها عليه السلام بقوله (فقطعهن واخلطهن) بالدق ونحوه (كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع التي أكل بعضها بعضاً) قال الفاضل: الأمين

الاسترآبادي فيه إشارة إلى أن الخلط في الصورتين على نهج واحد وفيه تنبيه على أن الله تعالى قدر أن لايصير الأجزاء الأصلية لحيوان جزءاً لحيوان آخر وكأنه أراد أنـه لا يـجب إعـادة الفـواضـل وفي بعض الروايات دلالة على إعادتها **﴿فخلط ثم جعل على كـل جـبل مـنهن جـزءاً﴾** وفـي بعض النسخ **﴿ثم اجعل﴾** بصيغة الأمر ولكل وجه كما لا يخفى **﴿ثم ادعهن﴾** وقل لهن: تـعالين بـإذن الله تعالى **﴿يأتينك سعياً﴾** ساعيات مسرعات بالمشي أو الطيران **(فلما دعاهن أجـبنه)** قـيل: إنـه عليه السلام أمسك رؤوسهن ثم ناداهن بعد فعل ما أمر به فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثاً، ثم أقبلن سعياً فانضممن إلى رؤوسهن فصرن كما كن (وكانت الجبال عشرة) قال القاضي: قيل: كانت أربعة، وقيل كانت سبعة.

*** الأصل:**

٤٧٤ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محجوب، عن مالك بن عطيّة، عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الحرّ والبرد ممّا يكونان فقال لي: يا أبا أيّوب إنّ المرّيخ كوكب حارّ[١] وزحل كوكب بارد فإذا بدأ المرّيخ في الإرتفاع انحطّ زحل وذلك في الربيع فلا يزالان كذلك كلما ارتفع المريخ درجة انحطّ زحل درجة ثلاثة أشهر حتىّ ينتهي المرّيخ في الإرتفاع وينتهي زحل في الهبوط فيجلو المرّيخ فلذلك يشتدّ الحرّ فإذا كان في آخر الصيف وأوّل الخريف بدأ زحـل فـي الإرتفاع وبدأ المرّيخ في الهبوط فلا يزالان كذلك كلّما ارتفع زحل درجة انحطّ المريخ درجة حتى ينتهى المريخ في الهبوط وينتهى زحل في الإرتفاع فيجلو زحل وذلك في أوّل الشتاء وآخر الخريف فلذلك يشتدّ البرد وكلّما ارتفع هذا هبط هذا وكلّما هبط هذا ارتفع هذا فإذا كان في الصيف يوم بارد فالفعل في ذلك للقمر وإذا كان في الشتاء يوم حارّ فالفعل في ذلك للشمس هذا تقدير العزيز العليم وأنا عبد ربّ العالمين[٢].

*** الشرح:**

قول: (إن المريخ كوكب حار وزحل كوكب بارد)[٣] وصفها بالحرارة والبرودة إما بـالذات أو باعتبار التسخين والتبريد بالخاصية والتأثير (فإذا بدأ المريخ في الإرتـفاع) فـي التسـخين (انـحط زحل) عن التبريد وليس المراد بالارتفاع والانحطاط المـيل إلى الشـمال والجـنوب ولا الطـلوع والغروب (وذلك في الربيع) عند بلوغ الشمس أول الحمل وميلها إلى الشمال من معدل النهار إذ حينئذ ينضم تسخينه إلى تسخين الشمس وتتدرج يوماً فيوماً (فلا يزالان كذلك) يرتفع المريخ

---

١ ـ يأتى بيانه تحت رقم ٥٠٧. (٢) الكافي: ٨ / ٢٥٤. ٣ ـ يأتي بيانه تحت رقم ٥٠٧.

في التسخين ينحط زحل عن التبريد كما أشار إليه (كلما ارتفع المريخ درجة) من التسخين انحط زحل درجة من التبريد إلى (ثلاثة أشهر) وحينئذ تصل الشمس إلى الانقلاب الصيفي أول السرطان وهو غاية الميل عن معدل النهار ونهاية تسخين الشمس والمريخ كما أشار إليه بقوله (حتى ينتهي المريخ في الارتفاع) ويبلغ تسخينه حد الكمال (وينتهي زحل حينئذ في الهبوط) من التبريد ويبلغ غاية النقصان فيه (فيجلو المريخ) في التسخين لأنه حينئذ في حد الكمال منه (فلذلك يشتد الحر) لكمال سببه بلا معارض ولما فرغ عن بيان سبب الحر أشار إلى سبب البرد بقوله «فإذا كان في آخر الصيف وأول الخريف» عن بلوغ الشمس في أول الميزان وميلها إلى الجنوب وبعدها عن سمت رأس البلدان (بدأ زحل في الارتفاع) في التبريد (وبدأ المريخ في الهبوط) من التسخين (فلا يزالان كذلك كلما ارتفع زحل درجة) من التبريد (انحط المريخ درجة) من التسخين (حتى ينتهي المريخ في الهبوط) ويبلغ غاية النقصان في التسخين (وينتهي زحل في الارتفاع) في التبريد ويبلغ غاية الكمال فيه (فيجلو زحل) في التبريد لأنه حينئذ في حد الكمال منه (وذلك في أول الشتاء وآخر الخريف) عند بلوغ الشمس أول الجدي وغاية بعدها عن سمت الرأس (فلذلك يشتد البرد) لكمال سببه بلا معارض (وكلما ارتفع هذا هبط هذا وكلما هبط هذا ارتفع هذا) هذا تأكيد لجميع ما تقدم والمراد بالارتفاع والهبوط، الارتفاع والهبوط في التأثير كما ذكرنا ولما كان ههنا سؤال أشار إلى جوابه بقوله (فإذا كان في الصيف يوم بارد فالفعل في ذلك للقمر) لأنه بارد كما مرَّ لا للشمس والمريخ وهو ظاهر ولا لزحل لأنه حينئذ مغلوب فلا يصير غالباً (وإذا كان في الشتاء يوم حار فالفعل في ذلك للشمس) لا لزحل وهو ظاهر ولا للمريخ لأنه مغلوب له وأما تأثير الشمس في ذلك اليوم دون غيره من الأيام فلجواز زوال المانع مع تأثيرها فيه ووجوده في غيره غير البعد المشترك في الجميع (هذا تقدير العزيز العليم) بأحوال العباد والبلاد ومصالحهم فقدر نظام العالم بذلك لتحقق الفصول، وفوائد الفصول كثيرة لا يسع المقام ذكرها (وأنا عبد رب العالمين) فيه إظهار العجز والمسكنة وغاية التذلل والانقياد هذا الذي ذكرناه من باب الاحتمال وإنما لم نحمله على ظاهره الدال على أن الحرارة والبرودة منهما فقط لا من الشمس بسبب القرب والبعد وعلى تساويهما في الحركة و تقابلهما في الوضع ودورهما في سنة لأن الكل مناف لما هو المقرر عند الرياضيين اذ حركة التدوير للأول في يوم سبعة وعشرون دقيقة وللثاني سبعة وخمسون دقيقة وحركة الحامل للأول إحدى وثلاثون دقيقة وللثاني دقيقتان فلا تساوي ولا تقابل ولا دورة في سنة فيهما لا باعتبار حركة التدوير ولا باعتبار حركة الحامل وزيادة تداوير أو خارج مركز لكل منهما مع اعتبار حركة للزائد على وجه توافق مجموع حركته وحركة المزيد عليه حركة خارج مركز الشمس

وهي في كل يوم تسعة وخمسون دقيقة ليتحقق المساواة في الحركة وحركة المزيد عليه ويتم الدورة في سنة مناف للمحسوس والمرصود ومع ذلك لا يرفع الاختلاف بالكلية فليتأمل فإنه دقيق جداً.

٤٧٥ ـ عدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبدالله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ من أحبّك ثم مات فقد قضى نحبه ومن أحبّك ولم يمت فهو ينتظر وما طلعت شمس ولا غربت إلاّ طلعت عليه برزق وإيمان ـ وفي نسخة نور.

٤٧٦ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيأتي على أمّتي زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا ولا يريدون به ما عند الله ربّهم، يكون دينهم رياء، لايخالطهم خوف، يعمّهم الله منه بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم.

حديث الفقهاء والعلماء

* **الأصل :**

٤٧٧ ـ عنه، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كانت الفقهاء والعلماء إذا كتب بعضهم إلى بعض كتبوا بثلاثة ليس معهن رابعة، من كانت همّته آخرته كفاه الله همّه من الدنيا ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن أصلح فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ أصلح الله تبارك وتعالى فيما بينه وبين الناس(١) .

* **الشرح :**

(حديث الفقهاء والعلماء) العالم أعم من الفقيه باعتبار أن الفقه يتعلق بالأحكام والعلم يتعلق بها وبغيرها، أو باعتبار أن الفقه في عرف المحدثين المتقدمين كما صرح به جماعة من المحققين بصيرة قلبية تامة في الدين تابعة للإدراك توجب الميل إلى الآخرة ورفض الدنيا ومقت أهلها في ذات الله تعالى والعلم أعم منها ومن الإدراك وإن أريد بالعلم أيضاً في عرفهم تلك البصيرة كما صرح به بعض الأكابر كانت بينهما مساواة والعطف للتفسير، ثم المراد بهم إما فقهاء هذه الأمة وعلمائهم أو الأعم الشامل للأمم السابقة (من كانت همته آخرته كفاه الله همه من الدنيا) الهمة بالكسر وتفتح: ما هم به ليفعل، وفي بعض النسخ «من كان همه» وهو الحزن والقصد يعني من كان حزنه بأمر الآخرة وقصده إليه وجدّ في تحصيله كفاه الله همه ومؤونته من الدنيا، نعم من كان لله كان الله له ومن أقبل إلى ما يحب الله أقبل الله إلى ما يحبه (ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته) إصلاح السريرة: وهو تنزيه القلب عن الرذائل وتزيينه بالفضائل وربطه بالعقائد الحقة يوجب صلاح الظاهر لأن الظاهر تابع للباطن ولو صدر منه مالا ينبغي نادراً أو مال إليه أصلح الله له بالعفو والتفضل ووفقه للصرف عنه (ومن أصلح فيما بينه وبين الله عز وجل أصلح الله تبارك وتعالى فيما بينه وبين الناس) إصلاح الأول هو الإمتثال بأوامره وزواجره وآدابه ومن داوم عليه أصلح الله تعالى بينه وبين الناس وصرف قلوبهم إليه بالمحبة له والإيتان بما فيه نظام حاله ألاترى أن عبدك إذا كان في رعاية حقوقك وامتثال أمرك دائماً تأمر سائر عبيدك بالمحبة له ورعاية حقوقه ولو صدرت منه بادرة بالنسبة إليهم تطلب منهم العفو عنه والرضى منه.

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٥٥.

واعلم أن هذه الكلمات الجزيلة مشتملة على جميع أنواع الفضيلة الدنيوية والأخروية والعقلية والعملية ولذلك داوم على مكاتبتها الفقهاء والعلماء وليس المقصود من نقل مكاتبتهم مجرد الأخبار بل الحث على الأسوة بهم في العلم والعمل.

*** الأصل:**

٤٧٨ ـ الحسين بن محمد الأشعري، عن معلّى بن محمد، عن علي بن أسباط، عن سعدان بن مسلم، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رجل بالمدينة يدخل مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فقال: اللّهمّ آنس وحشتي وصل وحدتي وارزقني جليساً صالحاً، فإذا هو برجل في أقصى المسجد فسلّم عليه وقال له: من أنت يا عبد الله فقال: أنا أبو ذر، فقال الرجل: الله أكبر، الله أكبر، فقال أبو ذر: ولم تكبّر يا عبد الله ؟ فقال إني دخلت المسجد فدعوت الله عزّ وجلّ أن يؤنس وحشتي وأن يصل وحدتي وأن يرزقني جليساً صالحاً. فقال له أبو ذر: أنا أحقّ بالتكبير منك إذ كنت ذلك الجليس فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا وأنتم على ترعة يوم القيامة حتى يفرغ الناس من الحساب قم يا عبد الله فقد نهى السلطان عن مجالستي(١).

*** الشرح:**

(أنا وأنتم على ترعة يوم القيامة حتى يفرغ الله من الحساب) الترعة: كالقرعة في الأصل الروضة على المكان المرتفع خاصة فإذا كانت في المطمئن فهي روضة وفيه دلالة على أنه ليس على خواص الشيعة حساب وعليه روايات أخر مرَّ ذكر بعضها.

*** الأصل:**

٤٧٩ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلّي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيأتي على الناس زمانٌ لا يبقى من القرآن إلاّ رسمه ومن الإسلام إلاّ اسمه، يسمّون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شرُّ فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود(٢).

*** الشرح:**

(قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلّا رسمه ومن الإسلام إلّا سمه ـ اه) ماأخبر به صلى الله عليه وآله من باب الإعجاز فإنه أخبر بما سيقع وقد وقع زمان موته صلى الله عليه وآله إلى الآن مو عين ذلك الزمان إذ أكثر الصحابة ومن بعدهم من المخالفين وفقهائهم إلى يومنا هذا موصوفون

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٥٥. (٢) الكافي: ٨ / ٢٥٦.

بالصفات المذكورة ومنهم خرجت الفتنة و الضلالة والإضلال وإليه تعود ثمرتها بعد هذه الدار بل لا يبعد أن يدخل في الذم من كان في زماننا هذا من الشيعة وعلمائهم فإن كلهم راغبون عن أمر الآخرة مائلون إلى الدنيا والفتنة، ساعون إلى الجبابرة والظلمة، لا يعملون بما في القرآن ويظهرون الإسلام باللسان وقلوبهم مملؤة من نفاق المؤمنين وصدورهم محشوة بعداوة المسلمين إلا من شذ وقليل ماهم والله هو المستعان.

*** الأصل:**

٤٨٠ ـ الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط، عن محمد بن الحسين بن يزيد قال: سمعت الرضا عليه السلام بخراسان وهو يقول: إنّا أهل بيت ورثنا العفو من آل يعقوب وورثنا الشكر من آل داود ـ وزعم أنّه كان كلمة أخرى ونسيها محمد ـ فقلت له: لعلّه قال: وورثنا الصبر من آل أيّوب ؟ فقال: ينبغي.

قال علي بن أسباط: وإنّما قلت ذلك لأني سمعت يعقوب بن يقطين يحدّث عن بعض رجاله قال: لمّا قدم أبو جعفر المنصور المدينة سنة قتل محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن إلتفت إلى عمّه عيسى بن علي فقال له: يا أبا العباس إنّ أمير المؤمنين قد رأى أن يعضد شجر المدينة وأن يعوّر عيونها وأن يجعل أعلاها أسفلها،فقال له: يا أمير المؤمنين هذا ابن عمّك جعفر بن محمد بالحضرة فابعث إليه فسله عن هذا الرأي، قال: فبعث إليه فأعلمه عيسى فأقبل عليه فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ داود عليه السلام أُعطي فشكر وإنّ أيّوب عليه السلام ابتلي فصبر، وإنّ يوسف عليه السلام عفا بعد ما قدر، فاعف فإنّك من نسل أولئك[1] .

*** الشرح:**

قوله: (وأن يعور عيونها) في النهاية: هو من عورت الركية واعرتها وعرتها إذا طمستها و سددت أعينها التي ينبع منها الماء. وفي القاموس عاره يعوره ويعيره أتلفه وفي بعض النسخ يغور بالغين المعجمة من التغوير وهو إذهاب الماء عن وجه الأرض.

*** الأصل:**

٤٨١ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن زرعة بن محمد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجلّ: **﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾** فقال: كانت اليهود تجد في كتبها أنّ مهاجر محمد صلى الله عليه وآله ما بين عير

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٥٦.

وأُحد فخرجوا يطلبون الموضع فمرّوا بجبل يسمّى حداد فقالوا: حداد وأُحد سواء فتفرّقوا عنده، فنزل بعضهم بتيماء وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر، فاشتاق الّذين بتيماء إلى بعض إخوانهم فمرّ بهم أعرابيٌّ من قيس فتكاروا منه وقال لهم: أمرّ بكم ما بين عير وأُحد، فقالوا له: إذا مررت بهما فآذنّا بهما فلمّا توسّط بهم أرض المدينة قال لهم: ذاك عير وهذا أُحد فنزلوا عن ظهر إبله. وقالوا: قد أصبنا بغيتنا فلا حاجة لنا في إبلك فاذهب حيث شئت وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر: إنّا قد أصبنا الموضع فهلمّوا إلينا. فكتبوا إليهم: إنّا قد استقرّت بنا الدّار واتّخذنا الأموال وما أقربنا منكم فإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم فاتّخذوا بأرض المدينة الأموال فلمّا كثرت أموالهم بلغ تبّع فغزاهم فتحصّنوا منه فحاصرهم وكانوا يرقّون لضعفاء أصحاب تبّع فيلقون إليهم بالليل التمر والشعير فبلغ ذلك تبّع فرقّ لهم وآمنهم فنزلوا إليه فقال لهم: إنّي قد استطبت بلادكم ولا أراني إلاّ مقيماً فيكم فقالوا له: إنّه ليس ذاك لك، إنّها مهاجر نبيٍّ وليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك. فقال لهم: إنّي مخلّف فيكم من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره فخلّف حيّين: الأوس والخزرج فلمّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود وكانت اليهود تقول لهم: أما لو قد بعث محمد ليخرجنّكم من ديارنا وأموالنا فلمّا بعث الله عزّ وجلّ محمداً ﷺ آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود وهو قول الله عزّ وجلّ: **﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾**(1) .

*** الشرح :**

قوله: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ـ اه) الاستفتاح: الاستنصار ومهاجر بضم الميم وفتح الجيم موضع للهجرة ومكان لها، وعير بالفتح: اسم جبل بالمدينة، وتيماء: موضع قريب من المدينة، والبغية بالكسر: المطلوب، وتبع: ملك في الزمان الأول، قيل اسمه أسعد أبو كرب، والتبابعة: ملوك اليمن، قيل: كان لا يسمى تبعاً حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير، وأسرة الرجل: رهطه الأدنون.

*** الأصل :**

٤٨٢ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن إسحاق بن عمّار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: **﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾**(2) قال: كان قوم فيما بين محمد وعيسى صلى الله عليهما وكانوا يتوعّدون أهل الأصنام

---

(1) الكافي: ٨ / ٢٥٧.   (2) سورة البقرة : ٨٩.

بالنبي ﷺ ويقولون: ليخرجنّ نبيّ فليكسّرنّ أصنامكم وليفعلنّ بكم [وليفعلنّ] فلمّا خرج رسول الله ﷺ كفروا به(١).

* **الشرح:**

قوله: (كان قوم فيما بين محمد وعيس ﷺ) كأنهم المذكورون مع احتمال غيرهم لكثرة أهل الاستفتاح قبل البعثة.

* **الأصل:**

٤٨٣ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي أيّوب الخزّاز، عن عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة والسفياني والخسف وقتل النفس الزكيّة واليماني، فقلت جعلت فداك إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات أنخرج معه؟ قال: لا فلمّا كان من الغد تلوت هذه الآية **﴿إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين﴾**(٢) فقلت له: أهي الصيحة؟ فقال: أما لو كان خضعت أعناق أعداء الله عزّ وجلّ(٣).

* **الشرح:**

قوله: (خمس علامات قبل قيام القايم عليه السلام - اه) العلامات كثيرة وقد مرت هذه الخمسة وعدَّة أخرى قبل ذلك ولعل المراد بالنفس الزكية الحسني المذكور سابقاً والمنادي الأول ملك والثاني شيطان ويفرق بينهما من كان يؤمن بولاية الصاحب قبل ومن شاء الله أن يهديه كما مر.

٤٨٤ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمد بن عليّ الحلبيّ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اختلاف بني العبّاس من المحتوم والنداء من المحتوم وخروج القائم من المحتوم، قلت: وكيف النداء؟ قال: ينادي مناد من السماء أوّل النهار، ألا إنّ عليّاً وشيعته هم الفائزون، قال: وينادي مناد [في] آخر النهار، ألا إنّ عثمان وشيعته هم الفائزون.

* **الأصل:**

٤٨٥ - عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن محمد بن سنان عن زيد الشحّام قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة فقال: هكذا يزعمون فقال أبو جعفر عليه السلام: بلغني أنّك تفسّر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم فقال له أبو

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٥٧. (٢) سورة الشعراء: ٤. (٣) الكافي: ٨ / ٢٥٨.

جعفر عليه السلام: بعلم تفسّره أم بجهل ؟ قال لا، بعلم. فقال له أبو جعفر عليه السلام: فإن كنت تفسّره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك، قال قتادة: سل، قال: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ في سبأ **﴿وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأيّاما آمنين﴾**(١) فقال قتادة: ذلك من خرج من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت كان آمناً حتى يرجع إلى أهله، فقال أبو جعفر عليه السلام: نشدتك الله يا قتادة هل تعلم أنّه قد يخرج الرَّجل من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه ؟ قال قتادة: اللّهم نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن كنت إنّما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، ويحك يا قتادة ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفاً بحقّنا يهوانا قلبه كما قال الله عزّ وجلّ: **﴿واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾**(٢) ولم يعن البيت فيقول: إليه، فنحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام التي من هوانا قلبه قبلت حجته وإلاّ فلا، يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيامة، قال قتادة: لا جرم والله لا فسّرتها إلاّ هكذا، فقال أبو جعفر عليه السلام ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به.(٣)

*** الشرح :**

(فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت ـ اه) أي أنت المفسر الذي يجوز له التفسير والرجوع إليه والحاصل أنت كامل في العلم وفي هذا الخبر دلالة على أن متشابهات القرآن بل متشابهات الأحاديث أيضاً وجب ردها إلى أهل الذكر عليهم السلام ولا يجوز التفسير بما استحسنه الرأي واختلف مخالفونا فبعضهم قال: وجب الرد إلى الله سبحانه وذهب معظم المتكلمين إلى أنها تصرف عن ظاهرها المحال ثم تأول على ما يليق ويقتضيه الحال.

*** الأصل :**

٤٨٦ ـ علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن مفضّل بن صالح عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: أخبرني الروح الأمين أنَّ الله لا إله غيره إذا وقف الخلائق وجمع الأولين والآخرين أُتي بجهنم تقاد بألف زمام أخذ بكلّ زمام مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد ولها هدّة وتحطم وزفير وشهيق. وإنها لتزفر الزفرة فلولا أن الله عزّ وجلّ أخّرها إلى الحساب لأهلكت الجميع، ثمّ يخرج منها عنق يحيط بالخلائق البرّ منهم والفاجر فما خلق الله عبداً من عباده ملك ولا

---

(١) سورة سبأ : ١٨. (٢) سورة ابراهيم : ٣٧ . (٣) الكافي: ٨ / ٢٥٨.

نبي إلّا وينادي يا ربّ نفسي نفسي، وأنت تقول: يا ربّ أُمتي أُمتي ثم يوضع عليها صراط أدقّ من الشعر وأحدُّ من السيف، عليه ثلاث قناطر: الأُولى: عليها الأمانة والرحمة، والثانية: عليها الصلاة، والثالثة: عليها ربّ العالمين لا إله غيره فيكلّفون الممر عليها فتحبسهم الرحمة والأمانة فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين جلّ ذكره وهو قول الله تبارك وتعالى: **﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾** والناس على الصراط فمتعلّق تزلُّ قدمه وتثبت قدمه، والملائكة حولها ينادون يا كريم يا حليم اعف واصفح وعد بفضلك وسلّم، والناس يتهافتون فيها كالفراش فإذا نجا ناج برحمة الله تبارك وتعالى نظر إليها فقال: الحمد لله الذي نجّاني منك بعد يأس بفضله ومنّه إنّ ربّنا لغفور شكور[1].

*** الشرح:**

(أتي بجهنم تقاد بألف زمام أخذ بكل زمام مائة ألف ملك ـ اه) كما قال عز وجل **﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾** وقال **﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾** قال القاضي وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام ألف ملك يجرونها، والزمام بالكسر: ما يزم به من زمه إذا شدّه، والهدة: صوت ما يقع من السماء مثل الرعد، والتحطم: التلظي والتلهب، والزفير: إخراج النفس بعد مدة، والشهيق: رده، والعنق من الشيء: قطعة منه ونفسي منصوب بفعل مقدر أي احفظ أو أخلص أو أنج نفسي والتكرير للمبالغة، والصراط لغة: الطريق، وعرفاً: جسر يضرب على ظهر جهنم يمر الناس عليه إلى الجنة فينجوا المؤمنون على كيفيات مختلفة وهيآت متفاوتة ويسقط المنافقون والكافرون واتفقوا على حمله على ظاهره بدون تأويل وظاهر قوله (ثم وضع) أنه يخلق الوقت الموعود وقيل: يحتمل أنه خلق مع جهنم والوضع كناية عن الإذن على المرور والرحمة والأمانة معروفتان، وقيل: الأولى: الرسالة، والثانية: الولاية لقوله تعالى **﴿وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾** وقوله تعالى **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات﴾**[2] وتخصيص الصلاة بالذكر لأنها عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها، أو لأن سائر الفرائض الضرورية مندرجة فيها، والمرصاد: الطريق والمكان الذي تترصد فيه عدوك، والتهافت: التساقط، والفراش بالفتح: ما يسقط على السراج.

*** الأصل:**

٤٨٧ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي خالد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ **﴿فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت،**

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٥٩. (٢) سورة الأحزاب : ٧٢.

بكم الله جميعاً﴾[١] قال: الخيرات الولاية وقوله تبارك وتعالى:**﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾** يعنى أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً، قال: وهم ـ والله ـ الأمّة المعدودة قال: يجتمعون والله في ساعة واحدة قزع كقزع الخريف[٢] .

*** الشرح :**

(وهم والله الأمة المعدودة) في قوله تعالى **﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة﴾** جماعة قليلة (ليقولن ما يحبسه) أي ما يمنع وقوعه «ألا يوم يأتيهم» وهو يوم ظهور الصاحب عليه السلام «وليس مصروفاً عنهم» أي ليس العذاب مدفوعاً عنهم «وحاق بهم» أي أحاط العذاب بهم «ما كانوا به يستهزؤن» من وجوده وظهوره عليه السلام وقال بعض المفسرين: أريد به عذاب يوم بدر وتفسيره عليه السلام أولى بالاتباع على أنه لا منافاة بينهما لأن الآية الواحدة قد يتضمن وجوهاً كثيرة.

(قزع كقزع الخريف) القزع بالتحريك: السحاب المتقطع والواحدة بهاء، وخصه بالخريف لأنه أسرع فيه حركة واجتماعاً.

*** الأصل :**

٤٨٨ ـ عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن منذر بن جعفر، عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سيروا البردين ؟ قلت: إنّا نتخّوف من الهوامّ، فقال: إن أصابكم شيء فهو خير لكم مع أنّكم مضمونون[٣] .

*** الشرح :**

(سيروا البردين ـ اه) البردان والأبردان: الغداة والعشي، وقيل: ظلاهما ويحتمل السحر والغداة، والهوام بالتشديد: الأسد وبالتخفيف: جمع هامة وهي كل ذات سم يقتل، ولما أظهر السائل الخوف من الهوام في البردين رغب عليه السلام في السير فيهما بأن المصاب مأجور والمسافر في ضمان الله تعالى وحمايته ولعل المراد بالخوف توهمه وإلا فالاجتناب واجب لدلالة الآية والرواية عليه.

*** الأصل :**

٤٨٩ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالسفر بالليل فإنّ الأرض تطوى بالليل[٤] .

---

(١) سورة البقرة : ٤٨

(٢) الكافي: ٨ / ٢٦٠. (٣) الكافي: ٨ / ٢٦٠. (٤) الكافي: ٨ / ٢٦٠.

* **الشرح:**

قوله: (فإن الأرض تطوى بالليل) أي في آخره كما سيجيء.

* **الأصل:**

٤٩٠ ـ عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران عن سيف بن عميرة، عن بشير النبّال، عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يقول الناس تطوى لنا الأرض بالليل كيف تطوى ؟ قال: هكذا ـ ثم عطف ثوبه [(١)] ـ

* **الشرح:**

(كيف تطوى ؟ قال: هكذا ثم عطف ثوبه) ظاهره أن الطي محمول على الحقيقة ولا بعد فيه لأنه ممكن والله سبحانه قادر على الممكنات. ومن ثم ذهب جمع إلى تحقق القبض والبسط في المكان والزمان وأن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فقد يكون قبض بالنسبة إلى شخص وبسط بالنسبة إلى آخر في زمان واحد ومكان واحد ولابد أن يقع ذلك وإن استبعده الوهم لعدم المشاهدة فيما إذا دفن ميتان في قبر واحد في آن وحد يستحق أحدهما الضغطة دون الآخر والتأويل محتمل بعيد.

٤٩١ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الأرض تطوى في آخر الليل.

* **الأصل:**

٤٩٢ ـ عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى عن أبي أيوب الخزّاز قال: أردنا أن نخرج فجئنا نسلّم على أبي عبدالله عليه السلام فقال: كأنّكم طلبتم بركة الاثنين ؟ فقلنا: نعم، فقال: وأيّ يوم أعظم شؤماً من يوم الاثنين يوم فقدنا فيه نبينا وارتفع الوحي عنّا، لا تخرجوا واخرجوا يوم الثلاثاء[(٢)].

* **الشرح:**

(وأي يوم أعظم شؤماً من الاثنين ـ اه) دل على كراهة السفر وغيره من الأفعال المحدثة يوم الاثنين وإن كان لابد فليتصدق كما مر.

* **الأصل:**

٤٩٣ ـ عنه، عن بكر بن صالح، عن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: الشوم

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٢٦٠. (٢) الكافي: ٨ / ٢٦١.

للمسافر في طريقه خمسة أشياء: الغراب الناعق عن يمينه والناشر لذنبه، والذئب العاوي الذي يعوي في وجه الرّجل وهو مقع على ذنبه يعوي ثمَّ يرتفع ثم ينخفض ثلاثاً، والظبي السانح من يمين إلى شمال، والبومة الصارخة والمرأة الشمطاء تلقاء فرجها، والأتان العضباء يعني الجدعاء فمن أوجس في نفسه منهنّ شيئاً فليقل: «اعتصمت بك يا ربّ من شرّ ما أجد في نفسي» قال: فيعصم من ذلك[1].

* **الشرح:**

(الشؤم للمسافر في طريقه خمسة أشياء) في التفصيل سبعة ويمكن عد الأولين واحداً وكذا الأخيرين، وعدّ هذه الأشياء شؤماً باعتبار أن العرب كانوا يتشأمون به لا أنها شؤم ولها تأثير في نفس الأمر لما في بعض الروايات من إبطال حكم الطيرة ويدل عليه أيضاً قوله «فمن أوجس في نفسه منهن شيئاً فليقل اعتصمت بك يا رب من شر ما أجد في نفسي فيعصم من ذلك» إشارة إلى أن هذه الأشياء من الإيجاس ربما له تأثير في الجملة ويدل عليه أيضاً بعض الروايات، والوجس: فزعة القلب وأوجس في نفسه خيفة أي أضمر وأحس (الغراب الناعق عن يمينه) قيل: لما قدم كثير عزة من الحجاز لزيارة عزة بالشام أو بمصر فمر بغراب على شجرة ينعق وينتف ريشه فتطير بذلك فلما دخل وجد الناس منصرفين من جنازة عزة (والناشز لذنبه) عطف على الناعق فهو وصف آخر للغراب فهما في الحقيقة واحدة وفي الفقيه «والكلب الناشر لذنبه» (والذئب العاوي) العواء بالضم والمد: صوت السباع وكأنه بالذئب والكلب أخص، يقال: عوى يعوي عواء فهو عاو (والظبي السانح من يمين الى شمال) في بعض النسخ السائح بالياء المثناة من تحت وفي بعضها بالنون فهو على الثاني من ساح إذا جرى وذهب وعلى الأول من سنح للظبى إذا برح من اليمين إلى الشمال (والبومة الصارخة) البوم والبومة بضمهما طائر كلاهما للذكر والأنثى فيشملهما هنا (والمرأة الشمطاء تلقاء فرجها)مواجهة بوجهها وفرجها وفي المغرب، الشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده ولا يقال للمرأة شيباء ولكن شمطاء، وقيل: هو بياض شعر الرأس في مكان واحد والباقي أسود (والأتان العضباء يعنى الجدعاء) الأتان بالفتح: الحمار يقع على الذكر والأنثى والأتانة وإن كانت قليلة تقع على الأنثى خاصة، والجدع كالمنع بالجيم والدال المهملة: قطع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة جدعه فهو أجدع وهي جدعاء وهاتان واحدة من الخمسة ولذلك قال بعض العلماء: الواو في قوله والأتان بمعنى أن الشمطاء شوم إذا كانت مصاحبة مع الأتان.

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٦١.

* **الأصل:**

٤٩٤ ـ محمد بن يحيى، عن سلمة بن الخطّاب، عن عبد الله، عن محمد بن سنان عن عبد الله ابن القاسم، عن عمرو بن أبي المقدام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى زيّن شيعتنا بالحلم وغشّاهم بالعلم لعلمه بهم قبل أن يخلق آدم عليه السلام[١].

* **الشرح:**

(إن الله تبارك وتعالى زين شيعتنا بالحلم وغشاهم بالعلم ـ اه) لعل المراد أن الشيعة لما كانوا العلم الأزلي من خواصه تبارك وتعالى وأوليائه وكانت قلوبهم صافية بنور الله جعل الحلم والعلم زينة لهم كالحلي واللباس الفاخرة للصور الحسنة وعلى هذا لايردأن غير الشيعة أيضاً قد يتصف بالحلم والعلم لأن ذلك ليس زينهم بل هو كتعليق الجواهر على أعناق الخنازير.

* **الأصل:**

٤٩٥ ـ أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعاً، عن ابن فضّال، عن ثعلبة بن ميمون، عن عمر بن أبان، عن الصباح بن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الرّجل ليحبّكم وما يدري ما تقولون فيدخله الله عزّ وجلّ الجنّة وإن الرّجل ليبغضكم وما يدري ما تقولون فيدخله الله عزّ وجلّ النار. وإنّ الرجل منكم لتملأ صحيفته من غير عمل، قلت: وكيف يكون ذلك؟ قال: يمرُّ بالقوم ينالون منّا فإذا رأوه قال بعضهم لبعض: كفّوا فانّ هذا الرجل من شيعتهم فيمرّ بهم الرجل من شيعتنا فيهمزونه ويقولون فيه فيكتب الله له بذلك حسنات حتى يملأ صحيفته من غير عمل[٢].

* **الشرح:**

(إن الرجل ليحبكم ولا يدري ما تقولون فيدخله الله عز وجل الجنة) كان المراد من يحب الشيعة للتشيع أولاً من هذه الحيثية ولا يعرف الحق والولاية ولا ينكرهما وهو المراد بقوله ولا يدري ما يقولون يدخل الجنة، أما الأول فإنه داخل في المستضعفين من الشيعة وهم يدخلون الجنة، وأما الثاني فلأنه داخل في المستضعفين من أهل الإسلام وهم وإن كانوا في المشيئة إلّا أنه بسبب هذه المحبة يدخلون الجنة وإن الرجل ليبغضكم (ولا يدري ما تقولون فيدخله الله عز وجل النار) أي يبغضكم من أجل التشيع أولاً من أجله والأول ناصبى يدخل النار، والثاني مستضعف يدخلها بسبب البغض.

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٦١. (٢) الكافي: ٨ / ٢٦١.

* **الأصل:**

٤٩٦ ـ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن أبي الجهم عن أبي خديجة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: كم بينك وبين البصرة قلت: في الماء خمس إذا طابت الرّيح وعلى الظهر ثمان ونحو ذلك؛ فقال: ما أقرب هذا؟ تزاوروا ويتعاهد بعضكم بعضاً فانّه لابدّ يوم القيامة من أن يأتي كلّ إنسان بشاهد يشهد له على دينه. وقال: إنّ المسلم إذا رأى أخاه كان حياة لدينه إذا ذكر الله عزّ وجلّ(١).

* **الشرح:**

قوله: (ما أقرب هذا تزاوروا ويتعاهد بعضكم بعضا ـ اه) حث على وقوع الملاقاة والزيارة والخلطة والتعاهد وتفقد الأحوال وذكر الله تعالى وذكر أوصاف الأئمة عليهم السلام بين المؤمنين وعلى أنه ينبغي أن لا يجعل بعد المقام والمنازل سبباً لترك شيء من ذلك فيا عجباً من أهل عصر يأكل بعضهم لحم بعض في الحضور والغيبة.

* **الأصل:**

٤٩٧ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: والله يحبّنا من العرب والعجم إلاّ أهل البيوتات والشرف والمعدن ولا يبغضنا من هؤلاء إلاّ كلُّ دنس ملصّق(٢).

* **الشرح:**

(والله لا يحبنا من العرب والعجم إلّا أهل البيوتات والشرف والمعدن ـ اه) في المغرب البيوتات جمع البيوت جمع البيت ويختص بالأشراف فعلى هذا عطف الشرف عليها للتفسير ويمكن أن يراد بأحدهما الشرف في النسب وبالآخر الشرف في الحسب، والمعدن كمجلس: في الأصل مركز كل شيء ومكانه الذي فيه أصله ومنبت الجواهر من عدن إذا أقام وثبت ولعل المراد به هنا الأصيل الثابت الأصل الذي لاكلام في أصله، والدنس بكسر النون: الذليل الذي لا قدر له، من الدنس بالتحريك وهو الوسخ، والملصق، هو الرجل المقيم في الحي وليس منهم بنسب ولعل المراد به من ليس له اب ويحتمل أن يكون الصاد بدلاً من السين كما هو المقرر، والملصق كمعظم: الدعي كالغني وهو المتهم في نسبه.

* **الأصل:**

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٦٢. (٢) الكافي: ٨ / ٢٦٢.

٤٩٨ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، والحسين بن سعيد عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: **﴿إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحقّ بالملك منه﴾**[1] قال: لم يكن من سبط النبوّة ولا من سبط مملكة، **﴿قال إنّ الله اصطفاه عليكم﴾** وقال: **﴿إنّ آية ملكه أن يأتيكم التّابوت فيه سكينة من ربّكم وبقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هرون﴾**[2] فجاءت به الملائكة وتحمله وقال الله جلّ ذكره: **﴿إنّ الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منّي ومن لم يطعمه فإنّه منّي﴾**[3] فشربوا منه إلاّ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، منهم من اغترف ومنهم من لم يشرب فلمّا برزوا قال الذين اغترفوا: **﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾** وقال الذين لم يغترفوا: **﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصّابرين﴾**[4][5].

*** الشرح:**

قول: (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) قيل طالوت علم عبري كداود وقيل أصله طولوت فعلوت من الطول سمي به لطول قامته وكان أطول من كل أحد برأسه ومنكبه واسمه بالعبرانية شاول بن قيس، ورد هذا القول بأن منعه من الصرف لتعريفه وعجمته يدفعه **﴿قالوا أنى يكون له الملك علينا﴾** أي من أين وهو استفهام أو استبعاد أو إنكار **﴿ونحن أحق بالملك منه﴾** وراثة ومالاً ومكنة واقتداراً (قال: لم يكن من سبط النبوة ولا من سبط المملكة) لأنه كان من أسباط بنيامين بن يعقوب عليه السلام ولم يكن فيهم النبوة ولا الملك والسلطنة وإنما كانت النبوة في أسباط لاوى والملك في أسباط يهودا ومع ذلك قيل كان فقيراً راعياً أو سقاء يسقي على حمار له أو دباغاً يدبغ الأديم على اختلاف الأقوال فيه، والملكة والمملكة مصدران، يقال: ملكه يملكه ملكاً مثلثة وملكة محركة ومملكة بضم اللام أو تثلث احتواه قادراً على الاستبداد به، وفي الكنز مملكة وملكة «پادشاهي كردن وپادشاه شدن» **﴿قال: إن الله اصطفاه عليكم﴾** أي قال نبيهم إشمويل عليه السلام بعد ما استبعدوا أن يكون طالوت ملكاً لهم لما ذكر أن الله الذي هو عالم بالمصالح الكلية والجزئية، اصطفاه واختاره عليكم لعلمه تعالى بأنه أقدر منكم على إجراء أمور السياسة (وقال نبيهم) حين طلبوا منه آية على أنه تعالى اصطفى طالوت عليهم **﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾** هو فعلوت من التوب: وهو الرجوع لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه كما قيل أو لأنه يرجع من نبي بعد انقضاء مدته إلى آخر،

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٧.
(٢) سورة البقرة: ٢٤٨.
(٣) سورة البقرة: ٢٤٩.
(٤) الكافي: ٨ / ٢٦٢.
(٥) سورة البقرة: ٢٤٩.

قيل: إنه كان صندوقاً من عود الشمشاد ثلاثة أذرع في ذراعين أنزله الله تعالى إلى آدم عليه السلام، وكانت فيه صور الأنبياء وأسماؤهم وأعمارهم وأزمنتهم، ولما مات آدم صار إلى شيث ثم الأنبياء بعده يتوارثون إلى أن بلغ موسى عليه السلام وكان يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه ثم رفعه الله بعد موسى، وقيل: كان بعده في أنبياء بني إسرائيل حتى أفسدوا فغلبهم الكفار عليه فوقع في أرض جالوت فابتلوا بالطاعون فتشأموا به فوضعوه على ثورين فساقتهم الملائكة إلى قوم طالوت (فيه سكينة من ربكم) أي في إتيانه سكون وطمأنينة لكم أو في التابوت ما تسكنون إليه وهو التوراة قيل كان موسى عليه السلام إذا قاتل قدّمه فتسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون وفيه أقوال أخر. (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) قال القاضي: هي رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون، وفي الحواشي القطبية لما رجع موسى من الطور مع الألواح التي فيها التوراة وجد قومه مشتغلين بعبادة العجل فغضب ورماها على الأرض فانكسر بعضها فجمعت تلك القطع وهي رضاض الألواح (فجاءت به الملائكة تحمله بعد رفعه أو بعد وقوعه في أرض الكفار، وفي الآية رمز إلى أن سبط النبي والملك أولى بالملك والخلافة إلّا أن يختار الله تعالى غيره ويتحقق الآية فيه فكيف يجوز رد الملك والخلافة عن أسباط خاتم الأنبياء مع تحقق الاختيار والآية فيهم (وقال الله عز ذكره: إن الله مبتليكم بنهر) أي يعاملكم معاملة المختبر **﴿فمن شرب منه فليس مني﴾** إلّا من اغترف غرفة بيده **﴿ومن لم يطعمه﴾** أي من لم يشرب منه أصلاً أو شرب منه قليلاً واقتصر على ما وقعت فيه الرخصة وهو الغرفة **﴿فإنه مني﴾** أي من أتباعي وأشياعي **﴿فشربوا منه﴾** بالإفراط والتجاوز عن قدر الرخصة فغلب عليهم عطشهم ولم يقدروا أن يمضوا ويعبروا النهر (إلّا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً منهم من اغترف) غرفة بيده على القدر المجوز **﴿ومنهم من لم يشرب﴾** أصلاً **﴿فلما برزوا لجالوت وجنوده﴾** أي اظهروا لهم ودنوا منهم قال الذين اغترفوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لقلتنا وكثرتهم وضعفنا وقوتهم **﴿وقال الذين لم يغترفوا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾** أي

بحكمه ونصره وتيسيره وكم خبرية أو استفهامية **﴿والله مع الصابرين﴾** على الشدائد بالنصر والإعانة والإثابة وتفسيره عليه السلام بذلك رد على عامة المفسرين من المخالفين حيث قالوا في قوله تعالى **﴿قالوا لا طاقة لنا اليوم﴾** راجع إلى الكثير الشاربين زائداً على الرخصة المنخذلين المنقطعين عن طالوت، قالوا ذلك اعتذاراً للتخلف وتخذيلاً للقليل حين كان النهر بينهما.

٤٩٩ ـ عنه، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيّوب عن يحيى الحلبيّ، عن عبد الله بن سليمان، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قرأ «إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربّكم وبقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة»؟ قال: كانت تحمله في

صورة البقرة.

* **الأصل:**

٥٠٠ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عمّن أخبره، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: **﴿يأتيكم التّابوت فيه سكينة من ربّكم وبقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة﴾** قال: رضاض الألواح فيها العلم والحكمة[١].

* **الشرح:**

(رضاض الألواح فيها العلم والحكمة) الرضاض: مارق من الحصى ونحوه ولعل المراد به‌الرضاضة المذكورة، وبالعلم العلم بالشرائع والأخلاق والحكمة أعم منه وكون العطف للتفسير محتمل.

* **الأصل:**

٥٠١ ـ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن ظريف عن عبد الصمد ابن بشير، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال [لي] أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الجارود ما يقولون لكم في الحسن والحسين عليهما السلام؟ قلت: ينكرون علينا أنّهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله قال: بأيّ شيء احتججتم عليهم؟ قلت: احتججنا» عليهم بقول الله عزّ وجل في عيسى ابن مريم عليهما السلام: **﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيّوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين* وزكريّا ويحيى وعيسى﴾** فجعل عيسى بن مريم من ذريّة نوح عليه السلام قال فأيّ شيء قالوا لكم؟ قلت: قالوا قد يكون ولد الابنة من الولد ولا يكون من الصّلب قال: بأيّ شيء احتججتم عليهم قلت: احتججنا عليهم بقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله: **﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾**. قال: فأيّ شيء قالوا؟ قلت: قالوا قد يكون في كلام العرب أبناء رجل وآخر يقول: أبناؤنا. قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الجارود لأعطينّكها من كتاب الله جلّ وتعالى أنّهما من صلب رسول الله صلى الله عليه وآله لا يردّها الاّ الكافر. قلت: وأين ذلك جعلت فداك.

قال: من حيث قال الله تعالى: **﴿حرّمت عليكم أمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم ـ الاية﴾**[٢] إلى أن انتهى إلى قوله تبارك وتعالى: **﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾** فسلهم يا ابا الجارودْ هل كان يحلّ لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتيهما؟ فإن قالوا: نعم كذبوا وفجروا، وإن قالوا لا فهما ابناه لصلبه[٣].

* **الشرح**: قوله: (ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله أي أبناؤه حقيقة من صلبه إذ لا نزاع في

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٦٣. (٢) سورة النساء: ٢٣. (٣) الكافي: ٨ / ٢٦٣.

إطلاق الابن والبنت والولد والذرية على ولد البنت وإنما النزاع في ان هذا الإطلاق من باب الحقيقة أو المجاز فذهب طائفة من أصحابنا منهم السيد المرتضى إلى الأول وذهب طائفة منهم ومنهم الشهيد الثاني وجمهور العامة إلى الثاني، وتظهر الفائدة في كثير من المواضع كإطلاق السيد وإجراء أحكام السيادة والنذر لأولاد الأولاد والوقف عليهم، والظاهر هو الأول للآيات والروايات وأصالة الحقيقة وضعف هذه الرواية بأبى الجارود الزيدي الذي ينسب إليه الفرقة الجارودية لايضر لأن المستمسك هو الآية ودلالة الآيتين الأوليتين على المطلوب ظاهرة والثالثة صريحة واحتمال التجوز غير قادح لإجماع أهل الإسلام على أن ظاهر القرآن لا يترك إلّا بدليل لا يجامعه بوجه وما روي عن الكاظم عليه السلام وهو مستند الشهيد على تقدير صحة سنده حمله على التقية ممكن واستناده باستعمال اللغة غير تام لأن اللغة لا تدل على مطلوبه، قال في القاموس: ولدك من دمى عقبيك أي من نفست به فهو ابنك فليتأمل.

*** الأصل:**

٥٠٢ ـ (لما انهزم الناس يوم أحد) هو الجبل المعروف بالمدينة، قال السهيلي: إنما سمي أحد لتوحده وانقطاعه عن جبل آخر، وكان من حديث غزوة أحد أنه لما قتل ببدر من أشراف قريش إجتمع ناس منهم ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة أن يعينوهم بذلك المال على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله لعلهم يدركوا ثاراً ففعلوا فاجتمع قريش ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة وأبو سفيان قائدهم حتى نزلوا مقابل المدينة في ثلاثة آلاف وكان النبي صلى الله عليه وآله يكره الخروج لما رآه في المنام وأخبرهم بقتل أصحابه وقتل رجل من أهل بيته وقال: نقيم بالمدينة فإن أقاموا أقاموا بشر وإن دخلوا علينا قاتلناهم، واجتمع رأى الأصحاب على الخروج فخرج في ألف حتى إذا كان بين المدينة وأحد رجع أهل النفاق مثل عبد الله بن أبي وأضرابه وهم قريب من ثلث الناس، ثم التهب القتال بينهم وأنزل الله نصره على المسلمين حتى كشفوا العدو عن وجوههم ونهكوهم قتالاً وقلعوهم عن مقامهم فاشتغل المسلمون بالغنيمة ورجع الرماة الحافظون لخلفهم إليهم وقد عهد إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا يفارقوا موضعهم، فعند ذلك دخل خيل العدو على ظهورهم وصرح صارخ أن محمداً قد قتل فانهزم المسلمون، وقيل: كان الصارخ هو الشيطان وكان يوم بلاء وتمحيص للمسلمين وأكرم الله فيه بالشهادة من أكرم ودمي صلى الله عليه وآله بالحجارة حتى أصابه ما أصابه ثم نصره الله تعالى بعلي والملائكة عليهم السلام حتى هزم العدو وقتلوا مخذولين.

العلاء الخفّاف، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا انهزم الناس يوم اُحد عن النبي صلى الله عليه وآله انصرف إليهم

بوجهه وهو يقول: أنا محمد أنا رسول الله لم أُقتل ولم أمت، فالتفت إليه فلان وفلان فقالا: الآن يسخر بنا أيضاً وقد هزمنا وبقي معه عليّ عليه السلام وسماك بن خرشة أبو دجانة رحمه الله فدعاه النبي عليه السلام فقال: يا أبا دجانة إنصرف وأنت في حلّ من بيعتك، فأمّا عليّ فأنا هو وهو أنا فتحوّل وجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وبكى وقال: لا والله ورفع رأسه إلى السماء وقال: لا والله لا جعلت نفسي في حلّ من بيعتي إنّي بايعتك فإلى من أنصرف يا رسول الله ؟ إلى زوجة تموت، أو ولد يموت، أو دار تخرب ومال يفنى وأجل قد اقترب ؟ فرقّ له النبي صلى الله عليه وآله فلم يزل يقاتل حتى أثخنته الجراحة وهو في وجه وعلي عليه السلام في وجه فلمّا أسقط احتمله علي عليه السلام فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله فوضعه عنده، فقال: يا رسول الله أوفيت بيعتي ؟ قال: نعم، وقال له النبي صلى الله عليه وآله خيراً وكان الناس يحملون على النبي صلى الله عليه وآله الميمنة فيكشفهم عليّ عليه السلام فإذا كشفهم أقبلت الميسرة إلى النبي صلى الله عليه وآله فلم يزل كذلك حتّى تقطّع سيفه بثلاث قطع، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فطرحه بين يديه وقال هذا سيفي قد تقطّع فيومئذ أعطاه النبي صلى الله عليه وآله ذا الفقار ولمّا رأى النبي صلى الله عليه وآله اختلاج ساقيه من كثرة القتال رفع رأسه إلى السماء وهو يبكي وقال: يا ربّ وعدتني أن تظهر دينك وإن شئت لم يعيك فأقبل علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله أسمع دويّاً شديداً وأسمع أقدم حيزوم وما أهمّ أضرب أحداً إلاّ سقط ميتاً قبل أن أضربه فقال: هذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في الملائكة.

ثم جاء جبرئيل عليه السلام فوقف إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إنّ هذه لهي المواساة فقال: إنّ علياً مني وأنا منه فقال جبرئيل: وأنا منكما، ثم انهزم الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي امض بسيفك حتى تعارضهم فإن رأيتهم قد ركبوا القلاص وجنّبوا الخيل فإنّهم يريدون مكّة، وإن رأيتهم قد ركبوا الخيل وهم يجنّبون القلاص فإنّهم يريدون المدينة، فأتاهم علي عليه السلام فكانوا على القلاص، فقال أبو سفيان لعلي عليه السلام: يا علي ما تريد هو ذا نحن ذاهبون إلى مكة ؟ فانصرف إلى صاحبك، فأتبعهم جبرئيل عليه السلام فكلّما سمعوا وقع حافر فرسه جدّوا في السير وكان يتلوهم فإذا ارتحلوا قالوا: هو ذا عسكر محمد قد أقبل فدخل أبو سفيان مكة فأخبرهم الخبر وجاء الرعاة والحطّابون فدخلوا مكة فقالوا: رأينا عسكر محمد كلّما رحل أبو سفيان نزلوا يقدمهم فارس على فرس أشقر يطلب آثارهم، فأقبل أهل مكة على أبي سفيان يوبّخونه ورحل النبي صلى الله عليه وآله والرّاية مع علي عليه السلام وهو بين يديه فلمّا أن أشرف بالرّاية من العقبة ورآه الناس نادى علي عليه السلام: أيها الناس هذا محمد لم يمت ولم يقتل. فقال صاحب الكلام الذي قال: «الآن يسخر بنا وقد هزمنا»: هذا علي والراية بيده حتى هجم عليهم النبي صلى الله عليه وآله ونساء الأنصار في أفنيتهم على أبواب دورهم وخرج الرّجال إليه يلوذون به ويثوبون إليه، والنساء نساء الأنصار قد خدشن الوجوه ونشرن الشعور

وجززن النواصي وخرقن الجيوب وحزمن البطون على النبي ﷺ فلمّا رأينه قال لهنّ خيراً وأمرهنّ أن يستترن ويدخلن منازلهن وقال: إنّ الله عزّ وجلّ وعدني أن يظهر دينه على الأديان كلها. وأنزل الله على محمد ﷺ: **﴿وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرُّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ـ الآية﴾**(١).

*** الشرح:**

(وبقي معه علي عليه السلام وسماك بن خرشة) سماك بكسر السين وكنيته أبو دجانة بضم الدال وخرشه بالتحريك وفي القاموس خراشة بالألف بعد الراء وفي بعض التفاسير أن علياً عليه السلام قاتل ذلك اليوم قتالاً خارجاً عن طوق البشر، وأن ستة رجال من شجعان العرب وأبطالهم تعاهدوا على أن يحيطوا به دفعة فأحاطوا به فقتل عليه السلام بعضهم وهرب بعض ونقل في كيفية قتاله حكاية غريبة (وقال: لا والله لا جعلت نفسي في حل من بيعتي إني بايعتك) بايعت مفاعلة من البيع وكانوا إذا بايعوا أحداً قبضوا على يده اليمنى توكيداً للأمر فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فجاءت المفاعلة في بايعت من ذلك وأما البيعة فهي عرفاً معاهدته على تسليم النظر في كل الأمور إليه على وجه لا ينازع ولا ينصرف عنه ولو قتل (فلم يزل يقاتل حتى أثخنته الجراحة اه) أي أثقلته وأوهنته، يدل ظاهر هذا على أن أبا دجانة استشهد يوم أحد لكن صرح بعض العامة ببقائه بعد النبي ﷺ قال القرطبي: أبو دجانة اسمه سماك بن خرشة الخزرجي وهو مشهور بكنيته وشهد بدراً وأحداً ودافع عن النبي ﷺ يومئذ هو ومصعب بن عمير وكثرت فيه الجراحات وقتل مصعب وكان أبو دجانة أحد الشجعان له المقامات المحمودة مع رسول الله في مغازيه، استشهد يوم اليمامة، قال أنس: رمى أبو دجانة بنفسه الحديقة التي كان فيها مسيلمة فانكسرت رجله فقاتل حتى قتل، وقيل أنه شارك وحشياً في قتل مسيلمة، وقيل: إنه عاش حتى حضر صفين مع علي (فقال: يا رسول الله أسمع دوياً شديداً وأسمع أقدم حيزوم) في النهاية، الدوي: صوت ليس بعال كصوت النحل ونحوه وفيها أيضاً في حديث بدر أقدم حيزوم جاء في التفسير أنه اسم فرس جبرئيل عليه السلام أراد أقدم يا حيزوم فحذف حرف النداء والياء فيه زائدة هذا ولعل ركوب الملائكة عليهم السلام وقتالهم على الوجه المعتاد وإلّا فأقل حركتهم كافية في إهلاكهم كما اتفق في إهلاك الأمم السابقة، لا يقال القتال على الوجه المعتاد يقتضي أن يروهم لأنا نقول ليس هنا ما يدل على أنهم لم يروهم فلعلهم رأوهم وظنوا أنهم من العساكر المنصورة، وقال بعض العامة: إن إظهارهم للمشركين عند أخر القتال

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٦٤.

واحتضار الموت كما قال تعالى ﴿**يوم يرون الملائكة لا بشرى ـ الآية**﴾ وقال بعضهم: يجوز أن يروهم وإنما لم يموتوا بلاغاً للأعذار وزيادة إقامة الحجة عليهم (فقال: يا محمد أن هذه لهي المواساة) في النهاية المواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق وأصلها الهمز فقلبت واواً تخفيفاً، ولعل المراد بها هنا مواساته بنفسه وماله من قولهم واساه بماله مواساة أناله منه (فقال ﷺ: إن علياً مني وأنا منه قال جبرئيل: وأنا منكما) قال في الفائق: يقال: هو مني أي هو بعضي والغرض الدلالة على شدة الاتصال وتمازج الأهواء واتحاد المذاهب ومثله قوله تعالى ﴿**فمن تبعني فإنه مني**﴾ وقال الصدوق في العلل: قول جبرئيل وأنا منكما تمنٍ منه لأن يكون منهما فلو كان أفضل منهما لم يقل ذلك ولم يتمن أن ينحط عن درجته إلى أن يكون ممن دونه وإنما قال: وأنا منكما ليصير من هو أفضل منه فيزداد محلاً إلى محله وفضلاً إلى فضله (يا علي أمض بسيفك حتى تعارضهم) أي حتى تأتيهم من عارضه إذا أتاه معرضاً من بعض الطريق أو حتى تظهر لهم ويظهروا لك من أعرض الشيء يعرض إذا ظهر له أو حتى تقابلهم من عارضه إذا قاتله «فإن رأيتهم قد ركبوا القلاص وجنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة» في القاموس، القلوص من الابل: الشابة أو الباقية على السير أو أول ما يركب من إناثها إلى أن تثني، ثم هي ناقة، والناقة: الطويلة القوائم خاص بالإناث والجمع قلاص وقلص وجمع الجمع قلاص، والجنيبة: فرس تقاد إلى جنب الراكب أو قدامه ليتحول إليها ويركبها إذا فتر مركوبه يقال جنبه جنباً محركة ومجنباً قاده إلى جنبه فهو جنيب ومجنوب (يقدمهم فارس على فرس أشقر) الأشقر من الدواب الأحمر في مغرة حمرة يحمر منه العرف والذنب والمغر محركة والمغرة بالضم لون ليس بناصع الحمرة أو شقرة بكدرة (وحر من البطون) أي منعن حقها وهو الطعام يقال حرمه الشيء كضربه وعلمه حرماناً بالكسر إذا منعه حقه وهو محروم وفي بعض النسخ حزمن بالزاي المعجمة أي شددنها، يقال حزمه يحزمه كضربه إذا شده وفي بعضها «حرضن البطون» يعني أفسدنها يقال حرض نفسه يحرضها من باب ضرب أي أفسدها.

*** الأصل:**

٥٠٣ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، وغيره، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا خرج رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية خرج في ذي القعدة فلمّا انتهى إلى المكان الذي أحرم فيه أحرموا ولبسوا السلاح فلمّا بلغه أن المشركين قد أرسلوا إليه خالد بن الوليد ليردّه قال: ابغوني رجلاً يأخذني على غير هذا الطريق فأتي برجل من مزينة ـ أو من جهينة ـ فسأله فلم يوافقه فقال: ابغوني رجلاً غيره، فأتي برجل آخر إمّا من مزينة وإمّا من جهينة: قال فذكر له فأخذه معه حتى انتهى إلى العقبة، فقال: من يصعدها حطّ الله عنه كما حطّ الله عن بني إسرائيل. فقال

لهم: ﴿**ادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطاياكم**﴾[1] قال: فابتدرها خيل الأنصار: الأوس والخزرج. قال: وكانوا ألفاً وثمانمائة، فلمّا هبطوا إلى الحديبية إذا امرأة معها ابنها على القليب فسعى ابنها هارباً فلما أثبتت أنه رسول الله ﷺ صرخت به: هؤلاء الصابئون ليس عليك منهم بأس فأتاها رسول الله ﷺ فأمرها فاستقت دلواً من ماء فأخذه رسول الله ﷺ فشرب وغسل وجهه فأخذت فضلته فأعادته في البئر فلم تبرح حتى الساعة.

وخرج رسول الله ﷺ فأرسل إليه المشركون أبان بن سعيد في الخيل فكان بازائه، ثم أرسلوا الحليس فرأى البدن وهي تأكل بعضها أوبار بعض فرجع ولم يأت رسول الله ﷺ وقال لأبي سفيان: يا أبا سفيان أما والله ما على هذا حالفناكم، على أن تردّوا الهدي عن محله. فقال: اسكت فانّما أنت أعرابي، فقال: أما والله لتخلّينّ عن محمد وما أراد أولأنفردنّ في الأحابيش. فقال: اسكت حتى نأخذ من محمد ولثاً فأرسلوا إليه عروة بن مسعود وقد كان جاء إلى قريش في القوم الذين أصابهم المغيرة بن شعبة كان خرج معهم من الطائف وكانوا تجّاراً فقتلهم وجاء بأموالهم إلى رسول الله ﷺ فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها وقال: هذا غدر ولا حاجة لنا فيه، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله هذا عروة بن مسعود قد أتاكم وهو يعظّم البدن، قال: فأقيموها فأقاموها فقال: يا محمد مجيىء من جئت ؟ قال: جئت أطوف بالبيت وأسعى بين الصفّا والمروة وانحر هذه الإبل وأُخلّي عنكم وعن لحمانها قال: لا واللات والعزّى فما رأيت مثلك ردّ عمّا جئت له، إنَّ قومك يذكرونك الله والرّحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنهم وأن تقطع أرحامهم وأن تجرّىء عليهم عدوّهم فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل حتى أدخلها قال: وكان عروة بن مسعود حين كلّم رسول الله ﷺ تناول لحيته والمغيرة قائم على رأسه فقال: من هذا يا محمد فقال هذا ابن أخيك المغيرة، فقال: يا غدر والله ما جئت إلاّ في غسل سلحتك، قال: فرجع إليهم فقال لأبي سفيان وأصحابه: لا والله ما رأيت مثل محمد ردّ عمّا جاء له فأرسلوا إليه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزّي، فأمر رسول الله ﷺ فأثيرت في وجوههم البدن، فقالا: مجيء من جئت ؟ قال: جئت لأطوف بالبيت وأسعى بين الصفا والمروة وأنحر البدن وأخلّي بينكم وبين لحمانها.

فقالا: إنّ قومك يناشدونك الله والرّحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنهم وتقطع أرحامهم وتجرىء عليهم عدوّهم، قال: فأبى عليهما رسول الله ﷺ إلاّ أن يدخلها. وكان رسول الله ﷺ أراد أن يبعث عمر، فقال: يا رسول الله ﷺ إنّ عشيرتي قليل وإني فيهم على ما تعلم ولكنّي أدلّك على

(١) سورة البقرة : ٥٨ .

عثمان بن عفّان، فأرسل إليه رسول الله ﷺ فقال: انطلق إلى قومك من المؤمنين فبشّرهم بما وعدني ربّي من فتح مكة فلمّا انطلق عثمان لقى أبان بن سعيد فتأخّر عن السرج فحمل عثمان بين يديه ودخل عثمان فأعلمهم وكانت المناوشة فجلس سهيل بن عمرو عند رسول الله ﷺ وجلس عثمان في عسكر المشركين وبايع رسول الله ﷺ المسلمين وضرب بإحدى يديه على الأخرى لعثمان وقال المسلمون: طوبى لعثمان قد طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحلَّ، فقال رسول الله ﷺ: ما كان ليفعل فلمّا جاء عثمان قال له رسول الله ﷺ: أطفت بالبيت ؟ فقال: ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله ﷺ لم يطف به ثمَّ ذكر القصّة وما كان فيها فقال لعلي عليه السلام: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل: ما أدري ما الرحمن الرحيم إلاّ أنّي أظنّ هذا الذي باليمامة ولكن اكتب كما نكتب: بسمك اللهم قال: واكتب: هذا ما قاضى [عليه] رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: فعلى ما نقاتلك يا محمد ؟ فقال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله، فقال الناس: أنت رسول الله، قال: اكتب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، فقال الناس: أنت رسول الله وكان في القضيّة أن من كان منّا أتى إليكم رددتموه إلينا ورسول الله غير مستكره عن دينه ومن جاء إلينا منكم لم نردّه إليكم فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لنا فيهم، وعلى أن يعبد الله فيكم علانية غير سرّ. وإن كانوا ليتهادون السيور في المدينة إلى مكة وما كانت قضيّة أعظم بركة منها لقد كاد أن يستولي على أهل مكّة الإسلام فضرب سهيل بن عمرو على أبي جندل ابنه فقال: أوّل ما قاضينا عليه. فقال رسول الله عليه السلام: وهل قاضيت على شيء فقال: يا محمد ما كنت بغدّار قال: فذهب بأبي جندل فقال: يا رسول الله تدفعني إليه ؟ قال: ولم أشترط لك، قال: وقال: اللّهمّ اجعل لأبي جندل مخرجاً[1].

* **الشرح:**

قوله: (لما خرج رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية) هي موضع على عشرة أميال من مكة سمي بها لبئر هناك تسمى الحديبية وكان رسول الله ﷺ محرماً بعمرة قصده المشركون فصالحهم ورجع ولم يدخل مكة العام ودخلها العام المقبل، ونقل عن الكسائي أنه يشدد الياء وهي لغة أهل الحجاز، وعن الأصمعي أنه يخففها وهي لغة العراق، وانما سميت هذه الرحلة غزوة مع أنها كانت للعمرة لا للغزاء لأنها كانت في صورة العزوة أو لقصدها على تقدير منع المشركين (خرج في ذى القعدة) سنة ست من الهجرة معتمراً لا يريد حرباً واستنهض من حوله من الأعراب وأبطأ عليه كثير منهم وخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق من العرب وساق معه الهدي وأحرم

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٦٦.

بالعمرة من ذي الحليفة كما قيل ليأمن الناس من حربه وليعلموا أنه خرج زائراً (فقال: أبغوني رجلاً) أي أطلبوه لي يقال: أبغاه الشيء طلبه له كبغاه إياه كرماه (وكانوا ألفاً وثمانمائة) روايات العامة في عددهم ذلك اليوم مختلفة ففي بعضها ألف وأربعمائة وفي بعضها ألف وخمسمائة وفي بعضها ألف وثلاثمائة (إذ امرأة معها ابنها على القليب) في النهاية، القليب: البئر التي لم تطو يذكر ويؤنث وفي القاموس، القليب: البئر أو العادية القديمة منها ويؤنث (فلما أثبتت) أي عرفت حق المعرفة (صرخت به هؤلاء الصابئون) الصابىء: الخارج من دين إلى دين، وفي النهاية صبأ فلان إذا خرج من دين إلى غيره من قولهم صبأ ناب البعير إذا طلع وصبأت النجوم إذا خرجت من مطالعها. وكانت العرب تسمّي النبي ﷺ الصابىء لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام ويسمون من يدخل في الإسلام مصبواً لأنهم كانوا لايهمزون فأبدلوا من الهمزة واواً ويسمون المسلمين الصباة بغير همز كأنه جمع صابىء غير مهموز كغاز وغزاة وقاض وقضاة (فأرسل المشركون إليه أبان بن سعيد في الخيل فكان بإزائه) يمنعه من الوصول إلى مكة (ثم أرسلوا الحبيش) هو الحبيش بن علقمة الكناني سيد الأحلس، وفي كتاب إكمال الإكمال حليش باللام، وفي بعض النسخ الحلش مكبراً، والغرض من إرساله إلى النبي ﷺ ليعلم حاله واستعداده ويعلم أنه لماذا جاء هل جاء محارباً أو جاء زائراً؟ فلما رأى البدن في عرض الوادي على هيئة الهدي علم أنه جاء زائراً فرجع قبل الوصول إليه إعظاماً لما رأى فأخبر أبا سفيان بذلك (فرأى البدن) في البادية وهي بضمتين جمع البدنه محركة: وهي من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة للذكر والأنثى (وهي يأكل بعضها أو بار بعض) كناية عن عض بعضها ظهر بعض والمقصود تجرها عن القتب والجهاز وهي علامة الهدي لأن إبل الهدي تساق كذلك (والله ما على هذا حالفناكم) يعني حالفناكم على أن نرد عنكم عدوكم إن جاؤوا محاربين لا ما إذا جاؤوا زائرين للبيت قال ذلك لأن المشركين كانوا يعظمون البيت والزائرين لها، وكان الصد والمنع من بلوغ الهدي محله قبيحاً عندهم (فقال: اسكت فإنما أنت أعرابي) لاعلم لك بالحيل وتدبير الحروب ودفع الجيوش، فقال: (والله لتخلين عن محمد وما أراد) من دخول مكة وطوائف البيت ونحر الجزور في محله (أولأنفردن في الأحابيش) في القاموس حبشي بالضم: جبل بأسفل مكة ومنه أحابيش قريش لأنهم تحالفوا بالله على أنهم ليد على غيرهم ما سجا ليل ووضح نهار وما رسا حبشي، وفي النهاية الأحابيش: أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً والتحبش: التجمع، وقيل: حالفوا قريشاً تحت جبل يسمى حبشي فسموا بذلك (فقال: اسكت حتى تأخذ من محمد ولثاً) الولث بفتح الواو وسكون اللام والثاء المثلثة: العهد الغير المحكم والمؤكد من ولث السحاب إذا أتى بندى يسير كذا ذكره في

الفائق وفسره الأصمعي وقيل: هو العهد المحكم وقيل: هو الشيء اليسير من العهد (وقد كان جاء إلى قريش) الغرض منه بيان سبب انضمام عروة بن مسعود إلى قريش وحاصله أن قوماً من التجار فيهم عروة خرجوا من الطائف وخرج معهم المغيرة بن شعبة فقتلهم غيلة وهرب عروة إلى قريش وكان بينهم. وقوله (فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ) تكرار لتحقق الربط بعد وقوع البسط بالقصة المذكورة قال (فأقيموها فأقاموها) لعل الغرض من إقامتها أن يعلم عروة أنها هدي وأنه جاء زائراً لا محارباً فيخبر قومه إذا رجع إليهم (وأخلي عنكم وعن لحمانها) اللحمان كاللحوم: جمع اللحم (وأن تجرى عليهم عدوهم) أي أن تجعل عدوهم جرياً عليهم، لأن الدخول عليهم بدون إذنهم سبب لجرأة سائر الأعداء عليهم من جرأته عليه تجريئاً فاجترأ، ويحتمل أن يكون تجرى بالياء من الإجراء وأن يراد بالعدو من كان معه ﷺ من أهل الإسلام (فقال: ياغدر) الغدر كصرد: الغادر من الغدر وهو ترك الوفاء غدره وبه كضرب ونصر وسمع غدراً (والله ما جئت إلّا في غسل سلحتك) في بمعنى الباء، والسلحة: النجو وهذا كناية عن دفع عاره بتوسله بالنبي ﷺ ومن طريق العامة في حديث الحديبية والمغيرة «وهل غسلت سوءتك إلّا أمس» قال في النهاية: السوءة في الأصل: الفرج ثم نقل إلى ما يستحي منه إذا ظهر من قول أو فعل وهذا القول إشارة إلى غدر كان المغيرة فعله مع قوم صحبوه في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم قال أبو عبد الله شارح صحيح مسلم: بعثوا عروة بن مسعود الثقفي إليه فلما جلس بين يديه قال: يا محمد أجمعت أوباش الناس وجئت إلى بيضتك لتفتضها بهم إن قريشاً خرجت بالعود المطافيل ولبسوا جلود النمور ويعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً وأيم الله لكأني بهؤلاء انكشفوا عنك، ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رسول الله ﷺ في الحديد فجعل يقرع يده إذا فعل ذلك ويقول: كف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا يصل إليك فقال عروة: من هذا ويحك ما أفظّك وأغلظك؟ فتبسم رسول الله ﷺ فقال عروة: من هذا يا محمد؟ فقال: ابن أخيك المغيرة بن شعبة الثقفي، فقال: أي غدر هل غسلت سوءتك إلا بالأمس؟، يريد أن المغيرة كان قتل ثلاثة عشر رجلاً من ثقيف فهاج رهط المقتولين ورهط المغيرة فودى عروة المقتولين ثلاثة عشر دية فقام عروة بعد أداء الرسالة واستماع ما قال ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلّا ابتدروا وضوءه ولا يبصق إلّا ابتدروا ذلك ولا يسقط من شعره شعرة إلّا أخذوها فرجع إلى قريش وقال: يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه (وإنى فيهم على ما تعلم) من الفظاظة أو المذلة والحقارة، قال في النهاية: فيه يعني في الحديث كان عمر في الجاهلية مبرطشاً: وهو الساعي بين

البائع والمشتري شبه الدلال ويروى بالسين المهملة بمعناه وفي القاموس المبرطش: الذي يكتري الناس الإبل والحمير ويأخذ عليه جعلاً (فتأخر عن السرج فحمل عثمان بين يديه) أي تأخر أبان عن سرج دابته وحمل عثمان بين يديه وصار رديفاً له وفي كتاب إكمال الإكمال أنه نزل عن دابته وحمله عليها (وكانت المناوشة بين المسلمين والمشركين) النوش: التناول والأخذ ناشه ينوشه نوشاً تناوله وأخذه، والمناوشة في القتال: تداني الفريقين وأخذ بعضهم بعضاً (وبايع رسول الله ﷺ المسلمين) هذه البيعة يسمونها بيعة الرضوان وبيعة تحت الشجرة وفي كتاب إكمال الإكمال سبب هذه البيعة أنه ﷺ قصد مكة ليعتمر فصدّه المشركون ولما نزل الحديبية وهي على عشرة أميال من مكة وظهر صد المشركين أرسل إليهم خداش الخزاعى يعرفهم أنه لا يريد الحرب وإنما جاء معتمراً فعقروا به الجمل وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش وهي اسم لأخلاط العشائر فبلغ ذلك النبي ﷺ فأراد أن يبعث عمر فقال: يا رسول الله قد علمت فظاظتي على قريش وهم يبغضونني وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني ولكن ابعث عثمان فبعثه فلقيه أبان بن عثمان بن العاص فنزل له عن دابته وحمله عليها وأجاره حتى أتى قريشاً فأخبرهم فقالوا: يا عثمان إن أردت أن تطوف فطف وأما دخلوكم علينا فلا سبيل إليه، فقال: ما كنت لأطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ وصرخ صارخ في عسكر رسول الله قتل عثمان فقال المسلمون: إن يكن حقاً فلا نبرح حتى نلقى القوم فدعا رسول الله ﷺ إلى البيع ونادى مناديه أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فما تخلف عن البيعة إلّا ابن قيس الأنصاري المنافق حينئذ جعل رسول الله يده وقال: هذه يد عثمان وهي خير من يد عثمان فبايعوا على السمع والطاعة والصبر وعدم الفرار وعلى أن لا ينازعوا الأمر أهله انتهى كلامه، أقول: روى مسلم في باب طاعة الأمير عن عبادة بن الوليد بن عبادة عن أبيه عن جده، قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكروه وعلى أثره علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف لومة لائم، قال القرطبي شارح مسلم: قال جماعة: البيعة على عدم المنازعة ورد في الإمام العدل وقيل: إنه بايع الأنصار أن لا ينازعوا قريشاً في الخلافة، أقول: إذا عرفت هذا فقد علمت أنه يمكن لنا أن نحمل البيعة على عدم منازعة الأمر أهله في بيعة الرضوان على أحد هذين الوجهين وإن تلك البيعة وقعت بأمر جبرئيل ﷺ فتدبر (فقال سهيل: ما أدري ما الرحمن إلّا أني أظن هذا الذي باليمامة) أهل اليمامة كانوا يقولون لمسيلمة الكذاب رحمن اليمامة وهي دون المدينة في وسط الشرق عن مكة على ستة عشر مرحلة من البصرة وعن الكوفة نحوها (ولكن اكتب كما نكتبه بسمك اللهم) في كتاب إكمال الإكمال عن السهيلي أنه قال: بسمك اللهم كانت قريش تقولها وأول

من قالها أمية بن أبي الصلت ومنه تعلموها وتعلمها هو من رجل من الجن في خبر طويل ذكره (قال: واكتب هذا ما قاضى رسول الله سهيل بن عمرو) قاضى مفاعله من القضاء وهو الفصل والحكم ومنه القاضي وهذا يدل على أنه يجوز في الصلح الاختصار بالاسم أو اللقب المختص خلافاً لبعض العامة فإنه قال: لابد فيه من ذكر أربعة أسماء اسمه واسم أبيه واسم جده وكنيته (فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله) قيل مساعدته ﷺ على ذلك هي رغبة في إتمام الصلح الذي علم أن عاقبته الغلبة والظهور وليس عدم كتب ما ذكر من الرسالة ضاراً وإنما الضار كتب مالا يحل اعتقاده من ذكر آلهتهم وشركهم ونحوهما وسنذكر بعض فوائده (وكان في القصة) أي في قصة الصلح والقضاء وفي بعض النسخ في القضية بالضاد المعجمة والياء المثناة التحتانية (أن من كان منا أتى اليكم) أي من كان من المشركين أتى مسلماً إليكم رددتموه إلينا إن طلبناه (ورسول الله ﷺ غير مستكره عن دينه) أي عن قضائه وحكمه بالرد إلينا، والدين هنا: القضاء والحكم ومنه الديان من أسمائه تعالى لأنه القاضي والحاكم (ومن جاء إلينا منكم) مرتداً عن الإسلام أو غير مرتد (لم نرده اليكم)ان طلبتموه (فقال رسول الله ﷺ لاحاجة لنا فيهم) أي فيمن جاء من أهل الاسلام إليكم حتى نطلبهم (وعلى أن يعبد الله فيكم علانية غير سر) أي يعبد الله المسلمون بينكم جهاراً بلا مانع (وإن كانوا ليتهادون السيور في المدينة إلى مكة) التهادي: أن يهدى بعضهم إلى بعض، والسيور: حلة فيها خطوط من أبريسم من السير وهو القد، ويحتمل أن يراد بها: الحصر المدنية أيضاً لأنها كانت تنسج من السيور وهي ما يقد من الجلد المدبوغ وهذا صريح في أن الصلح وقع على أن يرد المسلمون إلى الكفار من جاء من الكفار مسلماً إليهم وأن لايرد الكفار إلى المسلمين من ذهب من المسلمين إليهم ومثله ما نقل من طرق العامة عن ابن عباس، قال: لما وقع صلح الحديبية تضمن أن من جاء منهم إلى رسول الله ﷺ يرد عليهم ومن أتاهم من أصحاب رسول الله ﷺ لم يرد ولذلك رد أبو جندل وكأنه جاء بعد وقوع الصلح وقدمت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد ختم الكلام فقدم زوجها وهو كافر فقال: يا محمد اردد علي امرأتي فإنك شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف، وكذلك جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وجاء وليها وطلب ردها لمكان الشرط فنزل قوله تعالى**﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتوهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ـ الاية﴾** فنسخ الشرط في النساء هذا بناء على أن الشرط كان شاملاً صريحاً

( ) سورة الممتحنة : ١٠.

لرد الرجال والنساء جميعاً وقد صرح بشموله بعض العامة وقال بعضهم: الشرط إنما كان في رد الرجال دون النساء وعلى هذا فلا نسخ بل هو بيان للحكم وتأكيد، وقيل: كان الشرط مجملاً من غير تفصيل وبه صرح بعض أصحابنا فإنه قال: وجب الوفاء بما تضمنه عقد الصلح من الشروط الصحيحة لا الفاسدة وصلح الحديبية وإن تضمن رد من أتانا منهم لكنه مطلق قابل للتقييد بعدم الاشتمال على المفسدة، ولذلك كان رسول الله ﷺ يرد من الرجال من له عشيرة يمنعونه من الفتنة عن دينه أما من ليس له عشيرة يمنعونه فلم يرده خوفاً من الفتنة وكذا لم يرد المرأة مطلقاً وإن كان لها عشيرة لأنهم لا يمنعونها من التزويج بالكافر وحينئذ لا تؤمن فتنتها من زوجها فإن المرأة تأخذ من دين بعلها، قال أفصح الدين والظاهر أنه من علماء العامة في شرحه على نهج البلاغة عند قوله عليه السلام «**ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد ﷺ أني لم أرد على الله ولا على رسوله شيئاً قط**» قيل: وفيه إيماء إلى ماكان يفعله بعض الصحابة من التسرع والاعتراض على الرسول ﷺ كما نقل عن عمر يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح أنه أنكر ذلك وقال لرسول الله ﷺ ألسنا على الحق! قال: بلى قال: أو ليسوا الكاذبين قال بلى، قال وكيف الدنية في ديننا ؟ فقال ﷺ إنما أعمل بما أؤمر به، فقام عمر فقال لقوم من الصحابة: ألم يكن قد وعدنا بدخول مكة وها نحن قد صددنا عنها ؟ ثم ينصرف بعد أن أعطينا الدنية في ديننا، والله لو وجدت أعواناً لم أعط الدنية أبداً، فقال بعضهم ويحك إلزم غرزه فوالله إنه لرسول الله وإن الله لا يضيعه، ثم قال له: أقال لك انه سيدخل مكة هذا العام ؟ فقال: لا، قال: سيدخلها، فلما فتح الله مكة أخذ مفاتيح الكعبة ودعاه فقال: هذا الذي وعدتم» هذا كلامه ومثله نقله الآبي في كتاب إكمال الإكمال وفيه دلالة على أنه لم يؤمن قلبه برسالته وإقراره إنما كان بلسانه.

(وما كانت قضية أعظم بركة منها لقد كاد أن يستولي على أهل مكة الإسلام) فيه أن للإمام أن يعقد الصلح على ما رآه مصلحة للمسلمين وإن كان يظهر خلاف ذلك في بادئ الرأي لبعض الناس وفيه احتمال المفسدة اليسيرة لدفع مضرة كثيرة أو جلب مصلحة أعظم منها، ومن مصالح هذا الصلح فتح مكة وإسلام أهلها ودخول الناس في دين الله أفواجاً لأنه لما وقع الصلح اختلط الناس بعضهم ببعض وجاؤوا إلى المدينة وذهبوا إلى مكة فسمعوا منهم أقوال الرسول ﷺ مفصلة ووقفوا على معجزاته الظاهرة وأعلام نبوته وحسن سيرته وحميدة طريقته وعاينوا بأنفسهم كثيراً من ذلك فمالت نفوسهم إلى الإيمان، فآمنوا، فإن قلت: المنقول أنه ﷺ بعد الصلح ذبح الهدي وحلق ورجع فإذا وقع الصلح زال الصد فلم لم يدخل مكة ولم يتم الأفعال؟ قلت: شرط المشركون في الصلح أن لا يدخلها ذلك العام خوف أن يتحدث العرب أنه دخلها عنوة (فضرب سهيل بن عمرو

على أبي جندل ابنه) ضرب عليه أي أمسكه (فقال: أول ما قضينا عليه) فوجب رده إلينا (فقال رسول الله ﷺ: هل قاضيت على شيء) الظاهر ان قاضيت على صيغة المتكلم: أي هل نقضي لك شيء من المال ليكون هو عندنا انه عبّر عن المستقبل بالماضي للدلالة على ترقب وقوعه فلم يرض سهيل بن عمرو (فقال: يا محمد ما كنت بغدار) طالباً لرده، فرده رسول الله ﷺ فذهب بأبي جندل فقال:) أبو جندل من باب الإنكار أو الاستفهام (يا رسول الله تدفعني إليه؟ قال ﷺ: لم أشترط لك) حين العقد ولم يقع الإستثناء لك (وقال: اللهم اجعل لأبي جندل مخرجاً) من الضيق وأذى المشركين وقد استجاب الله تعالى دعاءه قال أبو عبد الله في شرحه لكتاب مسلم أبو جندل ولد سهيل بن عمرو الذي بعثته قريش ليعقد الصلح، وكان أبو جندل أسلم وحبسه المشركون بمكة فلما كان يوم عقد الصلح وكتب الكتاب جاء موثقاً في قيوده وقد انفلت من المشركين إليه ﷺ فطلبه أبوه فدفعه وهو يصرخ يامعشر المسلمين أتردوني إلى المشركين فدخل المسلمين أمر عظيم حتى كادوا يهلكون، ثم أن الرجال الذين أسلموا من قريش وغيرهم كرهوا أن يقدموا على رسول الله ﷺ لمكان الهدنة اجتمعوا مع أبي بصير وهو من الذين آمنوا بعد الهدنة ومع أبى جندل وبلغوا نحو الثلاثمائة فخرجوا وقطعوا مارة قريش إلى الشام فبعث أبو سفيان وقومه إلى رسول الله يتضرعون أن يبعث إلى أبي بصير وأبي جندل ليقدموا عليه وقالوا من خرج منا إليكم فأمسكوه من غير حرج فإن هؤلاء فتحوا علينا باباً وضيّقوا الأمر علينا، فعند ذلك علم الذين اغتموا بدفع أبي جندل إلى أبيه وأشاروا إلى رسول الله ﷺ أن لايدفعه إلى أبيه إنما فعله ﷺ كان أحسن وأن ما خصه الله تعالى به من العلم أفضل وأتقن وليس لقريش في فعل أبي بصير وأبي جندل حجة على النبي ﷺ لأنهما ما عاهداهم وإنما عاهدهم النبي ﷺ على أن لا يخرج معه بأحد منهم ولا يحبسه عنهم ولم يعاهدهم على أن لا يخرج عليهم من أسلم.

*** الأصل:**

٥٠٤ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان عن الفضل أبي العباس، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: **﴿أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم﴾**(١) قال: نزلت في بني مدلج لأنهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنّا قد حصرت صدورنا أن نشهد أنّك رسول الله فلسنا معك ولا مع قومنا عليك، قال: قلت: كيف صنع بهم رسول الله ﷺ قال: وادعهم إلى أن يفرغ من العرب ثمّ يدعوهم فإن أجابوا وإلاّ قاتلهم(٢).

---

(١) سورة النساء: ٩٠. (٢) الكافي: ٨ / ٢٦٩.

*** الشرح:**

قوله: (أو جاؤوكم حصرت صدورهم) حصرت حال بتقدير قد والحصر الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم) أي عن أن أو لأن يقاتلوكم (أو تقاتلوا قومهم) من المشركين (قال: نزلت في بني مدلج) بضم الميم: قبيلة من كنانة (وادعهم): أي صالحهم في القاموس توادعا تصالحا وفي بعض النسخ واعدهم.

*** الأصل:**

٥٠٥ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضّال، عن داود بن أبى يزيد وهو فرقد، عن أبي يزيد الحمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكروبيل عليهم السلام فمرّوا بإبراهيم عليه السلام وهم معتمّون فسلّموا عليه فلم يعرفهم ورأى هيئة حسنة فقال: لا يخدم هؤلاء أحدٌ إلاّ أنا بنفسي وكان صاحب أضياف فشوّى لهم عجلاً سميناً حتى أنضجه ثم قرّبه إليهم فلمّا وضعه بين أيديهم رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة، فلمّا رأى ذلك جبرئيل عليه السلام حسر العمامة عن وجهه وعن رأسه فعرفه إبراهيم عليه السلام فقال: أنت هو؟ فقال: نعم ومرّت امرأته سارة فبشّرها باسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فقالت: ما قال الله عزّ وجلّ، فأجابوها بما في الكتاب العزيز فقال إبراهيم عليه السلام لهم: فيماذا جئتم؟ قالوا له: في إهلاك قوم لوط، فقال لهم: إن كان فيها مائة من المؤمنين تهلكونهم؟ فقال جبرئيل عليه السلام: لا، قال: فإن كانوا خمسين؟

قال: لا، قال فإن كانوا ثلاثين قال: لا، قال: فإن كانوا عشرين؟ قال لا، قال: فإن كانوا عشرة قال:لا، قال فإن كانوا خمسة قال: لا، قال: فإن كانوا واحداً قال: لا، قال: إنَّ فيها لوطاً قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجينّه وأهله إلاّ امرأته كانت من الغابرين.

ثم مضوا. وقال الحسن العسكري أبو محمد: لا أعلم ذا القول إلاّ وهو يستبقيهم وهو قول الله عزّ وجلّ: **﴿يجادلنا في قوم لوط﴾** فأتوا لوطاً وهو في زراعة له قرب المدينة فسلّموا عليه وهم معتمّون فلمّا رآهم رأى هيئة حسنة عليهم عمائم بيض وثياب بيض فقال لهم: المنزل، فقالوا: نعم فتقدَّمهم ومشوا خلفه فندم على عرضه عليهم المنزل وقال: أيّ شيء صنعت آتي بهم قومي وأنا أعرفهم؟ فالتفت إليهم فقال: إنّكم تأتون شرار خلق الله وقد قال جبرئيل عليه السلام: لا نعجل عليهم حتى يشهد ثلاث شهادات، فقال جبرئيل عليه السلام هذه واحدة ثم مشى ساعة ثم التفت إليهم فقال: إنّكم تأتون شرار خلق الله، فقال جبرئيل عليه السلام هذه اثنتان، ثم مضى فلمّا بلغ باب المدينة التفت إليهم فقال: إنّكم تأتون شرار خلق الله، فقال جبرئيل عليه السلام: هذه ثالثة ثمّ دخل ودخلوا معه، فلمّا رأتهم امرأته رأت هيئة

حسنة فصعدت فوق السطح وصعقت فلم يسمعوا فدخّنت فلمّا رأوا الدخان أقبلوا يهرعون إلى الباب فنزلت إليهم فقالت عنده قوم ما رأيت قطّ أحسن منهم هيئة، فجاؤوا إلى الباب ليدخلوها فلمّا رآهم لوط قام إليهم فقال: **﴿يا قوم اتّقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد﴾** فقال عليه السلام **﴿هؤلاء بناتي هنَّ أطهر لكم﴾** فدعاهم إلى الحلال فقالوا: **﴿لقد علمت مالنا في بناتك من حقّ وإنّك لتعلم ما نريد﴾**، فقال: **﴿لو أنّ لي بكم قوّة أو آوى إلى ركن شديد﴾** فقال جبرئيل عليه السلام لو يعلم أيّ قوّة له، فكاثروه حتى دخلوا البيت قال: فصاح به جبرئيل يا لوط دعهم يدخلون فلمّا دخلوا أهوى جبرئيل بأصبعه نحوهم فذهبت أعينهم وهو قوله: **﴿فطمسنا أعينهم﴾** ثم نادى جبرئيل فقال: **﴿إنّا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾**[1] وقال له جبرئيل: إنّا بعثنا في إهلاكهم فقال: يا جبرئيل عجّل فقال: **﴿إنّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾**، قال: فأمره فتحمّل ومن معه إلاّ امرأته قال: ثم اقتلعها جبرئيل بجناحيه من سبع أرضين ثمَّ رفعها حتّى سمع أهل السماء الدُّنيا نباح الكلاب وصياح الدّيكة ثمَّ قلبها واُمطر عليها وعلى من حول المدينة حجارة من سجّيل[2].

* **الشرح:**

قوله: (نكرهم وأوجس منهم خيفة) نكره وأنكره واستنكره بمعنى أي استنكر عليه السلام عدم مد أيديهم إلى العجل وترك تناولهم وأدرك في نفسه خوفاً منهم وخاف أن يريدوا به مكروهاً لأنه كان من عادة العدو أن لا يأكل طعام من يريد إضراره (فبشرها بإسحٰق ومن وراء إسحٰق يعقوب) ليس هذا لفظ القرآن إذ فيه فبشرناها ويعقوب إما بالفتح عطف على إسحاق وفتحته للجر لأنه غير منصرف إلّا أنه وقع الظرف بين المتعاطفين أو بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف، أي ويعقوب مولود من وراء إسحق كما صرح به صاحب الكشاف وغيره ويفهم البشارة به أيضاً يجعل الجملة حالاً، ولا يلزم منه كونه يعقوب مولوداً حين البشارة لأن اللازم منه أن يكون مضمون الجملة مقارناً لها وهو أن يكون يعقوب من وراء إسحق فإن قيل لا يفهم على التقديرين أن يعقوب من صلب إبراهيم أو من صلب إسحق عليهما السلام لأن الوراء يحتمل كليهما قلت الوراء ولد الولد كما صرح به فى القاموس وبه فسره بعض المفسرين على أن المتبادر منه هو الثاني (فقالت ما قال الله عز وجل وأجابوها بما في الكتاب العزيز) **﴿قالت يا ويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾**[3] الويلة قد

---

(١) سورة هود: ٨١. (٢) الكافي: ٨ / ٢٧٠. (٣) سورة هود: ٧٢.

يرد بمعنى التعجب كما صرح به في النهاية أي يا عجباً احضر فهذا وقتك وأوان حضورك وإنما تعجبت نظراً إلى العادة لا إلى القدرة الإلٰهية لأنها كانت بنت تسعة وتسعين وبعلها ابن مائة وعشرين كما قيل، وحصول الولد لمن في هذا السن أمر عجيب بحسب العادة (فقال إبراهيم ﷺ لهم فيماذا جئتم؟ قالوا له: في إهلاك قوم لوط) كما حكى في القرآن الكريم **﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين﴾**[١] هم قوم لوط **﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾** أي من طين متحجر، مسومة: أي معلمة عند ربك للمسرفين المتجاوزين عن الحد من أسمت الخيل إذا أرسلتها أو معلمة من المسومة بالسمة وهي العلامة، وفي القاموس مسومة عليها أمثال الخواتيم أو معلمة ببياض وحمرة ليعلم أنها ليست من حجارة الدنيا، وقيل: معلمة بأسماء هؤلاء المسرفين (فقال: ان كان فيها مائة ـ الى قوله ـ فإن فيها لوطاً) وإنما لم يكتف ﷺ أولا بذكر الواحد ليحتج عليهم بأن حرمة المؤمن الواحد كحرمة الكثير فإذا لم تهلكهم مع فرض وجود الكثير فيهم فكيف تهلكهم مع وجود الواحد؟ قال ذلك شفاعة وشفقه على عباد الله وتوهم أن إهلاكهم في معرض البداء فلذلك مدحه تعالى وقال: **﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا﴾**[٢] أي يجادل رسلنا في قوم لوط ومجادلته إياهم قوله **﴿إن فيها لوطاً إن إبراهيم لحليم﴾** كثير الحلم غير عجول على الانتقام من المسيء إليه **﴿أواه منيب﴾** أي كثير التأوه من التقصير والتأسف على الناس وكثير الرجوع الى الله تعالى ثم نبه جل شأنه بأن عذابهم أمر محتوم لاتدفعه الشفاعة ولا الجدال والدعاء بقوله (يا إبراهيم أعرض عن هذا أنه قد جاء أمر ربك وأنهم آتيهم عذاب غير مردود).

(فندم على عرضه عليهم المنزل) كما دل عليه قوله تعالى **﴿وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب﴾**[٣] أي ضاق صدره لعلمه بأن عاجز عن دفع المكروه عنهم والعصيب الشديد (أقبلوا يهرعون الى الباب) أي يسرعون من الهرع محركة: وهي مشي في اضطراب وسرعة وإنما بنى الفعل للمفعول للتنبيه على شدة اضطرابهم وسرعتهم حتى كأنهم يدفع بعضهم بعضاً ويحثه على السرعة **﴿فقال ياقوم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد﴾**[٤] نسبهم أولاً إلى ذاته المقدس فقال يا قوم طلباً للترحم والتعطف، وأمرهم ثانياً بتقوى الله وترك ما أرادوا من الفاحشة؛ ونهاهم ثالثاً عن خزيه في شأن ضيفه لأن خزي الضيف خزي المضيف وخجالته خجالته، وعيرهم رابعاً بعدم الرشد والرجوع إلى الحق ورفض القبيح (فقال) بعدما علم أنهم لم يقبلوا نصحه **﴿هؤلاء**

---

(١) سورة الحجر : ٥٧. (٢) سورة هود : ٧٤. (٣) سورة هود : ٧٧.

(٤) سورة هود : ٧٨ .

بناتي هن أطهر لكم﴾ الطهر: وهو النظافة والنزاهة في المفضل محقق وفي المفضل عليه مقدر موهوم أو محقق بزعمهم ويحتمل أن يكون اسم التفضيل لمجرد أُصل الفعل (فدعاهم إلى الحلال بالتزويج) قال في الكشاف: وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزاً، وقيل: المراد بالبنات نساؤهم لأن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية **﴿فقالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق﴾**(١) أي من حاجة أو شهوة وإرادة وقيل هذا بناء على أنهم اتخذوا نكاح الإناث مذهباً باطلاً وإتيان الذكران مذهباً حقاً (وأنك لتعلم ما نريد) دل على أن عادتهم القبيحة كانت مشهورة، واعلم أنما ذكره عليه السلام على خلاف ترتيب هذا القرآن فكأنه نقله بالمعنى أوكان المنزل على هذا الترتيب والله يعلم **﴿فقال لو أن لي بكم قوة﴾** أي لو قويت عليكم بنفسي **﴿أو آوى إلى ركن شديد﴾** أي إلى قوي عزيز ذي قوة وشدة وبطش، شبهه بالركن من الجبل في شدته وصلابته، وجواب لو محذوف كما ذكره المفسرون، أي لدفعتكم وشددت عليكم والتمني محتمل، وقيل: أراد بالركن العشيرة جرياً على سنة الناس في اعتصام الرجل منهم بعشيرته في دفع الأعداء، وقال بعض العامة: أنساه ضيق صدره من قومه اللجاء إلى الله تعالى الذي هو أشد الأركان، والحق أنه عليه السلام لم ينس اللجاء إلى الله تعالى في هذه القضية وإنما قال ذلك تطييباً لنفوس الأضياف وإبداء العذر لهم بحسب ما ألف في العادة من أن الدفع إنما يكون بقوة أو عشيرة وهذا محمدة عظيمة وكرم أخلاق يستحق صاحبها الحمد (فقال جبرئيل عليه السلام لو يعلم أي قوة له) جواب لو محذوف والتمني محتمل (فكاثروه) أي غالبوه في الكثرة فغلبوه (حتى دخلوا البيت) ومع ذل يمنعهم لوط عليه السلام بقدر الإمكان من أن يدخلوا البيت بيت الأضياف (فصاح به جبرئيل عليه السلام) بعد مشاهدة ما به من كرب (يالوط دعهم يدخلون فلما دخلوا أهوى جبرئيل عليه السلام بأصبعه نحوهم فذهبت أعينهم) وعموا جميعاً وقيل كان لجبرئيل عليه السلام في ذلك اليوم وشاح من در منظوم وهو قوله **﴿فطمسنا أعينهم﴾** الطمس: المحو والاستئصال، تقول: طمست الشيء: أي محوته واستأصلت أثره ورجل طميس ومطموس ذاهب البصر ولما ذهبت أعينهم خرجوا وهم لايعرفون الطريق ويصيحون ويقولون: النجا النجا إن في بيت لوط سحرة فخاف لوط من قومه على نفسه وعلى أضيافه (فقال) جبرئيل عليه السلام عند ذلك بشارة له **﴿إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾** أي إلى إضرارك **﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾** **﴿ولا يلتفت منكم أحد إلّا امرأتك﴾** في القاموس، السري كالهدي: سير عامة الليل ويذكر، سرى يسري واسراره وبه وأسرى بعبده ليلاً تأكيد ومعناه سيره، والقطع بالكسر: ظلمة آخر الليل أو القطعة منه كالقطع كعنب أو من

---

(١) سورة هود: ٧٩.

أوله إلى ثلثه (فقال يا جبرئيل عجل فقال: إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) قال في الكشاف: روي أنه قال لهم متى موعد هلاكهم؟ قالوا: الصبح، فقال أريد أسرع من ذلك، فقالوا: أليس الصبح بقريب وما ذكره عليه السلام أحسن منه لأنه يبعد من نبي الله إذا علم أن الله تعالى أراد هلاكهم وقت الصبح أن يريد وقوعه قبله (قال: فأمره) بالخروج من القرية (فتحمل ومن معه إلّا امرأته) تحمل واحتمل بمعنى انتقل وارتحل أو تحمل متاع والواو بمعنى مع فلا يلزم على الأول العطف على المرفوع المتصل بلا فصل أو تأكيد، ولا على الثاني العطف إلى المحذوف وفيه دلالة واضحة على أنه عليه السلام لم يخرج معه أمرأته بل أخلفها مع قومها وهذا أحد القولين للمفسرين وقيل أخرجها وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلى الوراء فلما سمعت في الطريق هدة العذاب وصوت وقع الأرض التفتت إلى الخلف وقالت: يا قوماه فأدركها حجر فقتلها، فقوله تعالى إلا امرأتك على الأول بالنصب استثناء من قوله **﴿فأسر بأهلك﴾** وعلى الثاني بالرفع استثناء من احد (وامطر عليها وعلى من حول المدينة حجارة من سجيل) حجارة كالمدر معرب «سنك گل» أو طين طبخ بنار جهنم وكتب فيه أسماء القوم، أو من سجل أي مماكتب أنهم يعذبون بها أو أصله من سجين أي من جهنم فأبدلت نونه لاماً وهذه الوجوه ذكرها المفسرون وأرباب اللغة.

*** الأصل:**

٥٠٦ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن أبي الصباح بن عبد الحميد، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: والله للذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشمس والله لقد نزلت هذه الآية: **﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾**[1] إنّما هي طاعة الإمام، وطلبوا القتال فلمّا كتب عليهم القتال مع الحسين عليه السلام قالوا: ربّنا لم كتبت علينا القتال لولا أخّرتنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتّبع الرسل أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام[2].

*** الشرح:**

قوله: (والله الذي صنعه الحسن بن علي عليهما السلام) وهو الصلح مع معاوية مع عدم رضاء أصحابه حتى خاطبوه بالمنكر من القول (كانت خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس) إذ به كانت نجاتهم من القتل والاستيصال وبقاء دين الحق ونسل الهاشميين والعلويين والشيعة في الأعقاب، ثم أكد ذلك مع الإشارة إلى ذم الأمة بأن الإمام إذا أمر بترك القتال طلبوه وإذا أمر بالقتال كرهوه

(١) سورة النساء: ٧٧.
(٢) الكافي: ٨ / ٢٧١.

(بقوله: والله لقد نزلت هذه الآية ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) عن القتال مع الأعداء﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ اشتغلوا بهما وبغيرهما من الطاعات والظاهر أن جواب القسم محذوف أي نزلت هذه الآية في الحث على طاعة الإمام بقرينة السياق ولدلالة قوله: (إنما هي طاعة الإمام) عليه السلام والإمام وهو من يقتدى به، يشمل الرسول وأولي الأمر من بعده (وطلبوا القتال) مع الأمر بكفهم عنه (فلما كتب عليهم القتال مع الحسين عليه السلام قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ أرادوا تأخير ذلك الى القائم عليه السلام) قالوا ذلك كراهة للموت وخوفاً من الأعداء وحباً للبقاء إما باللسان أو في أنفسهم فلامهم الله تعالى بما نطقوا بلسانهم وأضمروا في جنانهم واعلم أن لآيات القرآن وجوهاً متكثرة ومعانٍ متعددة كلها مراد منها ولا يعلمها إلّا أهل العصمة عليهم السلام وما ذكره عليه السلام من جملة ما يراد من هذه الآية الكريمة.

*** الأصل:**

٥٠٧ ـ محمد بن يحيى، عن سلمة بن الخطّاب، وعدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعاً، عن علي بن حسّان، عن علي بن عطيّة الزّيات، عن معلّى بن خنيس قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن النجوم أحقّ هي ؟ فقال: نعم إنّ الله عزّ وجلّ بعث المشتري إلى الأرض في صورة رجل[1] فأخذ

---

١ ـ الحديث ضعيف يجب رد علمه على فرض صدوره إلى أهله هكذا قلنا في حاشية الوافي وذكرنا ما عندنا هناك لاشتمال باب النجوم فيه على جميع ما ورد في الكتب الأربعة في مواضع مختلفة، وحاصل ما نعتقده في ذلك أن الفقهاء بين إفراط وتفريط في ذلك فكثير منهم أكثر من تنقيص هذا العلم وذمه وتخطئة المعتقدين لتأثير النجوم وكفرهم مع عدم وجود أحد منهم في هذه الأزمنة ولا معنى لتكفيرهم فى عصرنا كما لا معنى لتكفير بخت نصر وقوم فرعون، وهذا بحث مفروغ عنه راجع إلى قوم كانوا فهلكوا ولم يبق منهم أحد، وقوم اعتمدوا في زماننا على النجوم وصححوا أحكامها وتمسكوا بروايات تدل على ذلك وإن قل العالم بها منها هذه الرواية وتدل على تمهر أهل الهند، والرواية التي بعدها تدل على علم أهل الهند والعرب، وقد مضى في الحديث ٤٧٣ مايدل على صحة بعض أحكام النجوم وأن المريخ كوكب حار وزحل بارد وأن برد الهواء أو حره بتأثير ارتفاع الكوكبين أو هبوطهما وهذا موافق لما ذكره أهل الأحكام ولكن الراوي لم ينقل الرواية بغير تصرف في ألفاظها والقدر المسلم برد زحل وحر مريخ عندهم وأن تأثير كل كوكب في أحسن أحوالها أشد، والحق ما ذكره الحكيم أبو نصر الفارابي أنه لا دليل على هذه الأحكام وإنما العلم الصحيح ما هو المبتني على التسييرات وحساب الحركات، وقد ألف في ذلك رسالة واختاره من فقهاءنا السيد المرتضى والكراجكى وسديد الدين الحمصي وأكثر أهل التحقيق ومنهم الشارح ـ وحساب الكسوف والخسوف والأهلة والأبعاد والنسب بين الكواكب من الصحيح: وأما الأحكام والسعد والنحس فباطل لكن لا يوجب الفسق والتكفير كالاعتقاد بسائر الأباطيل التي لا يلزم منه إنكار التوحيد والرسالة، وأما نزول المشترى في صورة رجل فمبني على اعتقاد البابليين بكون الكواكب ذات روحانية وأن روحانيتها تتمثل لمن أراد روح الكوكب هدايته كما

رجلاً من العجم فعلّمه النجوم حتى ظنّ أنّه قد بلغ ثم قال له: اُنظر أين المشتري، فقال ما أراه في الفلك وما أدري أين هو؟ قال: فنحّاه وأخذ بيد رجل من الهند فعلّمه حتى ظنَّ أنّه قد بلغ وقال: أنظر إلى المشترى أين هو؟ فقال: إنّ حسابي ليدل على أنك أنت المشتري، قال: وشهق شهقة فمات وورث علمه أهله فالعلم هناك[1].

* **الشرح :**

قوله: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم) أي عن علم النجوم وأحكامها (أحق هي؟ فقال: نعم إن الله عز وجل بعث المشتري إلى الأرض ـ اه) الظاهر أن هذا محمول على ظاهره ولا باعث للعدول عنه لأن الذي يقدر أن يجعل العصا حيّة ويخرج الناقة الجسيمة مع حملها من الجبل يقدر أن ينزل المشتري لتعليم بعض العلوم الغريبة والآثار السماوية، ثم هذه الرواية والتي تليها دلت على حقيقة علم النجوم وحقيقة أهله وقد وقع في بعض الروايات ذمهما فوجه الجمع أن الله سبحانه جعل للأشياء أسباباً كما جعل الشمس سبباً لإضاءة العالم وجعل اتصال الكواكب بعضها ببعض سبباً لنزول المطر أو لغير ذلك من الأمور المعلومة في علم النجوم، فمن جعل هذه الأمور أسباباً وعلامات لما يترتب عليها لا بالاستقلال بل بفعل الله تعالى شأنه فهو ليس بمذموم، وأما من جعل هذه الأمور علة موجدة بالاستقلال سواء اعتقد ذلك أو لا لكن أتى بعبارة موهمة لذلك فهو مذموم بل كافر بالله تعالى وذلك كما كانت العرب ينسبون المطر إلى النجوم لأن ثمانية وعشرين كوكباً معروفة المطالع في السنة وهي المسماة بمنازل القمر الثمانية والعشرين يسقط منها في كل ليلة ثلاث عشرة كوكب عند طلوع الفجر ويظهر نظيره، فكانت العرب إذا حدث عند ذلك مطر نسبه بعضهم إلى الغارب وبعضهم إلى الطالع نسبة إيجاد وتأثير كما يقول بعض الفلاسفة إن الله سبحانه لم يخلق إلّا واحداً هو العقل الأول ثم كان عن هذا العقل غيره إلى أن ينتهى ذلك إلى الأمطار والعناصر والمعادن والنباتات والحوادث اليومية فنهى الشرع عن القول بذلك لأن ذلك إن كان عن اعتقاد فهو كفر وإن كان بمجرد قول كما إذا قال المؤمن بأن الفاعل هو الله تعالى أمطرنا السحاب أو أبرد الهواء طلوع الكوكب الفلاني أو نحو ذلك فهو شبيه بالكفر فنهى الشارع عنه أيضاً حسماً لمادة الكفر ومنعاً لترويجه وخوفاً لأن يعتقد أحد بظاهر هذا القول، والحاصل أن العلم لايذم من حيث أنه علم وإنما الذم متوجه عليه لأحد أسباب ثلاثة، أحدها: أن يكون مؤدياً إلى ضرر إما بصاحبه أو بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات إذ به يتوسلون إلى ما يفرقون به بين

يتمثل الملائكة عندنا (ش). (١) الكافي: ٨ / ٢٧٢.

المرء وزوجه.

الثاني: غموض بعض العلوم ودقته فإن الخوض في علم لا يفهمه الخائض مذموم فيجب كف النفس عن الخوض فيه كعلم القدر لأنه سر من أسرار الله لا يعلمه إلّا هو أو من أظهره الله عليه من خواصه، الثالث: أن يكون مؤدياً إلى ضرر يعود إلى صاحبه غالباً كعلم النجوم فإنه في نفسه ليس بمذموم إذ هو قسمان: قسم يتعلق بالحساب والهيئة وقد نطق القرآن بأن مسير الكواكب محسوب إذ قال **﴿والشمس والقمر بحسبان﴾**[1] وقال **﴿والقمر قدرناه منازل ـ الاية﴾** وقال **﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾** والقسم الثاني: الإحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال بالأسباب على الحوادث وقد نهى الشارع عنه لثلاثة أوجه: الأول: أنه مضر بأكثر الخلق فانه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير هذه الكواكب والأنظار وقع في نفوسهم أن هذه الكواكب هي الموثرات والآلهة المدبرات لأنها جواهر شريفة سماوية فيعظم وقعها في القلوب فتلتفت إليها وترى الخير والشر من جهتها ويمحو ذكر الله عن القلب فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط كالأطفال فإنهم يظنون أن الرازق آباؤهم وأمهاتم، والعالم الراسخ هو الذي يعلم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه. والثاني: أن أحكام النجوم تخمين محض ليس بعلم لا باليقين ولا بالظن فالحكم به حكم بجهل فيكون مذموماً من حيث أنه جهل ووهم لا من حيث أنه علم وحق وقد قيل إنه كان من معجزة إدريس النبي عليه السلام وقد اندرس وانمحى ولا يعرفه إلّا الخواص وما يتفق أحياناً من اصابة المنجم فهو اتفاق، والثالث: أنه لا فائدة فيه فإن كل ما قدر فهو كائن والاحتراز عنه غير ممكن فالخوض فيه خوض فيما لا يعني وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الإنسان بغير فائدة وهو الخسران المبين والأنبياء لكونهم أطباء القلوب يحملون الضعفاء على ما يوجب ترقيهم إلى جوار الله والوصول إلى داركرامته ومالم يصل إليه عقلك ولم تعرف وجه الحكمة فيه فاعزل عقلك عن الفكرة فيه والزم على نفسك اتباعهم والتسليم لهم فإن فيه السلامة والله ولي التوفيق.

٥٠٨ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عمّن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن النجوم قال: ما يعلمها إلاّ أهل بيت من العرب وأهل بيت من الهند.

*** الأصل:**

٥٠٩ ـ حميد بن زياد، عن أبي العباس عبيد الله بن أحمد الدِّهقان، عن عليّ ابن الحسن الطاطرى، عن محمد بن زياد بيّاع السابريّ، عن أبان، عن صباح بن سيابة، عن المعلّى بن خنيس

---

(١) سورة الرحمن: ٥.

قال: ذهبت بكتاب عبد السلام بن نعيم وسدير وكتب غير واحد إلى أبي عبد الله عليه السلام حين ظهرت المسوّدة قبل أن يظهر ولد العبّاس بأنّا قد قدّرنا أن يؤول هذا الأمر إليك فماترى ؟ قال: فضرب بالكتب الأرض ثم قال: اُفّ اُفّ ما أنا لهؤلاء بإمام يعلمون أنّه إنّما يقتل السفيانيّ (١).

*** الشرح :**

قوله: (حين ظهرت المسودة قبل أن يظهر ولد العباس ـ اه) المسودة بتشديد الواو وكسرها: من التسويد والمراد بهم أبو مسلم وعساكره سمّوا بها لأنهم كانوا يسودون لباسهم وليس المراد بهم ولد عباس وإن كانوا يسمّون بها أيضاً، قال في القاموس: المبيضة كمحدثة: فرقة من الثنوية لتبيضهم ثيابهم مخالفة المسودة من العباسيين، وقدرنا: إما من التقدير أي قدرنا ذلك في أنفسنا تقديراً أو من القدرة أي قدرنا على ذلك بكثرة الأعوان والأنصار.

*** الأصل :**

٥١٠ ـ أبان، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ **﴿في بيوت أذن الله أن ترفع﴾** قال: هو بيوت النبي صلى الله عليه وآله (٢).

*** الشرح :**

قوله: (في بيوت أذن الله أن ترفع، قال: هي بيوت النبي صلى الله عليه وآله) الآية في سورة النور بعد قوله تعالى **﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة﴾** (٣) وقد مرَّ في كتاب الحجة أن المشكاة والزجاجة فاطمة عليها السلام والمصباح الأول: الحسن، والثاني: الحسين عليهما السلام، والظرف وهو في بيوت متعلق بمشكاة أي مثل نوره كمشكاة في بيوت أذن الله أن ترفع أي بالثناء والتعظيم **﴿ويذكر فيها اسمه﴾** فالمقصود منها مدح أهل البيت عليهم السلام والحث على متابعتهم.

*** الأصل :**

٥١١ ـ أبان، عن يحيى بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: درع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات الفضول لها حلقتان من ورق في مقدمتها وحلقتان من ورق في مؤخّرها وقال: لبسها عليّ عليه السلام يوم الجمل (٤).

*** الشرح :** قوله: (درع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات الفضول ـ اه) في النهاية اسم درعه صلى الله عليه وآله ذات الفضول، وقيل: ذو الفضول لفضلة كان فيها وسعة، والورق بكسر الراء: الفضة، وقد تسكن، وقد مرَّ

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٢. (٢) الكافي: ٨ / ٢٧٢. (٣) سورة النور : ٣٥ .
(٤) الكافي: ٨ / ٢٧٣.

في كتاب الحجة أن سلاحه ﷺ كان عنده ﷺ ثم بعده عند أولاده الطاهرين.

* **الأصل:**

٥١٢ ـ أبان، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبدالله ﷺ قال: شدّ علي ﷺ على بطنه يوم الجمل بعقال أبرق نزل به جبرئيل ﷺ من السماء وكان رسول الله ﷺ يشدّ به على بطنه إذا لبس الدّرع(١).

* **الشرح:**

(شد علي ﷺ بطنه يوم الجمل بعقال أبرق) من ذكر الأبرق ووصفه في كتاب الحجة في باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ﷺ.

* **الأصل:**

٥١٣ ـ أبان، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر ﷺ قال: إنّ عثمان قال للمقداد: أما والله لتنتهينّ أو لأردنّك إلى ربّك الأول، قال: فلما حضرت المقداد الوفاة قال لعمّار: أبلغ عثمان عنّي أنّي قد رددت إلى ربّي الأول(٢).

* **الشرح:**

(إن عثمان قال للمقداد أما والله لتنتهين أو لاردّنك إلى ربك الأول) أي لتنتهين عن القول فيّ وفي ذمي في الملأ من الناس، قال أبو عبد الله شارح مسلم: لما ضرب عمر وجعل الخلافة شورى بين ستة وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، وأمر أبا طلحة الأنصاري أن يختار سبعين رجلاً من الشجعان وأن يكونوا مع هؤلاء حتى يختاروا واحداً منهم ويبايعوه، وقال: إذا بايعوا واحداً منهم فمن لم يرض به ولم يبايعه فاضربوا عنقه، اجتمع القوم وقال عبد الرحمن بن عوف: يا قوم أعطوني مواثقكم على أن تكونوا معي على من غير وبدل وأنا أختار لكم فأعطاه القوم مواثقهم، فقال عبد الرحمن: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال: أعطني موثقاً أن لا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم فأعطاه مواثقه فلما امتد الزمان وكثر الكلام في أهل المسجد فقال سعد: يا عبد الرحمن أفرغ قبل أن يفتتن الناس، فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد وقال: اللهم اسمع واشهد اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، وازدحم الناس يبايعونه والشجعان في المسجد موكلين عليهم وبايعه علي رضي الله عنه وهو يقول: خدعة وأي خدعة ليس هذا أول يوم تظاهرتم علينا فصبر جميل والله ما ولّيت عثمان إلّا ليرد الأمر اليك، والله

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٣. (٢) الكافي: ٨ / ٢٧٣.

كل يوم هو في شأن فخرج وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله، وقال المقداد: ما رأيت مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم وإني لأعجب من قريش تركوا رجلاً ما أقول إن أحداً أعلم منه ولا أقضى منه بالعدل، فقال عبد الرحمن: وما أنت وذلك يا مقداد؟ قال: إني أحبهم لحب رسول الله ﷺ إياهم وأن الحق فيهم ومعهم يا عبد الرحمن وإني لأعجب من قريش فإنهم إنما تطاولوا على الناس بفضل أهل هذا البيت وقد أطبقوا على نزع سلطان رسول الله ﷺ بعده من أيديهم، والله لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتال آبائهم فقال عبد الرحمن: اتق الله يا مقداد فإني أخشى عليك الفتنة، هذا كلامه وكان يقول مثل ذلك دائماً.

قال الآبي أيضاً في كتاب الإمامة من مسلم والناس تحاملوا في القول على عثمان فمن بعضهم قال: دخلت المسجد فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه يتلهف تلهف من كانت له الدنيا فسلبها وهو يقول: واعجباً من قريش ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم وفيهم أول المسلمين إيماناً وابن عم نبيهم وأعلم الناس وأفقههم في دين الله وأعظمهم عناء في الإسلام وأهداهم للصراط المستقيم، والله لقد ردوها عن الهادي المهتدي الطاهر المتقي وما ازدادوا إصلاحاً للأمة ولا صواباً في المذهب ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين، فدنوت منه وقلت من أنت يرحمك الله ومن الرجل؟ فقال: أنا المقداد والرجل علي بن أبي طالب انتهى كلامه. أقول لما صدر منه (ره) أمثال ذلك مراراً وخاف عثمان على نفسه وامرأته هدده بالقتل مع عدم الانتهاء عنه، وأراد بالرب الأول: واجب الوجود جل شأنه أو النبي ﷺ، وبالثاني المستفاد من الأول: علي ابن أبي طالب عليه السلام على سبيل التهكم وما فعل هذا بمقداد وحده بل سوء معاملته مع أبي ذر (ره) وإخراجه من المدينة إلى الشام ثم من الشام إلى المدينة ثم من المدينة إلى الربذة مشهور كل ذلك لأنه رحمه الله كان ينكر عليه في كل باب وفي كل موضع وكان يعيّره دائماً وقد ذكرنا هذا في موضعه.

*** الأصل:**

٥١٤ ـ أبان، عن فضيل وعبيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا حضر محمد بن أسامة الموت دخلت عليه بنو هاشم فقال لهم: قد عرفتم قرابتي ومنزلتي منكم وعليّ دين فأحبّ أن تضمنوه عنّي، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: أما والله ثلث دينك عليّ، ثمّ سكت وسكتوا، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: علي دينك كله، ثمّ قال علي بن الحسين عليهما السلام: أما إنّه لم يمنعني أن أضمنه أوّلا إلاّ

كراهية أن يقولوا: سبقنا[١].

*** الشرح:**

(قال علي بن الحسين عليه السلام: علي دينك كله) يدل على استحباب إجابة المؤمن وعلى صحة ضمان البريء وترك المبادرة إلى فعل كل الخير إذا أمكن أن يكون للجلساء فيه أيضاً نصيب.

*** الأصل:**

٥١٥ ـ أبان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله القصواء إذا نزل عنها علّق عليها زمامها، قال فتخرج فتأتي المسلمين قال: فيناولها الرجل الشيء ويناوله هذا الشيء فلا تلبث أن تشبع قال: فأدخلت رأسها في خباء سمرة بن جندب فتناول عنزة فضرب بها على رأسها فشجّها فخرجت إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكته[٢].

*** الشرح:**

(كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله القصواء إذا نزل عنها علّق عليها زمامها ـ اه) المقصود هو البعد، والقصية: الناقة الكريمة النجيبة المبعدة عن الاستعجال، والقصواء: لقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله سميت بذلك لذلك، وفي النهاية، القصواء: لقب ناقة رسول الله، والقصواء: الناقة التي قطع طرف أذنها وكل ما قطع من الأذن فهو جدع، فإذا بلغ الربع فهو قصع، فإذا جاوزه فهو عصب، فإذا استؤصلت فهو صلم، يقال: قصوته قصواء فهو مقصو، والناقة قصواء ولا يقال بعير أقصى. ولم تكن ناقة النبي صلى الله عليه وآله قصواء وإنما كان هذا لقباً لها، وقيل: كانت مقطوعة الأذن، وقد جاء في الحديث أنه كان له ناقة تسمى العضباء وناقة تسمى الجدعاء، وجندب: كقنفذ ودرهم، وقيل: سمرة كان منافقاً وقد مرَّ في كتاب التجارة[٣] من هذا الكتاب في باب الضرار عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن سمرة بن جندب كان له عذق في حائط رجل من الأنصار وكان منزل الأنصاري بباب البستان وكان يمر إلى نخلته ولا يستأذن فكلمه الأنصاري أن يستأذن إذا جاء فأبى سمرة فلما تأبى جاء الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فشكا إليه وأخبره الخبر فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فخبره بقول الأنصارى وما شكى وقال: إذا أردت الدخول فاستأذن، فأبى فلما أبى ساومه حتى بلغ به من الثمن ما شاء الله فأبى بيعه

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٣. (٢) الكافي: ٨ / ٢٧٣.

٣ ـ هذا ينافي قول الأستاد الأكبر البهبهانى في رسالة الاجتهاد نقلاً عن أبيه رحمهما الله أن المولى محمد صالح المازندرانى بعد فراغه من شرح أصول الكافي أراد أن يشرح فروعه أيضاً فقيل له يحتمل أن لا يكون لك رتبة الاجتهاد فترك لأجل ذلك شرح الفروع. انتهى، لأن ظاهر قول الشارح: «قد مرَّ في كتاب التجارة من هذا الكتاب» دليل على شرحه فروع الكافي ولعله إشارة إلى الكافي.

فقال: لك بها عذق يمد لك في الجنة فأبى أن يقبل فقال رسول الله ﷺ للأنصاري: اذهب فاقطعها وارم بها إليه فإنه لا ضرر ولا ضرار».

*** الأصل :**

٥١٦ ـ أبان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ مريم عليها السلام حملت بعيسى عليه السلام تسع ساعات كلّ ساعة شهراً[١].

*** الشرح :**

قول: (إن مريم حملت بعيسى تسع ساعات كل ساعة شهراً) الظاهر أن يكون شهر مرفوعاً على الخبر أي كل ساعة لها شهر لغيرها ولكنه في النسخ التي رأيناها منصوب فكان ناصبه مقدر أي كل ساعة تعد أو تماثل شهراً أو بدل عن تسع ساعات أي حملت شهراً في كل ساعة، ثم الظاهر أن حمله على الظاهر وحمله على القبض والبسط في الزمان بأن يكون زمان حملها تسعة أشهر لغيرها وتسع ساعات لها على نحو ما مرَّ سابقاً في المكان بعيد جداً.

*** الأصل :**

٥١٧ ـ أبان، عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ المغيريّة يزعمون أن هذا اليوم لهذه الليلة المستقبلة: فقال كذبوا هذا اليوم للّيلة الماضية إنّ أهل بطن نخلة حيث رأوا الهلال قالوا: قد دخل الشهر الحرام[٢].

*** الشرح :**

قوله: (إن المغيّرة) المغيرة اسم فاعل من التغيير ولعل المراد أن الفرقة المغيّرة لأحكام الله تعالى يعنى العامة (يزعمون أن هذا اليوم لهذه الليلة المستقبلة) قيل: قال الصادق عليه السلام: إنهم غيّروا كل شيء من أحكام الدين إلّا استقبال الكعبة في الصلاة وفي بعض النسخ «المغيرية»: وهم الفرقة المنسوبة إلى المغيرة بن سعيد الملقب بالأبتر، والبترية بالضم: من الزيدية تنسب إليه وكان بناء هذا الزعم على أن النهار مقدّم على الليل (فقال: كذبوا هذا اليوم لليلة الماضية) يمكن التمسك به على تقدم الليل على النهار، ثم أشار إلى وضوح ذلك عند الناس بقوله: (إن أهل بطن نخلة) وهو موضع بين مكة والطائف (حيث رأوا الهلال قالوا: قد دخل الشهر الحرام) أشار به إلى ما ذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى ﴿**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ـ الاية**﴾ من أن النبي ﷺ بعث سرية قبل بدر بشهرين وأمّر عليهم ابن عمته عبد الله بن جحش الأسدي إلى عير قريش فيهم عمرو بن

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٣.
(٢) الكافي: ٨ / ٢٧٤.

عبدالله الحضرمي وغيرهم فوجدوا العير في بطن نخلة في آخر يوم من جمادي الآخرة وقد طلبوا الهلال في الليلة الماضية فلم يروه فظنوه أنه من جمادى الآخرة فشدوا على ابن الحضرمي فقتلوه وساقوا العير وأخذوا أموالهم فقال أهل بطن نخلة إنّا قد رأينا الهلال وشنعوا على المسلمين بأنهم استحلوا القتال في الشهر الحرام وفي قبول هذه الغنيمة وردها اختلاف ففي معالم التنزيل أن النبي ﷺ أخذ تلك الغنيمة وأخرج منها الخمس وقسم الباقي بين أصحاب السرية، ومثله روي عن ابن عباس وقيل ردها إلى أهلها والله أعلم.

*** الأصل:**

٥١٨ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن سلّار أبى عمرة، عن أبي مر[يم] الثقفي، عن عمّار بن ياسر قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ قال رسول الله ﷺ: إنّ الشيعة الخاصّة الخالصة منّا أهل البيت، فقال عمر: يا رسول الله عرِّفناهم حتى نعرفهم، فقال رسول الله ﷺ: ما قلت لكم إلاّ وأنا أريد أن أخبركم ثم قال رسول الله ﷺ: أنا الدليل على الله عزّ وجلّ وعليّ نصر الدين ومنارة أهل البيت وهم المصابيح الذين يستضاء بهم فقال عمر: يا رسول الله فمن لم يكن قلبه موافقاً لهذا؟ فقال رسول الله ﷺ: ما وضع القلب في ذلك الموضع إلاّ ليوافق أو ليخالف فمن كان قلبه موافقاً لنا أهل البيت كان ناجياً ومن كان قلبه مخالفاً لنا أهل البيت كان هالكاً[1].

*** الشرح:**

قوله: (وعليّ نصر الدين ومنارة أهل البيت وهم المصابيح الذين يستضاء بهم) النصر بمعنى الناصر أو الحمل من باب المبالغة لكونه كاملاً في العلم بالدين وحدوده ودافعاً لمن يدفعه بالسيف واللسان ومانعاً له من الزيادة والنقصان، وهو عليه السلام منارة: أي علامة به يهتدون ومن متابعته يرشدون ومحل الأنوار العلوم الإلٰهية والأسرار الربوبية، والظاهر أن المراد بأهل البيت الشيعة المذكورة أو الأعم منهم، وشبّههم بالمصابيح وأشار إلى وجه الشبه بقوله: الذين يستضاء بهم وفيه تصريح بأن الخلص من علماء الشيعة بمنزلة أهل البيت عليهم السلام.

*** الأصل:**

٥١٩ ـ أحمد، عن علي بن الحكم، عن قتيبة الأعشى، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عاديتم فينا الآباء والأبناء والأزواج وثوابكم على الله عزّ وجلّ، أما إنّ أحوج ما تكون إذا بلغت

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٤.

الأنفس إلى هذه ـ وأومأ بيده إلى حلقه[١].

* **الشرح:**

قوله: (إن أحوج ما تكونون إذا بلغت الأنفس إلى هذه وأومأ بيده إلى حلقه) في القاموس، الحوج: السلامة والاحتياج أي أسلم وقت تكونون فيه وقت بلوغ النفس إلى الحلق فإنكم ترون فيه من الروح والراحة مالا يخطر على قلب بشر أو أشد وقت تكونون محتاجين إلى ثواب الله وكرامته هو هذا الوقت فلذا أخره إليه والله أعلم.

* **الأصل:**

٥٢٠ ـ عنه، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن داود بن سليمان الحمّار عن سعيد بن يسار قال: استأذنا على أبي عبد الله عليه السلام أنا والحارث بن المغيرة النصريّ ومنصور الصيقل فواعدنا دار طاهر مولاه فصلّينا العصر ثم رحنا إليه فوجدناه متّكئاً على سرير قريب من الأرض فجلسنا حوله ثم استوى جالساً، ثمّ أرسل رجليه حتّى وضع قدميه على الأرض، ثم قال: الحمد لله الذي ذهب النّاس يميناً وشمالاً فرقة مرجئة وفرقة خوارج وفرقة قدريّة وسميّتم أنتم الترابيّة، ثمّ قال بيمين منه: أما والله ما هو إلاّ الله وحده لا شريك له ورسوله وآل رسوله صلى الله عليه وآله وشيعتهم كرّم الله وجوههم وما كان سوى ذلك فلا، كان عليّ والله أولى الناس بالنّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يقولها ثلاثاً.[٢]

* **الشرح:**

قوله: (أما والله ما هو إلّا الله وحده لا شريك له) هو راجع إلى الشيء الموصوف بحقيقة الشيئية أو إلى الموجود بالحقيقة بقرينة المقام.

٥٢١ ـ عنه، عن أحمد، عن علي بن المستورد النخعيّ، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال إنّ من الملائكة الذين في السماء الدّنيا ليطلعون على الواحد والاثنين والثلاثة وهم يذكرون فضل آل محمد عليهم السلام فيقولون: أما ترون هؤلاء في قلّتهم وكثرة عدوّهم يصفون فضل آل محمد عليهم السلام فتقول الطائفة الأُخرى من الملائكة: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

* **الأصل:**

٥٢٢ ـ عنه، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عمر بن حنظلة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا عمر لا تحملوا على شيعتنا وارفقوا بهم فإنّ الناس لا يتحملون ما تحملون[٣].

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٤. (٢) الكافي: ٨ / ٢٧٤. (٣) الكافي: ٨ / ٢٧٥.

* **الشرح :**

قوله: (يا عمر لاتحملوا على شيعتنا وارفقوا بهم فإن الناس لا يتحملون ما تحملون) كان المراد بالناس والشيعة ضعفاء الشيعة فإنهم لا يقدرون أن يتحملوا ما يتحمله العلماء والأقوياء، وقد مر في كتاب الكفر والإيمان عن أبى جعفر عليه السلام «أن المؤمنين على منازل منهم على واحدة ومنهم على اثنين ومنهم على ثلاث ومنهم على أربع ومنهم على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة اثنتين لم يقو، وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو، وعلى صاحب الثلاث أربعاً لم يقو، وعلى صاحب الأربع خمساً لم يقو، وعلى صاحب الخمس ستاً لم يقو، وعلى صاحب الستة سبعاً لم يقو، وعلى هذه الدرجات، وفي حديث آخر طويل عن أبي عبد الله عليه السلام «وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق ولا تحملن عليه مالا يطيق فتكسره ومن كسر مؤمناً فعليه جبره».

* **الأصل :**

٥٢٣ ـ محمد بن أحمد القمي، عن عمّه عبد الله بن الصلت، عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سنان، عن حسين الجمّال، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى **﴿ربّنا أرنا اللّذين أضلاّنا من الجنِّ والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾** قال: هما. ثم قال: وكان فلان شيطاناً[١].

* **الشرح :** قوله: (عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا) قيل: ندسهما انتقاماً منهما، وقيل: نجعلهما في الدرك الأسفل (ليكونا من الأسفلين) ذلاً أو مكاناً (قال: هما، ثم قال: وكان فلاناً شيطاناً) الظاهر أنه عليه السلام فسر الانس بهما والجن بالثالث لأنه كان بمنزلة الشيطان يظهر الكفر ويأمر بالعصيان وتفسيرهما بشياطين النوعين قريب منه وهذا التفسير أولى من تفسيرهما بإبليس وقابيل باعتبار أنهما سنّا الكفر والقتل وكما نزلت هذه الآية في أتباع الثلاثة نزلت ما يتلوها في اتباع علي عليه السلام وهو قوله تعالى **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ـ أي بولاية علي عليه السلام ـ **تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾**.

* **الأصل :**

٥٢٤ ـ يونس، عن سورة بن كليب، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى **﴿ربّنا أرنا**

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٥.

اللّذين أضلّانا من الجنّ والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ قال: يا سورة! هما والله هما ـ ثلاثاً ـ والله يا سورة إنّا لخزّان علم الله في السماء وإنّا لخزّان علم الله في الأرض[١].

*** الشرح :**

قوله: (والله يا سورة إنّا لخزان علم الله في السماء، وإنّا لخزان علم الله في الأرض) أي إنّا خزان علم الله في أهل السماء وأهل الأرض أو في أمور السماء وأمور الأرض أو حال كوننا في السماء وفي الأرض يعني في عالم المثال وعالم الشهود.

*** الأصل :**

٥٢٥ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيس، عن الحسين بن سعيد، عن سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول في قول الله تبارك وتعالى: **﴿أذ يبيّتون مالا يرضى من القول﴾** قال: يعني فلاناً وفلاناً وأبا عبيدة بن الجرّاح[٢].

*** الشرح :**

(اذ يبيتون مالا يرضى من القول) أي يدبرونه ليلاً لئلا يطلع عليه أحد (قال: يعني فلاناً وفلاناً وأبا عبيدة بن الجراح) تعاهدوا على أن يخرجوا الخلافة من آل الرسول وشاركهم في ذلك عبد الرحمن بن عوف وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة كما مر.

*** الأصل :**

٥٢٦ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، وغيره، عن منصور بن يونس، عن ابن أذينة، عن عبد الله بن النجاشي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله عزّ وجلّ **﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾**[٣] يعني والله، فلاناً وفلاناً، **﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ ليطاع بإذن الله ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً﴾**[٤] يعني: والله، النبي صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام ممّا صنعوا أي لو جاؤوك بها يا عليّ فاستغفروا الله ممّا صنعوا واستغفر لهم الرّسول لوجدوا الله تواباً رحيماً **﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم﴾** فقال أبو عبد الله عليه السلام: هو والله علي بعينه **﴿ثمّ لايجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت﴾** على لسانك يا رسول الله يعني به من ولاية عليّ **﴿ويسلّموا تسليماً﴾** لعليّ[٥].

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٥. (٢) الكافي: ٨ / ٢٧٥. (٣) سورة النساء : ٦٣.
(٤) سورة النساء : ٦٤. (٥) الكافي: ٨ / ٢٧٦.

* **الشرح:**

قوله: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله عز وجل أولئك الذين) إشارة إلى الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وهم أهل النفاق بعلي عليه السلام المتعاهدون بسلب الخلافة عنه **﴿يعلم الله ما في قلوبهم﴾** من النفاق والإنكار له عليه السلام (فأعرض عنهم) أي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله كان يعرفهم **﴿وعظهم﴾** موعظة حسنة لعلهم يرجعون **﴿وقل لهم في أنفسهم﴾** قيل في الخلوة بهم لأن النصح في السر أنفع **﴿قولاً بليغاً﴾** في الترغيب والترهيب لعله يؤثر في نفوسهم (يعني والله فلاناً وفلاناً) ومن وافقهما في رد الخلافة، وفيه إشارة إلى أنهم هم المنافقون المذكورون **﴿وما أرسلنا من رسول إلّا ليطاع باذن الله﴾** أي بسبب إذنه في طاعته أو بأمره بها وقد جاء في بعض الروايات تفسير الإذن بالأمر، قال القاضي: كأنه احتج بذلك على أن الذي لم يرض بحكمه ولم يطعه كان كافراً لأنه لم يقبل رسالته **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾** بالنفاق والتعاهد على رد الخلافة **﴿جاؤوك﴾** تائبين عن ذلك معتذرين **﴿فاستغفروا الله﴾** بالتوبة والرجوع إليه **﴿واستغفر لهم الرسول﴾** بالشفاعة وطلب التجاوز عن ذنوبهم **﴿لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾** قال القاضي: لعلموه قابلاً لتوبتهم وإن فسر **﴿وجد﴾** بصادف كان تواباً حالاً ورحيماً بدلاً منه أو حالاً من ضمير فيه (يعني والله النبي صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام مما صنعوا) يحتمل وجهين، أحدهما: أنه تفسير لقوله تعالى **﴿اذ ظلموا أنفسهم﴾** يعني: أنهم ظلموهما عليهما السلام مما صنعوا من رد أمر الرسول صلى الله عليه وآله وإنكار ولاية علي عليه السلام ولكن ثمرة الظلم لما كانت عائدة إليهم نسب الظلم إلى أنفسهم، وثانيهما: أنه تفسير للرسول والخطاب في جاؤوك وهذا أنسب بقوله: (أي لو جاؤوك يا علي فاستغفروا مما صنعوا واستغفر لهم الرسول) أي مما صنعوا حذف بقرينة السابق **﴿لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾** **﴿فلا وربك﴾** لا زائدة لتأكيد القسم كما قيل **﴿حتى يحكموك﴾** أي يجعلونك حاكماً تقول حكمته في مالي تحكيماً اذا جعلت الحكم اليه (فيما شجر بينهم) أي فيما اختلف من الأمر بينهم وتنازعوا فيه (فقال أبو عبد الله عليه السلام هو والله علي بعينه) أي هو المراد بالخطاب في يحكموك **﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم﴾** بعد تحكيمهم إياه **﴿حرجاً﴾** أي ضيقاً وشبه إنكار (مما قضيت على لسانك يا رسول الله) أشار إلى أن الخطاب في «قضيت» له عليه السلام ولولا هذا التفسير لأمكن جعل الخطاب لعلي عليه السلام (يعني به) أي الموصول (ولاية علي عليه السلام) وعلى تقدير إمكان ما ذكر يراد بالموصول قضاءه وحكمه (ويسلموا تسليماً لعلي) عليه السلام في قضائه وحكمه فيما اختلفوا فيه وفي غيره، أو المراد بالتسليم الإخبات له وهو الخشوع والتواضع وقد فسره به الصادق عليه السلام في كتاب الحجة. واعلم أن كون الخطاب في هذه الآية لعلي عليه السلام مما ذكره المصنف في باب التسليم وفضل المسلمين من

كتاب الحجة بإسناده عن زرارة أو بريد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لقد خاطب الله أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه قال: قلت: في أي موضع؟ قال: في قوله: **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك ـ الآية﴾** ولا خفاء في أن هذا أولى من كون الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله إذ كان الأنسب حينئذ أن يقول: واستغفرت لهم.

*** الأصل:**

٥٢٧ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن معمر بن خلاّد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ربّما رأيت الرؤيا فاعبّرها والرؤيا على ما تعبّر.[١]

*** الشرح:**

قوله: (سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول ربما رأيت الرؤيا فأعبرها والرؤيا على ما تعبر) دل على أن الرؤيا ينبغي أن لايعبرها إلّا عالم وإنما تقع على ما عبرت به وعلى شرف العلم بها لما فيه من العلم بالغيب والأسرار الربوبية، وقد ورد أنها جزء من أجزاء النبوة ودل على شرفه أيضاً حكاية يوسف عليه السلام.

*** الأصل:**

٥٢٨ ـ عنه، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضّال، عن الحسن بن جهم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الرؤيا على ما تعبّر، فقلت له: إنّ بعض أصحابنا روى أنّ رؤيا الملك كانت أضغاث أحلام، فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ امرأة رأت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جذع بيتها قد انكسر فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقصّت عليه الرؤيا فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: يقدم زوجك ويأتي وهو صالح وقد كان زوجها غائباً فقدم كما قال النبي صلى الله عليه وآله ثم غاب عنها زوجها غيبة أُخرى فرأت في المنام كأن جذع بيتها قد انكسر فأتت النبي صلى الله عليه وآله فقصّت عليه الرؤيا فقال لها: يقدم زوجك ويأتي صالحاً فقدم على ما قال: ثمّ غاب زوجها ثالثة فرأت في منامها أنّ جذع بيتها قد انكسر فلقيت رجلاً أعسر فقصّت عليه الرؤيا فقال لها الرّجل السوء: يموت زوجك: قال: فبلغ [ذلك] النبي صلى الله عليه وآله فقال: ألا كان عبّر لها خيراً[٢].

*** الشرح:**

قوله (فقلت له) تصديقاً لقوله عليه السلام «الرؤيا على ما تعبر» (أن بعض أصحابنا روى أن رؤيا الملك) أن ملك مصر (كانت أضغاث أحلام ـ اه) وهي التي لا يصح تأويلها لاختلاطها من الضغث بالكسر:

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٦. (٢) الكافي: ٨ / ٢٧٦.

وهو قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس وإنما فسرها يوسف عليه السلام فوقعت على نحو تفسيره والظاهر أن رؤياه كان مطابقة لما في الواقع إلّا أن اختلاط بعض أجزائها ببعض أعجز المعبرين عن الانتقال منها إلى مدلولها، ويمكن أن يراد بالملك أي ملك كان لتشوش خواطر الملوك وتكثر خيالاتهم فتكون رؤياهم مختلطة غالباً والأول أنسب بالسابق وبكانت، والجذع بالكسر: ساق النخلة، والرجل الأعسر: الشديد أو الشؤم، وفي هذا الخبر وما قبله دلالة واضحة على أن الرؤيا بالأول عابر وعلى نحو ما وقع به العبارة أولاً إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً، وهذا ينافي ما مرَّ من أن أبا حنيفة عبّر رؤيا محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام على خلاف ماهو في الواقع ثم عبرها أبو عبد الله عليه السلام بعد خروج أبي حنيفة بما هو في الواقع وقد وقع ما عبره عليه السلام بعدأيام قلائل ولا يمكن الجمع بينهما بأن الرؤيا لأول عابر إذا أصاب وجه العبارة وإلا فهي لمن أصابها بعده، بل الجمع أن ذلك محمول على الإيجاب الجزئي إذ قد يؤثر التعبير في النفس قبضاً أو انبساطاً من باب التطير أو التفأل فيؤثر لأجل ذلك كما قال، نظير ذلك في المسحور من قال: السحر لا حقيقة له وقد ورد في بعض الروايات أن الطيرة لا أثر لها مع أنه ورد في بعضها كيفية الاستعاذة منها ليتخلص من شرها من يجد في نفسه منها شيئاً وبالجملة لأمثال ذلك قد يكون تأثير في النفوس وقد لا يكون، لا يقال الرؤيا لا يغيرها عبارة عابر وكيف يغير لما جاءت نسخته من أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ قول أحد أو فعله لأنا نقول ذلك ممنوع إذ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، وبالجملة تغيرها مثل تغير البلايا والأمراض ونحوها بالدعاء والصدقات، فإن قلت: قد سمعت هذه المرأة تعبير رؤياها من النبي صلى الله عليه وآله مرتين فلم قصت على رجل أعسر قلت بعثها على ذلك طلب الشغف والسرور لظنها أن ذلك الرجل يعبر لها كما عبر لها النبي صلى الله عليه وآله أو اعتقدت أن الرؤيا الواحدة قد يختلف تعبيرها بحسب الأوقات المختلفة أو كان قصدها مجرد الأخبار دون الاستعبار.

* **الأصل:**

٥٢٩ ـ عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، [جميعاً] عن ابن محبوب، عن عبدالله بن غالب، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام أنّ رسول الله كان يقول إنّ رؤيا المؤمن ترفّ بين السماء والأرض على رأس صاحبها حتّى يعبّرها لنفسه أو يعبّرها له مثله فإذا عبّرت لزمت الأرض فلا تقصّوا رؤياكم إلاّ على من يعقل(١).

* **الشرح:** (فلا تقصوا رؤياكم إلّا على من يعقل) المراد بالعاقل: العالم بالتعبير القادر على

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٧.

الانتقال من الأصل إلى الفرع ومن الجلي إلى الخفي ومن الظاهر إلى الباطن أو الأعم من ذلك وذلك لئلا يعبرها له بما يحزنه وقد تخرج الرؤيا على نحو ما تعبر كما دل عليه الحديث السابق، وبالجملة الرؤيا تنقسم إلى ماهو حسن في الظاهر والباطن وإلى ماهو مكروه فيهما وإلى ماهو حسن في الظاهر ومكروه في الباطن وإلى العكس والمعبر لابد أن يكون عاقلاً عالماً بطرق التعبير إما بالتجربة أو بالإلهام أو بالسماع من أهل التجربة والإلهام، وقال علماء التعبير: طرق التعبير أربعة: الاشتقاق كاشتقاق العاقبة من رؤية العقبة والرفعة من رؤية الرافع، الثاني: ما يعبر بمثاله في الشكل أو في الصفة مثل أن يعبر الرطب بالدين لأنه حلو في القلوب ولأن الدين كمل بعد تدريج كما أن الرطب حلو كمل بعد تدريج من الطلع إلى أن صار حلواً، الثالث: تعبيره بالمعنى المقصودي من ذلك الشيء المرئي كدلالة فعل السفر على السفر وفعل السوق على المعيشة وفعل الدار على الزوجة والجارية. الرابع: التعبير بما تقدم له ذكر في القرآن والسنة والشعر أو كلام العرب وأمثالها أو كلام الناس وأمثالهم أو خبر معروف أو كلمة حكمة وذلك كتعبير الخشبة بالمنافق لقوله تعالى **﴿كأنهم خشب مسندة﴾**، وتعبير الفأرة بالفاسق لأنها تسمّى في الحديث فويسقة، وتعبير الزجاجة بفم المرأة لتسمية بعض الشعراء إياه بذلك إلى غير ذلك من الاعتبارات والمناسبات التي لا يقدر على استنباطها الجاهل، فربما تكون الرؤيا مكروهة في الظاهر حسناً في الباطن والرائي محزون بمراعاة ظاهرها فإذا عبرها الجاهل نظراً إلى ظاهرها زاده غماً على غم ومع ذلك قد يؤثر تأويله بصرفه إلى المكروه فيقع الرائي في مكروه بمقتضى تأويله.

*** الأصل:**

٥٣٠ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن القاسم بن عروة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرؤيا لا تقصّ إلاّ على مؤمن خلا من الحسد والبغي[1].

*** الشرح:**

قوله: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرؤيا لا تقص إلّا على مؤمن خلا من الحسد والبغي) فإن الغالب في الموصوف بهما أنه يعبر الرؤيا بما يوجب ضرر الرائي وكراهته وتشوش نفسه عاجلاً وآجلاً أما عاجلاً فظاهر لأن النفس معتادة بالانقباض عند سماع مالا يوافقها من المكاره وأما آجلاً فلأنه ربما يقع ما عبر به إذ للتعبير مدخل عظيم في وقوعه كما مرَّ ولو لم يقع فلا شبهة في أنه قد يبطىء وقوع

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٧.

خلافه وهو ما تقتضيه رؤياه في نفس الأمر فهو في تلك المدة مشوش مغموم لتجوزه ووقوع ذلك التعبير.

*** الأصل:**

٥٣١ ـ حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد الكندي، عن أحمد بن الحسن الميثمي، عن أبان ابن عثمان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله رجل يقال له: ذو النمرة وكان من أقبح الناس، وإنّما سمّي ذو النمرة من قبحه فأتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أخبرني ما فرض الله عزّ وجلّ عليّ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: فرض الله عليك سبعة عشر ركعة في اليوم والليلة وصوم شهر رمضان إذا أدركته والحجّ إذا استطعت إليه سبيلاً والزكاة وفسّرها له، فقال: والّذي بعثك بالحق نبياً ما أزيد ربّي على ما فرض علي شيئاً؟ فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: ولم يا ذا النمرة؟! فقال كما خلقني قبيحاً قال: فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّ ربّك يأمرك أن تبلغ ذا النمرة عنه السّلام وتقول له: يقول لك ربّك تبارك وتعالى: أما ترضى أن أحشرك على جمال جبرئيل يوم القيامة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله يا ذا النمرة هذا جبرئيل يأمرني أن اُبلغك السلام ويقول لك ربك: أما ترضى أن أحشرك على جمال جبرئيل؟ فقال: ذو النمرة فإنّي قد رضيت يا ربّ فوعزّتك لأزيدنك حتّى ترضى[1].

*** الشرح:**

قوله: (ويقال له: ذو النمرة) في القاموس، النمرة بالضم: النكتة من أي لون كان والأنمر ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء وهي نمراء وإنما أقسم أن لا يفعل الخيرات وقد صح النهي عنه لأن النهي لم يبلغه أو بلغه وعلم أن الحلف على ذلك غير منعقد لكنه لم يرد القسم حقيقة بل أتى بصورته ترويجاً لمقصوده وهو عدم الإتيان بغير الفرائض.

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٧.

حديث الذي أحياه عيسى عليه السلام

*** الأصل:**

٥٣٢ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن أبي جميلة، عن أبان بن تغلب وغيره، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل: هل كان عيسى ابن مريم أحيى أحداً بعد موته حتى كان له أكلٌ ورزقٌ ومدّةٌ و ولدٌ ؟ فقال: نعم إنّه كان له صديق مواخ له في الله تبارك وتعالى وكان عيسى عليه السلام يمرّ به وينزل عليه وإنّ عيسى غاب عنه حيناً ثمّ مرّ به ليسلّم عليه فخرجت إليه اُمّه فسألها عنه، فقالت: مات يا رسول الله، فقال: أفتحبّين أن تريه ؟ قالت: نعم: فقال لها: فإذا كان غداً [ف]ـآتيك حتى اُحييه لك بإذن الله تبارك وتعالى، فلمّا كان من الغد أتاها فقال لها: إنطلقي معي إلى قبره، فانطلقا حتى أتيا قبره فوقف عليه عيسى عليه السلام ثم دعى الله عزّ وجلّ فانفرج القبر وخرج ابنها حيّاً فلمّا رأته اُمّه ورآها بكيا فرحمهما عيسى عليه السلام فقال له عيسى: أتحبّ أن تبقى مع اُمّك الدنيا ؟ فقال: يا نبي الله بأكل ورزق ومدة أم بغير أكل ولا رزق ولا مدة ؟ فقال له عيسى عليه السلام: بأكل ورزق ومدّة وتعمر عشرين سنة وتزوّج ويولد لك ؟ قال: نعم إذا، قال: فدفعه عيسى إلى اُمّه فعاش عشرين سنة وتزوّج و ولد له(١).

*** الشرح:**

قوله: (حديث الذي أحياه عيسى عليه السلام) فيه دلالة واضحة على استحباب زيارة الأحباء وتفقد أحوالهم وعلى صحة الرجعة وقد دل عليهما روايات اخر.

٥٣٣ ـ ابن محبوب، عن أبي ولاّد وغيره من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: **﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾** فقال: من عبد فيه غير الله عزّ وجلّ أو تولّى فيه غير أولياء الله فهو ملحد بظلم وعلى الله تبارك وتعالى أن يذيقه من عذاب أليم.

*** الأصل:**

٥٣٤ ـ ابن محبوب، عن أبي جعفر الأحول، عن سلاّم بن المتستر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: **﴿الذين اُخرجوا من ديارهم بغير حقّ إلاّ أن يقولوا ربّنا الله﴾**(٢) قال: نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وحمزة وجعفر وجرت في الحسين عليهم السلام أجمعين(٣).

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٨. (٢) سورة الحج : ٤٠. (٣) الكافي: ٨ / ٢٧٩.

* **الشرح:**

قوله: (في قول الله تعالى الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلّا أن يقولوا ربنا الله) فيه مبالغة لمدحهم وتأكيد له ولكون إخراجهم بغير حق حيث علق اتصافهم بصفة ذم مقتضية لإخراجهم على هذه الصفة وهو قولهم «ربنا الله» على تقدير كونها صفة ذم وهذا التقدير محال لأن تلك الصفة من أكمل الصفات الحسنة والمعلق على المحال محال فاتصافهم بصفة ذم مقتضية للإخراج محال، والاستثناء على هذا التقدير متصل ويمكن أن يكون منقطعاً فإن إرادة الاستثناء بعد نفي جميع صفات الذم عنه، وهو المستفاد من قوله﴿**بغير حق**﴾ يوهم استثناء شيء منها بناء على أن أصل الاستثناء هو الاتصال فلما لم يوجد شيء منها ذكر صفة مدح بعدها فصار الإستثناء منقطعاً ووقع المدح على المدح.

* **الأصل:**

٥٣٥ ـ ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن يزيد الكناسي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا» قال: فقال: إنّ لهذا تأويلاً يقول: بماذا أُجبتم في أوصيائكم الذين خلّفتموهم على أُممكم ؟ قال: فيقولون لا علم لنا بما فعلوا من بعدنا(١).

* **الشرح:**

قوله: (يوم يجمع الله الرسل فيقول: ماذا أجبتم؟ قالوا: لا علم لنا ـ اه) دل على أنه كانت للرسل أوصياء فكيف يتخلف ذلك عن خاتم الأنبياء وعلى أن الله تعالى يسأل عباده عن متابعتهم ومخالفتهم، ثم الظاهر أن الرسل يشمل رسولنا صلى الله عليه وآله فحينئذ قوله﴿**فيقولون لا علم لنا بما فعلوا من بعدنا**﴾ ينافي الأخبار الدالة على عرض الأعمال عليه صلى الله عليه وآله والأخبار الدالة على أنه صلى الله عليه وآله أخبر وصيه بما يفعلون به بعده، فلابد من تخصيص الرسل بغيره صلى الله عليه وآله أو تخصيص العلم المنفي بالعلم المخصوص وهو العلم بطريق المشاهدة والعيان أو القول بأن ذلك القول منهم تخشع وتذلل وإظهار العجز بمشاهدة جلال الله تعالى مع علمه الشامل لكل صغير وكبير فكان علمهم في جنبه ليس بعلم، وأما القول بأن العرض عليه عرض مجمل فيقال عملت أمتك كذا أو عرض من غير تعيين العامل فبعيد جداً يظهر ذلك لمن تأمل في الأخبار الدالة على العرض.

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٧٩.

حديث إسلام علي عليه السلام

*** الأصل:**

٥٣٦ ـ ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة، عن سعيد بن المسيّب قال: سألت علي ابن الحسين عليهما السلام: ابن كم كان علي بن أبي طالب عليه السلام يوم أسلم؟ فقال: أو كان كافراً قط؟! إنّما كان لعلي عليه السلام حيث بعث الله عزّ وجلّ رسوله صلى الله عليه وآله عشر سنين ولم يكن يومئذ كافراً ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسبق الناس كلّهم إلى الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وإلى الصلاة بثلاث سنين وكانت أوّل صلاة صلاّها مع رسول الله صلى الله عليه وآله الظهر ركعتين وكذلك فرضها الله تبارك وتعالى على من أسلم بمكّة ركعتين ركعتين وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّيها بمكّة ركعتين ويصليها علي عليه السلام معه بمكة ركعتين مدة عشر سنين حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وخلّف علياً عليه السلام في اُمور لم يكن يقوم بها أحد غيره وكان خروج رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة في أول يوم من ربيع الأوّل وذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس فنزل بقبا فصلّى الظهر ركعتين والعصر ركعتين، ثم لم يزل مقيماً ينتظر عليا عليه السلام يصلّي الخمس صلوات ركعتين ركعتين، وكان نازلاً على عمرو بن عوف فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له: أتقيم عندنا فنتّخذ لك منزلاً ومسجداً؟ فيقول: لا، إنّي أنتظر علي بن أبي طالب وقد أمرته أن يلحقني ولست مستوطناً منزلاً حتى يقدم علي وما أسرعه إن شاء الله، فقدم علي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله فى بيت عمرو بن عوف، فنزل معه، ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قدم عليه عليّ عليه السلام تحوّل من قبا إلى بني سالم بن عوف وعلي عليه السلام معه يوم الجمعة مع طلوع الشمس فخطَّ لهم مسجداً ونصب قبلته فصلّى بهم فيه الجمعة ركعتين، وخطب خطبتين، ثمَّ راح من يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها وعلي عليه السلام معه لا يفارقه، يمشي بمشيه وليس يمرّ رسول الله صلى الله عليه وآله ببطن من بطون الأنصار إلاّ قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم فيقول لهم: خلّوا سبيل الناقة فإنّها مأمورة، فانطلقت به ورسول الله صلى الله عليه وآله واضع لها زمامها حتى انتهت إلى الموضع الذي ترى ـ وأشار بيده إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يصلّي عنده بالجنائز ـ فوقفت عنده وبركت ووضعت جرانهاعلى الأرض فنزل رسول الله، وأقبل أبو أيّوب مبادراً حتى احتمل رحله فأدخله منزله ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام معه حتى بني له مسجده وبنيت له مساكنه ومنزل علي عليه السلام فتحوّلا إلى منازلهما.

فقال سعيد بن المسيّب لعلي بن الحسين عليه السلام: جعلت فداك كان أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وآله حين أقبل إلى المدينة فأين فارقه ؟ فقال: إنّ أبا بكر لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قبا فنزل بهم ينتظر قدوم علي عليه السلام فقال له أبو بكر: انهض بنا إلى المدينة فانّ القوم قد فرحوا بقدومك وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولا تقم ههنا تنتظر علياً فما أظنّه يقدم عليك إلى شهر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كلاّ ما أسرعه ولست أريم حتى يقدم ابن عمّي وأخي في الله عزّ وجلّ وأحبُّ أهل بيتي إليّ فقد وقاني بنفسه من المشركين: قال: فغضب عند ذلك أبو بكر واشمأز وداخله من ذلك حسد لعلي عليه السلام وكان ذلك أوّل عداوة بدت منه لرسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام وأوّل خلاف على رسول الله صلى الله عليه وآله، فانطلق حتى دخل المدينة، وتخلّف رسول الله صلى الله عليه وآله بقبا ينتظر علياً عليه السلام.

قال: فقلت لعلي بن الحسين عليهما السلام فمتى زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة من عليّ عليهما السلام فقال: بالمدينة بعد الهجرة بسنة وكان لها يومئذ تسع سنين، قال: علي بن الحسين: ولم يولد لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة عليها السلام على فطرة الاسلام إلاّ فاطمة عليها السلام وقد كانت خديجة ماتت قبل الهجرة بسنة ومات أبو طالب بعد موت خديجة بسنة فلمّافقدهما رسول الله صلى الله عليه وآله سئم المقام بمكّة ودخله حزن شديد وأشفق على نفسه من كفّار قريش فشكا إلى جبرئيل عليه السلام ذلك، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: اُخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة فليس لك اليوم بمكّة ناصرٌ وأنصب للمشركين حرباً.

فعند ذلك توجّه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة، فقلت له: فمتى فرضت الصلاة على المسلمين على ماهم عليه اليوم ؟ فقال: بالمدينة حين ظهرت الدّعوة وقوي الإسلام وكتب الله عزّ وجلّ على المسلمين الجهاد [و] زاد رسول الله صلى الله عليه وآله في الصلاة سبع ركعات في الظهر ركعتين وفي العصر ركعتين وفى المغرب ركعة وفي العشاء الآخرة ركعتين، وأقرّ الفجر على ما فرضت لتعجيل نزول ملائكة النّهار من السماء ولتعجيل عروج ملائكة الليل إلى السماء، وكان ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الفجر فلذلك قال عزّ وجل: **﴿وقرآن الفجر إنَّ قرآن الفجر كان مشهوداً﴾**[١] يشهده المسلمون ويشهده ملائكة النّهار وملائكة الليل[٢].

*** الشرح:**

قوله: (ابن كم كان على بن أبى طالب يوم أسلم فقال أو كان كافراً قط ـ اه) أفاد عليه السلام أن إيمانه التكليفي كان متصلاً بإيمانه الفطري ولم يكن مسبوقاً بالكفر أصلاً، واندفع به ما ذهب إليه بعض النواصب من أن إسلامه لم يكن معتبراً لكونه دون البلوغ وتوضيح الدفع أنه عليه السلام إن كان بالغاً حين

(١) سورة الأسراء: ٧٨. (٢) الكافي: ٨ / ٥٣٦.

آمن وهو يمكن في عشر سنين سيما في البلاد الحارة فقد حصل الغرض واندفع ما ذكر وإن لم يكن بالغاً فلا يتصور الكفر في حقه ﷺ لكونه مولوداً على الفطرة المستقيمة داخلاً في طاعة الله وطاعة رسوله، مستمراً عليها على وجه الكمال فإيمانه التكليفي وارد على نفس قدسية غير متدنسة بأدناس الجاهلية وعبادة الأصنام والعقائد الباطلة ولا ريب في أن هذا الإيمان أكمل من إيمان من آمن عند البلوغ بلا سابقة خيرات فضلاً عن إيمان من آمن بعد علو السن وعبادة الأصنام وشرب المسكرات ولا يقدم إلى إنكار ذلك إلّا جاهل متعصب (وسبق الناس كلهم إلى الإيمان ـ اه) هذا هو المتفق عليه بين الخاصة والعامة وقد ذكرنا ما يدل عليه من أحاديثهم وأقوالهم في مواضع لغرض ما ولا بأس أن نذكر هنا شيئاً منها فنقول: قال القرطبي شارح مسلم في شرح الأحاديث الدالة على فضائله ﷺ: هو أول من أسلم لحديث (أولكم وارداً علي الحوض، أولكم إسلاماً علي ابن أبي طالب» وعن علي رضي الله عنه قال: «عبدت الله تعالى قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة بخمس سنين» وعنه «ماكان يصلي مع رسول الله غيري وغير خديجة» واختلف في سنه رضي الله عنه حين أسلم فقيل خمس سنين، وقيل ثمان، وقيل اثني عشر، وقيل ثمانية عشر، وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها إلّا تبوك فإن رسول الله خلفه مع أهله وقال له: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبي بعدي**» وزوّجه ابنته فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء أهل الجنة، وله من الشجاعة والعلم والحلم والزهد والورع وكرم الأخلاق ما لا يسعه كتاب، بويع بالخلافة في اليوم الذي قتل فيه عثمان انتهى. وقال الآمدي: لايخفى أن علياً رضي الله عنه كان مستجمعاً لخلال شريفة ومناقب منيفة بعضها كاف في استحقاق الإمامة، وقد اجتمع فيه من حميدة الصفات وأنواع الكمالات ما تفرق في غيره من الصحابة حتى قيل إنه من أشجع الصحابة، وأعلمهم، وأزهدهم، وأفصحهم وأسبقهم إيماناً وأكثرهم جهاداً وأقربهم نسباً وصهراً منه كان معدوداً في أول الجريدة وسابقاً إلى كل فضيلة، وقد قال فيه رباني هذه الأمة ابن عباس وقد سأله معاوية عنه قال كان وكان فلم يبق محمدة من محامد الدين والدنيا إلّا وصفه بها مع ما ورد من الآثار المنبهة على مناقبه، هذا صفاته وأما إثبات إمامته فبإجماع الأمة بعد مقتل عثمان عليها من غير منازع. انتهى.

أقول: وقد صرّحوا بأن الأسبق في الإسلام أفضل من غيره فيما رواه مسلم عن النبي ﷺ قال «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحرث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة» قال الهروي: المراد بالدور هنا: القبائل وتفضيلهم هكذا إنما هو بحسب سبقهم إلى الإسلام وفيه جواز التفضيل وأنه ليس بغيبة، وقال عياض: تفضيلهم بحسب السبقية إلى الإسلام وأعمالهم فيه وهو

خبر من الشارع عمّا لهم عند الله من المنزلة فلا يقدم من أخر ولا يؤخر من قدم، وقال الآبي: السبقية في الإسلام ملزومة لكثرة الأعمال الموجبة للتفضيل (ويصلّيها علي عليه السلام بمكة ركعتين معه مدة عشر سنين) يعني بعد ثلاث سنين التي سبق الناس فيها (وكان خروج رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة في أول يوم من ربيع الأول وذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس يفهم منه ومن تعيين الشهر أنه دخل يوم الاثنين عند زوال الشمس ويفهم من قوله فأقام عندهم بضعة عشر يوماً مع قوله وتحول من قبا إلى بني سالم يوم الجمعة أنه أقام عندهم سبعة عشر يوماً، وأنه دخل المدينة يوم التاسع والعشرين من الشهر المذكور، وروى مسلم عن أنس بن مالك «أن رسول الله صلى الله عليه وآله قدم المدينة فنزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة. فلما ذكره ابن اسحاق في سيره أنه أقام فيهم أربعة أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجدهم فيها ورحل عنهم يوم الجمعة فأدركته الصلاة في بني سالم بن عوف فصلّى بهم الجمعة ليس بشيء لأنه ليس موافقاً لرواية العامة والخاصة (فخط لهم مسجداً ونصب قبلته فصلّى بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين) دل على أن على الإمام وضع مسجد الجماعة تأسياً بالنبي صلى الله عليه وآله وكما يستحب له يستحب للجماعة أيضاً لأن وضعه والاجتماع فيه من شعائر الإسلام ولا يدل قوله (فصلى بهم فيه الجمعة) على أن الجمعة مشروطة بوقوعها في المسجد خلافاً لأكثر العامة حيث صرحوا بأن اتخاذ المسجد فرض على قوم استوطنوا موضعاً لأن الجمعة فرض وشرطها الجامع والشرطية عندنا وعند بعضهم باطلة (ووضعت جرانها على الأرض) جران البعير بالكسر مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره (وهم يستريثون) أي يستبطئون من الريثة وهو الإبطاء (ولست أريم) رام يريم: إذا برح وزال عن مكانه (فمتى زوج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة من علي عليهما السلام فقال بالمدينة بعد الهجرة بسنة) قال عياض: تزوجت فاطمة رضي الله عنها علياً رضي الله عنه بعد أحد وبناؤها بعد العقد بسبعة أشهر وكان سنها يومئذ خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف وسن علي رضى الله عنه يومئذ إحدى وعشرون سنة والأصح أنه كان لها يومئذ تسع سنين.

وقوله: (زاد رسول الله صلى الله عليه وآله في الصلاة سبع ركعات) هكذا ذكره الصدوق أيضاً في الفقيه وفيه دلالة واضحة على أن ثالثة المغرب زيدت في المدينة وهذا ينافي ما رواه الصدوق أيضاً في الفقيه مرسلاً عن الصادق عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله لما صلّى المغرب بلغ مولد فاطمة عليها السلام فأضاف إليها ركعة شكراً لله عز وجل فإنها صريحة في أنها زيدت في مكة وتخصيص الزيادة في مكة به صلى الله عليه وآله وإيجاب الأمر بها في المدينة وإن كان ممكناً لكني لم أقف فيه على قول من الأصحاب (وأقر الفجر على ما

فرضت لتعجيل نزول ملائكة النهار من السماء ولتعجيل عروج ملائكة الليل إلى السماء) ربما يتوهم أنه لا دخل لتعجيل النزول في عدم الزيادة في الفجر ويمكن دفع ذلك بأن تعجيل العروج لانقضاء النوبة بطلوع الفجر وتعجيل النزول متلازمان لئلا يبقى المكلف بلا حفظة ولو في آن وتعجيل العروج سبب لعدم الزيادة ومستلزم له فوقع التلازم بين الثلاثة، فكما يمكن أن يقال: تعجيل العروج مستلزم لعدم الزيادة لاستحالة تخلف المعلول عن العلة كذلك يمكن أن يقال: تعجيل النزول مستلزم لاستحالة تخلف أحد المتلازمين عن الآخر فليتأمل.

*** الأصل:**

٥٣٨ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، وأبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار جميعاً، عن علي بن حديد، عن جميل بن درّاج، عن زرارة قال: كان أبو جعفر عليه السلام في المسجد الحرام فذكر بني أمية ودولتهم، فقال له بعض أصحابه: إنّما نرجو أن تكون صاحبهم وأن يظهر الله عزّ وجلّ هذا الأمر على يديك، فقال: ما أنا بصاحبهم ولا يسرُّني أن أكون صاحبهم إنّ أصحابهم أولاد الزّنا، إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق منذ خلق السماوات والأرض سنين ولا أيّاماً أقصر من سنيهم وأيّامهم إنّ الله عزّ وجلّ يأمر الملك الذي في يده الفلك فيطويه طياً[١].

*** الشرح:**

قوله: (إن أصحابهم أولاد الزنا - اه) لما مرَّ مراراً أن إماءهم ومهور نسائهم مال الإمام عليه السلام وهم مهلكوه ظلماً وقد مرَّ وجه قصر أيامهم وسنيهم بطي الفلك وسرعة حركته سابقاً فلا نعيده.

*** الأصل:**

٥٣٩ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير: عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ولد المرداس من تقربّ منهم أكفروه ومن تباعد منهم أفقروه ومن ناوأهم قتلوه ومن تحصّن منهم أنزلوه ومن هرب منهم أدركوه، حتى تنقضي دولتهم[٢].

*** الشرح:** قوله: (قال: ولد المرداس - اه) أريد بالمرداس: السفاح وهو أول خليفة من ولد العباس من ردس القوم رماهم بحجر: والمرداس: شيء صلب يدرك به الحائط والجبل ونحوهما وإطلاقه عليه من باب الاستعارة.

*** الأصل:**

جميعاً، عن محسن بن أحمد بن معاذ، عن أبان بن عثمان، عن بشير النبّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً إذ جاءته امرأة فرحّب بها وأخذ بيدها وأقعدها ثم قال ابنة نبيّ ضيّعه قومه، خالد بن سنان دعاهم فأبوا أن يؤمنوا وكانت نارٌ يقال لها: نار الحدثان تأتيهم كل سنة فتأكل بعضهم وكانت تخرج في وقت معلوم فقال لهم: إن رددتها عنكم تؤمنون ؟ قالوا: نعم، قال: فجاءت فاستقبلها بثوبه فردّها ثم تبعها حتى دخلت كهفها ودخل معها وجلسوا على باب الكهف وهم يرون ألاّ يخرج أبداً فخرج وهو يقول: هذا هذا وكلّ هذا من ذا زعمت بنو عبس أنّي لا أخرج وجبيني يندى ؟! ثم قال: تؤمنون بي ؟ قالوا: لا، قال: فإنّي ميّت يوم كذا وكذا فإذا أنا متُّ فادفنوني فإنّها ستجيء عانة من حمر يقدمها عير أبتر حتى يقف على قبري فانبشوني وسلوني عمّا شئتم، فلمّا مات دفنوه وكان ذلك اليوم إذ جاءت العانة اجتمعوا وجاؤوا يريدون نبشه فقالوا: ما آمنتم به في حياته فكيف تؤمنون به بعد موته ؟ ولئن نبشتموه ليكوننّ سبّة عليكم فاتركوه فتركوه[1].

* **الشرح:**

قوله: (فرحب بها ـ اه) أي قال لها: مرحباً وهذه كلمة يقال للبر والتعظيم وفيه دلالة على جواز أن يقول الرجل للمرأة مرحباً وأخذ يدها إذا كان مأموناً صالحاً وعلى جواز قعودها مع الرجال لم يكونوا من أهل ريبة وعلى استحباب تعظيم شخص لأجل شرافة الآباء والأجداد ففيه حث عظيم على تعظيم أولاد نبينا صلى الله عليه وآله (فخرج وهو يقول: هذا هذا) الظاهر أنهما مبتدأ وخبر، الأول إشارة إلى الرد، والثاني إلى الدخول، أي ردها الذي ضمنت لكم دخولها في الكهف ويحتمل أن يكون كل منهما مبتدأ خبره محذوف بقرينة المقام أي هذا صنعي أو شأني أو خروجي والتكرير للتأكيد ورفع الاستبعاد (وكل هذا موذ) إشارة إلى كل واحد من الجالسين على باب الكهف وحكم عليه بأنه موذ مثل هذه النار، وفي بعض النسخ من ذا بدل موذ أي كل واحد من مجيء النار وردها ودخولها في الكهف ودخولي فيه وخروجي منه من الله عز وجل (أزعمت بنو عبس أني لا أخرج ـ اه) الهمزة للتوبيخ وعبس بفتح العين وسكون الباء الموحدة: اسم لجدهم أو مخفف عبد قيس (وجبيني يندى) أي يعرق من ندي كرضي إذا ابتل، والظاهر أنه عطف على اسم أن فهو داخل تحت توبيخهم بما زعموا أن النار تحرقه أو توجب مشقته وتؤثر فيه ولو بعرق الجبين، والعانة: الأتان والقطيع من حمر الوحش؛ والعير بالفتح: الحمار وغلب على الوحشي، والأبتر: مقطوع الذنب، والسبه بالضم والتشديد: العار يقال صار هذا الأمر سبة عليه أي عاراً نسب به.

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٨٢.

* **الأصل:**

٥٤١ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم ابن قيس الهلالي قال: سمعت سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول: لمّا قبض رسول الله ﷺ وصنع الناس ما صنعوا وخاصم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح الأنصار فخصموهم بحجّة علي عليه السلام قالوا: يا معشر الأنصار قريش أحقّ بالأمر منكم لأنّ رسول الله ﷺ من قريش والمهاجرين منهم إنّ الله تعالى بدأ بهم في كتابه وفضّلهم وقد قال رسول الله ﷺ: الأئمة من قريش، قال سلمان رضي الله عنه: فأتيت علياً عليه السلام وهو يغسّل رسول الله ﷺ فأخبرته بما صنع الناس وقلت: إنّ أبا بكر السّاعة على منبر رسول الله ﷺ والله ما يرضى أن يبايعوه بيد واحدة إنهم ليبايعونه بيديه جميعاً بيمينه وشماله فقال لي: يا سلمان هل تدري من أوّل من بايعه على منبر رسول الله ﷺ ؟ قلت: لا أدري، إلاّ أني رأيت في ظلّة بني ساعدة حين خصمت الأنصار وكان أوّل من بايعه بشير بن سعد وأبو عبيدة بن الجرّاح ثم عمر، ثم سالم قال: لست أسألك عن هذا ولكن تدري أوّل من بايعه حين صعد على منبر رسول الله ﷺ ؟ قلت: لا ولكنّي رأيت شيخاً كبيراً متوكّئاً على عصاه بين عينيه سجّادة شديد التشمير صعد إليه أوّل من صعد وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يمتني من الدنيا حتى رأيتك في هذا المكان ابسط يدك، فبسط يده فبايعه، ثم نزل فخرج من المسجد فقال علي عليه السلام: هل تدري من هو ؟ قلت: لا ولقد ساءتني مقالته كأنّه شامت بموت النبي ﷺ، فقال ذاك إبليس لعنه الله أخبرني رسول الله ﷺ انّ إبليس ورؤساء أصحابه شهدوا نصب رسول الله ﷺ إيّاى للنّاس بغدير خمّ بأمر الله عزّ وجلّ فأخبرهم أنّي أولى بهم من أنفسهم وأمرهم أن يبلّغ الشاهد الغائب فأقبل إلى إبليس أبالسته ومردة أصحابه فقالوا: إنّ هذه أمّة مرحومة ومعصومة ومالك ولا لنا عليهم سبيل قد أعلموا إمامهم ومفزعهم بعد نبيّهم، فانطلق إبليس لعنه الله كئيباً حزيناً، وأخبرني رسول الله ﷺ أنّه لو قبض أن الناس يبايعون أبا بكر في ظلّة بني ساعدة بعد ما يختصمون، ثم يأتون المسجد فيكون أوّل من يبايعه على منبري إبليس لعنه الله في صورة رجل شيخ مشمّر يقول كذا وكذا، ثمّ يخرج فيجمع شياطينه وأبالسته فينخر ويكسع ويقول: كلاّ زعمتم أن ليس لي عليهم سبيل فكيف رأيتم ما صنعت بهم حتى تركوا أمر الله عزّ وجلّ وطاعته وما أمرهم به رسول الله ﷺ[1].

* **الشرح:**

قوله: (لما قبض رسول الله وصنع الناس ما صنعوا) بيان ما صنعوا إجمالاً ما ذكر صاحب كتاب

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٨٣.

إكمال الإكمال وهو من أعاظم علماء العامة، قال: لما قبض رسول الله ﷺ انحاز الأنصار إلى سقيفة بني ساعدة إلى سعد بن عبادة، واعتزل علي والزبير وطلحة في بيت، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر فأتى آت فقال: إن الأنصار انحازوا إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فإن كان لكم بأمر الناس فأدركوهم قبل أن يتم أمرهم ورسول الله ﷺ في بيته لم يفرغ من شأنه قد أغلق أهله الباب دونه قال عمر فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى الأنصار حتى ننظر ماهم عليه فأتيناهم فإذا بين ظهرانيهم رجل مرسل فقلت من هذا؟ فقالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ماله؟ قالوا: وجع فلما جلسنا قام خطيبهم ثم ذكر شيئاً من فضائل الأنصار فلما سكت أردت أن أتكلم وقد أعددت في نفسي مقالة أعجبتني أن أقدمها، فقال لي أبو بكر: على رسلك يا عمر ستكفى الكلام فأقول ثم تقول بعدي ما بدالك: فتكلم فوالله ما ترك كلمة أعجبتني إلّا قالها أو مثلها أو أفضل منها، ثم قال: أما ماذكرتم من خير فأنتم له أهل ولكن العرب لا تعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحي من قريش أوسط العرب نسباً وداراً وقد بعث الله محمداً بالهدى ودين الحق وكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاماً ونحن عشيرته وذوو رحمه ونحن أهل النبوة والخلافة ونحن الأمراء وأنتم الوزراء وإخواننا وأحب الناس إلينا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم وأخذ بيد عمر وأبي عبيدة وكان بينهما فقال قائل من الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، وكثر اللغط وارتفعت الاصوات، قال عمر: حتى خفنا الاختلاف فقلت لأبي بكر: ابسط يدك فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ويردنا الى سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة، ثم نقل هذه القصة بطريق آخر قريب من المذكور إلّا أنه قال: لما وضع أبو بكر يده على عمر وأبي عبيدة وقال: أنا أدعوكم الى أحد هذين الرجلين قالا معاً: لا ينبغي لأحد أن يكون فوقك يا أبا بكر فقال قائل من الأنصار: منا أمير ومنكم أمير وكثر اللغط حتى خيف أن تقع الفتنة وأوجد بعضهم بعضاً فقام أسيد بن حضير وبشير بن سعد يستقبلان ليبايعوا أبا بكر فسبقهما عمر ثم بايعا معه ثم وثب الناس يبتدرون البيعة فما فرغ أبو بكر من البيعة رجع إلى المسجد فصعد المنبر فبايعه الناس وشغلوا الناس عن دفن رسول الله ﷺ حتى كان آخر الليل من ليلة الثلاثاء وقد كان وفاته ﷺ نصف النهار من يوم الاثنين ثم أبو بكر لما حضرته الوفاة استخلف عمر وعمر لما حضرته الوفاة تركها شورى بين الستة وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف (فخصموهم بحجة علي عليه السلام) أي بحجة هى لعلي عليه السلام عليهم (في ظلة بني ساعدة) الظلة بالضم كهيئة: الصفة (بين عينيه سجاده) السجادة بالفتح: أثر السجود في الجبهة وفلان شديد التشمير شديد الاجتهاد للعبادة وهو يبكي، قال: بعض الأفاضل ولا يمتنع أن يكون بكاؤه حقيقة لأنه جسم

ولعل بكاؤه لشدة سروره بموت النبي ﷺ وجلوس أبي بكر محله، وقال محيى الدين شارح مسلم: الشيطان جسم لطيف روحاني قد يتصور بصورة، وقال القرطبي: يجوز رؤيته وقوله تعالى **﴿من حيث لا ترونهم﴾** محمول على الغالب، ثم قال: وقيل: إن رؤيته على صورته الأصلية ممتنعة على غير الأنبياء أو من خرقت له العادة وإنما يراه الناس في صورة غيرها كما جاء في الآثار، أقول: الآثار من طرق العامة والخاصة مستفيضة دالة على جواز رؤية الناس إياه في صورته الفرعية، وأما رؤيتهم إياه في صورته الأصلية كما دل عليه السلام كلام القرطبي وإن لم تكن ممتنعة عقلاً لكنها لم يثبت لا عقلاً ولا نقلاً ولذلك قال المازري: هذه دعوى إن لم يكن لها مستند فهي مردودة نعم ثبوتها للأنبياء من باب خوارق العادة لاختصاصهم بالروح القدسية والقوة البصرية التي تدرك بها الأشياء التي هي محجوبة عن غيرهم وفي قوله عليه السلام: أخبرني دليل على قوله ذاك إبليس وليس المقصود به رفع إنكار المخاطب لأن سلمان كان عالماً بصدق مقالته في كل ما يقول بل المقصود به زيادة تقرير الحكم و تثبيته في ذهن المخاطب والمبالغة في حثه على التلقي بالقبول مع مافيه من الإشعار بأنه عليه السلام كان عالماً بهذه القضية ونقضهم العهد قبل الوقوع وبأن الشياطين لا يعلمون الأمور الكائنة قبل وقوعها وإلّا لما حزنوا بأخذ الميثاق (فينخر) أي يمد الصوت في خياشيمه (ويكسع) أي يضرب دبره بيده أو رجله أو بكليهما، ويحتمل أن يكون هذا منه حقيقة لأنه جسم وأن يكون استعارة على سبيل التمثيل.

*** الأصل:**

٥٤٢ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن سليمان، عن عبدالله بن محمد اليماني، عن مسمع بن الحجّاج، عن صباح الحذّاء، عن صباح المزني، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا أخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام يوم الغدير صرخ إبليس في جنوده صرخة فلم يبق منهم أحد في برّ ولا بحر إلاّ أتاه فقالوا: يا سيّدهم ومولاهم ماذا دهاك فما سمعنا لك صرخة أوحش من صرختك هذه ؟ فقال لهم: فعل هذا النبيّ فعلا إن تمّ لم يعص الله أبداً فقالوا: يا سيّدهم أنت كنت لآدم، فلمّا قال المنافقون: إنّه ينطق عن الهوى وقال أحدهما لصاحبه: أماترى عينيه تدوران في رأسه كأنّه مجنون - يعنون رسول الله ﷺ ـ صرخ إبليس صرخة بطرب فجمع أولياءه فقال: أما علمتم أنّي كنت لآدم من قبل ؟ قالوا: نعم قال: آدم نقض العهد ولم يكفر بالربّ وهؤلاء نقضوا العهد وكفروا بالرسول فلمّا قبض رسول الله ﷺ وأقام الناس غير علي عليه السلام لبس إبليس تاج الملك ونصب منبراً وقعد في الوثبة وجمع خيله ورجله ثم قال لهم: اطربوا لا يطاع الله حتّى يقوم الإمام.

وتلا أبو جعفر عليه السلام: **﴿ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين﴾**(١) قال أبو جعفر عليه السلام: كان تأويل هذه الآية لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، والظن من إبليس حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّه ينطق عن الهوى فظنّ بهم إبليس ظنّاً فصدّقوا ظنّه(٢).

*** الشرح:**

قوله: (فقالوا يا سيدهم ومولاهم) لم يضف إلى ضمير المتكلم مع أنه مراد لكراهة تلك الإضافة (ماذا دهاك) أي شيء أصابك بداهية وأمر عظيم أوجد فيك هذه الصرخة؟ فقالوا: تسلية له (يا سيدهم أنت كنت لادم) مع كمال علمه وفضله وقربه بالرب فإضلال هؤلاء الجهلة عندك أسهل (قال آدم نقض العهد ولم يكفر بالرب) لإقراره بربوبيته وطاعته وصحة أمره، وإنما فعل ماكان تركه أولى (وهؤلاء نقضوا العهد وكفروا بالرسول) لأنهم أنكروا رسالته وأمره ونسبوا القول بالهوى والجنون اليه صلى الله عليه وآله وإنما لم يقل وكفروا بالرب مع أنه الأنسب بالسابق للإشعار بأن الكفر بالرسول كفر بالرب (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) بردهم الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله عن وصيّه فوجدوه صادقاً فصدقوا ظنه وأذعنوا بفعل مظنونه.

*** الأصل:**

٥٤٣ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن حديد، عن جميل بن درّاج، عن زرارة، عن أحدهما عليهما السلام قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً، كئيباً حزيناً؟ فقال له علي عليه السلام: مالي أراك يا رسول الله كئيباً حزيناً؟ فقال: وكيف لا أكون كذلك وقد رأيت في ليلتي هذه أنّ بني تيم وبني عديّ وبني أميّة يصعدون منبري هذا، يردّون الناس عن الإسلام القهقر، فقلت: يا ربّ في حياتي أو بعد موتي؟ فقال: بعد موتك(٣).

*** الشرح:** قوله: (وقد رأيت في ليلتي هذه أن بني تيم وبني عدي وبنى أمية ـ اه) الرؤيا التي يراها النبي صلى الله عليه وآله بعد النبوة نوع من أنواع الوحي وقد ذكرنا أنواعه في بعض المواضع فلا نعيد (يردون الناس عن الإسلام القهقرى) أي رد القهقرى وهو ضرب من الرجوع وهو أن يمشي إلى خلف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه وفيه تنبيه على أن ارتدادهم عن الإسلام بنحو خاص وهو خروجهم منه مع ادعائهم له وعدم صرف وجههم عنه بالمرة.

*** الأصل:**

٥٤٤ ـ جميل، عن زرارة، عن أحدهما عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لولا أنّي أكره أن يقال: إنّ

---

(١) سورة سبا : ٢٠ . (٢) الكافي: ٨ / ٢٨٤. (٣) الكافي: ٨ / ٢٨٥.

محمد استعان بقوم حتى إذا ظفر بعدوّه قتلهم لضربت أعناق قوم كثير[1].

*** الشرح :**

قوله: (لولا إني أكره أن يقال إن محمداً استعان بقوم حتى إذا ظفر بعدوه قتلهم لضربت أعناق قوم كثير) مثله في طرق العامة أيضاً روى مسلم «أن رجلاً من الأنصار نازع زبيراً على ماء فترافعا إلى النبي ﷺ فحكم للزبير، فقال الرجل: ان كان ابن عمتك يعني أنك حكمت له لأجل قرابتك فغضب النبي وتلوّى وجهه» قال عياض: وإنما لم يقتله مع أن ما قاله كفر لأنه يستألف ولئلا يقال أن محمداً يقتل أصحابه وقد صبر للمنافقين ومن في قلبه مرض على أكثر من هذا وكان ﷺ يقول «**يسروا ولا تعسروا**» وروي أيضاً «أن رسول الله ﷺ كان في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوها فإنها منتنة فسمعها عبد الله بن أبي فقال: قد فعلوها والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال عمر لرسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال دعه لاتتحدث الناس ان محمداً يقتل أصحابه» قال عياض: كسع: أي ضرب دبره أو عجيزته وفيه ترك التعسر خاف أن يؤدي إلى مفسدة أشد لأن العرب من الأنفة وإبائه الضيم حيث كانوا وكان ﷺ يستألفهم بطلاقة الوجه ولين الكلمة وبذل المال والإغضاء حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم وليراهم غيرهم فيدخل في الإسلام ويتبعهم غيرهم من أتباعهم ولذا لم يقتل المنافقين ووكل أمرهم إلى ظواهرهم مع علمه ببواطن كثير منهم وكانوا في الظاهر معدودين في جملة أصحابه وأنصاره وقاتلوا معه حمية أو طلب غنيمة أو عصبية لمن معه من عشائرهم فلو قتلهم لارتاب في الدخول في الإسلام من يريد الدخول ونفر واختلف هل بقي جواز ترك قتلهم والإغضاء عنهم أو نسخ بقوله﴿**جاهد الكفار والمنافقين**﴾ ومال غير واحد من أئمتنا وغيرهم إلى أنه إنما يجوز العفو عنهم مالم يظهروا نفاقهم فإن أظهروه قتلوا، واحتج بقوله تعالى﴿**لئن لم ينته المنافقون ـ الآية**﴾ وهو يدل على أن المنافقين في زمنه ﷺ كانوا يستحقون القتل لولا المنافع المذكورة ولما يتقى من قتلهم من غضب عشائرهم فتثور الفتنة ويمتنع من الدخول في الإسلام وهو خلاف المقصود .. وأقام رسول الله ﷺ مستصحباً لذلك حتى توفاه الله سبحانه فذهب النفاق وحكمه وارتفع اسمه ومسماه، والحديث يرد على من يقول: إنما لم يقتلهم لأنه لم تقم بيّنة على نفاقهم لأنه نص في هذا الحديث على المانع وفيه القول بسد الذرائع وارتكاب أخف الضررين ومن قال من الأئمة: إنهم إذا أظهروا النفاق يقتلون، يرد عليه أنه في عهده ﷺ منهم من أظهر النفاق واشتهر به ومع ذلك لم يقتلهم هذا كلامه

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٥٨.

بعبارته نقلناه لأن لنا فيه فوائد في بعض المواضع.

*** الأصل:**

٥٤٥ ـ عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبيد الله الدهقان، عن عبد الله بن القاسم، عن ابن أبي نجران، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: إنّ التّارك شفاء المجروح من جرحه شريك لجارحه لا محالة وذلك أنّ الجارح أراد فساد المجروح والتارك لإشفائه لم يشأ صلاحه فإذا لم يشأ صلاحه فقد شاء فساده اضطراراً فكذلك لا تحدّثوا بالحكمة غير أهلها فتجهلوا ولا تمنعوها أهلها فتأثموا وليكن أحدكم بمنزلة الطبيب المداوي إن رأى موضعاً لدوائه وإلاّ أمسك[1].

*** الشرح:**

قوله: (إن التارك شفاء المجروح من جرحه شريك لجارحه) الشفاء: الدواء، شفاه يشفيه، برأه وطلب له الشفاء، كاشفاه، والجرح بالضم: الاسم من الجرح بالفتح جرحه كمنع جرحاً كلمه وفيه حث على مداواة المجروح والمريض وتكفل أحوالهما والعمل بالطب بل وجوبه وتعليم الجاهل إن كان أهلاً له وجواز كتمان العلم من غير أهله.

*** الأصل:**

٥٤٦ ـ سهل، عن عبيدالله، عن أحمد بن عمر قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام أنا وحسين بن ثوير بن أبي فاختة فقلت له: جعلت فداك إنّا كنّا في سعة من الرّزق وغضارة من العيش فتغيّرت الحال بعض التغيير فادع الله عزّ وجلّ أن يردّ ذلك إلينا، فقال: أيّ شيء تريدون؟ تكونون ملوكا؟ أيسرّك أن تكون مثل طاهر وهرثمة وأنّك على خلاف ما أنت عليه؟ قلت: لا والله ما يسرّني أنّ لي الدنيا بما فيها ذهباً وفضّة وأنّي على خلاف ما أنا عليه، قال: فقال: فمن أيسر منكم فليشكر الله، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: **﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾** وقال سبحانه وتعالى: **﴿اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾** وأحسنوا الظنّ بالله فإن أبا عبد الله عليه السلام كان يقول: من حسن ظنّه بالله كان الله عند ظنّه به، ومن رضي بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل، ومن رضي باليسير من الحلال خفّت مؤونته وتنعّم أهله وبصّره الله داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام.

قال: ثمّ قال: ما فعل ابن قياما؟ قال: قلت: والله إنّه ليلقانه فيحسن اللقاء فقال: وأي شيء يمنعه

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٨٥.

من ذلك، ثم تلا هذه الآية ﴿**لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلاّ أن تقطّع قلوبهم**﴾ قال: ثم قال: تدري لأيّ شيء تحيّر ابن قياما ؟ قال: قلت: لا، قال: إنّه تبع أبا الحسن عليه السلام فأتاه عن يمينه وعن شماله وهو يريد مسجد النبي صلى الله عليه وآله فالتفت إليه أبو الحسن عليه السلام فقال ما تريد حيّرك الله قال: ثم قال: أرأيت لو رجع إليهم موسى فقالوا: لو نصبته لنا فاتّبعناه واقتصصنا أثره، أهم كانوا أصوب قولاً أو من قال: ﴿**لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى**﴾ ؟ قال: قلت: لابل من قال: لو نصبته لنا فاتّبعناه واقتصصنا أثره، قال: فقال: من ههنا أُتى ابن قياما ومن قال بقوله.

قال: ثم ذكر ابن السراج فقال: إنّه قد أقرّ بموت أبي الحسن عليه السلام وذلك أنّه أوصى عند موته فقال: كلّ ما خلّفت من شيء حتّى قميصي هذا الذي في عنقي لورثة أبي الحسن عليه السلام ولم يقل: هو لأبي الحسن عليه السلام وهذا إقرار ولكن أيّ شيء ينفعه من ذلك وممّا قال ثمّ أمسك(١).

* **الشرح :**

قوله: (أيسر أن تكون مثل طاهر وهر ثمة) هما من أمراء المأمون وفي غاية العداوة لأهل البيت عليهم السلام (قال: فمن أيسر منكم)؟ اليسر: ليس بالمال والجاه فقط بل هو في الحقيقة بصحة المذهب وكمال الإيمان وبهما يتحقق غناء الأبد ويضدهما يتحقق فقره، ومن ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام «**الغناء والفقر يظهران بعد العرض**» (إن الله عز وجل يقول: لئن شكرتم لأزيدنكم) تعليل للأمر بالشكر على نعمة الإيمان وغيرها من النعماء لأن الشكر يوجب الزيادة في كليهما بحكم الوعد الصادق (وقال سبحانه وتعالى اعملوا آل داود شكرا) أي يا داود، وهذا تعليل آخر﴿**وقليل من عبادي الشكور**﴾ أي كثير الشكر لأن الشكر صرف العبد جميع جوارحه فيما خلقت لأجله دائماً أو غالباً والشكور بهذا المعنى نادر (وأحسنوا الظن بالله) مرَّ تفسير حسن الظن في هذا الكتاب إجمالاً وفي كتاب الكفر والإيمان تفصيلاً (ومن رضي بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل) هذا من حسن المعاملة بين الرب والعبد لأن الرزق حق العبد على الله تعالى والعمل حق الله على العبد فحسن المعاملة يقتضى قبول اليسير مع القليل (ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤونته ـ اهـ) لعل المراد باليسير من الحلال قدر الكفاف منه والرضاء به وترك الطلب للزائد سبب لخفة المؤونة والمشقة في الدنيا والآخرة ولتنعم أهله وترفههم لأن الكفاف كاف في التنعم وهو الترفه، والمراد بداء الدنيا كل ما يمنعه من السير إلى الله والميل إلى الآخرة والعمل لها كالغضب والحسد والبغي وغيرها من أنواع المعاصي، وبدوائها كل ما يدفع به تلك الأمراض من

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٨٦.

الكمالات النفسانية والعقائد الحقة القلبية والأعمال الصالحة البدنية (ثم قال: ما فعل ابن قياما) الحسين بن قياما واقفي وقف على موسى بن جعفر عليهما السلام وكأنه عليه السلام يسأل: عن كيفية ملاقاته مع الشيعة ومخالطته إياهم فقال: (أي شيء يمنعه من ذلك) الأمر والإقرار بالإمام بعد موسى بن جعفر عليه السلام (ثم تلا هذه الآية ـ اه‍) الريبة بالكسر: الشك والتهمة وهي خير لايزال وتلاوة لآية إما لتشبيه حاله بحالهم أو لأنه مندرج فيها ومراد منها أيضاً ودعا أبو الحسن الأول عليه السلام بالتحير لعلمه بمآل حاله (قال: ثم قال) لذم ابن قياما ومن تبعه ومدح من لم يتبعه من الشيعة (أرأيت) أي أخبرني (لو رجع إليهم موسى) الظاهر أن المراد به أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام (فقالوا): أي الذين لم يتبعوه (لو نصبته لنا فاتبعناه واقتصصنا أثره) ولكن لم تنصبه لنا فلم نتبعه والضمائر لابن قياما (أهم كانوا أصوب قولاً) أم من تبعه واقتفى أثره؟ (وقال: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى، قال: قلت: لابل من قال: لو نصبته لنا فاتبعناه واقتصصنا أثره) أصوب قولاً لظهور أن متابعة رجل بعد معصوم والاقتداء به لا يجوز إلّا أن يكون منصوباً من قبله قال: (فقال: من ههنا أتى ابن قياما) ومن قال بقوله أي هلك هو ومن تبعه حيث لم ينصبه عليه السلام للاقتداء وتبليغ ما ذهب إليه وإنما قلنا: الظاهر ذلك لاحتمال أن يكون المراد بموسى كليم الله بتشبيه حال ابن قياما وأتباعه بحال السامري وأتباعه في عدم نصب المعصوم لهما لما ذهبا إليه فضمير قالوا حينئذ لمن يتبع السامري والضمائر الباقية للسامرى بقرينة السياق والله أعلم (قال: ثم ذكر ابن السراج ـ اه‍) كأنه أحمد بن أبي بشر السراج الكوفي الواقفي الضال المضل، وقراره بموت أبي الحسن موسى عليه السلام عند موته لا ينفعه إما لأن توبة العالم بالشيء المنكر له في هذا الوقت لا ينفعه أو لأنه لم يقر بإمامة أبي الحسن الرضا عليه السلام أو لأنه أضل كثيراً وتوبة المضل أن يعيد من أضله إلى الحق وهو أشد من خرط القتاد.

*** الأصل:**

٥٤٧ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حمّاد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتك إيّاهم في أمرك وأُمورهم وأكثر التبسم في وجوههم وكن كريماً علىٰ زادك، وإذا دعوك فأجبهم، وإذا استعانوا بك فأعنهم واغلبهم بثلاث: بطول الصمت وكثرة الصلاة وسخاء النفس بما معك من دابّة أو مال أو زاد وإذا استشهدوك على الحقّ فاشهد لهم واجهد رأيك لهم إذا استشاروك ثم لا تعزم حتى تثبّت وتنظر ولا تجب في مشورة حتى تقوم فيها وتقعد وتنام وتأكل وتصلّي وأنت مستعمل فكرك وحكمتك في مشورته فإن من لم يمحض النصيحة لمن استشاره سلبه الله تبارك وتعالى رأيه ونزع

عنه الأمانة، وإذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم وإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم وإذا تصدّقوا وأعطوا قرضاً فأعط معهم، واسمع لمن هو أكبر منك سنّاً، وإذا أمروك بأمر وسألوك فقل: نعم ولا تقل: لا، فانّ لا، عيّ ولؤم. وإذا تحيّرتم في طريقكم فانزلوا وإذا شككتم في القصد فقفوا وتؤامروا وإذا رأيتم شخصاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم ولا تسترشدوه فإنّ الشخص الواحد في الفلاة مريب لعلّه أن يكون عيناً للصوص أن يكون هو الشيطان الذي حيّركم، واحذروا الشخصين أيضاً إلاّ أن تروا ما لا أرى فإن العاقل إذا أبصر بعينه شيئاً عرف الحقّ منه والشاهد يرى مالا يرى الغائب، يا بنيّ وإذا جاء وقت صلاة فلا تؤخرّها لشيء وصلّها واسترح منها فإنّها دين وصلّ في جماعة ولو على رأس زجّ ولا تنامنّ على دابّتك فإن ذلك سريع في دبرها وليس ذلك من فعل الحكماء إلاّ أن تكون فى محمل يمكنك التمدّد لاسترخاء المفاصل وإذا قربت من المنزل فانزل عن دابّتك وابدأ بعلفها قبل نفسك، وإذا أردت النزول فعليك من بقاع الأرض بأحسنها لوناً وألينها تربة وأكثرها عشباً وإذا نزلت فصلّ ركعتين قبل أن تجلس وإذا أردت قضاء حاجة فبعد المذهب في الأرض وإذا ارتحلت فصلّ ركعتين وودّع الأرض التي حللت بها وسلّم عليها وعلى أهلها فانّ لكل بقعة أهلاً من الملائكة وإن استطعت أن لا تأكل طعاماً حتى تبدأ فتتصدّق منه فافعل وعليك بقراءة كتاب الله عزّ وجلّ ما دمت راكباً وعليك بالتسبيح ما دمت عاملاً وعليك بالدعاء ما دمت خالياً وإيّاك والسير من أوّل الليل وعليك بالتعريس والدّلجة من لدن نصف الليل إلى آخره و إيّاك ورفع الصوت في مسيرك[1].

❊ **الشرح:**

قوله: (فإن من لم يمحض النصيحة لمن استشاره سلبه الله تبارك وتعالى رأيه ونزع عنه الأمانة) الإمحاض والتمحيض: الإخلاص يقال: أمحضه النصيحة ومحضها: إذا أخلصها وطهرها من الغش، والرأي: الاعتقاد والعقل وتدبير الأمور، والأمانة: الطاعة والعبادة والثقة والدين والولاية وضد الخيانة، والسلب قد يكون عند الموت وقد يكون قبله (واسمع لمن هو أكبر منك سناً) أي اسمع لقوله أو أجب ما يقول للتعظيم له أو لكونه أكثر تجربة (فتبرع لهم وقل: نعم) الأول ناظر إلى الأمر، والثاني إلى السؤال عن شيء (ولا تقل لا فإن لا، عي ولؤم) العي بالكسر: عدم الاهتداء إلى وجه المراد أو العجز منه وعدم القدرة على أحكامه، وقد كان أهل الفضل والمروءة إن قدروا بادروا وإن لم يقدروا قالوا: يكون إن شاء الله (فإن الشخص الواحد في الفلاة مريب) أي مشكك من أرابه إذا

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٨٧.

شككه فالحزم والاحتياط في عدم المشاورة معه في تحقيق الطريق في شيء من الأحوال والأوقات إلّا بوقت أن يعلموا أنه ليس من أهل الإرابة إما بمعرفة سابقة أو بمعرفة شيء من آثاره المفيدة للعلم (وصل جماعة ولو على رأس زج) مبالغة في أداء الصلاة مع الجماعة، والزج بالضم، الحديدة في أسفل الرمح ونصل السهم، ويمكن أن يكون كناية عن وقت المحاربة (وعليك بالتسبيح ما دمت عاملاً) أي داخلاً في العمل مشغولاً به بعد النزول كشد العقال ووضع الرحال ونحوهما من الأعمال (وعليك بالدعاء ما دمت خالياً أي خالياً من العمل أي فارغاً منه أو واقعاً في الخلوة، من خلا فلان إذا وقع في موضع عال لايزاحم فيه (وعليك بالتعريس) في النهاية، التعريس: النزول في آخر الليل للنوم والاستراحة وفى كتاب إكمال الإكمال عن الخليل مثله وعن القرطبى أن التعريس: النزول بالليل للراحة بعد السير، وعن أبي زيد: أنه نزول أي وقت كان من ليل أو نهار وفي حديثهم معرسين نحو الظهيرة (والدلجة من لدن نصف الليل إلى آخره) الدلجة: سير الليل وهو مكروه في أوله ومطلوب في آخره لما مرَّ من أن الليل يطوى في آخره وفي حديث العامة «عليكم بالدلجة» قال في النهاية: الدلجة: هو سير الليل، يقال: أدلج بالتخفيف: إذا سار من أول الليل، وادّلج بالتشديد: إذا سار من آخره والاسم منهما الدلجة بالضم والفتح ومنهم من يجعل الإدلاج لليل كله وكأنه المراد في الحديث لأن عقيبه يقول «فإن الأرض تطوى في الليل» ولم يفرق بين أوله وآخره.

*** الأصل:**

٥٤٨ ـ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسين بن يزيد النوفلّي عن علي ابن داود اليعقوبي، عن عيسى بن عبدالله العلوي قال: وحدثني الأُسيدي ومحمد بن مبشّر أن عبد الله ابن نافع الأزرق كان يقول: لو أنّي علمت أن بين قطريها أحداً تبلغني إليه المطايا يخصمني أن علياً قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحلت إليه فقيل له: ولا ولده ؟ فقال أفي ولده عالم فقيل له: هذا أوّل جهلك وهم يخلون من عالم ؟! قال فمن عالمهم اليوم ؟ قيل محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام قال: فرحل إليه في صناديد أصحابه حتى أتى المدينة فاستأذن على أبي جعفر عليه السلام فقيل له: هذا عبد الله بن نافع، فقال: وما يصنع بي وهو يبدأ منّي ومن أبي طرفي النهار؟ فقال له أبو بصير الكوفيّ جعلت فداك إنّ هذا يزعم أنّه لو علم أنّ بين قطريها أحداً تبلغه المطايا إليه يخصمه أنّ علياً عليه السلام قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحل إليه، فقال أبو جعفر عليه السلام: أتراه جاءني مناظراً ؟ قال: نعم، قال: يا غلام أخرج فحطّ رحله وقل له: إذا كان الغد فأتنا، قال: فلمّا أصبح عبد الله بن نافع غدا في صناديد أصحابه وبعث أبو جعفر عليه السلام إلى جميع أبناء المهاجرين

والأنصار فجمعهم ثم خرج إلى الناس في ثوبين ممغّرين وأقبل على الناس كأنّه فلقة قمر فقال:

الحمد لله محيّث الحيث ومكيّف الكيف ومؤيّن الأين الحمد لله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الارض -إلى آخر الآية ـ وأشهد أن لا اله الاّ الله [وحده لا شريك له] وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم، الحمد لله الذي أكرمنا بنبوته واختصّنا بولايته، يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار من كانت عنده منقبة في علي بن أبي طالب عليه السلام فليقم وليتحدّث قال: فقام ـ الناس فسردوا تلك المناقب فقال عبدالله: أنا أروى لهذه المناقب من هؤلاء وانّما أحدث عليّ الكفر بعد تحكيمه الحكمين، حتى انتهوا في المناقب إلى حديث خيبر «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّاراً غير فرّار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه**» فقال أبو جعفر عليه السلام: ما تقول في هذا الحديث؟ فقال: هو حقّ لا شكّ فيه ولكن أحدث الكفر بعد، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ثكلتك أُمّك أخبرني عن الله عزّ وجلّ أحبّ علي بن أبي طالب يوم أحبّه وهو يعلم أنّه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟ قال ابن نافع أعد عليّ فقال له أبو جعفر عليه السلام:أخبرني عن الله جلّ ذكره أحبّ علي بن أبي طالب يوم أحبّه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟ قال: إن قلت: لا، كفرت قال: فقال: قد علم، قال: فأحبّه الله على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته؟ فقال على أن يعمل بطاعته، فقال له أبو جعفر عليه السلام: فقم مخصوماً، فقام وهو يقول: حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، الله أعلم حيث يجعل رسالته[١].

*** الشرح:**

قوله: (عن علي بن داود اليعقوبي) يعقوبا قرية ببغداد قيل: سميت باسم بانيها أبي يعقوب على التخفيف (أن عبد الله بن نافع الأزرق) الأزارقة: طائفة من الخوارج نسبوا إلى نافع بن الأزرق (كان يقول: لو أني علمت أن بين قطريها أحداً) أي بين ناحيتي الارض يعني المشرق والمغرب والقطر بالضم الناحية (فقيل له: ولا ولده) كأنه عطف على أحد بحسب المعنى أي ما علمت بين قطريها أحداً ولا ولده (وهم يخلون من عالم) خبر بحسب اللفظ ونفي بحسب المعنى أي لا يخلون منه (فرحل إليه في صناديد أصحابه) الصناديد جمع صند كزبرج وهو السيد الشجاع والجواد والشريف (ثم خرج إلى الناس في ثوبين ممغرين) المغرة وتحرك: طين أحمر والممغر كمعظم: المصبوغ بها الذي ليس بناصع الحمرة كان لونه حمرة مختلطة ببياض (وأقبل على الناس

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٨٨.

كأنه فلقة قمر) فلق الصبح بالتحريك ضوءه وإنارته، والفلق: الصبح نفسه، والفلق بالسكون: الشق، وفلقة الشيء بالكسر: قطعة منه، وقد شبه وجهه في النور والإضاءة بالقمر والتشبيه بالشيء إنما هو فيما اختص به بذلك الشيء واشتهر به فالتشبيه بالقمر إنما هو فيما ذكرنا وبالغزال إنما هو في الجيد وببقرة الوحش إنما هو في العين وقد أخطأ من عاب تشبيه الوجه بالقمر وقال: لأن في القمر الكلف ومن عاب التشبيه بالغزال وقال: لأن للغزال أظلافاً وقوائم ومن عاب التشبيه بالبقرة وقال: لأن للبقر قروناً وغفل أن وجه التشبيه ما ذكرناه (فقال الحمد لله محيّث الحيث) فلا حيث له (ومكيف الكيف) فلا كيف له و(مؤين الأين) فلا أين له (فقام الناس فسردوا تلك المناقب) السرد: جودة سياق الحديث وفي تاج اللغة سرد «نيكو سخن راندن» (وإنما أحدث على الكفر بعد تحكيم الحكمين) لأن الحكم في الإمامة إنما هو لله تعالى فجعله للخلق كفر، والجواب أنه عليه السلام حرضهم على القتال ولم يرض بالتحكيم حتى رجعوا عنه وأجبروه على قبلوه فتقبله كرهاً بشرط أن لا يتجاوز من إليه الحكم عن كتاب الله وسنة رسوله (حتى انتهوا في المناقب إلى حديث خيبر لأعطين الراية غداً ـ اه) روى مسلم مثله عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الأمارة إلّا يومئذ، قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب فأعطاه إياها، وقال له: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، قال: فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله علام أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلّا بحقهم وحسابهم» وعن سعد بن سعد «أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله كلهم يرجو أن يعطاها، قال أين علي بن أبي طالب: فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينه قال: فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وآله في عينيه ودعى له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» وعن سلمة بن الأكوع قال: كان علي رضي الله عنه قد تخلف عن النبي صلى الله عليه وآله في خيبر وكان رمداً فقال: أتخلف عن رسول الله (كذا) فخرج علي فلحق بالنبي صلى الله عليه وآله فلما كان مساء الليلة التي فتح الله في صبيحتها قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأعطين الراية أو ليأخذن الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله أو قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه وإذا نحن بعلي

وما نرجوه فقالوا هذا علي فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه» ومثل هذه الروايات موجودة في بقية صحاحهم الستة وفي مسند أحمد بن حنبل من عدة طرق عن عبد الله بن يزيد قال سمعت أبي يقول حاصرنا خيبر وأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ثم أخذها عمر من الغد فرجع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله ﷺ: إنى دافع الراية غداً إذلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله له فبات الناس يتداولون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا الى رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: إنه أرمد العين، فأرسل إليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعى له فبرئ فأعطاه الراية، فمضى علي فلم يرجع حتى فتح الله على يديه» قال عياش: قوله: امش ولا تلتفت حض على التقدم وترك التأني والإلتفات هنا: النظر يمنة ويسرة وقد يكون على وجه المبالغة في التقدم ويدل عليه قوله: فسار علي شيئاً فوقف ولم يلتفت وقد يكون معنى لا تلتفت: لا تنصرف، يقال: التفت: أي انصرف ولفته انا صرفته ويدوكون: أي يخوضون يقال: هم في دوكة أي في اختلاط وخوض وفي قوله: لئن يهدي الله بك إلى آخره حض عظيم على تعليم العلم والوعظ والتذكير، والمراد بالنعم: الإبل، وحمرها: خيارها، والمقصود أن ثواب تعليم رجل واحد وإرشاده أفضل من ثواب الصدقة بهذه الإبل النقيه لأن ثواب الصدقة ينقطع بموتها وثواب العلم والهدى لا ينقطع إلى يوم القيامة لحديث «**اذا مات المرء انقطع عمله إلّا من ثلاثة صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له وعلم ينتفع به بعد موته**» وما دل هذا الحديث من المحبة وغيرها من أعظم فضائل علي وأكرم مناقبه وفيه من علامات النبوة علامتان قولية وفعلية، فالقولية يفتح الله على يديه وكان كذلك، والفعلية بصقه ﷺ في عينيه وكان رمداً فبرئ من ساعته، وقال الآبي في كتاب اكمال الاكمال وفي الاكتفاء لأبي الربيع قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: خرجت مع علي رضي الله عنه حين أخذ الراية فلما دنا من الحصن خرج إليه مقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علي رضي الله عنه باباً كان عندالحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ لقدر أيتنى في نفر مع سبعة أناس منهم نجهد أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه، وقال بعض أفاضل أصحابنا (ره): في الحديث دلالة قطعية على أن هذه الأوصاف ما كانت في أبي بكر وعمر ألاترى أن السلطان إذا أرسل رسولاً في بعض مهماته ولم يكف الرسول ذلك المهم على وفق رأي السلطان فيقول السلطان: لأرسلن في ذلك المهم رسولاً كافياً عالماً بالأمور، دل هذا القول من السلطان دلالة قطعية على أن هذه الصفات ما كانت في الرسول الأول وأن الرسول الثاني أفضل من الأول فكذا هنا وبالجملة، قد بان بقوله ﷺ ثبوت

محبة الله ورسوله في علي عليه السلام ولولا اختصاص علي عليه السلام بغاية هذه المرتبة لاقتضى الكلام خروج الجماعة بأسرها عن هذه المرتبة على كل حال وذلك محال أو كان التخصيص بلا معنى فيلحق بالعبث ومنصب النبوة متعال عن ذلك فثبتت هذه المرتبة لعلي عليه السلام بدلالة قوله **«كرار غير فرار»** وهي منتفية عن أبي بكر وعمر لفرهما وعدم كرهما، وفي تلاقي أمير المؤمنين عليه السلام بخيبر ما فرط من غيره دليل على توحيده بزيادة الفضل ومزيته على من عداه ولا ريب أن غاية المدح والتعظيم المحبة من الله ورسوله لأنها النهاية ولا ملتمس بعدها ولا مزيد عليها وهي الغاية القصوى والدرجة العظمى والله ذو الفضل العظيم.

(قال ابن نافع: أعد علي: فقال له أبو جعفر عليه السلام: أخبرني عن الله تعالى أحب علياً يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم) ليس هذا في بعض النسخ (فقال أبو جعفر عليه السلام: فقم مخصوماً) أي محجوجاً مغلوباً، يقال: خصمه يخصمه إذا غلبه في الحجة ووجه كونه مخصوماً أنه إذا سلم أنه تعالى أحبه وهو يعلم أنه عليه السلام يقتل أهل النهروان وسلم أن سبب محبته إنما هو أن يعمل بطاعته لزمه الإقرار بأن قتل أهل النهروان طاعة لا معصية وإلّا لزم وجود المسبب بدون السبب وهو باطل لا يقال: إنه تعالى يحب عبده العاصي لأنا نقول: لايرد هذا بعد الاعتراف بأن سبب المحبة هو العمل بالطاعة على أن لنا أن نقول: إنه يحب العاصي إذا تاب لا مطلقاً لقوله تعالى **﴿إن الله يحب التوابين﴾** والتوبة طاعة فسبب المحبة هو الطاعة وغفران ذنوبه تفضلاً لايوجب المحبة، لا يقال: لو تم ما ذكر لزم أن يكون خلافة الأول حقاً وطاعة لأنه تعالى رضي عنه حيث قال: **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة﴾** وهو كان داخلاً فيهم فحينئذ يقال: أخبرني عن الله عز وجل رضي عنه يوم رضي وهو يعلم أنه يدّعي الخلافة ويحملها أم لم يعلم إلى آخر ما ذكر لأنا نقول: دخوله في المؤمنين ممنوع بل هو أول البحث ولو سلم فالرضى دائر مع الإيمان وجوداً وعدماً ومثله لايجري في المحبة لأن قوله عليه السلام يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفيد استمرار المحبة وهو لا يتحقق إلّا باستمرار سببه بخلاف رضي فليتأمل.

*** الأصل:**

٥٤٩ ـ أحمد بن محمد، وعلي بن محمد جميعاً، عن علي بن الحسن التيمي، عن محمد بن الخطّاب الواسطي، عن يونس بن عبد الرحمن، عن أحمد بن عمر الحلبي، عن حمّاد الأزدي، عن هشام الخفّاف قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: كيف بصرك بالنجوم؟ قال: قلت: ما خلّفت بالعراق أبصر بالنجوم منّي، فقال: كيف دوران الفلك عندكم؟ قال: فأخذت قلنسوتي عن رأسي فأدرته قال فقال: إن كان الأمر على ما تقول فما بال بنات النعش والجديّ والفرقدين لايرون يدورون يوماً من

الدَّهر في القبلة ؟ قال: قلت هذا والله شيء لا أعرفه ولا سمعت أحداً من أهل الحساب يذكره، فقال لي: كم السكينة من الزُّهرة جزءاً في ضوئها ؟ قال: قلت: هذا والله نجم ما سمعت به ولا سمعت أحداً من الناس يذكره، فقال: سبحان الله فأسقطتم نجماً بأسره فعلى ما تحسبون ؟! ثم قال فكم الزُّهرة من القمر جزءاً في ضوئه: قال: قلت: هذا شيء لايعلمه إلاّ الله عزّ وجلّ، قال: فكم القمر جزءاً من الشمس في ضوئها ؟ قال: قلت: ما أعرف هذا، قال: صدقت. ثم قال: ما بال العسكرين يلتقيان في هذا حاسب وفي هذا حاسب فيحسب هذا لصاحبه بالظفر ويحسب لهذا لصاحبه بالظفر ثم يلتقيان فيهزم أحدهما الآخر فأين كانت النحوس ؟ قال: فقلت: لا والله ما أعلم ذلك، قال: فقال، صدقت إنّ أصل الحساب حقٌّ ولكن لا يعلم ذلك إلّا من علم مواليد الخلق كلهم[1].

* **الشرح:**

قوله: (قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام كيف بصرك بالنجوم؟ قال: قلت: ما خلفت بالعراق أبصر بالنجوم مني، فقال: كيف دوران الفلك عندكم ؟ قال: فأخذت قلنسوتي عن رأس فأدرتها قال: فقال: إن كان الأمر على ما تقول فما بال بنات النعش والجدي والفرقدين لا ترون يدورون يوماً من الدهر في القبلة ؟) قيل: المراد بالأمر دور الفلك المبين بإدارة القلنسوة وكأنه أدارها دور عرض تسعين كما هو المتعارف في إدارة القلنسوة ولذا قال عليه السلام: كما تقول ولم يقل كما يقولون إشارة إلى أنه غلط منه لامن جميع أهل النجوم فإن الفلك في آفاقنا يدور دور الوراب انتهى، وفيه أولاً: أنه خلاف محسوس إذكل ذي حس يعلم أن القطب في جميع العروض ليس في سمت الرأس، وثانياً: أنه في غاية البعد إذا المنجم ادعى أنه كامل في علم النجوم فكيف يدّعى ذلك ويقع في هذا الغلط الفاحش والأصوب أن المراد بالأمر أمر المنجم وشأنه أي إن كان أمرك وشأنك على ما تقول من أنك أعرف أهل النجوم بالعراق فما بال الكواكب المذكورة مثلاً لايدورون في سمت القبلة قطر وهذا الاحتمال وإن كان أيضاً بعيداً لأن سببه مذكور في علم النجوم يعرفه من له أدنى معرفة به لكن المنجم لم يكن عارفاً به وكان دعواه كما المعرفة محض الإدلال، والمراد بالعلم بمواليد الخلق كلهم العلم بحقائقهم وكيفياتهم وآثارهم ونسبة بعضهم ببعض.

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٨٩.

خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام

* **الأصل :**

٥٥٠ ـ علي بن الحسن المودب، عن أحمد بن محمد بن خالد، وأحمد بن محمد، عن علي بن الحسن التيمي جميعاً، عن إسماعيل بن مهران، قال: حدثني عبد الله بن الحارث، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفّين فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمد النبي صلى الله عليه وآله ثم قال:

أمّا بعد فقد جعل الله تعالى لي عليكم حقاً بولاية أمركم ومنزلتي التي أنزلني الله عزّ ذكره بها منكم ولكم عليّ من الحق مثل الذي لي عليكم والحق أجمل الأشياء في التواصف وأوسعها في التناصف لا يجري لأحد إلاّ جرى عليه ولا يجري عليه إلّا جرى له ولو كان لأحد أن يجري ذلك له ولا يجري عليه لكان ذلك الله عزّ وجلّ خالصاً دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كلّ ما جرت عليه ضروب قضائه ولكن جعل حقّه على العباد أن يطيعوه وجعل كفّارتهم عليه بحسن الثواب تفضّلاً منه وتطوّلاً بكرمه وتوسعاً بما هو من المزيد له أهلاً، ثم جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض جعلها تتكافى في وجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض، فأعظم ممّا افترض الله تبارك وتعالى من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرّعية وحق الرعية على الوالي ، فريضة فرضها الله عزّ وجل لكلّ على كلّ ، فجعلها نظام إلفتهم ، وعزّاً لدينهم ، وقواماً لسنن الحق فيهم، فليست تصلح الرعيّة إلّا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلّا باستقامة الرّعية، فإذا أدّت الرعيّة إلى الوالي حقّه وأدّى إليها الوالي كذلك عزّ الحق بينهم فقامت مناهج الدّين واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطاب به العيش وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء، وإذا غلبت الرعيّة واليهم وعلا الوالي الرعيّة اختلفت هنالك الكلمة وظهرت مطامع الجور وكثر الإدغال في الدّين وتركت معالم السنن فعمل بالهواء وعطّلت الآثار وكثرت علل النفوس ولا يستوحش لجسيم حدّ عطّل ولا لعظيم باطل أُثّل فهنالك تذلّ الأبرار وتعزّ الأشرار وتخرب البلاد وتعظم تبعات الله عزّ وجلّ عند العباد.

فهلمّ أيها الناس إلى التعاون على طاعة الله عزّ وجلّ والقيام بعدله والوفاء بعهده والإنصاف له فى جميع حقّه، فانّه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح في ذلك وحسن التعاون عليه وليس أحدٌ وإن اشتدّ على رضى الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما أعطى الله من

الحق أهله ولكن من واجب حقوق الله عزّ وجلّ على العباد النصيحة له بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق فيهم، ثم ليس امرءٌ وإن عظمت في الحق منزلته وجسمت في الحقّ فضيلته بمستغن أن يعان على ما حمله الله عزّ وجلّ من حقّه ولا لامرىء مع ذلك خسئت به الأُمور واقتحمته العيون بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه ، وأهل الفضيلة في الحال وأهل النعم العظام أكثر في ذلك حاجة وكلّ في الحاجة إلى الله عزّ وجلّ شرع سواء.

فأجابه رجلٌ من عسكره لا يدرى من هو ويقال: إنّه لم ير في عسكره قبل ذلك اليوم ولا بعده فقال : وأحسن الثناء على الله عزّ وجلّ بما أبلاهم وأعطاهم من واجب حقّه عليهم والإقرار بكلّ ما ذكر من تصرّف الحالات به وبهم.

ثم قال: أنت أميرنا ونحن رعيّتك بك أخرجنا الله عزّ وجلّ من الذلّ وبإعزازك أطلق عباده من الذّل. فاختر علينا وأمض اختيارك وائتمر فأمض ائتمارك فانّك القائل المصدَّق والحاكم الموفّق والملك المخوَّل، لا نستحلُّ في شيء معصيتك ولا نقيس علماً بعلمك، يعظم عندنا في ذلك خطرك، ويجلُّ عنه في أنفسنا فضلك.

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إن من حقِّ من عظم جلال الله في نفسه وجلَّ موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ماسواه ، وإنَّ أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه فإنّه لم تعظم نعمة الله على أحد إلّا زاد حق الله عليه عظماً وإنّ من أسخف حالات الولاة عند صالح النّاس أن يظنّ بهم حبّ الفخر ويوضع أمرهم على الكبر ، وقد كرهتُ أن يكون جال في ظنّكم أنّي أحبّ الإطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك ولو كنت أحبُّ أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ماهو أحقّ به من العظمة والكبرياء ، وربّما استحلى النّاس الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لابدَّ من إمضائها فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة ولا تتحفظّوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة ولاتخالطوني بالمصانعة ولا تظنّوا بي استثقالاً في حق قيل لي ولا التماس إعظام لنفسي لما لا يصلح لي ، فإنّه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه فلا تكفّوا عن مقالة الحق أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق أن أُخطىء ولا آمن ذلك من فعلي إلّا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي، فإنّما أنا وأنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره، يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا وأخرجنا ممّا كنّا فيه إلى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى .

فأجابه الرجل الذي أجابه من قبل فقال: أنت أهل ما قلت والله، والله فوق ما قلته فبلاؤه عندنا

مالا يكفر وقد حملك الله تبارك وتعالى رعايتنا وولاّك سياسة أُمورنا، فأصبحت علمنا الذي نهتدي به وإمامنا الذي نقتدي به وأمرك كلّه رشدٌ وقولك كلّه أدب، قد قرّت بك في الحياة أعيننا وامتلأت من سرور بك قلوبنا وتحيّرت من صفة ما فيك من بارع الفضل عقولنا ولسنا نقول لك: أيها الإمام الصّالح تزكية لك ولا نجاوز القصد في الثناء عليك ولن يكن في أنفسنا طعن على يقينك أو غشّ في دينك فنتخوّف أن تكون أحدثت بنعمة الله تبارك وتعالى تجبّراً أو دخلك كبرٌ ولكنّا نقول لك ما قلنا تقرّباً إلى الله عزّ وجلّ بتوقيرك وتوسعاً بتفضيلك وشكراً بإعظام أمرك. فانظر لنفسك ولنا وآثر أمر الله على نفسك وعلينا، فنحن طوّع فيما أمرتنا ننقاد من الأُمور مع ذلك فيما ينفعنا.

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: وأنا أستشهدكم عند الله على نفسي لعلمكم فيما ولّيت به من أُموركم وعمّا قليل يجمعني وإيّاكم الموقف بين يديه والسؤال عمّا كنّا فيه، ثم يشهد بعضنا على بعض فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غداً فإنّ الله عزّ وجلّ لا يخفى عليه خافية ولا يجوز عنده إلاّ مناصحة الصدور في جميع الأُمور، فأجابه الرجل ويقال: لم ير الرّجل بعد كلامه هذا لأمير المؤمنين عليه السلام فأجابه وقد عال الذي في صدره فقال والبكاء يقطع منطقه وغصص الشجى تكسر صوته إعظاماً لخطر مرزئته ووحشة من كون فجيعته.

فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ شكا إليه هول ما أشفى عليه من الخطر العظيم والذلّ الطويل في فساد زمانه وانقلاب حدّ وانقطاع ما كان من دولته، ثم نصب المسألة إلى الله عزّ وجلّ بالامتنان عليه والمدافعة عنه بالتفجّع وحسن الثناء فقال: يا ربّاني العباد ويا سكن البلاد أين يقع قولنا من فضلك وأين يبلغ وصفنا من فعلك وأنّى نبلغ حقيقة حسن ثنائك أو نحصي جميل بلائك فكيف وبك جرت نعم الله علينا وعلى يدك اتّصلت أسباب الخير إلينا، ألم تكن لذل الذليل ملاذاً، وللعصاة الكفّار إخواناً؟ فبمن إلاّ بأهل بيتك، وبك أخرجنا الله عزّ وجلّ من فظاعة تلك الخطرات؟ أو بمن فرّج عنّا غمرات الكربات؟ وبمن؟ إلاّ بكم أظهر الله معالم ديننا واستصلح ما كان فسد من دنيانا حتى استبان بعد الجور ذكرنا وقرّت من رخاء العيش أعيننا لما وليّتنا بالإحسان جهدك ووفيت لنا بجميع وعدك وقمت لنا على جميع عهدك فكنت شاهد من غاب منّا وخلف أهل البيت لنا وكنت عزّ ضعفائنا وثمال فقرائنا وعماد عظمائنا، يجمعنا في الأُمور عدلك ويتسع لنا في الحق تأنيك. فكنت لنا أُنساً إذا رأيناك وسكناً إذا ذكرناك، فأيّ الخيرات لم تفعل؟ وأيّ الصالحات لم تعمل؟ ولولا أنّ الأمر الذي نخاف عليك منه يبلغ تحريكه جهدنا وتقوي لمدافعته طاقتنا أو يجوز الفداء عنك منه بأنفسنا وبمن نفديه بالنفوس من أبنائنا لقدمنا أنفسنا وأبناءنا قبلك ولأخطرناها وقلّ خطرها دونك ولقمنا بجهدنا في محاولة من حاولك وفي مدافعة من ناوأك ولكنّه

سلطان لايحاول وعزّ لايزاول وربّ لايغالب، فإن يمنن علينا بعافيتك ويترحّم علينا ببقائك ويتحنّن علينا بتفريج هذا من حالك إلى سلامة منك لنا وبقاء منك بين أظهرنا نحدث لله عزّ وجلّ بذلك شكراً نعظّمه، وذكراً نديمه ونقسم أنصاف أموالنا صدقات وأنصاف رقيقنا عتقاء ، ونحدث له تواضعاً في أنفسنا ونخشع في جميع اُمورنا وإن يمض بك إلى الجنان ويجري عليك حتم سبيله فغير متّهم فيك قضاؤه ولا مدفوع عنك بلاؤه ولا مختلفة مع ذلك قلوبنا بأنّ اختياره لك ما عنده على ما كنت فيه ، ولكنّا نبكي من غير إثم لعزّ هذا السلطان أن يعود ذليلاً وللدين والدنيا أكيلاً فلا نرى له خلفاً نشكو إليه ولا نظيراً نأمّله ولا نقيمه[١] .

*** الشرح :**

قوله : (خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام) يذكر فيها بوجه كلي الحق الذي به يتحقق نظام الدين والدنيا وكمال النفس والنجاة في الآخرة (أما بعد فقد جعل الله تعالى عليكم حقاً بولاية أمركم) قيل اسم لما توليته وقمت به مثل الإمارة فإذا أرادوا المصدر فتحوا (ومنزلتي التي أنزلني الله عز وجل بها منكم) وهي منزلة الإمارة والهداية والإرشاد إلى خير الدنيا والآخرة والباء بمعنى في (ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم) المراد المماثلة في جنس الحق وإن كان الحقان متغايرين في النوع لأن حقنا عليه الأمر والإرشاد وحقه علينا الإطاعة والانقياد مثلاً ، ثم رغب في القول بالحق والعمل به بقوله (والحق أجمل الاشياء في التواصف) أي في أن يصفه بعضهم لبعض ويذكر كل واحد للآخر نعته لينشر ويرغب فيه (وأوسعها في التناصف) أي في إنصاف بعضهم بعضاً من نفسه والعمل به فإن فيه سعة العيش وحسن النظام وفي نهج البلاغة «أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف» معناه أنه إذا أخذ الناس في وصف الحق وبيانه كان لهم في ذلك مجال واسع لسهولته على ألسنتهم وإذا حضر التناصف بينهم فطلب منهم ضاق عليهم المجال لشدة العمل بالحق وصعوبة الإنصاف به لاستلزام ترك بعض المطالب المحبوبة لهم، ثم أكد ما سبق بأن سنة الله جارية على أن من له حقاً على الغير كان لذلك الغير أيضاً حق عليه فقال : (لا يجرى لأحد إلّا جرى عليه ولا يجري عليه إن جرى له) أشار بالحصر الأول إلى أن كون الحق لأحد لايفارق من كونه عليه، وبالحصر الثاني إلى عكس ذلك ليفيد التلازم بين الحقين تسكيناً لنفوسهم بذكر الحق لهم وتوطيناً لها على الوفاء به إذ هو لايترك حقهم فيجب أن لايتركوا حقه ثم أثبت الحصرين بقياس شرطي استثنى نقيض تاليه لينتج نقيض مقدمه وهو (لو كان لأحد أن يجري ذلك) أي الحق له.

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٩٠.

(ولا يجري عليه لكان ذلك الله عز وجل خالصاً دون خلقه) إذ الخلق لعجزهم يحتاج كل واحد إلى الآخر فلا محالة إذا كان لأحدهم حق على الغير كان للغير أيضاً حق عليه وتبين الملازمة بقوله (لقدرته على العباد) فيقدر على إبقائهم وإفنائهم وأخذ حقه والإنصاف منهم وليس لهم أن يقولوا لا نعطي حقك حتى تعطي حقنا، فيقال لهم أي حق لكم عليه وأنتم وكل مالكم من حقوقه عليكم (ولعدله في كل ما جرت عليه ضروب قضائه) مثل الفقر والمصيبة والمرض وأمثالها فإن القضاء بجميع ذلك مصلحة وحق عليهم وليس لهم في مقابله حق عليه وأيضاً هو عادل يفعل ما ينبغي فلو أجرى أن له حقاً عليهم لا عليه لكان عدلاً، ثم أشار إلى استثناء نقيض التالي باستثناء ملزومه بقوله (ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل كفارتهم عليه بحسن الثواب) ضمير عليه راجع إلى الله تعالى أو إلى حقه على العباد والمراد بحسن الثواب الثواب الكامل أو المضاعف وبالكفارة جزاء الطاعة سمّاه كفارة لأنه يكفر أي يستر ويدفع عنهم ثقل الطاعة ومعناه لكنه جعل له على عباده حقاً هو طاعتهم له ليثبت لهم بذلك حقاً عليه وهو جزاء طاعتهم ، فقد ثبت أن ذلك لم يخلص لله تعالى بل كما أوجب له على عباده حقاً أوجب لهم على نفسه بذلك حقاً فإذن لا يجري لأحد حقاً إلّا جرى عليه وهو نقيض المقدم ، ثم نبه بأن ما جعله لهم من حسن الثواب ليس بحق وجب عليه بل تفضل منه بكرمه وتوسعه عليهم بما هو أهله من مزيد النعم ليقابلوا ذلك التفضل بمزيد الشكر وليتأدبوا بآداب الله في أداء ما وجب عليهم من حق الغير ولو لم يكن لذلك الغير حق عليهم (فقال تفضلاً منه وتطولا بكرمه وتوسعاً بما هو من المزيد له أهلاً) هو مبتدأ راجع إلى «ما» وله خبر والضمير له تعالى أو بالعكس و«من» بيان لما ، وأهلاً في أكثر النسخ بالنصب على التميز أو الحال ، وفي بعضها بالرفع على أنه خبر لهو ، وله متعلق به وهو حينئذ راجع إلى الله وضمير له إلى «ما».

(ثم جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض) هذا كالمقدمة لما يريد أن يبينه من كون حقه عليهم وحقهم عليه واجبين إذ بين فيها على وجه كلي أن حقوق الخلق بعضهم على بعض هي من حقوق الله تعالى من حيث أن حقه على عباده هو الطاعة له وأداء تلك الحقوق طاعة له وإنما عدّها من حقوقه تعالى لأنه أدعى لهم على أدائها وحفظها (فجعلها تكافئ وجوهها) أي جعل الحقوق التي فرضها لبعض الناس على بعض تتكافأ وتتساوى وجوهها بأن جعل كل وجه من تلك الحقوق مقابلاً بمثله منه وهو العدل فيهم وحسن السيرة ، كحق الوالي على الرْعية وبالعكس ، وحق المالك على المملوك وبالعكس ، وحق الوالد على الولد وبالعكس ، وحق الزوج على الزوجة وبالعكس، وقس على ذلك ثم أكد ذلك بقوله (ويوجب بعضها بعضاً) كهداية الوالي

وطاعة الرعية مثلا فإن الأولى توجب الثانية وبالعكس (ولا يستوجب بعضها ببعض) أي لا يتحقق ولا يستحق الوجوب بعض تلك الحقوق إلّا بأن يتحقق الآخر المقابل له ويستحق الوجوب ثم أشار إلى ما هو المقصود بيانه أصالة بقوله:

(فأعظم مما افترض الله تبارك وتعالى بعضها من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي) لأن هذين الحقين أمران كليان يدور عليهما سائر الحقوق وأكثر المصالح في النظام والمعاش والمعاد ثم بالغ في حفظهما بقوله (فريضة فرضها الله عز وجل) وبين وجوهها (لكل على كل) أي لكل واحد على كل واحد وقوله «فريضة» بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي كل واحد من الحقين فريضة، وبالنصب على المدح أو الحال، ثم رغب في حفظ تلك الفريضة ومراعاتها بقوله (فجعلها نظام إلفتهم) أي اجتماعهم لأنها سبب لانتظام اجتماعهم في أمر الدين وعدم تفرقهم فيه (وعزاً لدينهم) لا تغلبه الأديان الباطلة، والعزة حالة مانعة للإنسان من أن يغلب واستعيرت للحق ووجه المشابهة ظاهر (وقواماً لسير الحق) فيهم، إذ بتلك الفريضة تجري سائر الحقوق الإلهية فيهم ولو عطلت عطل جميع تلك الحقوق كماترى فيما بين المنكرين لتلك الفريضة ويمكن قراءة سير بكسر السين وفتح الياء: جمع السيرة. وهي السنة والطريقة وفي بعض النسخ «لسنن الحق» بالنونيين (فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاة) أريد بصلاح الرعية كونهم على القوانين الشرعية، وبصلاح الولاة اقتدارهم على إجراء الأحكام بالموازين العدلية (ولا تصلح الولاة إلّا باستقامة الرعية) لأن اقتدار الولاة متوقف على استقامة الرعية وانقيادهم لهم بالضرورة (فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه) وهي الطاعة والانقياد والاتعاظ بمواعظه (وأدى إليها الوالي كذلك) حقهم هو الهداية والإرشاد إلى الخيرات.

(عز الحق فيهم) أي صار عزيزاً قوياً (وقامت مناهج الدين) أي طرقه وقوانينه لقوام الخلق عليها والعمل بها (واعتدلت معالم العدل) العدل ضد الجور: وهي حالة نفسانية تنشأ من اعتدال القوة العقلية والشهوية والغضبية وقيامها على أوساطها ومعالمه طرقه الموصلة وهي الشرائع النبوية أو حدوده المضروبة عليه، مثل معالم الحرم واعتدال تلك المعالم قيامها واستقرارها على سوقها، ومن البين أنه لو وقع الاختلال في أداء الحق لوقع الاختلال في جميع ذلك وشاع الجور ووقع الهرج والمرج (وجرت على إذلالها السنن) الإذلال بالذال المعجمة جمع ذل بالكسر وبضم وهو الطريق ومحجته وضمير التأنيث راجع إلى السنن لتقدمها معنى أي جرت سنة الله وسنة رسوله على مسالكها وطرقها، ومن هذا القبيل قولهم: أمور الله جارية على إذلالها. أي على مجاريها وطرقها (فصلح بذلك الزمان) لفقد الجور فيه وارتفاعه عنه (وطاب به العيش) لنزول البركة وسعة

الرزق وتحقق الإلفة والاجتماع وحسن المعاملة والعدل فيها (وطمع في بقاء الدولة) لقوة الدين وأهله، والدولة بالضم: ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم، وبالفتح: الغلبة في الحرب وقيل: هما سواءٌ وقيل: بالضم في الآخرة وبالفتح في الدنيا (ويئست مطامع الأعداء) اليأس للأعداء إلّا أنه نسب إلى مطامعهم مجازاً للمبالغة في تحققه.

(وإذا غلبت الرعية على واليهم) بالمنازعة والمخالفة وترك الطاعة (وعلا الوالي الرعية) بالتجبر ورفض حقوقهم (اختلفت هنالك الكلمة) أي كلمات الناس وأقوالهم في طاعته (وظهرت مطامع الجور) أي معالمه وعلاماته وآثاره من كل جانب (وكثر الاذعار في الدين): أي في أهله، والإذعار مصدر: وهو التخويف، أو جمع ذعر بالتحريك: وهو الدهش كبطل وأبطال، أو جمع ذعر بالضم: وهو الخوف كطهر وأطهار وفي بعض النسخ «الإدغال» جمع دغل بالتحريك: وهو المفسد، أو مصدر: وهي الخيانة أو إدخال الفساد يقال: أدغل به إذا خانه الأمر أدخل فيه ما يخالفه ويفسده، وكل ذلك لتبدد الأهواء وتفرقها عن رأى الإمام العادل وأخذ كل أحد فيما يشتهيه ما هو مفسد في الدين ومخالف له (وتركت معالم السنن) أي طرقها وقوانينها (فعمل بالهوى) أي بالظن والرأي والقياس في أحكام الله تعالى (وعطلت الآثار) أي آثار النبي وقوانينه الدالة على تلك الأحكام (وكثرت علل النفوس): أي أمراضها كالغل والحسد والعداوة والعجب والكبر ونحوها.

وقيل: عللها وجوه ارتكابها للمنكرات فتأتي في كل منكر بوجه وعلة ورأي فاسد (ولا يستوحش لجسيم حق عطل) أي لا يحزن لحق جسيم ترك وأهمل (ولا لعظيم باطل أثل) أي عظم أو جعل أصلاً يرجع إليه ويعتمد عليه وإنما خص الجسيم والعظيم بالذكر للمبالغة في فساد الدين وللإشعار بأن الحقير أولى بما ذكر (فهنالك تذل الأبرار) لذلة الحق الذي عزهم بعزه (وتعز الأشرار) لعزة الباطل الذي هم عليه (وتخرب البلاد) لشيوع الجور فيها و(تعظم تبعات الله) عز وجل: أي عقوباته (عند العباد) لخروجهم عن طاعته (فهلم أيها الناس إلى التعاون على طاعة الله عز وجل) الفاء للتفريع: أي إذا عرفتم ما ذكر من فوائد أداء الحقوق ومفاسد عدمه فهلم، وهو في لغة الحجاز يطلق على الواحد والجمع والاثنين والمذكر والمؤنث بلفظ واحد مبني على الفتح، والطاعة كلها محتاجة إلى التعاون سواء كانت متعلقة بأمور الدين أو الدنيا وسواء كانت واجبة أم مندوبة وسواء كانت مختصة بواحد أم مشتركة بينهم لكل واحد على كل واحد، ومن ثم قيل الإنسان مدني بالطبع محتاج إلى التعاون في أمر المعاش والمعاد (والقيام بعدله) لينتظم أمر الاجتماع والتعاون وحسن المعاملة والقيام به إنما يتحقق بالقيام بالقوانين الشرعية (والوفاء بعهده) وهو الإيمان بالربوبية والرسالة والولاية وما جاء به الرسول قال الله تعالى: **﴿أوفوا بعهدي**

أوف بعهدكم﴾ وعهدنا ما جعله على نفسه من حسن الجزاء والإثابة.

(والإنصاف له في جميع حقه) بالتصديق به والعمل بما يطلب منه العمل بقدر الجهد والطاقة، ثم أشار إلى علة الأمر بالتعاون وما عطف عليه بقوله: (فإنه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح في ذلك) أي في التعاون (وحسن التعاون عليه) أي على التناصح وهو ان ينصح بعضهم بعضاً نصحاً خالصاً بوجه الله تعالى، وفيه إيماء إلى أن التناصح أيضاً من طاعة الله التي يجب التعاون عليها، ثم أشار إلى أن العبد وإن بذل جهده في الطاعة والتعاون والتناصح فهو بعد لم يبلغ ما الله سبحانه أهله من الطاعة تحذيراً له عن التقصير في بذل الجهد بقوله (وليس أحد وإن اشتد على رضاء الله حرصه) فاشتد سعيه فيما يوجب رضاه (وطال في العمل) الصالح (اجتهاده) ليلاً ونهاراً (ببالغ حقيقة ما أعطى الله من الحق أهله) أي ما أعطاه الله أهله من الحق فمن بيان لما والضميران له، ولعل المراد هو التنبيه على أن كل من صدر عنه الحق لايقدر وإن اجتهد أن يبلغ حقيقته ويأتي بها كما ينبغي لأن الإتيان بها إنما يتحقق بأن يأتي بها وبلوازمها وآثارها، ولا ريب في أن ذلك الحق الصادر منه نعمة وعطية من الله تعالى ومن لوازمها الشكر وهو نعمة أخرى وهكذا إلىٰ ما لا يحصى **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾** وإذا لم يقدر على الإتيان بحقيقة حق واحد فكيف يقدر على الإتيان بحقائق حقوق متكثرة جداً والله أعلم، ثم أشار إلى أن الميسور يجب أن لا يترك بالمعسور بقوله (ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم) أي بنهاية طاقتهم (والتعاون على إقامة الحق فيهم) بقدر الإمكان وفي بعض النسخ بينهم وفي لفظة من وإدخال الواجب إشارة إلى أن حقوقه تعالى غير منحصرة في الواجب وأن حقه الواجب غير منحصرة في النصيحة، ثم أشار إلى أنه عليه السلام مع كمال منزلته في الحق يحتاج في إجراء الأحكام وإقامة الحدود وغيرها إلى إعانة الرعيّة بقوله (ثم ليس امرء وإن عظمت في الحق منزلته) بسبب رعايته كما ينبغي (وجسمت في الحق فضيلته) لإحاطة علمه بحقوق الله تعالى يعني: وإن كان كاملاً في القوة العملية والنظرية (بمستغن عن أن يعان على ما حمله الله عز وجل من حقه) لضرورة أن إجراء حقوق الله تعالى في الخلق لايمكن بدون القدرة والغلبة عليهم ولا يمكن الغلبة بدون ناصر ومعين (ولا لامرىء مع ذلك) أي مع عدم استغنائه عما ذكر.

(خسئت به الأمور) خسئت صفة لامرئ والظاهر أنه من الخساء بالخاء المعجمة والسين المهملة وهمز اللام: وهو الإبعاد والطرد والبعد والذل والكلال يعني العجز، والباء على الثلاثة الأخيرة للتعدية وعلى الأولين للتأكيد فيها، يعني أن الأمور لعدم جريانها على وفق مراده أبعدته عن أعين الناس وطردته عن نظرهم وأذلته في بصرهم وأعجزته عن نيل المقصود ويحتمل أن

يكون ناقصاً يائياً من الخسي وهو الفرد يعني أفردته الأمور ولو قرئ خشنت بالشين المعجمة بمعنى صعبت به الأمور واشتدت لكان أظهر ولكنه لم يثبت (واقتحمته العيون) اقتحمه: احتقره وصغره (بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه) الظاهر أن ما زائدة يعني أن المرء وإن اتصف بالصفات المذكورة ليس بدون أن يعين غيره على طاعة الله وأداء حقه ولو بأخذ الصدقات والحقوق المالية ونحوها (وأن يعان عليه) ولو بإعطاء ما يسد خلته ويرفع ضرورته وحاجته (وأهل الفضيلة في الحال وأهل النعم العظام أكثر في ذلك) أي في أن يعين ويعان (حاجة) لأن ما حمل عليهم أكثر كإعطاء الزكاة والخمس ويحتاجون في ذلك إلى معاون كالفقير القابل ومن يشهد على فقره وأمثال ذلك، وبالجملة الخلق إما وال أو رعية والرعية إما ضعيفة أو قوية والكل محتاج إلى أن يعين في أداء حقه تعالى ويعان وإن كان الاحتياج متفاوتاً وكل واحد من الأصناف الثلاثة (في الحاجة إلى الله عز وجل شرع سواء) يقال: الناس في هذا شرع، ويحرك أي سواء، فسواء تأكيد والغرض منه هو الحث على رعاية حقوقه عز وجل والتعاون عليها (فأجابه رجل) كأنه كان الخضر عليه السلام (وأحسن الثناء على الله عز وجل بما أبلاهم وأعطاهم) الإبلاء: الاحسان والإنعام، ويحتمل أن يراد به الاختبار بالتكليف (والإقرار بكل ما ذكر) الظاهر أنه عطف على الثناء (من تصرف الحالات به وبهم) الظاهر أن ضمير به راجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام وعوده إلى الرجل بعيد وتلك الحالات ما ذكره عليه السلام من حال الولاة والرعية وإرادة الحالات التي وقعت في عساكره عليه السلام من التنازع والتخالف والتخاصم في التحكيم بعيدة إلّا أن يكون الفعل في قوله بما ذكر مبيناً للفاعل (بك أخرجنا الله من الذل) أي من ذل الجهل والكفر إلى العلم والإيمان (وباعزازك أطلق عباده من الغل) الغل بالضم الحديدة التي تجمع يد الأسير على عنقه والمراد به غل الذنوب وبالكسر الحسد والضغن (فاختر علينا) ما شئت (وامض اختيارك) علينا فلك الإمضاء وعلينا التسليم (وائتمر فامض ايتمارك) الايتمار: المشاورة، أي شاور نفسك في أمرنا فامض ما شاورته علينا لما فيه من المصلحة العامة والخاصة.

(فإنك العامل المصدق) في القول والعمل وفي بعض النسخ القائل المصدق (والحاكم الموفق) للخير كله والصواب في الحكم (والملك المخول) أي المملك يعنى أعطاك الله عزوجل الملك ورئاسة الدارين من خوله الله الشيء تخويلاً إذا أعطاه إياه (لا نستحل في شيء من معصيتك) بسبب مخالفة أمرك ونهيك وغيرهما ونستحل إما من الحلال يقال استحله أي اتخذه حلالاً، أو من الحلول: وهو النزول، وهذا أنسب بلفظة في ومن ليست في بعض النسخ (ولا نقيس علماً بعلمك) إذ لا نسبة بين القطرة والبحر ولا بين المتناهي وغير المتناهي (يعظم عندنا في ذلك

خطرك) أي قدرك ومنزلتك في العلم فذلك إشارة إليه (ويجل عنه في أنفسنا فضلك) الجليل: العظيم، جل فلان يجل بالكسر جلالة: عظم قدره وعن للتعليل كما قيل في قوله تعالى: **﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلّا عن موعدة﴾** والضمير راجع إلى العلم وعوده إلى الخطر بعيد أي يعظم من أجل علمك أو خطرك في أنفسنا فضلك وكمالك وشرفك على الخلق كلهم (فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام) زجراً له عن مدحه وتنفيراً للمدوح عن حب المدح والسرور به ودخول العجب والفخر في قلبه (إن من حق من عظم جلال الله في نفسه وجل موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه) إذ يرى كل ما سواه محتاجاً إليه خاضعاً بين يديه وعظمة كل شيء مضمحلة في عظمته وذل العبودية والعجز موضوعاً على رقبته وفي ذلك مراتب متفاوتة ودرجات متصاعدة كما يشعر به صدر الكلام (وإن أحق من كان كذلك) أي يصغر عنده لعظمته كل ما سواه (لمن عظمت نعمة الله عليه) دنيوية كانت أو أخروية (ولطف إحسانه إليه) أي بر وهو سبحانه لطيف بعباده أي بر بعباده محسن إليهم بإيصال المنافع برفق ولطف لأن ملاحظة عظمة الأثر تفضي إلى ملاحظة عظمة المؤثر (فإنه لم تعظم نعمة الله على أحد إلّا زاد حق الله عليه عظماً) ومن أعظم أفراد حقه حصر العظمة عليه ومشاهدة كل ما سواه صغيراً لديه (وإن من استخف حالات الولاة عن صالح العباد) أي أرداها وأقبحها ومنشؤها قلة العقل وسخافة الرأي ورقته (أن يظن بهم حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر) إذ هذه الخصلة مع إيجاب الشركة مع الواحد توجب البعد والتنفير وفشو الجور وعدم تمشي الأمور وجريان الأحكام عن القوانين العدلية، وإنما قال: عند صالح العباد اذلا اعتداد بظن فاسقهم وفيه تنبيه على أكثر الملوك إذ هم على هذا السلوك فليدرأوا عن أنفسهم الموت وغيره من النوائب إن كانوا صادقين (وقد كرهت أن يكون جال) أي دار من الجولان (في ظنكم أني أحب الإطراء) في المدح (واستماع الثناء) على كما يحبهما أكثر الناس فإنهما لا يليقان إلّا بالله سبحانه وفي غيره يوجبان الكبر والفخر والعجب بالعمل والنفس وهي أمور مهلكة (ولست بحمد الله كذلك) أي لم يكن في قلبه المطهر سوى الله تعالى ومن كان كذلك كيف يحب الفخر والإطراء ويضع أمره على الكبر ويحب استماع الثناء مع علمه بأن شيئاً من ذلك لا يليق إلّا بجناب الكبرياء (ولو كنت أحب أن يقال ذلك) في باعتبار ما فيه من اللذة الموهومة التي يعبرها الناس (لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحق من العظمة والكبرياء) أي لو فرض أني أحب أن يقال ذلك فيّ باعتبار أن فيه لذة لتركته باعتبار أمر آخر وهو الانحطاط والتصاغر عن تناول ما الله أحق به من العظمة والكبرياء ونبه بذلك على أن الإطراء يستلزم التكبر والتعظم فكان تركه وكراهته لكونه مستلزماً لهما (وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء) أي وجدوه حلواً بعد

الفعل الجميل لما فيه من اللذة، وهذا تمهيد عذر لمن أثنى عليه فكأنه يقول: أنت معذور إذ رأيتني أجاهد في سبيل الخيرات وأحث الناس عليها ومن عادة الناس أنهم يستحلون الثناء بعد البلاء وفعل الخيرات فظننت أني مثلهم ثم نهى عن الثناء عليه على وجه يشعر بعدم استحقاقه ويدفع ذلك العذر بقوله (فلا تثنوا علي بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لابد من إمضائها) الظاهر أن اللام في لإخراجي علة للثناء ومن تعليل للإخراج وفي حقوق متعلق ببقية والحقوق الباقية أعم من أن تكون لله تعالى وهي حقوق نعمه التي أنعمها عليه أو للناس وهي التي لهم عليه من النصيحة في الدين والإرشاد إلى الطريق الأقصد والتعليم لكيفية سلوكه ووصف الحق بعد الفراغ منه وبوجوب إمضائه تنبيه على عدم كماله بعد، ومحصل المعنى أن من وجب عليه أداء حق فأخرج نفسه إلى صاحبه ليؤديه لا يستحق الثناء عليه خصوصاً إذا لم يفرغ من أدائه ولم يتم له إمضاؤه، وفي بعض النسخ التقية بالتاء ومن فيه متعلق بالإخراج أي لإخراج نفسي من التقية عن الخلق حقوق وجبت علي إذ كان عليه السلام إنما يعبد الله غير ملتفت في شيء من عبادته وأداء واجب حقه إلى أحد سواه خوفاً منه أو رغبة إليه وكأنه قال تعظيماً وتواضعاً لله وكسر النفس والميل إليه لم أفعل شيئاً مما وجب علي فكيف أستحق الثناء لأجله ثم أرشدهم إلى سيرة حسنة ونهاهم عن أمور سيئة بقوله (فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة) لأنه يوجب عجب النفس وكبرها ولأنه عليه السلام ليس بجبار وتكلمهم بما ذكر يستلزم وصفه بالجبروت (ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة) البادرة: الحدة وسرعة الغضب والكلام الذي يسبق في حال الغضب والطيش وذلك التحفظ كترك مسارته ومشاورته وحديثه والقيام بين يديه وإعلامه بعض الأُمور والانبساط معه وعرض الحال عليه إجلالا له وخوفاً منه كما يتحفظ ذلك من الملوك، وإنما نهى عنه لما ذكر سابقاً لأنه يفوت به كثير من المصالح الدنيوية والأخروية (ولا تخالطوني بالمصانعة) وهي: النفاق والغش والمداهنة وإظهار خلاف ما يضمر، ووجه النهي أنها توجب فساد الدين والدنيا «ولا تظنوا بى استثقالاً في حق قيل لي» فإن طبعه عليه السلام كان مجبولاً على سماع الحق وعدله كان مستلزماً لقبوله والحق وإن كان مراً لكن مرارته عنده كانت حلواً.

(ولا التماس إعظام لنفسي) هذا هو الأمر الخامس: أي لا تظنوا بي طلب إعظام لنفسي فإني لا أطلب عظمة لنفسي أبداً لعلمي بأن أهلها هو الله تعالى، ثم علل قوله ولا تظنوا بقوله (فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه) هذا بمنزلة قياس استثنائي يستثنى منه نقيض اللازم لينتج نقيض المقدم وهو المطلوب تقريره كل من استثقل أن

يقال له الحق ويعرض عليه العدل كان العمل بهما أثقل عليه بالضرورة ولكن العمل بهما ليس بثقيل علي فينتج أن كلاً من قول الحق لي وعرض العدل علي ليس بثقيل ، ثم فرع على قوله ولا تظنوا قوله (فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل) فإن في الكف عنهما مفسدة غير محصورة (فإني لست في نفسي بفوق أن أخطىء) هذا تواضع لله باعث لهم على الانبساط معه بقول الحق مثل قول يوسف عليه السلام **﴿وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾** (ولا آمن ذلك من فعلي إلّا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني) أي أقوى مني على رفعه وكفايته من شرورها وهو إسناد عصمته إلى الله تعالى (فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا مالا نملك من أنفسنا) لظهور أنه تعالى يملك منا لأنفسنا وميولنا وخواطرنا ومؤننا واستعدادنا للخير إذ الكل منه ونواصينا بيده، وفيه ترغيب في التمسك بذيل ربوبيته للارتقاء من حضيض النقص إلى أوج الكمال (وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه) من الضلالة الجاهلية إلى شرف الهداية ببعثة الرسول وإنزال الكتاب وفيه تنبيه على ما كانت العرب عليه وإن لم يكن عليه السلام متصفاً بصفاتهم وإنما أدخل نفسه المقدسه لأنه أدخل في قبول نصحه (فأبدلنا بعد الضلالة) عن سبيل الحق وانقطاع أثره في الجاهلية (بالهدى) بنور النبوة (وأعطانا البصيرة) القلبية التي بها يدرك الحق ويميز بينه وبين الباطل (من بعد العمى) أي عمى القلب عن إدراك الحق إذ الجهالة والضلالة وظلمة الكفر كانت محيطة بالربع المسكون قبل البعثة كما مرَّ في كتاب العلم من الأصول ، وفيه حث على أداء شكر تلك النعمة بمتابعة الدين وأهله (فأجابه الرجل الذي أجابه من قبل) تصديقاً لما قاله عليه السلام وبدا بأن ثناءنا عليك لما أوجب الله عز وجل علينا من توقيرك وتعظيمك وأداء شكر نعمه الجليلة التي هي أنه جعلك إمامنا وهادينا ومالك سياسة أمورنا (فقال : أنت أهل ما قلت والله) من أنك لا تحب الفخر والكبر لنفسك تعظيماً لربك ولا يثقل قول الحق وعرض العدل عليك إلى غير ذلك (والله فوق ما قلته) لأن صفاتك الجميلة وكمالاتك الجزيلة لا يبلغها الأوهام ولا تحيط بها الأفهام (فبلاؤه عندنا ما لا يكفر) أي إحسانه وإنعامه ونعمته تعالى عندنا بسبب فيضك الشامل وجودك الهاطل لا يجحد ، يقال : كفر نعمة الله وبها كفوراً وكفراناً إذا جحدها وسترها وهو كافر أي جاحد لأنعم الله تعالى.

(وقد حملك الله تبارك وتعالى رعايتنا) أي حفظنا عن سبيل الضلالة والوقوع في الجهالة والراعي كل من ولى أمر قوم وحفظهم عما يهلكهم أو يضرهم (وولاك سياسة أمورنا) أي أمرها ونهيها ، تقول : سست الرعية سياسة إذا أمرتها ونهيتها (فأصبحت علمنا الذي نهتدي به) شبهه عليه السلام بالعلم وهو المنصوب في الطريق للاهتداء به (وأمرك رشد) : أي صواب وهداية إلى سبيل الخير

وإرشاد للخلق إلى مصالحهم (وقولك كله أدب) أي حسن عدل لكونه جارياً على القوانين العدلية (قد قرت بك في الحياة أعيننا) القرة بالضم: البرودة وهي كناية عن السرور لأن دمعة السرور باردة ويمكن أن يكون قرت بمعنى استقرت أي استقرت وسكنت بوجودك وفيضك أعيننا بحيث لا نستشرف إلى غيرك ولا تنظر الى الجوانب طلباً للمغيث لعدم الحاجة إليه (وتحيرت عن صفة) أي عن وصف (ما فيك من بارع الفضل عقولنا) أريد بالفضل البارع الفضل الفائق على فضل الخلائق كلهم أو الغالب على العقول المعجز لها عن إدراكه الموجب لتحيرها (ولسنا نقول) ما قلنا لك من المدح والثناء (أيها الإمام الصالح تزكية لك) لأنه ليست في نفسك المقدسة الطاهرة الزكية شائبة نقص حتى تحتاج إلى التزكية (ولا نجاوز القصد) أي العدل (فى الثناء عليك) كما يجاوزه الغلاة فتمنعنا منه (ولن يكن في أنفسنا طعن في يقينك أو غش في دينك ـ آه) لن يكن مثال لن يعد من الوكن: وهو السير والجلوس ويمكن أن يقرأ بضم الياء وفتح الكاف وشد النون من كنه إذا ستره معناه أنه لن يخطر ببالنا أبداً أن في يقينك ضعفاً وفي دينك غشاً ونفاقاً فنخاف بما قلنا من المدح والثناء أن يدخل في قلبك تجبر وتكبر كما يدخلان بهما في قلب ضعيف اليقين والناقص في الدين، ثم أشار إلى أن ثمرة ذلك القول ليست راجعة إليك حيث أنه لايوجب رفعاً لدرجتك بل هي راجعة إلينا لأنه يوجب قربنا إلى الله وإليك وتوسعنا فى الثواب وأداء شكر لله تعالى بإعظامه أمرك بقوله (ولكنا نقول لك ما قلنا) من المدح والثناء.

(تقرباً إلى الله تعالى بتوقيرك) وتبجيلك وتعظيمك حيث أنه من أعظم الطاعات الموجبة للقرب منه تعالى (وتوسعاً) لنا بمزيد الثواب (بتفضيلك) على الامة كلهم و(شكراً) لله تعالى (بإعظام أمرك) وهو نعمة جليلة من الله تعالى بها علينا ثم أشار إلى أنه في مقام التسليم له في جميع الأمور بقوله (فانظر) إلى ماترى فيه صلاحاً (لنفسك ولنا) من أمر الدين والدنيا (وأثر أمر الله على نفسك وعلينا فنحن طوع فيما أمرتنا) طوع بالضم وشد الواو المفتوحة: جمع طايع كركع وراكع والطايع: السلس القياد الذي لايكره ما يراد منه (ننقاد من الأمور مع ذلك فيما ينفعنا) أي ننقاد لك فيما ينفعنا من الأمور بالعمل به مع الطوع والرغبة وعدم الكراهة منه، ففى الفقرة الأولى إشارة إلى الانقياد قلباً وفي الثانية إلى الانقياد عملاً، وكل ما أمر به عليه السلام فهو نافع فقوله فيما ينفعنا لبيان الواقع لا للتقييد (فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام) طالباً منهم أن يكون ظاهرهم فيما قالوا موافقاً لباطنهم وبالعكس (فقال: وأنا استشهدكم) أي جعلكم شهداء (عن الله على نفسي) بالشفقة والموعظة الحسنة والنصيحة الخالصة لكم في الأمور المطلوبة منكم (لعلمكم فيما وليت به من أموركم) علة لتخصيص الشهادة بالحاضرين ضرورة أن الشهادة بالشيء موقوفه على العلم بذلك

الشيء ولفظه «في» للظرفية المجازية أو بمعنى الباء (وعما قليل يجمعني وإياكم الموقف بين يديه) «ما» زائدة غير كافة للجار عن العمل وإسناد الجمع إلى الموقف مجاز وفيه تنبيه على قرب القيامة وحث على تحصيل ما ينفع فيها (والسؤال عما كنا فيه) عطف على الموقف.

(ثم يشهد بعضنا على بعض) بما فعل في هذه الدنيا كما وقع ولما كانت الدنيا دار كمون قد يقع الشهادة فيها على خلاف الواقع لغرض من الأغراض الفاسدة بخلاف الآخرة قال: (فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون) عليه في (غداً) قوله «شاهدون» في موضع تشهدون عدل عنه تصويراً لما سيقع بصورة الواقع (فإن الله عز وجل لا تخفى عليه خافية ولا يجوز عنده إلّا مناصحة الصدور في جميع الأمور) المراد بمناصحة الصدور: خلوصها عن الغش بأن لا تظهر خلاف ما تضمر وهي معتبرة في جميع الأمور سواء كانت دنيوية أم أخروية وسواء كانت شهادة أم عبادة أم موعظة أم نصيحة أم غيرها، وهذه الفقرة تعليل لقوله **﴿فلا تشهدوا ـ إلى آخره﴾** تقريره أن شهادة الآخرة من صميم القلب قطعاً وشهادة الدنيا إذا كانت بخلافه كانت بمجرد اللسان مع مخالفة القلب والله سبحانه عالم بما في القلوب لايخفى عليه خافيه فلا يجوز عنده من الشهادة مالا يوافق القلب بل هي نفاق وشهادة زور يعذب به (فأجابه وقد عال الذي في صدره) أي اشتد حزنه من ضعف الدين وأهله وتشتت الأمر وتفرق الكلمة بين أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام (وغصص الشجى تكسر صوته) الغصة بالضم والشجى بالفتح والقصر: ما اعترض في الحلق ونشب فيه فالإضافة بيانية والشجى أيضاً: الهم والغم والحزن والاضافة حينئذ لامية وتكسر إما من باب ضرب أو من باب التفعيل للمبالغة.

(إعظاماً لخطر مرزئته) إعظاماً مفعول له لعال أو لأجاب لا ليقطع لعدم إتحاد الفاعل فيهما والمرزئة بالهمزة بعد الراء: المصيبة (ووحشة من كون فجيعته) أي من وجود وثبوتها والفجيعة: الرزية، سميت بها لأنها توجع من فجعه كمنعه إذا أوجعه و آلمه وكان تلك المرزئة والفجيعة ما رآه من رجوع أكثر أصحابه عنه (ثم شكا إليه) أي إلى الله (هول ما أشفى عليه) أي أشرف عليه السلام (من الخطر العظيم) وهو غلبة معاوية عليه (والذل الطويل) لقلة الأعوان له (فى فساد زمانه) بما صنع أصحاب الجمل وحاكم الشام وعمرو بن العاص ومن قبلهم (وانقلاب حده) بالحاء المهملة المرتبة وبالجيم المفتوحة: البخت والحظ والعظمة (وانقطاع ما كان من دولته) كأنه علم ذلك بمشاهدة أحوال الناس ورجوعهم عن الحق (ثم نصب المسألة إلى الله عز وجل بالامتنان عليه) أي بالإحسان إليه والإنعام عليه (والمدافعة عنه) كيد الأعداء وضرر الأشقياء (بالتفجع وحسن الثناء عليه) عليه السلام أو على الله، والظرف حال عن فاعل نصب والتفجع توجع الإنسان للمصيبة وإظهار

التألم بشيء يثقل عليه ويكرهه (فقال: يا رباني العباد) في الفايق: الرباني: منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للمبالغة، وهو العالم الراسخ في العلم والدين الذي أمر به الله أو الذي يطلب بعلمه وجه الله وقال بعضهم: العالم الرباني: العالم العامل المعلم (ويا سكن البلاد) السكن بالتحريك: ما يسكن وقد يسكن والرحمة والبركة.

(ألم تكن لذل الذليل ملاذاً) فيه تقرير وتصديق بأنه عليه السلام كان ملاذاً للأذلاء بالفقر أو الجهل والجور عليهم يدفع عنهم الذل بهذه المعاني (وللعصاة الكفار إخواناً) في بعض النسخ خواناً الخوان بالكسر وكغراب وكتاب: ما يوضع عليه الطعام عند الأكل والإخوان لغة فيه وكأنه شبهه عليه السلام به في أنهم يأخذون من مائدة علومه فيصيرون مؤمنين، وقيل: الإخوان: الأسد ولو ثبت فهو هو (من فظاعة تلك الخطرات) أي خطرات يوم القيامة لتبادرها وإن لم يسبق لها ذكر أو خطرات الذل والمعصية والكفر والجهل (أو بمن فرج عنا غمرات الكربات) الغمرة في الأصل: ما يغمرك من الماء ويغطيك ثم كثر استعمالها في الشدة، والكربة: حزن يأخذ النفس ويقلق الروح والظاهر أن فيه حذفاً وهو الأبكم بقرينة السابق واللاحق والإضافة على إرادة الماء من قبيل لحين الماء، والوجه الإهلاك وعلى أداة الشدة لامية وبمن الأبكم، (أظهر الله معالم ديننا) أي مواضع علومه وهي القوانين النبوية (واستصلح ما كان فسد من دنيانا) بسبب فساد الناس وشيوع الظلم والجور بينهم قبل الوحي وبعد انقطاعه (حتى استبان بعد الجور ذكرنا) بالخير والصلاح والشرف، وأريد بالجور جور هذه الأمة بعد قبض النبي صلى الله عليه وآله أو الأعم منه ومن جور العرب وغيرهم قبل البعثة (وقرت من رخاء العيش أعيننا) الرخاء بالضم: مصدر وفعله ككرم ورضى، وبالفتح: سعة العيش وبهم عليهما السلام قامت القوانين العدلية في العيش وارتفع كل ما هو سبب لضيقه من الجور والظلم والبغي والقتل والنهب وغيرها مما يبطل النظام ويشوش أحوال الأنام (لما وليتنا بالإحسان جهدك) كأنه تعليل لقوله: وبك أخرجنا الله من فظاعة تلك الخطرات وما عطف عليه «وما» مصدرية والتولية الإعطاء كما قيل في قوله تعالى: ﴿**فلنولينك قبلة ترضيها**﴾، والجهد: الطاقة أو الاجتهاد، والمراد به بقرينة المقام وحذف متعلقه الاجتهاد في جميع الأمور المتعلقة بصلاح الدين والدنيا ونظامهما.

(ووفيت لنا بجميع عهدك) العهد: الوصية والموثق والحرمة والمراد به جميع ما التزم عليه السلام تبليغه إلى الأمة (فكنت شاهد من غاب عنا) وهو النبي صلى الله عليه وآله أي تشهد له علينا بما جاء به لا يعزب عنك منه شيء ويمكن أن يراد بالشاهد الحاضر يعني أنك قائم مقامه (وخلف أهل البيت لنا) خلف بالتشديد من التخليف ماض معطوف على غاب وتخفيف اللام وعطف على شاهد وإرادة النبي وفاطمة عليهما السلام من أهل البيت بعيد (وكنت عز ضعفائنا) أي ضعيف الحال وقليل المال منا

الذي لا يقدر على المدافعة عن نفسه وعرضه عزيز عندك تدفع عنه ما يوجب ذله وتجلب إليه ما يوجب عزه (وثمال فقرائنا) الثمال بالكسر: الملجأ والغياث، وقيل: هو المطعم في الشدة (وعماد عظمائنا) في الحال والشرف والمال لبقاء عظمتهم بك وبنصرك كبقاء البيوت والخيام بالعمود (يجمعنا من الأمور) عدلك في الرعية ولولا عدلك لانتشرت أمورنا وتفرق جمعنا، والمراد بالأمور: الخيرات كلها دنيوية كانت أم أخروية ومن بمعنى في كما قيل في قوله تعالى **﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾** وقوله **﴿وإذا نودي للصلاة من يوم الجمعة﴾**.

(ويتسع لنا في الحق تأتّيك) ومداراتك لأن الحاكم كان عجولاً غضوباً يبطل نظامه ونظام الرعية وتذهب الحقوق جلّها سيما حقوق كل منهما على الآخر (فكنت لنا أنسا إذا رأيناك) في القاموس، الأُنس بالضم وبالتحريك: ضد الوحشة، وفي النهاية المشهور في ضد الوحشة الأُنس بالضم وقد جاء فيه الكسر وأما التحريك وإن لم يكن معروفاً في الرواية إلّا أنه معروف اللغة لأنه مصدر أنست به أنساً وآنسته والحمل إما للمبالغة أو لأن أنساً بمعنى أنيس وسبب الأنس هو كونه عليه السلام في غاية الكمال في الكمالات (وسكنا إذا ذكرناك) قد مرَّ تفسير السكن قبل ذلك (فأي الخيرات) لم تفعل (وأي الصالحات لم تعمل) أشار إلى أن كل ما يطلق عليه اسم الخير والعمل الصالح قد فعله عليه السلام والاستفهام للتعجب (ولو أن الأمر الذي نخاف عليك منه) وهو الموت أو القتل (يبلغ تحريكه) أي إزالته وفي بعض النسخ «تحويله» (جهدنا) أي طاقتنا أو اجتهادنا (وتقوىٰ لمدافعه طاقتنا) أي قدرتنا أشار إلى أن الدفع من الطرفين إلّا أن المقدر لكونه محتوماً غالب (ولا خطرناها) أي جعلناها خطراً وألقيناها في الهلكة (وقلّ خطرها) وسهل هلاكها (دونك) وعند بقائك بأن اختياره لك ما عنده من المقامات العالية على ما كنت فيه من المشقة الشديدة والظاهر أنه علة لقوله ولا مختلفة (ولكنا نبكي من غير إثم) في البكاء إذا لم نقل ما فيه سخط الرب (لعز هذا السلطان أن يعود ذليلاً) لجور هذه الأمة واختلافهم، واللام علة لنبكي، والمراد بالسلطان السلطنة والخلافة أو هو عليه السلام (وللدين والدنيا أكيلاً) للفاسقين وهو عطف على قوله لعز، وأكيلاً منصوب بفعل مقدر يدل عليه المذكور وقوله (ولا نقيمه) عطف على نأمله ولا زائدة ومعناه ولا نرى نظيراً نقيمه مقامك.

خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام

* **الأصل:**

٥٥١ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن علي جميعاً، عن إسماعيل بن مهران، وأحمد بن محمد بن أحمد، عن علي بن الحسن التيمي، وعلي بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن خالد جميعاً، عن إسماعيل بن مهران، عن المنذر بن جعفر، عن الحكم بن ظهير، عن عبد الله بن جرير العبدي، عن الأصبغ بن نباتة قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عمر وولد أبي بكر وسعد بن أبي وقاص يطلبون منه التفضيل لهم فصعد المنبر، ومال الناس إليه فقال:

الحمد لله وليّ الحمد ومنتهى الكرم، لا تدركه الصفات، ولا يحدُّ باللغات، ولا يعرف بالغايات، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله نبي الهدى وموضع التقوى ورسول الرب الأعلى، جاء بالحق من عند الحق لينذر بالقرآن المنير والبرهان المستنير، فصدع بالكتاب المبين ومضى على ما مضت عليه الرّسل الأوّلون أما بعد:

أيها الناس فلا يقولنّ رجال قد كانت الدنيا غمرتهم فاتّخذوا العقار وفجّروا الأنهار وركبوا أفره الدوابّ ولبسو ألين الثياب فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إن لم يغفر لهم الغفّار إذا منعتُهم ما كانوا فيه يخوضون وصيّرتهم إلى ما يستوجبون فيفقدون ذلك فيسألون ويقولون: ظلمنا ابن أبي طالب وحرمنا ومنعنا حقوقنا، فالله عليهم المستعان، من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا وآمن بنبينا وشهد شهادتنا ودخل في ديننا أجرينا عليه حكم القرآن وحدود الاسلام، ليس لأحد على أحد فضل إلاّ بالتقوى، ألا وإنّ للمتقين عند الله تعالى أفضل الثواب وأحسن الجزاء والمآب، لم يجعل الله تبارك وتعالى الدنيا للمتّقين ثواباً وما عند الله خير للأبرار ، انظروا أهل دين الله فيما أصبتم في كتاب الله وتركتم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وجاهدتهم به في ذات الله أبحسب أم بنسب أم بعمل أم بطاعة أم زهادة وفيما أصبحتم فيه راغبين فسارعوا إلى منازلكم ـ رحمكم الله ـ التي أُمرتم بعمارتها العامرة، التي لا تخرب، الباقية التي لاتنفد، التي دعاكم إليها وحضّكم عليها ورغّبكم فيها وجعل الثواب عنده عنها فاستتمّوا نعم الله عزّ ذكره بالتسليم لقضائه والشكر على نعمائه، فمن لم يرض بهذا فليس منّا ولا إلينا وإنّ الحاكم يحكم بحكم الله ولا خشية عليه من ذلك أُولئك هم المفلحون ـ وفي نسخة ـ ولا وحشة وأُولئك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وقال: **وقد عاتبتكم بدرّتي التي أُعاتب بها أهلي فلم تبالوا وضربتكم بسوطي الذي أُقيم به**

حدود ربّي فلم ترعوا أتريدون أن أضربكم بسيفي أما إني أعلم الذي تريدون ويقيم أودكم ولكن لا أشتري صلاحكم بفساد نفسي بل يسلّط الله عليكم قوماً فينتقم لي منكم فلا دنيا استمتعتهم بها ولا آخرة صرتم إليها فبعداً وسحقاً لأصحاب السعير[١].

*** الشرح:**

قوله: (خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام) شكا فيها إلى الله ممن رغب في الدنيا ولم يرض بحكمه وقضائه ورغبه في أمر الآخرة والتسليم والشكر على نعمائه (قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله ابن عمرو وولد أبي بكر وسعد بن أبي وقاص يطلبون منه التفضيل لهم) على سائر الناس بالعطايا وغيرها (الحمد لله ولي الحمد) أي مستحق حقيقة الحمد أو جميع أفراده لأن المحامد كلها له أو منه (ومنتهى الكرم) إذ الشرف كله ينتهي إليه أما شرف الذات والصفات والوجود على الإطلاق فظاهر وأما الشرف بالإضافة فهو منه وإليه (لا تدركه الصفات) إذ لا صفة له وكل ماله من صفات كمال فهو راجع إلى سلب ضده عنه كما مرَّ في كتاب التوحيد (ولا يحد باللغات) المختلفة والعبارات المتفاوتة المترقية في الكمال أو ليس له حد حقيقي ولا رسمي ويمكن أن يكون إشارة إلى أن أسماءه الحسنى غيره كما مرَّ أيضاً (ولا يعرف بالغايات) إذ لا غاية ولا نهاية ويمكن أن يكون الغرض سلب الإمكان الخاص عنه بناء على أن لوجود كل ممكن غاية مقصودة وهو بدونها ليس هو وليس لوجود الواجب غاية (نبي الهدى) بعث للهداية والإرشاد إلى الله تعالى (وموضع التقوى) لاتصافه بها ومنه تنفجر إلى غيره (ورسول الرب الأعلى) من أن تدرك ذاته عقول العارفين وينال صفاته أوهام الواصفين أو من حيث الرتبة والعلية والشرف (فلا يقولن رجال ـ آه) مقول القول محذوف بقرينة المقام والسياق، أي فلا يقولن رجال ابن أبي طالب حرمنا ومنع حقوقنا أو هو بمنزلة اللازم والمقصود النهي عن حقيقة القول إذ قال عليه السلام في وصفهم كيت وكيت وهو مع كونه عاماً تعريض بمن ذكر ووصف الرجال بقوله (قد كانت الدنيا غمرتهم ـ آه) غمره الماء علاه وفيه مكنية وتخييلية بتشبيه الدنيا بالبحر في الإهلاك وإثبات الغمر لها (والعقار) بالفتح: الأرض والضياع والنخل والكرم ونحوها، والدابة الفارهة: هي النشيطة الحادة القوية، والعار: العيب، والشنار بالفتح: أقبح العيب والعار والأمر المشهور بالشنعة (اذا منعتهم ماكانوا فيه يخوضون من أمر الدنيا وصرف العمر في تحصيلها وطلب الزيادة في القسمة وهذا ظرف لقوله فلا يقولن رجال (وصيرتهم إلى ما يستوجبون) أي يستحقون من التأديب ورفض الدنيا وطلب الآخرة والتساوي

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٩٥.

في العطايا فالله عليهم المستعان فيما يقولون وما يفترون ، ثم أشار من باب الاستئناف بقوله (من استقبل قبلتنا ـ إلى آخره) إلى أنه عليه‌السلام يجري عليهم أحكام القرآن وحدود الإيمان وقوانينه رضوا أم كرهوا ولا يخاف لومة لائم، ثم أشار إلى دفع ما توهموا من فضلهم على غيرهم بقوله (ليس لأحد على أحد فضل إلّا بالتقوى) فالتقي وإن كان عبداً حبشياً أفضل من غيره وإن كان رجلاً قرشياً ، ثم حث على التقوى ورفض الرسوم الجاهلية من دعوى الفضل بالجاه والمال والنسب ونحوها من الأمور الإعتبارية المحضة التي لا حقيقة لها فقال : مصدراً بحرف التنبيه (ألا وإن للمتقين عند الله أفضل الثواب وأحسن الجزاء والمآب) أي المرجع كما قال عز وجل **﴿وإن للمتقين لحسن مآب * جنات عدن مفتحة لهم الأبواب * متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب * وعندهم قاصرات الطرف أتراب * هذا ما توعدون ليوم الحساب﴾** ثم أشار إلى تسلية المتقين وتعريض الفاسقين بقوله (لم يجعل الله تبارك وتعالى الدنيا للمتقين ثواباً) لاحتقارها وقلتها وانقطاعها «وما عند الله من الأجر الجميل والثواب الجزيل والمقام الرفيع مع دوام ذلك (خير للأبرار) مما ركن إليه الأشرار من الزهرات الفانية الحاضرة والقنيات الزائلة الداثرة لقلتها وسرعة زوالها (انظروا أهل دين الله فيما أصبتم في كتاب الله وتركتم عند رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وجاهدتم به في ذات الله أم بحسب أم بنسب) أم بعمل أم بطاعة أم زهادة وفيما أصبحتم فيه راغبين كأنه أشار إلى أن أحوالكم في هذا اليوم على خلافها في عهد النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله حيث أن ما أصبتم في عهده من العطية ومالم تصيبوا منها وتركتموه عنده إنما كان باعتبار العمل لله والطاعة له ولرسوله لا باعتبار الحسب والنسب وكذا ما صرفتموه في الجهاد من أموالكم وأنفسكم كان لأجل زهادتكم في الدنيا واليوم صرفتم راغبين في طلب الزيادة والتفضيل باعتبار الحسب والنسب وعن صرف الأموال والأنفس في الجهاد باعتبار الميل إلى الدنيا وترك الزهد فيها فانظروا في الحالين واختاروا ماهو خير لكم وأبقى. هذا محض الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال، ثم رغب في الميل إلى الآخرة والزهد في الدنيا بقوله (فسارعوا إلى منازلكم رحمكم الله) السرعة إليها مستلزمة للسرعة الى ما يحتاج فيها واللازم هو المراد الذي أمرتم في هذه الدنيا بعمارتها بالأعمال الصالحة وترك حطام الدنيا.

(العامرة التي لا تخرب) عمارتها فلا تحتاج إلى تعميرها وليست كعمارة الدنيا محتاجة إلى التعمير في كل آن (الباقية التي لا تنفد) لدوامها أبداً وليست كالدنيا منقطعة في وقت ما (فاستتموا) واستكملوا (نعم الله عز ذكره وهي ما أتاكم من الإقرار بالتوحيد والرسالة والولاية وغيرها من النعماء الجلية والخفية (بالتسليم لقضائه) والانقياد له بحيث لا يرى على النفس ثقيلاً والشكر على نعمائه تفصيلاً وإجمالاً (فمن لم يرض بهذا) أي بقضائه وكفر بنعمائه فليس منا من

دينا وسنتنا في الدنيا ولا إلينا يرجع في الآخرة (فإن الحاكم منا يحكم بحكم الله) فمن لم يرض بحكمه ليس من حزب الحاكم فالفاء للتعليل (ولا خشية عليه من ذلك) أي لا خشية على الحاكم من عدم الرضى بحكمه إذ ضرره يعود الى التارك لا إليه (أولئك هم المفلحون) إشارة إلى السارعين الى الإجابة الراضين بقضائه أو إلى الحكام المفهوم من الحاكم (وفي نسخة ولا وحشة) إذ للحاكم أنس بالله العظيم لا يستوحش بمخالفة الرعية له (وقد عاتبتكم بدرتي ـ آه) الدرة بالكسر : ما يضرب به والرعو والرعوة ويثلثان : النزوع عن الجهل وحسن الرجوع عنه والاولاد والأود : العوج وما أخبر به عليه السلام من أن الله تعالى يسلط عليهم قوماً جبارين وقع كما أخبر فإن بعده عليه السلام سلط الله عليهم بني أمية والحجاج الثقفي وغيرهم ففعلوا ما فعلوا.

*** الأصل :**

٥٥٢ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، وأبو عليّ الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار جميعاً، عن علي بن حديد، عن جميل، عن زرارة: عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأله حمران فقال: جعلني فداك لو حدّثتنا متى يكون هذا الأمر فسررنا به ؟ فقال: يا حمران إنّ لك أصدقاء وإخواناً ومعارف إنّ رجلاً كان فيما مضى من العلماء وكان له ابن لم يكن يرغب في علم أبيه ولا يسأله عن شيء ، وكان له جار يأتيه ويسأله ويأخذ عنه فحضر الرجل الموت فدعا ابنه فقال: يا بنيّ إنّك قد كنت تزهد فيما عندي وتقلّ رغبتك فيه ولم تكن تسألني عن شيء ولي جار قد كان يأتيني ويسألني ويأخذ مني ويحفظ عني فإن احتجت إلى شيء فأته، وعرفه جاره فهلك الرجل وبقي ابنه فرأى ملك ذلك الزمان رؤيا فسأل عن الرجل، فقيل له: قد هلك فقال الملك: هل ترك ولداً ؟ فقيل له: نعم ترك ابناً، فقال: ائتوني به، فبعث إليه ليأتي الملك، فقال الغلام: والله ما أدري لما يدعوني الملك وما عندي علم ولئن سألني عن شيء لأفتضحنّ، فذكر ما كان أوصاه أبوه به فأتى الرجل الذي كان يأخذ العلم من أبيه فقال له: إنّ الملك قد بعث إليّ ولست أدري فيم بعث إليّ وقد كان أبي أمرني أن آتيك إن احتجت إلى شيء فقال الرجل: ولكنّي أدري فيما بعث إليك فإن أخبرتك فما أخرج الله لك من شيء فهو بيني وبينك فقال: نعم فاستحلفه واستوثق منه أن يفي له فأوثق له الغلام فقال إنّه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا ؟ فقل له: هذا زمان الذئب فأتاه الغلام فقال له الملك: هل تدري لم أرسلت إليك ؟

فقال: أرسلت إليّ تريد أن تسألني عن رؤيا رأيتها أيّ زمان هذا، فقال له الملك: صدقت فأخبرني أيّ زمان هذا فقال له: زمان الذئب، فأمر له بجائزة فقبضها الغلام وانصرف إلى منزله وأبى أن يفي لصاحبه وقال: لعلّي لا أنفد هذا المال ولا آكله حتى اهلك ولعلّي لا أحتاج ولا أُسأل عن

مثل هذا الذي سئلت عنه، فمكث ما شاء الله ثمّ إنّ الملك رأى رؤيا فبعث إليه يدعوه فندم على ما صنع وقال: والله ما عندي علم آتيه به وما أدري كيف أصنع بصاحبي وقد غدرت به ولم أف له، ثم قال: لآتينّه على كلّ حال ولأعتذرنَّ إليه ولأحلفنَّ له فلعلّه يخبرني فأتاه فقال له: إنّي قد صنعت الذي صنعت ولم أف لك بما كان بيني وبينك وتفرّق ما كان في يدي وقد احتجت إليك فأُنشدك الله أن لا تخذلني وأنا أُوثق لك أن لا يخرج لي شيء إلّا كان بيني وبينك وقد بعث إليّ الملك ولست أدري عمّا يسألني ؟ فقال: إنّه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا فقل له: إنّ هذا زمان الكبش، فأتى الملك فدخل عليه فقال: لما بعثت إليك ؟ فقال: إنّك رأيت رؤيا وإنّك تريد أن تسألني أيّ زمان هذا، فقال له: صدقت فأخبرني أيّ زمان هذا ؟ فقال: زمان الكبش فأمر له بصلة، فقبضها وانصرف إلى منزله وتدبّر في رأيه في أن يفي لصاحبه أو لا يفي له فهمّ مرّة أن يفعل ومرة أن لا يفعل ثم قال: لعلّي أن لا أحتاج إليه بعد هذه المرّة أبداً وأجمع رأيه على الغدر وترك الوفاء، فمكث ما شاء الله، ثم إنّ الملك رأى رؤيا فبعث إليه فندم على ما صنع فيما بينه وبين صاحبه وقال: بعد غدر مرّتين كيف أصنع وليس عندي علم ثمّ أجمع رأيه على إتيان الرجل فأتاه فناشده الله تبارك وتعالى وسأله إن يعلّمه وأخبره إن هذه المرّة يفي له وأوثق له وقال: لا تدعني على هذه الحال فإنّي لا أعود إلى الغدر وسأفي لك فاستوثق منه فقال: إنّه يدعوك يسألك عن رؤيا رآها أي زمان هذا فإذا سألك فأخبره أنّه زمان الميزان، قال: فأتى الملك فدخل عليه فقال له: لم بعثت إليك ؟

فقال: إنّك رأيت رؤيا وتريد أن تسألني أيّ زمان هذا، فقال: صدقت فأخبرني أيّ زمان هذا، فقال: هذا زمان الميزان فأمر له بصلة فقبضها وانطلق بها إلى الرّجل فوضعها بين يديه وقال: قد جئتك بما خرج لي فقاسمنيه، فقال له العالم: إنّ الزمان الأوّل كان زمان الذئب وإنّك كنت من الذئاب وإنّ الزمان الثاني كان زمان الكبش يهمّ ولا يفعل وكذلك كنت أنت تهمّ ولا تفي وكان هذا زمان الميزان وكنت فيه على الوفاء فاقبض مالك لا حاجة لي فيه وردّه عليه[1].

*** الشرح :**

قوله : (سأله حمران فقال : جعلني فداك لو حدثتنا متى يكون هذا الأمر) أي ظهور الصاحب عليه السلام فسررنا به (فقال : يا حمران ـ آه) فيه فواد ، الأولى : أنه ينبغي إظهار السر وتعليم العلوم الغريبة التي يحتاج إليها الخلق في بعض الأوقات لمن هو أهل لها ، الثانية : أنه لا يجوز

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٩٦.

تعليمها لمن ليس بأهل لها وإن كان ولداً، الثالثة : أنه ينبغى ترغيب الجاهل في الرجوع إلى العالم عند الحاجة؛ الرابعة : أنه يحب الوفاء بالعهد لئلا يؤدى إلى الخجالة في وقت ، الخامسة : أنه تعالى قد ينبه الرجل بما فيه صلاحه وصلاح الخلق كما نبه الملك المذكور الذي وقع الجور في رعيته ولم يكن عالماً به فسئل في المنام أي زمان هذا ؟ فعبر بأنه زمان الذئب فتنبه أنه وقع الجور وشاع بين الرعية فاشتغل بالإصلاح حتى ظن أنه قد رفع ولم يرتفع بالكلية فسأل ثانياً أي زمان هذا ؟ فعبر بأنه زمان الكبش الذي قد يضرب وقد لا يضرب فتنبه أنه قد بقي الجور في الجملة فاشتغل بالإصلاح حتى رفع بالكلية فسأل أي زمان هذا ؟ فعبر بأنه زمان الميزان أي زمان القسط والعدل فعلم وتيقن ارتفاع الجور بالمرة فاطمأن قلبه إذا عرفت هذا فنقول لعل الغرض منه أن هذا الزمان ليس زمان الميزان فأخاف أن لا تفي بعهد الكتمان ويعلم ذلك أصدقاؤك وإخوانك وكأنه أشار بزمان الذئب إلى زمان سلطان بني أمية وبزمان الكبش إلى مدة سلطان بني عباس فإن بعضهم هم أن يدفع الأمر إلى صاحبه ثم غدر كالمأمون وبزمان الميزان زمان ظهور القائم عليه السلام فإنه زمان عدل يمكن إظهار السر فيه ، وبالجملة أشار إلى اختلاف حالات الخلق فغالب أحوالهم الغدر وعدم الوفاء بالعهد وهذا يقتضى كتمان السر عليهم وإذا اعتدل الزمان واعتدلت أحوالهم ينبغي إظهاره ، ويحتمل أن يكون المراد أن لك معارف وأصدقاء وإخواناً فهل ترى أحداً منهم يكتم السر فإذا رأيت منهم الطاعة والانقياد وكتمان السر فاعلم أن ذلك الزمان زمان ظهور هذا الأمر والله يعلم.

*** الأصل :**

٥٥٣ ـ أحمد بن محمد بن أحمد الكوفي، عن علي بن الحسن التيمي، عن علي بن أسباط، عن علي بن جعفر قال: حدّثني معتب أو غيره قال: بعث عبد الله بن الحسن إلى أبي عبدالله عليه السلام يقول لك أبو محمد: أنا أشجع منك وأنا أسخى منك وأنا أعلم منك فقال لرسوله: أمّا الشجاعة فوالله ما كان لك موقف يعرف فيه جبنك من شجاعتك، وأمّا السخاء فهو الذي يأخذ الشيء من جهته فيضعه حقّه، وأمّا العلم فقد أعتق أبوك علي بن أبي طالب عليه السلام ألف مملوك فسمّ لنا خمسة منهم وأنت عالم، فعاد إليه فأعلمه ثمَّ عاد إليه فقال له: يقول لك: أنت رجل صحفي، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: قل له: إي والله صحف إبراهيم وموسى وعيسى ورثتها عن آبائي عليهم السلام[1]

*** الشرح :**

قوله : (يقول لك أنت رجل صحفي) يقال لمن يكثر النظر إلى الصحف صحفي بفتحتين

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٩٩.

منسوب إلى صحيفة أو إلى صحف بعد ردها إليها وبضمتين خطأ.

*** الأصل:**

٥٥٤ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: **﴿وبشّر الذين آمنوا أنّ لهم قدم صدق عند ربهم﴾** فقال: هو رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

*** الشرح:**

قوله: (وبشر الذين آمنوا أن لهم) أي بأن لهم (قدم صدق عند ربهم، قال: هو رسول الله) كان الضمير راجع إلى قدم وتذكيره باعتبار معناه المجازي إذ القدم قد يكون بمعنى السابق المتقدم باعتبار أن السبق والتقدم يكونان بالقدم، وإنما سمي به باعتبار أنه سابق إلى كل خير ومتقدم في كل كمال، وقيل: هو راجع إلى الذين آمنوا والجمع للتعظيم أو لشمول الأئمة عليهم السلام أيضاً وفيه أن الخطاب بشر يأباه وعوده إلى المبشر المفهوم من بشر وتخصيص البشارة بوقت الاحتضار بعيد والظاهر أن عوده إلى الرب باعتبار أنه رباهم بالعلم والكمال لا يجوز إذ الرب إذا أطلق وأضيف إلى العباد لا يراد به إلّا الله عز وجل والله يعلم.

*** الأصل:**

٥٥٥ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الجهم، عن عبدالله بن يحيى الكاهلي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: **﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾** قال: لما أُسري برسول الله صلى الله عليه وآله أتاه جبرئيل بالبراق فركبها فأتى بيت المقدس فلقي من لقي من إخوانه من الأنبياء عليهم السلام، ثم رجع فحدّث أصحابه أنّي أتيت بيت المقدس ورجعت من الليلة وقد جاءني جبرئيل بالبراق فركبتها، وآية ذلك أنّي مررت بعير لأبي سفيان على ماء لبني فلان وقد أضلّوا جملاً لهم أحمر وقد همّ القوم في طلبه، فقال بعضهم لبعض: إنّما جاء الشام وهو راكبٌ سريع ولكنّكم قد أتيتم الشام وعرفتموها فسلوه عن أسواقها وأبوابها وتجّارها، فقالوا: يارسول الله كيف الشام وكيف أسواقها؟ ـ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا سئل عن الشيء لا يعرفه شقّ عليه حتى يرى ذلك في وجهه ـ قال: فبينما هو كذلك إذ أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله هذه الشام قد رفعت لك. فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا هو بالشام بأبوابها وأسواقها وتجّارها فقال: أين السائل عن الشام؟ فقالوا له: فلان وفلان. فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ ما سألوه عنه فلم يؤمن منهم إلّا

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٩٩.

قليل[١] وهو قول الله تبارك وتعالى:**﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾**. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: نعوذ بالله أن لا نؤمن بالله وبرسوله، آمنّا بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله .

*** الشرح :**

قوله : (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ، قال : لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله أتاه جبرئيل

١ ـ مما لا يشك مسلم فيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله أسري به ليلاً إلى المسجد الأقصى كما هو نص القرآن وأنه عرج به إلى السماء والواجب على المسلم أن يؤمن به ولا يستبعد شيئاً من قدرة الله تعالى ولا يحوم حول الفضول ولا يتكلف لما لا سبيل له إليه فإن الله ورسوله عليه السلام وأولياءه عليهم السلام لا يتكلمون إلّا بالحق وما فيه هداية الناس إلى الصواب والسعادة ولكن الصدر الأول اختلفوا في أن معراجه صلى الله عليه وآله كان رؤيا النبوة أو يقظة بجسمه أو روحه نقل اختلافهم ابن اسحاق في السيرة النبوية وتوقف هو وقال الله اعلم أي ذلك كان ، وبعضهم فرّق فقال: اسراؤه إلى المسجد الأقصى بجسمه وعروجه إلى السماء بروحه ولا ريب أن جميع ما حكاه صلى الله عليه وآله مما رآه في طريق المسجد أو في السموات كان مما يتعلق بعالم الغيب من الجنة والنار ولقاء الله تعالى وملائكته وأرواح الأنبياء وغير ذلك فيسقط السؤال عما إذا اتفق وصول الإنسان إلى السماوات هل يرى ما رأى النبي صلى الله عليه وآله هناك؟ فنقول : لا ! كما لا يرى الناس العذاب في الدنيا وكان يراه النبي صلى الله عليه وآله وهنا سؤال حادث في عصرنا أشكل على الناس ويسألون عنها كثيراً وكان هو الباعث لتعرضنا له وهو أن المعراج مبني على الهيئة القديمة التي ثبت بطلانها في عصرنا إذ ليس عند أهل عصرنا سماء بالمعنى الذي ورد في أحاديث المعراج وليس عندهم إلّا فضاء خلاء غير متناه أو غير معلوم النهاية وأقول السموات في حديث المعراج هي السموات الواردة في القرآن مثل قوله تعالى **﴿والذي خلق سبع سموات طباقاً﴾**،**﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً﴾** ولا يسع لمسلم أن ينكر السموات السبع على ما ورد في القرآن والسموات التي عرج إليها النبي صلى الله عليه وآله تلك السموات السبع التي إثباتها من ضروريات الدين ووردت في القرآن العظيم وأما الهيئة الجديدة وإنكار السموات فكأنه خلط بين أمر حقيقي ووهم اخترعه أذهان الجهال منهم لأن غير المتناهي باطل بالبرهان اليقيني الثابت لدينا من غير شك وإن كان لبعد غوره لا يناله الإفهام السذج وكذلك الخلاء ولم أر في هؤلاء من يفهم دليل المسألتين فضلاً عن أن يبطلهما، وأما السموات فزعم هؤلاء أن السماء التي يعتقدها من يعتقدها جسم ثقيل صلب من العناصر الكثيفة ولم يعقلوا أن هذه السموات بهذه الأبعاد كيف لا يمنع أبصار الكواكب مع أن البلور والماء بل الهواء بهذا الثخن يمنع الأبصار جداًولم يكن يخفى هذا على الحكماء وغيرهم البتة فلابد أن يعتقدوا جسم الفلك في الشفافية لا يتميز عن الخلاء الذي يتصورونه ، ولذلك كانوا يسمونه بالأثير والمنصفون من أهل هذا العصر ايضاً لايأبون عن إطلاق الأثير على هذا الفضاء لأنه ليس ثقيلاً كأجسام العناصر ولا خلاء محضاً ولكن يتموج ويتكيف بالنور والحرارة والقوى الأخر ولو كان ما يسمونه الخلاء عدماً محضاً لم يتكيف بهذه القوى ، والحق أن الخلاف ليس في وجود السموات بل في ماهيتها والعوام يتوهمون شيئاً والحكماء يعتقدون شيئاً آخر ، ولا استحالة بعد ثبوت السموات فيما ورد من حديث المعراج، وأما حديث الخرق والالتئام فاستحالوهما في محدد الجهات ولم يدّع أحد من المسلمين عروجه إلى وراء المحدد إذ لامكان وراءه (ش).

بالبراق ـ آه) قيل : أسرى وسرى بمعنى واحد واتفق القراء على القراءة بأسرى لأن سرى قاصر وتعدية القاصر بالباء يقتضى شركة الفاعل مفعوله في الفعل ، فإذا قلت: قعدت بزيد فالمعنى أنك قعدت معه وتعديته بالهمزة لا يقتضى ذلك، فإذا قلت أقعدت زيداً فالمعنى أنك جعلته يقعد بنفسه فلو وقعت القراءة بالثلاثي المتعدي بالباء أوهم شركة الله عبده في السرى والسرى يستحيل على الله سبحانه ولا يعترض بقوله تعالى ﴿**ذهب الله بنورهم**﴾ لأنه مجاز والمعنى أذهب الله نورهم وقيل : المفعول في الآية محذوف أي أسرى البراق بعبده أي جعله يسري به وإنما حذف لأن المقصود ذكر النبي ﷺ لا براق وهو دابة ركبها النبي ﷺ ليلة المعراج ونقل عن ابن دريد أن اشتقاقه من البرق لسرعته ويحتمل أنه سمي بذلك لأن فيه لونين من قولهم شاة برقاء إذا كان في صوفها الأبيض طاقات سود وتوصف بأبيض لأن الشاة البرقاء معدودة من البيض، وقيل : سمي براقاً إشارة إلى صفائه وبريقه، وقال المازري : من العامة نقلاً عن مختصر العين أنه دابة كان الأنبياء يركبونها وما نقله من اشتراك الجميع في ركوبها يفتقر إلى نقل ولم يثبت عندنا. وقوله : فركبها الظاهر منه أن سير النبي ﷺ كان في حال يقظة بالجسم وهو قول علمائنا وقول أكثر العامة ويدل عليه قوله تعالى ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**﴾[1] حيث لم يقل بروح عبده ولأن تحريك الجسم إلى مسافة بعيدة في مدة قليلة هو المستغرب الذي يحتاج إلى البيان دون تحريك الروح وقال بعض العامة : إنه كان بالروح، وقيل : إنه كان بالجسم إلى المسجد الأقصى وبالروح إلى السماء، لأن الآية خرجت مخرج الترفيع ، فلو كان الجسم في حال اليقظة لقال: بعبده إلى السماء كما قال : إلى المسجد الأقصى لأنه أمدح ، والجواب أن هذا لايعارض إجماع الخاصة بل إجماع العامة لأن الخلاف بينهم منسوب إلى بعض السلف ، واتفق المتأخرون من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على ما ذكرنا .

وقال بعضهم : إنه كان مرتين مرة بالروح ومرة بالجسم واختاره السهيلي جمعاً بين الأقاويل وقوله : فأتى بيت المقدس هو بفتح الميم وسكون القاف وبضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال لغتان مشهورتان فعلى التخفيف يحتمل أن يكون مصدراً كالمرجع ويحتمل أن يكون اسم مكان أي بيت المكان الذي فيه التقديس أي الطهارة إما من الأصنام أو من الذنوب ، وقوله : ثم رجع دل بظاهره على أن الإسراء وقع إلى بيت المقدس فقط لا إلى السماء أيضاً ، ويمكن حمله على ظاهره ويكون الإسراء إلى السماء أيضاً ويمكن مرة أخرى غير هذه المرة ، ويمكن حمل الخبر على

---

(١) سورة الإسراء : ١ .

الاقتصار بذكر بعض أجزاء المسافة الذي تطرد عير أهل مكة إليه شهراً ذاهبة وشهراً راجعة لأن هذه المسافة كانت مأنوسة عندهم ومعلومة مدة السير فيها ، وإذا علموا بأن سيره فيها ذهاباً أو عوداً وقع في بعض الليل وأقام الشاهد على ذلك كان ذلك أدفع لعذرهم وأوقع في قبول الحق بخلاف الأمور السماوية فإنهم لم يعاينوها ولم يشاهدوها (فقال بعضهم لبعض : إنما جاء الشام ـ آه) يحتمل أن يكون السائل بعض المؤمنين ويدل عليه قوله : فقالوا يا رسول الله ويؤيده ما قال بعض العامة من أنه ارتد بهذه الأخبار جمع من المؤمنين فقالوا : ما لهذا يدّعي أنه خرج الليلة إلى الشام ورجع، ويحتمل أن يكون بعض الكفار وقولهم : يا رسول الله إما محمول على الاستهزاء كما في قول فرعون «إن رسولكم الذي أرسل إليكم مجنون» ويحتمل أن يكون على سبيل الموافقة والملاينة والقصد إلى تصديقه بعد التبين فلذلك آمن قليل منهم (إذ أتاه جبرئيل عليه السلام فقال : يا رسول هذه الشام قد رفعت لك) يحتمل أن يكون صورة الشام ومثالها ظهرت له صلى الله عليه وآله ويحتمل أن نفس هذه البلدة ظهرت له بإزالة الحائل بينه وبينها أو بنقلها من محلها إلى قريب منه.

*** الأصل :**

٥٥٦ ـ أحمد بن محمد بن أحمد، عن علي بن الحسن التيمي، عن محمد بن عبدالله، عن زرارة، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة قال، سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا قال المؤمن لأخيه: أفّ خرج من ولايته وإذا قال: أنت عدوّي كفر أحدهما لأنه لايقبل الله عزّوجلّ من أحد عملاً في تثريب على مؤمن نصيحة ولا يقبل من مؤمن عملاً وهو يضمر في قلبه على المؤمن سوءاً، لو كشف الغطاء عن الناس فنظروا إلى وصل ما بين الله عزّ وجلّ وبين المؤمن خضعت للمؤمنين رقابهم وتسهّلت لهم أُمورهم ولانت لهم طاعتهم ولو نظروا إلى مردود الأعمال من الله عزّوجلّ لقالوا: ما يتقبل الله عز وجل من أحد عملاً وسمعته يقول لرجل من الشيعة: أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات كل مؤمنة حوراء عيناء وكل مؤمن صدّيق.

قال: وسمعته يقول شيعتنا أقرب الخلق من عرش الله عز وجل يوم القيامة بعدنا وما من شيعتنا أحد يقوم إلى الصلاة إلّا اكتنفته فيها عدد من خالفه من الملائكة يصلون عليه جماعة حتى يفرغ من صلاته وإن الصائم منكم ليرتع في رياض الجنة تدعو له الملائكة حتى يفطر. وسمعته يقول: أنتم أهل تحية الله بسلامه ، وأهل أُثرة الله برحمته ، وأهل توفيق الله بعصمته ، وأهل دعوة الله بطاعته، لا حساب عليكم ولا خوف ولا حزن، أنتم للجنة والجنة لكم، أسماؤكم عندنا الصالحون والمصلحون وأنتم أهل الرضى عن الله عز وجل برضاه عنكم والملائكة إخوانكم في الخير فإذا جهدتم ادعوا، وإذا غفلتم اجهدوا، وأنتم خير البريّة، دياركم لكم جنّة، وقبوركم لكم جنّة، للجنّة

خلقتم وفي الجنة نعيمكم وإلى الجنة تصيرون(١).

* **الشرح:**

قوله: (إذا قال المؤمن لأخيه أف خرج من ولايته) التي أشار إليها جل شأنه بقوله **﴿المؤمنون بعضهم أولياء بعض﴾** أو من ولاية الله كما قال تعالى **﴿الله ولي الذين آمنوا﴾** وأف كلمة يقال عند التضجر للاحتقار والاستقذار والإنكار (وإذا قال: أنت عدوي كفر أحدهما) لأنه إن كذب كفر وإن صدق كفر المخاطب فأشار عليه السلام (إلى الأول بقوله لأنه لا يقبل الله عز وجل من أحد عملاً في تثريب) أي في توبيخ واستقصاء في اللوم (على مؤمن نصيحة) هي بدل لعملاً أو صفة له أو مفعول له لتثريب وإذا لم يقبل منه نصيحة في توبيخ ولوم فضلاً عن غيرها فهو كافر وأشار إلى الثاني بقوله (ولا يقبل من مؤمن عملاً وهو يضمر في قلبه على المؤمن سوءاً) وإذا لم يقبل منه عملاً لتلك الحالة فهوكافر، وبالجملة ليس هو كافراً بالجحود المنافي لأصل الإيمان بل هو كافر بترك أمر الله تعالى ورعاية حقوق الأخوة وهو ناقص الإيمان، ثم حث على التواضع للمؤمن وأداء سائر حقوقه بقوله (ولو كشف الغطاء عن الناس فنظروا إلى وصل ما بين الله عز وجل وبين المؤمن) من القرب والإحسان والفيوضات التي لا تعد ولا تحصى (خضعت للمؤمنين رقابهم) كما خضعت له تعالى وللمقرب من أمراء الملوك وفي هذا المقام قدترك الأوهام فيتوهم الإتحاد وقد ذكرنا توضيح ذلك في شرح الأصول (وتسهلت لهم) أي للناظرين أمورهم التي وراء أمور المؤمن لأنهم في واد وهم في واد آخر وإرجاع الضمير إلى المؤمنين خطأ كما لا يخفى (وكانت لهم طاعتهم) في الأمر والنهي كانوا كالمجبورين فيها فلذلك اقتضت الحكمة عدم كشف الغطاء تحقيقاً لمعنى التكليف والثواب والعقاب ومن ثم قال الكفار للرسل **﴿إن أنتم إلّا بشر مثلنا﴾** نظراً إلى الصورة الظاهرة وغفلة عن الصورة الباطنة (ولو نظروا إلى مردود الأعمال من الله عز وجل) وإن كانت صالحة بحسب الظاهر لأمور خفية لايعلمها إلّا هو ونظروا إلى ما ورد عليه من المقت والخزي والنكال وغنائه عز وجل عنه وعن عمله (لقالوا ما يتقبل الله من أحد عملاً) وهذا الذي أوقع المؤمن وراء الغطاء بين الخوف والرجاء (وسمعته يقول لرجل من الشيعة أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات) لأنهم طيبون بحسب الذات والصفات ولو صدر منهم بعض الزلات يدركهم عفو الله ولو بالمصيبات كما يشعر به بعض الأخبار والآيات (كل مؤمنة حوراء عيناء) الحوراء بفتح الحاء: هي الشديدة بياض العين، الشديدة سوادها والعيناء: واسعة العين مع سوادها (وكل مؤمن صديق) هو

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٠٠.

فعيل للمبالغة في الصدق وهو من يصدق قوله بالعمل ويوافق ظاهره باطنه في جميع الأمور.

(قال: وسمعته يقول: شيعتنا أقرب الخلق) المؤمنين من لدن آدم عليه السلام إلى آخر الدهر (من عرش الله عز وجل يوم القيامة بعدنا) كان المراد بالعرش: الرحمة سميت به لاستقرار المؤمنين فيها ويحتمل الجسماني لما عرفت مراراً أن له عزوجل عرشاً لا لاستقراره فيه لأنه محال بل هو معبد الملائكة المقربين و مطافهم (وما من شيعتنا أحد يقوم إلى الصلاة إلّا اكتنفه فيها عدد من خالفه من الملائكة) يؤيده ما نقل أن المؤمن وحده جماعة، ولعل المراد من خالفه بعد قبض النبي صلى الله عليه وآله إلى آخر الدهر وتخصيصه بالمخالف في عصره بعيد (وأن الصائم منكم ليرتع في رياض الجنة) أي ليتمتع ويتنعم فيها حيث يشاء وفي النهاية الرتع: الاتساع في الخصب والتنعم ويحتمل أن يراد برياض الجنة ذكر الله تعالى ويؤيده ما رواه العامة «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قال صاحب النهاية: أراد برياض الجنة ذكر الله تعالى وشبه الخوض فيه بالرتع في الخصب (وسمعته يقول: أنتم أهل تحية الله بسلامه) في قوله عز وجل ﴿**سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**﴾ والسلام: السلامة عن المكاره والفتن والآفات ومنه قيل للجنة: دار السلام لسلامتها عما ذكر (وأهل أثرة الله برحمته) الأثرة بالضم: المكرمة المتوارثة (ولا خوف) من العقاب (ولا حزن) بفوات الثواب إذ العقاب مرتفع قطعاً والثواب ثابت أبداً (وأنتم أهل الرضا عن الله عزوجل برضاه عنكم) قيل: رضى العبد عنه تعالى عبارة عن رفع الاختيار، وقيل: هو سكون النفس تحت مجاري القدر، وقيل: هو السرور بمر القضاء وإلّا ولأن تعريف المبدأ والأخير تعريف المنتهى، ورضاه تعالى عن العبد إفاضة الخيرات في الدنيا والآخرة ومنها تشريفهم بالقرب (دياركم لكم جنة) أي دياركم في الدنيا جنة لكم لإتيانكم فيها ما يوجب الجنة أو دياركم في الآخرة والأول أنسب.

*** الأصل:**

٥٥٧ ـ أحمد بن محمد بن أحمد، عن محمد بن أحمد النهدي، عن محمد بن الوليد، عن أبان ابن عثمان، عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجعفر عليه السلام حين قدم من الحبشة: أي شيء أعجب ما رأيت؟ قال: رأيت حبشية مرت وعلى رأسها مكتل فمرّ رجل فزحمها فطرحها ووقع المكتل عن رأسها فجلست ثم قالت: ويل لك من ديّان يوم الدين إذا جلس على الكرسيّ وأخذ للمظلوم من الظالم. فتعجّب رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

*** الشرح**: قوله: (وعلى رأسها مكتل ـ آه) المكتل كمنبر: شبه الزنبيل يسع خمسة، عشر

(١) الكافي: ٨ / ٣٠١.

صاعاً، والزحام بالكسر: المضايقة زحمه كمنعه زحاماً ضايقه، والديان في صفته تعالى، للمبالغة: من الدين بمعنى الجزاء والمكافاة وكان تعجبه ﷺ من صدور ذلك القول الذي هو أعظم الأقوال لتهديد الظالم من حبشية في بلاد الشرك.

*** الأصل:**

٥٥٨ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي أيوب الخزّاز، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام: أنّ آزر أبا إبراهيم عليه السلام كان منجماً لنمرود ولم يكن يصدر إلّا عن أمره فنظر ليلة في النجوم فأصبح وهو يقول لنمرود: لقد رأيت عجباً قال: وماهو؟ قال: رأيت مولوداً يولد في أرضنا يكون هلاكنا على يديه ولا يلبث إلّا قليلاً حتى يحمل به، قال: فتعجّب من ذلك وقال: هل حملت به النساء؟ قال: لا، قال: فحجب النساء عن الرجال فلم يدع امرأة إلّا جعلها في المدينة لا يخلص إليها ووقع آزر بأهله فعلقت بإبراهيم عليه السلام فظنّ أنّه صاحبه فأرسل إلى نساء من القوابل في ذلك الزمان لا يكون في الرحم شيء إلّا علمن به فنظرن فألزم الله عزوجل ما في الرحم [إلى] الظهر فقلن: ما نرى في بطنها شيئاً وكان فيما أُوتي من العلم أنّه سيحرق بالنار ولم يؤت علم أن الله تعالى سينجيه، قال: فلما وضعت أمّ إبراهيم أراد آزر أن يذهب به إلى نمرود ليقتله، فقالت امرأته لاتذهب بإبنك إلى نمرود فيقتله دعني أذهب به إلى بعض الغيران أجعله فيه حتى يأتي عليه أجله ولا تكون أنت الذي تقتل ابنك، فقال لها: فامض به.

قال: فذهبت به إلى غار ثم أرضعته، ثم جعلت على باب الغار صخرة ثمّ انصرفت عنه، قال: فجعل الله عزّ وجلّ رزقه في إبهامه فجعل يمصّها فيشخب لبنها وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة ويشبّ في الجمعة كما يشبّ غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة، فمكث ما شاء الله أن يمكث. ثمّ أنّ أُمّه قالت لأبيه: لو أذنت لي حتى أذهب إلى ذلك الصبيّ فعلت، قال: فافعلي فذهبت فإذا هي بإبراهيم عليه السلام وإذا عيناه تزهران كأنّهما سراجان قال: فأخذته فضمّته إلى صدرها وأرضعته ثم انصرفت عنه، فسألها آزر عنه، فقالت: قدواريته في التراب فمكثت تفعل فتخرج في الحاجة وتذهب إلى إبراهيم عليه السلام فتضمه إليها وترضعه، ثم تنصرف فلمّا تحرك أتته كما كانت تأتيه فصنعت به كما كانت تصنع فلمّا أرادت الانصراف أخذ بثوبها فقالت له: مالك؟ فقال لها: إذهبي بي معك، فقالت له: حتى أستأمر أباك، قال: فأتت أمّ إبراهيم آزر فأعلمته القصة، فقال لها: ايتيني به فأقعديه على الطريق فإذا مرّ به إخوته دخل معهم ولا يعرف.

قال: وكان إخوة إبراهيم عليه السلام يعملون الأصنام ويذهبون بها إلى الأسواق ويبيعونها قال: فذهبت إليه فجاءت به حتى أقعدته على الطريق ومرّ إخوته فدخل معهم فلمارآه أبوه وقعت عليه المحبة

منه فمكث ما شاء الله قال: فبينما إخوته يعملون يوماً من الأيام الأصنام إذ أخذ إبراهيم عليه السلام القدوم وأخذ خشبة فنجر منها صنماً لم يروا قطّ مثله، فقال آزر لأمّه: إني لأرجو أن نصيب خيراً ببركة إبنك هذا، قال: فبينماهم كذلك إذ أخذ إبراهيم القدوم فكسر الصنم الذي عمله ففزع أبوه من ذلك فزعاً شديداً، فقال له: أيّ شيء عملت ؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: وما تصنعون به ؟ فقال آزر: نعبده، فقال له إبراهيم عليه السلام: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ ؟ فقال آزر [لأمّه]: هذا الذي يكون ذهاب ملكنا على يديه[1].

* **الشرح :**

قوله : (عن أبي عبد الله عليه السلام أن آزر أبا إبراهيم كان منجماً لنمرود) هو نمرود بن كنعان من أحفاد سام بن نوح وكان بينه وبين نوح سبعة آباء وكان ملك الشرق والغرب وادعى الإلوهية وأمر بعمل الأصنام على صورته ونشرها على بلاده وأمرهم بعبادتها والسجود لها ولم يكن في عهده مؤمن ظاهراً حتى بعث الله تعالى خليل الرحمن﴿ولقد رأيت عجباً﴾ العجب إنكار ما يرد عليك وقد يتعجب الإنسان من الشيء لعظم موقعه عنده لحسنه أو لقبحه مع خفاء سببه (لم يدع امرأة إلا جعلها في المدينة لا يخلص إليها) خلص فلان إلىٰ فلان وصل إليه وفي معراج النبوة جعلهن في المدينة ومنع الرجال من الدخول فيها ووكل على أبواب المدينة أمناء منهم آزر فحضرت زوجته عنده فواقعها فحملت بإبراهيم عليه السلام (ووقع آزر بأهله فعلقت بإبراهيم) قال الفاضل الأمين الاسترابادي : هذا الحديث صريح في أن آزر كان أبا إبراهيم عليه السلام وقد انعقد إجماع الفرقة المحقة على أن أجداد نبينا صلى الله عليه وآله كانوا مسلمين إلى آدم عليه السلام وقد تواترت عنهم عليهم السلام نحن من الأصلاب الطاهرات والأرحام المطهرات لم تدنسهم الجاهلية بأدناسها وفي كتب الشافعية كالقاموس وكشرح الهمزية لابن حجر المكي تصريح بأن آزر كان عم إبراهيم عليه السلام وكان أبوه تارخ ويمكن حمل هذا الحديث على التقية بأن يكون هذا مذهب أبي حنيفة انتهى. أقول تارخ غير آزر كما صرح به بعض العامة وعلى هذا لايرد أن تارخ هو آزر وأكثرهم على الاتحاد (دعني أذهب به إلى بعض الغيران) الغيران: جمع الغار وهو كالكهف في الجبل (فجعل الله رزقه في إبهامه فجعل يمصها فيشخب لبنها) الشخب ويضم : ما خرج من الضرع من اللبن والسيلان وشخب اللبن كمنع ونصر ، وفي معارج النبوة نقل عن قصص التنزيل أنه يشخب من إبهامه لبن وعسل صاف وعن التيسير أنه يشخب من إحدى أصابعه ماء ومن الأخرىٰ لبن خالص ومن الأخرى عسل مصفى ومن الأخرىٰ تمر ومن الأخرى سمن (وجعل يشب) يشب فلان بالكسر ويضم : يرتفع ويكبر (فلما أرادت

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٠١.

الانصراف أخذ بثوبها) في معارج النبوة قال لأمه هل غير هذه البقعة منزل آخر؟ قالت: نعم أوسع وأحسن وأزين وهذه البقعة ضيقة وانما أسكنتك فيها خوفاً من العدو وتحرزاً من قتلك، فالتمسها أن تخرجه معها فلما أخرجته ليلاً رأى عليه السلام أرضاً موضوعة مبسوطة وسماء مرفوعة مزينة بزينة الكواكب فقال ما حكاه عنه جل شأنه القرآن الكريم بقوله **﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي﴾**[(١)] ـ الآية، والمراد بالكوكب الجنس أو الزهرة كما قيل **﴿هذا ربي﴾** أي على زعمكم، وقيل: تقديره أهذا ربي بحذف حرف الاستفهام قاله على سبيل الإنكار وقيل: إنه عليه السلام كان في مقام الاستدلال على وجود الصانع والمستدل قيل: إتمام الاستدلال لا يحصل له العلم بالمطلوب فلما تم استدلاله حصل له اليقين بالرب الحقيقي فقال **﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾**[(٢)] وهذا ليس بشيء لأنه كان له علم بالرب بحسب الفطرة وقيل غير ذلك (إذ أخذ إبراهيم عليه السلام القدوم ـ آه) في النهاية القدوم بالتخفيف والتشديد: قدوم النجار، وفي القاموس، القدوم: آلة للنجر مؤنثة وقال ابن السكيت: ولا تقل قدوم بالتشديد بل قدوم بالفتح والتخفيف.

* **الأصل:**

٥٥٩ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن حجر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خالف إبراهيم عليه السلام قومه وعاب آلهتهم حتى أُدخل على نمرود فخاصمه فقال إبراهيم عليه السلام: **﴿ربي الذي يحيي ويميت قال: أنا أُحيي وأُميت، قال إبراهيم: فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾**[(٣)] وقال أبو جعفر عليه السلام: عاب آلهتهم **﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إنّي سقيم﴾** قال أبو جعفر عليه السلام: والله ما كان سقيماً وما كذب، فلمّا تولّوا عنه مدبرين إلى عيد لهم دخل إبراهيم عليه السلام إلى آلهتهم بقدوم فكسرها إلّا كبيراً لهم ووضع القدوم في عنقه فرجعوا إلى آلهتهم فنظروا إلى ما صنع بها فقالوا: لا والله ما اجترأ عليها ولا كسرها إلّا الفتى الذي كان يعيبها ويبرأ منها، فلم يجدوا له قتلة أعظم من النار، فجمع له الحطب واستجادوه حتى إذا كان اليوم الذي يحرق فيه برز له نمرود وجنوده وقد بنى له بناء لينظر إليه كيف تأخذه النار ووضع إبراهيم عليه السلام في منجنيق، وقالت الأرض: يا ربّ ليس على ظهري أحدٌ يعبدك غيره يحرق بالنار؟ قال الرب: إن دعاني كفيته. فذكر أبان، عن محمد بن مروان، عمّن رواه، عن أبي جعفر عليه السلام أنّ دعاء إبراهيم عليه السلام يومئذ كان «يا أحد [يا أحد، يا صمد] يا صمد، يامن لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» ثم قال: «توكلت على الله» فقال الرب تبارك وتعالى:

---

(١) سورة الأنعام: ٧٥. (٢) سورة الأنعام: ٧٩. (٣) سورة البقرة: ٢٥٨.

كفيت فقال للنار: ﴿**كوني برداً**﴾ قال: فاضطربت أسنان إبراهيم عليه السلام من البرد حتى قال الله عزّوجلّ ﴿**وسلاماً على إبراهيم**﴾ وانحط جبرئيل عليه السلام وإذا هو جالس مع إبراهيم عليه السلام يحدّثه في النار، قال نمرود؛ من اتخذ إلهاً فليتخذ مثل إله إبراهيم، قال: فقال عظيم من عظمائهم: إنّي عزمت على النّار أن لا تحرقه، [قال] فأخذ عنق من النار نحوه حتى أحرقه، قال: فآمن له لوط وخرج مهاجراً إلى الشام هو وسارة ولوط[(١)].

* **الشرح** :

قوله : (قال : خالف إبراهيم عليه السلام قومه وعاب آلهتهم) في معارج النبوة لامهم لوماً شديداً لعبادة الأصنام وعاب آلهتهم فقد كان يقول ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**﴾[(٢)] وقد كان يقول ﴿**أتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون**﴾[(٣)] وقد كان يقول ﴿**أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون**﴾[(٤)] وقد كان يقول : إن إلهكم جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ولا يغني عنكم شيئاً، وبالجملة كان دائماً يذمهم ويذم أصنامهم وقد نقل أنهم كانوا ينحتون الأصنام ويبيعونها في الأسواق ويقولون من يشترى إلهاً وصفه كذا وكذا ويعدون من الأوصاف الشريفة ، وأخذ إبراهيم عليه السلام يوماً صنماً وشد حبلاً على رجله يجره على الارض النجسة والطين في الأسواق وسكك المحلات ويقول من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه ويغبن ويخسر في شرائه وهكذا كان يعد جملة من معائبه (حتى أدخل على نمرود) إدخاله عليه كان بعد كسر الأصنام ، وفي معارج النبوة أنه دخل عليه ولم يسجد وقد كان دأبهم السجود له عند الدخول عليه فغضب نمرود عليه وقال لِمَ لمْ تسجد ؟ فقال عليه السلام : لا أسجد إلّا لربي ، فقال نمرود : من ربك ؟ (فقال عليه السلام : ربي الذي يحيى ويميت فقال أنا أحيى وأميت) وأحضر رجلين قتل أحدهما وأطلق الآخر زعم الأحمق أنه إحياء وإماتة ولم يعلم أن المراد بالإحياء إيجاد الحياة وربط الروح بالبدن بمجرد الإرادة وبالإماتة إزهاق الروح وإزالة الارتباط بلا علاج ولا آلة وإنما لم يجب عليه السلام بذلك وعدل إلى دليل آخر أظهر في إلزامه خوفاً من التباس ذلك على أفهامهم القاصرة ﴿**قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب**﴾ في معارج النبوة أرسل الله تعالى جبرئيل عليه السلام يأتي بالشمس من المغرب لو سأل نمرود إبراهيم عليه السلام أن يأتيها ربه من المغرب ولما لم يسأل توقف ظهورها من المغرب إلى قيام الساعة وقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا تقوم

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٠٣. (٢)سورة الأنبياء : ٩٨. (٣) سورة الانبياء : ٦٦ .
(٤) سورة الصافات : ٩٥.

الساعة حتى تطلع الشمس من المغرب ليعلم الخلق أني قادر على ذلك **﴿فبهت الذي كفر﴾** بهت الرجل بالكسر: إذا دهش وتحير، وبهت بالضم: مثله والضم أفصح **﴿والله لايهدي القوم الظالمين﴾** الذين ظلموا أنفسهم بالامتناع من قبول الهداية التي حصلت بقوله عليه السلام فمعنى لايهدي أنه لا يهديهم جبراً ولا يحملهم على قبول الحق قسراً وقال أبو جعفر عليه السلام: عاب آلهتهم قد كان عليه السلام يذمهم ويعيب آلهتهم ويذكر نقصاً ويحاجهم بدلائل التوحيد وبراهينه ويدعوهم إليه وهم أيضاً كانوا يحاجونه بأقاويل باطلة وشبهات زائلة ويقولون إنك تركت ملة قومك ودين الملك ويذمونه على ذلك ويخوفونه من الملك والأصنام كما قال الله تعالى **﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون إلّا أن يشاء ربي شيئاً﴾**، وهكذا كانت المناظرة بينه وبينهم وكان يلزمهم دائماً، وكان عليه السلام يترقب مناظرة الملك في ملأ من قومه ومجمع من الناس حتى حضر عيداً لهم وكان عادتهم إحضار أقسام من اللباس وأنواع من الشراب والطعام عند الأصنام في يوم العيد، وكانوا يأكلون ويشربون ويلبسون تلك الأثواب ويتبركون، فلما أرادوا الخروج إلى الصحراء تخلف عليه السلام عنهم بإظهار السقم كما قال تعالى **﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾** من باب التورية وأراد سقم قلبه بقتل الحسين عليه السلام كما دل عليه بعض الروايات أو لعبادتهم للأصنام ثم قال عليه السلام خفية **﴿لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾** وسمع ذلك بعض القوم ولم يلتفتوا إليه لكونه مستبعداً في نظرهم (فلما تولوا عنه مدبرين إلى عيد لهم دخل عليه السلام على آلهتهم بقدوم) وقال على سبيل الاستهزاء ألا تأكلون مالكم لا تنطقون **﴿فكسرها إلّا كبيراً لهم﴾** وقد كان من الذهب على سرير من الفضة مكللاً بالجواهر واليواقيت وعلى يمينه ستة وثلاثون صنماً وكذا على يساره ثم وضع القدوم في عنقه ليسند هذا الفعل إليه عند الحاجة وليس فيه كذب لما ذكرناه في كتاب الأصول فلما رجعوا ونظروا إلى ما صنع بآلهتهم قالوا من فعل هذا بآلهتنا، ثم قالوا كلهم (ما اجترأ عليها ولا كسرها إلّا الفتى الذي كان) دائماً (يعيبها) ويناظرنا عليها (ويبرأ منها) يقال له ابراهيم وشهد عليه من سمع قوله **﴿لأكيدن أصنامكم﴾** فأحضره عند الملك بأمره فوقع بينهما المناظرة على الوجه المذكور فبهت الذي كفر ثم اجتمع رأيهم على قتله (فلم يجدوا له قتلة أعظم من النار) القتلة بالكسر: الهيئة ينال قتله قتلة سوء، والقتلة بالفتح: المرة (فجمع له الحطب واستجادوه) في معارج النبوة أن نمرود أمر الصغير والكبير والوضيع والشريف والرجال والنساء بجمع الحطب يوماً واجتمع الحطب أربعة فراسخ في أربعة فراسخ طولاً وعرضاً وارتفاعه كارتفاع الجبل وكان في نواحي الكوفة ورأى أهل الشام لسان النار وسمع صوتها من كان على مسافة يوم وليلة وهذا من حماقة نمرود إذ لم يعلم أن إحراق رجل واحد لايحتاج إلى هذا المقدار من النار فوضع في منجنيق

وهي التي ترمى بها الحجارة معربة وأصلها بالفارسية «من جه نيك» أي ما أجودني وهي مؤنثة وقد نقل أنهم لما أرادوا إلقاءه عليه السلام في النار لم يقدر أحد من الوصول إلى حواليها لشدة حرها فعجزوا فحضر إبليس في صورة رجل وعلّمهم صنعة المنجنيق ووضع الحجر فيه بعد إتمامه وإلقائه في النار فاستحسنه نمرود وقومه ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام فيه وكان عليه السلام في تلك الحالة مستغرقاً في بحر التوحيد متوجها بكله إلى حضرة الحق منقطعاً عن جميع من سواه حتى عن نفسه (وقالت الأرض يا رب ليس على ظهري أحد يعبدك غيره يحرق بالنار) في معارج النبوة أن أهل السماوات والأرضين وسكان الجبال والبحار تضرعوا وقالوا : يا رب ليس في الأرض أحد يعبدك ويوحدك غيره فاحفظه وإن أذنتنا في نصرته نصرناه قال : آذنتكم إن قبل نصرتكم ، فجاء ملك فقال: يا إبراهيم أنا موكل على الرياح فأرسل عليهم الريح العقيم وجاء آخر فقال : أنا موكل على الماء فأغرقهم به وجاء آخر فقال: أنا موكل على الأرض فأخسفهم فقال عليه السلام خلوا بيني وبين خليلي حتى يفعل بي ما يشاء إن حفظني فمن فضله واحسانه وان أهلكني فمن التقصير في عبوديته ، ثم توسل بنور ذاته واستغرق في تجليات صفاته وقال : توكلت على الله فلما رمي به تقرّب منه جبرئيل عليه السلام في الهواء فقال: يا إبراهيم هل لك حاجة؟

قال: أما اليك فلا، قال لم لا تطلب حاجتك منه وليست صعوبة أشد من هذه فقال علمه بحالي حسبي من سؤالي ولما خرج عليه السلام عن طبعية الإنسانية الطالبة للأسباب بالكلية أخرج الله تعالى النار عن طبيعتها المقتضية للإحراق (عن أبي جعفر عليه السلام أن دعاء إبراهيم عليه السلام يومئذ ـ آه) كل مكروب توسل إلى الله تعالى بهذا الدعاء خالصاً لله متوكلاً عليه يكشف عنه الكرب كما كشف عن خليله ﴿**فقال للنار كوني برداً**، قال : فاضطربت أسنان إبراهيم عليه السلام﴾ إشارة إلى سرعة الإجابة حتى بلغت البرودة من أول الخطاب إلى الغاية ثم رجعت من آخره إلى الاعتدال وفي معارج النبوة أن النار في حوالي إبراهيم عليه السلام صارت معتدلة بين الحرارة والبرودة في أربعين ذراعاً أو في ثمانين على اختلاف الروايتين وصارت بستاناً فيه أنواع من الأزهار وأنحاء من الأشجار والأثمار وجيئت له من الجنة قبة وسرير وطعام وشراب وأثواب، وحيل بين بستانه والنار ثلج لئلا تصل حرارة النار وجعلت للثلج طبيعة لاتذوب بالنار وجاء جبرئيل وميكائيل وجلسا على يمينه وشماله وهو على السرير وجاء ملك آخر بصورته يخدمه واسرافيل عليه السلام يجيء بطعامه وشرابه من الجنة في الغداة والعشي ورأى نمرود في المنام أنه عليه السلام خرج من النار سالماً غانماً وكانت تلك الرؤيا بعد ثلاثة أيام أو سبعة على اختلاف الروايتين فعلا منظراً عالياً ليرى حاله فرآه في منزل مبارك مزين لم ير مثله قط ورأى رجلاً ماثلاً بين يديه فتحيّر ونادى بصوت عال يا إبراهيم كيف نجوت من النار الشديدة

ومن هو معك ؟ قال : نجوت من فضل ربي وهذا ملك أرسله ربي ليؤنسني ويخدمني ، فقال نمرود: لقد اخترت رباً عظيماً له هذه القدرة فهل تقدر أن تخرج من النار فقام عليه السلام ومشى على النار إلى نمرود فقام نمرود تعظيماً له لما شاهد منه من الكرامة فقال : يا إبراهيم إني أريد أن أتقرب من ربك بقربان فقال عليه السلام : إن ربي لا يقبل منك حتى تؤمن به وتقر بوحدانيته ، فقال : إني لا أومن بذلك ولكن أتقرب بقربان فقتل أربعة آلاف بقر وأربع آلاف أغنام وأباعير، وقيل : إنه اراد أن يؤمن فمنعه وزيره هامان عمه وقال له : إيمانك برب السماء بعد أن كنت رب أهل الأرض وتنزلك من الربوبية إلى العبودية مذلة لك فأخذته العزة ورجع عن إرادته ومنعه الله سبحانه عن صحبة نمرود بعد ذلك وقد آمن به خلق كثير منهم لوط وسارة.

* **الأصل :**

٥٦٠ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخيّ قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثى ربا وكان أبوه من أهلها وكانت أم إبراهيم وأم لوط سارة وورقة ـ وفي نسخة رقية ـ أُختين وهما ابنتان للاحج وكان اللاحج نبياً منذراً ولم يكن رسولاً وكان إبراهيم عليه السلام في شبيبته على الفطرة التي فطرالله عزّ وجلّ الخلق عليها حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباه وأنّه تزوّج سارة ابنة لاحج وهي ابنة خالته وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة وكانت قد ملكت إبراهيم عليه السلام جميع ماكانت تملكه فقام فيه وأصلحه وكثرت الماشية والزرع حتى لم يكن بأرض كوثى ربا رجلٌ أحسن حالا منه ، وإنّ إبراهيم عليه السلام لمّا كسر أصنام نمرود أمر به نمرود فأوثق وعمل له حيراً وجمع له فيه الحطب وأُلهب فيه النار، ثم قذف إبراهيم عليه السلام في النار لتحرقه، ثم اعتزلوها حتى خمدت النار، ثم أشرفوا على الحير فإذاهم بإبراهيم عليه السلام سليماً مطلقاً من وثاقه فأخبر نمرود خبره فأمرهم أن ينفوا إبراهيم عليه السلام من بلاده وأن يمنعوه من الخروج بماشيته وماله، فحاجّهم إبراهيم عليه السلام عند ذلك فقال: إن أخذتم ماشيتي ومالي فإنّ حقّي عليكم أن تردّوا عليّ ما ذهب من عمري في بلادكم واختصموا إلى قاضي نمرود فقضى على إبراهيم عليه السلام أن يسلّم إليهم جميع ما أصاب في بلادهم وقضى على أصحاب نمرود أن يردّوا على إبراهيم عليه السلام ما ذهب من عمره في بلادهم فأُخبر بذلك نمرود فأمرهم أن يخلّوا سبيله وسبيل ماشيته وما له وأن يخرجوه وقال إنّه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضرّ بآلهتكم فأخرجوا إبراهيم ولوطاً معه صلّى الله عليهما من بلادهم إلى الشام فخرج إبراهيم ومعه لوطٌ لا يفارقه وسارة وقال لهم: **﴿إني ذاهب الى ربّي سيهدين﴾** يعني بيت المقدس.

فتحمّل إبراهيم عليه السلام بماشيته وماله وعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشدّ عليها الأغلاق غيرة منه عليها ومضى حتى خرج من سلطان نمرود وصار إلى سلطان رجل من القبط يقال له عرارة فمرّ بعاشر له فاعترضه العاشر ليعشر ما معه فلمّا انتهى إلى العاشر ومعه التابوت، قال العاشر لإبراهيم عليه السلام: إفتح هذا التابوت حتى نعشّر مافيه فقال له إبراهيم عليه السلام: قل ماشئت فيه من ذهب أو فضة حتى نعطي عشره ولا نفتحه، قال، فأبى العاشر إلّا فتحه، قال: وغضب إبراهيم عليه السلام على فتحه فلمّا بدت له سارة وكانت موصوفة بالحسن والجمال، قال له العاشر: ما هذه المرأة منك ؟ قال إبراهيم عليه السلام: هي حرمتي وابنة خالتي، فقال له العاشر: فما دعاك إلى أن خبّأتها في هذا التابوت ؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الغيرة عليها أن يراها أحد، فقال له العاشر: لست أدعك تبرح حتى أُعلم الملك حالها وحالك، قال: فبعث رسولاً إلى الملك فأعلمه فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت فأتوا ليذهبوا به فقال لهم إبراهيم عليه السلام: إنّي لست أُفارق التابوت حتى تفارق روحي جسدي، فأخبروا الملك بذلك فأرسل الملك أن احملوه والتابوت معه، فحملوا إبراهيم عليه السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتى أُدخل على الملك فقال له الملك، افتح التابوت فقال إبراهيم عليه السلام: أيّها الملك إنّ فيه حرمتي وابنة خالتي وأنا مفتد فتحه بجميع ما معي قال: فغصب الملك إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلمّا رأى سارة لم يملك حلمه سفهه أن مدّ يده إليها فأعرض إبراهيم عليه السلام بوجهه عنها وعنه غيرة منه وقال: اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي، فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه، فقال له الملك: إنّ إلهك هو الذي فعل بي هذا ؟ فقال له: نعم إنّ إلهي غيور يكره الحرام وهو الذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام فقال له الملك: فادع إلهك يردّ عليّ يدي فإن أجابك فلم أعرض لها، فقال إبراهيم عليه السلام إلهي ردّ عليه يده ليكفّ عن حرمتي، قال: فردّ الله عزّ وجلّ عليه يده فأقبل الملك نحوها ببصره ثم أعاد بيده نحوها فأعرض إبراهيم عليه السلام عنه بوجهه غيرة منه وقال: اللهم احبس يده عنها، قال: فيبست يده ولم تصل إليها، فقال الملك لإبراهيم عليه السلام: إنّ إلهك لغيور وإنّك لغيور فادع إلهك يردّ عليّ يدي فانّه إن فعل لم أعد، فقال له إبراهيم عليه السلام: أسأله ذلك على أنّك إن عدت لم تسألني أن أسأله فقال الملك: نعم، فقال إبراهيم عليه السلام: اللهم إن كان صادقاً فردّ عليه يده، فرجعت إليه يده فلمّا رأى ذلك الملك من الغيرة ما رأى ورأى الآية في يده عظّم إبراهيم عليه السلام وهابه وأكرمه واتّقاه وقال له: قد أمنت من أن أعرض لها أو لشيء ممّا معك فانطلق حيث شئت ولكن لي إليك حاجة، فقال إبراهيم عليه السلام: ما هي ؟ فقال له: أُحبّ أن تأذن لي أن أُخدمها قبطيّة عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً، قال: فأذن له إبراهيم عليه السلام فدعا بها فوهبها لسارة وهي هاجر أمّ إسماعيل عليه السلام، فسار إبراهيم عليه السلام بجميع ما معه وخرج الملك معه يمشي خلف إبراهيم عليه السلام إعظاماً

لإبراهيم عليه‌السلام وهيبة له فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم أن قف ولا تمش قدّام الجبّار المتسلّط ويمشي هو خلفك ولكن اجعله أمامك وامش خلفه وعظّمه وهبه فإنّه مسلّط ولابدّ من إمرة في الأرض برّة أو فاجرة فوقف إبراهيم عليه‌السلام وقال للملك: امض فانّ إلهي أوحى إلي الساعة أن اُعظّمك وأهابك وأن اُقدّمك أمامي وأمشي خلفك إجلالاً لك، فقال له الملك: أوحي إليك بهذا؟ فقال له إبراهيم عليه‌السلام نعم، فقال له الملك: أشهد أنّ إلهك لرفيقٌ حليم كريم وأنّك ترغّبني في دينك، قال: وودّعه الملك فسار إبراهيم عليه‌السلام حتى نزل بأعلى الشامات وخلّف لوطاً عليه‌السلام في أدنى الشامات، ثم إنّ إبراهيم عليه‌السلام لمّا أبطأ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعتني هاجر لعلّ الله أن يرزقنا منها ولداً فيكون لنا خلفاً، فابتاع إبراهيم عليه‌السلام هاجر من سارة فوقع عليها فولدت إسماعيل عليه‌السلام[1].

* **الشرح**:

قوله (يقول: إن إبراهيم عليه‌السلام كان مولده بكوثى ربا) كوثى بالثاء المثلثة كطوبى و ربا بالراء المضمومة كهدى وفي قصص الانبياء كوثى ربا من أرض العراق وهي أرض ذات أشجار وأنهار وفي النهاية وفي حديث علي رضي الله عنه قال له رجل أخبرني يا أمير المؤمنين عن أصلكم معاشر قريش فقال نحن من كوثى» أراد كوثى العراق وهي سرة السواد وبها ولد إبراهيم الخليل عليه‌السلام (وهما ابنتان للاحج) بتقديم الحاء المهملة على الجيم (وكان إبراهيم في شبيبته على الفطرة) الشبيبة كفعيلة والشباب الفتاء وأول الشيء أي كان عليه‌السلام في أول العمر والشباب على فطرة الاسلام التي فطر الله عز وجل الخلق عليها لم يتدنس بشيء من الأرجاس بوسوسة الشيطان والناس حتى بلغ وبعث فكانت نفسه قدسية طاهرة من أول العمر الى آخره (وانه تزوج سارة ابنة لاحج وهي ابنة خالته لاخفاء بالنظر الى السابق ان ابنة لاحج خالته لا ابنة خالته ففيه حذف أي ابنة ابنة لاحج أو أريد بالابنة ابنة الإبنة حقيقة أو مجازا على اختلاف القولين (أمر به نمرود فأوثق وجعل له حيراً) الحير بالفتح شبه الحظيرة وفي معارج النبوة أن نمرود بعد المناظرة وعجزه عن الجواب أمر بحبسه في السجن وبقي فيه أربعين يوماً، وقيل: سبع سنين ثم أخرجه منه بعد ليحرقه بعد اتمام الحير وجمع الحطب فيه وبناء عال مشرف عليه لنفسه الخبيثة حتى ينظر الى إبراهيم عليه‌السلام في النار (وقال إنه إن بقى أفسد دينكم وأضر بآلهتكم) أشار بذلك الى سبب اخراجه وفي معارج النبوة ان إبراهيم لما خرج من النار سالماً آمن به خلق كثير وصار الناس يدخلون في دينه يوماً فيوماً فخاف نمرود من فساد دينه وزوال ملكه فأمر باخراجه من مملكته وهي بابل فخرج الى الشام، وقيل: إنه

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٠٤.

شاور أتباعه في أمره عليه السلام، فقيل ينبغى أن يقتل ،وقيل: أن قتله غير ممكن كما لم تحرقه النار بل ينبغى اخراجه فاجتمع الرأى عليه فأخرجوه **﴿وقال لهم اني ذاهب الى ربي﴾** الى بيت ربي **﴿سيهدين﴾** بهداياته الخاصة التي لأحبائه وهي غير محصورة (وعمل تابوتا) أي (صندوقاً وجعل فيه سارة) انما فعل ذلك غيرة لئلا يراها أحد وقد كانت في غاية الحسن والجمال وقال في معارج النبوة في بعض الروايات ان حسن يوسف عليه السلام كان سهمان من ستة أسهم من حسنها وكانت كصورة حوراء واعلم أن نظير هذا الحديث مذكور في طرق العامة رواه مسلم في كتاب المناقب مع تغييرات يسيرة من جملة التغيرات أنه لم يكن يذكر أنها كانت في التابوت ومنها انه رآها بعض أهل الجبار فأتاه وأخبره ولم يذكر أنه كان عاشراً ومنها ان إبراهيم لم يحضر مجلس الجبار حين أحضرها ومنها أنه قال لها إبراهيم عليه السلام إن سألك فأخبريه بانك اختى في الاسلام ومنها أنه قبضت يد الجبار ثلاث مرات ومنها انه لم يذكر مشي الملك معه عليه السلام مشايعة له وقال صاحب معارج النبوة من علمائهم ان إبراهيم عليه السلام إشترى حماراً بعشرين درهماً وحمل عليها سارة حتى بلغ حوالي مصر وكان فيه ملك جبار مشغوف بالنسوان وكانت عادته أن كل امرأة كانت لها حسن وجمال كانت عماله بأمره يحضرونها عنده فإن قبلها أخذها وإلا ردّها الى أهلها وقد بالغ في ذلك حتى أرسل أرقاماً الى جميع مملكته وعماله فلما سمع عليه السلام جعل سارة حينئذ في صندوق فلما بلغ الى العاشر قصد فتح الصندوق فقال عليه السلام إعتبر ما فيه حريراً أو ديباجاً وخذ عشره فأبى فقال اعتبره ذهباً وفضة فأبى فقال اعتبره جواهر ولآلىء فأبى إلّا أن يفتح ففتحه ورآها فتعجب وتحير من حسنها وأرسل الواقعة الى الملك فأمر الملك بالاحضار فلما رآها الملك تحير ولم ير مثلها قط فقال لابراهيم ما منزلتها منك؟ قال: أختي، يعنى في الدين ولم يقل زوجتي خوف أن يقصد قتله أو يأمره بالطلاق وعند ذلك مد يده اليها فدعت سارة فشلّت يده ولم تتحرك، وقيل: عميت عيناه أيضاً فقال من أنت وما حالك فقالت أنا زوجة إبراهيم نبي الله قال ادعي لى ولن أفعل مثل ذلك بعد فدعت له فلما رجعت يده الى حالتها الأصلية رجع الى ماكان بصدده أولا حتى صدر منه ذلك ثلاث مرات فأخرج الخاطر السوء عن خاطره بالكلية وعظّمها وأعطاها جارية جميلة وقال هاجر دعائك ومنه سمّيت هاجر، وقيل: أعطاها أغناماً ومواشي أيضاً وروي انها حين أدخلت في القصر أمر بخروج إبراهيم عنه فخرج عليه السلام مضطرباً وتوسل الى الله تعالى فرفع الله تعالى الحجاب تسلية له عليه السلام حتى رأى جميع ما وقع فيه فلما خرجت من القصر أخبرها بجميع ما مضى (وهي هاجر أم اسماعيل) قال عياض هاجر أم اسمعيل عليه السلام أبي العرب من أهل مصر، وقال القرطبي: هاجر كانت من الغرما قرية من قرى مصر وسمّيت الغرما باسم بانيها وهو الغرما بن قيس والغرما أخو الاسكندر بن فلبيس

بانى الاسكندرية اليوناني.

*** الأصل:**

٥٦١ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن حسين بن أحمد المنقري، عن يونس بن ظبيان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ألا تنهى هذين الرجلين عن هذا الرجل؟ فقال: من هذا الرجل ومن هذين الرجلين؟ قلت: ألا تنهى حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة عن المفضّل بن عمر فقال: يا يونس قد سألتهما أن يكفّا عنه فلم يفعلا فدعوتهما وسألتهما وكتبت اليهما وجعلته حاجتي إليهما فلم يكفّا عنه فلا غفر الله لهما فو الله لكثير عزّة أصدق في مودّته منهما فيما ينتحلان من مودّتي حيث يقول:

ألا زعمت بالغيب ألاّأحبّها اذا أنا لم يكرم عليّ كريمها

أما والله لو أحبّاني لأحبّا من اُحبُّ[1].

*** الشرح:**

قوله (فلا غفر الله لهما فوالله لكثير عزة أصدق في مودته منهما) كثير بضم الكاف وفتح الثاء المثلثة وكسر الياء المشددة اسم شاعر وكان شيعياً وعزة بفتح العين المهملة والزاي المشددة محبوبته والاضافة للاختصاص، وقيل: إنما صغر لأنه كان شديد القصر واسمه عبد الرحمن أحد عشاق العرب وهو صاحب عزة بنت جميل وأكثر شعره فيها وكان رافضياً شديد التعصب لال أبي طالب وتوفى فى سنة خمسين ومائة:

ألا زعمت بالغيب ألاّأحبها اذا أنا لم يكرم على كريمها

«لا» حرف التنبيه وضمير زعمت لعزة و«اذا» جواب وجزاء تأويلها ان كان الامر كما زعمت وأصلها «اذن» بالنون أبدلت النون بالالف للوقف وهذ دليل على فساد زعمها يعني إن صح زعمها لم يكن كريمها من حيث هو كريمها وحبيبها كريماً عندى ولكنه كريم عندي فلم يصح زعمها واعلم أن الرواية ضعيفة بالحسين بن أحمد ويونس بن ظبيان وكذا ما رواه الكشي عن أبي عبدالله عليه السلام في دعائه عليهما بعدم المغفرة فانه مرسل ونقل عن النجاشي ان حجر بن زائدة ثقة صحيح المذهب صالح من هذه الطائفة وأما عامر بن جذاعة فالاصحاب وان لم يصرّحوا بتوثيقه إلّا أنه نقل عن الكشي أنه وحجر بن زائدة من الحواريين للباقر والصادق عليهما السلام، وبالجملة سند

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٠٧.

الجرح مجروح ومن ثم قال العلامة والتعديل أرجح وقال بعض الأصحاب بضعف الجرح ومن ثم قال العلامة: والتعديل أرجح لشموله حجر بن زائدة مع كونه مقبولاً عند الأصحاب موثوقاً به.

*** الأصل:**

٥٦٢ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن النعمان، عن القاسم شريك المفضّل وكان رجل صدق قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: حلق في المسجد يشهّرونا ويشهّرون أنفسهم أولئك ليسوا منّا ولا نحن منهم، أنطلق فأوار وأستر فيهتكون ستري هتك الله ستورهم، يقولون: إمام، أما والله ما أنا بامام الاّ لمن أطاعني فأمّا من عصاني فلست له بامام، لم يتعلّقون باسمي، ألا يكفّون إسمي أفواهم، فو الله لايجمعني الله وإيّاهم في دار[1].

*** الشرح:**

قوله (ليسوا منا ولا نحن منهم) أي ليسوا من حزبنا ولا نحن من حزبهم إذ بطل الارتباط بيننا وبينهم في الدين وهو صريح في أن إذاعة سرهم موبقة وأن المذيع بمنزلة الساعي على مؤمن معتمداً وأنه خارج بذلك من دين الله قوله (لم يتعلقون باسمى ـ آه) تحريص على ترك تشهيره بذكر اسمه خصوصاً بلفظ الإمام أو تنبيه على انه ليس لهم من التشيع إلّا القول ولا ينفعهم ذلك.

*** الأصل:**

٥٦٣ ـ محمد بن يحيى. عن محمد بن الحسين، عن صفوان، عن ذريح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا خرجت قريش الى بدر وأخرجوا بني عبد المطلب معهم خرج طالب بن أبي طالب فنزل رجّازهم وهم يرتجزون ونزل طالب بن أبي طالب يرتجز ويقول:

يـا ربِّ إمّـا تـعززن بـطالب ... فى مقنب من هـذه المـقانب

في مقنب المغالب المحارب ... بجعله المسلوب غير السالب

وجعله المغلوب غير الغالب

فقالت قريش: إن هذا ليغلبنا فردّوه. وفي رواية أُخرى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان أسلم[2].

*** الشرح:**

قوله (فنزل رجّازهم) الرّجاز جمع الراجز من الرجز وهو الكلام المقفو كما صرح به ابن اسحاق فى السيرة واختلف العروضيون في أن الرجز شعر أم لا واحتج المانع بأنه (ص) ارتجز كما وقع في بعض روايات العامة والشعر عليه حرام قال الله تعالى **﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾** وفيه نظر

(١) الكافي: ٨ / ٣٠٧. (٢) الكافي: ٨ / ٣٠٢.

لأنه لو سلم ارتجازه فنقول قد صرح المازرى بأنهم اتفقوا على أنه ليس الشعر إلّا ما قصد وزنه فإن جرى على اللسان من غير قصد وزنه فليس بشعر وعليه يتخرج ما جاء من ذلك عنه صلى الله عليه وآله.

يـا رب امـا تـعززن بـطالب	فى مقنب من هـذه المـقانب
فى مقنب المغالب المحارب	بجعله المسلوب غير السالب

عزيعز صار عزيزاً وعزيعزه جعله عزيزاً والباء في بطالب زائدة أو تأكيد للتعدية والمقنب بالكسر جماعة الخيل والفرسان، وقيل: هو دون المائة، وقيل: ما بين الثلاثين الى الاربعين والفقرة الثانية صفة الطالب وهذه اشارة الى مقانب قريش و «فى» في الفقرة الثالثة ظرف لتعززن وأراد بالمقنب فيها مقنب المسلمين والباء في قوله «بجعله» للسببية متعلقة بتعززن والضمير راجع الى طالب والاضافة الى الفاعل، والمسلوب المختلس بفتح اللام وما يأخذه أحد القرنين من الآخر في الحرب عند الغلبة والسالب المختلس بكسر اللام وهما مفعولان وكلامه ذو وجهين، لأنه يحتمل أن يراد بالمسلوب والمغلوب أهل الاسلام وأن يراد بهما أهل الشرك وهو المراد بدليل قوله عليه السلام في رواية أنه كان أسلم فطلب من الله تعالى العزة والغلبة بأن يجعل من اختلسه الشيطان غير سالب ومختلس لأهل الاسلام ويجعل المغلوب بالهوى غير غالب على أهل الايمان ولما كان المشركون من أهل اللسان فهموا مقصوده وان كان مفاداً بالتورية فلذلك أمروا بردّه لئلا يفسد عليهم كما أشار إليه عليه السلام بقوله (فقالت قريش إن هذا ليغلبنا فردّوه) خوفاً من أن يلحق بأهل الاسلام ويوقع التفرقة بين المشركين هذا الذي ذكرنا من باب الاحتمال والله يعلم حقيقة الحال.

*** الأصل:**

٥٦٤ ـ حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد الكندي، عن أحمد بن الحسن الميثميّ عن أبان بن عثمان، عن محمد بن المفضّل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: جاءت فاطمة عليها السلام إلى سارية في المسجد وهي تقول وتخاطب النبي صلى الله عليه وآله:

قــد كـــان بـعدك أنـباء وهـنبثة	لو كنت شاهدها لم يكثر الخطب
إنّـــا فـقدناك فـقد الارض وابـلها	واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب[1]

*** الشرح:**

قوله (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول جاءت فاطمة عليها السلام الى سارية في المسجد) السارية الاسطوانة وهذا بعينه رواية العامة قال ابن الاثير في النهاية «فى حديث فاطمة رضي الله عنها قالت

بعد موت النبي صلى الله عليه وآله «قد كان بعدك أنباء وهنبثة* لو كنت شاهدها لم يكثر الخطب. انا فقدناك فقد الارض وابلها* فاختل قومك فاشهدهم ولا تغب» الهنبثة واحدة الهنابث وهي الامور الشدائد المختلفة والهنبثة الاختلاط في القول والنون زائدة انتهى، أقول سلهم أهي عليها السلام صادقة في هذا القول أم كاذبة فإن قالوا: كاذبة، فقد كفروا وان قالوا صادقة فسلهم ما سبب تلك الهنبثة ثم قل: ﴿**من أضله الله**﴾ فلا هادي له وفي كشف الغمة «واختل قومك لما غبت وانقلبوا».

*** الأصل :**

٥٦٥ ـ أبان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد إذ خفض له كلُّ رفيع[١] ورفع له كل خفيض حتى نظر إلى جعفر عليه السلام يقاتل الكفار قال: فقتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قتل جعفر وأخذه المغص في بطنه[٢].

---

١ ـ «قوله إذا خفض له كل رفيع» المانع من الرؤية قد يكون حاجباً جسمانياً كالجبل والجدران، وقد يكون البعد المفرط والغرض من العبارة رفع كل مانع كأنه قال وقرّب له كل بعيد وهذا الحديث وان كان من اخبار الاحاد وضعيف الاسناد إلّا أنه مؤيد بنقل متواتر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله بنى مسجد المدينة وجعل محرابه مواجهاً للكعبة من غير وسائل هندسية أو نجومية ونظيره ما روى أنه أخبر أهل مكة بما سألوه عن أسواق الشام وخصوصياتها بعد ما قرأ عليهم سبحان الذي أسرى وادعى اسرائه الى بيت المقدس كما مرَّ في حديث المعراج قريباً وهو وان لم يكن متواتراً كحديث قبلة المسجد إلّا أن القرينة تؤيده لأن أهل مكة مع شدة عنادهم وانكارهم وحرصهم على تكذيبه وابطاله لابد أن يسألوه عن ذلك وأن يجيبهم حتى يتم عليهم الحجة وعلى كل حال فيرد على الماديين الغافلين عن الروح والمجردات إذا تصدوا لتوجيه أمثال هذه الروايات بكون كل جبل في الطريق زال عن مكانه وكل منخفض من الارض علا وارتفع والمرئى البعيد قلع من مكانه ونقل الى مكان قريب من رسول الله صلى الله عليه وآله وكل ذلك كان جسمانياً لزم أن يكون غير رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً يرى جعفراً قتل في مؤتة ومحراب المسجد مواجهاً للقبلة والشام قبال وجههم في مكة لأن ارتفاع الموانع جسمانياً يوجب رؤية الجميع ولما لم يكن كذلك علمنا ان هذا كان باحاطة روح رسول الله صلى الله عليه وآله على المرتفع والمنخفض والقريب والبعيد والغيب والشهادة دون أرواح غيره من حاضري مجلسه ويشير الى ذلك قوله تعالى﴿**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات**﴾ لأن هذا كان فضلاً اختص به إبراهيم باحاطة روحه على غيب السموات لا بان السموات زالت عن مكانها جسمانياً حتى رأى ما وراءها ولو كانت كذلك لزم أن يرى كل أحد من الناس في ذلك الوقت جميع ما رآه كما ما مرَّ في حديث(٤٧٣) ومما راى هناك جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء ونصفها في البر يجيء سباع البحر فتاكل ما في الماء ثم ترجع فيشد بعضهم على بعض فيأكل بعضها بعضا الى آخره وهذا أصل شبهة الاكل والمأكول وحيث رأى إبراهيم تلك الجيفة لم يره أحد غيره حين أراه الله تعالى ملكوت السموات ثم أرى الله تعالى إبراهيم عليه السلام إحياء أربعة من الطير بالعيان ليرتفع به الشبهة عن أذهان اتباعه عليه السلام فاخرج أجزاء كل طير وميزها بعد الاختلاط والبس كل طير تشخصه وصورته على ما فصل في محله (ش).

(٢) الكافي: ٨ / ٣٠٨.

* **الشرح:**

قوله (قال فقتل) أي قال أبو عبدالله عليه السلام فقتل جعفر (فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قتل جعفر وأخذه المغص في بطنه) المغص ويحرك وجع في البطن مغص بضم الميم وكسر الغين فهو مغموص قال القرطبي جعفر كان أكبر من على بعشر سنين وكان من المهاجرين الاولين هاجر الى الحبشة وقدم منها بعد فتح خيبر فعانقه رسول الله وقال ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر وكان قدومه منها في السنة السابعة من الهجرة ثم غزى غزوة مؤتة بعد سنة قال فقتل فيها بعد أن قاتل حتى قطعت يداه معاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء فمن ثم قيل له ذو الجناحين وقتل أيضاً في تلك الغزوة عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة الذي تبناه النبي صلى الله عليه وآله وكان زيد أميراً قال الزهري وأمره رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الغزاة وقال: إن مات زيد فجعفر وان قتل جعفر فعبدالله بن رواحة فقتل الثلاثة ولما أتى النبي صلى الله عليه وآله موت جعفر وزيد بكى وقال أخواي ومؤنساي ومحدثاي ومؤتة بالهمزة قرية من أرض البلقاء بالشام وأما بلا همز فضرب من الجنون.

* **الأصل:**

٥٦٦ ـ حميد بن زياد، عن عبيد الله بن أحمد الدّهقان، عن علي بن الحسن الطاطري، عن محمد بن زياد بيّاع السابريّ، عن عجلان أبي صالح قال: سمعت أبا عبدالله صلى الله عليه وآله يقول: قتل علي بن أبي طالب عليه السلام بيده يوم حنين أربعين[1].

* **الشرح:**

قوله (قتل على بن أبي طالب عليه السلام بيده يوم حنين أربعين) قيل: كان يقال لغزوة حنين غزوة أوطاس تسمية لها بالموضع الذي كانت فيه الوقعة.

* **الأصل:**

٥٦٧ ـ أبان، عن عبدالله بن عطاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى جبرئيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله بالبراق أصغر من البغل وأكبر من الحمار، مضطرب الأُذنين، عينيه في حافره وخطاه مدّ بصره وإذا انتهى إلى جبل قصرت يداه وطالت رجلاه فإذا هبط طالت يداه وقصرت رجلاه، أهدب العرف الأيمن، له جناحان من خلفه[2].

* **الشرح:** قوله (وخطامه مد بصره) الخطام بالكسر الزمام وفي بعض النسخ «خطاه» (أهدب

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٠٨. (٢) الكافي: ٨ / ٣٠٨.

العرف الأيمن) أي طويل العرف وكان عرفه مرسلاً في الجانب الايمن.

*** الأصل:**

٥٦٨ ـ علي بن إبراهيم، عن صالح بن سندي عن جعفر بن بشير، عن فيض بن المختار قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: كيف تقرأ «وعلى الثلاثة الذين خلّفوا»؟ قال: لو كان خلّفوا لكانوا في حال طاعة ولكنهم «خالفوا» عثمان وصاحباه أما والله ما سمعوا صوت حافر ولا قعقعة حجر إلاّ قالوا: أُتينا فسلّط الله عليهم الخوف حتى أصبحوا[1].

*** الشرح:**

قوله (قال: قال أبو عبدالله عليه السلام وكيف تقرأ وعلى الثلاثة الذين خلّفوا) كيف سؤال ويحتمل الانكار وهم قالوا الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع خلّفوا عن غزوة تبوك فخطأهم عليه السلام وقال لو كان خلفوا لكانوا في حال الطاعة إذ التخليف يشعر بأنه صلى الله عليه وآله خلفهم فكانوا في طاعته فلا يتوجه اليهم اللوم والطعن (ولكنهم) أي الثلاثة في الآية خالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله في دعوى الولاية وانتحال الخلافة وهم (عثمان وصاحباه) ولما كان لقائل منهم أن يقول: إن هذا التفسير ينافي في ظاهر قوله تعالى **﴿حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت﴾** أي برحبها وسعتها **﴿وضاقت عليهم انفسهم﴾** أي من فرط الوحشة والغم «وظنوا ان لا ملجأ من الله إلاّ إليه فتاب الله عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم» لمن تاب وعاد وأجاب عليه السلام عنه بأنه حصل لهم بسبب تلك المخالفة خوف عظيم ورعب شديد (فقال أما والله ما سمعوا صوت حافر ولا قعقعة حجر) وهي حكاية حركة الشيء حتى يسمع له صوت وحكاية صوت السلاح (ألا قالوا اتينا) أتى فلان على صيغة المجهول أشرف عليه العدو.

(فسلط الله عليهم الخوف) في كل ليلة خصوصاً في ليلة القدر حتى أصبحوا لأن كل خائن خائف وقد مرَّ في باب انا انزلناه من كتاب الحجة عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل أنه ليس من يوم ولا ليلة إلّا وجميع الجن والشياطين يزور أئمة الضلالة ويزور ائمة الهدى عددهم من الملائكة حتى إذا أتت ليلة القدر فهبط فيها من الملائكة الى ولي الامر عدد خلق الله أو قال قيض الله تعالى من الشياطين بعددهم ثم زاروا ولي الضلالة فأتوه بالافك والكذب حتى لعله يصبح وعن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل أيضاً قال فإن كانا أي الاولان ليعرفان تلك الليلة تلك أي ليلة القدر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من شدة ما تداخلهما من الرعب ولا دلالة صريحاً في تعلق على الثلاثة يتاب الله

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٠٩.

على الرجوع عن ذنوبهم ومغفرتها لجواز أن يراد به الرجوع عن عقوبتهم في الدنيا وكذا لادلالة عليه في قوله تعالى ﴿**فتاب الله عليهم ليتوبوا**﴾ لجواز أن يراد أنه أنزل قبول توبتهم لكي يتوبوا وهم لم يتوبوا ويؤيد ما ذكره عليه السلام أنه تعالى بعد ذمهم حث المؤمنين على التقوى والكون مع الصادقين فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[١] في ايمانهم وعهودهم ونياتهم وأقوالهم في جميع أحوالهم ولا ريب في أن الموصوفين بهذه الصفات هم أهل العصمة عليهم السلام.

* **الأصل:**

٥٦٩ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: تلوت «التائبون العابدون» فقال: لا، إقرأ التائبين العابدين ـ إلى آخرها ـ» فسئل عن العلّة في ذلك، فقال: اشترى من المؤمنين التائبين العابدين[٢].

* **الشرح:**

قوله ﴿**التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله**﴾[٣] في الكشاف والبيضاوي التائبون رفع على المدح وهم التائبون والمراد بهم المؤمنون أو على الابتداء وخبره محذوف أي التائبون من أهل الجنة وان لم يجاهدوا أو خيره ما بعده أي التائبون هم العابدون الى آخره والسائحون الصائمون شبهوا بذوى السياحة في الارض في امتناعهم من الشهوات، وقيل: هم السائحون للجهاد أو لطلب العلم (فقال لا أقرأ التائبين العابدين الى آخرها، فسئل عن العلة في ذلك فقال اشترى من المؤمنين) التايبين أشار الى أنه بالجر صفة للمؤمنين فيدل على جواز الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي وقد قرأه كذلك بعض القراء قال: في الكشاف قرأ عبدالله وأبي التائبين بالياء الى والحافظين نصباً على المدح أو جراً صفة للمؤمنين انتهى.

* **الأصل:**

٥٧٠ ـ عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: هكذا أنزل الله تبارك وتعالى ﴿**لقد جاءنا رسول من أنفسنا عزيز عليه ما عنتنا حريص علينا بالمؤمنين رؤف رحيمٌ**﴾[٤] [٥].

* **الشرح**: قوله (قال هكذا أنزل الله عز وجل لقد جاءنا رسول من أنفسنا) أي من جنسنا في

---

(١) سورة التوبة : ١١٩. (٢) الكافي: ٨ / ٣٠٩. (٣) سورة التوبة : ١١٢ .
(٤) الكافي: ٨ / ٣٠٩. (٥) سورة التوبة : ١٢٨ .

كونه بشراً مثلنا﴿**عزيز عليه ما عنتنا**﴾ أي شاق شديد على ذلك الرسول عنتنا أي اثمنا وهلاكنا ودخول المشقة علينا ولقاؤنا الشدة والوهي والانكسار لكمال شفقته علينا﴿**حريص علينا بالمؤمنين**﴾حريص على إيماننا وإصلاح أمرنا وعدم تجاوز أحد منا عن دينه الحق﴿**رؤف رحيم**﴾ قيل: الرأفة شدة الرحمة فهي أبلغ من الرحمة وانما قدمت لرعاية الفواصل، أقول ويمكن أن يقال الرحمة رقة القلب وهي سبب للرأفة وكان المراد أنه تعالى أنزله ليقرأ بعد قراءة قوله تعالى تصديقاً له﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم**﴾.

*** الأصل:**

٥٧١ ـ محمد، عن أحمد، عن ابن فضّال، عن الرضا عليه السلام ﴿**فأنزل الله سكينته على رسوله وأيده بجنوده لم تروها**﴾ قلت: هكذا ؟ قال: هكذا نقرؤها وهكذا تنزيلها.

*** الشرح:**(١)

قوله﴿**وأيده بجنود لم تروها**﴾ دل على أن هذا سقط من الآية والظاهر أنا مأمورون بقراءة ما في هذا القرآن ولا يجوز لنا الزيادة على ما فيه.

*** الأصل:**

٥٧٢ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، والحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن عمّار بن سويد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: في هذه الاية:﴿**فلعلّك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أُنزل عليه كنز أو جاء معه ملك**﴾(٢) فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا نزل قديد قال لعلي عليه السلام: يا علي إنّي سألت ربّي أن يوالي بيني وبينك ففعل، وسألت ربي أن يواخي بيني وبينك ففعل، وسألت ربّي أن يجعلك وصيّي ففعل، فقال رجلان من قريش، والله لصاع من تمر في شنّ بال أحبّ إلينا ممّا سأل محمد ربّه فهلاّ سأل ربّه ملكاً يعضده على عدوّه أو كنزاً يستغني به عن فاقته والله ما دعاه إلى حقّ ولا باطل إلاّ أجابه إليه فأنزل الله سبحانه وتعالى﴿**فلعّلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك** ـ إلى آخر الآية ـ﴾.

*** الشرح:**

قوله (يقول في هذه الاية) أي في تفسيرها﴿**فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك** ـ اه﴾ هومالا يوافق طبع المنافقين والمشركين خوفاًمن ردهم واستهزائهم و توقع الترك لو جود الداعي لا يستلزم

(١) الكافي: ٨ / ٣٠٩. (٢) سورة هود : ١٢ .

تحققه لأن عصمة الرسول كانت ما نعة من ترك ما أمر بتبليغه (وضائق به) أي بذلك البعض وتبليغه (صدرك) مخافة (أن يقولوا) أو لأن يقولوا، وقيل: ضمير به مبهم يفسره أن يقولوا، وقديد كزبير موضع بين مكة والمدينة (والشن) القربة الصغيرة (والله ما دعاه الى حق ولاباطل إلّا أجابه إليه) كلام للرجلين وفيه دلالة على أنهما كانا منافقين غير مؤمنين بـه صلى الله عليه وآله ولا بـعصمته وان مـا دعـاه لعلي عليه السلام كان باطلا عندهما.

* **الأصل:**

٥٧٣ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عـبدالله بـن سـنان قـال: سـئل أبـو عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿ولو شاء ربك لجعل الناس اُمّة واحدة ولا يزالون مختلفين* إلاّ من رحم ربك﴾** فقال: كانوا اُمّة واحدة فبعث الله النبيين ليتّخذ عليهم الحجّة[1].

* **الشرح:**

قوله **﴿ولو شاء ربك﴾** مشيئة حتمية وارادة جبرية (لجعل الناس امة واحـدة) مـؤمنين كـلهم وبذلك بطل ما ذهب إليه الأشاعرة في تفسير هذه الآية من أن فيه دلالة على أنه تعالى لم يرد ايمان كل أحد وان ما أراد يجب وقوعه لأنهم ان ادوا بالارادة الارادة التخييرية فنمنع كلا القولين وان أرادوا بهما الارادة الحتمية فالله سبحانه لم يرد بهذا المعنى ايمان أحد مـن النـاس **﴿ولا يـزالون مختلفين في الباطل إلّا من رحم ربك﴾**[2] وهداهم الى دينه الحق وهم المؤمنون بعد كل نبي والشيعة التابعون لأهل البيت كما نطق به بعض الروايات (فقال كانوا امة واحدة) في الباطل كما قبل نوح وقبل إبراهيم عليهما السلام مثلا **﴿فبعث الله النبيين ليتخذ عليهم الحجة﴾** فمن تبعهم وتبع أوصياءهم فـهم المرحومون.

* **الأصل:**

٥٧٤ ـ علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن عليّ بن حمّاد، عن عمرو بن شمر عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: **﴿ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا﴾**[3] قال: من تولى الأوصياء من آل محمد واتّبع آثارهم فذاك يزيده ولاية من مضى من النبيين والمؤمنين الأوّليـن حتى تصل ولايتهم إلى آدم عليه السلام وهو قول الله عزّ وجلّ: **﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾** يدخله الجنّة وهو قول الله عزّ وجلّ: **﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾** يقول: أجر المودّة الذي لم أسألكم غيره فهو لكم تهتدون به وتنجون من عذاب يوم القيامة وقال لأعداء الله أوليـاء الشـيطان أهـل

---

(١) الكافي: ٨ / ٣١٠. (٢) سورة هود : ١١٨ . (٣) سورة الشورى : ٢٣ .

التكذيب والانكار: **﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين﴾**[١] يقول متكلّفاً أن أسألكم مالستم بأهله فقال المنافقون عند ذلك بعضهم لبعض أما يكفي محمداً أن يكون قهرنا عشرين سنة حتى يريد أن يحمل أهل بيته على رقابنا فقالوا: ما أنزل الله هذا وما هو إلاّ شيء يقوله يريد أن يرفع أهل بيته على رقابنا ولئن قتل محمد أو مات لننزعنها من أهل بيته ثم لانعيدها فيهم أبداً وأراد الله عزّ وجلّ أن يعلم نبيّه صلى الله عليه وآله الذي أخفوا في صدورهم وأسرّوا به فقال في كتابه عزّ وجلّ **﴿أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾**[٢] يقول: لو شئت حبست عنك الوحي فلم تكلّم بفضل أهل بيتك ولا بمودّتهم وقد قال الله عزّ وجلّ: **﴿ويمحو الله الباطل ويحق الحقّ بكلماته** (يقول: الحق لأهل بيتك الولاية) **إنّه عليم بذات الصدور﴾** ويقول: بما ألقوه في صدورهم من العداوة لأهل بيتك والظلم بعدك وهو قول الله عزّ وجلّ: **﴿وأسرّوا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلاّ بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾** وفي قوله عزّ وجلّ **﴿والنجم إذا هوى﴾** قال: أُقسم بقبض محمد إذا قبض **﴿ما ضل صاحبكم﴾** (بتفضيله أهل بيته **﴿وما غوى* وما ينطق عن الهوى﴾** يقول: ما يتكلم بفضل أهل بيته بهواه وهو قول الله عزّ وجلّ: **﴿إن هو إلاّ وحي يوحى﴾** وقال الله عزّ وجلّ لمحمد صلى الله عليه وآله: **﴿قل لو أنّ عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم﴾**[٣] قال: لو أنّي أُمرت أن أُعلمكم الذي أخفيتم في صدوركم من استعجالكم بموتي لتظلموا أهل بيتي من بعدي، فكان مثلكم كما قال الله عزّ وجل: **﴿كمثل الذي استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله﴾** يقول: أضاءت الأرض بنور محمد كما تضيىء الشمس فضرب الله مثل محمد صلى الله عليه وآله الشمس ومثل الوصيّ القمر وهو قوله عزّ وجلّ: **﴿جعل الشمس ضياء والقمر نوراً﴾** وقوله: **﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾** وقوله عزّ وجلّ: **﴿ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾**[٤] يعني قبض محمد صلى الله عليه وآله وظهرت الظلمة فلم يبصروا فضل أهل بيته وهو قوله عزّ وجلّ: **﴿وإن تدعهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾**[٥]

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وضع العلم الذي كان عنده عند الوصيّ وهو قول الله عزّ وجلّ: **﴿الله نور السموات والأرض﴾** يقول: أنا هادي السماوات والأرض مثل العلم الذي أُعطيته وهو نوراي[ي] الذي يهتدى به مثل المشكاة فيها المصباح، فالمشكاة قلب محمد صلى الله عليه وآله والمصباح النور الذي فيه العلم وقوله: **﴿المصباح في زجاجة﴾** يقول: إنّي أريد أن أُقبضك فأجعل الذي عندك عند الوصي كما

---

(١) سورة ص : ٨٦. (٢) سورة الشورى : ٢٤ . (٣) سورة الأنعام : ٨ .
(٤) سورة البقرة : ١٧ . (٥) سورة الأعراف : ١٩٨ .

يجعل المصباح في الزجاجة.﴿**كأنّها كوكب دريّ**﴾ فأعلمهم فضل الوصي،﴿**توقد من شجرة مباركة**﴾ فأصل الشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام وهو قول الله عزّ وجلّ:﴿**رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد**﴾ وهو قول الله عزّ وجلّ:﴿**إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين* ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم، لا شرقية ولا غربية**﴾يقول: لستم بيهود فتصلّوا قبل المغرب ولا نصارى فتصلّوا قبل المشرق وأنتم على ملّة إبراهيم عليه السلام وقد قال الله عزّ وجلّ:﴿**ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين**﴾[(١)] قوله عزّ وجلّ:﴿**يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء**﴾[(٢)] يقول: مثل أولادكم الذين يولدون منكم كمثل الزّيت الذي يعصر من الزيتون﴿**يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء**﴾ يقول: يكادون أن يتكلّموا بالنبوة ولو لم ينزل عليهم ملك[(٣)].

* **الشرح:**

قوله: (من تولّى الأوصياء من آل محمد عليهم السلام ـ اه) هذا تفسير من نقل من أن من عرف الآخر عرف الأول ومن أنكر الآخر أنكر الأول وهو قول الله ومن يقترف حسنة فله خير منها فالحسنة الأوصياء من آل الرسول وهو مع ولاية جميع الانبياء والاوصياء خير منه لاشتمال هذا المجموع عليه وعلى غيره من الولايات الواجبة وقوله (يدخله الجنة) اشارة الى ثمرة هذه الحسنة وكونه بياناً لخير منها بعيد كما لا يخفى وهو قول الله عز وجل﴿**قل ما سألتكم من أجر فهو لكم**﴾ الظاهر أن هو راجع الى تولّي الأوصياء (يقول أجر المودة الذي لم أسألكم غيره) بأمر الله تعالى في قوله﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى**﴾ (فهو لكم تهتدون به) أي بالاجر الذي هو مودة الاوصياء (وتنجون من عذاب يوم القيامة) مطلقاً أو من عذابه أبداً والاول أنسب باطلاق العبارة بل عمومها وعليه ظاهر بعض الروايات﴿**قل ما أسألكم عليه من أجر**﴾ مطلقاً حتى أجر المودة لعدم قبولكم اياه وهذا من باب نفي الشيء لانتفاء ثمرته (وما أنا من المتكلفين) الذين يتصنعون وينتحلون ما ليس لهم (يقول ما أنا متكلفاً ان أسألكم ما لستم بأهله من أجر المودة وإذا لم يكونوا من أهله لم يكن صلى الله عليه وآله من أهل سؤاله عنهم لانتفاء فائدته (فقالوا وما هو إلّا شيء يتقوله) في القاموس تقول قولاً ابتدعه كذباً﴿**أم يقولون افترى على الله كذباً**﴾[(٤)] أي يقول المنكرون للولاية إفترى محمد بقوله

---

(١) سورة البقرة : ١٣٥ . (٢) سورة النور : ٣٥ . (٣) الكافي: ٨ / ٣١٠.
(٤) سورة الشورى : ٢٤ .

الولاية من الوحي على الله كذباً (فإن يشأ الله يختم على قلبك يقول لو شئت حبست عنك الوحي فلم تكلم بفضل أهل بيتك ولا بمودتهم) إنكار لكون ما أوجب عليهم من الاقرار بفضل أهل بيته ومودتهم افتراء على الله واشعار بأن ذلك بالوحي حيث أنّه لو حبس الوحي عنه ﷺ لم يتكلم بشيء منهما.

(وقد قال الله عز وجل يمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) يحتمل وجوها الاول أنه لو كان ما قاله ﷺ افتراء لمحاه ومحقه إذ من عادته تعالى محق الباطل واثبات الحق بوحيه أو بقضائه أو بوعده هذا ما ذكره بعض المفسرين، الثاني محق الباطل وهو الافتراء عن قلبه المطهر واثبات الحق وهو الولاية فيه يوحيه، الثالث محو الباطل وهو ما قدّره المنافقون من رد ولاية أهل البيت واثبات الحق وهو ولايتهم كما قال عز وجل **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواهم والله متم نوره ولو كره المشركون﴾**[1] وقوله (يقول الحق لأهل بيتك الولاية) ينطبق على الوجوه المذكورة والولاية اما خبر للحق أو بدل عنه **﴿وأسروا النجوى﴾** تعلق الإسرار بالنجوى دل على المبالغة فيها لئلا يفطن به أحد **﴿الذين ظلموا﴾** بدل عن واو الجمع أو فاعل لأسرّوا والواو لعلامة الجمع أو مبتدأه والمتقدم خبره أو منصوب على الذم والى هذه اشار جماعة من المفسرين **﴿هل هذا إلّا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾**[2] بدل من النجوى أو مفعول لقول مقدر وأرادوا بالحصر نفي الرسالة عنه لزعمهم أن البشرية تنافيها وقصدوا به أن كل ما جاء به من الولاية وغيرها كذب وأن ما جعله دليلاً على صدقه لكونه معجزاً كالقرآن سحر، وان البصير العارف لا ينبغي أن يحضر السحر ويتبعه **﴿والنجم إذا هوى﴾** اطلاق النجم على محمد ﷺ من باب الاستعارة والتشبيه في الاهتداء به (لو أن عندي ما تستعجلون به لقضى الامر بيني وبينكم) أي لأهلكتكم وضربت أعناقكم **﴿قال لو إني امرت أن أعلمكم﴾** تأويل للشرط وحده والجزاء هو الجزاء المذكور و«لو» هنا اما على قاعدة اللغة أو على قاعدة المعقول فعلى الاولى يستثنى نقيض المقدم ليعلم أنه سبب لانتفاء التالي فى الخارج لا للعلم بانتفائه وعلى الثانية يستثنى نقيض التالي ليحصل العلم بانتفاء المقدم (فكان مثلكم) الخطاب للمنافقين والفاء للتفريع (كما قال الله عز وجل كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) هذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لزيادة الايضاح ولما كان المشبه به أمراً محسوساً ظاهراً لا حاجة فيه الى توضيحه أشار الى توضيح المشبه بقوله (يقول أضاءت الارض بنور محمد ﷺ ـ آه) حاصله أضاءت

---

(١) سورة الصف : ٨. (٢) سورة الأنبياء : ٣ .

الارض أو أريد بها قلوب أهل الاسلام مجازاً بنور محمد ﷺ فلما قبض ظهرت ظلمة الجهل والكفر فوقع المنافقون فيها فهم لا يبصرون كما يظهر ذلك بمشاهدة حال المتسوقد، ثم شبه محمداً ﷺ بالشمس ونوره بنورها في الاضاءة وشبه وصيه بالقمر ونوره بنوره في كونه مستفاداً من نور النبي ﷺ ووقوعه في ظلمة جهالات المنافقين وشبهات المعاندين فقال (كما تضيء الشمس فضرب مثل محمد ﷺ الشمس) في الاضاءة (ومثل الوصي القمر) فيما ذكر (وهو قوله عز وجل **﴿وجعل الشمس ضياء والقمر نوراً﴾**[1] ظاهر وباطنه ما مرَّ وقوله **﴿وآية لهم الليل نسلخ منها النهار فإذا هم مظلمون﴾**[2] فيه استعارة تبعية له وجه ظاهر وتأويل إما الظاهر فتشبيه ازالة النهار عن ظلمة الليل بناء على ان الظلمة أصل والنهار طار عليها ساتر لها بكشط الجلد وإزالته عن الشاة ولوجه هو ترتب أمر على أمر كترتب ظهور الليل على إزالة النهار وترتب ظهور اللحم على كشط الجلد، وأما التأويل وهو المراد هنا فتشبيه قبض محمد ﷺ وإزالة نوره عن ظلمة جهل المنافقين وعداوتهم ونفاقهم بالكشط المذكور والوجه ظهور تلك الظلمة وبروزها بعده.

(وقوله عز وجل ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) له أيضاً ظاهر وتأويل مثل ما مرَّ وأشار الى التأويل بقوله (يعني قبض محمد ﷺ وظهرت الظلمة) ظلمة الجهل والكفر والنفاق (فلم يبصروا فضل أهل بيته) لإحاطة الظلمة بهم (وهو قوله عزوجل وان تدعهم الى الهدى لا يسمعوا دعاءكم) الولاية داخلة في الهدى لانها أعظم افراده ونفي السماع والابصار عنهم لأنهم لم يعملوا بمقتضاها فهم كالصورة المنقوشة في الجدار (يقول أنا هادي السموات والارض) أي أهلهما واطلاق النور على الهادي من باب الاستعارة والوجه ظاهر وحذف المفعول للدلالة على التعميم ولئلا يتوهم التخصيص بالبعض (مثل العلم الذي أعطيته ـ اه) تفسير لقوله مثل نوره كمشكاة وهي ما توضع فيه المصباح وهو السراج وإشارة الى ان النور هنا مستعار للعلم وقوله **﴿مثل المشكاة﴾** إشارة الى أن المثل مقدر لاحتياج التشبيه الى تقديره والمصباح النور الذي فيه العلم، العلم بدل عن النور واطلاق المصباح على العلم استعارة إذ العلم سبب لظهور المعلومات كما أن المصباح سبب لظهور المحسوسات وقوله **﴿المصباح في زجاجة ـ آه﴾** أي في قنديل من الزجاج شبه الوصي بالزجاج في شفافيته وزهرته وبيضه وانارته وضبطه لأنوار العلوم وقوله، (كما يجعل المصباح في الزجاجة) إشارة الى أن تلك الاستعارة تمثيلية مبتنية على تشبيه المعقول بالمحسوس لقصد الايضاح **﴿كأنها كوكب دري﴾** أي مضيء لامع منسوب الى الدر في الضياء

---

(١) سورة يونس : ٥ . (٢) سورة يس : ٣٧ .

والصفاء ودري بكسر الدال وشد الياء من الدر وهو الدفع بقلب الهمزة ياء لأنه يدفع الظلام أو يدفع بعض ضوئه بعضاً من كثرة لمعانه وفيه تشبيه معقول بمحسوس لزيادة الإيضاح وان كان الوجه في المشبه أشد وأقوى (فأعلمهم فضل الوصي) بجعل علم النبي فيه ووصفه بما ذكر **﴿توقد من شجرة مباركة﴾** قرىء توقد بالتاء الفوقانية وبالياء التحتانية والبناء للمفعول فيهما وإسناده على الاول الى الزجاجة وعلى الثاني الى المصباح وتنكير الشجرة ووصفها بالمباركة الدالة على كثرة النفع وتولد الأنبياء والأوصياء منها للتعظيم (وهو قول الله عز وجل) هو اشارة الى كون إبراهيم عليه السلام شجرة مباركة أو كون سيد الأوصياء من تلك الشجرة **﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد﴾**[1] أي محمود في كل فعاله مجيد بالاحسان وافاضة الخيرات الى عباده وقد وقع هذا الخطاب الشريف عند البشارة بإسحاق وقد تولد من إسحاق أنبياء وأوصياء منهم خاتم الانبياء وافضل الاوصياء ولا بركة اعظم منه (وهو قول الله ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) لما أوجب الله تعالى قبل هذا القول متصلاً به طاعته وطاعة رسوله وبين أنها جالبة لمحبته تعالى حيث قال **﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإن الله لايحب الكافرين﴾** أشار بهذا القول الشريف الى وجوب طاعة من اصطفاه وخصّه بالكمالات الجسمانية والملكات الروحانية وبين مواضعه دون ما اختاره الخلق وآل إبراهيم اسماعيل واسحاق واولادهما ودخل فيهم نبينا وأولاده الطاهرون عليهم السلام وآل عمران موسى وهارون وينتهي نسبهما الى لاوى بن يعقوب أو عيسى ومريم بنت عمران ومن أجدادهما داود وسليمان وينتهي نسبهما الى يهودا بن يعقوب قيل: كان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة **﴿ذرية بعضها من بعض﴾** قال القاضي هذا حال أو بدل عن الاولين أو منهما ومن نوح بمعنى أنهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض، وقيل: بعضها من بعض في الدين **﴿والله سميع عليم﴾** سميع بأقوالهم عليم بأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل كذا ذكره القاضي وغيره. أقول: اذا كانت الرسالة والخلافة والولاية من لدن آدم عليه السلام الى خاتم الانبياء باصطفائه تعالى فكيف يجوز تخلف ذلك بعده وصيرورتها باختيار الخلق والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل **﴿لا شرقية ولا غربية﴾** يقول لستم بيهود فتصلوا قبل المغرب ولا نصارى فتصلوا قبل المشرق) الفاء الموضعين تفريع على المنفي والظاهر أن هذه الجملة صفة لشجرة لأن اتصاف تلك الشجرة بهذا السلب مستلزم لاتصافهم به كما اشار إليه بقوله (وأنتم على ملة إبراهيم عليه السلام) وهو لم يكن يهودياً ولا نصرانياً كيف (وقد قال الله عز وجل ما كان إبراهيم يهودياً ولا

---

(١) سورة النور : ٧٣.

نصرانياً) وهذا الكلام تحقيق وتقرير للسلب المذكور (ولكن كان حنيفا) مائلا عن الباطل الى الحق **﴿مسلماً﴾** منقاداً لله تعالى في جميع الامور **﴿وما كان من المشركين﴾** كاليهود والنصارى حيث أشركوا بالله تعالى باتخاذ عزير وعيسى إلهين قال القاضي: تنازعت اليهود والنصارى في إبراهيم وزعم كل فريق أنه منهم فنزل قوله تعالى **﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم﴾** وزعم كل فريق انه منهم فنزلت قوله تعالى **﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما انزلت التوراة والانجيل إلّا من بعده﴾**[١] والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى وكان إبراهيم قبل موسى بالف سنة وقبل عيسى بالفين فكيف يكون عليهما ثم قال عز وجل تصريحاً **﴿ما كان إبراهيم يهوديا﴾** (يقول مثل اولادكم الذين يولدون منكم ـ اه) هذه استعارة تمثيلية ولا يخفى لطفها على المتدرب في البيان.

*** الأصل:**

٥٧٥ ـ أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن الحسن بن علي، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحقّ﴾** قال: يريهم في أنفسهم المسخ ويريهم في الآفاق انتقاض الآفاق عليهم فيرون قدرة الله عزّ وجلّ في أنفسهم وفي الآفاق، قلت له: **﴿حتى يتبيّن لهم أنه الحق﴾** قال: خروج القائم هو الحق من عند الله عزّ وجلّ يراه الخلق لابدّ منه[٢].

*** الشرح:**

قوله (قال يريهم في أنفسهم المسخ ويريهم في الآفاق انتقاض الآفاق عليهم) لعل المسخ اشارة الى ما روي عنهم عليهم السلام «أن كل من مات من بني امية مسخ وزغاً عند موته» وشاهد ذلك من حضره وقد مر، وانتقاض الآفاق اشارة الى غلبة أبي مسلم وبني عباس عليهم أو الى غلبة الصاحب عليه السلام عليهم والتجائهم الى حاكم الروم وهو نصراني ورده اياهم بعد تنصرهم الى الصاحب عليه السلام فيقتلهم جميعاً وقد مرَّ أيضا.

*** الأصل:**

٥٧٦ ـ محمد بن يحيى، والحسين بن محمد جميعاً، عن جعفر بن محمد، عن عبّاد بن يعقوب، عن أحمد بن إسماعيل، عن عمرو بن كيسان، عن أبي عبد الله الجعفي قال: قال لي أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام: كم الرباط عندكم؟ قلت: أربعون، قال: لكن رباطنا رباط الدّهر ومن ارتبط فينا

---

(١) سورة فصلت : ٥٣. (٢) الكافي: ٨ / ٣١٢.

دابّة كان له وزنها ووزن ما كانت عنده، ومن ارتبط فينا سلاحاً كان له وزنه ما كان عنده، لا تجزعوا من مرّة ولا من مرّتين ولا من ثلاث ولا من أربع فانّما مثلنا ومثلكم مثل نبي كان في بني اسرائيل فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن ادع قومك للقتال فانّي سأنصرك فجمعهم من رؤوس الجبال ومن غير ذلك ثم توجه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتى انهزموا، ثم أوحى الله إليه أن ادع قومك الى القتال فانّي سأنصرك فدعاهم فقالوا: وعدتنا النصر فما نصرنا فأوحى الله تعالى إليه إمّا أن يختاروا القتال أو النار، فقال: يا ربِّ القتال أحبُّ اليّ من النار فدعاهم فأجابه منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر عدّة أهل بدر فتوجّه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتى فتح الله عزّوجلّ له[١] م

*** الشرح:**

قوله (كم الرباط عندكم قلت أربعون ـ آه) الرباط والمرابطة في الاصل الاقامة على جهاد العدو وارتباط الخيل واعدادها وقال بعض الاصحاب هو الارصاد في أطراف بلاد الاسلام للإعلام بأحوال المشركين على تقدير هجومهم وهو مستحب كفائي وأقله ثلاثة أيام ولا يستحق ثوابه دونها وأكثره أربعون يوماً فإن زاد كان له ثواب المجاهدين وفيه تحريك على اتخاذ الفرس والسلاح واستعمالها ومزاولتها المعتبرة لتحصل ملكة واستعداد للقتال مع الأعداء عند ظهور القائم عليه السلام ثم رغب في الصبر وترك القنوط بعدم نزول النصر في بعض الازمان فانه لابد من نزوله في وقت وفي المثل المشهور الامور مرهونة بأوقاتها فقال (لا تجزعوا من مرة) في القتال وعدم نزول النصر (ولا من مرتين ولا من ثلاث ولا من أربع) كأن المرة ناظرة الى زمان علي عليه السلام والثانية الى زمان الحسن عليه السلام والثالثة الى زمان الحسين عليه السلام والرابعة الى زمان زيد، لأنه لو غلب لرد الحق الى أهله كما روي أو الى زمان الرضا عليه السلام على احتمال بعيد أو ذكرها من باب الاستطراد المعروف في الكلام.

*** الأصل:**

٥٧٧ ـ عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن بكر بن صالح، والنوفلي، وغيرهما يرفعونه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يتداوى من الزّكام ويقول: ما من أحد الاّ وبه عرق من الجذام فإذا أصابه الزّكام قمعه[٢].

*** الشرح:**

قوله (لا يتداوى من الزكام) في القاموس الزكام بالضم فضول رطبة تجلب من بطني الدماغ المقدمين الى المنخرين.

---

(١) الكافي: ٨ / ٣١٢. (٢) الكافي: ٨ / ٣١٣.

٥٧٨ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الزّكام جند من جنود الله عزّ وجلّ يبعثه الله عزّ وجلّ على الدّاء فيزيله.

٥٧٩ ـ محمد بن يحيى، عن موسى بن الحسن، عن محمد بن عبد الحميد باسناده رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من أحد من ولد آدم الاّ وفيه عرقان: عرق في رأسه يهيّج الجذام وعرق في بدنه يهيّج البرص فإذا هاج العرق الذي في الرأس سلّط الله عزّ وجلّ عليه الزكام حتى يسيل ما فيه من الداء وإذا هاج العرق الذي في الجسد سلّط الله عليه الدّماميل حتى يسيل ما فيه من الداء، فإذا رأى أحدكم به زكاماً ودماميل فليحمد الله عزّ وجلّ على العافية وقال: الزّكام فضول في الرأس.

*** الأصل:**

٥٨٠ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن رجل قال: دخل رجل على أبي عبدالله عليه السلام وهو يشتكي عينيه فقال له: أين أنت عن هذه الأجزاء الثلاثة: الصبر والكافور والمرّ؟ ففعل الرّجل ذلك فذهبت عنه[1].

*** الشرح:**

قوله (فقال أين أنت من هذه الاجزاء الثلاثة الصبر والكافور والمر) الصبر ككتف عصارة شجرة مرَّ والكافور صمغ شجرة وما كان منه حلال وهو الكبار التي لم يقع في التراب لا حاجة له الى النار وهو الكافور الخام المستعمل في الحنوط وما كان منه صفار ووقع في التراب يلقى في قدر فيه ما يغلي لتميز من التراب كما ذكره بعض الاصحاب وهو في اللغة أيضاً نبت طيب له نور كنور الأقحوان وغلاف الكرم قبل ظهور نوره وطلع النخل أو وعاؤه وطيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين خشبه أبيض ويوجد في أجوافه الكافور وهو أنواع ولونها أحمر انما تبيض بالتصعيد فليتأمل في تعيين المراد منه، والمر بالضم دواء معروف نافع للسعال وللسع العقارب ولديدان الامعاء.

*** الأصل:**

٥٨١ ـ عنه، عن أحمد، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ لنا فتاة كانت ترى الكوكب مثل الجرّة، قال: نعم وتراه مثل الحبّ، قلت: إنّ بصرها ضعف، فقال:

---

(١) الكافي: ٨ / ٣١٣.

أكحلها بالصبر والمرّ والكافور أجزاء سواء فكحلناها به فنفعها[١].

*** الشرح :**

قوله (كان لنا فتاة) أي جارية شابة (ترى الكوكب مثل الجرة) وهي بالفتح الاناء المعروف من الخزف والتشبيه باعتبار الحجم أو الشكل (قال نعم وتراه) الآن (مثل الحب) وهو بالضم الخابية فارسي معرب.

*** الأصل :**

٥٨٢ ـ عنه، عن أحمد، عن داود بن محمد، عن محمد بن الفيض، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كنت عند أبي جعفر يعني أبا الدّوانيق فجاءته خريطة فحلّها ونظر فيها فأخرج منها شيئاً فقال: يا أبا عبد الله أتدري ما هذا ؟ قلت: ما هو ؟ قال: هذا شيء يؤتى به من خلف إفريقية من طنجة أو طينة ـ شك محمد ـ قلت: ماهو ؟ قال جبلٌ هناك يقطر منه في السنة قطرات فتجمد وهو جيّد للبياض يكون في العين يكتحل بهذا فيذهب باذن الله عزّوجلّ قلت: نعم أعرفه وإن شئت أخبرتك باسمه وحاله ؟ قال: فلم يسألني عن اسمه، قال: وما حاله ؟ فقلت: هذا جبل كان عليه نبي من أنبياء بني إسرائيل هارباً من قومه يعبد الله عليه فعلم به قومه فقتلوه فهو يبكي على ذلك النبي عليه السلام وهذه القطرات من بكائه وله من الجانب الاخر عين تنبع من ذلك الماء بالليل والنهار ولا يوصل إلى تلك العين.

٥٨٣ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سليم مولى علي بن يقطين أنه كان يلقى من رمد عينيه أذى قال: فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام ابتداء من عنده: ما يمنعك من كحل أبي جعفر عليه السلام جزء كافور رياحي وجزء صبراصقوطري يدقّان جميعاً وينخلان بحريرة يكتحل منه مثل ما يكتحل من الاثمد الكحلة في الشهر تحدر كلّ داء في الرأس وتخرجه من البدن، قال: فكان يكتحل به فما اشتكى عينيه حتى مات[٢].

*** الشرح :**

قوله (قال هذا شيء يؤتى به من خلف افريقية من طنجة أو طينة) افريقية بالياء بعد الراء بلاد واسعة قبالة الاندلس وطنجة بلد بشاطىء ساحل المغرب وطينة بالنون بعد الياء بلد قرب دمياط.

قوله (جزء كافور رياحى) في القاموس الرياحي جنس من الكافور وقول الجوهرى الرباح دويبة يجلب منها الكافور «خلف وأصلح في بعض النسخ وكتب بلد بدل دويبة وكلاهما غلط لأن الكافور

---

(١) الكافي: ٨ / ٣١٤. (٢) الكافي: ٨ / ٣١٤.

صمغ شجر يكون داخل الخشب وبتخشخش فيه إذا حرك فينشر ويستخرج أقول بيان غلطه مذكور في كتاب حياة الحيوان أيضاً وفيه تأمل فتأمل (وجزء صبراصقو طرى) في القاموس سقطرى بضم السين والقاف ممدودة ومقصورة واسقطرى جزيرة ببلد الهند على يسار الجائي من بلاد الزنج والعامة تقول سقوطرة يجلب منها الصبر ودم الأخوين.

حديث العابد

* **الأصل:**

٥٨٤ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن محمد بن سنان، عمّن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عابد في بني إسرائيل لم يقارف من أمر الدنيا شيئاً فنخر إبليس نخرة فاجتمع إليه جنوده فقال: من لي بفلان؟ فقال بعضم: أنا له، فقال: من أين تأتيه؟ فقال: من ناحية النساء، قال: لست له لم يجرّب النساء، فقال له آخر: فأنا له، فقال له: من أين تأتيه؟ قال: من ناحية الشراب واللّذات قال: لست له ليس هذا بهذا، قال آخر: فأنا له، قال: من أين تأتيه؟ قال من ناحية البر قال: انطلق فأنت صاحبه، فانطلق إلى موضع الرجل فأقام حذاه يصلّي قال: وكان الرجل ينام والشيطان لا ينام ويستريح والشيطان لا يستريح، فتحوّل إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر عمله، فقال: يا عبد الله بأيّ شيء قويت على هذه الصلاة؟ فلم يجبه، ثم أعاد عليه فلم يجبه ثم أعاد عليه فقال: يا عبد الله إنّي أذنبت ذنباً وأنا تائب منه فإذا ذكرت الذّنب قويت على الصلاة قال: فأخبرني بذنبك حتى أعمله وأتوب فإذا فعلته قويت على الصلاة؟ قال: اُدخل المدينة فسل عن فلانة البغيّة فأعطها درهمين ونل منها، قال: ومن أين لي درهمين وما أدري ما الدرهمين؟ فتناول الشيطان من تحت قدمه درهمين فناوله إياهما فقام فدخل المدينة بجلابيبه يسأل عن منزل فلانة البغيّة فأرشده الناس وظنوا أنه جاء يعظها فأرشدوه فجاء إليها فرمى إليها بالدرهمين وقال: قومي فقامت فدخلت منزلها وقالت: اُدخل وقالت: إنّك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها فأخبرني بخبرك فأخبرها فقالت له: يا عبد الله إنّ ترك الذنب أهون من طلب التوبة وليس كل من طلب التوبة وجدها وإنّما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثّل لك فانصرف فانّك لاترى شيئاً فانصرف وماتت من ليلتها فأصبحت فإذا على بابها مكتوب: اُحضروا فلانة فانّها من أهل الجنة فارتاب الناس فمكثوا ثلاثاً لم يدفنوها ارتياباً في أمرها فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبي من الانبياء لا أعلمه إلاّ موسى بن عمران عليه السلام أن ائت فلانة فصلّ عليها ومر الناس أن يصلّوا عليها فانّي قد غفرت لها وأوجبت لها الجنّة بتثبيطها عبدي فلاناً عن معصيتي[1].

* **الشرح:** قوله (حديث العابد ـ اه) دل على أن للشياطين تصرفات غريبة فلا ينبغي الغفلة عن مكرهم وان ترك الذنب أهون وأسهل من طلب التوبة لأن النفس قبل الذنب أشد صفاء منها

---

(١) الكافي: ٨ / ٣١٥.

بعده ولا ريب فى أن العبادة مع صفائها أسهل من العبادة مع ظلمتها مع أن للتوبة أسباباً وشرائط قد لا يتحصل فليس كل من طلب التوبة وجدها وان من هدى مؤمناً ونجاه عن الضلالة فهو من أهل الجنة وان كان فاسقاً آكلاً أموال الناس حراماً والتثبيط من الشيء التعويق عنه والمنع منه.

* **الأصل**:

٥٨٥ ـ أحمد بن محمد بن [أحمد] عن علي بن الحسن، عن محمد بن عبد الله بن زرارة، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجلٌ عابدٌ وكان محارفاً لايتوجّه في شيء فيصيب فيه شيئا، فأنفقت عليه امرأته حتى لم يبق عندها شيء فجاعوا يوماً من الايام فدفعت إليه نصلاً من غزل وقالت له ما عندي غيره انطلق فبعه واشتر لنا شيئاً نأكله، فانطلق بالنصل الغزل ليبيعه فوجد السوق قد غلقت ووجد المشترين قد قاموا وانصرفوا، فقال: لو أتيت هذا الماء فتوضّأت منه وصببت عليّ منه وانصرفت فجاء إلى البحر وإذا هو بصيّاد قد ألقى شبكته فأخرجها وليس فيها إلاّ سمكة رديّة قد مكثت عنده حتى صارت رخوة منتنة فقال له: بعني هذه السمكة وأعطيك هذا الغزل تنتفع به في شبكتك، قال: نعم، فأخذ السمكة ودفع إليه الغزل وانصرف بالسمكة الى منزله فأخبر زوجته الخبر فأخذت السمكة لتصلحها فلمّا شقّتها بدت من جوفها لؤلؤة فدعت زوجها فأرته إيّاها فأخذها فانطلق بها الى السوق فباعها بعشرين ألف درهم وانصرف الى منزله بالمال فوضعه فإذا سائل يدقّ الباب ويقول: يا أهل الدار تصدّقوا رحمكم الله على المسكين فقال له الرجل: أدخل فدخل فقال له: خذا أحد الكيسين فأخذ أحدهما وانطلق فقالت له امرأته: سبحان الله بينما نحن مياسير إذ ذهبت بنصف يسارنا فلم يكن ذلك بأسرع من أن دق السائل الباب فقال له الرجل: أُدخل فدخل فوضع الكيس في مكانه ثم قال: كل هنيئاً مريئاً، إنّما أنا ملك من ملائكة ربّك إنما أراد ربّك أن يبلوك فوجدك شاكراً، ثم ذهب[١].

* **الشرح**: قوله (كان في بني اسرائيل رجل عابد وكان محارفاً ـ اه) المحارف بفتح الراء المحروم الذي إذا طلب الرزق لم يجده والنصل الغزل وقد خرج من المغزل وفي الحديث فوائد الاولى أن الصبر على الفقر يوجب الفرج الثانية أن ما وجد في جوف السمكة من اللؤلؤ ونحوه فهو لواجده لا للبائع، الثالثة أنه لا ينبغى رد السائل عن النعمة المتجددة إذ ربما يكون اختباراً من الله تعالى، الرابعة أن إعطاء السائل شكر لها ثم الظاهر أنه لا دلالة في اظهار الملك أنه ملك على كون ذلك الرجل نبياً أو رسولاً كما وقع مثل ذلك بالنسبة الى سارة ومريم عليهما السلام والله يعلم.

---

(١) الكافي: ٨ / ٣١٦.

خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام

*** الأصل:**

٥٨٦ ـ أحمد بن محمد، عن سعد بن المنذر بن محمد، عن أبيه عن جده، عن محمد بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن أبيه قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام ـ ورواها غيره بغير هذا الاسناد وذكر أنه خطب بذي قار ـ فحمد الله وأثنى عليه:

ثم قال: أمّا بعد فانّ الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة عباده الى عبادته، ومن عهود عباده الى عهوده ومن طاعة عباده إلى طاعته، ومن ولاية عباده إلى ولايته، بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً، عوداً وبدءاً وعذراً ونذراً، بحكم قد فصّله وتفصيل قد أحكمه وفرقان قد فرّقه وقرآن قد بيّنه ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه وليقرّوا به إذ جحدوه وليثبتوه بعد إذ أنكروه فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه، فأراهم حلمه كيف حلم وأراهم عفوه كيف عفا، وأراهم قدرته كيف قدر، وخوّفهم من سطوته، وكيف خلق ما خلق من الآيات وكيف محق من محق من العصاة بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمات وكيف رزق وهدى وأعطى وأراهم حكمه كيف حكم وصبر حتى يسمع ما يسمع ويرى.

فبعث الله عزّوجلّ محمداً صلى الله عليه وآله بذلك ثم إنّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس في ذلك الزمان شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه وليس في العباد ولا في البلاد شيء هو أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر، وليس فيها فاحشة أنكر ولا عقوبة أنكى من الهدى عند الضلال في ذلك الزمان فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته حتى تمالت بهم الأهواء وتوارثوا ذلك من الآباء وعملوا بتحريف الكتاب كذباً وتكذيباً فباعوه بالبخس وكانوا فيه من الزاهدين، فالكتاب وأهل الكتاب في ذلك الزمان طريدان منفيّان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يأويهما مؤو، فحبّذا ذانك الصاحبان واهاً لهما ولما يعملان له، فالكتاب وأهل الكتاب في ذلك الزمان في الناس وليسوا فيهم ومعهم وليسوا معهم وذلك لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا، وقد اجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة قد ولّوا أمرهم وأمر دينهم من يعمل فيهم بالمكر والمنكر والرشاء والقتل كأنّهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، لم يبق عندهم من الحق إلاّ اسمه ولم يعرفوا من الكتاب

إلاّ خطّه وزبره، يدخل الداخل لما يسمع من حكم القرآن فلا يطمئن جالساً حتى يخرج من الدين ينتقل من دين ملك إلى دين ملك، ومن ولاية ملك إلى ولاية ملك، ومن طاعة ملك إلى طاعة ملك، ومن عهود ملك إلى عهود ملك، فاستدرجهم الله تعالى من حيث لا يعلمون وإنّ كيده متين بالأمل والرجاء، حتى توالدوا في المعصية، ودانوا بالجور والكتاب لم يضرب عن شيء منه صفحاً، ضلاّلاً تائهين، قد دانوا بغير دين الله عزّ وجلّ وأدانوا لغير الله.

مساجدهم في ذل الزمان عامرة من الضلالة، خربة من الهدى [قد بدّل فيها من الهدى] فقرّاؤها وعمّارها أخائب خلق الله وخليقته، ومن عندهم جرت الضلالة وإليهم تعود، فحضور مساجدهم والمشي إليها كفرٌ بالله العظيم إلاّ من مشى إليها وهو عارف بضلالهم فصارت مساجدهم من فعالهم على ذلك النحو خربة من الهدى عامرة من الضلالة قد بدّلت سنّة الله وتعدّيت حدوده ولا يدعون إلى الهدى ولا يقسمون الفيء ولا يوفون بذمّة، يدعون القتيل منهم على ذلك شهيداً قد أتوا الله بالافتراء والجحود واستغنوا بالجهل عن العلم ومن قبل ما مثّلوا بالصالحين كلّ مثلة وسمّوا صدقهم على الله فرية وجعلوا في الحسنة العقوبة السيئة وقد بعث الله عزّ وجلّ إليكم رسولاً من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ﷺ وأنزل عليه كتاباً عزيزاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قرآناً عربياً غير ذي عوج لينذر من كان حيّاً ويحق القول على الكافرين فلا يلهينّكم الأمل ولا يطولنّ عليكم الأجل، فانّما أهلك من كان قبلكم أمد أملهم وتغطية الأجال عنهم حتى نزل بهم الموعود الذي تردت عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحل معه القارعة والنقمة وقد أبلغ الله عزّوجل إليكم بالوعد وفصّل لكم القول وعلّمكم السنّة وشرح لكم المناهج ليزيح العلة وحث على الذكر ودلّ على النجاة وإنّه من انتصح الله واتخذ قوله دليلاً هداه للتي هي أقوم ووفّقه للرشاد وسدّده ويسّره للحسنى، فانّ جار الله آمن محفوظ وعدوّه خائف مغرور فاحترسوا من الله عزّ وجلّ بكثرة الذكر واخشوا منه بالتقى وتقرّبوا إليه بالطاعة فانّه قريب مجيب قال الله عزّ وجلّ: **﴿وإذا سألك عبادي عنّي فإني قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون﴾**(١) فاستجيبوا لله وآمنوا به وعظّموا الله الذي لا ينبغي لمن عرف عظمة الله ان يتعظّم فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمة الله أن يتواضعوا له وعزّ الذين يعلمون ما جلال الله أن يذلّوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أن يستسلموا له، فلا ينكرون أنفسهم بعد حدّ المعرفة ولا يضلّون بعد الهدى، فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من

(١) سورة البقرة : ١٨٦.

الأجرب والبارىء من ذى السقم.

واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولم تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسّكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرّفه، ولن تعرفوا الضلالة حتى تعرفوا الهدى، ولن تعرفوا التقوى حتى تعرفوا الذي تعدّى. فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلّف ورأيتم الفرية على الله وعلى رسوله والتحريف لكتابه ورأيتم كيف هدى الله من هدى، فلا يجهلنّكم الذين لا يعلمون، إنّ علم القرآن ليس يعلم ماهو إلاّ من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله وبصّر به عماه وسمع به صممه وأدرك به علم ما فات وحيى به بعد إذ مات وأثبت عند الله عزّ ذكره الحسنات ومحابه السيئات وأدرك به رضواناً من الله تبارك وتعالى فاطلبوا ذلك من عند أهله خاصّة فإنّهم خاصّة نور يستضاء به وأئمّة يقتدي بهم وهم عيش العلم وموت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدّين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهدٌ صادق وصامت ناطق، فهم من شأنهم شهداء بالحقّ، ومخبر صادق لايخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه، قد خلت لهم من الله السابقة ومضى فيهم من الله عزّوجلّ حكم صادق، وفي ذلك ذكرى للذاكرين، فاعقلوا الحقّ إذا سمعتموه عقل رعاية ولا تعقلوه عقل رواية فانّ رواة الكتاب كثير ورعاته قليلٌ والله المستعان(١).

*** الشرح:**

قوله (خطبة لامير المؤمنين عليه السلام) فيها نصيحة بالغة للانقطاع عن الخلق والى الله تعالى وبيان لفساد الزمان وأهله بعده عليه السلام وحث على كثرة الذكر والدعاء لدفع ضرر الأعداء وعلى التمسك بدين الحق والرجوع على أهل العلم (خطب بذي قار) هو موضع بين الكوفة وواسط (ثم قال أما بعد الحمد لله والثناء عليه فإن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق) وهو كل ما أوحى إليه وجاء به أو القرآن أو هداية الخلق وإرشادهم (ليخرج عباده من عبادة عباده الى عبادته) فإن الخلق كلهم عند بعثته كانوا مشركين يعبدون غيره تعالى كعزير وعيسى ومريم والملائكة والشمس والقمر والزهرة وغيرهم كما مرَّ في كتاب العلم من الاصول» ومن عهود عباده الى عهوده) العهد الوصية والأمان والذمة والحفاظ ورعاية الحرمة ولعل المراد بعهود العباد ما قرروه بينهم وتعاهدوا عليه مما فيه سخط الله تعالى وبعهود الله تعالى كل ما قرره عليهم وفيه رضاه (ومن طاعة عباده الى طاعته) المراد بطاعة العباد الانقياد لهم فيما لايجوز عقلاً ونقلاً وطاعته تعالى الانقياد والتسليم له

(١) الكافي: ٨ / ٣١٧.

في كل ما أراد منهم (ومن ولاية عباده الى ولايته) المراد بولاية العباد ولاية الكافر والمنافق والفاسق من حيث أنه فاسق وبولايته تعالى ولايته وولاية الرسول وأهل البيت عليهم السلام والشرع نفى بعض الولايات وأثبت بعضها (بشيراً) بالثواب والكرامة وما يوجب الوصول اليهما (ونذيراً) من العقاب والشقاوة وما يوجب الدخول فيهما وهما حالان عن محمد صلى الله عليه وآله **﴿وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾** لكونه نوراً في الذات والصفات وبانارته ظهر الحق وارتفعت الجهالات (عوداً وبدءاً) أي هو بهذين الوصفين في حال عوده الى الله وابتداء وجوده من الله فبنوره اهتدى من اهتدى في الدنيا ونجا من نجا في الآخرة (عذراً أو نذراً) علتان للبعث ومصدران لعذرت عذراً إذا محوت الاساءة وطمستها وأنذرت إنذاراً ونذراً إذا علمته وحذرته وخوفته يعني بعثه لأجل محو اساءة المطيعين، لأنه رحمة للمؤمنين وانذار المخالفين وتخويفهم على مخالفتهم ويحتمل أن يراد بالأول أنه بعثه لأجل أن يكون له عذر في عقوبتهم وتعذيبهم كما قال **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾** ونظيره ما روي عنه صلى الله عليه وآله من طريق العامة «من يعذرنى عن رجل قد بلغنى عنه كذا وكذا» أي من يقوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه فلا يلومني والله أعلم (بحكم قد فصّله) تفصيلاً رافعاً للاشتباه والحكم هنا شامل للاحكام الشرعية والاحكام الوضعية والجار متعلق ببعث (وتفصيل قد أحكمه) أي أتقنه على وجه لايجوز تبديله ولا أن يقال خلافه أحسن منه ولعل التفصيل اشارة الى أنواع الفقه مثل الطهارات والعبادات والايقاعات والعقودات وغيره (وفرقان قد فرقه) الفرقان من أسماء القرآن سمي به لأنه فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقد يطلق على كل ما يفرق به بينهما و«فرقه» بالتخفيف أحكمه وبالتشديد أنزله في أيام متفرقة ليسهل على القلب واللسان والسمع تحملها (وقرآن قد بيّنه) أي بيّن ظاهره وباطنه ومحكمه ومتشابهه ومطلقه ومقيده ومجمله ومفصله وكل ما فيه (ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه) في ذكر الرب توبيخ لهم على الغفلة إذ جهل المربوب بربه دليل واضح على غاية حماقته.

(وليقروا به إذ جحدوه وليثبتوه بعد إذ أنكروه) الظاهر أن المراد بالعلم العلم التصوري وبالاقرار التصديق بوجوده وبالاثبات الاقرار بوجوده لساناً ففيه إشعار بأن العباد قبل البعثة لكونهم واغلين في الجهالة لم يدخل في قلوبهم تصور الصانع فضلاً عن الاخيرين، ويحتمل أن يراد بالعلم العلم بصفاته وبالإقرار التصديق بوجود ذاته وبالإثبات إثباتهما على نحو ما نطقت به ألسنة الشرع إذ بمجرد معرفة الذات والصفات بدون معرفة وجه الارتباط بينهما لايتحقق معرفة الصانع والتوحيد المطلق وقد بينا ذلك مفصلا في شرح التوحيد (فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه) التجلي الانكشاف والظهور وسبحانه مصدر منصوب بفعل مقدر ومن ابتدائية كما في

قوله﴿إنه من سليمان﴾ وقوله تعالى﴿من المسجد الحرام﴾ وهي مع مدخولها قرينة لصرف التجلي عن ظاهره الى خلافه ومعناه انكشف وظهر لهم في كتابه عن الحجب المظلمة الطبيعية من غير أن يكونوا رأوه بالرؤية العينية لانها عليه محال كما مرَّ في كتاب التوحيد بل ظهر فيه بسبب اظهار عظمته المطلقة وقدرته الكاملة وحكمته البالغة بذكر ايجاد الكائنات من الارضين والسموات والنجوم الثوابت والسيارات وخلق الإنسان ومراتبه وخلق الجبال والبحار وأنواع الحيوانات على غير ذلك مما لا تبلغه عقول العقلاء ولا تدركه فحول العلماء مع عبارات شريفة ومعانٍ لطيفة متصفة بالايجاز والاعجاز وينبغي ان يعلم أن تجّليه تعالى أمر يمكن ادراكه ولا يمكن وصفه وبيانه وأن مراتبه متفاوتة غير محصورة وأنه يخلف بالنسبة الى واحد فـي بـعض الاحـوال والاوقـات (فأراهم حلمه كيف حلم) كيف هنا للتعجب وحلمه تعالى يعني تأنيه وتثبته عن عقوبة العبد مع استحقاقه إما لعلمه بأنه سيرجع أو بأنه سيولد منه ولد صالح اولاستدراجه.

(وأراهم عفوه كيف عفى) عن السيئات بالتوبة والشفاعة أو الدعاء والاستغفار أو بدونها تفضلاً لمن هو أهل له في الجملة (وأراهم قدرته كيف قدر) على الممكنات وايجادها وابقائها وافنائها بمجرد ارادته من غير روية ولا آلة (وخوّفهم من سطوته) وبطشه كما قال «ان بطش ربك لشديد» (وكيف خلق ما خلق من الآيات) الدالة على وجوده وعظمته وقدرته وتدبيره وحكمته (ومحق من محق من العصاة بالمثلات) كقوم نوح وموسى وهود وصالح وثمود ولوط وأضرابهم المذكورة في القرآن الكريم، والمثلات جمع المثلة بضم التاء وسكونها وهي العقوبة الشديدة (واحتصد من احتصد بالنقمات) الاحتصاد قطع الزرع والمراد هنا القتل على سبيل التشبيه والنقمات جمع النقمة بالفتح وبالكسر وكفرحة وهي المكافاة بالعقوبة (وكيف رزق وهدى) الى طريق الحق وسبيل الرزق.

(وأعطى) كل شيء خلقه وكماله وما يرفع به حاجته ويناسب حاله والتفكر في تفاصيله خارج عن طوق البشر وموجب للتولة والتحير (وأراهم حكمه كيف حكم) إذ أراهم بما ركز فيهم من البصيرة العقلية أن حكمه في كل شيء نافذ بلا مانع بمجرد الإرادة والقضاء فلا يشكل عليه شيء من حيث الإيجاد والإفناء والأمانة والإحياء (وصبر حتى يسمع ما يسمع ويرى) من الاقوال الكريهة في الذات والصفات والتوحيد وغيرها والاعمال القبيحة الدالة على ضعف اليقين وعدم الاهتمام بالدين والصبر ليس للعجز عن الاخذ بل لما ذكر سابقاً (فبعث الله عزوجل محمداً ﷺ بذلك) دل مع السابق على أن سنّة الله جرت على اكمال الحجة على العباد بإعطاء العقل وارسال الرسول (ثم انه سيأتي عليكم من بعدى زمان ـ آه) اشارة الى زمان خلفاء بني امية وبني عباس

وأمرائهم الميشومة وأضرابهم الى يومنا هذا (والسلعة) بالكسر المتاع وما يتجر به (والبور) والبوار الهلاك وكساد السوق والمراد بحق تلاوة الكتاب رعاية لفظه ومعناه جميعاً (ونفاق البيع) بفتح النون رواجه والتحريف التغيير وصرف الشيء عن وجهه الى وجه باطل كتحريف آيات الأحكام والولاية عن مواضعها (وأنكى) مثل أحرى من النكاية بفتح النون وهو القبح والجراح والقتل والعقوبة أو مثل املاء من النكاء بهمز اللام وهو قشر القرحة قبل أن تبرأ والمراد على التقديرين أن الهدى أشد مؤلم في ذلك الزمان (والضلال) بتخفيف اللام أو بتشديده على احتمال جمع ضال (فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته) كان المراد بالكتاب معانيه ومقاصده وأحكامه وبضميره ألفاظه وعباراته وكلماته على سبيل الاستخدام وكون المراد من الجملة والحفظة علماء الكتاب ونبذهم اياه باعتبار كساد سوقه وعدم رواجه بعيد وفي ترك التنابذ أولا وذكر التناسي ثانياً فائدة لطيفة هي الإيماء الى أن الكتاب يطلبهم فالنبذ من طرقهم ثم بعد النبذ هو ينساهم كما أنهم نسوه ومن المشهورات إن لم تردني لم أردك (حتى تمالت بهم الاهواء) كان تمالت أصله تمايلت بالنقل كما في شاكي السلاح ثم بالقلب والحذف أو تعالوت بالقلب والحذف من الملو وهو السير الشديد والباء للتعدية أي سيرتهم الاهواء وبالعكس في طريق الباطل أو تمالات بتخفيف الهمزة بمعنى تعاونت وتساعدت أو تمالت بالثاء المثلثة لو ثبتت روايته بمعنى تداهن وتلاعب وفي بعض النسخ عال بالعين المهملة بمعنى مال (وتوارثوا ذلك من الآباء) اشار الى أن ذلك المذكور من الخصال القبيحة شنشنة اتخذها الأبناء من الآباء والى استمرارها وطول مدتها وقد ذمهم الله عز وجل عليها في مواضع عديدة من القرآن الكريم.

(وعملوا بتحريف الكتاب كذباً) على الله وعلى رسوله وتكذيباً لحملته وحفظته ومن تبعهم (فباعوه بالبخس) وهو الزيف أو النقص فإنهم استبدلوه بالدنيا والدنيا كلها بخس فكيف ماوجدوه منها بسبب التحريف في أعمارهم القصيرة، وفيه ايماء الى ان ذلك صدر منهم عن قصد (وكانوا فيه من الزاهدين) الراغبين عنه لجهلهم بقدره ومنزلته فحالهم كحال من له جوهرة نفيسة لايعرف قدرها ولا قيمتها فيبيعها بثمن يسير لا قدر له ويظن أنه ربح فيه وفيه إما متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف، أو بمحذوف يبينه الزاهدين ان جعل بمعنى الذي لأن متعلق الصلة لايتقدم على الموصول (فالكتاب واهل الكتاب) الحامل له العالم العامل به وهم أهل العصمة عليهم السلام ومن تبعهم (فى ذلك الزمان طريدان منفيان) تأيد أو الاول الطرد والابعاد عن المعاشرة والثاني النفي عن البلد (وصاحبان مصطحبان في طريق واحد) وهو طريق الحق وفيه أيضاً تأكيداً والاول من الصحبة بمعنى المعاشرة والثاني من الصحبة بمعنى الحفظ وكل منهما يحفظ الاخر عن الضياع (لا يؤويهما

مؤو) أي لا ينزلهما أحد في منزله، وفي المهذب الايواء جادادن أولايرق لهما ذورقة (فحبذا ذانك الصاحبان واهاً لهما ولما يعملان له) من قرب الحق ودخول الجنة والسعادة الابدية روت العامة من ابتلي فصبر واهاً واهاً في القاموس واهاً ويترك تنوينه كلمة التعجب من طيب شيء وكلمة تلهف وفي النهاية قيل: معنى هذه الكلمة التلهف وقد توضع موضع الإعجاب بشيء يقال واهاً له وقد ترد بمعنى التوجع، وقيل: التوجع يقال في آها ومنه إن يكن خيراً فواهاً واهاً وان يكن شراً فآهاً آهاً (فالكتاب وأهل الكتاب في ذلك الزمان في الناس) من حيث الوجود والتحيز واللوازم الجسمانية (وليسوا فيهم) من حيث العمل والاتصاف بالكمالات الروحانية (ومعهم) من حيث الخلطة والمعاشرة الظاهرة (وليسوا معهم) من حيث الالفة بينهم والكراهة الباطنة فالاثبات من جهة والسلب جهة اخرى ولما كان الاثبات في الموضعين ظاهراً لايحتاج الى دليل أشار الى دليل السلب فيهما بقوله وذلك (لان الضلالة لاتوافق الهدى وان اجتمعا) على الوجه المذكورلان الضدين لايجتمعان في محل واحد وكذا المتصف بهما وسر ذلك أن الإنسان مركب من جوهرين جوهر جسماني وجوهر روحاني والاخير مفقود فيهم فالاجتماع باعتبار الاول وعدمه باعتبار الثاني، وقد أوضحنا ذلك في شرح الاصول ثم أشار الى بعض أوصافهم الذميمة بقوله (وقد اجتمع القوم على الفرقة) من الحق وأهله (وافترقوا عن الجماعة) فصارت طائفة مشبهة وطائفة مجسمة وطائفة معتزلية وطائفة أشعرية وطائفة حنبلية الى غير ذلك من الملل الباطلة الحادثة في الاسلام، وبالجملة لم يكتفوا بالفرقة عن أهل الحق بل افترقوا في أنفسهم بفرق كثيرة وجماعات متعددة وللعبارة احتمال آخر فتأمل (قد ولوا أمرهم وأمر دينهم) الظاهر أن ضميرهم راجع الى القوم وهم الفرق الضالة وأن المراد بالأمر الأمر المطلوب منهم والنافع لهم في الدنيا والآخرة واحتمال عوده الى أهل الكتاب وهم الفرقة المحقة بعيد (من يعمل فيهم المكر والمنكر والرشى) بكسر الراء وضمها جمع الرشوة مثلثة وهي الجعل ورشى اعطاه اياها، ارتشى أخذها واسترشى طلبها (والقتل كأنهم أئمة الكتاب) المراد بأئمة الكتاب من يعلم ظاهره وباطنه ويكون الكتاب امامه ومقتداه في الامور كلها (وليس الكتاب إمامهم) لأنهم تركوا ما في الكتاب ولم يقتدوا به (ولم يبق عندهم من الحق إلّا اسمه) اذ تركوا مدلوله وأطلقوا هذا الاسم على ما هو باطل.

(ولم يعرفوا من الكتاب إلّا خطه وزبره) الزبر بالفتح والسكون مصدر بمعنى الكتاب وبالكسر والسكون الكتاب كذا في الفائق (يدخل الداخل) فى الدين (لما يسمع من حكم القرآن) الداعي الى الدخول فيه (فلا يطمئن جالساً) ولا يتم جلوسه (حتى يخرج من الدين) فيكون دخوله مقارناً لخروجه لكونه منكراً لأعظم أصوله بالبدع التي أسّسها المتقدمون ثم أشار الى المثل المشهور وهو

أن الناس على دين ملوكهم بقوله (ينتقل من دين ملك الى دين ملك ـ آه) تنبيها على انهم بأهوائهم الفاسدة وتخيلاتهم الكاسدة يتبعون خلفاء بني أمية وبني مروان وبني عباس وحكامهم ويفعلون ما يؤمرون، ثم أشار الى أن ذلك استدراج من الله عليهم بقوله **﴿فاستدرجهم الله تعالى من حيث لايعلمون﴾**[1] فكلما جددوا خطيئة جدد الله تعالى لهم نعمة وزاد لهم قوة ليغتروا وينسوا الرجوع والاستغفار فيأخذهم بالآخرة أخذاً شديداً وهذا من كيده تعالى **﴿وان كيدي متين﴾** أي قوي شديد ولما كانوا من أهل الكيد عد جزاء كيدهم كيداً لوقوعه في صحبته تقديراً كما يعد جزاء سيئة سيئة من باب المشاكلة بالامل والرجاء لمتاع الدنيا وما عند الملوك وهو متعلق باستدرجهم (حتى توالدوا في المعصية) كالكفر فإن المتولد من الكافر كافر غالباً كما ترى في اليهود والنصارى وغيرهم (ودانوا بالجور) أي اعتادوا أو قضوا أو حكموا بالجور أو قهروا أو غلبوا واستعلوا على أهل الحق به (والكتاب لم يضرب عن شيء منه صفحاً) أي الكتاب لم يصرفهم عن شي من أفراد الجور صرفا لتماديهم في الضلالة وتقديم الكتاب لتقوية الحكم والمصدر لتأكيد النفي (ضلالاً تائهين) ضلال جمع ضال ككتاب جمع كاتب والتائه المتحير في طريق الضلالة (قد دانوا بغير دين الله) أي اتخذوا غير دين الله ديناً لهم (وادانوا لغير الله) أي عبدوا لغير الله واصل الادانة اعطاء الدين فمن عمل لله فهو دين عليه يؤديه وقت الحاجة ومن عمل لغيره وكله على ذلك الغير (مساجدهم في ذلك الزمان عامرة من الضلالة خربة من الهدى) لكونها مملوءة من الضلالة وأربابها خالية من الهداية وأصحابها (فقراؤها وعمارها اخائب خلق الله وخليقته) لعل المراد بالقراء العلماء وبالعمار العباد فهو أعم وبالخلق الناس وبالخليقة البهائم أوهما بمعنى واحد ويراد بهما جميع الخلائق (من عندهم جرت الضلالة واليهم تعود) كعود الفروع الى الاصول وعود وزر كل بدعة الى مبدعها من غير أن ينقص شيء من أوزار التابعين (فحضور مساجدهم والمشي اليها كفر بالله العظيم) لأن معصيته مؤدية الى معصية كثيرة موبقة والباء صلة للكفر وكونه للقسم بعيد (الا من مشى اليها وهو عارف بضلالهم) لابد في تصحيح الاستثناء من تجوز في المستثنى منه أو تقدير في المستثنى (فصارت مساجدهم في فعالهم على ذلك النحو) المذكور (خربة من الهدى) وأهله (عامرة من الضلالة) وأهلها (قد بدّلت سنّة الله) بالسنّة المستندة الى آرائهم.

(وتعديت حدوده) الى الحدود المستنبطة من أهوائهم **﴿ولا يدعون الى الهدى﴾** لانكارهم اياه واتصافهم بضده (ولا يقسمون الفيء) على الوجه المعلوم من القرآن والسنة **﴿ولا يوفون بذمة﴾** لله

---

(١) سورة القلم : ٤٤.

ولرسوله وللمؤمنين (يدعون القتيل منهم على ذلك) المذكور من العقائد الباطلة والاعمال الفاسدة﴿**شهيداً**﴾ يستحق ثواب الشهداء ودرجة الأولياء (قد أتوا الله بالافتراء) عليه وعلى رسوله والجحود للحق وأهله (واستغنوا بالجهل) البسيط والمركب (عن العلم) بالدين وأخذه من أهله (ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة) «ما» زائدة كما قيل في قوله تعالى حكاية﴿**ومن قبل ما فرطتم في يوسف**﴾ والمثلة بالضم التنكيل وهو قطع الانف والمراد هنا التعذيب والايذاء والاستخفاف والاستحقار يقال مثل به يمثل مثلاً ومثلة إذا نكل به ومثله تمثيلاً للمبالغة، وكأنه اشارة الى ما فعلوا به عليه السلام وبأبي ذر وسلمان والمقداد وعمار وأضرابهم من الصالحين بعد قبض النبي صلى الله عليه وآله (وسمّوا صدقهم على الله فرية) حيث سمّوا افتراء أنفسهم صدقاً فسمّوا كل ما يخالفه وهو صدق الصالحين افتراء (وجعلوا في الحسنة) من العقائد والاعمال (العقوبة السيئة) وهو ظاهر لمن نظر فيما فعلوا بالفرقة الناجية من التنكيل والتعذيب والقتل والنهب وغير ذلك من أنواع الإستخفاف (وقد بعث الله عز وجل اليكم ـ آه) مرَّ تفسيره قبل ذلك ولعل الخطاب للمؤمنين لترغيبهم في المتابعة والأعم محتمل (وأنزل عليه كتاباً عزيزاً كثير النفع عدم النظير﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه**﴾ من الأمور الماضية.

(ولا من خلفه) من الأمور الآتية أولاً يأتيه ما يبطله في جهة من الجهات وانما خص هاتين الجهتين بالذكر لان الآتي يأتي غالباً فيهما﴿**تنزيل من حكيم**﴾ يعلم الاشياء كما هي ويضع كل شيء في موضعه﴿**حميد**﴾ يحمده جميع المخلوقات أو يحمد هو ذاته بذاته كما هو أهله ﴿**قرآنا غير ذي عوج**﴾ لا اختلاف فيه بوجه﴿**لينذر من كان حياً**﴾ قابلا للانذار مستعداً لقبوله﴿**ويحق القول**﴾ وهو كلمة العذاب﴿**على الكافرين**﴾ قيل: دلت المقابلة على انهم أموات وان سبب موتهم هو الكفر وفي ذكر الكتاب ووصفه بما ذكر ترغيب في الاقتداء به وعدم المخالفة له والغفلة عن أمر الآخرة بالامل في الدنيا وتوقع طول الامل فلذلك فرع عليه وقال﴿**فلا يلهينكم الامل**﴾ في الدنيا وحطامها﴿**ولا يطولن عليكم الأجل**﴾ وهو محركة غاية الوقت في الموت ومدة العمر والامل وتوقع طول الاجل تابعان لحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة وموجبان للغفلة عن الآخرة ومهلكان هلاكاً أبدياً فلذلك قال﴿**فانما أهلك من كان قبلكم**﴾ من هذه الامة والامم السابقة(**أمد أملهم**) أمد الشيء محركة غايته ومنتهاه وأوله أيضاً والاول أظهر والثاني أبلغ (وتغطية الأجال عنهم) وهي كناية عن الغفلة عنها ثم أشار الى عاقبة ذلك للتنبيه على شدتهما بقوله (حتى نزل بهم الموعود) الذي ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة (وتحل) معه القارعة والنقمة والموعود الموت وحضور آثاره، والقارعة الداهية العظيمة والبلية الشديدة والقيامة والنقمة والعقوبة والضمائر للموصول على الظاهر، وعن

للمجاوزة أو التعليل أو بمعنى الباء (وقد أبلغ الله عز وجل اليكم) بالوعيد الابلاغ الايصال، والباء للتبعيض كما في قوله تعالى **﴿عيناً يشرب بها عباد الله﴾** أو زائدة للتأكيد والوعيد التشديد وفي بعض النسخ بالوعد (وفصّل لكم القول) في المبدأ والمعاد والحلال والحرام وغيرها (وعلّمكم السنّة) وهي الطريقة الشرعية والسيرة النبوية الداعية الى كل خير والزاجرة عن كل شر (وشرع لكم المناهج) أي سنّها وأظهرها وبينها لكم والمنهج السبيل الواضح والطريق المستقيم ولا يبعد أن يراد بها أهل الولاية عليهم السلام (ليزيح العلة) تعليل للافعال المذكورة والازاحة الازالة، والمراد بالعلة هنا حجة العباد على الله تعالى وعذرهم في المخالفة (وحث على الذكر) بالقلب واللسان في جميع الأحوال خصوصاً في موارد الامر والنهى والذكر طاعة تنشأ منها طاعات كثيرة وحالات غريبة لايعرفها الا الذاكرون (ودل على النجاة) من أهوال الآخرة وعقوباتها ببيان ما يوجب التخلص منها (وأنه من انتصح الله) انه بفتح الهمزة عطف على النجاة وبكسرها ابتداء كلام والضمير للشأن والانتصاح قبول النصيحة والله منصوب بنزع الخافض يعني من قبل النصيحة من الله ونصيحة الله عبارة عن ازادة الخير للعباد وطلبه منهم وقبوله هو القيام بوظائف الخيرات واتخذ قوله **﴿دليلاً﴾** على المطالب الدنيوية والأخروية متجاوزاً عن الأراء والأهواء النفسانية والوساوس الشيطانية (هداه للتى أقوم) أي هداه بالهدايات الخاصة التي لاوليائه الى الطريقة أو الحالة أو الملة التى هي أقوم الطرق والحالات والملل ويدخل في تلك الطريقة الولاية للاوصياء عليهم السلام كما نطق به بعض الروايات (ووفقه للرشاد) أي السيرة النبوية والطريقة الإلهية والسعادة الابدية وحذف المفعول للتعميم (وسدده) أي قومه ووفقه للسداد وهو الصواب في القول والعمل والقصد في الامر والعدل فيه **﴿ويسره للحسنى﴾** أي يهيئه للمثوبات الحسنى أو الكلمات الدالة على الحق أو الخصلة الحسن كلها وفيه دلالة واضحة على أن قبول نصيحة الله تعالى والأخذ بقوله يوجبان ترقيات عظيمة والتجربة أيضاً شاهدة صدق عليه (فإن جار الله آمن محفوظ) تعليل لما قبله وجار الله من لجأ إليه وتضرع بين يديه واعتمد في كل الامور عليه ومن كان كذلك فهو آمن من الضلالة والمكروهات محفوظ من الغواية والعقوبات (وعدوه خائف) مغرور عدوه من عدل عن صراطه المستقيم وتمسك برأيه السقيم وهو خائف دائماً من كشف سريرته وحاله ونزول عقوبته ونكاله مغرور بالدنيا وزهراتها بجهالة النفس ومخترعاتها والغرة بالكسر الخدعة.

(فاحترسوا من الله عز وجل بكثرة الذكر) الاحتراس التحفظ أي تحفظوا من خذلانه ونكاله واستدراجه بكثرة الذكر والدعاءِ كما قال عزوجل **﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾** (واخشوا منه بالتقى) من سخطته وعقوبته بالتحرز عن مخالفته ومعصيته وفيه تنبيه على ان الخشية بدون

التقوى غير نافعة لأن الخشية من عقوبة الله تعالى مع القيام بموجباتها حمق وسخافة.

(وتقّربوا إليه بالطاعة) له ولرسوله ولأولي الامر وقد أشار الى أمرين لابد منهما أحدهما التقوى للنجاة من العقوبة والأخر الطاعة للدخول في الرحمة والجنة **﴿فانه قريب مجيب﴾** تعليل لما سبق

وحث على القيام به فإن علم العبد بانه تعالى قريب يرى ويسمع وأنه مجيب يقابل الدعـاء والسؤال والطاعة بالقبول والعطاء والثواب يبعثه على التقوى والطاعة والذكر والدعاء واستشهد لذلك مع ظهوره بالأية فقال قال الله عزوجل **﴿وإذا سألك عبادي عني﴾** قريب أنا أم بعيد وفي إذاكما في بعض الرواية دلالة على تحقق السؤال **﴿فإني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان﴾** قال المفسرون: هو تمثيل لحال علمه بأقوالهم وأعمالهم واطلاعه بأحوالهم بحال من قرب منهم تمثيل معقول بمحسوس لقصد الايضاح وان كان قربه تعالى أكمل كما قال **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** **﴿فليستجيبوا لي﴾** الاستجابة من الجواب في القاموس استجابه واستجاب له وتجاوبوا جاوب بعضهم بعضاً، وفي الكنز استجابة جواب گفتن وقبول كردن يعني فليبادروا الى الجواب والقبول إذا دعوتهم الى شيء كما أجيبهم اذا دعوني لمهماتهم **﴿وليؤمنوا بي﴾** إذا دعوتهم الى الايـمان أو وليثبتوا على الايمان بى أو وليؤمنوا بى على النحو المذكور وهو انى قريب مجيب **﴿لعلهم يرشدون﴾** في محل النصب على الحال أي راجين الرشاد واصابة الحق والوصول الى مقام القرب والمرجو هنا متحقق الوقوع قطعاً **﴿فاستجيبوا لله وآمنوا به﴾** كما أمركم به (وعظموا الله الذي لا ينبغى لمن عرف عظمة الله ان يتعظم) تعرف عظمته بمعرفة عظمة خلقه من السموات والارضين وما فيهما وما بينهما وما في الأفاق والأنفس مع معرفة ذل الخلائق بين يديه وبسط أيدى الحاجة إليه ومن حصلت له تلك المعرفة ينبغى أن يثبت طاعته ويفر عن معصيته ولا يتعظم ولا يستكبر عن عبادته بترك أوامره ونواهيه **﴿ان الذين يستكبرون عن عبادته سيدخلون جهنم داخرين﴾**[1] ثم أشار الى ما يحصل به تعظيمه وما يترتب عليه من الفوائد الجليلة التي يطلبها العقلاء بقوله (فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمة الله أن يتواضعوا له) الرفعة بالكسر الشرف وعلو القدر والتواضع لله تعالى شامل للتواضع للرسول والأوصياء والمؤمنين والحمل للمبالغة في السببية.

(وعز الذين يعلمون ما جلال الله أن يذلوا له) العزة القوة والكرامة خلاف للذلة والجلال والعظمة متقاربان، ولعل الثاني باعتبار الذات والاول باعتبار الصفات والذلة له بالعبودية واظهار العجز والمسكنة والاعتقاد لديه (وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أن يستسلموا له) أي سلامتهم

---

(١) سورة النمل : ٨٧.

من الافات والمكاره في الدنيا والآخرة الاذعان والانقياد له في جميع الامور لعلمهم بأن قدرته قاهرة غالبة لارادلها في التعذيب والاثابة (فلا ينكرون أنفسهم) ولا يجهلونها بعد حد المعرفة المذكورة فإنهم بعد معرفة عظمة الله وجلاله وقدرته يعلمون ان اللائق بحالهم التواضع والتذلل والاستسلام له **﴿ولا تضلون بعد الهدى﴾** أي لا يضلون عن سبيل ما يليق به تعالى وما يليق بهم بعد هدايتهم إليه (فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الاجرب) خوفاً من السراية والنفار بالكسر الفرار والتباعد (والباريء من ذى السقم) الباريء من نقه من مرضه أي صح وفيه ضعف من البرء بالضم يقال برء ككرم وفرح برء نقه وأبرأه الله فهو باريء وبريء والسقم كجبل وقفل المرض ولما كانت هناك أمور مطلوبة لا يتحقق ولا يستقر إلّا بأمور مطلوبة اخرى وبالمجموع يتم كمال الدين ونظام الدنيا أشار اليها وحث عليها بقوله**(واعلموا انكم لن تعرفوا الرشد)** أي الصواب والحق (حتى تعرفوا الذي تركه) لا يقال معرفة تارك الرشد تتوقف على معرفة الرشد فلو انعكس لزم الدور لأنا نقول المراد أن هاتين المعرفتين ينبغى ان تكونا معاً اذ انتفاء الثانية يؤدى الى متابعة تارك الرشد غالباً وذلك يوجب انتفاء الاولى أيضاً أو نقول معرفة الرشد كناية عن الثبات والاستمرار عليه وهو متوقف على معرفة تارك الرشد للتحرز عن متابعته وهذه المعرفة تتوقف على معرفة الرشد لا على الثبات عليه فلا دور وقس عليه البواقي (ولن تأخذوا بميثاق الكتاب) الذي من جملته الولاية والطاعة لاهلها (حتى تعرفوا الذي نقضه) ونشر ضده (ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه) وراء ظهره والاخذ به والضمائر راجعة الى الكتاب او الميثاق**(ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته)**(١) برعاية المباني المنزلة والمعاني المقصودة (حتى تعرفوا الذي حرّفه) أي غيّره أو صرفه عن الحق الى الباطل.

(ولن تعرفوا الضلالة حتى تعرفوا الهدى) لأن الضلالة وهي التحير والخروج عن الصراط المستقيم لاتعرف بدون معرفة الهدى وهو الصراط المستقيم ضرورة ان الخروج عن الشيء لايعرف بدون معرفة ذلك الشيء وانما غيّر الأسلوب للاشعار بان عكس الفقرات السابقة واللاحقة أيضاً صحيح وثمرة الاشعار افادة التلازم بين المعرفتين (ولن تعرفوا التقوى حتى تعرفوا الذي تعدّى) لأن عدم معرفة المتعدّى عن حدود الله يؤدّى الى الاقتداء به وهو ينافي معرفة التقوى والثبات عليها (فإذا عرفتم ذلك) المذكور وهو من ترك الرشد ومن نقض الميثاق وأضرابهما (عرفتم البدع) بمعرفة تارك الرشد لأنه أخذ بضده وهو المبدع (وعرفتم التكلف) بمعرفة ناقض

---

(١) سورة البقرة : ١٧١.

الميثاق لأنه يتكلف الوفاء بالميثاق ويتصنع به فإذا عرفته عرفت تكلفه وتصنعه (ورأيتم الفرية على الله وعلى رسوله) بمعرفة من نبذ الكتاب لأنه من أهل الفرية عليهما (ورأيتم التحريف) لكان به بمعرفة من حرّفه لأن معرفته بمعرفة تحريفه (ورأيتم كيف هدى الله من هدى) أي من هداه وأرشده الى من بدله في نظامه وبقائه ودوام استقامته وبصره وعرّفه طريق معرفته وشريعته حتى آمن برسالة رسوله و ولاية وليّه وأذعن بربوبيته (فلا يجهلنكم الذين لايعلمون) نهي والخبر بعيد والتجهيل هو النسبة الى الجهل أي لا ينسبنكم الذين لا يعلمون ما في الكتاب والسنة أوليست لهم حقيقة العلم، الى جهلهم وضلالتهم (فإن علم القرآن) والسنّة ولم يذكرها لأن علمها علم القرآن وهي مفسرة له في الحقيقة (ليس يعلم ماهو إلّا من ذاق طعمه) فعرف حقيقته وكيفيته وانواعه كما تعرف المذوقات وكيفياتها وأنواعها بالذوق وفيه استعارة تمثيلية أو مكنية وتخييلية (فعلم بالعلم جهله) بالشيء قبل العلم به أو مجهوله أو باطله وهو الضد الحق المعلوم (وبصّره عماه) في القاموس عمى كرضى عمى ذهب بصره كله وفي الكنز: عمى نادان شدن وكورشدن وپوشيده شدن والمراد به الضلالة والجهالة وبالابصار الادراك القلبي (وسمع به صممه) في القاموس الصمم محركة انسداد الاذن وثقل السامع ولسمع حس الاذن يعني أحس وأدرك بالعلم الحاصل له من جهة السماع صممه قبل حصول ذلك العلم (وأدرك به علم ما فات) جهلا به فتداركه (وحي به بعد إذ مات) أي مات قلبه بالجهل أو مات موتاً معروفاً فإن العلم سبب للحياة الابدية بعد الموت وفي بعض النسخ «حيى» بفك الادغام (وأثبت عند الله عز ذكره به الحسنات) دل على أن الحسنات وهي ما يوجب القرب منه تعالى والثواب عليه انما هي حسنات إذا صدرت مع العلم بها لا ما وقع اتفاقاً ولا ماعدّه الجاهل حسنة (ومحى به السيئات) لأن العلم بانها سيئات وموجبة للمقت سبب لمحوها وتركها وان أريد بالمحو ازالة الاثر واسقاط الثابت فالعلم بها سبب للتوبة الماحية لها على أن العلم سبب للحسنات والحسنات سبب لمحو السيئات**﴿ان الحسنات يذهبن السيئات﴾**[1] فالعلم سبب لمحو السيئات (وأدرك به رضوانا من الله تبارك وتعالى) الرضوان بالكسر وبضم مصدر رضى الله عنه وعليه ضد سخط وفي الكنز رضوان خشنود شدن والعلم سبب له بلا واسطة وبها ولما حثّ على الأخذ بعلم القرآن ونهى عن اخذه من الجاهلين المتكلفين امر باخذه عن اهله وهم أهل العصمة عليهم السلام فقال (فاطلبوا ذلك) أي علم القرآن (عند أهله خاصة) لا عند غيرهم من هؤلاء المتصفين فإنهم خاصة دون غيرهم (نور يستضاء به) أي بذلك النور

---

(١) سورة هود :١١٤ .

واطلاق النور عليهم إما من باب الحقيقة لأنهم في الحقيقة أنوار إلهيون وان وقع التشابه بينهم وبين غيرهم في الصورة الظاهرة أو من باب الاستعارة والتشبيه في ظهوره في نفسه والاظهار لغيره وازالة الحجاب الحسي والعقلى وهما الظلمة والجهل (وأئمة يهتدى بهم) الى المطالب الدنيوية والأخروية واحوال المبدأ والمعاد (وهم عيش العلم وموت الجهل) الجهل للمبالغة إذ بهم حياة العلم وبقاؤه وزوال الجهل وفناؤه (هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم) الخطاب للعلماء لأنهم يعلمون أنّ حكمهم لكونه متيناً لا يمكن دفعه في مقام المناظرة وبذلك يعلمون اجمالا أن علمهم في غاية الكمال لايبلغها عقول غيرهم وذلك كما يعلم الفصحاء اعجاز القرآن ولا يقدرون على العلم بتفاصيله والاتيان به.

(وصمتهم عن منطقهم) أي يخبرهم سكوتهم عن اللغو عن نطقهم وادراكهم للحق كما روي أن الصمت من علامات الفقه وأنه باب من أبواب الحكمة» وذلك لأن الفقه والحكمة لا يحصلان إلا بالتفكر والتفكر لايتم إلّا بالصمت، ويحتمل أن يراد بالنطق التكلم بالحق والاخبار باعتبار ان الصامت عن اللغو محترز عن طرف الافراط طلبا للتوسط وهو التكلم بالحق أو عما لاينفع ويلزمه عادة التعرض لما ينفع أو باعتبار أنه مشتغل بالتفكر والتفكر دليل على الحكمة وهي سبب للتكلم بالحق (وظاهرهم عن باطنهم) إذ استقامة الباطن وتخلقه بالاخلاق الفاضلة والعقائد الصالحة سبب لاستقامة الظاهر فاستقامة الظاهر دليل على استقامة الباطن دلالة الاثر على المؤثر (لا يخالفون الدين) في شيء من الاقوال والاعمال والاحكام بل قولهم وفعلهم وحكمهم موافق لما أنزل الله عزوجل (ولا يختلفون فيه) أي لا يخالفون بعضهم بعضاً في شيء من اموره فقول الاول مثلا قول الاخر وبالعكس (فهو بينهم شاهد صادق) هو راجع الى الدين وعوده الى القرآن محتمل وهو كل شاهد لله عزوجل بما أنزله على رسوله صادق في تلك الشهادة والحاكم أهل العلم عليهم السلام (وصامت ناطق) صامت بالنسبة الى من لم يعرفوه حيث ان النطق معهم عبث، ناطق بالنسبة الى من عرفوه وهم أهل الذكر عليهم السلام وقد روي عن الصادق عليه السلام في حديث طويل أنه قال بعد وصف القرآن بما وصف ذلك القرآن فاستنطقوه فلن ينطق لكم أخبركم عنه وفيه علم ما مضى وعلم مايأتي الى يوم القيامة وحكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون فلو سالتمونى عنه لعلمتكموه (فهم من شأنهم شهداء بالحق) من التعليل والسببية والشأن الخطب والامر والحال أي هم سبب شأنهم الرفيع شهداء لله تعالى على عباده بالحق الذي أنزله اليهم واراده منهم (ومخبر صادق) عطف على الحق والمراد به الرسول أو الله عزوجل وفيه ايماء الى أن من خالفهم فهو منكر للرسالة والالوهية ويعضده روايات أخر.

(يخالفون الحق ولا يختلفون فيه) هذا كالسابق فهو تأكيد له أو هذا في الشهادة والسابق في الاخبار، أو التفاوت باعتبار اختلاف المشهود به ولو بحسب الاعتبار، أو هذا باعتبار العمل والسابق باعتبار الحكم (قد خلت) في العلم والتقدير أزلاً (لهم من الله) نعمة (سابقة) هي العصمة والحكمة والهداية والخلافة ولوازمها (ومضى فيهم من الله عزوجل حكم صادق) مطابق للخارج لوقوع المقدر على نحو التقدير (وفى ذلك ذكرى للذاكرين) أي تذكرة وعبرة لهم في القاموس ذكرى للمؤمنين وذكرى لأولي الألباب عبرة لهم (فاعقلوا الحق إذا سمعتموه عقل رعاية) أي حفظ بالاعتقاد والاذعان به إن كان اعتقادياً أو بالعمل إن كان عملياً (ولا تعقلوه عقل رواية) فقط إذ الرواية بدون الرعاية غير نافعة بل هي موجبة لزيادة التحسر والندامة والعقوبة يوم القيامة (فإن رواة الكتاب كثير ورعاته قليل) كأنه تعليل للامر والنهي وتنبيه، على أن ترك الرواية لا يضر كثيراً لكثرة أهلها الحافظين لعباراته وكلماته وقراءته وآياته، وإنما الأصل والأهم هو الرعاية لئلا يندرس ماهو المقصود لقلة أهلها﴿**والله المستعان**﴾ في جميع الامور وفيه تفويض لاموره ﷺ وامور من تبعه إليه عزوجل وطلب للعون والنصرة منه.

*** الأصل:**

٥٨٧ ـ عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عمر بن علي، عن عمه محمد بن عمر، عن ابن أذينة قال: سمعت عمر بن يزيد يقول: حدثني معروف بن خرّبوذ، عن علي بن الحسين عليه السلام أنه كان يقول: ويل امه فاسقاً من لايزال ممارياً، ويلمّه فاجراً من لايزال مخاصماً، ويل امه آثماً من كثر كلامه فى غير ذات الله عزّوجلّ (١).

*** الشرح:**

قوله (كان يقول ويل امه فاسقاً من لايزال ممارياً) لإبطال الحق وترويج الباطل والويل الحزن والهلاك والمشقة من العذاب والنداء طلب لاحضاره لينظروا الى شدته ويعجبوا من فظاعته فكانه قال يا ويل امه احضر فهذا وقت حضورك وانما اضافه الى الام للمتعارف وللاشعار بانها سبب له ومصدر للخطأ وضمير امه مبهم يفسره من، وفاسقاً نصبه للتميز أو الذم أو الحال عن فاعل لايزال والمراء الجدال والتماري والممارات المجادلة على مذهب الشك والريبة ويقال للمناظرة مماراة لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالب اللبن من الضرع ليريبه ويشككه والمجادلة مذمومة إلّا ماهو لاثبات الحق ورد الباطل (ويل امه فاجراً من لايزال

(١) الكافي: ٨ / ٣٢٠.

مخاصماً) معادياً لأهل الحق مظهراً لعداوته وخصومته، والفاجر المنبعث في فعل المعاصي والفاسق المنبعث في ترك الاوامر وقد يطلق كل واحد منهما على الأخر (ويل امه آثماً) من الاثم بالكسر وهو الذنب (من كسر كلامه في غير ذات الله عزوجل) أي غير خالص لذاته تعالى وإن تعلق بالعبادة لأنه أشد قبحاً من اللغو.

٥٨٨ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن الحسن بن عمارة، عن نعيم القضاعّي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أصبح إبراهيم عليه السلام فرأى في لحيته شعرة بيضاء فقال: الحمد لله ربّ العالمين الذي بلغني هذا المبلغ لم أعص الله طرفة عين.

* **الأصل:**

٥٨٩ ـ أبان بن عثمان، عن محمد بن مروان، عمّن رواه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا اتخذ الله عزّوجل إبراهيم خليلاً أتاه بشراه بالخلّة فجاءه ملك الموت في صورة شاب أبيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه ماء ودهناً فدخل إبراهيم عليه السلام الدار فاستقبله خارجاً من الدار وكان إبراهيم عليه السلام رجلاً غيوراً وكان إذا خرج في حاجة أغلق بابه وأخذ مفتاحه معه ثمّ رجع ففتح فإذا هو برجل قائم أحسن ما يكون من الرجال فأخذه بيده وقال: يا عبد الله من أدخلك داري؟ فقال: ربّها أدخلنيها فقال: ربّها أحق بها منّي فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت ففزع إبراهيم عليه السلام فقال: جئتني لتسلبني روحي؟ قال: لا ولكن اتّخذ الله عبداً خليلاً فجئت لبشارته قال: فمن هو لعلّي أخدمه حتى أموت؟ قال: أنت هو: فدخل على سارة عليها السلام فقال لها: إن الله تبارك وتعالى اتخذني خليلاً[1].

* **الشرح:**

قوله (لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً أتاه بشراه بالخلة) قيل: الخليل من الخلة بمعنى الحاجة وسمي عليه السلام خليلاً لأنه قصر حاجته الى الله عزوجل، وقيل: الخلة المحبة وقيل: صفاؤها الذي يتخلل موضع السر. وقال صاحب اكمال الاكمال الخليل مشترك بين المحب والمحبوب وكلاهما محتمل في خليل الرحمن، وقيل: سمّي خليلاً لتخلقه بأخلاق اختصت به، وقيل: الخليل من لايسع قلبه غير من فيه وسمي عليه السلام خليلاً لأن حب الله سبحانه لم يبق في قلبه موضعا لغيره وفيه أقوال اخر.

٥٩٠ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير: عن سليم الفرّاء، عمّن ذكره، عن أبي

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٢٠.

عبدالله عليه السلام مثله الاّ أنه قال في حديثه: إنّ الملك لمّا قال: أدخلنيها ربّها عرف إبراهيم عليه السلام أنه ملك الموت عليه السلام فقال له: ما أهبطك قال: جئت اُبشّر رجلاً ان الله تبارك وتعالى اتخذه خليلاً. فقال له إبراهيم عليه السلام: فمن هذا الرجل ؟ فقال له الملك: وما تريد منه ؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: أخدمه أيّام حياتي، فقال له الملك: فأنت هو.

* **الأصل :**

٥٩١ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام أنّ إبراهيم عليه السلام خرج ذات يوم يسير ببعير فمرّ بفلاة من الارض فإذا هو برجل قائم يصلي قد قطع الأرض إلى السماء طوله ولباسه شعر، قال: فوقف عليه إبراهيم عليه السلام وعجب منه وجلس ينتظر فراغه فلمّا طال عليه حرّكه بيده فقال له: إنّ لي حاجة فخفّف، قال: فخفف الرجل وجلس إبراهيم عليه السلام، فقال له إبراهيم عليه السلام: لمن تصلّي ؟ فقال: لإله إبراهيم فقال له: ومن إله إبراهيم ؟ فقال: الذي خلقك وخلقني، فقال له إبراهيم عليه السلام: قد أعجبني نحوك وأنا أحب أن اُواخيك في الله، أين منزلك إذا أردت زيارتك ولقاءك ؟

فقال له الرجل: منزلي خلف هذه النطفة ـ وأشار بيده إلى البحر ـ وأمّا مصلاّي فهذا الموضع تصيبني فيه إذا أردتني إن شاء الله.

قال: ثم قال الرجل لابراهيم عليه السلام: ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم: نعم، فقال له: وماهي ؟ قال: تدعو الله واُؤمّن على دعائك وأدعو أنا فتؤمّن على دعائي. فقال الرجل: فبم ندعو الله ؟ فقال إبراهيم عليه السلام للمذنبين من المؤمنين، فقال الرجل: لا، فقال إبراهيم عليه السلام: ولم ؟ فقال: لأنّي قد دعوت الله عزّوجلّ منذ ثلاث سنين بدعوة لم أر إجابتها حتى الساعة وأنا أستحيي من الله تعالى أن أدعوه حتى أعلم أنّه قد أجابني. فقال إبراهيم عليه السلام: فبم دعوته ؟ فقال له الرجل: إنّي في مصلاّي هذا ذات يوم إذ مرّ بي غلام أروع، النور يطلع من جبهته له ذؤابة من خلفه ومعه بقريسوقها كأنما دهنت دهناً وغنم يسوقها كأنّما دخست دخساً فأعجبني ما رأيت منه فقلت له: يا غلام لمن هذا البقر والغنم ؟ فقال لي: لابراهيم عليه السلام، فقلت: ومن أنت ؟ فقال: أنا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، فدعوت الله عزّوجلّ وسألته أن يريني خليله فقال له إبراهيم عليه السلام: فأنا إبراهيم خليل الرحمن وذلك الغلام ابني، فقال له الرجل عند ذلك: الحمد لله الذي أجاب دعوتي، ثم قبّل الرجل صفحتي إبراهيم عليه السلام وعانقه: ثم قال: أمّا الآن فقم فادع حتى اُؤمّن على دعائك، فدعى إبراهيم عليه السلام للمؤمنين والمؤمنات والمذنبين من يومه ذلك بالمغفرة والرضى عنهم، قال: وأمّن الرّجل على دعائه. قال أبو

جعفر عليه السلام فدعوة إبراهيم عليه السلام بالغة للمؤمنين المذنبين من شيعتنا إلى يوم القيامة[1].

*** الشرح :**

قوله (منزلي خلف هذه النطفة) النطفة البحر ويقال للماء القليل والكثير نطفة وهي بالقليل أخص (اذ مرَّ بي غلام أروع) الأروع من يعجبك بحسنه ونضرة منظره أو بشجاعته (ومعه بقر يسوقها كانما دهنت دهناً) دهنه دهنا ودهنة بله والاسم الدهن بالضم وهو كناية عن سمنها وطراوة جسدها ولفظة ما كافة (وغنم يسوقها كانما دخست دخساً) أي ملئت جلدها باللحم والشحم وكل شيء ملأته فقد دخسته وكل ذي سمن دخيس وما في الموضعين كافة وفي بعض النسخ «كأنها» في الموضعين واعلم أن هذه الحكاية نقلها صاحب معارج النبوة بوجه آخر قال أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يسافر الى جبل لبنان ويلاقي عبداً من عباده فرأى عليه السلام رجلا طويل القامة كان طوله خمسمائة ذراع فسلم عليه فقال: من أنت ؟ قال: عبدالله هوذى بن بزى بن سام بن نوح عليه السلام، ومن أنت ؟

فقال: إبراهيم عليه السلام عبد من عباد الله جئت لازورك قال هوذى الحمد لله جاء ضيفي يوم افطاري قال إبراهيم: في كم يوم تفطر ؟ قال أفطر في كل تسعين يوماً ثم قال هوذى اللهم أنزل لي مائدة من السماء لأكرم بها ضيفي فأنزل خوان من زبرجد وكان شرفه لولؤ أبيض وقائمته ياقوتة حمراء وفي طرفه أربعة أرغفة وفي طرفه الاخر سخلة مشوية وفي طرفه الاخر ظروف من الذهب والفضة وفيها أنواع من أثمار الجنة وفي طرفه الاخر أقداح صغيرة من أحدها عسل ممزوج بزنجبيل وفي ثانيها خل فأكلا منها ما شاء ثم قال له إبراهيم عليه السلام أين منزلك قال خلف هذا البحر قال عليه السلام أريد أن أعرف منزلك وأنظر إليه، قال: هوذى طريق منزلي وجه البحر وسطحه والبحر عميق حتى أن الثقيل لايصل الى قعره الف عام قال عليه السلام أمر عليه ان شاء الله برفقتك قال هوذى في هذا الجبل غار وفيه أسد مع لبوثه وهو عظيم الجثة حتى أن من عنقه الى ذنبه خمسمائة ذراع وفخذه الى فخذه مائتا ذراع ومن الارض الى بطنه عند قيامه ثلاثمائة ذراع وأسنانه كالاسطوانة وله صوت شديد مهيب اذا رأيته وما خفت منه علمت انك تقدر أن تمر من سطح البحر الى منزلي، فلما رآه صوّت الاسد صوتاً شديداً كأنه تحرك منه البر والبحر والجبل فقال عليه السلام اسكت والا قتلتك بعصاى هذه فقال الاسد أنت أعظم من أن يصل اليك مني الضرر وتواضع وتخشع له ووضع وجهه على قدمه فقال هوذى: الآن عرفت أنك تقدر على المرور من هذا البحر العميق فذهب معه الى منزله فرأى فيه

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٢١.

قدحاً والبوريا والعصا فقال عليه السلام هذا أثاث منزلك قال نعم قال ما تفعل بالقدح قال أتوضأ منه واشرب منه واغسل بدني منه وأنام على البوريا وأصلى عليه وأما العصا فمنها طعامى إذا غرستها في الارض فقال عليه السلام أنا أعرف حقيقة ذلك فضرب على الحجر فدخل تحتها فيه واخضرت في الحال وظهرت منها أربعة أغصان فظهر من واحد الرطب ومن الثاني العنب ومن الثالث التين، ومن الرابع الرمان فأكلا منها ما شاء، فأخرج عصاه من الحجر فعادت الى الهيئة الاولى ثم قال عليه السلام لي اليك حاجة فقال هوذي: ما حاجتك .

قال: تدعو لي قال: هوذي لا تظن أن دعائى مستجاب وانى سألت الله من مدة حاجة ولم يستجب لي بعد فقال عليه السلام: ماكان حاجتك قال: سألته أن يشرفني برؤية نبيه إبراهيم عليه السلام قال عليه السلام وأين عرفت إبراهيم حتى طلبت لقاءه قال: كنت رأيت غلاماً حسن الهيئة وله ذؤابة طويلة وهو يدعو ويقول يا رب شرفني برؤية وجه أبي إبراهيم فقلت له من أنت يا غلام قال أنا اسماعيل بن إبراهيم وأنا الى الآن كنت أطلب من الله لقاء إبراهيم فقال: يا هوذى فأنا إبراهيم خليل الرحمن فقد استجاب الله دعاءك فعند ذلك عانقه هوذى وأظهر كمال الاشتياق والمحبة وبكى وهذا أول الاعتناق ولم يكن قبل ذلك وقال عليه السلام يا هوذى أنا أريد لقاء اسماعيل فادع لي حتى يتيسر بسهولة عن قريب فدعى له فاستجاب الله حتى تحقق ملاقاتهما في ذلك المجلس واعتنقا فيه وبكى.

*** الأصل :**

٥٩٢ ـ علي بن محمد، عن بعض أصحابه رفعه قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام إذا قرأ هذه الاية: **﴿وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها﴾** يقول: سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلاّ المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم أنّه لا يدركه، فشكر جلّ وعزّ معرفة العارفين بالتقصير عن معرفة شكره فجعل معرفتهم بالتقصير شكراً كما علم علم العالمين أنّهم لا يدركونه فجعله إيمانا، علماً منه أنّه قدّ وسع العباد فلا يتجاوز ذلك فإنّ شيئاً من خلقه لا يبلغ مدى عبادته وكيف يبلغ مدى عبادته من لامدى له ولاكيف، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً[1] .

*** الشرح :**

قوله (قال سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلّا المعرفة بالتقصير عن معرفتها) نزهه أولا عن جميع النقائص للتنبيه على ان عدم الجعل ليس للنقص في احسانه بل لقصور البشر عن

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٢٢.

ادراك غير المحصور والاحاطة به والظاهر أن الحكم شامل للانبياء أيضاً وأن المراد بنعمه العموم والشمول لوقوع النكرة في سياق النفى والاضافة وأن المراد بمعرفة نعمه المعرفة التفصيلية إذ المعرفة الاجمالية غير متعذرة وأن التقصير عن معرفتها لا يدل لغة، على أن معرفتها ممكنة لجواز خروجها عن القدرة البشرية وان كانت في غاية الكمال كما يدل عليه التشبيه في قوله (كما لم يجعل في أحد من معرفة ادراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه) أي لايدرك حقيقة ذاته وصفاته لأن ادراكها ممتنع فكذا فى المشبه وقد ذكرنا طريق معرفته في كتاب التوحيد من الاصول. ثم أشار الى ما يتفرع على المشبه بقوله (فشكر جل وعز معرفة العارفين بالتقصير عن معرفة شكره) الاعتراف بهذا التقصير لازم للاعتراف بالتقصير عن معرفة نعمه (فجعل معرفتهم بالتقصير) عنهما (شكراً) وجزاهم جزاء الشاكرين وأشار الى ما يترتب على المشتبه به بقوله (كما علم علم العالمين أنهم لايدركونه فجعله ايماناً) وجزاهم جزاء المؤمنين (علماً منه أنه قد وسع العباد فلا يتجاوز ذلك) علماً علة لقوله، فجعل معرفتهم بالتقصير شكراً، وجعل علم العالمين بأنهم لايدركونه» ايماناً والقد بالكسر والشد القدر وضمير يتجاوز راجع الى الوسع وذلك اشارة الى اعتراف العارفين بالتقصير وعلم العالمين انهم لايدركونه وارجاع الضمير إليه سبحانه واشارة ذلك الى الجعلين احتمال بعيد (فإن شيئاً من خلقه لا يبلغ مدى عبادته) أي غاية عبادته اللائقة به وقد اعترف خاتم الانبياء وسيد الاوصياء بالتقصير وروي عن أبي الحسن موسى عليه السلام أنه قال لبعض ولده «يا بنى عليك بالجد لاتخرجن نفسك عن حد التقصيرعبادة الله عزوجل وطاعته فإن الله لا يعبد حق عبادته» (وكيف يبلغ مدى عبادة من ليس له مدى ولاكيف) لأن اللائق بمن ليس له مدى وكيف عبادة خلت عنهما إذ كل ما هما له ممكن ناقص لايليق بالله المتعالي عنهما علواً كبيراً، ولا ريب ان العبد لايقدر ان يبلغ مدى هذه العبادة إذ له مدى ولا مدى لها وانما يقدر على عبادة متصفة بهما وهي لا تليق به.

*** الأصل:**

٥٩٣ ـ محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن عنبسة بن بجاد العابد، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنّا عنده وذكروا سلطان بني اُميّة فقال أبو جعفر عليه السلام: لايخرج على هشام أحدٌ إلاّ قتله، قال: وذكر ملكه عشرين سنة قال: فجزعنا، فقال: مالكم؛ إذا أراد الله عزّوجلّ أن يهلك سلطان قوم أمر الملك فأسرع بسير الفلك[1] فقدّر على ما يريد؟ قال: فقلنا

---

١ ـ «قوله امر الملك فاسرع» هذه مسألة اتفق فيها ما ورد في الشرع على ما اعتقده أكثر الفلاسفة من أن الحركة الدورية لاتكون إلّا ارادية ولابد أن ينسب حركة الكواكب الى محرك مريد وقد ذكرنا ذلك وبيناه سابقاً ولا ريب أن كل من رأى رحى متحركاً من غير سبب ظاهر ينسبه الى ملك أو جن وسمى الفلاسفة محرك الفلك

لزيد عليه السلام هذه المقالة، فقال: إنّي شهدت هشاماً ورسول الله صلى الله عليه وآله يسبّ عنده فلم ينكر ذلك ولم يغيّره فوالله لو لم يكن إلاّ أنا وابني لخرجت عليه(١).

* **الشرح**: قوله (اذا أراد الله أن يهلك سلطان قوم أمر الملك فاسرع بالسير الفلك ـ اه) قد مرَّ

عقلاً وسماه الشرع ملكاً وكذلك ينبغى أن يكون طريقة المسلم التابع للانبياء ولا يتعبد بقول غير المعصومين إذ ليس قول الحكيم بنفسه حجة إلّا إذا طابق قول المعصوم أو لم يخالفه وقام الدليل عليه وليست الفلسفة مذهباً واحداً فكل ما يخالف الشرع مردود وكل ما يوافقه مقبول وأما سرعة سير الفلك فربما يخطر ببال غير المتأمل أن الامر في دولة الجبابرة بعكس ما في الخبر لأن المعروف أن الزمان يمضى سريعاً في السرور والراحة وبطيئاً في المشقات والالام واشتهر ذلك بين الناس وذكره الشعراء في العربية والفارسية وأن ليل الوصال قصير وليل الفراق طويل وقيل:

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطكاك المزاهر

ونقول وان كان ملك الظالم يطول على الناس لكثرة بلائهم ومصيباتهم في دولته لكن الناس ليأسهم من النجاة وعدم وجود طريق التخلص يظنون أن زوال دولته محال وان مظالمه باقية الى الابد، وهكذا يعتقد الظالم نفسه وأتباعه الاترى أن بنى امية كانوا يعتقدون بقاءهم واستمرار ما ابتدعوه من لعن أمير المؤمنين عليه السلام وتنفير الناس من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وتغيير أحكام الشرع وهكذا كان أتباعهم يختلقون روايات تملقاً فيما كانوا يريدون ترويجه من الاباطيل زاعمين أن سنتهم باقية الى الابد وهكذا جميع الظلمة بعدهم الى آخر الزمان هكذا يظنون والمبتلون بهم لا يتوقعون النجاة فإذا مضى عشرون سنة كما في الحديث على ملك هشام استقصروه بالنسبة الى ما كانوا عليه من اليأس الى الابد. كما قيل:

ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

فثبت صحة سرعة سير الفلك في دولة الجبابرة ولا يجوز للعاقل المتأمل أن يتسرع الى رد كل ما سمعه لعدم نيل وجه صحته فهذا دأب الجاهلين خصوصاً فيما روي عن الأئمة المعصومين عليهم السلام وان كان ضعيفاً أو مروياً بطريق الاحاد فإن ذلك يوجب الترديد والترديد لايوجب التكذيب فربما كان صادراً منهم حقيقة وان كان في اسناده ضعف وليس كل مشكوك كاذباً.

والحمد لله على توفيقه لاتمام هذا الشرح وتنقيحه وتوضيحه والتعليق عليه وهو أكمل ما وجدناه من الشروح من جهة المعنى واللفظ فقد اقتبس في كل باب ما أورده من أهله وبينه بلفظ قريب من أذهان أكثر الناس وتبع في شرح مباحث التوحيد والحجة طريقة الحكيم المتأله خريت هذا الفن صدر الدين الشيرازي(قده) على ما أشرنا الى انموذج منه في موضعه وربما نقل عبارته بعينه أو مع حذف أو تغيير يسير لكلمات لا يفهمه الناس وما أراد بذلك إلّا النصح والخير، ونقل في مباحث الامامة من أوثق شراح الصحاح الستة والكتب المعتبرة لأهل السنة ولم يذكر ما يتداوله الناس من النسبة اليهم بغير مدرك وثيق أو بالاستظهار من القصص والحكايات الضعيفة لئلا يشوه صورة احتجاجاته وهكذا في كل باب ونسب ما ذكره في تفسير الاحاديث الى الاحتمال كما يفعل أهل الورع وبالله التوفيق وله الشكر ومنه استزادة النعمة وعليه التكلان وصلى الله على رسوله والأئمة من آله. حرره الاحقر أبو الحسن المدعو بالشعراني عفى عنه.

(١) الكافي: ٨ / ٣٢٣.

مراراً وشرحناه تفصيلاً فلا نعيده.

* **الأصل:**

٥٩٤ ـ وبهذا الاسناد، عن عنبسة، عن معلّى بن خنيس قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ أقبل محمد بن عبدالله فسلّم ثم ذهب فرقّ له أبو عبدالله عليه السلام ودمعت عيناه فقلت له: لقد رأيتك صنعت به مالم تكن تصنع ؟ فقال: رقفت له لأنّه ينسب إلى أمر ليس له، لم أجده في كتاب علي عليه السلام من خلفاء هذه الأُمّة ولامن ملوكها.

٥٩٥ ـ علي بن إبراهيم رفعه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام لرجل: ما الفتى عندكم ؟ فقال له: الشابّ. فقال: لا، الفتى: المؤمن، إنّ أصحاب الكهف كانوا شيوخاً فسمّاهم الله عزّوجلّ فتية بايمانهم[١].

* **الشرح:**

قوله (قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لرجل ما الفتى عندكم فقال له الشاب، فقال لا الفتى المؤمن ـ اه).

كأنه عليه السلام سأل عن كل من يستحق هذا الاسم أو عمن هو أولى به، وقوله: لا، حينئذ ظاهر اذ الفتى كما يطلق على الشاب يطلق على الكريم والسخي والمؤمن ببذل نفسه وماله في سبيل الله فهو أحق وأولى بهذا الاسم.

* **الأصل:**

٥٩٦ ـ محمد، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن سدير قال: سأل رجل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: **﴿فقالوا ربّنا باعد بين أسفارنا فظلموا أنفسهم﴾**[٢] فقال: هؤلاء قوم كان لهم قرى متّصلة ينظر بعضهم إلى بعض وأنهار جارية، وأموال ظاهرة. فكفروا بأنعم الله وغيّروا ما بأنفسهم فأرسل الله عزّوجلّ عليهم سيل العرم فغرّق قراهم وأخرب ديارهم وأذهب بأموالهم وأبدلهم مكان جنّاتهم جنّتين ذواتي أُكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل» ثمّ قال الله عزّوجلّ: **﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلاّ الكفور﴾**[٣][٤].

* **الشرح:**

قوله (فقال ربنا باعد بين أسفارنا) كان سفرهم الى الشام وكانت بينه وبين مساكنهم قرى كثيرة بحيث كان ارتحالهم من قرية ونزولهم في قرية فطلب الاغنياء بعد المنازل في السفر وجعل المسافة مفاوز ليتفاخروا على الضعفاء ويتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٢٣.
(٢) سورة سبأ: ١٩.
(٣) سورة سبأ: ١٧.
(٤) الكافي: ٨ / ٣٢٣.

الازواد﴿**فظلموا أنفسهم**﴾ بكفران النعمة وطلب البعد ومعصية الرب (فقال هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم الى بعض وأنهار جارية) في منازلهم وبساتينهم (وأموال ظاهرة) من الانعام وغيرها والقوم كانوا أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكانت مساكنهم بين جبلين طولها ثمانية عشر فرسخاً كما قيل، وكانت لهم جنات كثيرة عن يمينها وشمالها وكانت من حيث الاتصال بمنزلة جنتين وكان لهم من أعلى الوادي سد عملته بلقيس يخرج منه الماء بقدر حاجتهم﴿**فكفروا بأنعم الله**﴾ بطلب البعد وترك الشكر عليها وعدم الاعتداد بها (وغيروا ما بأنفسهم، من طاعة ربهم ومتابعة نبيهم (فأرسل الله عزوجل) في الليل (سيل العرم) أي سيل الوادي أو السيل الشديد أو الليل المختلط سواده بضوء القمر أو السد أو الجرذ لأنه ثقب السد فطغى الماء وكسره (فغرق قراهم وأخرب ديارهم) وأهلك كثيراً من الرجال والنساء.

(وأذهب بأموالهم) أذهبه وبه ازاله (وأبدلهم) ليتذكروا ما فاتهم من النعماء السابغة ويتحسروا له ولاستحالة بقاء أحد بلا رزق (مكان جناتهم جنتين ذواتي أكل خمط) الاكل بالضم وبضمتين الثمرة والخمط المر البشع، وقيل: هو ضرب من الادراك له حمل يؤكل (وأثل وشيء من سدر قليل) قال الرازي والقاضي هما معطوفان على اكل لا على خمط فإن الاثل وهو الطرفاء لا ثمر له وفي النهاية الاثل شجر شبيه بالطرفاء إلّا انه أعظم منه وفي القاموس الطرفاء شجر وهي أربعة أصناف منها الاثل، والسدر شجر النبق (ذلك جزيناهم بما كفروا) أي بسبب كفرهم بالنبي وكفرانهم النعمة بطلب البعد (وهل نجازي) بذلك الجزاء أو مطلقاً﴿**الا الكفور**﴾ المنهمك في الكفر والكفران وربما يفهم من ظاهر هذا الخبر ان تخريب قراهم بسبب كفرهم وكفرانهم وصرح بعض المفسرين بأن بلادهم خربت أولاً بسبب كفرهم ثم بعد ذلك خربت القرى المتوسطة بينهم وبين الشام بسبب كفرانهم وطلب البعد والله أعلم.

*** الأصل:**

٥٩٧ ـ الحسين بن محمد الأشعري، عن معلّى بن محمد، عن الوشّاء، عن أبي بصير عن أحمد ابن عمر قال: قال أبو جعفر عليه السلام وأتاه رجل فقال له: إنّكم أهل بيت رحمة اختصّكم الله تبارك وتعالى بها. فقال له: كذلك نحن، والحمد لله لاندخل أحداً في ضلالة ولا نخرجه من هدى إنّ الدُّنيا لا تذهب حتى يبعث الله عزّوجلّ رجلاً منّا أهل البيت يعمل بكتاب الله لا يرى فيكم منكراً إلاّ أنكره[1].

---

(١) الكافي: ٨ / ٣٢٤.

* **الشرح**: قوله (انكم أهل بيت رحمة) المراد بالرحمة المعنى المعروف وهو الرقة على عباد الله والتعطف بهم والهداية لهم أو النبي ﷺ لأنه رحمة للعالمين (لاندخل أحداً في ضلالة ولا نخرجه من هدى) تثبيت للرحمة وتحريك على الاقتداء بهم ونفي الرذيلتين اشارة الى أنهم قائمون على الهداية دائماً من باب الكناية وهي أبلغ من التصريح وتعريض على الثلاثة وأضرا بهم (إن الدنيا لا تذهب حتى يبعث الله عزوجل رجلاً منا أهل البيت) وهو المهدي المنتظر الموجود عندنا وبوجوده قامت الدنيا وهم يقولون إنه سيوجد في آخر الزمان، تم كتاب الروضة من الكافي وهو آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين.

قد قابلت قسم الروضة من هذا الشرح الكبير على ثلاث نسخ.

١ ـ نسخة نفيسة غير مؤرخة متوسطة في الصحة تفضل بها العالم الجليل السيد محمد مشكاة (مد ظله) استاذ «جامعة تهران» المحروسة من الحدثان.

٢ ـ نسخة ثمينة لمكتبة العالم البارع الاستاذ السيد جلال الدين الارموى المشتهر بـ«المحدث» أيده الله وسدده كاتبها غلام بن محمد بن عطاء الله الدهخوارقاني تاريخها ١١٢٧ الهجري القمري.

٣ ـ نسخة مصححة ناقصة من أولها وآخرها تفضل بارسالها: الآية الحجة «السيد مصطفى الخوانساري» نزيل قم المشرفة.

وأنا الأقل خادم العلم والدين ـ على أكبر الغفاري ١٣٧٩ هجري

تم كتاب الروضة من الكافي (١) وهو آخره والحمد لله ربِّ العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

---

(١) وبه ينتهي الكتاب والحمد لله أولاً وأخراً.

فهرس الآيات

فهرس المطالب